al-Māliki, Abū Bakr ʿAbd Allāh

لجنة الجامعيين لنشر العلم

/Kitab riyad al-nifus/

كتاب

رياض النفوس

في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم وعُبّادهم ونساكهم
وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم

تاليف
أبي بكر عبد الله بن أبي عبد الله المالكي

قام على نشره
حسين مؤنس
استاذ مساعد بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ـ القاهرة

V. 1

الجزء الأول
من الفتح العربي الى آخر سنة ٣٠٠ هجرية

الطبعة الأولى

ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلي باشا ـ القاهرة
١٩٥١

~~PJ
7805
.M26
R6m
v. 1
c. 1~~

BP
64
.A43
M344
1951
c. 1

تقديم الكتاب

لوزير القلم وعالم تونس

سعادة حسن حسنى عبد الوهاب باشا

مصادر التاريخ الإسلامى للبلاد الإفريقية قليلة ومتفرقة جد التفرق، يجد منها الباحث قطعاً مبعثرة فى المجاميع التاريخية العامة، ويلقى جانباً آخر فى التآليف الإقليمية؛ والغالب على جميعها – عامة كانت أو إقليمية – الاعتناء خاصة بالأخبار السياسية من ظهور دولة، وموت أمير، وقيام حرب، وانبرام صلح، وما إلى ذلك من الأحداث التى لا تمت بسبب إلى البيئة وأنظمتها. ولا تكشف الغطاء عن حياة الشعب المؤرَّخ له، ولا إلى تطوراته الفكرية ومظاهر العلم والأدب والفن فى أوساطه.

وهذا المقدار من التاريخ لم يكن ليكفينا اليوم، إذ أننا نتطلب منه معرفة نظام المجتمع فى القرون الماضية، ومظاهر الحضارة فيه، والدرجة التى بلغها من الرقى لنثبت بحق نصيب ذلك الشعب من التمدن البشرى العالمى.

فكل خبر أو مصدر يفيدنا – ولو شيئاً قليلا – عن الحياة الاجتماعية وسير العلم وتقدم الأدب والفن فيما مضى من عصور الإسلام يحل منا محل الغبطة والإفادة.

ولا غرو أن الجانب الكبير من مؤلفات الإفريقيين، المدونة فى أخبار القرون الإسلامية الأولى، ضاعت وبددتها أيدى الزمان وطوارق الحدثان فلم يبق من أثرها فى الأجود إلا الذكر، فأين كتاب «مغازى إفريقية» الذى وضعه سليمان ابن أبى المهاجر الإفريقى قبل منتهى القرن الثانى ؟ وأين . . . وأين ؟

من أجل ذلك أصبح من الصعب جداً على الباحث الآن تحقيق أخبار الفتح العربى وأحداثه، ومعرفة سير الذين قاموا بأعبائه، وما استعملوا من وسائل فعالة لتمهيد سلطان البلاد للإسلام، وكيف تسنى لهم فى مدة وجيزة – أقل من خمسين سنة – تعريب إفريقية التونسية وبلاد المغرب عموماً، تعريباً أساسياً تأيدت أواصره بمر الدهور.

وبعد أن فقدت الأصول القديمة المخصصة للفتوح وتلاشت ، يجب الآن البحث عن مصادر أخر تعوضنا المفقود وترشدنا إلى تلك النواحي المجهولة من التاريخ . وليس من شك في أن كتب « الطبقات » وتراجم المشاهير من رجال الإسلام ، سواء أكانوا من الغزاة أو من العلماء والأدباء ، هي من أهم المراجع في ذلك كله ؛ على أن ما كان منها أقدم عهداً ، يكون أفيد وأقرب للواقع بطبيعة الأمر.

فلولا وجود « سيرة ابن هشام » و « طبقات ابن سعد » بين أيدينا ، لما كنا لنهتدي بالتفصيل إلى حوادث الإسلام من لدن نشأته وانتشاره إلى آخر القرن الثاني للهجرة . وما يقال عن مبدأ تاريخ الإسلام في المشرق ، يصح أن يعتبر بالذات في أخبار ظهوره وامتداده في المغرب . ولا يخفى أن أقدم ما وصل إلينا من « المغازي » يرجع إلى أواسط القرن الثالث ، يعني « فتوح مصر والمغرب » لابن عبد الحكم ، ولا عبرة بما سواه .

اتجهت عناية كتاب إفريقية ، من قديم الزمان ، إلى تدوين سير مشاهير معاصريهم ، من محدثين وفقهاء وعباد ومرابطين وغيرهم . فجمعوا من مناقبهم وأقوالهم المأثورة ما نجد فيه اليوم مادة غنية متسعة لدراسة عصرهم من الناحية الاجتماعية والأخلاقية والثقافية ، علاوة على ما يتخلل ذلك من الإفادات عن الجغرافية والاقتصاد والمعالم العمرانية والنظم الدينية والإدارية .

ومن حسن الحظ أن وصل إلينا — بعد احتجاب طويل — من كتب الإفريقيين الأولين « طبقات » أبي العرب التميمي ، وما أضافه إليه تلميذه « الخشني » ؛ وهي ، على اختصارها وإيجازها ، ترشدنا أكثر مما يمكن أن نستفيد من « مروج الذهب » للمسعودي ، ومن « الكامل » لابن الأثير ، و « ديوان العبر » لابن خلدون ، لأن هؤلاء إنما يسردون لنا حوادث سياسية جافة لا روح فيها ولا حياة ، بينما أولئك المترجمون يصورون لنا ذوات الأشخاص وهي تتجول في المجتمع البشري وتتحرك ، وتغدو وتروح بين الأحياء بكل ما تفرضه عليهم البيئة والعصر من رسوم وتقاليد ؛ والفرق واضح جلي بين المسلكين .

وقد اقتفى أثر أبي العرب والخشني في هذا السلوك عالم قيرواني آخر : أبو بكر المالكي في تدوين « رياض النفوس » ؛ إذ جعله كالملحق لهما والمستدرك عليهما ؛ ولم يرض المالكي أن يبتدئ من حيث انتهى سالفاه ، بل أراد الإحاطة

والاستكمال ، بجلب سيرة من تقدم من علماء إفريقية ووصلها بتراجم معاصريه الأقربين . وقد صدر رياضه هذا بأخبار الفتح العربي ، إلى أن تم إسلام البلاد وتعريبها نهائياً فى أواخر القرن الأول .

« فرياض » المالكي حديقة زاهرة خصيبة ، يلتقط منها زائرها كل لون يشتهيه من ألوان الأخبار والإفادة .

وأخص ما يمكن أن يجتنيه الواقف على « الرياض » أمران مهمان ، نحن فى حاجة أكيدة اليوم إلى الوقوف على تفاصيلهما :

الأول — أخبار مقاومة أهل السنة بالقيروان للدعوة الشيعية التى حاول عبيد الله المهدى ، وخلفاؤه من بعده ، فرضها جبراً على سكان البلاد ، وهى أحداث خلت من ذكرها بالتفصيل المجاميع التاريخية الكبيرة .

الثانى — أخبار المرابطة فى المعاقل والحصون التى أنشأها عرب إفريقية على شاطئ البحر المتوسط ، اتقاء مهاجمة الروم لسواحل المغربية ، مع بيان حياة المرابطين فى غضون القرنين الثانى والثالث للهجرة ، تلك الظاهرة العجيبة التى تفردت بها إفريقية — لما فرضه عليها موقعها الجغرافى — دون غيرها من بلاد الإسلام .

فهذان الموضوعان الجليلان ، يلقاهما الباحث فى « الرياض » مبسوطين فى سيرة من ترجم لهم فيه ، فإذا لم يكن للكتاب إلا هاتين الميزتين لكفاه ذلك مزية وفضلا ، ولوجب إظهاره للناس .

فالشكر كل الشكر للناشر الدكتور حسين مؤنس ، على اهتمامه الدائب وعنايته المتواصلة بتصحيح الكتاب وتصويبه ، وشرح الغامض منه وتمثيله للطبع ، بالرغم من بعد الدار ، وشحط المزار ، وجزاه الله تعالى عن إفريقية العربية وتاريخها أحسن الجزاء وأوفره ؟

حسن حسنى عبد الوهاب الصمادحى

عن تونس الخضراء : جمادى الثانية ١٣٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة الـكتاب

الحمد لله بمـا هو أهله ، والصـلاة والسـلام على المصطفى ، صلوات الله عليه وآله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فهذا هو الجزء الأول من « كتاب رياض النفوس » لأبي بكر المالكي ، أضعه بين يدي العاملين على تاريخ المغرب الاسلامي خاصة وتاريخ الاسلام عامة .

وقد رأيت أن أقدم بين يديه بصفحات تبين قيمته التاريخية ، ومكانه من مراجع التاريخ الاسلامي ، وتعرف بصاحبـه وعصره ومصادره التي استقى منها وشيوخه الذين أخذ عنهم :

§ ١ — ضوء جديد على تاريخ المغرب الاسلامي

معلوماتنا عن تاريخ المغرب الإسلامي في عصوره الأولى قليلة جداً ، واعتمادنا في هذا القليل على مصادر يرجع أقدمها — وهو « المسالك والممالك » ، للبكري — إلى النصف الأول من القرن الخامس الهجري (التاسع الميلادي) ؛ أما النزر اليسير من المعلومات ، الذي يقدمه ابن عبد الحكم في « فتوح مصر والمغرب والأندلس » والبلاذري في « فتوح البلدان » ، فيتصل معظمه بالفتح العربي الذي تم فيما بين ٢١ و ٩٠ هـ . (٦٤٢ — ٧٠٩ م .) . فإذا أضفنا إلى ذلك أن البكري لم يكن مؤرخاً بل جغرافيــاً ، وأن المعلومات التـاريخية التي يقدمها إلينا في أطواء « صفة المغرب » متناثرة متفرقة لا تكوّن تاريخاً متصلا للمغرب ولا لناحية من نواحيــه ، لاستطعنا أن نقول إننا لا نملك أي كتاب أو مجموع تاريخي لهذا البلد الفسيح حتى نهاية القرن السابع الهجري ، وإن أقدم ما نستطيع الاعتماد عليه في تاريخ المغرب الإسلامي هو الفقرات التي اختصه بها ابن الأثير في كتابه « الكامل في التاريخ » ، فهي تكون في مجموعها تاريخاً متصلا مترابط الحلقات بعض الشيء ، وقد جمعها « فانيان » وترجمها في كتاب

واحد يعتبر ، من ناحية هيئته التاريخية وشخصية مؤلفه ، أقدم وأصدق تاريخ للمغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى وفاة المؤلف فى سنة ٦٣٠ هـ .

ولكن عز الدين بن الأثير الجزرى مؤرخ مشرقى ، استقى معلوماته فى الغالب من مؤرخ مغربى هو إبراهيم بن الرقيق ، وليس لدينا عن هذا الأخير من المعلومات شيء ، وإنما نجد اسمه وذكر تاريخه سنداً لطائفة من الأخبار متفرقة عند ابن الأثير والنويرى وابن خلدون والتيجانى .

ولدينا ، بعد ابن الأثير ، طائفة أخرى من المراجع فى تاريخ المغرب الإسلامى عامة ، أو فى عصر من عصوره أو ناحية معينة من نواحيه خاصة . فهناك « شهاب الدين النويرى » — (توفى ٧٣٢ هـ . — ١٣٣١ م .) — الذى اختص تاريخ المغرب بجزء من « نهاية الأرب » ، وابن خلدون عميد مؤرخى المغرب الذى اختص المغرب بجزءين من « العبر » ، وابن أبى دينار القيروانى المتوفى سنة ١٠٩٢ هـ . — ١٦٨١ م . صاحب « المونس فى تاريخ إفريقية وتونس » ، ومحمد الباجى المتوفى سنة ١٢٥٣ هـ . — ١٨٣٧ م . صاحب كتاب « الخلاصة النقية » ، وسعيد بن مقديش المتوفى سنة ١٢٢٨ هـ . — ١٨١٣ م . صاحب « تحفة النظار » وغيرهم ؛ وكلهم مؤرخون كتبوا فى عصور متأخرة ، لا يوردون لنا من المعلومات عن تاريخ المغرب فى عصوره الأولى إلا شيئاً قليلا لا أهمية له .

وخلاصة هذا الكلام ، أن عمادنا فيما نعرف عن تاريخ القرون الأربعة الأولى من تاريخ المغرب الإسلامى على ابن الأثير والنويرى وابن خلدون وابن عذارى المراكشى ، مع بعض فقرات قصيرة من البكرى والتيجانى . وهؤلاء المؤلفون الستة لايقدمون إلينا ، مع ذلك ، إلا الخطوط الرئيسية لهذا التاريخ ؛ وكل ما نستطيع أن نستخرجه من كتاباتهم إنما هو سلسلة الدول التى قامت فى المغرب ، وأسماء الولاة والأمراء الذين قاموا بالحكم فى نواحيه ، مع شيء قليل من التفاصيل عن أعمالهم وأحداث عصورهم . ومن أسف أن ابن خلدون لم يعط هذه القرون الأولى جزءاً كبيراً من عنايته ، فهو لا يعطينا إلا قليلا جداً من المعلومات عن فتح العرب للمغرب ، وعن تاريخه خلال العصر الأموى أو عن تاريخ الأغالبة والفاطميين وبنى زيرى الصنهاجيين أصحاب تونس وقلعة بنى حماد ؛ ولا يبدأ فى الإفاضة بعض الشيء إلا عندما يتحدث عن الدول البربرية التى تعاقبت

على حكم المغرب من منتصف القرن الخامس الهجرى . أى دول المرابطين والموحدين والحفصيين . ولولا هذه الفصول الطويلة — التى أفردها للكلام عن شعوب البربر وقبائلهم وفروعهم وأحوالهم . وألم فى أثناء هذا الكلام بالكثير من الحوادث التى سبقت ظهور المرابطين — لولا هذا لما وجدنا فيه شيئاً ذا بال عن الحوادث الكبرى التى عبرت بالمغرب الإسلامى خلال قرونه الأولى . ولكان كل اعتمادنا فى هذه الناحية على ابن الأثير المشرقى والنويرى المصرى وابن عذارى المراكشى ، وثلاثتهم بعيدون بعداً شاسعاً عن هذه الحوادث من حيث الزمان والمكان .

ولنضف إلى هذه السلسلة كتاب « البيان المغرب » لابن عذارى المراكشى . وهو — إذا ضممنا إلى الأجزاء الثلاثة التى صدرت منه جزءه الرابع الذى يقوم على نشره الآن الأستاذ بروفنسال — إذا نظرنا إليه كاملا على هذا النحو ، وجدنا بين أيدينا أوفى وأكمل تاريخ للمغرب الإسلامى من الفتح العربى إلى نهاية دولة الموحدين . وهو تاريخ قيم موثوق فيه . على رغم أنه كتب فى أثناء القرن الثامن الهجرى . ولكنه — كغيره من المراجع التى مررنا بها — سلسلة من الحوليات الجافة التى تصور اتجاه التاريخ السياسى ، دون تعرف التطور الصحيح لهذا التاريخ .

ومن الجلى الواضح أن المغرب الإسلامى شهد خلال القرون الأربعة الهجرية الأولى أكبر تحول عرفه تاريخه الطويل . وهو التحول إلى بلاد إسلامية عربية الذهن والثقافة ، ثم الانسلاخ — نتيجة لذلك — من مجموعة أمم غربى البحر الأبيض المتوسط . التى تستق حضارتها وتوجيهها الفكرى من مراكز الحضارة الأوروبية ، والانضمام إلى مجموعة الأمم الشرقية التى تتجه بذهنها وعواطفها نحو المشرق ، وتستقى أصول حضارتها الفكرية والمادية من مكة والمدينة ودمشق وبغداد والقاهرة ؛ وقرطبة الإسلامية فيما بعد .

وهذا التحول ينطوى على سلسلة طويلة من الحوادث والظواهر والتطورات العميقة الأثر ، التى يتوق المؤرخ إلى الوقوف على شئ من تفاصيلها : فهناك علاقة المغرب بالخلافتين الأموية والعباسية ، وسياسات الولاة الذين تعاقبوا على القيام بأمره خلال هذين العصرين . ثم ما أدت إليه هذه السياسات من سخط المغاربة على الأمويين والعرب جميعاً ؛ ومحاولتهم التخلص من سلطان الخلافة المشرقية جملة ، إما بالانتماء إلى مذاهب الخوارج وإعلان الثورة على الخلفاء ، كما حدث

فيما بين سنتى ١٠٢ و١٣٦ هـ . — ٧٢١ و٧٥٣ م . من التفاف جماعات من البربر وقبائلهم حول ما يسمى بالصفرية والأباضية ، أو معارضة أدعياء الملك من العرب وإحباط محاولاتهم فى إنشاء دويلات عربية مستقلة فى المغرب ، مستعينين فى ذلك بجماعات العرب الإفريقيين — أى الذين هاجروا من مواطنهم واستوطنوا إفريقية — كما حدث من ثورة قبيلة ورفجومة البربرية وأحلافها على عبد الرحمن ابن حبيب وأبنائه وأنصاره من العرب الأفارقة ، وإحباطها كل محاولاتهم فى إقامة ملك عربى مستقل لهم فى إفريقية ، وكما حدث بعد ذلك عندما حاول أبو صفرة عمر بن حفص المعروف بهزارمرد وخلفاؤه من بعده الاستبداد بأمور إفريقية ، فقد تصدت لهم القبائل البربرية فى كل ناحية وأفسدت محاولاتهم كلها ، وكما حدث لبنى الأغلب الذين استطاعوا تثبيت أقدامهم فى إفريقية وإقامة دولة طال عمرها نحو قرن من الزمان ، لم تكُف قبائل البربر خلاله عن الثورة على أولئك العرب الذين أقاموا لأنفسهم ملكاً ضعيفاً على أكتاف أرستقراطية عسكرية عربية قليلة العدد، وكما حدث للفاطميين أيضاً . وكل أولئك حركات خطيرة تنتهى بنا أخيراً إلى المغرب الإسلامى المستقل تماماً ، الذى تقوم بالحكم فيه أسر مغربية تؤيدها قبائل بربرية أصيلة ابتداءً من عهد بنى زيرى الصنهاجيين أصحاب تونس وقلعة بنى حماد .

وشهدت هذه القرون الأولى تحولا آخر أعمق مدى وأبعد جذوراً من هذا التحول السياسى ، هو تحول المغرب إلى بلد إسلامى سنى مالكى المذهب ، وهو تحول طويل تم على مراحل بطيئة وانطوى على أحداث بعيدة الخطر ، فقد دخلت جماعات من البربر فى الإسلام على أوائل سنوات الفتح ، وانضمت إلى جيوش الإسلام غازية مجاهدة فى نواحى المغرب الأقصى والأندلس وما يليه إلى الشمال من « الأرض الكبيرة » شمالى جبال البُرت ؛ ولكن معظم هؤلاء لم يدخلوا هذا الدين عن علم وفهم ، وإنما عن إعجاب بالعرب أو طمع فى الغنيمة أو فراراً من الجزية أو ارتفاعاً بأنفسهم إلى مرتبة المسلمين أصحاب الدعوة والدولة . ثم انتهت الفتوح واستقرت الأحوال وجاء دور تعرف الدين وتفهمه وتعلم لغته ، والتفت البربر نحو من عندهم من العرب يأخذون عنهم ما هم بحاجة إليه فى هاتين الناحيتين فلم يجدوا من الحكومة الإسلامية عناية ظاهرة بهذا الموضوع ، خلا ما كان من اهتمام عمر بن عبد العزيز بأمر تعليم البربر الإسلام ، وإرساله عشرة من التابعين

وصلحاء العرب لتعريف الناس بأمور دينهم . ولم يكن للراغبين فى الإسلام من أهل المغرب مفر من اللجوء — فى تعرف أمور الدين — إلى العرب المستقرين فى إفريقية ، أو الوافدين إليها للإقامة فيها أو للعبور إلى الأندلس . وكان الكثيرون من هؤلاء من خصوم البيت الأموى الذين أسخطتهم سياسته ، أو انهزموا أمامه فى الحروب الكثيرة التى دارت بين الأمويين وخصومهم من الخوارج والشيعة ، أو من المنهزمين فى حروب العصبيات . وكانت أعداد هؤلاء جميعاً فى إفريقية كثيرة ، فاغتنموا هذه الفرصة ليوجهوا من التف بهم من المغاربة الوجهة السياسية التى أرادوا ؛ وكان معظم من استقر بإفريقية من العرب من اليمنية والأنصار ، الذين هجروا بلاد العرب والشام بعد انهزامهم أمام المروانيين فى مركز الدولة . وانضافت إليهم مع الزمن جماعات من الخوارج المعادين لكل خلافة ولكل دعوة ، فجعلوا يبثون فى نفوس من اجتمع إليهم من البربر بذور الخلاف والخروج ويلقنونهم عقائد الشيعة المتطرفة والخارجية الثائرة ؛ فكانت النتيجة أن أخذ الإسلام فى بعض نواحى المغرب يجرى فى اتجاهات خطرة ، كادت تخرجه عن أن يكون إسلاماً ؛ كما ترى فى حركة خالد بن حميد الزناتى فيما بين المغربين الأوسط والأقصى ، وثورة ورفجومة الخارجية على عبد الرحمن بن حبيب فيما يعرف اليوم بتونس ، وقيام أبى قرة اليفرنى بحركته الخارجية فى ناحية تلمسان ، ثم قيام أبى ميسرة البرغواطى بدعوة خارجية صفرية تخالف الإسلام فى أصوله وتفاصيله فى نواحى طنجة . وآخر هذه الحركات وأقواها — حتى نهاية القرن الرابع الهجرى — انضواء كتامة تحت راية دعاة العبيديين الفاطميين ، وإقامتهم صرح الدولة الفاطمية فى المغرب ، وقيام أبى يزيد مخلد بن كيداد (صاحب الحمار) عليهم بحركة سنية فى الظاهر بعيدة عن الإسلام الصحيح فى الواقع . كل هذه وغيرها دلائل على أن جماعات البربر التى أيدت هذه الحركات عن انخداع وسذاجة ؛ أو عن طمع فى الغلب والسلطان ، لم تفهم الإسلام فهماً صحيحاً ، فسهل على الدعاة اجتذاب أفرادها ناحيتهم وتسييرهم فى الوجهات التى أرادوا . وإلا فكيف نعلل اتباع قبيلة مطغرة لميسرة السقاء وأخذها بآرائه التى لا تمت إلى الإسلام أو إلى أى دين معقول بسبب ؟ وكيف نفهم انسياق بنى يفرن ونفزاوة لأبى قرة ، على ما كان فى دعوته وشخصه من شذوذ ؟ وكيف نعلل انسياق كتامة وراء أبى عبد الله الشيعى ، رغم

ما كان ظاهراً من مخالفة أساليبه فى السياسة والحكم لقواعد الإسلام الصحيح؟ حقيقة أن هذا الانسياق نفسه كان يخفى فى أطوائه نزعات قبلية محلية نحو السيطرة والسلطان فى كثير من الأحيان ، ولكن كيف نعلل ظهور معظم هذه الحركات فى أوساط زناتية ، مع ما نعرف من أن الزناتيين كانوا أول أهل المغرب إسلاماً ؟ لا يعلل ذلك إلا بأنهم دخلوا الإسلام دون أن يتفهموه ، وأنهم حينما أتى وقت التفهم لم يجدوا من المعلمين والموجهين إلا مشعبذين أصحاب مطامع ، وأدعياء سياسيين أو معلمين صغار العقول والمدارك ، ابتدعوا للملتفين حولهم من المبادئ ما لا يمت إلى الإسلام بسبب ، كهذا شقيا بن شعيا الملقب بالفاطمى ، الذى بدأ أمره معلم صبيان بين جماعات البربر فى الأندلس فلقى من إكرام الناس له ما أطمعه فى السيادة ، فجعل الدين مركباً لمطامعه ، ووجد من تصديق الناس إياه وانقيادهم له ما شجعه على التوسع فى التعليم والإفتاء ، ثم انتهى به الأمر إلى القيام بدعوة يصفها المؤرخون بأنها فاطمية ، لمجرد أن اسم أمه كان فاطمة ، ثم انزلق آخر الأمر فى مهاوى الثورة السافرة على أمراء قرطبة الأمويين ، وما زال على الخروج حتى هلك بعد أن هلك فى سبيل دعوته آلاف من البربر .

بيد أننا نلمح إلى جانب هذه الضلالات الغريبة تياراً قويماً أعان المغرب وأهله على الثبات وسط هذه الأعاصير ، بدأ أول أمره ضعيفاً فى النصف الأول من القرن الثانى الهجرى فى القيروان وبعض نواحى إفريقية ، وقام بعبئه جماعة من أهلها ممن توجهوا إلى المشرق للحج ودراسة أصول الدين على من وجدوا من التابعين وأئمة الفقهاء ، وهناك فى المدينة المنورة ونواحى العراق والشام ومصر ، وجدوا بقية الصحابة ونفراً من فقهاء التابعين يلقنون الناس أصول الإسلام ، ويتدارسون أصوله ليستخرجوا منها شريعة كاملة تهدى صاحبها إلى الحل المعقول المستند إلى القرآن وصادق الحديث النبوى فيما أهمه من أمور زاده ومعاده : وجدوا عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وأبا هريرة ، وأنس بن مالك ، وسفيان ابن عيينة ، والسائب بن يزيد ، وعبد الرحمن بن رافع ، وأضرابهم . ومروا فى طريقهم بالفسطاط ، وأخذوا عن رجالها من أمثال الليث بن سعد ، وعقبة بن عامر الجهنى ، وعبد الله بن لهيعة ومن فى طبقتهم ، أخذوا عنهم أصول الدين وأصول الفقه والتشريع وأساليب الإجابة على « المسائل » ، وهى مشاكل الحياة اليومية التى تعرض

للناس ولا يجدون عنها فى الكتاب والسنة نصاً صريحاً ، فيحتاجون إلى التخريج والقياس والاستنتاج . وعادوا إلى بلادهم واستقروا فيها يعلمون الناس قدر طاقتهم ، ويجتهدون فى حل ما يعرض لهم من المشاكل . وكانت طائفة من التابعين قد استقرت فى بعض مدائن إفريقية ، كالقيروان وتونس ، وأخذت تنشر بين الناس الإسلام الصحيح ، وتوقظ فى قلوبهم الميل إلى الفقه والرغبة فى الدراسة والتوسع . ونشأت حول كل تابع من هؤلاء جماعة متفتحة القلب والذهن تمشى فى طريقه وتحاول ، إذا استطاعت ، أن تستزيد من العلم فى المشرق . وائتلفت جهود هؤلاء جميعاً فى اتجاه واحد ، ينحو نحو الاستمساك بالعقيدة البسيطة والاستناد فى كل رأى إلى آية قرآنية ، أوحديث نبوى مسند . أو تفسير أو تخريج مأثور عن واحد من التابعين وتلاميذهم الموثوق فيهم . وكان الجو حول هذه الطائفة الأولى من فقهاء إفريقية مضطرباً ، تسوده النزعات الخطرة والاتجاهات الشاردة التى تناقض الدين ، بل العقل والخلق فى كثير من الأحيان . فكان هم هذه الجماعات من أوائل الفقهاء التزام الكتاب والسنة ما أمكنهم . وزادتهم الضلالات المنتشرة حولهم تمسكاً بالنصوص ، فتربى فى نفوسهم نفور من كل تخريج أو تأويل ولو كان معقولا ، وأصبح جهد الواحد منهم قاصراً على مجرد السير على النهج الصحيح الظاهر الصحة ، وأصبحوا ينظرون إلى كل انحراف نحو التأويل والتخريج والتفسير كأنه خروج على الإسلام . وبلغ من تشددهم فى التزام هذا الصراط الدقيق ، أن ابتعدوا عمن اشتهر بالتخريج والاحتكام إلى العقل من المشارقة : نفروا من أصحاب الرأى فى العراق ، ولم يقبلوا على أبى حنيفة وفقهه . لأن نفوسهم تربى فيها خوف من « الرأى » والابتداع والابتكار ، نتيجة لما تعرضت له بلادهم من المتاعب بسبب أصحاب الآراء والتأويلات من دعاة الآراء المتطرفة التى أشرنا إليها . ونفرت نفوسهم نفوراً شديداً مما لقيهم فى طريقهم من آراء الاعتزال والتخريج والتأويل و « الكلام » فى الدين ومسائله . وكان هذا النفور « حالة نفسية » اختص بها أهل المغرب بسبب فتن الخوارج التى أشرنا إليها ، وما أصاب المغرب من الويلات بسببها ، واستقر فى نفوسهم أن الدين إنما هو القرآن والسنة ولا شئ بعد ذلك ؛ حتى القياس البسيط انصرفوا عنه ، وترددوا فى قبول الكثير من الأحكام التى صدرت عن « الإجماع » . زيادة منهم

م١٠

فى الحرص على دينهم والتمسك بأصوله ، وخوفاً منهم من الانزلاق فى مهاوى الضلالات ؛ وكانت نتيجة ذلك أن وضعوا المعتزلة والحنفيين فى كفة الزنادقة والخارجين عن الدين ، وجاهروهم بالعداء الصريح .

فى ذلك الحين — النصف الأول من القرن الهجرى الثانى — كان أمر مالك ابن أنس قد بدأ يعلو ، وأخذ مذهبه فى الفقه يتحدد بما امتاز به من التزام القرآن والحديث ، والابتعاد عن التأويل ، والاقتصاد فى القياس ما أمكن . وكان مالك يلقى دروسه فى المدينة ، دار الرسول صلوات الله عليه ، وأقبل على مجالسه طلبة الأفارقة فوجدوا فيه طلبتهم التى كانوا يبحثون عنها : فهو يدرس فى مدينة الرسول ، فهو فى عرفهم أقرب إلى روح الإسلام ممن يدرس فى الكوفة والبصرة ودمشق . وهو يلتزم الكتاب والسنة ، ولا يفتى إلا بحذر شديد وبحث طويل فى آيات الكتاب وصحيح الحديث . وهو ذكي دقيق الفهم يستخدم ذكاءه وفهمه فى القياس الصحيح الواضح ، وهو دقيق فى تفكيره يجرى القياس فى دقة متناهية . حافظ للقرآن ، عالم بدقائقه ، مستوعب للحديث كله . عارف بالصحيح منه وغير الصحيح ، فلا تكاد تخطر مسألة إلا وجد لها من القرآن والحديث الصحيح شبيهاً يقيس عليه ، فإذا لم يجد اعتذر عن الإفتاء والحكم ، وهو حريص على طلب العلم والمعرفة لايزال يسأل ويستشير فى تواضع عظيم حتى يستوفى حاجته فيما أهمه . وقد لقى ، وهو بعد فى دور الطلب ، نفراً من أوائل الأفارقة الوافدين على المشرق للطلب من أمثال أبى محمد ابن عمران التجيبى ، وعبد الله بن فروخ الفارسى وأخذ عنهم وأخذوا عنه ، واتفقت آراؤهم مع آرائه ، فأصبح عندهم « الإمام » و « إمام دار الهجرة » ولا إمام غيره . بل افتتنوا به واتخذوا منه قدوة لهم فى كل شئ : حتى أحواله فى معاشه من لباسه وطعامه وكيفية جلوسه للإسماع وطريقته فى الحديث ، كل ذلك أصبح عند الأفارقة المثل الأعلى الذى ينبغى أن يحتذيه المسلم الصحيح . وأساس هذا الافتتان يرجع ، كما قلنا ، إلى أن مذهب مالك بدا لهم أمناً من كل زيغ ، وسلاماً من كل اتجاه قد يؤدى بصاحبه إلى الانزلاق فى مهاوى الصفرية والأباضية وما إليها من نزعات الخارجية التى فرقت أهل المغرب وأضرت بهم ضرراً بليغاً .

وانجفلت إلى مالك جماعات طلبة إفريقية والمغرب يأخذون عنه ويدونون كل ما يسمعونه منه فى تقديس بالغ ، ويجمعونه فى مجموعات يتناقلونها فى حرص

شديد وضبط دقيق ، ويعودون بها إلى بلادهم ، ويحلق عليهم الطلبة فى المساجد فيلقنونهم إياها ؛ ويخف إلى المشرق من استطاع من أولئك الطلبة ليلقى مالكاً وليأخذ عنه ، فيرتفع فى أعين أهل بلده إلى طبقة الآخذين عن مالك مباشرة . وأحس مالك منهم هذا الإعجاب وهذا التقدير ، فأقبل عليهم وأوسع لهم فى مجالسه واهتم بتلقينهم فقهه ، حتى لقد اختص واحداً منهم بدرس خاص قرأ عليه فيه ما فاته ، وجعل يتتبع أخبارهم ومسالكهم فى الحياة ، وجعلوا يتصلون به بمكاتبات منتظمة كانوا يعنون بكتابتها ويعنى هو بالرد عليها . ولو ذكرنا أن تلاميذ مالك ، من أهل المغرب ، هم الذين كانوا يتولون القضاء والفتيا ونصح الأمراء فى إفريقية ، حتى قيام دولة العبيديين ، وأن أحكامهم كانت تجرى على الكبير والصغير ، لاستطعنا أن نقول — دون مبالغة — إن مالكاً كان يحكم إفريقية هذه الفترة عن طريق « موطئه » وتلاميذه ؛ فإذا أضفنا إلى ذلك أن أسلوب تلاميذه فى الحياة كان أسلوبه : كانوا يلبسون ما رأوه يلبس ، ويأكلون ما رأوه يأكل ، ويتحدثون كما رأوه يتحدث ، ويراهم الناس فيقلدونهم فى كل شئ ؛ إذا ذكرنا ذلك تبينّا أن إفريقية الإسلامية السنية قد تحضرت وتهذبت على يدى مالك ، كما تحضر الأندلس وتهذب على طريقة على بن نافع الملقب بزرياب ، وهذه حقيقة لاينبغى أن تغيب عن بالنا ونحن ندرس تاريخ المغرب فى تلك العصور .

ولم ينتقل مالك إلى الدار الآخرة سنة ١٧٠ هـ . — ٧٨٦ م . حتى كانت مدرسته فى القيروان أقوى مدارسه فى نواحى الدولة الإسلامية كلها وأشدها استمساكاً بآرائه وتعصباً لها ، بل بلغ من عصبية الناس لها أن نظروا إلى من عساه يكون قد درس على أبى حنيفة وأخذ بمذهبه نظرتهم إلى الزنديق ، ولقبوه بالعراقى ، وهى تسمية تحمل معنى الانتقاص والاتهام بضعف الخلق وعدم الثبات .

ومات مالك ، فاتجه المغاربة إلى كبار تلاميذه من أمثال ابن القاسم ، وأشهب ، وابن وهب ، وعبد الله بن طليب المراوى ، وعبد الله بن نافع الصائغ ، وأبى ضمرة أنس ابن عياض ، وعبد الملك بن عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون ، وسفيان بن عيينة وغيرهم ، وحرصوا أشد الحرص على أن يأخذوا كل ما عندهم من علم مالك وفقهه ويدونوه فى كتب يجتهدون فى مراجعتها وضبطها ما أمكنتهم المراجعة ، ويعودوا إلى بلادهم فقهاء مالكيين كوامل ، يؤلفون للناس كتباً فى الفقه ويفتون الناس

فى مسائلهم متبعين قياس مالك ، ومتأسين فى جميع أموره ، ظاهرها وباطنها ، بما كان عليه « إمام دار الهجرة » ؛ وأقبل أهل المغرب عليهم إقبالهم على رسل العقيدة الصحيحة والسائرين على منهاجها ، وأصبحت كتب مالك وتلاميذه وكتب أتباعه وأتباع أتباعه من أهل المغرب هى الإسلام ولا إسلام غيرها ، وانزوت المذاهب الأخرى وخمل شأن أصحابها وأبغضهم الناس ، فمن قيل عنه إنه عراقى أوكوفى أومعتزلى انصرف عنه الناس وآذوه ، وربما قتلوه .

وكانت الحوادث السياسية تقوى فى نفوس أهل المغرب هذا الاتجاه كما قلنا ، فقد لقى الناس من أصحاب المذاهب المبتدعة الغامضة ومن أصحاب التأويلات البعيدة ما انتهى بهم إلى الإيمان بأن السلامة فى الإيمان البسيط الظاهر ، ومن ثم فالإسلام هو إسلام مالك وحده . وكان مالك يستحسن أن يظل الفقيه بعيداً عن السلطان وأصحابه ، وألا يقبل منهم الوظائف — بما فيها القضاء — محافظة على دينه من مطالب السلاطين وأصحاب الأمر والتماسهم الفتاوى والمحللات عند قضاتهم وأصحاب فتياهم ، فحرص فقهاء القيروان على ذلك ما أمكنتهم المحافظة ، وزادهم إيماناً بفضيلة هذا الابتعاد ما رأوه من إقبال فقهاء الحنفية (العراقيين) على أصحاب الأمر والسلطان فى البلاد ، والتماسهم الرخص والتيسيرات لهم عن طريق التأويل والقياس البعيد ؛ وظهر هذا بشكل واضح فى أيام بنى الأغلب ، وكانوا كما قلنا عرباً فرضوا سلطانهم على البلاد وأهلها بالقوة مستعينين بأمداد حربية من المشرق وبجماعات عرب البلاد . وكانوا يثيرون مشاعر الإفريقيين بعصبيتهم العربية الظاهرة ، ويعاملون أهل البلاد بعنف وقسر ظاهرين فازدادوا منهم نفوراً ، وتزعمهم فى ذلك الوقت فقهاء المالكية بما كانوا يصرون عليه من إعراض عن الحكم والحكام ومعارضة لهم وتحد لأحكامهم وازدراء لعمالهم ، حتى وقر فى نفوس الأفارقة وإحساسهم أن المالكية عنصر من عناصر الكيان الشخصى لكل منهم ، وانتبه فى نفوسهم وعى محلى — إذا لم نقل « قوميا » — يرتبط أشد الارتباط بالمالكية ، وأصبح المغربى المسلم الحريص على دينه وخلقه لا بد أن يكون مالكياً معارضاً للحكام متجنباً الاتصال بهم . فإذا قبل التعاون معهم وقبل الدخول فى خدمتهم ، لم يفعل ذلك إلا بعد أن يستوثق ، قبل كل شىء ، من أن السلطان لن يعارض فى أحكامه إن كان قاضياً أو مفتياً . ومعنى ذلك أن الفقيه المالكى الصحيح

كان لا يقبل التعاون مع الأمراء والسلاطين إلا إذا خضعوا لأحكام المالكية « القومية » . وقد اشترط سحنون بن سعيد ذلك صراحة . وهذا الموقف من الفقهاء حقيقة تاريخية أخرى يكشفها لنا « الرياض » فى تراجمه . وهى تضع أيدينا على مبادئ ظهور الأمة الإفريقية الإسلامية وتنبهها إلى وعيها وإحساسها بنفسها . وتدلنا على الجذور البعيدة لحركة استقلال المغرب عن العرب وسلطان العرب .

وكان جل اعتماد أمراء إفريقية من العرب فى فترة التبعية لدمشق وبغداد (من ٨٠هـ. تقريباً إلى ١٨٣هـ.) ثم فى عصر الأغالبة بعد ذلك (١٨٤هـ.–٢٩٦هـ) فى الأحكام والأقضية والفتاوى على فقهاء من غير المالكيين . ومن الحنفيين الذين كانوا يسمون العراقيين على وجه الخصوص . فتصدى فقهاء المالكية لهم بالنقـد والتجريح ، وثارت الخصومة بين هاتين الطائفتين . وانضم الأمراء والسلاطين إلى فقهائهم العراقيين ، والتف أهل إفريقية حول فقائهم المالكيين . وهكذا انقسمت إفريقية خلال هذه الفترة إلى معسكرين : الحكام وفقائهم فى ناحية . والإفريقيين وزعمائهم من المالكيين فى ناحية أخرى . وأحس الأمراء بهذه المعارضة القوية الخطرة التى يتزعمها أولئك الفقهاء . فبطشوا ببعضهم وقتلوا البعض الآخر . فزاد ذلك من تقدير الناس إياهم . ولم يصبحوا مجرد فقهاء ذوى دين وخلق متينين ، بل شهداء لقوا الأذى والحتوف أيضاً فى سبيل العقيدة الصحيحة وفى سبيل الضعفاء والمظلومين من أهل البلاد . وانتقلوا – بهذه الصفة المزدوجة – إلى مقام الأولياء . وارتبط فى أذهان الناس معنى الولى بصورة الزعيم القومى ؛ وهكذا نرى مبادئ العقيدة التى اشتهر بها أهل المغرب فى الأولياء والصالحين ، ونستطيع أن نفسر تفانى أهل المغرب فى سبيل الصالحين وكبار الفقهاء . لأن الولاية ارتبطت فى أذهانهم بمعنى الدفاع عن الحق وحماية الرعية من الحكام الأجانب . ومن هنا نضع أيدينا على عصب ثان من أعصاب التاريخ المغربى الإسلامى ، عصب الإيمان فى الزهاد والأولياء الذى ما زال ينبض حتى قامت بفضله الدول المغربية الأصيلة . وغير غريب فى هذه الحالة أن نجد أن الذين وضعوا أسس دولتى المغرب الكبريين – المرابطين والموحدين – كانوا من الفقهاء المالكيين على وجه التحديد .

هذا هو السبب الرئيسى فيما نلاحظه من تقلقل دولة الأغالبة فى إفريقية . وهذا هو السر فى انهيار أمرها وتقاعس أهل إفريقية عن تأييدها عندما بدأ

الصراع بينها وبين العبيديين ، فقد أقامت ما أقامت فى إفريقية غريبة لا يعترف الناس بشرعيتها أو شرعية أمرائها ، لا لأن القائمين بأمرها كانوا عرباً يعتمدون على عرب ، بل لأنهم لم يكونوا مالكيين مخلصين ، ولأنهم اعتمدوا فى معظم الأحيان على الأحناف . فنفر منهم الناس وتخلوا عنهم وتركوا ملكهم يتبدد .

* * *

ثم أدال الله للعبيديين من الأغالبة ، بفضل من التف حولهم من بربر كتامة وشذاذ القبائل البربرية الذين انجفلوا إليهم مدفوعين بالطمع فى المغنم والجاه أو الكراهة والخوف من زناتة . وكانت بطون زناتة فى قلق مستمر منذ عرفت الإسلام ، كان رجالها قد أقبلوا عليه أفواجاً وساهموا فى فتوحه وقويت فى نفوسهم الآمال فى أن يكون لهم فى دوله نصيب ، فخيب العرب آمالهم بهذه السياسة العصبية التى انتهجوها فى المغرب والأندلس جميعاً . فثارت جماعات زناتة على العرب ، وكانت الثورة البربرية التى أشرنا إليها . واغتنمت بطون زناتة الفرصة فآذت من جاورها من صنهاجة ، وبدأت قبائل هذا الجنس البربرى الكبير تتلفت ملتمسة العون ممن عسى أن يقدمه إليها . وتهيأت نفوسها لاتباع أى زعيم أو ثائر يقودها ويؤسس لها ملكاً يشد ساعدها ويستنقذها من أذى بُتر زناتة . وهذا يفسر لنا بعض أسباب التفاف كتامة على دعاة الشيعة ، وكتامة ليست من صنهاجة وإنما هى جذم بربرى كبير من بربر الساحل المستقرين ، فهى من البرانس لا من البُتر . ومن ثم فهى أقرب إلى صنهاجة . ثم إن أنصار الدعوة العبيدية من المشارقة والكتاميين حرصوا من أول الأمر على التقرب إلى صنهاجة وتمنيتها بالنصفة من زناتة . فأيدتهم صنهاجة من أول الأمر . وقد يقال إن بطونها لم تنضم إلى الدعوة العبيدية وأنصارها الكتاميين من أول الأمر ، ولكن سكوت زعماء صنهاجة على قيام دولة كتامة إلى شرقهم يعتبر فى ذاته تأييداً عظيما ، ثم إن النصوص التى بين أيدينا لا تأذن لنا فى القطع بأن صنهاجة لم تؤيد الدعوة العبيدية الكتامية تأييداً فعلياً من أول سنواتها . ومهما يكن من الأمر ، فإن الدولة العبيدية لا تكاد تقوم حتى نجد صنهاجة إلى جانبها تؤيدها بكل ما استطاعت من رجال ورأى ، ونجد زعيمها زيرى بن مناد بن منقوش الصنهاجى يقف إلى جانب عبيد الله المهدى يؤيده بالنفس والنفيس .

وهكذا انعقد الحلف الطويل المدى بين بنى زيرى الصنهاجيين والفاطميين العبيديين ، وكانت نتيجة هذا الحلف تجرد قواد الفاطميين لحرب زناتة ووقوع القتال بين الجانبين فى المغرب الأوسط .

ولاشك فى أن الفاطميين كانوا يحسبون أن أمرهم مستقر فى إفريقية طالما اعتزوا بتأييد كتامة وكتائبها الضخمة ، ولكنهم لم يلبثوا أن استبانوا أنها بلد فقير لايقدم لهم ما كانت نفوسهم تصبو إليه من أموال ووسائل تمكنهم من التوسع وإقامة دولة مترامية الأطراف واسعة الثراء .

وقد بدأ إحساس العبيديين بعدم الثبات فى إفريقية لأول قيام دولتهم . بل فى مطالع خلافة عبيد الله المهدى ؛ إذ شعر عبيد الله لأول حكومته فى إفريقية أن الأرض تحت قدميه ليست بالثبات الذى يحب ، وتبين فى الوقت المناسب أن رجال كتامة لا ينظرون إلى دولته على أنها خلافة فاطمية عربية ، بل دولة بربرية صرفة ينبغى أن يكون لهم فيها القدح المعلى وعليها اليد الطولى . وكان الداعى أبو عبد الله الشيعى يفهم ذلك حق الفهم ويؤازر رجال كتامة على إدراك أوطارهم فى الدولة الجديدة . وأحس عبيد الله حرج مركزه وتأكد أن أمره إلى ضياع إذا هو استمر فى هذا الاعتماد الدائم على أبى عبد الله الداعى وأصحابه الكتاميين ، ثم إنه وجد نفسه فى القيروان و « رقادة » فى وسط ينكر دعوته الشيعية ودولته البربرية ، وكانت جماعات من صنهاجة قد انضمت إليه ووجد منها إقبالا عليه وإصفاقاً على دولته ، فاعتمد على هذا التأييد وبدأ سلسلة خطواته التى رمى من ورائها إلى التخلص من كتامة فقتل كبيراً من زعمائهم وأوقع الرعب فى نفوس الباقين . ثم ثنى بالتخلص من أبى عبدالله الشيعى وأعقب ذلك بمذابح تخلص بها ممن عارضه من أهل القيروان ورقادة ، واطمأن باله نوعاً . ثم أراد أن يبتعد عن القيروان تماماً ، فما زال يبحث فى نواحى إفريقية حتى انتهى إلى اختيار هذا الرأس البارز فى البحر بين تونس وصفاقس . فأنشأ عليه « المهدية » وانتقل إليها واستقرت أمور دولته ، وسلط جنده على الناس فى الأرياف فأرهبوهم وملأوا قلوبهم رعباً ، حتى اضطر الناس إلى أن يبذلوا له الطاعة ويؤدوا إليه الأموال . وثبتت دعائم دولته وزايله الخوف على المصير حيناً .

بيد أن أمره لم يكد يستقر حتى تبين له خطر أكبر وأشد من أخطار زعماء كتامة وأبى عبد الله الداعى : خطر لايتمثل فى جيوش أو ثورات أو حركات

مقاومة وإنما فى مقاطعة سلبية وإنكار صامت جابهه به أهل إفريقية ، خطر أتى من هذه « المالكية » السنية التى كانت قد ثبتت أقدامها فى القيروان وغيرها من مدائن إفريقية ، وأحس عبيد الله أن الناس ينظرون إليه نظرتهم إلى كافر ، وإلى دعوته على أنها مروق سافر عن الدين . جاهره شيوخ إفريقية بإنكار مذهبه وازوروا عنه ، وتبعهم فى ذلك عامة الناس . ووقفت إفريقية كلها موقف معارضة سلبية وعدم تعاون شديد الخطر على كيان الدولة : قاطع الناس قضاتها وعمالها ، ورفض من استطاع منهم دفع المال ، وأحس عبيد الله الشيعى أنه بين رعية لا تطيقه ولا تقبل عليه ، فحاول إرغامها على السير معه بحد السيف ، وأراق من الدماء شيئاً عظيما ، فلم يتحول الناس عما كانوا عليه ، بل نافروا من انضم إليه من الأحناف ومن أخذ بدعوته و« شرّق » — أى أخذ بمبادئ الشيعة — من الفقهاء ، فظن أنه يستطيع إقناعهم بالرأى . ولا نزاع فى أنه كان لا يدرى تماماً مكان إفريقية وفقهائها من العلم ، وحسب أنه إذا ندب بعض الظاهرين من فقهاء مذهبه الشيعى ودعاته لمساجلة شيوخ إفريقية لاستطاع إلزامهم الحجة وتسفيه آرائهم ، ومن ثم بدأت هذه « المجالس » الفريدة التى دارت المناقشات فيها بين دعاة الشيعة وفقهاء إفريقية . وقد احتفظ لنا أبو بكر المالكى فى سياق ترجمة أبى سعيد الحداد ببيان مسهب مفصل عنها ، يعتبر فى ذاته وثيقة سياسية فقهية ذات قيمة كبرى ، وفى سياق هذه المساجلات تتجلى لنا حقائق هامة تتصل بتاريخ إفريقية فى عصر العبيديين ، وهذا ضوء جديد يلقيه النص الذى ننشره على تاريخ المغرب من ناحية وعلى تاريخ الدعوة الشيعية من ناحية أخرى . نعم لقد أورد محمد بن الحارث الخشنى موجزاً لبعض هذه المجالس فى « طبقات علماء إفريقية » ولكن نص الرياض واف مطول عامر بالتفاصيل ، وكل ما يورده مسند مؤيد بصورة تدعو إلى الاطمئنان إليه .

وقد انجلت هذه المجالس والمساجلات عن هزيمة لدعاة الشيعة ، إذ ثبت لهم فقهاء المالكية وأفحموهم بالحجة بعد الحجة ، وخرج عبد الله منها وهو أبغض إلى أهل إفريقية مما كان قبلها ، وخرج أهل إفريقية وهم أشد نفوراً من الدعوة الشيعية وأكثر استهانة بأمرها واستعداداً للانقلاب عليها وعلى أصحابها ، فتأكد فى نفسه الشعور بعدم الاستقرار والثبات ، وشعر أن دولته مقضى عليها إذا هى استمرت فى إفريقية ؛ فإذا كان ولا بد من أن تعيش الدعوة والدولة فلا بد

من البحث عن بلاد أخرى . إذ لا سبيل إلى فرض دولة على ناس يقاطعونها مقاطعة تامة ويعيشون بعيداً عنها . وهذا هو السبب الحقيقى العميق فى تفكير العبيديين فى الانتقال من إفريقية ، أما تعليله بفقر البلاد وعدم كفاية مواردها للقيام بشئون دولة عظيمة فأمر غير صحيح . فإفريقية وصقلية — التى كانت تابعة لها إذ ذاك — ليست بالفقر الذى نتصوره ، وأما القول بأن عبيد الله لم يستقر فى إفريقية من أول الأمر إلا وهو مزمع الانتقال منها إلى المشرق فرأى لا يقوم على دليل ، بل هو لا يستقيم مع منطق التاريخ . ولو أن أهل إفريقية أيدوا الدعوة الشيعية لما فكر أصحابها فى الانتقال منها ، ولكنهم عادوها وقاطعوها فكان ذلك العداء وتلك المقاطعة السبب الرئيسى فى التفكير فى الهجرة — أو الفرار من إفريقية بمعنى أصح . وأساس هذا العداء وتلك المقاطعة هو الوعى المالكى الذى أشرنا إليه . ونصوص « الرياض » تلقى عليه ضوءاً جديداً جداً وتمكننا على هذا الأسلوب من الكشف عن حقيقة كبرى من حقائق تاريخ المغرب وتاريخ العالم الإسلامى كله .

من الطبيعى والحالة هذه أن نجد عبيد الله المهدى يبعث قواده يجوسون خلال المغرب الأقصى عساهم يمهدون للدولة القلقة وطناً جديداً . لقد أراد أولئك القادة تثبيت أقدامهم شمالى المغرب الأقصى فلم يستطيعوا ، لأن الدولة الأموية الأندلسية تنبهت إلى ذلك الخطر الجديد ، وعقدت الخناصر مع رجال زناتة وأمدتهم بالأموال ، ومضى قواد المهدى يبحثون فى جنوبى المغرب الأقصى وشقوا بجيوشهم نواحى السوس وأخذوا سجلماسة دون أن يظفروا بالموضع الصالح الذى تستطيع الدولة أن تنتقل إليه وتطمئن فيه .

وانقضت أيام المهدى وخلفه القائم والمنصور واستمرت جيوش الفاطميين تضرب فى نواحى المغرب على غير جدوى ، ثم التفتت ناحية مصر وحاولت أن تدخل فخابت مساعيها ، ثم رزق الله الدولة بجوهر الصقلى ، فجرب هو الآخر حظه فى المغرب الأوسط والأقصى وشقه بقواته حتى أدرك وادى درعة والسوس الأدنى وأغرق ما مر به من النواحى فى لجة من الدماء ، وعاد إلى إفريقية وقد استقر به الرأى على أن الأمل الوحيد هو مصر ، وأعانته الظروف إذ تولى أبو معد تميم المعز عرش الدولة ووضع يده فى يد جوهر ، وما زالا يحاولان حتى فتحا مصر وانتقلت إليها الدولة سنة ٣٥٨ هـ . على ما هو معروف ، ونجا الفاطميون بأنفسهم ومصيرهم من أهل المغرب الذين

لم يغن فيهم وعد ولا وعيد، ولم تلن قناتهم أمام عسف أو اضطهاد . وقد اعتصموا بهذه المالكية القومية فكانت أجدى عليهم من الجيوش والعتاد .

وخلَّف الفاطميون على المغرب حلفاءهم بنى زيرى الصنهاجيين الذين أيدوهم من أول الأمر وأنقذوا ملكهم من الضياع حينما اشتد عليهم خطر ثورة « أبى يزيد مخلد بن كيداد » أيام المهدى والقائم والمنصور ، وكان « زيرى ابن مناد » منهم هو الذى قام بكبر دولة المنصور بن القائم وكانت له اليد الطولى فى الخلاص من أبى يزيد الخارجى . ثم تولى للمنصور بعد ذلك أمر تاهرت وباغاية وأمَّن دولته من أخطار من كان يسكن هذه الناحية من بنى يفرن الزناتيين، —وهم آل أبى يزيد— ومن حالفهم من مغراوة الزناتيين أحلاف بنى أمية فى الأندلس. وكان زيرى بن مناد صاحب الفضل الأول كذلك فيما أدركه جوهر من التوفيق فى حملته الكبرى على المغرب الأقصى . تلك الحملة المخربة التى لم تنفع الفاطميين فى شئ وخلفت نواحى فاس وسجلماسة خراباً يبابا . وهو — أى زيرى — هو الذى ولى للمعز أمر المغرب الأوسط كله وهيأ له فرصة الالتفات نحو مصر وهو آمن من حركة مفاجئة يقوم بها الزناتيون وأحلافهم الأمويون الأندلسيون من خلفه . وعندما توفى زيرى بن مناد خلفه ابنه بلكين بن زيرى ومضى فى آثار أبيه وجده ، فلما أجمع المعز على الانتقال إلى مصر خلف بلكين وراءه قائماً فى حكم إفريقية والمغرب باسمه فى ذى الحجة سنة ٣٦١ هـ . — ٩٧٢ م . وتعاقب على هذا الملك أبناؤه حتى ٥٤٣ هـ . — ١١٤٩ م .

وكان قيام بلكين بأمر المغرب على هذا النحو نهاية لسلسلة التطورات السياسية الداخلية التى مر بها البربر حتى استطاعوا أن يتحرروا من كل سلطان للعرب والمشارقة عليهم . وهو يعين لنا ميلاد « المغرب الاسلامى المغربى » — إذا استقام هذا التعبير . وقد صدق ابن خلدون عندما علق على هذا الحادث بقوله : « فكان هذا آخر عهد العرب بالدولة والملك بإفريقية . واستقلت كتامة بالأمر من يومئذ ثم من بعدهم برابرة المغرب ، وذهب ريح العرب ودولتهم من المغرب وإفريقية ، ولم يكن لهم بعدُ دولة إلى هذا العهد ، وصار الملك للبرابرة وقبائلهم يتداولونه طائفة بعد أخرى ، وجيلا بعد آخر ، تارة يدعون إلى الخلفاء الأمويين فى الأندلس وتارة يدعون إلى الهاشميين من بنى العباس وبنى الحسن ، واشتغلوا

بالدعوة لأنفسهم»[1]. واستطاع بلكين أن يحقق وحدة المغرب السياسية شيئاً فشيئاً على نحو لم يوفق إليه حكام المغرب من العرب قبله : ضم طرابلس وسرت أولا ثم شمال المغرب الأقصى بعد ذلك . نعم إنه كان تابعاً للفاطميين من الناحية الرسمية الاسمية ، ولكنه كان مستقلا ، ولم يبسط الفاطميون أنفسهم سلطانهم على المغرب كله كما فعل «تابعهم» بلكين بن زيرى التلكاتى الصنهاجى .

بيد أن اتصال بنى زيرى بالفاطميين وسيرهم فى ركابهم أوجد بينهم وبين أهل إفريقية – قلب مملكتهم – هوة لم يلبث عمقها أن تبين فى عهد بلكين نفسه. ولم تكد الأمور تتصل بينه وبين أهل القيروان اتصالا مباشراً حتى تبين أنهم ينظرون إليه نظرتهم إلى الزنديق الضال . ولقد طالما حاول المؤرخون أن يتعرفوا حقيقة العلاقات بين بلكين بن زيرى وأهل إفريقية ، وحقيقة موقفه بين السنة والشيعة ، بل حقيقة عقيدته الخاصة ، وكان المعول فى ذلك على عبارات قليلة عند ابن الأثير وابن خلدون والدباغ ، ولكن «كتاب الرياض» يلقى على هذه الناحية ضوءاً باهراً ويعرض علينا – فى أثناء تراجم من عاش فى هذه الفترة من علماء إفريقية وفقهائها وصالحيها – من الأخبار والحكايات ما يدل دلالة واضحة على أنه لم يكن سنياً مخلصاً ولا شيعياً صادقاً ، وإنما كان رجل سياسة يبحث عن السبيل الذى ييسر له حكومة رعاياه . فقد مضى على مذهب الشيعة حيناً فإذا بالمعارضة المالكية تأخذ عليه السبيل فى القيروان وغير القيروان ، وإذا بنفوس الناس تغلى فى صمت مسموع حوله ، وإذا بأهل البلاد يتجهمون له ويقاطعونه وينذرونه بشر كبير ، فأظهر الميل إلى السنة فى حذر . فما هو أن تنسم الناس منه ذلك وأمنوا غضبه وتنكيل جنده العتاة بهم حتى قاموا على «المشارقة» (أى الشيعة) قومة رجل واحد فى بلاد إفريقية كلها ، وإذا بهم ينزلون بهم المذابح فى كل ناحية حتى استأصلوا من وجدوه منهم ، وإذا بالأمر يتطور إلى فتنة جارفة أسرف الشعب فيها فى تقتيل كل من ظفر به منهم حتى لقد «حكى أن العامة جاءت متعلقة برجل اتهموه برأيهم ، فمروا به على شيخ من العامة فسألهم عن تعلقهم به ، فقالوا : نسير به إلى الشيخ على بن خلدون فينظر ما يأمرنا به ، فقال لهم

---

(١) ج ٦ ، ص ١١٣ – ١١٤

الشيخ العامى : لا ، اقتلوه الآن ، فإن كان رافضياً أصبتم ، وإن كان سنياً عجلتم بروحه إلى الجنة ! ،أو كما قال[1] » . . . وفى غمرة هذه الثورة انكشف بغض الناس لهؤلاء الزيريين الحاكمين باسم الشيعة ، فهاجموا دار الإمارة فى المهدية وهدموها واقتحموا مساجد الشيعة فى المهدية وتطور الأمر إلى فتنة كبرى ، فألقيت النار فى الأسواق ونهبت أموال التجار . فريع المنصور بن زيرى لهذا الأمر وحاول جهده أن يكبح جماح الفتنة ، فاشتد مع قادتها من أعلام المالكية ، فلما سكن الأمر عرف أنه لن يستطيع البقاء فى هذه البلاد إلا إذا كان مالكياً صريحاً واطمأن النـــاس إلى مالكيته ، ومن ثم كان هذا التحول الحاسم فى سياسة بنى زيرى واتجاههم الصريح نحو السنة وما نتج عن ذلك من غضب الفاطميين عليهم ووقوع القطيعة بينهم ، وما أعقب ذلك من تحريض الفاطميين لعرب بنى هلال على السير إلى المغرب ، وما كان من خراب المغرب وزوال ملك بنى زيرى فى القيروان و « استيلاء مفسدى الأعراب على إفريقية وتخريبها وإجلاء أهلها منها إلى بلاد المسلمين وذهاب الشرائع بعدم من ينصرها من الملوك إلى أن من الله على الناس بظهور دولة الموحدين فوضحت بها معالم الدين وسبل الحق ورسوم الشرع ، فظهر بظهورها فى إفريقيـــة العلماء والصلحاء وذلك فى سنة الأخماس سنة خمس وخمسين وخمسمائة . والله تعالى أعلم[2] » كما يقول الدباغ .

* * *

وهذا العرض السريع لتاريخ إفريقية إلى نهاية القرن الرابع الهجرى يبين لنا الأهمية الكبرى لكتاب « الرياض » من الناحية التاريخية : إنه يقدم لنا أولا وقبل كل شئ قصة الفتح العربى لإفريقية كاملة منذ محاولات العرب الأولى فى سنة ٢١ هـ . / ٦٤٢ م . إلى تمام الفتح على يد حسان بن النعمان حوالى سنة ٨٥ هـ . / ٧٠٥ م . يعرضها على نحو متصل لانجده عند مؤرخ آخر غيره . نعم إنه يستند فى كثير من التفاصيل فى هذا الجزء على مصادر مشرقية كالواقدى وابن إسحاق ، ولكن أصول الكثير من هذه المصادر قد ضاعت . وصحيح أننا

---

(١) « المعالم » ج ٣ ، ص ١٩٢ ــ ١٩٣

(٢) « المعالم » ج ٣ ، ص ٢٥٢

نجد تفاصيل مشابهة لأخبار «الرياض» عند ابن عبد الحكم . ولكن المالكى يمتاز بأنه يسرد قصة الفتح كاملة ويضيف إلى المعلومات التى أوردها المشارقة طائفة لها أهميتها من روايات المؤرخين من أهل المغرب ممن ضاعت كتاباتهم ولم نعثر عليها إلا لديه ولدى من نقل عنه كالدباغ صاحب «معالم الإيمان» .

وبينما لا يقدم إلينـــا ابن الأثير وابن خلدون وابن عذارى والنويرى إلا تواريخ الأحداث السياسية لعصر ولاة بنى أمية وأوائل العباسيين ودول الأغالبة والعبيديين وبنى زيرى ، نجد صاحب الرياض يورد من الأقاصيص والأخبار عن الحياة العامة ، السياسية منها وغير السياسية ، ما يمكننا من كشف النقاب عن بعض نواحى ذلك الظلام الدامس الذى يحيط بأحوال إفريقية فى تلك العصور التى سماها «أ. ف . جوتييه» بحق «العصور المظلمة فى تاريخ المغرب» . ونحن إذ ننتقل معه من ترجمة لترجمة نعثر هنا وهناك على إشارات غاية فى الأهمية عن علاقات الحكام بالمحكومين ، وموقف الناس من هذا الحاكم أو ذاك ، وأساليب أولئك الحكام فى قيادة أمور المغرب . وهو يصحبنا معه إلى بيوت الناس فنرى كيف كانوا يعيشون ، وإلى قصور الحكام فنرى كيف كانوا يدبرون الأمور ، وإلى الأسواق العامة فنرى أهل تلك الأيام يروحون ويغدون ويشترون ويبيعون ، بل نعرف كيف كانوا يتحدثون فيما بين بعضهم وبعض ، وبأى لهجة كانوا يتكلمون ، ثم يصحبنا إلى المساجد حيث كانت الدروس تلق ، فنرى كيف كانت حلقات الدرس تنعقد ، ونستمع لمـــا يلقى فيها من علم وما كان يثار فيها من مسائل ، بل نرى شيوخ العلم وطلبته فى ملابسهم الخاصة التى كانوا يلبسونها فى تلك العصور ، بل يصف لنا دفاترهم التى كانوا يكتبون فيها والحبر الذى كانوا يسطرون به ، ومواد الدراسة التى كانوا يوجهون إليها اهتمامهم ، وطريقتهم فى فهم هذه المواد ، إلى غير ذلك من المعلومات الطريفة العامة التى تعيننـــا على تكوين فكرة واضحة بعض الشئ عن ذلك المجتمع المغربى الإسلامى فى فترة تكوينه . وإنك لتستطيع أن تجمع من هذا الكتاب مادة تمكنك من وضـــع تخطيط تقريبى للقـــيروان وتونس وخططهما ، بما فيهما من أحياء وشوارع وميادين . وتعثر فيه كذلك على طائفة عظيمة من أسماء المآكل والمشارب والملابس والمزروعات والمصنوعات ، وأنواع العملة

والموازين والمكاييل وكثير جداً مما يمكنك من أن تتصور الإطار العام للمجتمع المغربى الأول . وسترى من الفهارس المفصلة التى سألحقها بالجزء الثانى من هذا الكتاب أنه وثيقة تاريخية كبرى ، تأذن لنا فى كتابة تاريخ المغرب فى تلك العصور من جديد .

ذلك أن مؤلف الكتاب كان من العلماء الفقهاء ، وهو قد أوقف كتابه على العلماء والفقهاء والصالحين . وإذا كان النظام العام للدول الإسلامية فى تلك العصور قد جعل الحكام وأهل السياسة من غير أهل البلاد فى كل ناحية فإن العلماء والصالحين كانوا من عامة الناس فى الغالب ، ومن ثم فمن يؤرخ لهم لابد أن يعيش بين الناس ويصور حياتهم . وإذا كان كتاب كالبيان المغرب لابن عذارى يقص علينا سير الحكام وينظمهم فى سلاسل وحوليات جافة جامدة ، فإن صاحب الرياض يورد لنا أخبار سادة الشعب الحقيقيين وهم العلماء والفقهاء الذين برزوا من صفوفهم وعاشوا بينهم وسعدوا وشقوا معهم . وإذا كان ابن عذارى وأضرابه يقدمون لنا الهيكل العظمى لتاريخ إفريقية فإن أبا بكر المالكى يكسو هذا العظم لحماً وينفث فيه الروح ، ويبعثه إلى الحياة من جديد ويجعله تاريخاً جديراً بهذه التسمية .

* * *

وقد رأينا فى سياق العرض التاريخى الذى مررنا به كيف أن المذهب المالكى كان الحصن الذى اعتصم به أهل إفريقية حينما دهمتهم حركات الخوارج والفورات السياسية ، وكيف أنه كان السياج الذى صان المجتمع الإفريقى من التفرق والتبدد فى تلك العصور التى تجاذبته خلالها مطامع العرب المحليين أو الواردين من المشرق ومطامع العبيديين الذين كادوا بدعوتهم المذهبية السياسية أن يزلزلوا كيان المغرب كله من أحواز قفصة إلى ساحل الأطلسى . ورأينا كذلك كيف أصبح هذا المذهب « قومية » مغربية : فمن كان مالكياً قبلته الجماعة الإفريقية ، ومن مال إلى غيرها من المذاهب نبذته وعادته ، ومن آزر المالكية ورجالها فهو صديق ، ومن عاداها فهو عدو يحل للناس طرده من مجتمعهم أو قتله ، بل إن الحاكم الذى يتشكك الناس فى مالكيته — أو سنيته على الأقل — كان يعتبر طاغية مشركاً يحل للناس الوثوب به وخلع سلطانه ، فإن كان شيعياً فهو مشرك و « أمير مشركين » لابد من قتاله . ولقد انضم علماء القيروان إلى أبى يزيد مخلد بن كيداد وآزروه وحاربوا فى صفوفه ، على رغم مساوئه ، ونقائصه لمجرد أنه كان سنياً ، وعارضوا « القائم » العبيدى على رغم حسن

سياسته وجاهروه بالعداء لمجرد أنه كان شيعياً . ولقد ازوروا عن بنى زيرى وأبغضوهم طالما شكوا فى سنيتهم ، فلما استوثقوا منها التفوا حولهم وناصروهم . أى أن « المالكية » كانت « القومية » الإفريقية فى ذلك الحين ، وتاريخ دخولها إفريقية وتأصلها فى تربتها إنما هو فى الواقع تاريخ تكون الشعب المغربى الإسلامى : مبادئها مبادئه وأبطالها أبطاله .

وهذا الكتاب يقص علينا قصة المالكية فى إفريقية كاملة ، ومؤلفه يقسم أجيال المالكيين « طبقات » هى لتاريخ الشعب بمثابة « الأسر » لتواريخ الحكومات والدول . وهو يجعل الطبقة الأولى — أو الدولة الأولى — لمن دخل إفريقية من التابعين ، والطبقة الثانية لمن أخذ عن التابعين مباشرة من أهل إفريقية ، والطبقة الثالثة هى طبقة من سمع من مالك وأخذ عنه أو عن تلاميذه ، أى طبقة مؤسسى المالكية المغربية ، أولئك الذين غرسوا المالكية فى التربة الإفريقية ، وقضوا حياتهم فى رعايتها : طبقة البهلول بن راشد وعبد الله بن عمر بن غانم ومعاوية بن الفضل الصمادحى وعلى بن زياد وعنبسة بن خارجى الغافقى وأسد ابن الفرات وأبى محرز الكنانى وعبد الله بن أبى حسان اليحصبى ورباح بن يزيد وشقران بن على وغيرهم كثيرين ممن أسسوا « دولة المالكية » فى إفريقية ، وأعانوا أهلها على الثبات وسط عواصف عصرهم المضطرب . هذه الطبقة هى واضعة أسس القومية الإفريقية ، وتاريخهم — لا تاريخ عبد الرحمن بن حبيب وأولاده أو أبى حفص عمر بن هزارمرد وخلفائه — هو التاريخ الحقيق لإفريقية . إنه تاريخ أهل إفريقية لا تاريخ عدد من الأجانب حكم كل منهم فترة ثم مضى إلى حال سبيله واندرج ذكره غير مخلف أثراً .

ثم تلى ذلك الطبقة الرابعة ، وارثة هذا الأساس المالكى المتين الذى وضعته الطبقة الثالثة مؤسسة « الدولة المالكية » فى المغرب ، فنجد على رأسها سحنون ابن سعيد عالم المغرب وأستاذه دون منازع . إنه قمة الدولة المالكية الإفريقية وعلم القومية الإفريقية كذلك : هو الذى ناضل عنها بنى الأغلب وفقهاءهم من الأحناف وغير الأحناف ، وضرب لأهل المغرب بعلمه ، وسمته وفصاحة لسانه وذكائه وحسن هندامه وأسلوبه فى الحياة وطريقته فى معاملة الحكام وإعزازه لمركز القضاء مثلا للرجل الكامل فى ذلك العصر كيف يكون ؛ فهو أستاذ المغرب فى العلم ونموذج أهله المحتذى فى الحياة ومثلهم الأعلى فى الرجولة وحكيمهم فى

كل ما يتصل بالزاد والمعاد ، فلا عجب أن يختصه صاحب الرياض بأربعين صفحة كاملة ، لأنه فى نظره رمز مجد شعبي عزيز وصل إلى ذروته فى محنته التى ابتلاه الله بها على يد زيادة الله بن الأغلب ، بسبب تمسكه بالمالكية وذياده عنها خصومها من أمثال ابن أبى الجواد .

وهكذا تتوالى طبقات علماء إفريقية ، أو « دول » أبطال تاريخها الحقيقيين بتعبير أدق ، فيرى الإنسان كيف تكون الشعب الإسلامى المغربى ، وعلى يد من ومن أى عناصر تألف .

* * *

ومن المعروف أن المغرب الإسلامى بلد الرباط والمرابطين : كان ساحله كله معرضاً للغارات البحرية المفاجئة من القسطنطينية أو صقلية وجنوبى إيطاليا وسردانية ، فاعتبره المسلمون ثغراً يعد الرباط فيه جهاداً فى سبيل الله وقربة إليه . وكانت سواحل إفريقية (تونس) أكثر تعرضاً للخطر من غيرها لقربها من مصادر الغارات كلها ، فنشأت الرباطات على ساحلها من أول الأمر عند سوسة ولمطة وتونس والمنستير ، وابتنيت « الحصون » يقوم فيها المرابطون بحراسة المسلمين والتعبد لله . ومن تونس انتشرت الرباطات فيما بعد على الساحل المغربى كله . ونظم المقيمون فيها أمور أنفسهم تنظيما حسناً مكنهم من القيام بواجباتهم كلها على وجه حسن . وأصبح « الرباط » مع الزمن نظاماً عسكرياً دينياً تحددت أصوله وقواعده شيئاً فشيئاً . وانتقل هذا النظام إلى الأندلس ، فقامت الربط على السواحل كلها وخاصة بعد غارات النورمانيين الأولى على الأندلس فى عهد عبد الرحمن الأوسط ، واهتمت الدولة الأموية الأندلسية بها وأقامت الحصون للمرابطين وجعلتهم جزءاً ثابتاً من نظام بحريتها . وكان أهل المغرب ذوى حمية عظيمة للدين وحماس عملى فى الذب عن حوزته ، فكان الكثيرون منهم يتوافدون إلى الأندلس للرباط على السواحل ، ومن أكبر ربطهم فى الأندلس « رباط المرية » أقرب نقطة من الأندلس إلى الساحل الإفريقى ، وقد نشأ فى عهد الأمير عبد الله سادس أمراء بيت بنى أمية فى الأندلس . وبلغ من حماس أهل المغرب للرباط أن كان ذوو الحمية من أهل قبائل الصحراء يقبلون إلى ساحل البحر للرباط وحراسة المسلمين ، ثم عمت الحركة شيئاً فشيئاً حتى شغلت روح « الرباط » قبائل بأسرها ، وأخذ المتشوفون

للجهاد من أهل قبـائل الصحراء يرابطون على أحواز الصحراء لحماية ما يليهم من بلاد الإسلام من أخطار من يليهم إلى الجنوب ، وقامت الربط على حدود بلد السودان ، وصارت هذه الربط الصحراوية مراكز للغزو والتوسع ونشر الإسلام فى السودان وبلاد إفريقية الغربية ، وما زالت هذه الحركة تقوى وتشتد حتى قامت على أساسها دول كدولة « المرابطين » ؛ التى قامت أول الأمر على نواة من المرابطين أنشأها إبراهيم الجدالى على حدود الصحراء فيما يلى تارودانت إلى الجنوب ، ثم انضم إليهم عبد الله بن ياسين اللمتونى وتبعته لمتونة وتحمس أفرادها للرباط والجهاد حتى غلب عليهم اسم المرابطين ، وقاموا بعد ذلك بالدور السياسى العظيم المعروف فى تاريخ الغرب الإسلامى كله ، ثم أعقبتهم دولة الموحدين وهى دولة رباط هى الأخرى ، تاريخها معركة طويلة فى سبيل الإسلام ، وكذلك كانت دولة الحفصيين فى تونس وبنى مرين فى مراكش فى دورهما الأول .

وتاريخ هذه الدول هو تاريخ المغرب الإسلامى كله ، والدور الرئيسى لأهل المغرب فى التاريخ العام للإسلام هو دور رباط وحماية لجناحه الغربى كله ، وإذا كانت المالكية هى العصب الأول للتاريخ المغربى فإن الرباط هو العصب الثانى ، بل يكاد يكون « علة وجوده » raison d'être

وكتاب الرياض يلقى ضوءاً كشافاً على نشوء الرباط وتطوره خلال القرون الثانى والثالث والرابع الهجرية ، فقد حرص المؤلف على أن يجعل فى نهاية كل «طبقة» من العلماء والفقهاء فصلا خاصاً عن « أهل العبادة والنسك » أو « المتعبدين الزاهدين » المنقطعين لعبادة الله حتى ليشبهون « العموديين » من رهبان المسيحية الأولى ، بل وصف سهل بن يونس أحدهم — وهو أبو خالد المتعبد القتات — بقوله : « لو كان عبـد الخالق فى بنى إسرائيل لصوروه فى الكنائس » . ولو تتبعنا سير أولئك الزهاد لوضعنا يدنا على نشأة حركة الرباط فى المغرب ورأيناها تتكون وتنتظم شيئاً فشيئا : فنحن نرى كيف نشأت عند ساحل تونس ، وكيف أقبل عليها رجال ذوو نسك وحمية من أمثال عبد الخالق المتعبد القتات الذى تأبد بنفسه على ساحل البحر ، وحفص بن عمر الجزرى الذى كان يقيم بطائفة من الصالحين « بجزيرة شريك » وعبد الرحيم بن عبد ربه الربعى الزاهد الذى بنى « قصر زياد » ورابط فيه ، وأبى السرى واصل المتعبد « بقصر حمة »

بالمهدية ، وغيرهم . نرى أولئك يهجرون مساكنهم فى المدن ويتخيرون مواضع على الساحل يرابطون فيها ويقيمون فيها « القصور » وهى حصون الرباط ، ويتجمع حولهم الناس ، فيمضون يضعون للناس قواعد الرباط والزهد والتعبد ، لا بقوانين يقررونها كما فعل القديس بنديكت مثلا ، بل بضرب المثل الصالح الذى يحتذى فى كل شىء ، والمحافظة عليه فى حرص شديد . ثم يلى هؤلاء جيل آخر من أولئك الذين وضعوا أسس الرباط وقواعده ، من أمثال محمد بن عبد الكريم المسوحى الذى كان يتنقل بين الأربطة المجاورة لسوسة ، وأبى زكرياء الهرقلى الذى كان يرابط على شاطئ البحر ويعيش من الزرع ثم خرج للجهاد فى صقلية مع صاحبه أبى إبراهيم الخراسانى فلقاهما الله الشهادة هناك فى قتال « الروم » ، وبشير بن عمروس المتعبد بالمنستير الذى خرج إلى المشرق ورابط ردحاً من الزمن فى « طرسوس » . ومكرم المتعبد بالمنستير الذى يقول المالكى إنه كان « كثير الحرس » . وغير أولئك ممن نرى فى أطواء تراجمهم نظم الرباط المغربى تتطور وتتحدد حتى تصير إلى شىء قريب من نظم الرباط التى نجد عليها واضعى أسس دولة المرابطين ، أمثال إبراهيم الجدالى وعبد الله بن ياسين .

وإلى جانب ذلك تستطيع أن تتتبع تطور حركة « الصوفية » فى المغرب من نشأتها الأولى على أسس مغربية خالصة ربما استطعنا مع البحث أن نربطها إلى أصول مسيحية مغربية عرفها المغرب قبل تحول أهله إلى الإسلام ، وما زالت تتطور فى ظل الإسلام وعلى أسس المذهب المالكى حتى صارت إلى ما هو معروف من الطرق الصوفية والخوانق المغربية التى كان لها أبعد الأثر فى تاريخ المغرب الاجتماعى والسياسى فيما بعد .

كل ذلك يعرضه علينا كتاب الرياض فى أسلوب لطيف يفيض بالسذاجة والصدق ، وهو لا يروى خبرا الا أسنده وأيده ، مما يجعلنا نقبل حقائقه فى كثير من الثقة ، ولا نفرغ من مطالعة تراجمه ودراستها حتى نجد أنفسنا أمام ثروة جديدة من المادة التاريخية الطيبة التى تعيننا على تصور تاريخ المغرب الاسلامى الى منتصف القرن الرابع الهجرى تصورا جديدا .

§ ٢ ـ كتاب رياض النفوس

يقع الكتاب الذى بين أيدينا فى جزءين : يتناول الأول فتح العرب لافريقية بالتفصيل ، ثم يترجم لعلماء افريقية وفقهائها طبقة طبقة حتى يصل الى نهاية الطبقة الخامسة التى تنتهى سنة ٣٠٠ هـ . على وجه التقريب ، وآخرها أبو عقال بن غلبون حسب نسخة باريس وأبو زكريا الهرقلى حسب نسخة القاهرة ، ويتناول الثانى تراجم العلماء بين سنتى ٣٠٠ هجرية وسنة ٣٥٦ هـ . ويقف عند نهاية ترجمة أبى اسحاق السبأى المتوفى فى ذلك العام .

ونسختا الرياض التى بين أيدينا تقفان عند هذه السنة ، ويقول ناسخاهما صراحة ان هذا هو آخر كتاب رياض النفوس . بيد أننى وجدت الدباغ صاحب « معالم الايمان » وابن ناجى صاحب التعليقات عليه يسندان الى أبى بكر المالكى والى كتاب « رياض النفوس » بالذات أخبارا تتصل بأعلام عاشوا بعد سنة ٣٥٦ هـ . مما يدل بوضوح على أن هناك جزءا ثالثا — وربما رابعا — من ذلك الكتاب كان متداولا بين أيدى الناس فى افريقية . وذلك هو المعقول ، لأن أبا بكر المالكى توفى بعد سنة ٤٥٣ هـ . كما سترى فى الفقرة الخاصة به ، فمن غير المعقول أن يقف بالكتاب عند سنة ٣٥٦ هـ . ثم ان الكتاب الذى بين أيدينا لا يترجم لأعلام لا يعقل أن يسقطهم مثل أبى عمران الفارسى وأبى الحسن الكانشى وهما شيخا أبى الحسن القابسى شيخ أبى عبد الله المالكى والد أبى بكر ؛ ثم اننا نجد فيه كذلك ترجمة لأبى عبد الرحمن بن أحمد شيخ أبى بكر نفسه . ولما كان أولئك جميعا قد توفوا بعد ٣٥٦ هـ . فاننا نستطيع أن نقطع بأن هناك جزءا ناقصا من الرياض ، جزءا كان يصل بالتراجم الى سنة ٤٤٩ أو قبلها بقليل . ولما كانت نسختا الرياض اللتان بين أيدينا مشرقيتين ، فالغالب أنه لم يصل الى المشرق الا الجزءان الأولان ، فتبادلهما النساخ ، وربما أيد ذلك الرأى أننا نجد ناسخ نسخة باريس — وكان ينقل عن أصلين — يقول فى عبارة الختام : « هذا آخر ما وجدته من كتاب الرياض

حسب الأصلين المنقول عنهما » ، مما يجعلنا نظن أنه كان يعرف أن هناك جزءا ناقصا ، فكتب هذه العبارة ليبرىء ذمته •

ثم اننا نجد عنوان نسخة باريس — وهى الوحيدة التى تضم الجزء الأول — مكتوبة هكذا : صر كتاب رياض النفوس ••• الخ ، وهذه الكلمة الناقصة الأولى هى « مختصر » من غير شك ، مما يجيز لنا أن نقول ان النسختين اللتين بين أيدينا انما هما مختصر لكتاب الرياض الأصلى •

واذا نحن فحصنا « كتاب الرياض » الذى بين أيدينا لاحظنا أنه يهمل أشياء كثيرة لها أهميتها ، ويسقط أعلاما من غير المعقول أن يكون قد أهملهم — مثل عيسى بن مسكين مثلا — ويكتفى فى بعض الأحيان من شيوخ الرجل بعدد قليل ، مما يدل بوضوح على أننا أمام مختصر من الكتاب الأصلى ، لا الكتاب نفسه •

ولكن أسلوب الكتاب لايجرى على ما عرفنا من أسلوب المختصرات : فالمختصرات توجز الأخبار الطوال فى عبارات قصار ، وتسقط الأعلام الأقل أهمية ، أما كتابنا ففيه من الأخبار الطوال كثير ومن الشخصيات الثانوية كثير أيضا ، بل نجد فيه أخبارا تورد على أكثر من صورة ، مما ينتهى بنا الى النتيجة التالية : وهى أن الأصلين اللذين نقل عنهما ناسخ نسخة باريس والأصل الذى نقل عنه ناسخ نسخة القاهرة قد أخذت كلها عن أصل حاول صاحبه أن يختصره فلم يعرف : أسقط شخصيات ذات أهمية كبرى ، وأهمل أخبارا ذات قيمة خاصة ، ولم يثبت الا ما تراءى له أنه هام • ومن هنا كان من الطبيعى أن يسقط جزءا هاما من ترجمة سحنون ، وآخر لايقل أهمية من ترجمة أبى طالب ، وغير ذلك كثير •

ولما كان مثل هذا التصرف لا يمكن أن يتم على يد مغربى ، لأن أهل المغرب يعرفون تماما أهمية عيسى بن مسكين وأهمية الفقرات الخاصة بقضاء سحنون ومحنته ومحنة أبى طالب وقتله ، فاننا نستطيع القول ان هذا « الاختصار » الغريب قد تم على يد رجل مشرقى لايعرف من شؤون المغرب شيئا كثيرا • ومثل هذا التصرف لا يسمى اختصارا بل بترا ، وعلى هذا فقد حرصت على أن أعوض ذلك النقص باكمال هذا النص : فأخذت

ما وجدته من الأجزاء المبتورة من الكتب التى أخذت عن « الرياض » ووضعتها فى مكانها ، ثم جعلت فى آخر هذا الجزء الأول ثبتا بالتراجم الهامة الناقصة حتى سنة ٣٠٠ هـ ، على سبيل تنبيه القارىء اليها ، وسأجعل هذه التراجم مع التراجم الناقصة من الجزء الثانى ذيلا أضعه فى نهاية الجزء الثانى من الرياض لأستدرك فوات النسخ التى بين أيدينا ، وأجعل الكتاب وافيا بغرضه محققا لما أراده المؤلف منه .

وهذا هو السبب فى أننى لم أجعل عنوان الكتاب « مختصر رياض النفوس » بل « رياض النفوس » وحسب ، لأن القارىء سيجد بين يديه الكتاب كاملا من حيث موضوعه ، وان كان « الفوات » مستدركا من مراجع أخرى نقل أصحابها من مراجع أخرى غير الرياض .

وقد حدثنى أستاذنا حسن حسنى عبد الوهاب باشا أنه سمع عن نسخة من « الرياض » فى مكة أو المدينة ، وأنه اجتهد فى رؤية هذه النسخة والحصول عليها فلم يستطع ، وربما أسعدنا الحظ يوما ما بالعثور على هذه النسخة فتنير لنا هذا الموضوع بعض الشىء ، وتعيننا على استدراك بعض ما عسى أن نكون قد وقعنا فيه من أخطاء فى نشر الكتاب .

ولنضف كلمتين عن هذا العنوان اللطيف الذى ابتكره أبو بكر المالكى لكتابه ، فانه فى الواقع عنوان « حديث » بالنسبة لعصره ، لم يلجأ اليه المؤلف لاستكمال سجعة كما نرى فى « البيان المغرب » مثلا ، وانما هو نفحة لطيفة من أبى بكر تدل على ذوق حسن واحساس أدبى .

§ ٢ ــ مؤلف الرياض

تتفق روايات المؤرخين جميعا على أن مؤلف هذا الكتاب هو أبو عبد الله أبو بكر بن عبد الله المالكى .

وقد أشار مؤلف الكتاب الى نفسه أكثر من مرة فهو يقول فى صفحة ٢٧ مثلا : « قال أبو بكر بن عبد الله بن محمد المالكى » ، وفى ص ٧٦ : « قال

أبو بكر عبد الله المؤلف » ، وفى ص ٩٢ : « قال أبو بكر » ، وفى ص ٢٠٩: « قال الشيخ أبو بكر عبد الله المالكى » ... الخ .

ولكننا نجد فى سياق المتن اشارات أخرى تشككنا فى نسبة الكتاب كله الى أبى بكر المالكى ، ففى صفحة ١٦٣ مثلا نقرأ : « قال أبو عبد الله » ، وفى ص ٨١ : « قال أبو عبد الله محمد بن عبد الله رحمه الله » وفى ص ٢٤٥ : « قال عبد الله » ، وغير ذلك مما يجعلنا نميل الى الظن أن أبا عبد الله محمد المالكى والد أبى بكر قد شارك فى وضع هذا الكتاب .

ونجد فى ختام الجزء الثانى من نسخة القاهرة عبارة تعيننا على تعرف الحقيقة فى هذا الموضوع : جاء فى هذه النسخة بعد الفراغ من ترجمة أبى اسحاق السبأى : « قال الفقيه أبو بكر بن اللباد رحمة الله عليه فى بعض تأليفه : هذا ما انتهى الينا من أخبار العلماء العقلاء المؤمنين الذين يتلذذ بمجالستهم وأخبارهم وطلب الفائدة منهم وشدة الاغتمام بمفارقتهم وطول الحزن والبكاء عند فقدهم .. الخ »(١) مما يفهم منه صراحة أن مؤلف الرياض كان ينظر أثناء الكتابة الى تأليف لأبى بكر بن اللباد فى تراجم الصالحين والعلماء من أهل افريقية ، ولو قد أسند مؤلف الرياض طائفة كبيرة من أخباره الى أبى بكر اللباد لقلنا انه اعتمد على مؤلفه هذا كأصل من أصول كتابه كما فعل مع أبى سعيد بن يونس وأبى العرب تميم ، ولكن الواقع أنه لم يسند اليه فى كتابه كله الا أخبارا قليلة ، وقد توفى أبو بكر بن اللباد سنة ٣٣٣ هـ . / ٩٤٥ م . وكان فقيها عالما صاحب تآليف كثيرة ذكر لنا منها الدباغ أربعة ، منها واحد عنوانه « كتاب الآثار والفوائد » فى عشرة أجزاء(٢) ، ثم ان كتابى « المعالم » و « المدارك » يشيران بوضوح الى أنه كان لأبى بكر بن اللباد تأليف فى تراجم علماء افريقية لم يذكرا عنوانه بالضبط . وكانت هذه الكتب كلها بأيدى طلبة العلم والفقهاء فى افريقية ، وكان عليها اعتماد الناس عندما شب أبو عبد الله

---

(١) ص ٢٣٢ ب .

(٢) المعالم جـ ٣ ، ص ٢٣ .

المالكى — والد أبى بكر — وأخذ يدرس • وكان ابن اللباد من شيوخ أبى الحسن القابسى أستاذ أبى عبد الله المالكى ، ولا نزاع فى أنه — أى أبا عبد الله المالكى — قد قرأ كتب ابن اللباد واطلع على ما فيها من تراجم الصالحين واستعان بها فى تآليفه ، مما يحملنا على القول بأن صاحب هذه العبارة هو أبو عبد الله المالكى لا أبو بكر ابنه ، والا فلو كان أبو بكر هو مؤلف كتاب « الرياض » فكيف وقف بتأليفه عند الحد الذى وقف عنده ابن اللباد الذى توفى قبل تأليف الرياض بنيف وقرن من الزمان ؟ وكيف لم يسر بالتراجم الى ما بعد ذلك معتمدا على تآليف تلاميذ ابن اللباد وعلى كتب أبيه — أى أبى عبد الله — ومعاصريه ، وكانت لهم تآليف كثيرة فى نفس الموضوع سيرد ذكرها فيما يلى من الكلام ؟

لا نستطيع أن نعلل ذلك الا بأن هذا التأليف كان فى الأصل لأبى عبد الله المالكى الأب ثم تناوله ابنه أبو بكر ، وسار به الى ما بعد ذلك ، وربما يكون قد أكمل ما وجد فيه من مواضع النقص مستعينا بما وجد من كتب التراجم التى ألفت بعد زمان أبيه ككتب أبى العرب تميم وتلميذه الحارث بن أسد الخشنى • وذلك فى رأيى هو أصح الآراء وأكفلها بحل ذلك الاشكال ، ويؤيدنى فى هذا الرأى أستاذنا عالم افريقية حسن حسنى عبد الوهاب باشا •

ويؤيد هـذا الرأى ما ورد فى ص ١٤٧ من المتن من قول المؤلف : « وأذكر ما روى لى فى ذلك ليصح عند قارئه ومستمعه » مما يفهم منه أن هذا الكتاب ألقى أول الأمر دروسا على طلبة يسمعون ثم دون بعد ذلك • ولسنا نجد فى القليل الذى بين أيدينا من سيرة أبى بكر المالكى اشارة الى القائه دروسا وانما الذى كان يلقى هو أبوه أبو عبد الله ، ومن ثم فيغلب على الظن أن أبا عبد الله ألقى الى طلبته هذه الأطراف من أخبار الصالحين وهم يستمعون اليه وفيهم ابنه أبو بكر ، ثم عكف هذا الأخير على ما سمع من أبيه فدونه وأكمله وجعله كتابا •

فاذا انتهينا الى ذلك فلابد من الاعتراف بنصيب أبى عبد الله المالكى الأب ، لأنه شريك فى الفضل ، فنلم بأخبار الأب أولا ثم نتبعها بأخبار ابنه

أبى بكر . ومن الغريب أن أبا الفضل عياض بن موسى لم يترجم لهما أو لواحد منهما على رغم اعتماده عليهما وتقديره « للرياض » وما فيه من فوائد وكثرة نقله عنه . وكذلك فعل غيره من مؤلفى المغرب عدا أبى زيد عبد الرحمن بن محمد بن على بن عبد الله الأنصارى الأسيدى الدباغ صاحب « معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان » فقد اختص أبا عبد الله وابنه أبا بكر بسادتين لا بأس بهما ، نوردهما بنصهما فيما يلى :

أبو عبد [الله] محمد بن عبد الله المالكى ، رحمه الله تعالى

« (قال) (١) : هو صاحب الشيخ أبى الحسن القابسى الملازم له ، وكان فقيها صالحا فاضلا كثير الخدمة للصالحين والمحبة لهم . (قلت) (٢) : زاد غيره : مشكورا بالألسنة ، محبوبا بالقلوب . وقدمه الشيخ أبو الحسن للامامة ، فكان يصلى به . (قال) : وهو الذى جمع مناقب شيخه أبى الحسن ، وأبو الحسن هو الذى سماه المالكى وكان يقال له ابن الشافعى — فقال أبو الحسن : «هو المالكى بن المالكى!» فاشتهر بذلك . وابنه أبو بكر المالكى صاحب كتاب « تاريخ صلحاء افريقية » . ورحل أبو عبد الله بعد وفاة الشيخ أبى الحسن الى مكة ولقى أبا ذر الهروى وسمع عليه البخارى ، وقدم القيروان صحبة أبى القاسم بن الكاتب فى صدر ثمانية وأربعمائة . وروى عنه أنه قال : كان الشيخ أبو الحسن اذا دعانى لقراءة علم أو قربة يقول لى : يا محمد ، واذا استدعانى لخدمة أو لقضاء حاجة يقول لى : يا مالكى ، احتراما منه لاسم محمد . وكان أعلم الناس بباطن أحوال الشيخ أبى الحسن والمطلع على عبادته وخفى أمره ، توفى بالقيروان سنة أربع وتسعين وأربعمائة . (قلت) : وقال غيره : توفى ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شعبان سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة ، وقد أناف على السبعين . (قال) : ودفن بباب تونس جوار قبر الشيخ أبى الحسن القابسى . (قلت) : وتبعه العوانى — وكذلك كان شيخنا

---

(١) أى الدباغ .

(٢) أى ابن ناجى .

أبو الفضل البرزلي يقول : — ويعيّنه أنه من جهة الجوف من قبر الشيخ الملاصق له وعند رأسه عمود لطيف ليس فيه كتب ، واذا زار بنا جبانة باب نافع — وهي التي فيها قبر عبد الله بن غانم ، وسحنون بن سعيد وابنه محمد ، ومحمد بن عبدوس ، وحماس بن مروان ، وأبي اسحاق السبأي وغيرهم — يقف على قبر ويقول : هذا قبر أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله المالكي ، وعليه مشهد مكتوب بخط معتبر ، فكنت نعتمد كلامه ونعرف به من يزور معي كذلك . واذا زرت والده أبا عبد الله المالكي أقول: هذا قبر أبي عبد الله ، متبعا له . فلما خرجت لتونس للقراءة على شيخنا هذا ، بعد انصرافه من عندنا ، أقمت فيها أربعة عشر عاما ثم تغربت في البلاد للقضاء من بلدة الى بلدة نحو سبعة عشر عاما لا أسكن القيروان اذا انصرفت من بعض البلاد الا قليلا حتى أتولى ببعض البلاد . فكانت زيارتي لقبور المشيخة قليلة ، فلما زرت قبورهم بعد توطن الاقامة ورفعت يدي عن القضاء باختياري ، جئت الى زيارتهم باجتهاد ووقفت على قبر المالكي الذي بجبانة سحنون فوجدت في مشهده مكتوبا ما نصه : هذا قبر الشيخ الفاضل الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الله المالكي ، رحمة الله عليه . توفي ليلة الجمعة لليلتين بقيتا من شهر شعبان سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة — فبان بهذا أن الأمر بالعكس وان الذي عند القابسي انما هو أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله المالكي لأنه ليس على قبره كتب . وسمعوا : هذا قبر المالكي ، فتوهموا أنه قبر أبي عبد الله محمد لأنه خديمه ، وهذا لا يلزم . والكتب في المشهد مقدم على غيره ويبعد غلط الكاتب لأنه كان يعاود بكتبه في [حين] آخر ، والله أعلم » .

وهذه الترجمة لا تلقي ضوءا كافيا على حياة أبي عبد الله وتآليفه وقدره بين علماء افريقية ، وكل ما نستطيع استنتاجه منها أن أباه أو جده كان شافعيا ، فكان يسمى بابن الشافعي ، فلما اتصل بالشيخ أبي الحسن القابسي لم يرض أن يسمى كبير تلاميذه بابن الشافعي فسماه « المالكي ابن المالكي » ، أي أن « المالكي » هذه ليست نسبته الحقيقية ولا « ابن الشافعي » كذلك ، لأنها نسبة الى مذهب أبيه عرف بها لندرة الشافعيين

فى افريقية اذ ذاك . ولا نزاع فى أن أسرة الرجل كان لها لقب آخر أدل عليها من ذلك ، لأن « أبا عبد الله محمد بن عبد الله » ليس اسما كاملا يتميز به انسان أو بيت ، وقد ضاع اللقب الأصلى بسبب النسبة الى المذهبين ، الشافعى أولا ثم المالكى ثانيا ، ومن ثم فنحن لا نستطيع أن تتعرف على البيت الذى انحدر منه صاحب الكتاب .

والأمر الثانى الذى نخرج به من هذه الترجمة هو أن أبا عبد الله المالكى كان « صاحب الشيخ أبى الحسن القابسى الملازم له » و « خديمه » و « أعلم الناس بباطن أحوال الشيخ أبى الحسن والمطلع على عبادته وخفى أمره » ، وتلك حقيقة هامة تعرفنا بمكان الرجل من الصلاح والعلم ، فقد كان القابسى — كما سنرى من ترجمته — قطب علماء المغرب خلال النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، وقد توفى فى سنة ٤٠٣ هـ . /١٠١٢ م . وطوى بوفاته جيل من أعلام العلم والفقه بالمغرب من أمثال أبى العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام بن تميم التميمى المؤرخ المتوفى سنة ٣٣٣ هـ . / ٩٤٤ م . وأبى اسحاق ابراهيم بن محمد القصرى المؤدب المتوفى قريبا من ذلك ، وأبى ميسرة أحمد بن نزار الفقيه المؤلف المتوفى سنة ٣٣٧ هـ . / ٩٤٨ م . وأبى الحسن على المؤدب المكفوف الفقيه الزاهد المتوفى سنة ٣٤٣ هـ . / ٩٥٤ م . وعبد الله بن هاشم بن مسرور التجيبى المعروف بابن الحجاج المتوفى سنة ٣٤٧ هـ . / ٩٥٦ م . وأبى اسحاق السبأى الفقيه الزاهد أستاذ[1] الشيخ أبى الحسن القابسى المتوفى سنة ٣٥٦ هـ . / ٩٦٦ م . وأبى الحسن بن مسرور الدباغ من شيوخ القابسى ، وقد توفى سنة ٣٥٩ هـ . / ٩٦٩ م . وأبى محمد بن هاشم بن مسرور القاضى المتوفى سنة ٣٦٣ هـ . / ٩٧٣ م . ومحمد بن حارث بن أسد الخشنى المؤرخ المتوفى سنة ٣٦٤ هـ . / ٩٧٤ م . وأبى محمد عبد الله بن اسحاق بن التبان تلميذ أبى بكر بن اللباد صاحب المناظرات المشهورة فى مساجلة دعاة الشيعة وقد توفى سنة ٣٧١ هـ .

---

(١) المعالم جـ ٣ ص ٨٦

/ ٩٨١ م ٠ وأبى سعيد بن أخى هشام « امام الزمان وأحد الفقهاء فى عصره » ، كما يقول الدباغ[1] ، المتوفى سنة ٣٧١ هـ ٠ / ٩٨١ م ٠ وأبى محمد بن أبى زيد « امام المالكية فى وقته وقدوتهم وجامع مذهب مالك »[2] المتوفى سنة ٣٨٦ هـ ٠ / ٩٩٦ م ٠ وأبى الحسن على بن محمد ابن خلف المعافرى المعروف بابن القابسى أستاذ المالكى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ ٠ / ١٠١٢ م ٠ وبه ينتهى ذلك الجيل العظيم من علماء المغرب الذى وصل بالعلم فى افريقية الى ذروته ، وعلى جهوده عاش المغرب بعد ذلك قرونا طويلة ٠

عاش أبو عبد الله المالكى فى ذلك العصر الحافل بالعلم والعلماء ، الفياض بالهزات العنيفة فى ميدان الفكر والحوادث الحافلة فى ميدان السياسة ٠ وشهد فى شبابه المعركة الحامية التى ثارت بين فقهاء افريقية المالكين ودعاة الشيعة ومن التف حولهم من فقهاء افريقية ، وتتلمذ أبو عبد الله على أبى الحسن القابسى وعرف معاصريه من أقطاب العلم والتأليف فى ذلك العصر الزاهر من ناحية الفكر فى المغرب ، ولابد أنه شارك فى أحداث العصر وأسهم فيها مع أستاذه القابسى ٠ وشهد بعينيه انتصار المالكية وانهزام الشيعة وزوال مبادئهم من المغرب على أثر انقلاب بنى زيرى عليهم وارتدادهم الى السنة ارتدادا صريحا ظاهرا أشعل فى افريقية نيران ثورة عامة دامية على الشيعة استأصلهم الناس فيها استئصالا كما بينا ٠

ولم يذكر الدباغ لأبى عبد الله المالكى غير كتاب واحد غير « الرياض » ، هو مؤلفه فى فضائل أستاذه أبى الحسن القابسى[3] ولم يصل الينا ، فلسنا نستطيع الحكم عليه وعلى علمه الا من بعض الفقرات التى ينسبها اليه ابنه فى ثنايا كتاب « الرياض » وهى قليلة جدا ٠ ويبدو أن انصرافه الشديد الى أستاذه قد صرفه عن أمور نفسه وشغله عن التأليف ٠ فمع أنه عاش

---

(١) المعالم جـ ٣ ص ١٢٣
(٢) المعالم جـ ٣ ص ١٣٦
(٣) المعالم جـ ٣ ص ١٨٠

بعد أستاذه ثلاثا وثلاثين سنة ، الا أنه لم يكتب خلالها — فيما نعلم — الا ذلك الكتاب الذى ألفه فى فضائل القابسى .

وقد أراد أبو عبد الله المالكى أن يستزيد من العلم بعد موت أستاذه فرحل الى المشرق ونزل مكة ولقى أبا ذر الهروى وسمع عليه البخارى وعاد الى القيروان ، ولا نعرف بعد ذلك من أخباره شيئا .

أما ما يذكره الدباغ من أن بعضهم يقول انه توفى سنة ٤٩٤ هـ . فبعيد الاحتمال ، اذ كيف يعيش بعد أستاذه ثلاثة وتسعين عاما كاملة مع أنه كان فى حياة القابسى رجلا كاملا يصلح للامامة ويصلى وراءه القابسى نفسه ؟ وأغلب الظن أن ذلك تصحيف من الناسخ ، وان صحة الرقم ٤٤٩ لا ٤٩٤ ، ثم ان ملاحظة ابن ناجى التى يقول فيها انه رأى بعينه شاهد قبر أبى عبد الله وقد كتب عليه بوضوح انه توفى ليلة الجمعة لليلتين بقيتا من شعبان سنة ٤٣٨ هـ . / ١٠٤٦ م . هذه الملاحظة تقطع الشك وتعين لنا سنة وفاة أبى عبد الله على وجه اليقين .

وقد رأيت أنه من المفيد أن أورد نص ترجمة القابسى شيخ أبى عبد الله المالكى ففيها اشارات اليه ، وهى تعيننا على تصورُ حياته لأنه عاش فى كنف شيخه وشاركه كل ما مر به من أحداث ، وها هى نقلا عن « مدارك » القاضى عياض :

« ومن أهل افريقية أبو الحسن على بن محمد بن خلف المعافرى ، المعروف بابن القابسى . سمع من رجال افريقية : أبا العباس الابيانى ، وأبا الحسن بن مسرور الدباغ ، وأبا عبد الله بن مسرور العسال ، وأبا محمد بن مسرور الحجاج ، ودراس بن اسماعيل القابسى والسدرى .

ورحل فحج وسمع بمصر ومكة من حمزة بن محمد الكنانى ، وأبى الحسن التلبانى ، وابن أبى الشريف ، وابن زيد المروزى ، وأبى الحسن بن جبونة النيسابورى ، وأبى الحسن بن أبى هلال ، وأبى الحسن ابن شعبان الطحان ، وأبى الحسن بن هاشم ، وأبى الطاهر محمد بن عبد الغنى ، وأبى الحسن الأسيوطى ، وأبى بكر أحمد بن عبد الله ابن عبد المؤمن ، وأبى أحمد بن المفسر ، وأبى الفتح بن يرمين ،

وأبى اسحاق عبد الحميد بن أحمد بن عيسى . وكتب اليه أبو بكر ابن خلاد . وكان واسع الرواية ، عالما بالحديث وعلله ورجاله ، فقيها أصوليا متكلما مؤلفا مجيدا . وكان من الصالحين المتقين الزاهدين الخائفين . وكان أعمى لا يرى شيئا ، وهو مع ذلك من أصح الناس كتبا ، وأجودهم ضبطا وتقييدا : يضبط كتبه بين يديه ثقات أصحابه . والذى ضبط له البخارى فى سماعه على أبى زيد بمكة أبو محمد الأصيلى بخط يده .

وكان يزور الشيخ الزاهد أبا اسحاق الجبنيانى فدعا له . قال أبو الحسن : قلت له — يعنى عند رجوعه أول ما زاره — : أذكر لك اسمى فان ذكرتنى دعوت لى ! فقال : بل أدعو لك فى جماعة المسلمين ، فقلت : بل تخصنى ، قال : أرأيت من أودع وديعة فضيعها ، أليس يضمن كالمتعدى ؟ قلت : بلى ، قال : فما دعا الانسان الى شىء ان ضيعه ضمنه ؟ قلت : لا عليك أن أعرفك باسمى ، فان نشطت للدعاء دعوت ، والا تركت . فلما رآنى كئيبا — اذ لم يقبل مسألتى — قال لى : ما اسمك ؟ قلت : علىّ ، قال لى : أبشر يا على ، أعلى الله قدرك فى الدنيا والآخرة . فلما قدمت دابة أبى الحسن أخذ الجبنيانى بركابه ، وكانت عادته لمن قبله علم وخير .

قال الشيرازى : وجلس مجلس ابن شبلون بعد وفاته . وكان أبو سعيد ابن أخى هشام يعظم الشيخ أبا الحسن ويقول : الشيخ أبو الحسن لا يحاسب على مكيال ولا ميزان ، وان كان لا يدخل [الجنة] الا مثل أبى الحسن فما يدخلها منا أحد . وذكر ابن سعدون أن أبا الحسن لما جلس للناس وعزم عليه فى الفتوى أبى وسد بابه دون الناس [١٢٢ ب] فقال لهم أبو القاسم بن شبلون : « اكسروا عليه بابه لأنه قد وجب عليه فرض الفتيا . هو أعلم من يفتى بالقيروان » فلما رأى ذلك خرج اليهم وهو ينشد :

لعمر أبيك ما نسب المعلى الى كرم ، وفى الدنيا كريم
ولكن البلاد — اذا اقشعرت ، وصوح نبتها — رعى الهشيم

قال حاتم الطرابلسى ، صاحبه : كان أبو الحسن فقيها عالما محدثا ورعا متقللا من الدنيا ، لم أر أحدا ممن يشار اليـه بالقيروان بعلم الا وقد جاء اسمه عنده وأخذ عنه • يعترف الجميع بحقـه ، ولا ينكر فضله . وقال محمد بن عمار الهوزنى فى رسالته ، وذكره فقال : متأخر فى زمانه متقدم فى شأنه ، [مع] العلم والعمل والرواية والدراية . من ذوى الاجتهاد فى العباد الزهاد ، مجاب الدعوة . له مناقب يضيق عنها الكتاب ، عالم بالأصول والفروع والحديث ، وغير ذلك من الرقايق • وذكره أبو عبد الله بن أبى صفرة ، فقال : كان فقيه العصر . وقال أبو الحسن : لما رحلت الى الابيانى ، أنا وأبو محمد الأصيلى وعيسى - يعنى ابن سعادة الفاسى - كنا نسمع عليه ، فاذا كان بعد العصر ذكرنا فى[ ][1] ، فتذاكرنا يوما وطال الذكر ، فخصنى بأن قال لى : يا أبا الحسن ، لتضربن اليك آباط الابل من أقصى المغرب . فقلت له : ببركتك ان شاء الله ، ولما نرجوه من النفع بك ان شاء الله . ثم جـرى لى منـه ذلك يوما آخر ، ثم ذاكرنى يوما ثالثـا فى أمر له فقال مثل ذلك ، فقلت له : ببركتك ان شاء الله ، فقال : والله لتضربن اليك آباط الابل من أقصى المغرب .

وعليه تفقه أبو عمران الفاسى وأبو القاسم الالبيرى وغيرهما • وروى عنه أبو بكر عتيق السوسى وأبو القاسم بن الحسارى وابن سمحان وابن أبى طالب العابد والحوى وأبو عمرو بن العتاب وابن محرز وابن سفيان وأبو محمد اللوبى وأبو حفص العطار وأبو عبد الله الخواص وأبو عبد الله المالكى ومكى الفارسى وابن الأجذابى • وروى عنه من الأندلسيين المهلب بن أبى صفرة وحاتم بن محمـد الطرابلسى وأبو عمرو المغربى .

ذكر تواليفه رحمه الله : لأبى الحسن تواليف بديعة مفيدة ككتابه

(١) بياض بالأصل .

« الممهد فى الفقـه » و « أحكام الديانة » و « كتـاب المنقذ من شبه التأويل » وكتابه « المنبه للفطن عن غوايل الفتن » و « الرسالة المعظمة لأحوال المتقين وأحكام المتعلمين والمعلمين » و « كتاب الاعتقادات » و « كتـاب مناسـك الحج » و « كتـاب الذكر والدعاء » و « رسالة كشف المقـالة فى التوبة » و « كتـاب ملخص الموطأ » و « كتـاب رتب العلم وأحوال أهله » و « كتاب أحمية الحصون » و « الرسالة الناضرة فى الرد على الفكرية » و « كتاب حسن الظن بالله سبحانه » و « رسالة تزكية الشهود وتجريحهم » و « رسالة فى الورع » .

ذكر فضايله وخوفه وبقية أخباره : كان أبو الحسن من الخائفين الورعين المشتهرين باجابة الدعوة . سلك فى كثير من أموره مسلك شيوخه من صلحاء فقهاء القيروان ، المتقللين من الدنيا البكائين المعروفين باجابة الدعاء وظهور البراهين . قال بعض أصحابه : كان أبو الحسن — اذا دخل محرابه وانتفخت عينـاه واحمرتا ولجأ الى الله عز وجل ، ورأينا ذلك منه — انتظرنا اجابة دعائه ، وكانت الى ثلاثة أيام . وكان بالمهدية نصرانى ابن أخ لخاصة باديس صاحب القيروان ، فافتض هـذا النصرانى صبية شريفة ، فلما سمعت بذلك العامة رجعوا اليه فقتلوه . وبلغ ذلك باديس ، فعظم ذلك عليه وأرسل قائدا بعسكر الى المهدية وقال لهم : « اقتلوا من هو مد السيف الى فوق » . وبلغ ذلك أبا الحسن ، ودخل المحراب وأقبل على الدعاء فى كشف هذا . فلما وصل القـائد الى « قصر مسور » قرب المهدية بات فيه ، فقام بالليل وهو سكران يمشى على السطح ، فمشى فى الهـوى وسقط على رأسه وانتثر دماغه . وجاءت البرد الى باديس بذلك ، وأعلم بدعاء الشيخ أبى الحسن فرعب لذلك وقال لابن أبى العرب وكبراء رجاله : تمشون للشيخ . فلما ضربوا عليه بابه وأعلم بهم قال : « تمضون للجامع حتى يأتيكم العلماء » ، ولم يدخلهم داره . ووجه الى أصحابه أبى بكر بن عبد الرحمن وأبى عمران الفاسى وأبى القاسم بن الكاتب وأبى محمد اللوبى وأبى عمر

ابن العتاب والخواص وابن سفيان وأبى عبد الله المالكى ومكى القرشى وابن الأجذابى والربعى وابن سمحان وغيرهم وأملى عليهم رسالة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، بالله أستعين وعليه أتوكل . الغوث ، الغوث ، الغوث مما حل للمسلمين من افتيات عليهم . ثم [أمرهم بأن] ينادى بمثل [ذلك][1] . وفى فصل منها : كيف يحل لمن يعتقد الاسلام أن يقوم فى دم كافر اغتصب صبية من سلالة المصطفى صلى الله عليه وسلم ؟ لو انطبقت السموات والأرض من أجل هذا الفعل كان قليلا . وهى رسالة طويلة . وقال لأصحابه : اذا وصلتم الى الجامع فليقرأها واحد منكم على المنبر ممن له صوت . ففعلوا ذلك ، فجعل القواد يقول بعضهم لبعض : والله ما السلطان الا هذا الشيخ .

ذكر اللبيدى أنه رآه قد اجتمع مع عيسى بن ثابت العابد يوما فتذاكرا وبكيا حتى سقط كل واحد منهما على ظهره ، وذكر أن رجلا من أصحاب أبى الحسن غره القمر ليلة فبكر فأخذه الحرس بالقيروان ، فاستغاث به وأعلمهم أنه ضيف أبى الحسن ومن أصحابه ، فلم يلتفتوا اليه وحملوه الى السجن وأودعوه الحديد . واطلع رجل ممن عرفه على ذلك ، فلما أصبح أعلم أبا الحسن بحال صاحبه فقال له : اذهب فأخرجه من السجن وثق بالله ، أو كما قال . فذهب الرجل فدخل السجن حتى وصل الى الرجل دون أن يعترضه أحد ، فوجد الرجل فى ثقل الحديد ، فلم يقدر الرجل على الخروج فى حديده . فرجع الرسول الى أبى الحسن فأخبره ، فقال له : اذهب بحداد يحل عنه . فأخذ الرجل معه حدادا حتى حل عنه حديده فى السجن ، وخرج ثلاثتهم وحراس السجن ينظرون اليهم فلا ينكرون عليهم شيئا مما صنعوه ، وكأنهم لا يرونهم وكأنهم ألقى عليهم النسيان فلم يعرف [أحد] من جهة الحرس من القصة خبرا .

قال أبو عمرو المقرى فى طبقات القراء وذكره فقال : أخذ

---

(١) وردت هذه العبارة مضطربة فى الأصل ، وقد أورد الدباغ فى المعالم هذا الخبر ولكنه أغفلها . « المعالم ج ٣ ص ١٧٦ » فقومتها على هذا النحو

عن ابن الدهن وأقرأ القرآن بالقيروان دهرا ، ثم قطع القراءة لما بلغه أن بعض أصحابه استقرأه الوالى فقرأ عليه ، ودرس الحديث والفقه الى أن رأس فيهما ، وبرع الى أن صار امام عصره وفاضل دهره . وذكر أن أبا الحسن سأل أصحابه يوما فى رمضان عما كان افطارهم عليه ليلة يومهم فأخبره كل واحد منهم بما كان على قدر وسعه ، فقال أبو القاسم البرادعى : أفطرت على ثريدة خروف بها أطراف سلق وحمص وبعد ذلك استجة ، فقال له أبو الحسن : والله يا خلف لا صلحت أبدا ؛ ما اجتمع هذا من حلال قط .

ولم يكن أبو الحسن قابسيا وانما كان له عم يشد عمامته شد القابسيين فسمى بذلك ، وهو قيروانى الأصل . وتوفى أبو الحسن بالقيروان سنة ثلاث وأربعمائة ، ودفن بباب تونس وقد بلغ الثمانين أو نحوها بيسير . وولد فى رجب ، لست ليال مضين منه ، سنة أربع وعشرين وثلثمائة . وكانت رحلته الى المشرق سنة اثنتين وخمسين » .

أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله المالكى

فاذا انتقلنا الى أبى بكر ابنه مؤلف « الرياض » وجدنا أنفسنا وسط صمت يكاد يكون شاملا ، فلا نجد عنه الا مادة قصيرة اختصه بها الدباغ فى المعالم (حـ ٣ ص ٢٣٦ — ٢٣٩) أنفق معظمها فى الكلام على محمد ابن عبد الصمد الفقيه ، فلم يذكر لنا سنة ميلاده أو سنة وفاته أو شيئا صالحا عن حياته ودراسته أو أساتذته ، وانما هى بضعة سطور لا تقدم ولا تؤخر ، وهذا نصها :

« (قال :) [1] كان هو صاحب رياض النفوس المشهور بكتاب المالكى فى طبقات علماء افريقية وزهادها . كان أبو بكر فقيها فاضلا ثقة ، صحب أبا بكر بن عبد الرحمن وهو الذى كان يقرأ عليه الميعاد وانتفع به . (قلت :) [2] يريد أنه الذى يقرأ بلفظه والناس يسمعون ، والله أعلم .

---

(١) اى الدباغ . (٢) اى ابن ناجى .

(قال :) وهو ممن بقى مع أبى عبد الله محمد بن العباس الخواص وأبى عبد الله الحسين بن عبد الله الأجذابى وجماعة من العلماء بقوا بعد خراب القيروان مدة ، وكان خرابها فى أول رمضان سنة تسع وأربعين وأربعمائة . (قلت :) وسبب خراب القيروان اجابة دعاء الشيخ الواعظ عبد الصمد فانهزم سلطان القيروان مع كثرة عساكره وقلة من جاءه . وذلك أنه كان لعبد الصمد هذا ولد اسمه محمد ويكنى بأبى الحسن ، ورد على القيروان ، وكان رجلا صالحا فاضلا واعظا زاهدا صوفيا عالما عاملا ، وكان له مجلس بالجامع الأعظم بالقيروان يجتمع اليه فيه ويسمع كلامه . وله لسان فصيح وقلب قريح كثير الحزن والبكاء والخوف . من أولياء الله عز وجل المنقطعين اليه الخائفين الخاشعين المتبتلين القائمين الصائمين ، قد ركب طريقة من الزهد والورع والخشية وصدق المقال فى الوعظ لم يسلكها فى وقته غيره فطبق ذكره الآفاق وكثر ازدحام الناس اليه فى مجلسه لاستماع وعظه ومالت اليه القلوب والأسماع وكثرت له الأتباع حتى حذره السلطان وخاف على نفسه منه فاستعار السلطان منه بعض كتبه وأظهر أنه أحب مطالعة شىء منها فأرسل اليه بما أحب منها فأقامت عنده أياما ثم أمر بردها فتصفح الواعظ أوراقا منها فوجد بينها سجادة بخط السلطان كأنه نسيها بين أوراق كتابه ، فاذا فيها : زعمت ملوك الفرس وحكماء السير والسياسة أن أهل التنمس والوعظ وتأليف العامة واقامة المجالس أضر الأصناف على الملوك وأقبحهم أثرا فى الدول ، فيجب [عليه] أن يتدارك أمرهم ويبادر الى حسم الأذى منهم . فلما قرأ الواعظ أبو الحسن محمد بن عبد الصمد البطاقة علم أنه أمر استعمل له وقصد به ونبه على الرأى فيه فاستعمل الحج فخرج وخرج معه عامة وخاصة من أهل القيروان ، وأمر له السلطان بزاد . فخرج متوجها الى الحج فى يوم الأربعاء الثانى والعشرين من شهر رجب الفرد الحرام ، سنة احدى وأربعين وأربعمائة ومعه رجال وكلوا به أن يصلوا معه الى مدينة قابس ونهى أن يشيعه أحد أو يخاطبه الخطاب . وكانت الرفقة الخارجة الى مصر قد قرب خروجها فأمره أن ينتظرها بمدينـــة قابس

الى أن يصحبها ، وكوتب عامل قابس وأمر بأن لا يدخل اليه أحد هناك ولا يجتمع عنده اثنان ولا يخرج من المكان الذى ينزل فيه الا يوم سفره فخرج وهو غير آمن على نفسه وأظهر السلطان ما كان يخفيه من أمره وصار من ذكره بخير أو قال فيه جميلا مشخوصا مذموما حتى صار كل من كان يفرط فى مدحه ومودته يظهر الافراط فى ذمه وعداوته خوفا على نفسه من السلطان • قال محمد بن أشرف : ثم اتصل أن الواعظ لما فصل عن مدينة قابس قتله رجل من الأعراب فى طريقه ذلك . قال جعفر بن محمد بن أشرف : لما قتل الواعظ كثر التظنن من الناس على السلطان أنه دس عليه من قتله ، واختلفوا فى الأمر فقوم ينسبون الدس عليه الى السلطان وقوم ينفونه • قال جعفر بن محمد بن أشرف : وبلغنى أنه دخل داخل على أبيه أبى الفضل عبد الصمد ، وكان واعظا فوجده فى آخر مجلسه من الوعظ بجامع ابن العاص بمصر فنعى له ابنه أبا الحسن محمد الواعظ الشهيد وأخبره بسبب قتله • (قال :) فنعل قدمه فى الحين وهو يلبى بالحج من مكانه ذلك ، ولم ينصرف الى منزله • وتبعه خلق عظيم فحج ذلك العام وكان يطوف بالبيت ويتعلق بأستار الكعبة ويصيح ويقول : يا رب « المعز » ، عليك به يارب . عليك بابن باديس . فكانت الهزيمة الواقعة بالقيروان فى اليوم الثانى من حجه ودعائه . وذلك كان أصل خراب القيروان فلم يشك أحد فى اجابة دعائه ، فنعوذ بالله من تغير قلوب أوليائه وأصفيائه • وهذا أصح من نقل عياض عن محمد بن عبد الصمد : « كان من علماء وقته بالقيروان وغلب عليه الزهد وأخذ فى وعظ الناس » الى أن قال : «ففهم ابن عبدالصمد أنه قصد بذلك نفيه ، فاستعمل الخروج الى الحج ، وخرج معه جماعة من علماء المسلمين ثم عاد فأخذت الفتنة بالقيروان • وهذا يظهر ما فيه المخالفة من أنه لم يمت ورجع الى القيروان ، رحمة الله عليه » .

وهذه الترجمة لا تفيدنا فى تعرف حياة مؤلف الرياض ، ولكن بقيتها التى تدور حول حياة الفقيه أبى محمد بن عبد الصمد تلقى ضوءا

على العصر الذى عاش فيه ، فقد كان عصر انقلاب وفتنة متصلة : كان المعز بن باديس قد أظهر خلاف الفاطميين وبادأهم بالعداء ، وكان قد أطلق العنان للسنيين يفعلون بالشيعيين ما يريدون حاسبا أن الأمر يقف عند ارضاء السنيين واكتساب قلوبهم باطلاق أيديهم فى الشيعة شيئا ، ولكن الأمر انقلب الى فتنة كبرى ، وانطلق العامة يخربون ويحرقون ، وأظهر الكثير منهم الكراهية البالغة للمعز بن باديس وبنى زيرى جملة لمؤازرتهم العبيديين وأنصارهم ، وقام الفقيه أبو عبد الله محمد بن جعفر الكوفى فلعن بنى عبيد على منبر القيروان[1] .
فملك الخوف المعز من ناحية الفاطميين فى مصر ، ولم يشك فى أن الأمر مؤد الى خصومة صريحة معهم ، فعول على ايقاف هذه الفتنة وأخذ الثائرين بالعنف والشدة حتى تسكن حركتهم . وكان الفقهاء روح هذه الثورة وقادتها فاشتد معهم وآذى بعضهم وتخوف منهم . وأرصد العيون عليهم وتتبعهم بالأذى وسعى فى التخلص من كبارهم كما فعل مع الشيخ أبى محمد بن عبد الصمد : لم يطمئن الا بعد أن رحل الى المشرق ، بل يقال انه دبر قتله كما رأينا .

وليس الى الشك سبيل فى أن العصر الذى عاش فيه أبو بكر المالكى كان أزهى عصور افريقية الاسلامية حضارة وأوفرها بالخير والعلم والفن والسلام والرخاء ، ومع أننا لا نعلم تاريخى ميلاده ووفاته الا أننا نستطيع القول انه حضر عصر باديس بن المنصور (٣٨٦—٤٠٦هـ/٩٩٦—١٠١٦م.) والمعز بن باديس (٤٠٦ — ٤٥٣ أو ٤٥٤ هـ ./١٠١٦ — ١٠٦٢ م.) وربما يكون قد عاش فترة من عصر المنصور بن بلكين (٣٧٣—٣٨٥هـ./ ٩٨٤ — ٩٩٦ م.) وتميم بن المعز ٤٥٤ — ٥٠١ هـ ./١٠٦٢ — ١١٠٧ و ١١٠٨ م.) أى عصر ازهار الدولة الزيرية وبلوغها أوج حضارتها وقوتها من كل ناحية .

وكتب التاريخ فياضة بالتفاصيل عن مظاهر رخاء افريقية وقوة الدولة

---

(١) المعالم جـ ٣ ص ٢٤٣

الزيرية فى عهدى باديس بن المنصور والمعز بن باديس ، وكتب الأدب غنية بالمعلومات كذلك ، فقد ذكر ابن عذارى أنه قداجتمع بباب المعز بن باديس مائة شاعر[1] . ولكن هذا الازهار الأدبى كان من ناحية الكم لا من حيث الكيف ، والا فكيف لم يبق لنا من آثار أولئك الشعراء كلهم الا نزر يسير لا يدل الا على شاعرية متوسطة ؟ أما من ناحية الدراسات الأدبية فكان العصر عصر ازهار صادق ، ففيه عاش الحسن بن رشيق صاحب « العمدة » وأبو اسحاق ابراهيم بن على الحصرى القيروانى صاحب « زهر الآداب » والحسن بن عبد الله المعروف بملك النحاة ، وابن شرف الأديب الكاتب ، وعاش فيه الفقهاء الذين ذكرنا بعضهم فيما سلف ، وكان كذلك عصر الرخاء العظيم والثروة الموفورة . وقد بلغ ذلك الازهار أوجه فى عهد المعز بن باديس واسطة عقد أمراء بنى باديس وأحسنهم شخصية وأوسعهم ذهنا وأرعاهم للعلم والمعرفة وأعرفهم بما ينبغى للدول من جهد ورعاية .

هذه هى الصورة التى تقدمها لنا كتب التاريخ . أما كتب الطبقات وسير الفقهاء ككتاب الرياض الذى نحن بصدده، و «طبقات علماء افريقية» لأبى العرب تميم وتلميذه الحارث بن أسد الخشنى و «معالم الايمان» للدباغ وتعليقات ابن ناجى عليه و «مدارك» القاضى عياض بن موسى اليحصبى، فتعطينا صورة أخرى للمعز وعصره ، صورة تكمل الأولى وتوازنها وتخفف من مبالغات المؤرخين : فنحن نرى باديس وابنه المعز من خلال هذه الكتب يقيمان على الخوف من كبار الفقهاء ومن التف حولهم وينطويان على الحذر منهم ولا تكاد تسنح فرصة للفقهاء للنيل منهما الا ابتدروها ، وكان باديس على الخصوص موضع ريبة بالغة ، ينظر اليه الفقهاء فى شك وحذر ولا يذكرونه بالخير فى حلقات دروسهم ، وكان باديس يكرههم ويجتهد فى تفريق صفوفهم والايقاع بينهم ، ويبذل جهده فى اجتذاب كبارهم نحوه دون جدوى ، حتى وصفه بعضهم « بالمشرك » وجاهره بالعداء ، وكانت بينه وبينهم مواقف وحوادث بطش ببعضهم

(١) جـ ١ ص ٣٠٦

فيها فامتلأت قلوب الناس سخطا عليه ، لأن الفقهاء كانوا كما قلنا روح الشعب الافريقى فى ذلك الحين ، فلما صار الأمر الى المعز بن باديس خفت خصومة الفقهاء لبيت بنى زيرى ، لأنه كان أرق قلبا وأميل الى العلم والسلم من أبيه ، ولأنه كان كذلك أكيس وأسوس ، فرأى أن يكسب عطف رعيته ولو على حساب العبيديين ، فانقلب على الشيعيين وأباح للنـاس دماءهم ، فكانت الفتنة • ثم انه خاف مغبتهـا وخشى الفاطميين فأحب أن يكبح جماح الناس ولجأ الى القوة والعنف واشتد على الفقهاء ، فخسرهم من جديد ولم يطمئنوا اليه بعد ذلك ، وأقام على الخوف من رعيته بعـد ذلك ما عاش • ولم يلبث غضب الفاطميين عليه أن تجلى ، ووقعت الخصومة السافرة بين الدولتين ، ولم يزل أمرها يشتد حتى رمى وزراء الخليفة المستنصر المعزّ ودولته وافريقية والمغرب كله بجموع البدو من بنى هلال وسليم ورباح وزغبة والأثبج ، فكان على يديها خراب المغرب وزوال دولة بنى زيرى فى القيروان • وشـهد المعز بن باديس خراب بلاده بعينه وهو يقضى ساعاته الأخيرة محاصرا فى المهدية دون أن ينهض للدفاع عنه أو عن دولته أحد من أهل افريقية ، فقد كانوا يكرهونه ويكرهون دولته اذ كان الفقهاء قد حرصوا أشد الحرص على تأليب القلوب عليه وتنفيرها منه •

كان العصر ، اذن عصرا مضطربا قلقا فياضا بأسباب الخوف ، على خلاف ما يقول المؤرخون من أمثال ابن عذارى والنويرى ومحمـد الباجى ومن أخذ عنهم من المحدثين • وقد عاش أبو بكر المالكى فى ذلك العصر وشهد حوادثه وشارك فيها ، فقد كان فى صفوف الفقهاء المعادين للدولة ، بل كان التلميذ المقدم لأكبر رجال ذلك العصر أبى عبد الله أحمد بن عبد الرحمن[1] ، شيخ فقهاء هذه الفترة • وسيرة حياته تعطينا صورة واضحة جدا عن هذه الناحية من نواحى عصر المعز بن باديس ، أعنى ظاهرة النزاع المستمر مع الفقهاء وبالتالى مع أهل البلد ، والقلق

(١) المعالم جـ ٣ ص ٩٣

الذى كان يخامر المعز بن باديس من هذه الناحية ، واليك هذه السيرة كما يرويها الدباغ مع تعليقات ابن ناجى عليها :

« قرأ على الشيخ أبى سعيد بن أخى هشام ، ثم على الشيخ أبى محمد ابن أبى زيد ، ثم لزم الشيخ أبا الحسن القابسى وانقطع اليه حتى لم يكن فى أصحابه مثله ، وأباح له أبو الحسن الفتيا فى حياته وعرض عليه أن يقاسمه فى جميع ما يملكه فامتنع . وسمع أيضا من أبى بكر الزويلى وأبى محمد عبد الله بن أحمد الصدفى وأبى جعفر بن عبد الله الكاتب وأبى الحسن بن أبى بكر وأبى محمد بن البادسى ، ثم رحل الى المشرق سنة سبع وسبعين وثلاثمائة فلقى أبا بكر عتيق بن موسى الحاتمى المصرى وأبا بكر محمد بن بكر العالى وأبا القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الجوهرى وغيرهم وكلهم أجازوه اجازة عامة وانتفع به الناس وكان أصحابه نحو المائة والعشرين كلهم يقتدى بهم . (قلت) : منهم أبو القاسم بن محرز وأبو حفص العطار وعبد الواحد الكفيف وأبو اسحاق التونسى وأبو القاسم السيورى وأبو الفضل بن بنت خلدون وأبو عبد الله محمد بن سعدون وأبو محمد عبد الحق وأبو حفص عمر ابن طيون وأبو بكر عبد الله بن محمد المالكى .

ذكر ثناء العلماء عليه : قال ، كان أحد الفقهاء المبرزين والحفاظ المعدودين ، أجمع أهل عصره على أنه لم يكن فى وقته أحفظ منه مع اجتهاد فى العبادة مع قيام الليل وصيام النهار ورقة القلب وغزارة الدمع وكثرة الصدقة واجابة الدعاء . وقال أبو الحسن القابسى : ان ذُكر العابدون فأبو بكر عبد الرحمن أولهم ، وان ذكر المجتهدون فأبو بكر أولهم ، وان ذكر المتفقهون فأبو بكر أولهم . وقال أبو القاسم السيورى : ما رأيت أبا بكر بن عبد الرحمن أخطأ فى مسألة واحدة من المدونة . وقال أبو بكر : لو عدمت المدونة لكتبتها من صدرى . (قلت) : وكذلك قال فى كتاب ابن المواز حسبما تقف عليه . وقال بعضهم : ما زال الذكر ورئاسة الدين [له] فى وقته مع صاحبه أبى عمران الفاسى فى المغرب حتى لم يكن لأحد معهما اسم يعرف .

ذكر عبادته وصدقته وإجابة دعائه وقلة هيبته للسلطان : قال ، كان يمشى للمنستير كل سنة فى رمضان فكان طول رمضان لا ينام الليل ، وكان يصوم الدهر فلا يفطر الا الأيام المحرمة الصوم ، وكان كثير الصدقة لا يخلو ميعاد من صدقة أبدا • وروى أن رجلا تكلم فى عرض الشيخ أبى بكر فقال : اللهم أره فى فمه العبرة ، فأصاب الرجل الفالج فاعوج منه فمه • ودعا على جعفر بن الكوفى فقال : اللهم لاتمهله ، فمات تلك الليلة • ودعا على رجل ظالم كان يغصب الناس فأصابه اسفجون فمات من الغد • (قلت :) وحكى الشيخ الفقيه الامام أبو بكر بن محمد الوليد الطرطوشى فى كتابه المسمى بسراج الملوك ، قال : أخبرنى شيخ قديم كان يصحب العلماء بالقيروان يقال له جرير ، قال : أخبرنى عبدالكافى الديباجى قال : رأيت بالقيروان آية عظيمة : وذلك أن رجلا جاء بصبى قد أسكت ولم يتكلم ، فدخل به الى الفقيه أبى بكر بن عبد الرحمن وأخبره أنه لايتكلم منذ أيام وسأله أن يدعو الله أن يفرج ما به ، قال : فدعا له ساعة ثم مسح على وجهه فاستفاق ، فقال له : قل لا اله الا الله ، فقال الصبى : أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، ثم التفت الى أبيه وقال له : اكتمها حتى أموت . فلما كان عند وفاة الشيخ أبى بكر بن عبد الرحمن واحتف الناس بجنازته قام الرجل وساق لهم القصة كما ذكرنا • قال ، روى أنه قال يوما للمعز بن باديس وقد أراد أن يبعثه رسولا الى صقلية : والله ان أقلامنا لأمضى عند الله من رماحك • ودس اليه المعز يوما من كتب سؤالا نصه : ما يقول الفقيه فى هذه الطرز التى فيها أسماء بنى عبيد مثل الظاهر والحاكم وغيرهما مما يلبس ، أيصلى فيها ؟ فكتب الشيخ أبو بكر جوابا : هذا سؤال أحمق أخرق قليل المعرفة • وكتب الشيخ أبو عمران الفاسى جوابا عن هذا السؤال : انما يجب على من بسط الله يده أن يمنع من ذلك • فشق على السلطان جواب الشيخ أبى بكر فأرسل اليه والى الشيخ أبى عمران فقال للشيخ أبى بكر : لم أجبت بهذا ؟ فقال : لأن السكة تضرب بأسمائهم وبنودهم تخفق على رأسك • فقال السلطان : ما أبقيت

السكة والبنود الا مداراة لأجل حجاج بيت الله الحرام والمسافرين • ثم قال السلطان : ألم أقتل المشارقة ؟ ألم أفعل كذا ؟ ألم أفعل كذا ؟ فقال الشيخ أبو بكر : فعلت وبقى عليك ، أتأذن لى أن أتكلم ؟ قال له السلطان : لا ، ثم عطف عليه الشيخ أبو عمران فقال له : لم لم تكتب بمنع ذلك ؟ (قلت) : فالشيخ أبو عمران أعان بكلامه هذا أبا بكر ولذلك قيل كان بينهما تباعد جدا حتى طمع بذلك المعز فيهما ليجرى الحجة على العامة بشهادة أحدهما على الآخر اذ كانت العامة طوعهما • فلما اختبرهما بذلك لم يجد عندهما ما يوافقه ووجد ما بينهما أمتن مما يظن • قال ،وبعث اليه المعز يوما رسولا فقال له : يقول لك المعز : هل أنا عندك مسلم أم كافر ؟ فقال للرسول : قل له : تتبع العلماء هذا التتبع وتستقصى عليهم ؟ والله لئن لم تتركنى لأعرضنك على الله عز وجل ، فلم يعرض له بعد ذلك بشىء •

ذكر بقية أخباره : يذكر أن أصحاب أبى بكر تعجبوا من حفظه فاتفقوا على اختباره ، فلما كان من الغد أخذوا غير الكتاب الذى يتذاكرون فيه ، وكانت مذاكرتهم اياه فى كتاب ابن المواز ، فلما قرأوا الكتاب قال لهم الشيخ : ليس كتابنا هذا ، فتجمعوا عليه وأروه أنه هو الذى حضروا للمذاكرة فيه أولا ، ففطن الشيخ لمرادهم وأخذ الكتاب فى يده ونظر فيه ثم طواه وألقاه عليهم من حفظه وقال : علمت ما أردتم ، لو عدمتم هذا الكتاب لأمليته عليكم من حفظى • قال ، ورأت أمه وهى حامل به كأنها حاملة بالنبى صلى الله عليه وسلم ، ورأى الشيخ أبو بكر كأن مالك بن أنس خلق فى داره ، وقال أبو عبد الله بن سعدون : رأيت فى المنام كأن قائلا بين السماء والأرض أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول : ألا ان ابن عبد الرحمن قد ورث حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كررها مرتين أو ثلاثا ، وأنه من أهل الجنة ؛ فذكرتها للشيخ فدمعت عيناه • (قلت) :وقال ابن سعدون أيضا : أخبرنا الشيخ أبو بكر أنه كان رأى فى المنام كأن قائلا يقول له : اكتب اسمك فى ذلك اللوح الذى فيه أسماء العلماء فانظر فيه الى اسم مالك فاكتب اسمك تحته

أو بجواره . قال ، وقال أبو حفص بن الشامى المتعبد : كان بينى وبين الشيخ أبى عمران الفاسى اختصاص ومودة ، وكان له فى قلبى موضع عظيم من الجلالة لعلمه وفضله ودينه ، ثم نظرت الى الشيخ أبى بكر بن عبد الرحمن فرأيته شيخا جليل القدر فبقيت متعجبا من اختلافهما فرأيت ذات ليلة من الليالى فى المنام قائلا يقول : ابن عبد الرحمن من الموفقين ، ابن عبد الرحمن من الأبرار ، ابن عبد الرحمن من المجتهدين .

ذكر وفاته رحمه الله: قال ، توفى يوم الاثنين لثلاث بقين من شوال سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة . (قلت) : كذلك قال أبو عبد الله محمد ابن سعدون وأبو اسحاق الشيرازى ، وقال غيرهما : توفى سنة خمس وثلاثين . قال ، وصلى عليه ولده بالريحانية فى جمع لا يحصون وكسرت تحته نعوش كثيرة وقطع السلطان بعض الأيدى لعدم تسليمهم للنعش وعصيانهم لأمره ، ودفن بباب تونس الى جانب أبيه عبد الرحمن . (قلت) : فقبر الشيخ أبى بكر بن عبد الرحمن من جهة القبلة والسارية التى عند رأسه مكتوب فيها اسمه ، ووالده عند رأسه سارية أيضا مكتوب عليها ؛ وكلاهما مزار . قال ، وكان الناس يخرجون الى قبره بالمشاعل والشموع ليالى عدة حتى منعهم السلطان من ذلك . (قلت) : ومسجده مسجد كبير قرب سور البلد بحارة الغرانطة ، اذا دخلته ترى فيه أنوارا وهيبة تعرف أنه مسجده ، رحمه الله تعالى » .

ونحن نجد نماذج من هذا الصراع فى تراجم كبار فقهاء ذلك العصر من أمثال أبى على حسن بن خلدون البلوى زعيم أهل السنة الذى أرسل المعز طائفة من جنده فقتلوه فى مسجده فى شوال سنة ٤١٢هـ . / ١٠٢١م . « فارتجت المدينة وثارت الصيحة من نواحى القيروان ، فمال أهل المنصورة من الرجال والعبيد فنهبوا جميع ما فى حوانيتها حتى لم يدعوا حانوتا ، وألقيت النار فى كبار الأسواق ونهبت أموال التجار »(١) . ونجد صورا من العداوة بين المعز والفقهاء فى تراجم أبى اسحاق ابراهيم

---

(١) المعالم جـ ٣ ص ١٩٣

ابن حسن بن يحيى المعافرى التونسى وأبى القاسم السيورى الذى يسميه الدباغ « آخر طبقة من علماء افريقية وخاتمة أئمة القرويين »[1] وأبى عمران الفاسى الذى طرد من داره ابن عطاء اليهودى طبيب المعز وخاصته فلم يسع المعز الا السكوت ، لما كان للشيخ من عظيم المكانة بين فقهاء السنة ، وغير هؤلاء كثيرين ممن صارحوا المعز بالعداء ولم يثقوا فى عودته الى السنة ، بل كان بعضهم يتمنى زوال دولته . وقد رأينا كيف أن الدباغ يجعل زوال دولة بنى زيرى على يدى بنى هلال استجابة من الله لدعوة الفقيه الواعظ ابن عبد الصمد[2] بزوال ملكهم وتبدد أمرهم .

فى هـذه الفترة المضطربة الحافلة بالقلاقل عاش أبو بكر المالكى ، وحضر ذلك الصراع المستمر بين الفقهاء وعلى رأسهم شيخه أحمد بن عبد الرحمن والمعز بن باديس ، وشهد قبائل بنى هلال تقبل على افريقية كأرجال الجراد تخرب ما فى طريقها ، ورأى كيف حاول المعز أن يكسب الهلالية الى جانبه فحاول الاتفاق مع شيخهم مؤنس بن يحيى الرياحى فلم يفلح ، وأحس بالخطر المحدق بدولتـه فلجأ الى المهدية واعتصم بأسوارها وترك الهلاليين يخربون البلاد ويقتحمون القيروان ويحيلونها قاعا صفصفا[3] ، فيتفرق عنها من استطاع النجاة من أهلها ، ولم يتبق فيها الا قلة من الناس والفقهاء فيهم أبو بكر ونفر من الشيوخ يذكر الدباغ منهم أبا عبد الله محمد بن العباس الخواص وأبا عبد الله الحسين ابن عبد الله الأجدابى ، وربما اشترك معهم فى اعادة بناء ما استطاعوا بناءه من المدينة التى أحالها الهلاليون خرابا يبابا فى بضع سنوات .

ولا ندرى كم من السنين عاش أبو بكر بعد ذلك ، ولا ندرى كذلك شيئا من نشاطه خلال هذه السنين ان كان قد عمر بعد ذلك سنوات . وعلى أى الأحوال فقد كان أبو بكر من رجال هذه الطبقة الأخيرة من علماء القيروان الذين ختم بهم ذلك العصر الزاهر قبيل خرابها على أيدى

---

(١) المعالم جـ ٣ ص ٢٢٥ (٢) المعالم جـ ٣ ص ٢٣٦

(٣) النويرى جـ ٢٢ ص ١٤٣

الهلاليين والتى يصفها الدباغ بقوله[1] : « ثم انقضت هذه الطبقة بعد الخمسمائة سنة ، ولم يبق بالقيروان من له اعتناء بتاريخ ، لاستيلاء مفسدى الأعراب على افريقية وتخريبها واجلاء أهلها عنها الى سائر بلاد المسلمين وذهاب الشرائع بعدم من ينصرها من الملوك الى أن منّ الله على الناس بظهور دولة الموحدين فوضحت بها معالم الدين وسبل الحق ورسوم الشرع ، فظهر بظهورها بافريقية العلماء والصلحاء وذلك فى سنة الأخماس ، سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، والله تعالى أعلم » .

كان أبو بكر المالكى ، اذن ، أحد رجال ذلك الجيل الأخير : عاش فى ظل علماء كبار انتهى اليهم أوج الفقه فى افريقية ، وتتلمذ لأحمد بن عبد الرحمن كما تتلمذ أبوه للقابسى . ولم يكن أبو بكر — فيما يظهر — ذا شخصية كبيرة ، فطغت عليه شخصية شيخه فظل بقية عمره فى الطبقة الثانية من علماء عصره ، ولم يلتفت اليه المؤرخون وأصحاب التراجم ، وانصرفت همته الى التدوين والتأليف . ولا نعرف اذا كان قد ألف شيئا غير « الرياض » ، ولكن تأليفه اياه على أى حال دليل على اتساع علمه واطلاعه على كل ماكتب فقهاء افريقية قبله . وسترى عند كلامنا على مراجع الرياض أن الرجل كان واسع الاطلاع ، لم يكد يفوته شىء من أمهات الكتب التى عرفها العالم الاسلامى اذ ذاك .

ويمتاز أبو بكر المالكى بأمانة تامة ، فيندر أن ينقل جزءا دون أن ينسبه الى صاحبه ، وقلما نجد فيه رأيا غير منسوب ، وهذا يكشف لنا عن ناحية خلقية فى الرجل ، فقد كان شديد التواضع لايكاد يذكر نفسه ، ولا يكاد يعنى بتسجيل رأى خاص له ، ففى سياق هذا الجزء الأول من الكتاب لم يدل برأى شخصى الا مرة واحدة .

أما عن سنة وفاته ، فقد رأينا أن أحدا لم يعن بتسجيلها ، حتى الدباغ اكتفى بالقول بأن أبا بكر كان فيمن بقى فى القيروان بعد خرابها سنة ٤٤٩ هـ . / ١٠٥٧ م . وقد وقع فى ظنى أول ما قرأت قول الدباغ فى سياق

---

(١) المعالم جـ ٣ ص ٢٥٢

الكلام عن أبى عبد الله المالكى أن بعض الناس يقولون انه توفى سنة ٤٣٨ وبعضهم يقول انه توفى سنة ٤٩٤ — أن السنة الأخيرة هى سنة وفاة أبى بكر ، ولكنى استبعدت أن يكون الابن قد عاش بعد الأب ستا وخمسين سنة ، وغلب على ظنى أنه تعليق من الناسخ ، وأن صحة الرقم ٤٤٩ هـ وأيد ذلك عندى أن هذه السنة الأخيرة هى سنة خراب القيروان التى يعنيها الدباغ فى نصه الآنف الذكر ، ولا يبعد أن يكون أبو بكر قد مات فيها ، ولا يبعد كذلك أن يكون قد عاش بعدها سنوات ؛ وعلى أى الأحوال فنحن لانسمع عنه بعد ذلك .

ثم اننى وجدت المؤلف يشير مرة الى حادث وقع بعد سنة ٤٥٣ هـ فاستدللت من ذلك على أنه عاش وكتب كتابه بعد هذه السنة ، ومن ثم فلا يمكن القول بأنه توفى سنة ٤٤٩ هـ . أو بعدها بقليل ، وكل ما يمكننا قوله هو أنه توفى بعد سنة ٤٥٣ هـ[1] .

وقد تفضل أستاذنا حسن حسنى عبد الوهاب باشا فأهدانى صورة الصفحة الأخيرة من كتاب فى مكتبته الزاخرة مكتوبة بخط أبى بكر المالكى نفسه ، فرأيت أن أنشرها ، ويجدها القارىء بين اللوحات . وخط المالكى — كما يرى — عسير القراءة ، وفيما يلى عبارة هذه الصفحة :

١ — سمعت جميعه على [ابن عبد ا]لرحمان[2] وسمعه يحيى وعلى وعباس .

٢ — « قرأ جميعه على الشيخ الجليل أبى عبد الله الحسين بن عبد الله ابن عبد الرحمن الاجدابى .

٣ — « بحضرة عمر بن أبى الطيب ؟[3] وحضرة محمد بن أبى أحمد التميمى[4] وختمه على [ ][5]

(١) راجع ص ٢٥٣ من الكتاب .

(٢) هذا الاسم عسير القراءة جدا ، وقد رايت ان اكمله على هذا النحو

(٣) كلمة عسيرة القراءة . (٤) الأصل هنا ممحو تماما .

(٥) الغالب أن المراد هنا ابو العرب .

٤ — « عبد المعطى بن عبد الرحمن القماحى وعتيق بن على بن سودان القرشى ومحمد بن فتوح الشواذكى

٥ — « وأبو حفص بن حسن بن يحيى الجواهرى

٦ — « قرأ جميعه عبد الله بن محمد المالكى على الشيخ أبى عبد الله الحسين بن عبد الله بن عبد الرحمن وسمعه

٧ — « عثمان بن عمر الأصبحى وعبد الأعلى بن عبد الواحد الأزدى وعبد الرحمن بن محمد اللخمى ومحمد بن الشيخ أبى

٨ — « عبد الله رضى الله عنه وذلك فى محرم سنة سبع وعشرين وأربعماية صح »

وكثير جدا من الأسماء الواردة هنا لم أعثر عليه فى كتب التراجم ، والغالب أنهم كانوا من زملاء أبى بكر فى الطلب .

وقد قلت ان أبا بكر المالكى كان واسع الاطلاع ، واستندت فى ذلك الى أسماء الكتب الكثيرة التى ذكر فى سياق الكلام انه رجع اليها ، وأنا أوردها فيما يلى ، لأنها تعين لنا فى نفس الوقت ، مراجع الرياض :

« مسند » محمد بن سنجر .

« فوائد » أبى العلاء الكوفى .

« تصانيف » ابن وهب .

« مدونة » سحنون .

« موطأ » مالك بن أنس .

مصنفات أبى داوود ومسلم والنسائى .

« الطبقات » لمحمد بن سحنون .

كتاب ابن عبد الأعلى .

كتاب ابن المبارك .

« مجالس » سليمان بن سالم .

« كتاب الجزية » لابن الجهم .

« المجموعة » لابن عبدوس .

وسيجد القارىء فى فهارس الكتاب كله فى نهاية الجزء الثانى ثبتا

وافيا بمراجع الرياض ، وقد ذكرت هنا ما ورد فى الجزء الأول فحسب ، كدليل على سعة اطلاع الشيخ أبى بكر .

أما الأعلام الذين أسند اليهم أخباره فكثيرون جدا ، وقد رأيت أن أعمل بهم ثبتا فى نهاية الكتاب كله باذن الله .

§ ٤ ـ مخطوطا الرياض :

وجدنا من ذلك الكتاب مخطوطين : الأول يشمل الجزءين الأول والثانى معا ، والثانى يشمل الجزء الثانى فقط . وقد رمزت للأول بحرف « ب » لأنه فى المكتبة الأهلية بباريس ، والثانى بحرف « ق » لأنه فى دار الكتب الملكية المصرية .

ا ـ نسخة باريس (ب)

جاء فى وصف هذه النسخة فى فهرس المخطوطات العربية فى المكتبة الأهلية بباريس :

« مخطوط رقم ٢١٥٣ كتب عربية

رياض النفوس : تاريخ ترجمى[١] للقيروان وافريقية (تونس والنواحى المجاورة لها) من الفتح العربى لهذه البلاد سنة ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م . تأليف أبى بكر عبد الله بن محمد المالكى .

يقول المؤلف انه يهتم بصفة أساسية فى هذا الكتاب بالفقهاء والزهاد ، ولكننا كثيرا ما نجد فى مواده ، التى يبلغ بعضها حدا عظيما من الطول ، معلومات هامة عن تاريخ افريقية .

مخطوط مبتور من أوله ومن آخره ، يرجع تاريخه الى سنة ٧٢٩ هـ/ ١٣٢٩ م . وقد نقله ناسخه عن أصلين للكتاب ، تاريخ أولهما ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ ـ ١١٥٠ م . والثانى ٦٠١ هـ / ١٢٠٤م .

مكتوب على ورق ، عددأوراقه ١٠٨ ، طول الصفحة ٣٥ سنتيمترا

---

(١) ترجمت بهذا قول المفهرس ، وهو البارون دى سلان : *histoire biographique* ، أى تاريخ على صورة تراجم .

وعرضها ٢٦ سنتيمترا ، فى كل صفحة ٣٥ سطرا وكان رقم المخطوط حسب الترقيم القديم لكتب الدار ٧٥٢[١] » .

وظاهر من هذا الوصف أن مفهرس المخطوطات حسب أن المخطوط لا يضم الا الجزء الأول من الرياض ، ولم ينتبه الى ماورد فى ص ٦٠ من المخطوط : « وهذا آخر الجزء الأول من أحد الأصلين المنقول عنهما ، وهذا هو أول الجزء الثانى » ، مما يدل بوضوح على نهاية الجزء الأول وبدء الجزء الثانى .

وفى آخر المخطوط — أى فى آخر الجزء الثانى — نجد عبارة تعرفنا بناسخه ، وهذا نصها : « وهذا آخر ما وجدته من كتاب رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وافريقية وما يليها من بلدانها ومراسيها وحصونها وسواحلها وعبادهم ونساكهم وفضائلهم وتاريخهم ، تأليف أبى بكر عبد الله المالكى رحمه الله تعالى ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه وأزواجه وسلم تسليما ، وهو آخر كتاب رياض النفوس ، كتبه عبد الله وأقل عبيده [٢] عثمان بن أبى بكر بن محمد بن أبى بكر بن أيوب حامدا الله تعالى ومصليا على نبيه صلى الله عليه وسلم[٣] . تم فى مدة آخرها رابع عشرين رجب سنة سبع وعشرين وسبعمائة . نقلت من نسختين مختلفتى[٤] الأصل احداهما تاريخها سنة أربع وأربعين وخمسمائة والأخرى قال [ناسخها] كتبها الفقير الى ربه تعالى يحيى بن مفرج بن معين بن المبارك بمكة شرفها الله تعالى فى ربيع الآخر سنة احدى وستمائة . وكتب هذه النسخة لنفسه ولمن شاء الله تعالى بعده أقل عبيد الله عثمان بن عمر فى مدة آخرها سبع وعشرين وسبعمائة ، أحسن الله تعالى خاتمتها » .

وهذه العبارة تدعو الى الثقة فى النسخة التى بين أيدينا ، فصاحبها

---

(١) M. le Baron de Slane. *Catalogue des Manuscrits arabes de la Bibliothèque Nationale*. (Paris 1883) vol. I. p. 381.

(٢) فى الأصل : و « ابن عبيده » ، وفى مقابل هذا السطر فى الهامش : « واقل » ، فصوبتها هكذا .

(٣) فى هامش الأصل : على آله وصحبه . (٤) فى الأصل مخلفى .

يقرر صراحة أنه نقل عن نسختين كتبتا فى تاريخين متقاربين بعض الشىء وفى زمن متأخر عن تاريخ تأليف الكتاب . ومن الواضح أن واحدة من هاتين النسختين لم تكن بخط المؤلف ، بل ان ثانيتهما على الأقل لم تنقل من نسخة المؤلف نفسه ، بل كتبتا عن نسخة أخرى ، والى هذا يرجع التصحيف الكثير الذى تقابله فى نسختنا تلك ، لأن السياق يدل على أن عثمان بن عمر صاحبها كان يتحرى الدقة قدر المستطاع ، ولم يهمل مرة واحدة الاشارة فى الهامش أو فى المتن الى ما قابله من الخلاف بين النسختين اللتين يأخذ عنهما ، واذا كنا نأخذ عليه شيئا فهو السهو الكثير الظاهر ، وقد استدرك هو على نفسه بعض سهواته وصحح المتن فى الأصل أو فى الهامش ، وغفل فى مناسبات أخرى .

وقد كانت هذه السهوات أشد صعوبة اعترضتنى أثناء العمل فى ذلك الجزء الأول ، لأننى آخذ عن مخطوطة وحيدة ، ولا أجد بين يدى ما أراجع عليه ، ويزيد فى هذه الصعوبة أن الناسخ أهمل فى بعض الأحيان فقرات كاملة لا يشعر الانسان بنقصها الا اذا كان شديد اليقظة والحذر ، وقد استعنت فى العمل « بطبقات علماء افريقية » لأبى العرب تميم التميمى والحارث بن أسد الخشنى (طبعة ابن شنب) و « مدارك » القاضى عياض بن موسى اليحصبى (مخطوط دار الكتب المصرية) و « معالم الايمان » للدباغ وتعليقات ابن ناجى عليها (طبعة تونس سنة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م) ، واستطعت بذلك أن أستكمل الفقرات الناقصة فى بعض الأحيان وأن أقوم النص فى أحيان أخرى ، واكتفيت بالاشارة الى النقص فى الأجزاء التى لم أستطع اكماله فيها ، وقد نبهت الى ذلك كله فى مواضعه فى سياق الكتاب .

ثم تلى عبارة الختام حكاية قصيرة نبه الناسخ الى أنها « ليست من كتاب رياض النفوس ، ولكنها حكاية حسنة » ، وسيجدها القارىء فى نهاية الجزء الثانى فى موضعها .

ونجد بعد ذلك عبارتين تعطياننا فكرة عن تاريخ نسختنا ، وهذا نص الأولى :

« رم هذا الكتاب المبارك العبد الخاطىء الياس باسم خورى بن

البحرى ، الرب الإله يذكر من يذكره بالرحمة ، بتاريخ سنة ألف وخمسين للهجرة » ، ويلى ذلك عبارة هذا رسمها وادمن / ٧١:٩ لم أعرف المقصود منها . أما العبارة الثانية فهذا نصها : « وكان المعتنى فى رم هذا الكتاب المبارك الأب الأقدس والدنا المقدس الأب الخورى ذياب ذياب[1] بن واكيم من قرية بعز (؟) من عمل حصن الأكراد والأخ الشيخ أبو واكيم من قرية جبرايل ، طالبين[2] الأجر والثواب من الملك الوهاب ، غفر الله لهما ولوالديهما ولمن قرأ ، والرحمة عليهم آمين » .

وتدل هاتان العبارتان على أن أساس الايمان الدينى فى الحقيقة واحد ، وأن المؤمنين الصادقين من كل ملة يتلاقون آخر الأمر عند نقطة واحدة هى الرغبة فى الوصول الى الله سبحانه وتعالى والاحساس الكامل المتصل بوجوده وبواجب الرعاية لحقوقه والخوف المتصل من عقابه : فهذا الكتاب الذى جمع فيه صاحبه أطرافا من سير نفر من أشد المسلمين تمسكا بدينهم وأدقهم فهما لروحه لقيت كلماته صدى واستجابة فى نفوس رهبان وقساوسة من أهل الشام ، بل لقد ضاع ما كان عند المسلمين من نسخه ولم تبق الا هذه النسخة التى احتفظ بها هذان القسان ذياب بن واكيم وأبو واكيم !

ولولا عناية هذين الحبرين الكريمين لضاع كتاب « الرياض » ولاندثرت معالم طائفة كبيرة من أعلام المسلمين فى المغرب .

والصفحة الأولى من مخطوطة باريس هذه تحمل عبارات عربية ولاتينية تعطينا معلومات طيبة عن تاريخ هذه النسخة ، وهذه هى :

أولا : العبارات العربية ، بخط مشرقى :

عنوان الكتاب فى أعلى الصفحة وهو :

[مختـ]ـصر كتاب رياض النفوس فى طبقات علما
قيروان وافريقية وما يليها من بلدانها
ومراسيها وحصونها وسواحلها وزهادهم وعبادهم
ونساكهم وشىء من أخبارهم وفضائلهم وتا[ريخ و]فاتهم

---

(١) كذا فى الأصل .
(٢) فى الأصل : طالبى .

[تأليـ]ـف الشيخ أبى بكر عبد الله بن الشيخ أبى عبد الله محمد المعروف بالمالكى رضى الله تعالى عنه

وعنا وعن جميع المسلمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى صحبه وسلم .

وتحت هذه العبارة الى اليسار بخط مائل :

« فى نوى » (؟)

« محمد بن عمر »

وتحتها فى الوسط تقريبا بخط مائل الى اليسار :

« ملكه من فضل الله تعالى

« محمد بن العبد الفقير اليه تعالى

« بركات الاقبالى الحامولى[1]

« صلى الله تعالى عليه وعلى من دعا له

« من المسلمين آمين » .

والى يسار هذه العبارة بخط فارسى :

« نظرت هذا الكتاب أجمع

« فوجدته غاية فى بابه جليلا

« بين أضرابه نفع الله به مؤلفه

« وناظره وجسته

« على رضى منى . محمود بن على [ ] »[2]

أما العبارات اللاتينية فهى :

١ — فى أعلى الصفحة تماما بيان بعدد صفحات المخطوط حين دخل خزانة الكتب الفرنسية (الملكية اذ ذاك) وهى : 105 pag [inae] .

٢ — والى جانب السطرين الأخيرين من عنوان المخطوط على اليسار خاتم المكتبة الملكية الفرنسية ، ويرى القارىء فى وسطه شارة بيت آل بوربون ، وهى الزنبقات الثلاث ، وفى اطار الخاتم :

---

(١) هكذا استطعت قراءة هذين اللفظين .

(٢) لم استطع قراءة هذه الكلمة .

Bibliothecae Regiae (= المكتبات الملكية) ،

٣ — وفى أسفل الصفحة بخط جميل العبارة التالية :

« Historia elegantissima clarorum virorum
in Africa, Provincia Cyrenaica et
toto Occidente
Optandum ut integrum et melioris
scripturae exemplar reperiatur, ut tam
eruditum opus luci dari queat.
Constantinopoli 27 Febr. 1640 »

وترجمتها :

تاريخ طريف جدا لمشاهير الرجال
فى افريقية وولاية قيرين [برقة]
وجميع بلاد المغرب
ومن المرجو أن توجد نسخة كاملة وأحسن خطا حتى
يمكن اخراج هذا الكتاب الغزير العلم الى النور
القسطنطينية فى ٢٧ فبراير سنة ١٦٤٠ » .

وهذه العبارة تدل على أن نسختنا هـذه كانت فى القسطنطينية سنة ١٦٤٠ ، ولا ندرى ان كان الذى كتب هذه العبارة هو الذى حملها الى فرنسا وأضافها الى مكتبات ملوكها ، ولكنها تدل على أن النسخة طافت برحلة طيبة قبل أن تستقر فى المكتبة الأهلية فى باريس : فقد نسخت فى مكة سنة ٧٢٧ هـ . / ١٣٢٦ م . ثم انتقلت الى الشام وأقامت ردحا من الوقت فى قرية بعز (؟) على مقربة من حصن الأكراد، وكانت فيها الى سنة ١٠٥٠ هـ . / ١٦٤٠ م . ، ثم نقلت فى نفس العام الى القسطنطينية حيث رآها كاتب هذه العبارة اللاتينية ، واستقر بها النوى آخر الأمر فى باريس ، ثم صورت منها نسخة لدار الكتب المصرية فى سنة ١٩٣٧ لتخرج الى النور — كما رجا صاحب العبارة اللاتينية — فى القاهرة سنة ١٩٥١ !

أما الصفحة الثانية من المخطوط ، فورد فيها عنوان الكتاب بالعربية على ورقة بيضاء ملصقة عليها ، وهذا العنوان مكتوب بخط أحـد المستشرقين فى الغالب ، وتلى ذلك العبارة الآتية باللاتينية :

1. Paradisi Animorum sive historia vivorum
2. Apud Muhamedanos illustrium que floruerunt
3. in Kirowana seu Cyrenaica, Africa vicinisque
4. provinciis
5. Autore Abubekro Abdalla f. Abu Abdalla —
6. Muhamed cognomine Maleki
7. Arabice
8. Liber imperfectus historia non progreditur ultra
9. Annum hegirae 56um, J.C. 675 um.

وترجمتها الحرفية :

١ — رياض النفوس أو تاريخ الرجال

٢ — [الذين كانوا] عند المسلمين مشاهير [و] الذين ازدهر أمرهم

٣ — فى القيروان أو فى قيرين [برقة] وفى افريقية وجاراتها

٤ — من الولايات

٥ — المؤلف أبو بكر عبد الله بن أبى عبد الله

٦ — محمد الملقب بالمالكى

٧ — بالعربية

٨ — كتاب ناقص لا يتعدى التاريخ [فيه]

٩ — سنة ٥٦ من الهجرة / ٦٧٥ ميلادية

والعبارة الواردة فى السطرين ٨و٩ تدل على أن كاتب هذه السطور أخطأ فى قراءة آخر سنة هجرية ورد ذكرها فى الكتاب وهى ٣٥٦ هـ • فلم يقرأ منها الا جزءا ، ولهذا حسب أن الكتاب يقف بالتراجم عند هذه السنة ، فقرر أن الكتاب ناقص •

وعلى نفس الصفحة عبارتان فرنسيتان بخط أحد مفهرسى الكتب العربية فى المكتبة الأهلية بباريس ، والعبارة الأولى تدل على أن صفحات الكتاب لم تكن مرتبة ترتيبا حسنا أول الأمر ، وهذا نصها :

Le feuillet No. 33 doit être placé à la fin. Les fts 32 et 34 ne comptent pas. Le feuillet 31 doit être suivi par le 35. M.A.

وترجمتها :

« الورقة ٣٣ وجه ينبغى أن توضع فى النهاية • والورقتان ٣٢ و ٣٤ لا تحسبان • والورقة ٣١ يجب أن توضع بعدها الورقة ٣٥ • (امضاء) م•ا•»

وفى الهامش الأيسر عبارة تدل على أن ذلك التعديل قد تم ، ونصها :

« Les feuillets ont été placés en ordre et numérotés de nouveau en février 1859. M.A.
L'ancien 32 est une transcription moderne de l'original 105. L'ancien 33 est sur papier blanc. »

وترجمتها :

« رتبت الأوراق ورقمت من جديد فى فبراير ١٨٥٩ • (امضاء) م•١• ورقة ٣٢ القديمة (أى فى الترتيب القديم) هى نسخة حديثة من ورقة ١٠٥ الأصلية ، وورقة ٣٣ القديمة مكتوبة على ورق أبيض » •

ب — نسخة القاهرة (ق)

ينص كاتب هذه النسخة صراحة فى أول صفحة منها على أنها الجزء الثانى فحسب من « الرياض » ، ويفهم من سياق كلامه أنه نسخ الجزء الأول أيضا ، ولكنه ضاع • وعبارة الختام تقول :

« آخر كتاب رياض النفوس فى طبقات علماء مدينة قيروان افريقية وما يليها من بلدانها ومراسيها وحصونها وسواحلها وعبادهم ونساكهم وفضائلهم وأوصافهم وتاريخ وفاتهم، تأليف أبى بكر عبد الله بن محمد المالكى قدس الله روحه ونور ضريحه ، ونختم الكتاب بالصلاة على سيد الأولين والآخرين ، والحمد لله رب العالمين • وكان الفراغ من نسخ السفر المبارك للسابع من ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وستمئة •

كتبه العبد الفقير الى رحمة مالكه ومولاه ، المستجير بالله من شر شيطانه ودنياه ، المتوكل على خالقه فى الصبر على ما قدره عليه وقضاه ، الراجى من باريه احسانه اليه فى [ ] ومثواه ، اللائذ بكرمه لدى [ ] ونجاه ، التائب مما اقترف من الذنوب فى ما مضى من عمره وسلف ، يوسف بن محمد بن عبد الوهاب بن يوسف الـ[ ]ـاى المالكى ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين • والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم •

ونسخ هذا السفر المبارك بالمدرسة المولوية الأجلية المالكية الوزيرية

الصاحبية الصفوية ، بدمرة القبلية عمرها الله سبحانه وتعالى ، انه على ما يشاء قدير . وصلى الله على محمد وآله ، ونفع بما فيه ورزقنا العمل به ، انه قريب مجيب » .

وهذه عبارة نستنتج منها ما يلى :

أولا : أن النسخة التى نقل عنها الناسخ وقفت بالكتاب عند نفس الترجمة التى وقفت عندها النسختان اللتان نقل عنهما صاحب نسخة باريس ، فاذا ذكرنا أن تاريخها سنة ٦٥٤ هـ . وأن تاريخى النسختين اللتين نقل عنهما عثمان بن عمر صاحب نسخة باريس هما ٤٥٤ هـ ، ٦٠١ هـ . تبينا أن جميع نسخ « الرياض » التى كانت معروفة فى المشرق من منتصف القرن الخامس الهجرى كانت تقف كلها بالكتاب عند ذلك الحد ، وأن الجزء الثالث لم يكن له فى المشرق وجود .

ثانيا : أن أبا بكر المالكى قد وضع كتابه فى ثلاثة أجزاء بالفعل ، وأنه جعل ترجمة أبى اسحاق السبأى نهاية للجزء الثانى كما يتضح من نسختى الأصل لمخطوط باريس ونسخة القاهرة .

ثالثا : أن كتاب الرياض بأجزائه الثلاثة ظل متداولا فى المغرب كاملا الى زمن متأخر بدليل اعتماد القاضى عياض والدباغ وابن ناجى على هذه الأجزاء كلها . فاذا ذكرنا أن آخر هؤلاء وهو ابن ناجى توفى سنة ٨٣٧ هـ . تبينا أن الجزء الثالث كان متداولا الى ذلك الحين وبعده ، ومن هنا فالأمل وثيق فى العثور عليه يوما ما .

رابعا : أن أبا بكر المالكى حدد نهاية الجزء الثانى من كتابه معتمدا على كتاب سابق لأبى بكر بن اللباد ، وهذا هو السر فى وقوفه به عند سنة ٣٥٦ هـ . ولا بد أن الجزء الثالث كان يضم سير العلماء والفقهاء والزهاد فيما بين منتصف القرنين الرابع والخامس الهجريين .

ونسخة القاهرة مكتوبة على ورق سميك مصفر بعض الشىء بخط مشرقى حسن بين النسخ والثلث تتخلله ألفاظ وعبارات بالثلث الخالص بخط أكبر ، وبعضها بالمداد الأحمر ، ولا يجرى الناسخ على خطة واضحة فى استعمال الثلث والمداد الأحمر ، بل يستعملهما دون قاعدة أصلا فيكتب بهما كلمات مثل : « يقول » و « عندما » و « فى سنة

كذا » الى غير ذلك . ويبلغ عدد ورقاتها ٢٣٤ وطول الصفحة ٢٠ سنتيمترا وعرضها ١٣ سنتيمترا ، وفى كل صفحة ١٧ سطرا فى المتوسط وفى كل سطر ٨ كلمات على وجه التقريب .

وكاتب هذه النسخة كما يتبين من عبارة الختام فى ص ٢٣٢ ا من المخطوط هو يوسف بن محمد عبد الوهاب ال[ ]اى (؟) المالكى ، وقد نسخها « بالمدرسة المولوية الأجلية المالكية الوزيرية الصاحبية الصفوية بدمرة القبلية عمرها الله سبحانه » ، وتاريخ كتابتها سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م .

وظاهر هذه النسخة أحسن من ظاهر نسخة باريس ولكنها غاصة بالسهوات والهفوات والأخطاء ، وهى على الجملة أقل قيمة من الأخرى ، ولهذا فسيظل اعتمادى على نسخة باريس فى نشر الجزء الثانى ، وسأستعين بنسخة القاهرة للمراجعة واثبات المخالفات واكمال الفجوات وتصويب المتن ان أمكن .

ويبدأ هذا المخطوط بترجمة أبى عقال بن علون التى جعلها مخطوط باريس نهاية الجزء الأول ، ولهذا سرت مع نص المخطوط الأخير مع مقابلة ما فيه على نص نسخة القاهرة ، وسأبدأ الجزء الثانى بترجمة أبى عبد الله محمد بن أبى حميد وهى الأولى فى الجزء الثانى من نسخة باريس والثانية فى نسخة القاهرة .

وقد جعلت أرقام صفحات المخطوط بين أقواس فى سياق المتن كما هى العادة ، وجعلتها حسب ترقيم النسخة المصورة ، وهى تعطى كلا من وجهى الورقة المخطوطة رقما : فصفحة «٢» فى نسختنا المطبوعة مثلا هى (١ — ظهر) فى المخطوط ، وصفحة ٣ هى (٢ — وجه) ، وهكذا .

* * *

بقيت كلمة عن الذيول التى جعلتها فى نهاية هذا الجزء الأول من الرياض .

فأما عن الذيل الأول الخاص بفوات الرياض ، فقد لاحظت أن المخطوط الذى بين يدى قد أغفل ترجمات نفر من أعلام المالكية

الافريقيين الذين لا يعقل أن يكون أبو بكر المالكى قد أغفل ذكرهم ؛ مثل عيسى بن مسكين • وقد غلب على ظنى أن هذه التراجم سها الناسخ عن نسخها ، فأحصيت أصحاب التراجم الناقصة كلهم وأدرجت أسماءهم فى ثبت واحد وجعلت مع كل اسم مراجعه التى يرجع الى دراسته فيها ، وسأنشر التراجم بنصوصها كاملة ذيلا للجزء الثانى من الرياض مع فوات هذا الجزء أيضا •

وأما عن الذيل الثانى ، فقد وجدت فى سياق الكلام اشارات كثيرة الى أعلام مالكيين من غير الافريقيين ، فرأيت أن أسهل على القارىء مهمة تعرف أولئك الأعلام ، فأخذت ثبت المالكيين الذى أورده القاضى عياض بن موسى اليحصبى فى « المدارك » ورتبت أسماء كل طبقة منهم ترتيبا أبجديا حتى تسهل المراجعة ، وراجعتها على ما بين أيدينا من كتب طبقات المالكين ، وأثبتُّ المخالفات فى الهامش •

ومن المعروف أن مخطوطْ المدارك الموجود بدار الكتب الملكية فى القاهرة (٢٢٩٣ تاريخ) تشوبه عيوب كثيرة ما بين سهو وخطأ وتحريف ، ولهذا فقد اجتهدت فى تقويم ما اقتبسته منه ما أمكن • وقد اعتمدت عليه فى اكمال كثير من الفجوات التى اعترضتنى أثناء العمل فى الرياض ، كما حدث فى ترجمة سحنون بن سعيد وغيره ، وقد أشرت الى ذلك فى مواضعه •

ومخطوط « المدارك » هذا يقع فى جزءين عدد أوراق الأول ١٦٧ والثانى ١٦٣ وهو مكتوب بخط مغربى حسن ومداد معدنى أسود أو أحمر فى العناوين ، وطول الصفحة ٣٠ سنتيمترا وعرضها ٢٢ سنتيمترا وقد أوردت نموذجا مصورا من صفحاته فى هذا الكتاب •

وأما الذيل الثالث ، فقد وجدت أن « الرياض » قد أغفل ذكر فقهاء افريقية من غير المالكين وخاصة الحنفيين (العراقين) والشيعيين (المشارقة) فرأيت استكمالا لحاجات الباحثين أن أنقل عن كتابى « طبقات علماء افريقية » لأبى العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمى وتلميذه محمد بن الحارث بن أسد الخشنى اللذين نشرهما الأستاذ الشيخ محمد بن أبى شنب مع كتاب « طبقات علماء تونس » فى مجلد واحد

فى الجزائر سنة ١٣٢٢ هـ./١٩١٤ م. وأخذت « باب ذكر الرجال العراقيين » للخشنى (طبقات علماء افريقية ص ١٨٠ — ١٩٩) و « باب تسمية أهل الجدل من طبقة العراقيين » (نفس الكتاب ص ١١٩ — ٢٢٢) و « باب ذكر من شرق ممن كان ينسب الى علم من أهل القيروان » (نفس الكتاب ص ٢٢٣ — ٢٢٦) واجتزأت من هذه التراجم بذكر من توفى قبل سنة ٣٠٠ هـ . / ٩١٢ م . لأن هذا الجزء الأول من « الرياض » يقف بالتراجم عند ذلك التاريخ على وجه التقريب ، وسأجعل بقية التراجم ضمن ذيول الجزء الثانى باذن الله .

وقد أوردت النص كما نشره محمد بن أبى شنب ، ولم أقومه الا بالقدر الضرورى جدا ، وأشرت الى ذلك فى الهوامش وأثبت كذلك هوامش الناشر بالفرنسية كما هى فى الأصل مراعاة للدقة والأمانة الواجبتين .

* * *

وبعد ، فهذا هو الجزء الأول من كتاب « رياض النفوس » أضعه بين أيدى الباحثين راجيا أن أكون قد قدمت به مادة جديدة تعيننا على ما نحن بسبيله من دراسة تاريخ المغرب الاسلامى المجيد ، وقدمت له بما تيسر من الملاحظات التى تعين القارىء على تصور العصور التى عاش خلالها أصحاب التراجم ، وتعرفه على قدر المستطاع بالكتاب ومؤلفه ، وقد وقعت فى أثناء العمل أخطاء صوبت أهم ما عثرت عليه منها فى نهاية الكتاب ، وأستميح القارىء العذر عما يكون قد فاتنى منها .

هذا ولا يعرف صعوبة العمل فى نشر مثل هذا الكتاب والمخاطر التى يستهدف لها الناشر الا من يعانى ذلك ، لأن المخطوط على رغم ظاهره البرىء حافل بالنقص ومواضع الزلل ، فهو يسقط عبارات بأكملها ، وقد يبدأ الخبر ولا يتمه ، ويهمل أجزاء كبيرة من التراجم ، ولا يكاد يكتب اسم موضع على صحته ، فهو يكتب « طرسوس » من غير « طاء » و « صقلية » من غير « قاف » و « الأندلس » من غير « لام » فيوقع المطالع فى حيرة ويلقى فى نفسه شكا يجعله يتردد فى قبول أظهر الألفاظ . وهو غير منقوط كله ولا يشكل علما واحدا ويستغنى عن الهمزات على

طريقة أهل المغرب ، ولا يورد بيتا واحدا من الشعر الا وفيه خطأ ما . وقد أمكنني تصويب الكثير وفاتني الكثير أيضا ، وربما شفع لي ذلك عند القارىء .

وقد تفضل أستاذنا عالم تونس حسن حسني عبد الوهاب باشا بمراجعة الكتاب وتصويب ما رأى تصويبه ، وكنت أستشيره فى بعض المشاكل فكان يتفضل — مشكورا — بالاجابة والارشاد ، فأدرجت فى هوامش الكتاب ما استطعت ادراجه من ملاحظاته وجعلتها بامضائه ، وجعلت ما أعجلتنى المطبعة عن ادراجه ضمن الاستدراكات والتصويبات فى آخر هذا الكتاب ، ولا يسعنى ازاء ذلك الفضل الكبير الا أن أتقدم له بأصدق آيات الشكر ، نفعنا الله بعلمه وفضله ، وجعلنا فى الموضع الذى نستأهل معه بره وارشاده .

وأختتم هذه المقدمة بالشكر الصادق لحضرات من تفضلوا مشكورين بمعاونتى فى هذا العمل ، وأخص بالذكر أستاذى صاحب العزة ابراهيم بك مصطفى عميد كلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول ، والأستاذ مصطفى السقا الأستاذ بكلية الآداب بنفس الجامعة ، والشيخ الفاضل محمد على النجار الأستاذ بكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف ، وصديقىَّ مصطفى عبد المجيد صالح وعبد السلام شهاب ، وتلاميذى مهدى خير الدين وجمال عبد الوهاب وحسين محمود خليل . ولا تفوتنى الاشارة الى المعاونات القيمة التى تفضل بها الأستاذ الكريم محمد مرسى قنديل بك مدير دار الكتب الملكية بالقاهرة سابقا وجميع حضرات موظفى الدار ، فلهم أحسن الشكر .

وأختم هذا الكلام بشكر أصدقائى أصحاب مكتبة النهضة المصرية ناشرى هـذا الكتاب ، وكذلك أشكر الفاضلين محمد أفندى عثمان وعلى أفندى فرج بمطبعة مصر على ما بذلا من عناية واحتملا من صبر فى طبع هذا الجزء .

والحمد لله أولا وآخرا ؟

حسين مؤنس

القاهرة فى { رجب ١٣٧٠ / أبريل ١٩٥١ }

ثبت بولاة إفريقية وحكامها

من الفتح العربى إلى زوال دولة بنى زيرى

الولاة فى العصر الأموى :

عقبة بن نافع الفهرى	سنة	٤٩هـ.	٦٧٠م.
أبو المهاجر دينار		٥٥هـ.	٦٧٥م.
عقبة بن نافع ، (للمرة الثانية)		٦٢هـ.	٦٨٢م.
زهير بن قيس البلوى...		٦٧هـ.	٦٨٧م.
موسى بن نصير...		٧٨هـ.	٦٩٨م.
ولده عبد الله ، (أثناء تغيبه بالأندلس) ٩٣هـ-٧١٢م .	آخر	٩٥هـ.	٧١٤م.
محمد بن يزيد ، مولى قريش		٩٦هـ.	٧١٥م.
إسماعيل بن عبد الله بن أبى المهاجر دينار		٩٩هـ.	٧١٨م.
يزيد بن أبى مسلم دينار الثقفى		١٠١هـ.	٧٢٠م.
محمد بن أوس الأنصارى		١٠٢هـ.	٧٢١م.
بشر بن صفوان الكلبى		١٠٢هـ.	٧٢١م.
عبيدة بن عبد الرحمن (بن أبى الأغر) السلمى	ربيع الأول	١١٠هـ.	٧٢٩م.
عبيد الله بن الحبحاب الموصلى ، (توفى سنة ١٢٣)...	ربيع الثانى	١١٦هـ.	٧٣٥م.
كلثوم بن عياض القشيرى	رمضان	١٢٣هـ.	٧٤١م.
حنظلة بن صفوان الكلبى	ربيع الثانى	١٢٤هـ.	٧٤٢م.
عبد الرحمن بن حبيب الفهرى		١٢٧هـ.	٧٤٥م.
أقره السفاح العباسى على ولايته		١٣٢هـ.	٧٥٠م.
قتله أخواه إلياس و عبد الوارث...		١٣٨هـ.	٧٥٦م.

الولاة فى العصر العباسى :

حبيب بن عبد الرحمن ، (قتله خليفته فى المحرم ١٤٠هـ. ٧٥٨م.)	رجب	١٣٨هـ.	٧٥٦م.
عاصم بن جميل الورفجومى...	المحرم	١٤٠هـ.	٧٥٨م.
عبد الملك بن أبى الجعدى اليفرنى...		١٤٠هـ.	٧٥٨م.
أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح ، المعافرى ، الإباضى		١٤١هـ.	٧٥٩م.
محمد بن الأشعث الخزاعى		١٤٣هـ.	٧٦٣م.
عيسى بن يوسف (أو موسى) الخراسانى	ربيع الأول	١٤٨هـ.	٧٦٦م.
على بن موسى الخراسانى، (ثائر)...		١٤٨هـ.	٧٦٥م.
الأغلب بن سالم بن عقال	جمادى الآخرة	١٤٨هـ.	٧٦٥م.
الحسن بن حرب الكندى		١٤٩هـ.	٧٦٦م.
الأغلب ، (للمرة الثانية)		١٥٠هـ.	٧٦٧م.

بنو المهلب :

أبو جعفر عمر بن حفص هزارمرد المهلبى	صفر	١٥١هـ.	٧٦٨م.
أبو خالد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب (توفى فى ١٨ رمضان ١٧٠)		١٥٤هـ.	٧٧٠م.
داوود بن يزيد بن حاتم	رمضان	١٧٠هـ.	٧٨٦م.
أبو حاتم روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب		١٧١هـ.	٧٨٦م.
نصر بن حبيب المهلبى	٢٠ رمضان	١٧٤هـ.	٧٩٠م.
الفضل بن روح بن حاتم	المحرم	١٧٧هـ.	٧٩٣م.
هرثمة بن أعين	ربيع الأول	١٧٩هـ.	٧٩٥م.
محمد بن مقاتل بن حكيم العكى...		١٨٠هـ.	٧٩٦م.
تمام بن تميم التميمى		١٨٣هـ.	٧٩٩م.
محمد بن مقاتل ، (للمرة الثانية)		١٨٤هـ.	٨٠٠م.

الأغالبة :

إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال التميمى ، (عامل الزاب سنة ١٧٩)	جمادى الآخرة	١٨٤ هـ .	٨٠٠م.

أبو العباس عبد الله بن إبراهيم ، (توفى فى ٦ ذى الحجة سنة ٢٠١) ... ... صـــفر ١٩٧هـ. ٨١٢م.
أبو محمد زيادة الله بن إبراهيم ... ... ذو الحجة ٢٠١هـ. ٨١٧م.
أبو عقال بن الأغلب بن إبراهيم... ... ... ١٤ رجب ٢٢٣هـ. ٨٣٨م.
أبو العباس محمد بن الأغلب ... ... ٢٢ ربيع الثانى ٢٢٦هـ. ٨٤١م.
ثورة أحمد أخيه... ... ... منتصف ٢٢٤هـ. ٨٣٨م.
أبو إبراهيم أحمد بن محمد ... ... ٢ المحـــرم ٢٤٢هـ. ٨٥٦م.
أبو محمد زيادة الله بن محمد الأصغر... ... ... ١٣ ذى القعدة ٢٤٩هـ. ٨٦٣م.
أبو عبد الله (أبو الغرانيق) محمد بن أحمد ... ... ٢٠ ذى القعدة ٢٥٠هـ. ٨٦٤م.
أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد ، (توفى فى ١٧ ذى القعدة عند Cosenza بإيطاليا) ... ... ٦ جمادى الأولى ٢٦١هـ. ٨٧٥م.
أبو العباس عبد الله محمد بن إبراهيم ، (قتل فى ٢٨ شعبان سنة ٢٩٠) ... ... شـــعبان ٢٩٠هـ. ٩٠٣م.
أبو مضر زيادة الله بن أبى العباس ، (توفى بمصر سنة ٢٩٩) ... ... رمضـــــان ٢٩٠هـ. ٩٠٣م.]
فرار زيادة الله الثالث ، الفتح الفاطمى... ... ... ٢٥ جمادى الآخرة ٢٩٦هـ. ٩٠٩م.

الفاطميون فى المغرب :

أبو عبيد الله المهدى ... ... ســـنة ٢٩٧هـ. ٩٠٩م.
أبو القاسم محمد القائم... ... ... ٣٢٢هـ. ٩٣٤م.
أبو طاهر إسماعيل المنصور ... ... ٣٣٤هـ. ٩٤٥م.
أبو تميم معد المعـــز ... ... ٣٤١هـ. ٩٥٢م.
انتقال الفاطميين إلى مصر... ... ... ٥٣٨هـ. ٩٦٨م.

بنو زيرى :

(صنهاجة إفريقية والمغرب الأوسط . الحاضرة : القيروان)

أبو الفتـــوح (يوســـف) بلكين بن زيرى ، (توفى ٢١ ذى الحجة سنة ٣٧٣هـ .) ... ... المحـــرم ٣٦٢هـ. ٩٧٢م.

المنصور بن يوسف (عدة العزيز بالله) ... ... ٢١ ذى الحجة ٣٧٣هـ. ٩٨٤م.
أبو مناد باديس بن المنصور، ناصر الدولة ... ... ٣ ربيع الأول ٣٨٦هـ. ٩٩٦م.
المعز بن باديس، شرف الدولة (استقل بالأمر سنة ٤١٧)... ٣٠ ذى القعدة ٤٠٦هـ. ١٠١٦م.
أبو طاهر تميم بن المعز... ... ... مستهل شوال ٤٥٣هـ. ١٠٦٢م.
استيلاء الفرنجة على المهدية ... ... ٤٨٠هـ. ١٠٨٧م.
أبو طاهر يحيى بن تميم، (قتل فى ١٠ ذى الحجة سنة ٥٠٩). ١٥ رجب ٥٠١هـ. ١١٠٨م.
على بن يحيى ... ... ١٠ ذى الحجة ٥٠٩هـ. ١١١٦م.
أبو يحيى الحسن بن على، (أصبح منذ سنة ٥٥٥ يحكم
المهدية من قبل عبد المؤمن بن على، توفى سنة ٥٦٣). ربيع الثانى ٥١٥هـ. ١١٢١م.
روجر الثانى النرمندى ثم الموحدون (فى ١٠ المحرم ٥٥٥) ٥٤٣هـ. ١١٤٩م.

بنو حماد: أصحاب قلعة بنى حماد والمغرب الأوسط

حماد بن بلكين بن زيرى، (إقامة الخطبة للعباسيين) ... ٣٩٨هـ. ١٠٠٧م.
القائد بن حماد، (إقامة الخطبة للفاطميين)... ... ... ٤١٩هـ. ١٠٢٨م.
محسن بن القائد ... ... ٤٤٦هـ. ١٠٥٤م.
بلكين بن محمد، (قتله الناصر سنة ٤٥٤)... ... ... ٤٤٧هـ. ١٠٥٥م.
الناصر بن علناس ... ... ٤٥٤هـ. ١٠٦٢م.
المنصور بن الناصر، (الحاضرة بجاية منذ سنة ٤٨٣) ... ٤٨١هـ. ١٠٨٨م.
باديس بن المنصور ... ... ٤٩٨هـ. ١١٠٤م.
العزيز بن المنصور ... ... ٥٠٠هـ. ١١٠٦م.
يحيى بن العزيز، (توفى سنة ٥٨٨) ... ... ٥١٥هـ. ١١٢١م.
الفتح الموحدى ... ... ٥٤٧هـ. ١١٥٠م.

مصـــادر

استُخْدِمَت فى تقويم النص وكتابة المقدمة

مخطوطات :

التيجانى : الرحلة التيجانية (مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس)

أبو حنيفة المغربى النعمان : المجالس والمسايرات ، (مخطوط بمكتبة الجامعة ٢٦٠٦٠) .

الزبيدى ، أبو بكر : طبقات النحويين واللغويين . (مخطوط بدار الكتب المصرية ٦٠٩٦ ح) .

السيوطى : بغية الوعاة فى طبقات النحاة . (مخطوط بدار الكتب المصرية ٥٧٧ تاريخ) .

السيوطى : طبقـات الحفاظ ، (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٢٥ تاريخ) .

عياض بن موسى اليحصبى : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك . (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٩٣ تاريخ) .

ابن فرحون : الديباج المذهب فى معرفة علماء المذهب . (مخطوط بدار الكتب المصرية) .

أصول قديمة مطبوعة :

ابن الأثير الجزرى : أسد الغابة فى معرفة الصحابة . (القاهرة ١٢٨٠هـ).

ابن الأثير الجزرى : الكامل فى التاريخ . (طبعة القاهرة ١٩٤٩) .

الباجى ، محمد : الخلاصة النقية فى أمراء إفريقية . (تونس ١٣٢٣ هـ) .

البكرى ، أبو عبيد الله بن عبد العزيز : المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، طبعة دى سلان — باريس ١٩١١

ابن جبير : رحلة ابن جبير ، طبعة رايت .
الجزنائى ، أبو الحسن على : زهرة الآس فى بناء مدينة فاس . (الجزائر ١٩٢٢ م) .
ابن الحاج ، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدرى الفاسى المالكى : مدخل الشرع الشريف على المذاهب (القاهرة ١٩٢٩) .
ابن حجر العسقلانى : الإصابة فى معرفة أسماء الصحابة .
ابن حوقل ، أبو القاسم محمد البغدادى الموصلى : طبعة دى خويه ، (ليدن ١٨٧٣ م) .
ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله : كتاب المسالك والممالك طبعة دى خويه ، (ليدن ١٨٨٩ م) .
الخشنى ، محمد بن الحارث بن أسد : كتاب طبقات علماء إفريقية ، نشره محمد بن أبى شنب فى مجلد واحد مع « طبقات » أبى العرب (الجزائر ١٣٣٢ هـ . ١٩١٤م .)
ابن خلدون ، عبد الرحمن : العبر وديوان المبتدا والخبر ، (القاهرة ١٢٨٤هـ)
ابن خلدون ، عبد الرحمن : المقدمة ، (بيروت ١٨٨٦م) .
ابن خلكان : وفيات الأعيان . (طبعة الشيخ محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٩) .
الخوارزمى ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب : كتاب مفاتيح العلوم ، (ليدن ١٨٩٥م) .
الإدريسى ، محمد بن عبد العزيز الشريف الفاوى : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس المأخوذة من كتاب نزهة الآفاق فى اختراق الآفاق ، طبعة دوزى ودى خويه ، (ليدن ١٨٦٤م) .
البلاذرى ، أحمد بن يحيى بن جابر : فتوح البلدان ، (القاهرة ١٣١٨هـ .)
الحافظ أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلانى : تهذيب التهذيب فى أسماء الرجال ، (طبع الهند سنة ١٣٢٥ هـ . فى ١٢ مجلداً) .
الدباغ ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصارى : معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان ، (تونس ١٣٢٢هـ .) .

ابن أبي دينار القيرواني: المونس فى أخبار إفريقية وتونس، (تونس١٣٨٦هـ)

ابن رشيق، أبو الحسن على القيروانى: العمدة فى صناعة الشعر. (القاهرة ١٩٠٧)

أبو زكريا محي الدين بن شرف النووى: تهذيب الأسماء واللغات، (طبعة المطبعة المنيرية بالقاهرة)

ابن سعيد عبد الكريم بن أبى بكر السمعانى المروزى: كتاب الأنساب، طبعة مارجوليوث. (ليدن ١٩١٢)

The Kitab al-Ansab of Abd Al-Karim ibn Mohammad al Samâni. D.S. Margoliouth. (Gibb Memorial Series XX). Leiden, 1912.

السلاوى، أحمد بن خالد الناصرى: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. (القاهرة ١٣١٠ – ١٣١٢هـ).

السيوطى، عبد الرحمن بن أبى بكر جمال الدين: تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة، (القاهرة ١٣٥١ هـ).

السيوطى: حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة (طبع حجر، القاهرة)

الشهرستانى، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم: الملل والنحـل، (القاهرة ١٣١٧ هـ).

الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، طبعة دى خويه، (ليدن ١٨٨١م. وما بعدها).

ابن عبد الحكم، عبد الرحمن: فتوح مصر والمغرب والأندلس، (طبعة شارل تورى – مطبعة جامعة ييل ١٩٢٠م.).

أبو عبدالله الأندلسى: الحلل السندسية فى الأخبار التونسية، (تونس١٢٨٧هـ)

ابن عذارى المراكشى، أبو محمد عبد الله: البيان المغرب فى أخبار المغرب، طبعة دوزى، (ليدن ١٨٤٨ – ١٨٤٩م.).

عريب بن سعد القرطبى: صلة تاريخ الطبرى، طبعة دى خويه، (ليدن ١٨٩٧م.).

الكندى، أبو عمر محمد بن يوسف: كتاب الولاة وكتاب القضاة، (طبعة Rhuvon Guest، لندن١٩١٢م.).

المراكشي ، عبد الواحد : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، (طبعة دوزى – ليدن ١٨٨١م.) .

مفاخر البربر : نبذ تاريخية جامعة من أخبار البربر فى القرون الوسطى (طبعة ليڤى پروفنسال – رباط ١٩٣٤) .

المقرى ، شهاب الدين أحمد بن محمد : أزهار الرياض فى أخبار عياض ، (طبعة مصطفى السقا وإبراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبي – الأجزاء الثلاثة الأولى ، القاهرة ١٩٣٩ – ١٩٤١) .

المقرى : نفح الطيب ، طبعة دوزى وكربل ودوجا ورايت – ليدن .

المقريزى ، تقى الدين أحمد بن على : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، (طبعة الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٤٨م.) .

ابن النديم ، محمد بن إسحاق : كتاب الفهرست ، (ليبسك ١٨٨١م.) .

أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى : حلة الأولياء وطبقات الأصفياء ، (القاهرة ١٩٣٨) .

النويرى ، أحمد بن عبد الوهاب : ج ٢٢ الخاص بتاريخ المغرب ، (طبعة جسبار ريميرو – مدريد – ١٩١٧) .

ياقوت ، شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى : معجم البلدان ، (القاهرة ١٩٠٧) .

حاجى خليفة ، مصطفى كاتب شلبي : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، طبعة فلوجل – ليبسك ولندن ١٨٤٢ م .

مولفـــات حديثة :

حسن حسنى عبد الوهاب باشا : آداب المعلمين مما دون محمد بن سحنون عن أبيه ، (تونس ١٣٤٨ هـ.) .

حسن حسنى عبد الوهاب باشا : خلاصة تاريخ تونس ، (تونس١٣٤٤هـ)

حسين مؤنس : ثورات البربر فى إفريقية والأندلس ، مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (مجلد ٩ ج ٢ سنة ١٩٤٨) .

حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، (القاهرة ١٩٤٧) .

الطرابلسى ، أحمد بك النائب الأنصارى : المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب (الجزء الأول — استانبول ١٣١٧هـ.) .

عثمان الكعاك : التاريخ العام للجزائر ، (تونس ١٣٤٤هـ.) .

على حسن عبد القادر ، دكتور : نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى ، الجزء الأول ، (القاهرة ١٩٤٢م .) .

فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة .

فؤاد عبد الباقى : مفتاح كنوز السنة ، القاهرة .

حسن محمود : دولة بنى زيرى فى إفريقية . (تحت الطبع)

مراجع إفرنجية :

AMARI, MICHELE : *Biblioteca Arabo-Sicula*. (Lipsia, 1855).

BASSET, R. : *Etudes sur la Zanatia du Mzab, de Ouargla et de l'Oued Rir'*. 1892.

BASSET, R. : *Les Sanctuaires du Djebel Nefousa*. Paris, 1899.

BEL, ALFRED : *Coup d'Oeil sur l'Islam en Berbérie de* : *Revue de l'hist. des religions*, 1919, p. 53 sqq.

BEL, A. : *L'Islam Mystique ds Revue Africaine*, 1927.

CAETANI, LEONE : *Chronographia islamica, 1ère période de* 622 à 750. 5 fasc. Rome 1912-1923.

CHEVRILLON : *Les puritains du désert*. Paris, 1927.

DEPONT, O. et COPPOLANI : *Les confréries religieuses musulmanes*. Alger, 1897.

DOUTTÉ : *Islam Algerien en* 1900. Alger. 1900.

» : *Notes sur l'Islam Maghrebin: Les Marabouts*.

DOZY, R. : *Supplément aux dictionnaires arabes*. Leiden — Paris, 2° éd. 1927

» : *Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes*. Amsterdam, 1845.

» : *Corrections sur les textes du Bayàn o'Mogrib d'Ibn Adhari (de Maroc), des fragments de la Chronique d'Arib (de Cordoue) et du Hollat's siyarâ d'Ibn o-l-Abbar*. Leyden, 1883.

ENCYCLOPÉDIE DE L'ISLAM, Articles :

Aghlabides	par	Gaudefroy-Demombynes
Ibrâhim ibn al-Aghlab	»	R. Basset
Asad ibn al-Furât	»	»
Buhlûl	»	D.B. Mackdonald
Suhnûn	»	Krenow
Kikh	»	Goldziher
Malik ibn Anas	»	Schacht
Abou Abdallah	»	Houtsma
Al-Mahdi' Ubaidallah	»	Walker
Al-Mansour Ismail	»	G. Marçais
Al-Mahdiya	»	» »
Abu Yazid	»	R. Basset
Kotama	»	» »
Djawhar	»	E. Graefe
Sanhadja	»	G. Marçais
Hammadides	»	G. Yver
Ashir	»	M. Bencheneb
Bulukkin	»	R. Basset
Almoravides	»	A. Bel
Ali ibn Youssuf	»	» »
Lithâm	»	Bjorkmann
Abd Allah ibn Yasin	»	Doutté

FOURNEL, HENRI : *Les Berbères. Etude sur la conquête de l'Afrique par les Arabes, d'après les textes arabes imprimés.* 2 vol. 1875-1881.

GAUTIER, E.F. : *Le passé de l'Afrique du Nord (siècles obscures).* Paris, 1937.

HITTI, PHILIP K. : *History of the Arabs.* London, 1944.

MARÇAIS, GEORGE: *Les Arabes en Berbérie du XI^{o} au XIV^{o} siècle.* Paris, 1913.

GSELL., S, MARCAIS, G. : *Histoire de l'Algérie.* Paris, 1927.

MOTYLINSKI : *Les livres de la secte abadhite. Alger,* 1885.

NOEL DES VERGÈRES : *Hist. de l'Afrique et de la Sicile.*

PEDRO DE ALCALA : *Vocabulista aravigo en letra castellana.* Granada, 1505.

RIBERA, JULIAN: *Historia de los jueces de Cordoba,* por *Aljoxani.* Madrid, 1919.

DE SLANE, LE BARON: *Histoire des Berbères.*

ترجمة الجزء الخاص بتاريخ البربر من تاريخ ابن خلدون ، (طبعة كازانوفا ، باريس ١٩٢٧)

STROTHMANN: *Berber und Ibaditen in Der Islam* XVII, 1928, pp. 258-279.

VONDERHEYDEN, M.: *La Berbérie orientale sous la dynastie des Banou'l Arleb,* 800-909. 1927.

ZAMBAUR : *Manuel de généalogie et de Chronologie pour l'histoire de l'Islam: Hanouvre,* 1927.

رياض النفوس

بسم الله الرحمن الرحيم

(ص ٤) الحمد لله العزيز القادر ، الحكيم الغافر ، ذى الجلال والكبرياء ، والمجد والسناء ، والقدرة العـ[ـلياء] .

أحمده على السراء والضراء ، والشدة والرخاء ، وأستعينه على أداء طاعته ، واتباع [طريقته] .

وأتوكل عليه ، وأبرأ من الحول والقوة إليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبده و[رسوله . . . .](١) ودين الحق ليظهره على الدين كله ، صلى الله عليه وعلى إخوانه من النبيين ، وعلى آله الطيبين ، وسلّم وشرّف وكرّم . أفردَ أهل خاصته بخالص معاملته وصحيح معرفته ، [و] اختصهم بالاجتباء واصطفاهم بالاحتباء ، وكشف عن أ[نفسهم] الصدأ ، وأجزل لهم من معارفه العطاء ، فهـ[ـم أهـ]ـل جد واجتهاد ، ونسك وانفراد ، قد أزعجهم الخوف ، وأقلقهم الوجل [   ](٢) وقلوبهم وجلة ، إنهم إلى ربهم راجعون ، قد صغرت عندهم أعمالهم ، وعظمت عليهم خواطيهم (٣) ، ونصبوا ذنوبهم بين أعينهم [   ] حسراتهم ، وتوالت عليهم أهوايهم(٤) ، فهم خائفون ، حذرون ، وجلون ، مشفقون ، يبادرون الفوت(٥) ، ويراقبون نزول الدياجى ، ولذتهم فى التناجى ، يعتبر بمر[آ]هم الناظرون ، ويبادر [إلى] مجالستهم المريدون . جعلهم الله جل جلاله أهلا لمعاملته ، وأدلة لخلقه ، لمعرفتهم به وبشريعته ؛ فهم المختارون من خلقه لمعاملته ، الفائزون بقربه ومعرفته ، العارفون [   ] ؛

(١) بياض الى آخر السطر فى الأصل .

(٢) بياض بقدر كلمة .

(٣) كذا فى الأصل والصحيح : أخطاؤهم .

(٤) كذا فى الأصل ، ولعل الصحيح : اهوالهم .

(٥) يبدو أنه سقطت من الناسخ هنا فقرة يقتضيها أسلوب السجع الذى يلتزمه المالكى فى هذه المقدمة ، ويغلب على الظن أن هذه الفقرة هى : « ويذكرون الموت »

جعلنا الله تعالى فيهم ومنهم ، ونفعنا بمحبتهم وموالاتهم ، وحشرنا فى زمرتهم . ولا قطع بنا عنهم ، ولا طردنا عن التأسى بطريقهم بفضله .

أما بعد ، حفظكم الله من الشيطان وعمله ، فقد شهدتكم سألتمونى أن أجمع كتاباً أذكر فيه من كان بالقيروان وإفريقية [من العلماء] والمتفقهين والأولياء والعُباد المجتهدين ، ومن كان بمراسى إفريقية وسواحلها ومراسيها وحصونها [منهم] .[فاستخرت] الله ربى واستهديته واستعنته،وذكرت ما بلغنى من أخبار نُساكهم وعبادهم وفضائلهم وأوصافهم وتاريخ [وفاتهم ، بحسب ما] انتهى إلىَّ وبلغته معرفتى وطاقتى ، ورأيت فى جمع ذلك إحيا[ءً] لذكرهم ونشراً لفضائلهم ، فيتذكر بذلك متذكر ويقتدى [ ][1] ومزدجر ، فلعل الله عز وجل يوفقه بفضله لسلوك طريقهم والتمسك بهديهم ، فيكون فى ذلك حياة لقلبه [ ] وافتقار إلى ربه جل جلاله ، ومعرفة بنفسه ، واحتقار لعمله،وزيادة فى اجتهاده ؛ فقد كان [بمغربنا منهم فقهاء] ومتعبدون أهل فضل كامل وبرهان شامل، تواترت الأخبار بالصفات الجليلة عنهم وانقصَّت ، إذ كان [2] . . . . . .

ولو كانت فى الصحف مرسومة ، وفى الكتب منظومة .

---

(١) بياض بقدر كلمة لعلها « مقتد » .
(٢) بياض بعد ذلك الى آخر السطر .

[ذكر فضل إفريقية (١)

رُوى عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لايزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » .

وعن أنس بن مالك، رضى الله تعالى عنه، قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما يقول : « لاتزال عصابة من أمتى بالمغرب يقاتلون على الحق حتى تقوم الساعة ، لايضرهم من خالفهم ، حتى يروا غماماً ، فيقولوا : « غشيتم ! » فيبعثون سرعاناً خيلهم ينظرون، فيرجعون إليهم فيقولون : « الجبال قد سُيِّرت ! » فيخرون سجدا ، فتقبض أرواحهم » .

وعن أبي عبد الرحمن الحبلى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما قال : « ليأتين أناس من أمتى يوم القيامة، وجوههم أشد نوراً من نور القمر ليلة البدر » .

وعن سفيان بن الحارث ، يحدث عن أشياخه ، أنهم قالوا للمقداد بن الأسود رضى الله تعالى عنه ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما : « إنك ثقلت ، وتخرج على هذه المغازى ؟ » فقال : « خفيفاً كنت أو ثقيلا ، لا أتخلف عنها ، لأن الله تبارك وتعالى يقول : (انفروا خفافا وثقالا) » ؛ ثم قال : « قدِمت سرية على رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ، فذكروا البرد والحر الذى أصابهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن البرد الشديد والأجر العظيم لأهل إفريقية »] (٢) .

---

(١) هذه الصفحة مفقود الجزء الأيسر من نصفها الأعلى ، وكذلك نصفها الأسفل كله ، وقد نقلت هذه التكملة من كتاب « معالم الايمان » ج ١ ، ص ٣ — ٤ ، لأن الدباغ نقل هذا الفصل بنصه كاملا عن « رياض النفوس » .

(٢) الى هنا ينتهى الجزء الذى نقلته عن « معالم الايمان » من هذا الفصل .

(ص ٥) وعن أبي عبد الرحمن الحبلى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] : «ينقطع الجهاد من البلدان كلها ، فلا يبقى إلا بموضع من الغرب يقال له إفريقية ، فبينا القوم بإزا [ء] عدوهم ، نظروا إلى الجبال قد سُيرت ، فيخرون لله تبارك وتعالى سجدا ، فلا ينزع أخلاقهم إلا خدمُهم فى الجنة » . وعن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بساحل قَمُّونية[٢] باب من أبواب الجنة يقال له «المنستير» ، من دخله فيرحمه الله ، ومن خرج منه فيعفو الله » . وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من رابط بالمنستير ثلاثة أيام وجبت له الجنة » ، قال أنس : « بخ ، بخ يارسولَ الله! » . وعن مطرف بن عبد الله بن السخير[٣] يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بالمنستير باب من أبواب الجنة يقال له « الأنف » دونه قنطرة من قناطير[٤] الأولين » . [حدث] أبو بكر الحنفرى[٥] قال : «سمعت البهلول بن راشد يقول لوزير هرثمة حين استشاره فى بناء المنستير [. . . . .][٦] قال : فَعُدِّدَ له أن هرثمة بنى بأرمينية فى غير موضع ، فقال له البهلول بن راشد : ما ذكرت شيئاً إلا والمنستير أفضل منه ، وذلك أنه بلغنى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه باب من أبواب الجنة »[٧] .

---

(١) على يسار الصفحة فى هذا الموضع : « والله تعالى أعلم بصحة هذه الأحاديث » .

(٢) انظر عن « قمونية » : « فتح العرب للمغرب » لناشر هذا الكتاب ، ص ١٤١

(٣) وصحة الاسم : مطرف بن عبد الله بن الشخير ، وهو تابعى مشهور . انظر : « الاصابة فى تمييز الصحابة » لابن حجر — ج ٦ ، ص ١٥٨ ، و« طبقات علماء افريقية » لأبى العرب — ص ٤ ، و« معالم الايمان » ح ١ ، ص ٤ .

(٤) كذا فى الأصل .

(٥) وصحته « الحفرى » : « المعالم » ، ح ١ ، ص ١ ، واسمه الكامل يحيي بن سليمان أبو زكرياء الجزار الحفرى الفارسى ؛ وجاء فى «طبقات علماء إفريقية » : « وإنما قيل له الحفرى لأن داره كانت على حفرة بدرب أم أيوب » . انظر ص ٩٠ — ٩١

(٦) الكلام متصل هنا فى الأصل ، ولكن السياق يدل على أن الناسخ أغفل فقرة فى معنى : « كلاما كثيرا فى فضائل المنستير » .

(٧) روى الدباغ هذه الأحاديث كلها فى « معالم الايمان » (ج ١ ، ص ٤ — ٥) =

[و] سمع خالد بن حَبَّان(١) بن الأعين الحضرمى يقول : «بلغنى أن تُبَّعاً قال إن هذه القرية (٢) جارت(٣) إلى الله تعالى يوم الطوفان ، فقال لها : « اسكنى ، فسأسكنك أوليائى » . قال أبو العرب : يعنى المقبرة العظمى نحو « باب سَلْم » . قال أبو بكر عبد الله بن عبد الله بن محمد المالكى : فقد صح ما ذكره تبيع فى مقبرة « باب سلم » ، فقد دفن فيها من العلماء والصالحين عدد عظيم لايحصيهم إلا الله عز وجل . عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال : « كنت وأنا غلام مع عمى بقرطاجنة ، فإذا بقبر مكتوب عليه بالحِميَرِيَة : « أنا عبد الله بن الأراسى (٤) رسولُ رسولِ الله « صالح » عليه السلام ، بعثنى إلى أهل هذه القرية أدعوهم إلى الله ، أتيتهم ضحى ، قتلونى ظلماً ، حسيبهم الله » . وقيل إن شعيباً هو الذى بعث عبد الله بن الأراشى . والأراش فخذ من بَلِيّ » . [قال أبو العرب : سمعت بعض المشايخ ، ممن يروى البرىء من الأخبار ، يحدث عن اسحق بن عبد الملك أنه قال : « لم يدخل إفريقية نبى قط . وأول من دخلها بالإيمان بعض حوارىّ عيسى عليه السلام » .

= وعلق عليها بقوله : « وسمعت شيخنا أبا الفضل أبا القاسم بن أحمد البرزالى يقول عن شيخه وشيخنا ابى عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمى (صححها الورغى) : انه يغلب على الظن ان هذه الأحاديث موضوعة ، وقصدوا بوضعها تحبيبها الى ساكنيها ، ويدل على هذا أن فيها رونق الأحاديث الموضوعة ، وكذلك ينقل فى فضل بلد « رادس » وغيرها .

(١) وفى ابى العرب ، ص ٦ : حَيَّان .

(٢) فى الأصل : الكدية .

(٣) جاءت : ابو العرب ، ص ٦ .

(٤) كذا فى الأصل ، والصحيح : « الاراشى » . أنظر « طبقات علماء افريقية » لأبى العرب ، ص ٧

ذكر فضل القيروان

وعن إسحق : أن عقبة بن نافع كان معه فى عسكره خمسة وعشرون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن عقبة جمع وجوه أصحابه وكبر[اء] العسكر ، فدار معهم حول «القيروان» ، وأقبل يدعو لها ويقول فى دعائه : « اللهم املأها علماً وفقهاً ، وأعزها بالمطيعين والعابدين ، واجعلها عزاً لدينك ، وذلا على من كفر ، وأعز بها الإسلام ، وامنعها من جبابرة الأرض » .

وذُكر أن معاوية وجه عقبة فى جيش عظيم إلى إفريقية غازياً ، فدخلها وافتتحها ، ووضع السيف على من فيها من النصارى ، وقال لأصحابه : « أرى لكم يامعشر العرب أن تتخذوا بها مدينة تجعلونها عسكراً ، وتكون عزاً للإسلام إلى آخر الدهر » ، فأجاب الناس إلى ذلك ، واختط مدينة « القيروان » . فقال له بعض أصحابه : « قرّبها من البحر ، ليكون أهلها مرابطين» . فقال لهم : « إنى أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية فيهلكها ، ولكن اجعلوا بينها وبين البحر ما لا يدركه غزاة البحر ، لأن أصحاب المراكب (١) لايظهر من اللجة حتى يستره الليل ، فهو يسير إلى ساحل البحر إلى نصف الليل ، فيخرج ، فيقيم فى غارته إلى نصف النهار ، فلا تدركها منه غارة أبدا ، فان كان بينها وبين البحر ما لا يجب فيه التقصير ، فأهلها مرابطون ، ومن كان على البحر فهم حرس لهم ، وهم عسكر معقود إلى آخر الدهر ، ومَيِّتُهُم فى الجنة » . فاتفق رأيهم على ذلك ، فقال : « قربوها من السبخة » فقالوا : « نخاف أن تهلكنا الذئاب ، ويهلكنا بردها فى الشتاء وحرها فى الصيف » ، فقال : « لا بد لى من ذلك ، لأن أكثر دوابكم الابل ، وهى التى تحمل عسكرنا ، والبربر قد تنصروا وأجابوا النصارى إلى دينهم ، ونحن إذا فرغنا من أمرها لم يكن لنا بد من المغازى والجهاد ،

---

(١) الأصح هنا ان يقال : «صاحب المركب» حتى يستقيم سياق الكلام.

ونفتح الأول منها فالأول ، فتكون إبلنا على باب مصرنا فى مرعاها آمنة من غارة البربر والنصارى » ، فأجابوه إلى ذلك . فمال إلى موضع بناء المدينة على ساحل واديها (١) . فقال : « شأنكم ! » فقالوا : « إنك أمرتنا بالبناء فى شعارٍ وغياض لاترام ، ونحن نخاف من السباع والحيات وغير ذلك من دواب الأرض » ، وكان فى عسكره خمسة عشر رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسائر ذلك تابعون . قال : فبلغنى أنه دعا الله عز وجل ، وأصحابه يؤمنون على دعائه ، ثم مضى حتى وقف على الوادى ، فنادى : « أيتها السباع ! ارحلوا فإنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ! »فنظر الناس ذلك اليوم إلى أمر عظيم : نظروا إلى السباع تخرج إليهم من الشعراء تحمل أشبالها والذئب يحمل أجراءه والحية تحمل أولادها ، سمعاً وطاعة . ثم نادى عقبة فى الناس : «كفوا عنهم حتى يرتحلوا ! »فلما خرج مابها من الوحش والهوام ، بإذن الله تعالى ، أمرهم أن يقتطعوا ويختطوا ، وأسس دار الإمارة ، واتخذ لها من الخمس ما يتخذ الأمراء لحرس المسلمين .

بناء المسجد

ثم أتى بهم إلى موضع المسجد الأعظم فاختطه ، ولم يُحدث فيه بناءً ، وكان يصلى فيه وهو كذلك . واختلف الناس عليه فى القبلة ، وقالوا : « إن أهل المغرب يضعون قبلتهم على قبلة هذا المسجد ، فاجهد نفسك فى تقويمه » ، فأقاموا أياماً ينظرون إلى مطالع الشتاء والصيف من النجوم ومشرق الشمس ، فلما رأى عقبة أن أمرهم قد اختلف بات مغموماً ، فدعا الله عز وجل أن يفرج عنه ، فأتاه آت فى منامه فقال له : « ياولى رب العالمين ، يقول لك رب العالمين : إذا أصبحت فخذ اللواء فاجعله على عاتقك ، فانك تسمع بين يديك تكبيراً لايسمعه أحد من المؤمنين غيرك . فالموضع الذى ينقطع عنك فيه التكبير فهو

---

(١) فى الأصل هكذا : « على ساحل البحر واديها » ، وواضح ان العبارة مبتسرة ، ويغلب ان صحتها : فمال الى موضع بناء المدينة ، (وابتعد عن ساحل البحر (وسار حتى بلغ) واديها ... »

(ص ٦) قبلتك ومحراب مسجدك، وقد رضى الله عز وجل أمر هذا العسكر وهذه المدينة ، وسوف يعز بها دينه ويذل بها من كفر به إلى آخر الدهر » . فاستيقظ عقبة من منامه ، وجزع جزعاً شديدا ، فتوضأ وأخذ فى الصلاة وهو فى المسجد — ولم يُبن بعد — ومعه أشراف الناس من الصحابة والتابعين رضى الله تعالى عنهم، فلما انفجر الصبح ركع ركعتى الفجر ، وإذا بالتكبير بين يديه ، فقال لمن حوله : « ألا تسمعون شيئا ؟ » قالوا : « لا نسمع شيئا ! » فعلم أن الأ [مر] من عند الله عز وجل . فأخذ اللواء فوضعه على عاتقه ، وأقبل يتبع التكبير الذى بين يديه، حتى انتهى إلى موضع محراب المسجد الأعظم اليوم ، فلما انتهى إليه انقطع عنه التكبير ، فركز لواءه وقال : « هذا محرابكم ! » فاحتذى به جميع مساجد المدينة وسائر البلدان ، ثم أخذ الناس فى بنيان الديار والمساجد وغير ذلك ، فشد إليها الناس المطايا من كل مكان ، وعمرت بفضلاء الناس من الفقهاء والمحدثين والمتطوعين والعابدين والنساك والزاهدين ، وأعز بها الإسلام وأهله . ودُمغ بها أهل النفاق والأهواء والشك والضلالة .

سبب غزو إفريقية واختطاط مدينة القيروان

وأما سبب غزوها واختطاط مدينة القيروان ، فذكر الواقدى قال : لما عزل عمرو بن العاص عن مصر ، وولى عبد الله بن أبى سرح فى سنة خمس وعشرين ، بعث المسلمين فى جرائد الخيل — كما كانوا يعملون فى ولاية عمرو — فأصابوا من أطراف إفريقية وغنموا ، فجاءوا بالغنائم إلى عبد الله ؛ فكتب إلى عثمان يخبره بما نال المسلمون من عدوهم ، وقربهم من حوز المسلمين . فحدث عن المسور بن محرمة (١) من طريق الزهرى ، قال المسور : « خرجت من منزلى بليل طويل أريد المسجد ، فإذا عثمان رضى الله تعالى عنه فى مصلى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى ، فصليت خلفه ، ثم جلس فدعا ليلا طويلا ، حتى أذن المؤذن ، ثم قام منصرفاً إلى بيته ، فقمت فى وجهه فسلمت عليه ،

(١) وفى « الاصابة » ، ج ٤ ص ١٥١ : مخرمة .

فقال : « يا ابن محرمة » ، واتكأ على يدى ، « إنى استخرت الله تعالى فى ليالىّ هذه فى بعث الجيوش إلى إفريقية ، وقد كتب إلىّ عبد الله بن سعد يخبر بخبره مع المشركين وغلبهم وقرب حوزهم من المسلمين » ، فقلت : « خار الله لأمير المسلمين » قال : « فما رأيك يا ابن محرمة ؟ » قلت : « اغزوهم » قال : « اجمع اليوم الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأستشيرهم ، فما أجمعوا عليه فعلته ، أو ما أجمع عليه أكثرهم فعلته ، ولتكن (١) أنت رسولى إليهم ، واحضر معهم » فقال : « لِمَ قلت لى اجمع ولم تسم من أجمع؟» فقال : « إيت علياً وطلحة والزبير والعباس » ، وذكر رجالا ، فخلا بكل واحد منهم فى المسجد، ثم دعا بالأعور سعيد بن زيد ، فقال له عثمان : «لم (٢) كرهت يا أبا الأعور من بعثة الجيوش إلى إفريقية ؟ » فقال له : « سمعت عمر يقول : « لا أغزيها أحداً من المسلمين ما حملت عيناى الماء » ، فلا أرى لك خلاف عمر» [فقال له عثمان]: « والله ما نخافهم ، وإنهم لراضون أن يقروا فى مواضعهم [فلا يغزون] »(٣) فلم يختلف أحد ممن شاوره غيره .

ثم خطب الناس وندبهم إلى الغز[و] إلى إفريقية ، فخرج جماعة من الصحابة منهم عبد الله بن الزبير وأبو ذر الغفارى ، وفى نسخة (٤) عبد الله [ابن] عباس ومسور بن زهرة ومقداد بن الأسود [وعبد الرحمن بن الأسود بن](٥) عبد يغوث وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وعبد الرحمن بن صبيحة وعبد الله ابن عمر بن الخطاب وأخواه عبيد(٦) الله وعاصم وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص والمطلب بن السايب بن أبى وداعة والسايب بن

---

(١) فى الأصل : ولكن .

(٢) كذا فى الأصل ، وتحتها : ما .

(٣) هذه التكملة من ابى العرب : « طبقات علماء افريقية » ، ص ١٣ .

(٤) وردت هذه العبارة هكذا فى المتن ، مما يدل على ان الناسخ كان ينقل عن اكثر من نسخة .

(٥و٦) ابو العرب ، ص ١٣

عامر بن هشام (١) وبشر (٢) بن أرطاة . ومع كل واحد منهم جماعة من قومه . وخرج مِن «أسلم» ثلاثمائة رجل، منهم حمزة وعمر الأسلمي، وسلمة بن الأكوع . وخرج من «مزينة» ثمانمائة ، منهم بلال بن الحارث المزني، وكان اللواء بيده ، وخرج من «بني سُلَيْم» أربعمائة وخمسون ، وغيرهم من قبائل شتى (٣) . خرج جميعهم مع عبد الله بن أبي سرح العامري سنة سبع وعشرين من الهجرة . وكانت هذه الغزاة تسمى «غزوة العبادلة» .

وروى الواقدى ، عن ربيعة الديلي ، قال : «أغزانا عثمان إفريقية ، فخرجنا ، فقدمنا مصر ، فخرج عبد الله بن سعد ، وهو أميرنا ، بمن كان معه في مصر ومن قدم إليه من المدينة ، فكانوا عشرين ألفا ، يريد إلى «البطريق جُرْجير» بإفريقيـة ، [و] كان قد غلب على المغرب . فلما فصلنا من مصر تقدمت [سرية] فوصلت «طرابلس» ، وإذا ثَمَّ مركب قد أرست ، فشدوا عليهم ، فأقاموا ساعة ثم استأسروا ، فكتفوا ، وهم مائة ، حتى لحقهم ابن أبي سرح فقتلهم ، وتحصن أهل طرابلس ، ولم يعرضوا لنا ، ولم نُهِجْهم ، وأخذنا ما في السفن ، فكانت هذه أول غنيمة أصيبت » .

« ثم تمادينا إلى إفريقية ، ونحرنا الإبل وذبحنا البقر ، وأخذنا العلف والسَّبَد و [جعلنا] نضرب في كل جهة ، وأقمنا أياما تجرى بيننا وبين «جرجير» ملكهم الرسل ، ندعوه إلى الإسلام (٤) ، فكلما دعوناه إلى الإسلام ، نخر ، ثم استطال وقال : «لا أفعل هذا أبدا !» فقلنا له : «فتخرج الجزية في كل عام»

---

(١) ابو العرب ، ص ١٤ .

(٢) في «الاصابة» حـ ١ ، ص ١٥٢ : بسر .

(٣) اورد ابو العرب بيان القبائل التى اشتركت في هذه الغزوة واعداد من اشترك منها ببيان أوفى ، انظر : «طبقات علماء افريقية» ، ص ١٣ — ١٤ .

(٤) يروى هذه الرواية الدباغ عن الواقدى ، قال : «... ثم لحق الناس بنا ، واقاموا اياما (و) كانت السرايا (تخرج) في كل وجه (و) تأتي بالبقر والشاه والعلف ، ثم تمادينا حتى وردنا افريقية ، فأقمنا اياما تجرى بيننا وبين جرجير المكاتبات ...» ـ المعالم حـ ١ ، ص ٣١ .

فقال : « لو سألتمونى درهماً لم أفعل ! » فتهيأ الناس للقتال ، وعبأ الناسَ عبد الله ابن سعد ميمنة وميسرة [وقلباً] [١] ، وسار بأصحابه ، فقال له رجل من القبط ممن كان معه : « إن القوم لايصافونك [٢]، هم أرعب منك من أن يصافوك، وهم يهربون منك ، فاجعل لهم كميناً وفرقهم فى أماكن » ؛ ففعل ذلك عبد الله، وغدا بنا على تعبئة ، و [تلاقينا مع الروم] [٣] قد رفعوا الصليب ، وعليهم من السلاح ما الله أعلم به ، ومعهم من الخيل ما لا يحصى ، فصاولنا ساعة من نهار حتى صارت الشمس قدر رمحين ، وحمل عبد الله بالناس ، فكانت الهزيمة عليهم ، وكر المسلمون عليهم فى كل مكان ، فأكثروا فيهم القتل والأسر : لقد رأيت فى موضع واحدٍ ألفَ أسيرٍ . فلما أصابهم الأسر والقتل طلبوا الصلح ، فصالحهم عبد الله بن سعد على خِرْج [٤] ، قيل صالحهم على ألفَىْ ألف دينار وخمسمائة ألف دينار » .

قال «سباب العصفرى»[٥] فى تاريخه : غز[ا] عبد الله بن سعد إفريقية مع جماعة من الصحابة ، فلقى جرجير فى « سُبَيطِلة » ، وهى مدينة مسورة (ص٧) على سبعين ميلا من القيروان ، فقتل جرجير وهو [فى] مائة ألف ، وصالح أهل المدائن والحصون على مائة ألف رطل ذهب .

قال « أبو عثمان سعيد بن عُفَير » فى تاريخه : لما سمعت الروم والأزارقة بمخرج عبد الله ووصوله إلى إفريقية ، خرجوا إليه ومعهم « جرجير » فى جمع [٦] [كثير] من الروم ، فلما التقوا بالمسلمين نادى « جرجير » بالبراز ، فبرز إليه عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم ، فقتله ابن الزبير ، ومنهم من قال

---

(١) التكملة من « معالم الايمان » ج ١ ، ص ٣١

(٢) « صافوهم فى القتال : وقفوا مصطفين » ــ القاموس المحيط ، ص ٤٣٧ .

(٣) لا يستقيم الكلام بغير اضافة هذه العبارة او ما فى معناها .

(٤) الخرج : الاتاوة ، كالخراج ــ القاموس ج ١ ، ص ١٥٩ .

(٥) لم يرد ذكر هذا المؤرخ الا عند المالكى . واورد ابن الناجى روايته ، واكتفى بقوله : « وذكر بعض المؤرخين » ــ المعالم ج ١ ، ص ٣٢ .

(٦) فى الأصل : جميع .

[قتلاه جميعاً] (١) . ثم كانت الهزيمة ، واتخذ المسلمون ذلك المنزل معسكراً ، وأصابوا لهم غنائم كثيرة ، فأصاب الفارس فى سهمه ثلاثة آلاف دينار ، ثم ساروا إلى البلاد ففتحوها كل مدينة عنوة .

[وذكر] الواقدى[أنه] بلغه أن عبد الله بن الزبير أنه(٢) قال : «أغزانا عثمان، رضى الله تعالى عنه، إفريقية . وكان بها بطريق يسمى « جرجير » كان سلطانه من طرابلس إلى طنجة ، فسار عبد الله حتى حلّ به ، فقاتله أياما ، فقتله الله عز وجل، وكنت أنا الذى قتلته ، فهرب بجيشه . وقطّع ابن أبى سرح السرايا وفرقها فى البلاد ، فأصابوا غنائم كثيرة ، فساقوا ما قدروا عليه ، فلما رأى ذلك رؤساء أهل إفريقية ، اجتمعوا وطلبوا أن يؤخذ منهم ثلاثمائة قنطار ذهبا ، على أن يكف عنهم ويخرج من بلادهم ، فقبل ذلك منهم ابن أبى سرح .

وذكر بعض أهل العلم بالسِّير ومغازى إفريقية أن عبد الله بن سعد نزل بموضع يسمى « قمّونية » ، وهو موضع مدينة القيروان ، فسأل عن أشراف مَن بإفريقية من الروم ، فقيل « جرجير » وهو صاحب مدينة سبيطلة . فزحف عبد الله إلى جرجير الملك ، فلقيه فى خلق عظيم من الروم، فقاتله عبد الله بمن معه ، والتحم القتال ، ووقع الصبر ، حتى ظن الناس أنه الفناء . فانهزم « جرجير » ، ولزمه عبد الله بن الزبير فى عجاج الموت ، فعرفه بمن معه من أشراف قومه ، ففرق عنه أصحابه وقتله إلى جانب السور ، وابنته تنظر من السور إلى قاتله ؛ وسبقت خيول المسلمين الرومَ إلى باب الحصن ، فحالوا بينهم وبين الدخول إلى حصنهم ، فركبهم المسلمون يميناً وشمالا فى السهل والوعر ، فقتلوا أنجادهم وفرسانهم ، ونزل عبد الله بن أبى سرح على باب المدينة وحصرها بمن معه حصاراً شديداً حتى فتحها ، وأخذ « ابنة جرجير » فوهبها لعبد الله بن الزبير . وهو صاحب الأفاعيل ذلك اليوم ، وهو المستشهد (٣) فى سبيل الله . ودخل عبد الله

(١) المعالم ، جـ ١ ص ٣٢

(٢) كذا فى الأصل ، وهى زائدة .

(٣) فى الأصل : المشهر .

المدينة فوجد فيها سبياً كثيراً وأموالا جمة عظيمة ، ووجد أكثرها ذهباً . وسَرَّى على الروم ، فبلغت خيوله « قصور قَفْصة » ، وبلغت موضعاً يقال له « قرطاجنة » فسبي فيها (ماياتى؟) (١) [وذهب بعد] تلك الواقعة [مُلك] الروم بإفريقية ، ولجأوا إلى الحصون ، وأصابهم رعب عظيم .

ثم اجتمعت خيول المسلمين ، وأمر عبدُ الله بن سعد عبدَ الله بن عباس أن يقسم عليهم فيئهم ، فبلغ سهم الفارس يومئذ ثلاثة آلاف دينار ، وبلغ سهم الراجل ألف دينار .

وذُكر أن ابنة الملك أشرفت على العرب فى عسكرهم ، فاستقلّتهم ، فقالت لأبيها : « لا تسرع بالقتل فى هؤلاء ، وأنحلنيهم » ، فقال : « قد أنحلتكهم » . فالتقوا وهى تنظر ، فهزم الله المشركين ، وقتل أبوها « جرجير » وهى تنظر ، فتنازع الناس فى قتله ، فقالت : « ما للناس يتنازعون ؟ » فقيل لها : « فى قتل أبيك » فبكت وقالت : « قد رأيت الذى أدركه وقتله » فقال لها عبد الله بن سعد : « هل تعرفينه ؟ » قالت : « إذا رأيته عرفته » ، فأخذ عبد الله بن سعد الناس بالعرض ، فمروا بين يديها وهى تنظر ، حتى مر عبد الله بن الزبير ، فقالت : « هذا قاتل أبى » فقال له عبد الله بن سعد : « كتمتنا يا أبا بكر قتلك إياه ! » فقال له : « قد علمه الذى قتلته له » فنفله ابنُ أبى سرح ابنةَ الملك . وفى [ابنة جرجير] يقول ابن الزبير حين بلغه أنها سألت أباها أن ينحلها العرب :

ابنةَ جرجير تلقَّىْ نحلتك (٢)   لقيت بالنحلة ثكلى أبتك
لتأخُذِن فى الطريق عقبتك   لتسقين شر ماء قربتك
شر عجوز بالحجاز ربتك (٣)

---

(١) كذا فى الأصل ، ولم استطع قراءة هذا اللفظ .

(٢) النُّحلة والنِّحلة : العطية — القاموس المحيط .

(٣) وردت هذه الأبيات فى نص المالكى الذى بين أيدينا مضطربة اضطرابا شديدا هكذا :

ابنـــة جرجير تلقى نحلتـــك   لقيت بالنحـــلة ثكلا ابكتـــك
لتـــاخذن فى الطريق عقبتـــك   لتسعن مرضـــا قربتـــك
سر عجـــوز بالحجاز ربتـــك

=

وقيل إنه لما حضر القتالُ أخرج جرجيرُ ابنته ، فألبسها حليها وثيابها وأسفر عن وجهها ، فكان عدة خدمها اللاتى صعدن معها الديدبان أربعين خادماً ، فقال لهم [جرجير الملك] (١) : « أتدرون من هذه ؟ » فقالوا : « نعم يا سيدنا ، هذه ابنة الملك ، وهؤلاء خدمها » ، فقال لهم : « وحق المسيح والنصرانية ، لايقتل عبد الله بن سعد منكم رجل إلا زوجته ابنتى وسقت إليه ما معها من الحلى والخدم ، وأنزلته المنزلة التى لا يطمع فيها أحد عندى ! » فلم يزل يقول ذلك حتى أمَرَّه على مسامع أكثر رجاله ، فحرض بذلك الروم تحريضاً كثيراً، فلما انتهى إلى عبد الله [بن سعد] (٢) ما فعله وقاله « جرجير » نادى فى عسكره ، وأخبرهم بالذى كان من جرجير ، ثم قال لهم : « وحق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لايقتل أحد منكم جرجير إلا نفلته ابنته وما معها ! » ، ثم زحف بمن معه من المسلمين ، فضرب الله عز وجل وجوه الروم ؛ وأدرك عبد الله بن الزبير جرجير فقتله . قال : فقال عبد الله بن الزبير: هجم علينا جرجير فى معسكرنا فى عشرين ومائة ألف ، فأحاطوا بنا من كل مكان ، وسُقِط فى أيدى المسلمين ، ونحن فى عشرين ألفاً ، فاختلف الناس على ابن أبى سرح ، فدخل فسطاطه [ورأيت غرة من « جرجير » نظرت بها] (٣) ، فرأيته خلف عساكره على برذَون أشهب ، ومعه جاريتان له تظللان عليه بريش الطواويس ، وبينه وبين جنده أرض فضاء ليس فيها أحد ، فخرجت أطلب ابن أبى سرح ، فقيل لى قد خلا فى فسطاطه ، فأتيت حاجبه ، فأبى أن يأذن لى عليه ، فدرت من كِسر الفسطاط ، فدخلت عليه ، فوجدته مستلقياً على ظهره ،

= وقد صححت النص عن « معالم الايمان » انظر : جـ ١ ص ٣٤

واورد ابن عبد الحكم هذه الأبيات هكذا :

يابنة جرجير تمشّى عقبتك — ان عليك بالحجاز قربتك

لتحملن من قباء قربتك

راجع « فتوح مصر وافريقية والاندلس » : ص ١٨٥ .

(١و٢) المعالم ، جـ ١ ص ٣٤

(٣) المعالم جـ ١ ص ٣٤ ـ ٣٥ =

فلما دخلت عليه استوى جالساً ، (ص٨) فقلت : « إيه ، إيه ! كل أزف يفوز ! »(١) فقال : « ما أدخلك على يا ابن الزبير ؟ » [فقلت له] (٢) : « إنى رأيت غرة من العدو ، فاخرج فاندب لى الناس! » قال : « وما رأيت ؟ » فأخبرته ، فخرج معى سريعاً فقال : « يا أيها الناس ! انتدبوا مع ابن الزبير » ، فاخترت ثلاثين فارساً ، وقلت لسائرهم : « اثبتوا على مصافكم » ، وحملت فى الوجه الذى رأيت فيه « جرجير » ، وقلت لأصحابى : « احموا ظهرى ! » فوالله ما لبثت أن خرقت الصف إليه ، ولا يحسب هو وأصحابه إلا أنى رسول إليه ، وحين دنوت منه عرف الشر ، فثنى برذونه مولياً ، فأدركته مبادراً ، فدفعت بالسيف عليه ، فأصبت يدى إحدى الجاريتين فقطعتهما ، واحتززت رأسه فنصبته فى رمحى ، وكبّرت . وحمل المسلمون فى الوجه الذى كنت فيه ؛ فارفض العدو فى كل وجه ومنح الله تعالى المسلمين أكتافهم . فلما أراد ابن أبى سرح أن يوجه بشيراً إلى عثمان ، رضى الله تعالى عنه ، قال : « أنت أولى من هنا بذلك ، انطلق إلى أمير المؤمنين فأخبره بالخبر » . فقدمت على عثمان ، فأخبرته بفتح الله ونصره ووصفت له أمرنا كما كان » .

ذكر عبد الله بن نافع وعبد الملك بن حبيب أنه وصل من إفريقية إلى المدينة فى شهر . وذكر حسين (٣) بن سعيد الخراط أنه وصل من سبيطلة (٤) إلى المدينة فى ثمانية عشر يوما ، وكان يومئذ ابن بضع وعشرين سنة . وذكر أنه كان يرتجز لابنة جرجير البطريق ، ويقول :

يا ابنة جرجير تمشى عقبتك   ستبصرين فى الحجاز ربتك
ما أحسن الوجه وأجلى مقلتك   لتحملن من تدير (٥) قربتك
لتعظمن فى الإماء لقمتك

---

(١) فى الأصل : يفوت ، والتصحيح من المعالم ، ج ١ ، ص ٣٥
(٢) المعالم ، ج ١ ، ص ٣٥
(٣) وفى المعالم (ج ١ ص ٣٦) : الحسن .
(٤) فى الأصل : سبطة .
(٥) كذا فى الأصل ولعلها : قريب .

فلما وصل عبد الله بن الزبير المدينةَ وأخبر عثمانَ رضى الله تعالى عنه الخبر بما كان من الفتح ، أمره عثمان أن يقوم بذلك خطيباً فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : « أنا أهيَب لك منى لهم » ، فقام عثمان رضى الله تعالى عنه فى الناس خطيباً ، فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الناس ! إن الله تعالى فتح عليكم إفريقية ، وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم خبرها ، إن شاء الله » . وكان عبد الله إلى جانب المنبر ، وكان أول من خطب إلى جانب المنبر خطبةً ابن الزبير ، رضى الله تعالى عنه ، [خطب] الناس خطبة تضمنت ما جرى فى غزوهم وقتالهم للعدو ، ووصف سيرة أميرهم فيهم ، قال عنه إنه ما كان يسير بهم إلا بريدين و [يخفض بهم فى الظهائر] (١) ، ويتخذ الليل جملا ، يعجل الرحيل من المنزل القفر ، ويطيل اللبث فى الموضع الخصب ، «فلم نزل على أحسن حالة نعرفها من ربنا حتى انتهينا إلى إفريقية ، فنزلنا بها حيث يسمعون صهيل الخيل ورغاء الإبل وقعقعة السلاح ، فأقمنا أياما نُجِم كراعنا ونصلح سلاحنا ، ثم دعوناهم إلى الإسلام والدخول فيه ، فأبعدوا منه ، وسألناهم الجزية عن صغار [أ] والصلح ، فكانت هذه أبعد ، وأقامت رسلنا تختلف إليهم ثلاث عشرة ليلة تأتيهم ، فلما يئس منهم [عبد الله بن سعد بن أبى سرح] قام خطيباً ، فذكر الله عز وجل وأثنى عليه ، ثم ذكر فضل الجهاد . فقاتلناهم أشد قتال ، واستشهد الله جل جلاله رجالا من المسلمين ، فبتنا وباتوا ، وللمسلمين دوى كدوى النحل ، وبات المشركون فى ملاهيهم وخمورهم . فلما أصبحنا زحف بعضنا إلى بعض ، فأفرغ الله تعالى علينا صبره ، وأنزل علينا نصره ، ففتحناها من آخر النهار » ، وتمادى على خطبته فى مثل هذا المعنى ، وكان أول مقام قامه ، فانتهى ذلك إلى أبيه الزبير ، فأقبل مسرعاً وهو يقول : « غفر الله لأمير المؤمنين ! عرَّض هذا الغلام لهذا المقام بين أظهر الناس وهو حديث السن ! » فلما دخل المسجد رآه قائماً ، فرمى بنفسه فى آخر الناس ، ثم سأل الله عز وجل تسديده وتثبيته ، فلم يزل عبد الله موفقاً فى خطبته حتى فرغ ، فعجب الناس

---

(١) المعالم ، حـ ١ ، ص ٣٧

لشأنه ، وهنئ بذلك الزبير ، فقال : « بأبي وأمي ! لقد سمعت من كلامه ما أذكرني فُوَّهات (١) جده الصديق ، رضى الله تعالى عنه » .

وأقام ابن أبي سرح وهو الأمير بسبيطلة على عسكره ، فلما رأى الروم الذين بالساحل ما حل « بجرجير » وأهل سبيطلة غارت أنفسهم وتجمعوا ، وكاتب بعضهم بعضا فى حرب ابن أبي سرح ، فخاف منهم لما معه من الغنائم ، فكتب إلى خليفته بمصر يأمره أن ينفذ إليه مراكب فى البحر يجعل فيها غنائم المسلمين ، فأخذ خليفته فيما أمره به ، فاتصل بالروم قصدُ ابن أبي سرح إياهم واستقتاله فى حربهم (٢) ، فخافوه وراسلوه ، وجعلوا له جعلا على أن يرتحل بجيشه ولا يعترضوه بشىء ، ووجهوا إليه مائة قنطار ذهباً ، فأجابهم إلى ذلك ، وانصرف عنهم راجعاً إلى مصر ، بعد أن أقام بإفريقية سنة وشهرين . فلما وصل إلى طرابلس وافته المراكب ، فحمل فيها أثقال جيشه ، وقصد هو وأصحابه إلى مصر سالمين . ووجه إلى عثمان رضى الله تعالى عنه بالأموال التى معه من الخمس وغيره .

فوقعت الفتنة على إثر ذلك ، واستشهد عثمان رضى الله تعالى عنه ، وولى بعده علىّ رضى الله تعالى عنه، وبقيت إفريقية على حالها إلى ولاية معاوية رضى الله تعالى عنه .

ولاية معاوية بن حُدَيْج مصر وإفريقية

فلما ولى معاوية عزل عبد الله بن أبي سرح عن مصر وإفريقية ، وولى عليها [معاوية] بن حديج الكندى ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك فى سنة أربعين ، [فأراد معاوية غزو إفريقية] (٣) ، فأغزاها معاوية بن حديج ، فخرج من مصر فى سنة خمس وأربعين ومعه عبد الله

---

(١) الفوهات بضم الفاء وتشديد الواو : المقالات .

(٢) وفى المعالم ، ج ١ ، ص ٣٨ : استقباله حربهم .

(٣) المعالم ، ج ١ ، ص ٣٩ .

ابن عمر وابن الزبير وجماعة من الصحابة وغيرهم من التابعين . وكان معه أيضاً عبد الملك بن مروان ويحيي بن الحكم والأكدر بن حمام اللخمى وكريب بن أبرهة ابن الصباح [1] وخالد بن ثابت الثقفى [2] (ص٩) وأشراف من جند مصر . فوصل إلى إفريقية فدخلها [3] (ص ٩) وعليها عامل جرجير الذى كان ملك سبيطلة ، فنزل بجيوشه على « قمُونِيَة » وهى « قيروان إفريقية » ، فرحل منها إلى جبل يقال له « القَرن » ، ويقال إنما سمي « القرن » لقول معاوية : « ارحلوا بنا إلى ذلك القرن » ، ويقال إنه نزل جبلا يقال له « مَمْطور » فى غربى قمونية ، فأصابه مطر شديد ، فقال : « إن جبلنا هذا لممطور » فسمي « ممطوراً » إلى اليوم .

ثم رحل إلى « جلولاء » ، ففتحها ، ويقال إن معاوية بن حديج طال مقامه عليها ، ثم سار عنها ، فذكر رجل من قومه قوساً نسيها ، فرجع فى طلبها ، فرأى ركناً من أركان جلولا قد انهدم ، فلحق بمعاوية فأخبره . ويقال إنه لما انصرف ، جعل فرسان الناس وحماتهم ساقةً للعسكر ، فساروا قليلا ، فإذا خلفهم غبار شديد ووهج ، فوقف العسكر ، وخف من كان بالساقة نحو ذلك الغبار حتى وصلوا جلولا ، فإذا هى قد وقع حصنها من ناحية [واحدة] [4] من ركن إلى ركن ، فرجع العسكر ونزلوا على [حصنها من] [5] موضع الهدم وألقوا بأنفسهم إلى الموت ، فقاتلوهم قتالا شديدا ، فانهزم الروم ، ودخلوها بالسيف ، فأصابوا سبياً كثيراً وغنائم ، فيقال إن معاوية بن حديج [مضى إليها بجميع عسكره ، فغنم كل ما كان فيها ، ثم] [6] أنفذ الغنائم إلى معاوية بن أبي سفيان بالشام . و [يقال] إن الذى نسي القوس عبد الملك بن مروان ، وكان يذكر أشياء رآها بجلولا وهو خليفة .

قال أبو العرب : « إن معاوية بن حديج غزا إفريقية ثلاث غزوات : أما الأولى فسنة أربع وثلاثين فى خلافة عثمان ، [قال] : وكانت تلك الغزاة

---

(١) وفى المعالم ، جا ، ص ٣٩ : أبيزة بن الصباح .
(٢) وفى المعالم ، جا ، ص٣٩ ، والطبقات ص ١٩ : الفهمى .
(٣) فى الأصل : فدخلوها ، وفى المعالم جا ، ص ٣٩ : قصد جلولا .
(٤و٥و٦) التكملة من المعالم ، جا ، ص ٤٠ .

لايعرفها كثير من الناس، وأما الثانية فسنة [أربعين ، وأما الثالثة فسنة] خمسين » ؛ انقضى كلام أبي العرب (١) .

فلما وصلت الغنائم إلى معاوية بن [أبي] سفيان أعان معاوية بن حديج بجيوش الشام ومصر إلى إفريقية ، وذلك فى سنة خمسين ، وكان عبد الملك ابن مروان معه ، فوصلوا إلى إفريقية ، واحتفروا الآبار التى تسمى اليوم « آبار حديج » بباب تونس ، وإنما احتفرها إذ كان عسكره هناك .

ثم غزا « بنزرت » وغنم غنائم كثيرة من نواحيها ، ورجع قافلا إلى « قمونية » وبنى بناحية القرن مساكن وسماها « قيروان » ، وموضع « القيروان » غير مسكون ولا معمور . ثم رحل ابن حديج من إفريقية إلى معاوية بن أبي سفيان ، فدفع الغنائم إليه ، فعزله معاوية عن مصر (٢) ، وولى عليها مسلمة بن مخلد الأنصارى .

ولاية مسلمة مصر والقيروان

فوجه مسلمة بن مخلد [خالداً] (٣) بن ثابت الفهمى إلى إفريقية ، وكان من التابعين ، فخرج فى المحرم سنة أربع وخمسين ، فانتهى إلى موضع منها وأصاب غنائم كثيرة .

ثم عزله مسلمة وولى أبا المهاجر مولاه ، وكان من التابعين . فخرج

---

(١) أكملت هذه الفقرة من « طبقات علماء افريقية » لأبي العرب (ص ١٥) وهذا نصها مع اسنادها كما وردت هناك : « قال : وحدثنى فرات بن عيسى بن محمد عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب ، أن معاوية بن حديج غزا افريقية ثلاث غزوات ، أما الأولى فسنة أربع وثلاثين فى خلافة عثمان ، قال : وكانت تلك الغزاة لا يعرفها كثير من الناس ، وأما الثانية فسنة أربعين ، وأما الثالثة فسنة خمسين » .

(٢) كذا فى الأصل، ولم يكن معاوية بن حديج قط من ولاة مصر ، وإنما كان واليها قبل مسلمة بن مخلد عقبة بن عامر .

أنظر : الكندى ، كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ص ٣٦ .

(٣) المعالم ، جـ١ ص ٤٢ . وقد أخطأ ابن الناجى فكتبه « الفهرى » ، وقد صححت الاسم من أبي العرب (راجع الطبقات ص ١٩)

أبو المهاجر (١) من مصر سنة خمس وخمسين بجيوش أهل الشام ومصر إلى إفريقية فوصل إلى « قرطاجنة »، وفيها مجتمع الروم، ويقال [إنه] نزل بفحص تونس، ويقال [إنه] نزل بسبخة وبنى بها ، ومنها حارب [أهل] « قرطاجنة » [فسار إليهم و] حاربهم ، ووجه حسين بن عبد الله الصنهاجي بجيش إلى « الجزيرة » فافتتحها ، وكتب إلى أبي المهاجر بذلك ، فرحل إليه واجتمع معه ، وقسم الفئ هنالك بين جميع الجيش . ثم انصرف فنزل « بدكرور » مدينة البربر بالقرب من موضع « القيروان » . ووجه بالخمس إلى مصر [ثم إن معاوية بن أبي سفيان عزل مسلمة بن مخلد] وولى سعيداً بن يزيد الأنصاري (٢) ، فلما بلغ ذلك أبا المهاجر لحق بمولاه .

ثم وجه سعيد بن يزيد عقبةَ بنَ نافع الفهري والياً على إفريقية بجيوش من قبله عددهم عشرة آلاف ، سنة سبع وخمسين (٣) . فنزل حتى وصل إلى « قفصة » فافتتحها ، وافتتح كل ما مر به فى طريقه ، حتى وصل إلى موضع

---

(١) ولابن الناجي روايات كثيرة عن غزوات معاوية بن حديج نقلها عن محمد بن يوسف الوراق القيرواني (المعالم جـ ١ ، ص ٤١) .

(٢) فى الأصل « زيد » والتصحيح من الكندى (القضاة والولاة ، ص ٤٠) ، واسمه الكامل : سعيد بن يزيد بن علقمة بن يزيد بن عوف الأزدى ثم الفهرى ، من أهل فلسطين . وليس بصحيح أن معاوية بن أبي سفيان عزل مسلمة بن مخلد عن مصر ، لأن معاوية توفى سنة ٦٠ هـ/٦٨٠ م ومسلمة لايزال والياً على مصر، فلما استخلف يزيد أقر مسلمة على ولاية مصر ، ومات مسلمة وهو وال على مصر فى ٢٥ رجب سنة ٦٢ هـ — ٦٨٢ م . واستخلف عابس بن سعيد عليها حتى ولى يزيد سعيداً بن يزيد ، فأقبل إليها فى أول رمضان سنة ٦٢ هـ وأقر عابساً على الشرط .

أنظر : الكندى ، القضاة والولاة ، ص ٣٩ — ٤٠ .

وليس بصحيح أن سعيداً بن يزيد هو الذى ولى عقبة بن نافع افريقية ، لأن أمر افريقية كان إلى خلفاء بنى أمية أنفسهم منذ وفاة عمرو بن العاص فى أول شوال ٤٣ هـ، وكان معاوية هو الذى ولى معاوية بن حديج على افريقية ، فلما عاد ابن حديج إلى مصر سنة ٤٨ هـ سارع معاوية فأعاد عقبة بن نافع فى أوائل سنة ٤٩ هـ — فبراير سنة ٦٦٩ م . أنظر « فتح العرب للمغرب » لناشر هذا الكتاب ، ص ١٣٥

(٣) فى هذه العبارة أخطاء كثيرة فى الأسماء والتواريخ ، راجع الهامش السابق .

« القيروان » فقال : « يا أهل الوادى ، اظعنوا فإنا نازلون ، وإنا من وجدناه قتلناه » — يعنى من الوحش الذى بالوادى — فرئين يخرجن من أجحارهن هوارب ، قال ، فلم ير الناس حية بعد ذلك أربعين سنة .

وكان فى موضع القيروان حصن لطيف للروم يسمى « قمونية » ، وكان فيها كنيسة وفيها الساريتان الحمراوان اللتان هما اليوم فى المسجد الجامع ، كانت عليهما حنيتان مبنيتان أقامتا إلى أيام زيادة الله بن الأغلب ، فهدمهما زيادة الله . وحملهما إلى المسجد الجامع ، فجعلهما فى المكان الذى هما فيه اليوم . ثم إن معاوية عزل سعيداً بن يزيد وولى مسلمة بن مخلد الأنصارى ، فرد أبا المهاجر مولاه بجيش من قبله ، فوصل إلى إفريقية سنة سبع وخمسين (١) ، وقيل إلى القيروان . فأخذ عقبة بن نافع فحبسه وضيق عليه ، فبلغ خبره معاوية فكتب إلى أبى المهاجر يأمره بتخليته ويعنفه مما صنع من ذلك ، فأطلقه أبو المهاجر وأرسله برسل من قبله حتى أخرجوه من قابس ، وهو حنق على أبى المهاجر ، فدعا الله عز وجل أن يمكنه منه ، فلم يزل أبو المهاجر خائفاً من دعائه .

ثم إن أبا المهاجر صالح بربر إفريقية ، وفيهم كسيلة الأوربى ، وأحسن إليه ، وصالح عجم إفريقية ، وخرج بجيوشه نحو المغرب ، ففتح كل ما مر عليه حتى انتهى إلى العيون المعروفة « بأبى المهاجر » نحو تلمسان ، ولم يستخلف على القيروان أحداً ، ولم يبق بها إلا شيوخ ونساء ، ثم رجع إليها فأقام بها .

---

(١) هنا يخلط المالكى فى التواريخ وترتيب الحوادث خلطاً ظاهراً ، فان معاوية لم يعزل مسلمة بن مخلد عن مصر ، بل ظل مسلمة واليها من ٤٧ إلى ٦٢ هـ ٦٦٧ — ٦٨٢ م ، ومات وهو واليها فى هذه السنة ، أنظر : جداول ولاة مصر فى كتاب « مصر فى فجر الاسلام » للاستاذة سيدة الكاشف ، ص ٣٦٨ . وكان مسلمة ابن مخلد الانصارى هو الذى سعى فى عزل عقبة بن نافع لكى تصير إليه ولاية افريقية ، وتم له ذلك سنة ٥٥ هـ ٦٧٤ — ٦٧٥ م فولى عليها مولاه دينار أبا المهاجر فى نفس السنة .

أنظر : « فتح العرب للمغرب » ، ص ١٤٧ وما يليها ، وجدول تواريخ فتح افريقية ، ص ٣٣٨ من نفس الكتاب .

ولما [سرح عقبة من ثقافه وتوجه إلى الشام] قدم [على] معاوية [ابن أبي سفيان فـ] (١) وجده قد توفى إلى رحمة الله تعالى وتولى بعده يزيد ، فدخل عليه فأخبره بما صنع أبو المهاجر وما دخل عليه منه ، وقال له : « لما افتتحتُ إفريقية بنيتُ مسجدَ الجماعة ، [ثم] بعثتَ عبدَ الأنصارى فأهانني وأساء عزلي » ، فغضب يزيد وقال : « أدركوها قبل أن يخربها » ورد عقبة إليها ، وأزال مسلمة عنها ، وأقره بمصر ، وذلك سنة اثنتين وستين .

وقدم عقبة إلى القيروان بعشرة آلاف فارس ، فأخذ أبا المهاجر فحبسه وقيده ، وأخذ ما معه من الأموال ، فكانت مائة ألف دينار . وجدد [بناء القيروان] وشيدها ، ونقل الناس [إليها] ، فعمرت وعظم شأنها .

ثم خرج بأصحابه وبكثير من أهل القيروان إلى المغرب ، واستخلف عليها عمر بن على القرشى وزُهير بن قيس البَلوى ، وخرج بأبي المهاجر معه موثقاً ، فدعا بأولاده وقال لهم : « إني بعت نفسي من الله ، وما أدرى ما يأتي (ص ١) عليَّ في سفري »(٢) ، ثم قال : « يابنى أوصيكم بثلاث خصال فاحفظوها ولا تضيعوها : إياكم أن تملأوا صدوركم بالشعر وتتركوا القرآن فإن القرآن دليل على الله عز وجل ، وخذوا من كلام العرب ما يهتدى به اللبيب ويدلكم على مكارم الأخلاق ، ثم انتهوا عما وراءه ، وأوصيكم أن لا تداينوا ولو لبستم العبا [ء] ، فإن الدين ذل بالنهار وهم بالليل ، فدعوه تسلم لكم أقداركم وأعراضكم ، وتبقَ لكم الحرمة فى الناس ما بقيتم ، ولا تقبلوا العلم من المغرورين المرخصين ، فيجهّلوكم دين الله ويفرقوا بينكم وبين الله تعالى ، ولا تأخذوا دينكم إلا من أهل الورع والاحتياط فهو أسلم لكم ، ومن احتاط سلم ونجا فيمن نجا » ، ثم قال : « عليكم سلام الله ! وأراكم لا تروننى بعد يومكم هذا » ، ثم قال : « اللهم تقبل نفسى فى رضاك ، واجعل الجهاد رحمتى ودار كرامتى عندك » .

---

(١) أكملت العبارات الناقصة من هذه الفقرة من : معالم الإيمان ، ج١ ، ص٤١

(٢) ورد فى هامش الأصل أمام هذا السطر : وصية عقبة بن نافع .

ثم سار لا يدافعه أحد حتى انتهى إلى « باغاى » والروم يهربون من طريقه يميناً وشمالا ، فحاصرها وقد اجتمعوا بها ، فقاتلهم قتالا شديداً ، ثم انهزم العدو فقتلهم قتلا ذريعاً وغنم أموالهم ، ثم رحل فنزل على « تلمسان » (١) وهى من أعظم مدائنهم ، وانضم إليها من حولها ، فخرجوا إليه فى عدة لا يعلمها إلا الله عز وجل ، [والتحم القتال ، ووقع الصبر] (٢) حتى ظن المسلمون أنه الفناء ، فضرب الله عز وجل فى وجوه الروم ، فقاتلهم إلى باب حصنهم ، وأصاب الناس منهم غنائم كثيرة ، ثم رحل يريد « الزاب » ، فسأل عن أعظم مدينة لهم ، فقيل له « أدنة » (٣) وهى دار ملكهم ، و[كان] حولها ثلاثمائة وستون قرية كلها عامرة . فلما بلغهم قدوم المسلمين عليهم هربوا إلى حصنهم وإلى الجبال ، فنزل عقبة على واد منها على ثلاثة أميال أو أكثر ، فلقوه فى عدة عظيمة فى وقت المساء ، [وكان] وقت نزوله ، فكره منازلتهم وقتالهم فى الليل ، فتواقف القوم الليل كله ، لا راحة ولا فترة ولا نوم ، فسماه الناس ، إلى اليوم ، « وادى سهر » ، لأنهم سهروا عليه ، فلما صلى عقبة الصبح أمر المسلمين بقتالهم ، فقاتلوهم قتالا ما رأى المسلمون مثله قط ، حتى يئس المسلمون من أنفسهم ، ثم أعطاهم الله عز وجل النصر والظفر ، فانهزم الروم واستولت الهزيمة على بقيتهم . وفى هذه الغزوة ذهب عز الروم من « الزاب » وذلوا وتحصنوا ، فكره عقبة المقام عليهم وقد تحصنوا ، ورحل منها يريد المغرب حتى نزل « تاهرت » (٤) ، فاستغاث الروم بالبربر ، فأجابوهم ونصروهم ، فقام عقبة فى الناس خطيباً ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، وقال : « أيها الناس ! إن أشرافكم وخياركم ، الذين رضى الله تعالى عنهم وأنزل فيهم كتابه ، بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم « بيعة الرضوان » على من كفر بالله إلى يوم القيامة ، وهم أشرافكم والسابقون منكم إلى البيعة ،

---

(١) ورد فى الأصل أمام هذا السطر : تلمسان .

(٢) أكملت هذه الفقرة من وصف المالكى للقتال فى موقعة سبيطلة .

(٣) وفى المعالم ج ١ ، ص ٤٤ : آذنه ، وفى ابن خلدون (تاريخ — ج ٤ ، ص ١٨٥) : أذنه . ورسمها البكرى أدنه ، انظر : وصف افريقية ، ص ١٤٤ .

(٤) ورد فى هامش الأصل أمام هذا السطر : تاهرت .

باعوا أنفسهم من رب العالمين بجنته بيعة رابحة . وأنتم اليوم فى دار غربة [وإنما بايعتم رب العالمين ، وقد نظر إليكم فى مكانكم هذا ، ولم تبلغوا هذه البلاد إلا طلباً لرضاه وإعزازاً لدينه ، فأبشروا ! فكلما كثر العدو كان أخزى لهم وأذل ، إن شاء الله تعالى . وربكم — عز وجل — لايسلمكم ، فالقوهم بقلوب صادقة ، فإن الله — عز وجل — جعلكم بأسه الذى لا يرد عن القوم المجرمين ، فقاتلوا عدوكم على بركة الله وعونه](1) والله لا يرد بأسه عن القوم المجرمين » . فالتقى المسلمون معهم ، فقاتلوهم قتالا شديداً ، [فلم يكن لهم بقتال العرب من طاقة](2) فولى الروم هاربين ، ومات منهم ومن البربر [عدد عظيم] وقتلوا قتلا ذريعاً .

ثم رحل حتى نزل طنجة ، فنزل على البحر المحيط [وهو بحر الأندلس](3) . فقال له الناس : « هذا بحر لا نرومه ، وعليه ملك عظيم الشأن » . فقال لهم : «دلونى على رجال البربر والروم » ، فقالوا : « خلفك منهم خلق ، وأمامك فى السوس أنجاد البربر »(4) . فأمر عقبة العسكر بالرحيل على بركة الله وعونه ، فرحل إلى « السوس الأدنى » ، فلقى البربر فى عدد لا يعلمه إلا الله تعالى ، فانهزموا فقتلهم قتلا ذريعاً ، وأمعنت خيل المسلمين فى البلاد والسواحل ، وسبوا النساء وغنموا الأموال ، فبلغت الجارية الرومية بالمشرق منهم ألف دينار ، وهربوا بين يديه .

ثم رحل يريد البحر المحيط ، فانتهى إليه وأقحم فرسه فيه ، لا يقف بين يديه أحد ، ثم نادى بأعلى صوته وهو يشير بسوطه : «السلام عليكم ورحمة الله !» فقال له بعض أصحابه : « على من تسلم يا ولى الله ؟ » فقال لهم : « على قوم يونس وهم من وراء هذا البحر ، ولولاه لوقفت بكم عليهم » ، ثم رفع يديه إلى السماء ،

---

(1) التكملة من « المعالم » ، جـ١ ، ص ٤٥ — ٤٦

(٢و٣) التكملة من « المعالم » جـ١ ، ص ٤٦ .

(٤) وردت هذه العبارة فى المعالم كما يلى : « قد تركت خلفك الروم ، وقد أفنيتهم ، وما أمامك إلا البربر » ، جـ١ ص ٤٦ .

ثم قال : « اللهم اشهد ، إنى قد بلغت المجهود، ولولا هذا البحر لمضيت فى البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد من دونك » .

ثم رجع إلى إفريقية . فلما انتهى إلى ثغر إفريقية أذن لمن معه من أصحابه أن يتفرقوا ويقدموها فوجاً فوجاً إلى إفريقية ، فلما انتهى [إلى] (١) ثغر إفريقية وهى « طُبْنة » أذن لمن بقى معه بالانصراف إلى القيروان ، ومال فى خيل يسيرة يريد « تَهُودَة » لينظر قدر ما يكفيها من الخيل ، [فيقطع ذلك إليها، وجيوشه متياسرة عن طبنة (٢) فلما انتهى إليها نظر الروم إلى قلة من معه من الخيل] (٣) فقالوا : [إن فى قتل هذه الخيل قتل أهل الأرض]،(٤) وظنوا أن ذلك عسكره فأغلقوا باب حصنهم ورموه بالحجارة وشتموه،وهو يدعوهم إلى الله وإلى رسوله، فلما توسط البلاد نزل ، فبعث الروم إلى « كسيلة الأوربى » فأعلموه بقلة من معه ، فجمع له جمعاً كبيراً من الروم والبربر ، وزحف إليه ليلا حتى نزل بالقرب منه ، واختلط (٥) بعسكر عقبة ، حتى أصبح ، فلما رأى ذلك عقبة استعد له ، وأمر أصحابه ألا يركب منهم أحد ، ويئس المسلمون من أنفسهم، فقاتلوا قتالا شديداً حتى بلغ بهم البلاء ، وكثر[ت] فيهم الجراح ، فاستشهد عقبة رضى الله عنه وجميع من كان معه رضى الله عنهم أجمعين ، واستشهد معه أبو المهاجر ، وكان موثقاً فى الحديد ، وقيل [إن] « كسيلة » إنما أتى ناصراً لأبى المهاجر ، لأنه كان صديقه ، فقتل أبو المهاجر فى التحام القتال ولم يعلم به .

وقيل إن أبا المهاجر قاتل « كسيلة » مع البربر حتى ظفر به ، فعرض عليه الإسلام ، فأسلم ، وأحسن اليه أبو المهاجر واستعفاه ، وكان فى عسكر

---

(١) المعالم جـ ١ ، ص ٤٧ .

(٢) فى الأصل : طنجة .

(٣) التكملة من « المعالم » ، جـ١ ص ٤٧ .

(٤) وردت هذه العبارة فى الأصل هكذا : « فقالوا إن هذا الجبل مثل أهل الأرض » ، فاستبدلت بها عبارة « المعالم » ، جـ ١ ، ص ٤٧ .

(٥) المعالم جـ ١ ، ص ٤٧ : أحيط .

المسلمين حتى عزل أبو المهاجر ، وقدم عقبة ، فأراد أن ينهض إلى « طنجة » ، فقال له أبو المهاجر : « ليس بطنجة عدو لك ، لأن الناس قد أسلموا ، وهذا رئيس البلاد — يريد كسيلة — فابعث معه والياً » ، فأبى عقبة إلا أن خرج بنفسه ، فخرج فلم يركيدا حتى «ماسة» بمكان من السوس الأقصى فبنى بها مسجداً ، ثم أتى بذود غنم للعسكر ، فذُبح الذود ، فأمر عقبة « كسيلة » أن يسلخ مع [السالخين] فقال له : « أصلح [الله] الأمير ، هؤلاء فتيانى وغلمانى يكفوننى » ، فنهره عقبة وقال له : « قم ! » فقام كسيلة مغضباً ، فكان كلما دحس فى الشاة مسح يده بلحيته مما علق بيده من بلل ذلك ، وجعل العرب (ص١١) يمرون عليه وهو يسلخ ، ويقولون له : «يابربرى ، ماهذا الذى تصنع ؟ » فيقول : « هذا جيد للشعر ! » فمر به شيخ من العرب فقال : « كلا ، إن البربرى ليتوعدكم » فقال أبو المهاجر لعقبة : « أصلح الله الأمير ، ما هذا الذى صنعت ؟ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألف جبابرة العرب ، كالأقرع بن حابس التميمى وعُيينة بن حصن ،(١) وأنت تجئ إلى رجل هو خيار قومه فى دار عزه ، قريب عهد بالكفر فتفسد قلبه؟ توثق من الرجل فإنى أخاف فتكه ! » فتهاون به عقبة ، فلما انصرف نكث البربر ما كانوا عليه ،(٢) وأقبلت النفرة إلى عقبة ، فقال له أبو المهاجر : « عاجله قبل أن يجتمع أمره » فزحف إليه عقبة ، فتنحى من بين يديه ، فقالت البربر لكسيلة : « لم تهرب من بين يديه ونحن فى خمسين ألفاً وهو فى خمسة آلاف ؟ » . [فقال : « إنكم كل يوم فى زيادة ، وهو فى نقصان ، ومدد الرجل قد افترق عنه ، فإذا طلب إفريقية زحفت إليه »](٣) . فغشى « كسيلةُ » عقبةَ بقرب « تهودة » فى كثرة لا يعلمها إلا الله عز وجل ، فنزل

---

(١) نقل ابن الناجى هذه القطعة كلها من : «فلما وصلت الغنائم إلى معاوية ابن أبى سفيان ...» إلى « ومضى الذين هربوا حتى قدموا على يزيد . . . » ولكنه فى هذا الموضع استبدل بعيينة بن حصن عقبة بن يزيد الفزارى — أنظر المعالم ج١ ، ص٤٩ .

(٢) المعالم ج ١ ، ص ٤٩ : البربرى ما كان عليه .

(٣) التكملة من « نهاية الأرب » للنويرى ، ج٢٢ ص ١٦ — ١٧ من طبقة جسبار ريمير و ، مدريد ١٩١٧ .

عقبة عن فرسه، وركع ركعتين وقال : « اطلقوا أبا المهاجر ! » ثم قال [له] : « الحق [بالقيروان] وقم بأمر المسلمين ، وأنا أغتنم الشهادة » فقال : « وأنا أغتنم الشهادة مثلك » فكسر كل واحد منهما غمد سيفه ، وكسر المسلمون أغمـــاد سيوفهم ، وقاتلوا حتى قتلوا [عن آخرهم] (١) ، وقيل إن عقبة أمر بتخلية أبي المهاجر ، فأعجله القتال ، فقاتل وهو موثوق بالحديد ، فذكر أن أبا المهاجر تمثل بقول أبي محجن :

كفى حزناً أن تقرع الخيل بالقنا وأترك مشدوداً عليّ وثاقيـــا

إذا قمت عناني الحديد وغلقت مصارع أبواب تصم المناديا (٢)

قال وهب بن منبه وشهر بن حوشب : إن هذه البقعة الملعونة التي يقال لها « تهودة » كان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن سكناها ، وقال : « سوف يقتل بها رجال من أمتي على الجهاد في سبيل الله تعالى ، ثوابهم وثواب أهل بدر واحد . واشوقاه إليهم ! منها يحشرون يوم القيامة » . وقيل إن عقبة مر بعمرو ابن العاص (٣) وهو بمصر وقت عودته إلى إفريقية فقال له عبد الله (٤) : « [لعلك] من الجيش الذين يدخلون الجنة برحالهم » ، فمضى فقاتل بجيشه البربر وهم كفار فقتلوا .

قال مؤلف الكتاب الشيخ أبو بكر عبد الله بن محمد المـالكي : « حدثني بهذا الفقيه « أبو عبد الله الأحداني » عن ولد أبي العرب عن أبيه » يقول : « ولما

---

(١) التكملة من « نهاية الأرب » للنويري ، جـ٢٢ ص ٢٧ .

(٢) ضبطت هذين البيتين على نصهما الذي ورد في المعالم ، جـ١ ص ٤٩ .

(٣) وفي المعالم جـ ١ ، ص ٥٠ : عبد الله بن عمرو بن العاص وهو الأصح ، وقد روى ابن عبد الحكم هذا الخبر على وجهه الصحيح قال : «حدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا الليث بن سعد ، أن عقبة بن نافع قدم من عند يزيد بن معاوية في جيش على غزو المغرب ، فمر على عبد الله بن عمرو وهو بمصر ، فقال له عبد الله : ياعقبة ، لعلك من الجيش الذين يدخلون الجنة برحالهم ! » . فمضى بجيشه حتى قاتل البربر ، وهم كفار ، فقتلوا جميعاً » ، و في نص المالكي هنا خطأ كثير . أنظر : فتوح مصر وافريقية والأندلس ، ص ١٩٩ .

(٤) في الأصل : عبد الملك .

استشهد عقبة وأصحابه ، جمع كسيلة جميع [أهل] (١) الغرب ، وزحف إلى القيروان . فانقلبت إفريقية ناراً ، وعظم البلاء على المسلمين ، فخرجوا هاربين لعظم ما اجتمع من البربر والروم مع كسيلة ، ولم يبق فيها إلا الشيوخ الهرم والنسوان والأطفال وكل مثقل بالعيال . وحار الناس ، وأرسلوا إلى كسيلة يسألونه الأمان ، ووثقوا بدعوة عقبة رحمه الله تعالى ، فأجابهم إلى ذلك ، ودخل القيروان ، وجلس فى موضع عقبة ، وبقى بقية المسلمين تحت يديه . ومضى الذين هربوا حتى قدموا على يزيد فوجدوه توفى سنة أربع وستين » .

ذكر أبو العرب (٢) أن « زهير بن قيس البلوى » خليفة عقبة لما بلغه ما جرى على عقبة رعب رعباً شديدا ، وأراد الانصراف إلى مصر ، فأبى « ابن حيان الحضرمى » ، وقال : « لا تفعل ، فإنها هزيمة إلى مصر » فكان أول من برز فضرب خباءه مبارزاً للعدو ، فلما رأى زهير عزمه ، عزم معه ، وكان مع المسلمين فى عسكرهم تبيع ابن امرأة كعب الأحبار (٣) فقال له زهير : « لمن تراها ؟ » فقال : « أراها لرجل من غسان وأنت رجل من بَلِىّ » قال : فاستهل زهير ، فحمد الله تعالى وقال : « أنا والله من نوافل العرب ، وأنا من غسان ، جنى جدى جناية [فى قومه] فلجأ إلى « بلى » فغلب علينا نسبهم » . وقال لتبيع : «ما علامة الفتح لنا ؟» قال : «طيش رجل من أصحابك فيستشهد» . فلما تدانت الخيول طاش رجل من [أ] مداد اليمن فقتل ، وكان اللقاء « بقصر أبى عبيد » ويقال إنه كان «بمَمْس» (٤) . ويقال إن تبيعا قال لزهير : « علامة

---

(١) التكملة من « المعالم» ج١ ، ص ٥٠ .

(٢) هذه الفقرة غير واردة فى طبعة أبى العرب التى بين أيدينا

(٣) فى الأصل : « يتبع أثر امرأة كعب الأحبار » ، وقد صححتها من المعالم ج١ ، ص ٥١ .

(٤) ممس أو ممش Mamma مدينة بيزنطية قديمة ، كانت من محارس خط التحصينات البيزنطى الثانى ، أنظر عنها : البكرى ، وصف افريقية ، ص ١٤٦ ، وابن خلدون ، تاريخ — ج ٤، ص ١٨٧ . وتقع إلى جنوبى القيروان .

صاحب الفتح أن يفتض ذلك اليوم بكراً » ، قال : فأدنى إليـــه زهير رأسه وقال إنه لم يجف بعد ، و« إنما تطهرت من افتضاض بكر الساعة » فقال له تبيع : « اخرج على بركة الله الساعة » ، فثبت زهير بالقيروان حتى زحف إليه كسيلة فى جمع عظيم من البربر والروم .

ونقض الروم العهد ، وخرجوا من حصونهم ، ووافق جميعهم عيد الأضحى فاعتدّ زهير ومن معه ستة آلاف : ألفين من البربر وأربعة آلاف من العرب ، فلما رأى زهير ما حل به من الروم والبربر ، أرسل إلى الروم وقال لهم : « وإنا وإياكم أهل كتاب ، وقد حضرنا يوم نعظمه ، فأخروا حربنا حتى ينقضى العيد » ، فأجابوه إلى ذلك . فلما انقضى العيد زحف إلى كسيلة وقاتله قتالا شديداً ، فانهزم كسيلة وقتل من أصحابه مالا يحصى ، وتفرقوا . فأقام زهير بالقيروان يسيرا ثم خرج إلى مصر ، فوصل إلى لوبيا ومَرَاقية وذلك سنة خمس وستين (١) ، فوجد يزيد قد توفى وعبد الله بن الزبير خليفة بمكة ، ومروان بن الحكم أميراً بالشام ، فاجتمع [المسلمون] (٢) إلى مروان فسألوه أن يبعث الجيوش إلى إفريقية لخلاص من فيها من المسلمين من يد « كسيلة » ، وأن يعز بها الإسلام كما كان فى أيام عقبة ، فقال لهم : « ومن للأمر مثل عقبة ؟ » فاتفق رأيهم ورأى المسلمين على زهير بن قيس البلوى ، وكان من رؤساء العابدين وأشراف المجاهدين (٣) فوجه إليه عبد الملك بن مروان ، فأمره بالخروج على أعنة الخيل فيمن معه من المسلمين لغزو إفريقية .

فلما اتصل ذلك بزهير سره وسارع إلى الجهاد (٤) ، وكتب إلى عبد الملك يخبره بقلة من معه من الرجال والأموال ، فأرسل عبد الملك إلى أشراف العرب ليحشدوا إليـــه الناس من الشام ، وأفرغ عليهم أموال مصر ، فسارع الناس

---

(١) وردت بهامش المخطوط أمام هذا السطر عبارة غير مقروءة وهى : ساب حربنا . ومراقية تعريب للاسم اللاتينى لهذه الناحية من اقليم طرابلس : Marmarica

(٢) المعالم جـ ١ ، ص ٥٢ .

(٣) المعالم جـ ١ ، ص ٥٢ : المهاجرين .

(٤) وردت فى الهامش أمام هذه الفقرة عبارة : ولاية زهير بن قيس .

إلى الجهاد ، واجتمع منهم خلق عظيم ، فأمرهم أن يلحقوا بزهير ، فلما وصلوا إليه خرج بهم إلى إفريقية، فلما دنا من القيروان نزل بقرية يقال لها « قرشانة »(١) وذلك فى سنة تسع وستين ، فبلغ ذلك كسيلة وكان فى خلق عظيم من الروم والبربر ، فدعا كبارهم وأشرافهم وشاورهم وقال لهم : (ص١٢) « أرى أن ننزل بممس لئلا يركبنا من بالقيروان إذا التحم القتال فنهلك ، فيكون عسكرنا بممس لأن ماءها كثير ، فإن هزمناهم دخلنا معهم طرابلس وقطعنا آثارهم، وإن هزمونا كان الجبل منا قريباً فتحصنا به » فأجابوه إلى ذلك ، فنزل ممس . وانتظره زهير أن يخرج إليه من القيروان ، فلما رآه نزل ممس رحل زهير إليه ونزل بالقيروان وأقام بها ثلاثة أيام حتى استراح وأراح ، وأراح أصحابه خيلهم ، وزحف إلى كسيلة يوم الأربعاء صباحاً ، فأشرف على العسكر (٢) فى آخر النهار ، فنزل ، وبات الناس على مصافهم ، فلما أصبح صلى زهير غلسا [ثم زحف إليه بمن معه](٣) فالتقى القومان ، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثر البلاء فى الفريقين ، فضرب الله فى وجه كسيلة فانهزم هو وأصحابه ، وقتلوا قتلا [ذريعاً](٤) وقتل كسيلة بممس وتمادت العرب فى طلبهم حتى سقوا خيلهم من « مَلوِيّة »، واد بطنجة ، وفتح « شَقبنارية »(٥) وقلاعاً أخر ، ورجع وقد خرج(٦) جميع الروم والبربر. ثم إن زهيراً رأى بإفريقية رفاهة العيش وملكاً عظيما فأبى من المقام ، وقال : « إنما قدمت للجهاد ، ولم أقدم لحب الدنيا » ، فأراده رؤساء أصحابه على المقام فأبى ، ورجع إلى الشرق ، ونزل ببرقة فكانت له بها وقائع كبيرة ، فلما بلغ الروم أن زهيراً خرج من برقة أمكنهم مايريدون فخرجوا إليها فى مراكب كثيرة وقوة عظيمة ، فأغاروا عليها ، فسبوا وقتلوا ، فوافق ذلك قدوم زهير من إفريقية إلى برقة ، فأخبروه بخبرهم ، فأمر عسكره أن يمضى على الطريق ، وعدل هو

---

(١) بضواحى القيروان وتسمى أيضاً قلشانة .
(٢) المعالم ، جـ١ ، ص ٥٣ : عسكر كسيلة .
(٣و٤) التكملة من « المعالم » : جـ ١ ، ص ٥٣
(٥) هى مدينة Sicca Vaneria الرومانية القديمة وتسمى الآن : الكف .
(٦) و « بالمعالم » جـ١ ، ص ٥٣ : فزع منه .

إلى الساحل فى خيل كثيرة[1] من فرسان أصحابه، وطمع أن يدرك العدو فيستنقذ منه أسارى المسلمين ، فلما وصل إلى الساحل أشرف على الروم ، فإذا هم خلق عظيم ، واستغاث ذرارى المسلمين وصاحوا والروم يدخلون بهم فى المراكب وعسكر الروم [بوفرة] [2] فى البر ، فنادى زهير فى أصحابه : « انزلوا رحمكم الله! » فنزل المسلمون ، وبرز الروم لقتالهم ، فاقتتلوا حتى عانق بعضهم بعضا ، وتكاثر عليهم الروم فاستشهد زهير وكل من كان معه من المسلمين رضى الله عنهم ، ولم يخلص منهم سوى رجل واحد. فأدخل الروم خيلهم وسلاحهم والسبى الذى كان معهم إلى المراكب .

فلما بلغ عبدَ الملك والمسلمين الخبر اشتد عليهم ذلك ، وكانت المصيبة بزهير وأصحابه مثلَ المصيبة بعقبة بن نافع وأصحابه رضى الله تعالى عن جميعهم . وسأل أشراف المسلمين عبدَ الملك أن ينظر إلى أهل إفريقية ويؤمنهم من عدوهم ويبعث الجيوش إليهم ، فقال عبد الملك : « ما أعلم أحدا أكفأ بإفريقية من حسان بن النعمان الغسانى » ، فبعثه أميراً سنة تسع وستين فى ستة آلاف ، وهو أول من دخل إفريقية من أهل الشام فى زمن بنى أمية ، فسار حسان إلى إفريقية ، فسأل عن أعظم من فيها من الملوك ، فقالوا : « صاحب قرطاجنة » فرحل إليه [حسان] [3] ، وفى بلده من الروم مالا يعلمه إلا الله تعالى ، وهى على شاطئ البحر تسمى ترشيش [4] [وهى من مدينة القيروان على مائة ميل وميل] [5] فنزل عليها ، وضيق عليهم ، وتواقف القوم واقتتلوا ، فقُتل رجالهم

(١) وفى المعالم : جـ١ ، ص ٥٤ : يسيرة .

(٢) « المعالم » : جـ١ ، ص ٥٤ .

(٣و٤و٥) التكملة من « المعالم » : جـ١ ، ص ٥٥ .

أما « ترشيش أو طرشيش » فهو — على بعض الآراء — اسم القرية القديمة التى قامت محلها « تونس » ، وعبارة المالكى هنا تلقى ضوءاً جديداً على هذا الموضع ، أنظر : « البكرى — وصف افريقية » : ص ٣٨ — ٣٩ .

وصطفورة ، أو اصطفورة أو سطفورة، اقليم بحرى وصفه ابن حوقل بأنه اقليم بحرى فسيح يضم ثلاث مدن قريبة جداً من تونس وهى : أبلونة وباجة وبنزرت (ولا يصح قوله بوقوع باجة هنا ، والغالب أنه أراد أن يقول باغاية ، كما قال فورنل) ، وكذلك ذكر الادريسى ذلك الاقليم . انظر فهرس الكتابين وكذلك ياقوت .

وفرسانهم ،واجتمع رأى الروم على العبور إلى جزائر البحر ، وكانت لهم سفن ، فهربوا إلى « صقلية » وإلى الأندلس . فدخلها « حسان » بالسيف ، فسباها ، وغنم ما فيها وأرسل إلى ما حولها من العمران ، فاجتمعوا إليه مسرعين ، فأمرهم بهدم قرطاجنة وقطع القناة عنها .

ثم اجتمع عليه الروم ، وغدوا عليه عسكراً عظيما لا يعلمه إلا الله تعالى ، وأمدهم البربر وذلك فى بلد تسمى « صَطْفورة » ،فزحف إليهم فقاتلهم قتالا عظيما ، وأصيب من أصحابه رجال كثيرون ، رضى الله تعالى عنا وعنهم . [ثم] إن الله تبارك وتعالى ضرب فى وجوه الذين كفروا من الروم والبربر فانهزموا بعد بلاء عظيم ، [فقتلهم حسان قتلا عظيما] (١) واستأصلهم وحمل بأعنة الخيل عليهم ، فما نزل (٢) فى بلادهم موضعاً إلا وطئه بخيله ، ولجأ الروم خائفين هاربين إلى مدينة « باجة » فتحصنوا بها ، وهرب البربر إلى إقليم « بونة » وأخرق حسان البحر فاحتفره ، وجعل دار الصناعة ، وأخرق البحر إليها ثم انصرف إلى مدينة القيروان فأقام بها حتى برئت جراح أصحابه .

ثم سأل حسان فقال : « من أعظم ملوك إفريقية ؟ » وعمن إذا قتل أو قهر دانت إفريقية لقاتله ويئس الروم والبربر من أنفسهم ، فقيل له امرأة يقال لها الكاهنة ، وهى فى جبل أوراس ، وجميع من بإفريقية خائفون منها ، والروم سامعون لها مطيعون ،« فإن قتلتها يئس الروم والبربر أن يكون لهم ملجأ ». فلما سمع ذلك حسان عزم على قصدها ، فخرج إليها بجيوشه ، فلما بلغ [موضعاً يقال له مجانة] (٣) نزل بها ، وكانت قلعة لم تفتح ، فتحصن بها الروم ، فمضى وتركهم ، وبلغ الكاهنة أمره فزحفت من جبل« أوراس »فى عدد لا يعلمه إلا الله عز وجل ، فنزلت بمدينة « باغاى » . قال : فأخرجت من بها وهدمتها ، وظنت أن حسان يريد حصنا [يتحصن به] ثم أقبل حسان حين

---

(١) التكملة من « المعالم » : جا ، ص ٥٦ .

(٢) وفى « المعالم » : جا ، ص ٥٦ : ترك .

(٣) التكملة من « المعالم » : جا ، ص ٥٦ .

بلغه الخبر إلى وادى « مكناسة » ، فقيل له إنها قد أقبلت فى عدد لا يحصى ما هم إلا الله تعالى ، فقال لهم : « دلونى على ما [ء] يسع العسكر الذى أنا فيه » ، فمالوا به إلى نهر ، فنزل عليه ، وزحفت إليه الكاهنة حتى أتت أسفل النهر فنزلت عليه ، فكان يشرب هو وأصحابه من أعلاه وتشرب هى وأصحابها من أسفل النهر . فلما دنا بعضهم من بعض وتواقفت الخيل أبى حسان أن يقاتلهم بالليل ، فوقف كل قوم على مصافهم ، فلما أصبحوا زحف بعضهم إلى بعض ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فعظم البلاء ، وظن المسلمون أنه الفناء ، وانهزم حسان بعد بلاء عظيم ، وقتل من العرب خلق كثير ، فسمى ذلك اليوم « يوم البلاء » (١) . فاتبعته الكاهنة بمن معها ، حتى خرج من حد « قابس » فأسلم إفريقية ومضى على وجهه ، وأسرت من أصحابه ثمانية رجال ، وقيل ثمانين رجلا ، منهم خالد بن يزيد العبسى ، (٢)(ص١٣)وكان رجلا مذكورا.

فلما فصل من قابس كتب إلى أمير المؤمنين يخبره الخبر بما نزل بالمسلمين من الكاهنة ، وأقبل يرفق فى سيره طمعاً فيمن نجا من أصحابه ، إلى أن بلغ [

](٣) ثم إن أمير المؤمنين [عبد الله بن مروان] (٤) كتب إليه : « إنه قد بلغنى أمرك وما لقيت وما لقى المسلمون ، فانظر حيث لقيت كتابى هذا ، فأقم ولا تبرح حتى يأتيك أمرى » ، فلقيه الكتاب وهو نازل بمكان يقال له اليوم « قصور حسان » فبنى هنالك قصراً لنفسه ، وأقام بذلك الموضع هو ومن معه ثلاث سنين ، وملكت الكاهنة إفريقية كلها .

وكانت الكاهنة حين أسرت ثمانين رجلا من أصحاب حسان أحسنت (٥) إسارهم إلا رجلا واحداً وهو يزيد بن خالد القيسى ، وكان أذكر من كان

---

(١) وفى « المعالم » ، جـ ١ ، ص ٥٧ : فسمى ذلك النهر « نهر البلاء » .

(٢) الأصل غير منقط والتصحيح من « المعالم » وقد كتبه المالكى فى الصفحة التالية : القيسى .

(٣) بياض بالأصل .

(٤) « المعالم » ص ٥٧ .

(٥) وفى « المعالم » ص ٥٧ : أساءت ، وهو الأصح .

مع حسان ، فحبسته عندها ، ثم عمدت إلى دقيق شعير مقلوّ فأمرت به فلتّ بزيت ، والبربر تسمى ذلك «البسيسة» ، ثم دعت يزيد بن خالد وابنين لها ، فأمرتهم فأكلوا [ثلاثتهم] (١) منها ، وقالت لهم : « أنتم قد صرتم إخوة » ، وذلك عند البربر (٢) من أعظم العهد فى جاهليتهم إذا فعلوه .

ثم إن حسان بعث رسولا إلى يزيد — ويزيد عند الكاهنة — يقول له : « قال لك حسان : مالك لاتكاتبنا بخبر الكاهنة ؟ » فكتب يزيد خطاباً إلى حسان مع رسوله فى ملة (٣) خبز قد أنضجها ، ثم دفعها إلى الرسول ليخفى الكتاب ، وليظن من رأى الخبزة أنه زاد ذلك الرجل ، فلم يغب شخص الرجل الرسول حتى خرجت الكاهنة ناشرة شعرها فقالت : « يابنى ؛ انظروا ماذا ترون فى السماء » قالوا : « نرى شيئاً من سحاب أحمر » فقالت : « لاوإلهى ! . ماهى إلا رهج خيل العرب قد أقبلت عليكم » ثم قالت (٤) ليزيد بن خالد الذى كانت أسرته :

---

(١) فى الأصل : ملاثهم .

(٢) وفى « المعالم » ج ١ ، ص ٥٨ : العرب .

(٣) الملة ، بكسر الميم : الجمر الذى يشوى فيه الخبز — «المعالم» ، ج١ ص ٥٨ .

(٤) عبارة الأصل غير متصلة السياق هنا ، وقد ورد بهامش هذه الصفحة هامش طويل يستقيم به السياق إذا أدخلناه بعد عبارة « ثم قالت » المرقومة ، هذا ولم يعين الناسخ مكان هذا الهامش . وهذا هو نصه بأكمله : « هلاككم فيما يأكل الناس ، فكررت ذلك ثلاث مرات . ومضى الرسول حتى قدم على حسان بالكتاب ، وقد افترق الناس يميناً وشمالا يطلبون من قالت عنه ، فستره الله عز وجل عنها . وفى الكتاب جميع ما يحتاج إليه من خبر الكاهنة ، ويقول فى آخره : « وإذا وقفت على الكتاب فاطو المراحل ، فان الأمر لك . ولست أسلمك إن شاء الله تعالى » . ثم إن يزيد كتب بعد ذلك إلى حسان يخبره بما صار ، ثم عمد إلى قربوس [قرابة نصف سطر غير واضح] فنقره ، ثم وضع فيه الكتاب وأطبق عليه القربوس ، وأخفى مكان النقر منه ، ثم حمل رسولا على دابة بالكتاب إلى حسان ، فلما فصل الرسول بالكتاب ، خرجت الكاهنة ناشرة شعرها ، وهى تقول : « يا بنى قد دنا هلاككم ما (؟) نبات الأرض [وهو] بين خشبتين » . وكانت من أعلم أهل زمانها بالكهانة . فلما بلغ الكاهنة أن حسان مقيم بقصوره لا يبرح ، قالت للبربر والروم : =

« إنما كنت تبنيتك لمثل هذا اليوم ، أما أنا فمقتولة ، ولكنى أوصيك بأخويك هذين خيراً — تريد ولديها — فانطلق بهما إلى العرب فخذ لهما أماناً » ، فانطلق بهما يزيد إلى العرب فأخذ لهما أمانا ، ولقى حسان وهو مقبل يريد « الكاهنة » ، فأخبره خبرهما وأخذ لهما أمانا ، وكان مع حسان جماعة من البربر يقال لهم « البُتْر » فولى عليهم الأكبر من ولدى الكاهنة وأكرمه وقربه ، ثم مضى حسان ومن معه يريد الكاهنة ، فوصل إلى « قابس » ، فلقيته الكاهنة فى جيوش عظيمة ، فقاتلهم حسان فهزمهم الله عز وجل ، وهربت الكاهنة تريد « قلعة بشر » [1] تتحصن بها فأصبحت القلعة لاصقة بالأرض ، فهربت تريد جبال أوراس ، ومعها صنم عظيم من خشب كانت تعبده ، يحمل بين يديها على جمل ، فتبعها حسان حتى قرب من موضعها ، فلما كان الليل قالت الكاهنة لابنيها : « إنى مقتولة ، وأرى رأسى تركض به الدواب مقطعة (صوابها مقطوعاً) تمضى به إلى المشرق من حيث قطلع الشمس ، وأراه موضوعاً بين يدى الملك ملك المغرب [2] الأعظم الذى بعث إلينا بهذا الرجل » . فقال لها يزيد بن خالد وولداها : « فإذا كان الأمر

= « إنما طلب حسان من إفريقية المدائن والذهب والفضة [والشجر] ونحن إنما نريد المراعى والزرع ، فما أرى لكم إلا خرابها » فوجهت البربر يقطعون الشجر ويهدمون الحصون التى بها ، وكانت إفريقية ظلا واحداً (يبدو أن هنا فقرة ناقصة)

قال ابن أنعم : وكانت إفريقية من طرابلس إلى طبنة (صحتها طنجة) ظلا واحداً متصلة الشجر ، فأخربت ذلك كله [الكاهنة] فخرج من النصارى ثلاثمائة رجل يستغيثون بحسان فيما نزل بهم من الكاهنة من خراب (فراغ حوالى ثلث سطر) الحصون وقطع الشجر ، وفى أثناء ذلك وصله كتاب عبد الملك يأمره بالنهوض إلى إفريقية قبل أن تخربها الكاهنة ، فوافق ذلك وصول الروم إليه وقدوم رسول يزيد بن خالد إليه ، فرجع بجميع عسكره إلى إفريقية . فيقال إنه لما رحل من قصوره بجميع عسكره إلى إفريقية ، خرجت الكاهنة ناشرة شعرها فقالت : يابنى ! انظروا ماذا ترون فى السماء ، فقالوا : « نرى شيئاً من سحاب أحمر » فقالت لهم : لا وإلهى ، إنما هو رهج خيل العرب أقبلت إليكم ، ثم قالت . . . » .

(١) « المعالم » ، جـ١ ، ص ٦٠ و ٦١ .

(٢) وفى « المعالم » ، جـ١ ص ٦٠ : العرب وهو الأصح .

عندك هكذا ، فارحلى له [من] البلاد » ، فقالت له : « وكيف ، وأنا ملكة من الملوك ، والملوك لا تفر من الموت ، فأقلد قومى عاراً إلى آخر الدهر » قالوا لها : « أفلا تخافين على قومك ؟ » فقالت : « إذا أنا مت فلا أبقى الله أحداً منهم فى الدنيا . . » فقال لها يزيد بن خالد وولداها : « فما نحن صانعون ؟ » فقالت : « أما أنت يايزيد فستنال ملكاً عظيما عند الملك الأعظم ، وأما أولادى فسيدركون ملكاً بإفريقية مع هذا الملك الذى يقتلنى » ثم قالت لهم : «اركبوا وأسلموا [أنفسكم] إليه» فركب يزيد بن خالد وولداها فى الليل وتوجهوا إلى حسان .

فلما أصبح حسان زحف إليها ، وأقبلت الكاهنة زاحفة إليه ، فلقيت الخيل [يزيد بن] خالد وولديها فسلموا عليهم ، ومضوا بهم إلى حسان ، فدخل يزيد بن خالد على حسان وأخبره بما قالت الكاهنة ، وأنها وجهت إليه بولديها ، فأمر بهما حسان ، فأدخلهما فى عسكره ، ووكل بهما أقواماً . وقدم [يزيد بن] خالد على أعنة الخيل ، فالتقى القوم ، ووضعوا السلاح بعضهم على بعض ، وصبروا حتى ظن القوم من المسلمين أنه الفناء ، فانهزمت الكاهنة وقتلت عند بئر فسماه المسلمون « بئر الكاهنة » فنزل حسان على الموضع الذى قتلت فيه ، ويقال إنها قتلت عند « طرفة » (١) فعجب الناس من خلقها ، وكانت الأترجة ، تجرى فيما بين عجيزتها وأكتافها ، ثم إن الروم والبربر تخوفوا (٢) بعد ذلك ، واجتمعوا على قتال حسان وقاتلوه ، فهزمهم الله تعالى ، فخافوه ، فاستأمنوا إليه ، فلم يقبل أمانهم حتى أعطوه من جميع قبائلهم اثنى عشر ألف فارس تكون مع العرب مجاهدين ، فأجابوه وأسلموا [على يديه] ، فعقد لولدى الكاهنة بعد إسلامهما [عقداً] : لكل واحد منهما على ستة آلاف فارس من البربر [وجعله] والياً عليهم ، وأخرجهم مع العرب يفتحون إفريقية ويقتلون الروم ومن كفر من البربر ، فمن ذلك صارت الخطط للبربر بافريقية ، فكان يقسم الفىء بينهم والأرض وحسنت طاعتهم فدانت له إفريقية ودون الدواوين .

---

(١) وفى المعالم ، جا ص ٦١ : طبرقة .

(٢) فى المعالم ص ٦١ : تحزبوا .

ثم قدم « القيروان » فأمر بتجديد بناء المسجد الجامع ، فبناه بناء حسنا ، وجدده فى شهر رمضان سنة أربع وثمانين ، ثم رحل يريد « قرطاجنة » فانتهى إلى طبنة (١) ، فوجه « أبا صالح » مولاه إلى قلعة « زغوان » ، فنزل بموضع فسمى « فحص أبي صالح » ، فقاتل أهلها ثلاثة أيام ، فلم يقدر عليهم ، فخلى حسان عسكره بطنبدة ورحل إلى « زغوان » فى خيل مجردة ، فافتتحها ثم انصرف إلى « طنبدة » ثم سار يريد « قرطاجنة » ، فنزل [بفحص تونس] (٢) بموضع دار الصناعة ، وهو الذى أخرق البحر وجعلها دار صناعة [فأخرج إليها الماء ، وأجراه من البحر إليها] (٣) ، فخرج إليه أهل قرطاجنة فحاربوه حرباً شديدة فهزمهم الله تعالى ، وملك [حسان] (٤) فحص تونس وقرطاجنة ، فلما رأت الروم قهرته [لهم ، وعلموا] أنهم لا قوام لهم به سألوه الصلح وأن يضع عليهم الخراج ، فأجابهم إلى ذلك ، وأدخلوا ثقلهم فى مراكب كانت عندهم معدة فى البحر وهربوا من باب يقال له « باب النساء » فى الليل ، وحسان لا علم عنده بذلك ، وتركوا المدينة خالية لا أحد فيها ، ونزلوا بجزيرة صقلية وبعضهم بالأندلس ، فدخلها حسان فأخربها وأحرقها (ص ١٤) وبنى بها مسجداً .

---

(١) كذا فى الأصل ، وصحتها طنبدة ، كما سيجىء بعد أسطر .

(٢) هنا من غير شك عبارة ناقصة ، لأن غير « المالكى » من مؤرخى إفريقية مثل البكرى والقيروانى يذهبون إلى أن حسان حينما سار هذه المرة نحو قرطاجنة نزل بسبخة تونس ، وأعجبه موقعها ، وكانت فيه بليدة قديمة تسمى البيضاء . وكانت قد خربت وهجرها أهلها ، ويقال إن اسمها كان « ترشيش » أو « طرشيش » فأنشأ فى موضعها مدينة تونس ، لهذا أضفت هذه العبارة .

أنظر : البكرى ، وصف إفريقية ، ص ٣٨ — ٣٩ .

ابن أبى دينار القيروانى ، « المؤنس فى تاريخ إفريقية وتونس » (تونس ١٢٨٦ هـ — ١٨٦١ — ١٨٦٢ م) ص ٣٣ .

وانظر كذلك : رحلة التيجانى (مخطوط دار الكتب) ص ٢٣ ا .

(٣ و ٤) المعالم ص ٦١ .

ورجع إلى « مدينة القيروان » ، وأقام بها ، وعمرها المسلمون وانتشروا وكثروا فيها وأمنوا ، وولى حسان على صدقات الناس والسعى عليهم « حنش بن عبد الله الصنعانى » التابعى رضى الله تعالى عنه .

ثم رحل حسان بمن معه من السبي والغنائم والأموال إلى عبد الملك بن مروان وكان معه خمسة وثلاثون ألف رأس (١) من سبي البربر ، وكان معه من الذهب ثمانون ألف دينار قد جعلها [حياطة عليها] فى [قرب الماء] . واستقامت إفريقية كلها ، وأمن أهلها وقطع الله عز وجل مدة أهل الكفر منها وصارت دار إسلام إلى وقتنا هذا ، وإلى آخر الدهر إن شاء الله عز وجل .

(١) فى المعالم ص ٦٣ : فارس .

أبواب التراجم

— ١ —

ذكر من دخل إفريقية من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم

ومن كان بعدهم بالسواحل والبلاد من الزهاد والعلماء والعُبَّاد ، رضى الله تعالى عنهم

١ — منهم **عبد الله بن عباس** رضى الله عنه (١).

ويكنى أبا الفضل وقال غيره يكنى أبا العباس وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد بالشعب قبل الهجرة ، وتوفى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس عشرة ، وقيل ثلاث عشرة سنة. ولم يجزه صلى الله عليه وسلم وأجاز عبد الله بن عمر لكونه أسن منه ، ودعا له عليه الصلاة والسلام وقال : « اللهم علمه الكتاب والحكمة » وكان من العلماء بكتاب الله عز وجل وتفسيره ومحكمه وناسخه ومنسوخه ، وعالما بالسنة وجميع العلوم الشرعية . وكان طاوس (٢) يقول : هو بحر العلوم ، وقسم الفئ بين المسلمين فى فتح إفريقية ، وكان الأمير عبد الله بن سعد بن أبى سرح .

٢ — ومنهم **أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر** رضى الله تعالى عنه .

أسلم باسلام أبيه عمر رضى الله تعالى عنه بمكة وهو صغير ، وشهد معه بدراً وأحداً ، هكذا قال « ابن قتيبة » و « ابن اسحق » . كان يوم بدر ابن اثنى عشرة سنة ، وهاجر مع أبيه وأمه إلى المدينة وهو ابن عشر سنين ، وأخته شقيقته زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمه زينب بنت مظعون (٣) أخت عثمان

(١) أخطأ الناسخ فى نقل هذه الفقرة فكرر بعض أجزائها ، وقد قومها .

(٢) وفى « المعالم » ج١ ، ص ٩٠ : ابن عباس .

(٣) فى المعالم ص ٧٠ : مصعون .

ابن مظعون وكانت من المهاجرات الأول . وذكر أنه حج ستين حجة بعد حجة الوداع مع النبي صلى الله عليه وسلم . وأقام يفتى المسلمين فى الحلال والحرام ستين سنة ، وكان من [النابهين] المشهود لهم فى العلم بالكتاب والسنة ، وكان يحفظ ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حضر . وكان يسأل من حضر ، إذا لم يحضر ، عما فاته من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أو فعله أو كان عليه قوله . وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « نعم الرجل عبد الله بن عمر ، إلا أنه ليس يصلى بالليل » ، فكان عبد الله بن عمر بعد ذلك لا ينام الليل إلا قليلا .

غزا إفريقية مرتين : الأولى مع عبد الله بن أبى سرح ، والثانية مع معاوية ابن حُديج ، وكان معه فى الغزوة أم ولد فوُلد له منها صبية بافريقية ثم توفيت فدفنها بالمقبرة التى تعرف الآن « بقريش » وكان قد كف بصره بمكة وهو ابن أربع وثمانين سنة ، ويقال سبع وثمانين ، صلى عليه عبد الرحمن بن عوف . ويقال إن الذى صلى على ابن عمر أبان بن عثمان بن عفان ، ودفن « بذى طوى » فى مقبرة المهاجرين ، وهو آخر من مات بمكة من الصحابة رضى الله تعالى عنهم .

٣ – ومنهم **عبد الله بن الزبير** رضى الله تعالى عنهما .

ولد بعد الهجرة بعشرين شهراً ، وهو أول مولود ولد فى الإسلام بالمدينة ، وسمعت أنه أول مولود ولد للمهاجرين : [ذكر] البخارى باسناد يتصل « بأسماء » قالت : « حملت بعبد الله بن الزبير ، فخرجت وأنا مُتِمٌّ ، فأتيت المدينة ، فنزلت « بقُباء » فولدت فيه ، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعته فى حجره فدعا بتمرة فمضغها ثم تفلها فى فيه » ، قالت : « فكان أول شىء دخل جوفه ريقُ رسول الله صلى الله عليه وسلم » . قال : « ثم دعا له وبارك والدته أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه . وجدته لأبيه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وخالته عائشة أم المؤمنين وعمة أبيه خديجة بنت خويلد زوج النبى عليه الصلاة والسلام . وكان كثير الصيام طويل الصلاة ، وربما قرأ فى الركعة الواحدة « بالبقرة » و« آل عمران » و « النساء » و « المائدة » ، وكان ربما أطال السجود فى الصلاة فتنزل الطير

على ظهره تحسبه جِـذم (١) حائط ، وكان أول من كسا الكعبة الديباج ، وكان يطيِّبها حتى يوجد ريحها خارج مكة ، وكانت كسوتها قبل ذلك المسوح والأنطاع . وغزا إفريقية مع ابن أبي سرح وقتل « جرجير » ملك الروم ، ويقال إنه أسس « مسجد القيروان » ، وختم الله عز وجل له بالشهادة ، لما أراد الله عز وجل من كرامته وإهانة من قتله وهو الحجاج بن يوسف ، الله حسيبه ومحاربه ، وذلك يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من شهر جمادى [الأولى ، وقيل جمادى الآخرة ، سنة ثلاث وسبعين] (٢) .

٤ ـ ومنهم **أبو محمد عبد الله بن عمرو بن العاص** رضى الله تعالى عنه .

صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكثر الرواية عنه ، وهو صاحب ابن صاحب ، وكان بينه وبين أبيه فى العمر ثلاث عشرة سنة . أسلم قبل أبيه ، وكان مسكنه مكة ، ثم رحل إلى الشام فأقام بها ، ثم رحل إلى مكة فسكنها ، وذهب بصره فى آخر عمره ، وأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتابة الحديث عنه ، ولم يبلغنا أنه أذن لغيره . وكانت تحته عمرة بنت عبد الله بن عباس وولدت منه محمداً ، وولد محمد شعيباً ، وكان من سراة قريش ، وولد شعيب عمراً . وكان يُحمل عنه العلم ، ويُضعَّف إذا حـدّث عن أبيه عن جده . ويقال إنما وصل ذلك إليه من صحيفة وجدها فى كتب أبيه شعيب . وإذا حـدّث عن (ص ١٥) غير أبيه كان صحيح النقل .

شهد عبد الله بن عمرو غزو إفريقية مع ابن أبي سرح سنة سبع وعشرين ، ذكر ذلك أبو العرب قال : « [قال] أبو سعيد بن يونس : وشهد أيضاً فتح

---

(١) فى الأصل من غير نقط ، وجِـذم الحائط أصله ، جاء فى لسان العرب : « وفى حديث عبد الله بن زيد فى الأذان ، أنه رأى فى المنام كأن رجلا نزل من السماء ، فعلا جذم حائط . فأذن الجذم الأصل – أراد بقية حائط أو قطعة من حائط » . مادة جذم .

(٢) التكملة من « معالم الأيمان » ، جـ١ ص ٩٧ . والأصح جمادى الآخرة ، أنظر ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٤ ص ١٤٧ – ١٤٨ .

مصر ، ونزل بها فى دار أبيه التى اختطها ، وكان قد ولى مصر بعد أبيه نحو سنتين ، ثم عزله معاوية عنها ، فانتقل إلى مكة وأوطنها حتى توفى بها سنة خمس وستين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة فى ولاية يزيد بن معاوية ، وفى بعض النسخ أنه توفى بمصر فى داره الصغيرة التى بمصر ودفن بها .

٥ – ومنهم **عبد الله بن سعد بن أبى سرح** رضى الله تعالى عنه .

أمير إفريقية ،وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاعة ويقال اسم أبى سرح الحسام بن الحارث ،وكان يكتب الوحى للنبى صلى الله عليه وسلم هو ومعاوية رضى الله تعالى عنهما .

دخل إفريقية غازياً وأميراً بتولية عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه إياه سنة سبع وعشرين ، وكان معه جماعة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قد ذكرنا أسماءهم وما جرى لهم .

ذكر أن عبد الله بن أبى سرح بنى مسجداً بالقيروان عند « باب عبد الله » وهو به (١) معروف ، يقال له (٢) « مسجد ابن أبى سرح » . شهد فتح مصر واختط بها ، وكان صاحب ميمنة المسلمين مع عمرو بن العاص فى حروبه ، وفارس بنى عامر بن لؤى والمقدم فيهم .

عن عبد الله بن ربيعة قال : صلى عبد الله بن سعد بن أبى سرح المغرب (٣) بافريقية ، فلما صلى ركعتين سمع [الناس] جلبة فى المسجد (٤) ، فأرعبهم ذلك وظنوا أنه العدو ، فقطع [ابن أبى سرح] الصلاة ، فلم يجد شيئاً . ثم خطب الناس وقال : إن هذه الصلاة اختصرت . ثم أمر مؤذنه فأقام الصلاة ،

---

(١) فى الأصل هكذا : بهومد .
(٢) فى الأصل : إنه .
(٣) فى « معالم الأيمان » : الجمعة .
(٤) كذا فى الأصل ، والأصح : « فى العسكر » إذ لم يكن هناك إذ ذاك مسجد .

ثم أعادها. ولما حضرت عبد الله بن سعد الوفاة وهو « بالرملة » وكان قد خرج هارباً من الفتنة ، جعل يقول لهم من الليل : « أصبحتم ؟ » فيقولون : « لا » . فلما كان من الصبح قال : « ياهشام بن كنانة، إنى لأجد برد الصبح ، فانظروا ! » ثم قال لهم : « اللهم اجعل خاتمة عملى صلاة الصبح ». فنظروا فاذا هم بالصبح ، فقرأ فى أول ركعة «بأم القرآن» و« الذاريات »[1] وفى الثانية بأم القرآن وسورة [2] ثم سلم عن يمينه ثم ذهب ليسلم عن يساره ، فقبض الله عز وجل روحه وذلك سنة ست وثلاثين رضى الله تعالى عنه .

٦ – ومنهم **عبد الله بن انيس**[3] **الجهنى القضاعى** رضى الله تعالى عنه .

يكنى أبا أيمن ، صحب النبى صلى الله عليه وسلم ، وصلى معه القبلتين ، وهو الذى قال للنبى صلى الله عليه وسلم فى « ليلة القدر » : « يا رسول الله ؛ مرنى بليلة أنزل فيها » ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « أنزل ليلة ثلاث وعشرين » قلت أنا : إنه أراد نزول القرآن[4] .

٧ – ومنهم **أبو عبد الرحمن المسور بن محرمة** .

صحب النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه . وهو صاحب ابن صاحب . أسلم أبوه يوم فتح مكة . وولد المسور فى السنة الثانية من الهجرة ، وتوفى النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان سنين . وأمه أخت عبد الرحمن بن عوف .

---

(١) وفى معالم الايمان : « والعاديات » . انظر جـ١ ، ص ١١٢ .

(٢) لم يذكر الناسخ اسم هذه السورة .

(٣) فى المعالم : أنس . أنظر جـ١ ص ٦٨ .

(٤) ورد فى هذا الموضع فى « المعالم » عن ليلة القدر : فقال « يارسول الله ، إنى شاسع الدار ، فمر لى بليلة أنزلها » فقال : أنزل ليلة ثلاث وعشرين » ، وتعرف الليلة بليلة « الجهنى » بالمدينة . وبعثه صلى الله عليه وسلم تسليما لخالد بن سفيان سرية وحده فقتله – أنظر ، جـ١ ص ٦٩ .

وورد ذكر هذا الحديث واسناده إلى عبد الله بن أنيس فى صحيح مسلم (جـ٨ ، ص ٦٤ طبعة المطبعة العصرية بالقاهرة سنة ١٩٢٩) فى باب « فضل ليلة القدر والحث على طلبها وبيان محلها » .

دخل إفريقية غازياً مع ابن أبي سرح ، وشهد معه المغازى والمعارك ، وهو الذى حرض عثمان رضى الله تعالى عنه على غزوها .

قال المسور : « لقد وارت الأرض أقواماً لو رأونى معكم لاستحييت منهم »

وعن جعفر بن عبد الرحمن : أن المسور كان إذا قدم مكة لم يخرج منها حتى يطوف لكل يوم غاب عنها أسبوعاً . عن عمر بن سداد الليثى قال : « والله إنى لأصلى أمام المسور ، فصليت صلاة الشاب كنقر الديك ، فزحف إلى المسور وقال لى : « قم صل ! » فقلت : « قد صليت عافاك الله » ، فقال : « كذبت ، والله ما صليت ولا تريم حتى تصلى » . فقمت فصليت ، فأتممت الركوع والسجود ، فقال لى المسور : « والله لا تعصون الله عز وجل ، ونحن ننظر ، ما استطعنا » .

حدثنا زيد بن أبى الزرقاء أن المسور احتكر طعاماً كثيراً ، فخرج من المسجد يوما ، فرأى سحاب الخريف فكرهه ، فشق عليه ما وقع فى نفسه من كراهية ذلك ، فأمر بالطعام إلى السوق ، وقال : «من جاءنى وليته (١) كما أخذت» ، فأتى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فخاطبه فى (٢) ذلك وقال له : « ما السبب يامسور؟ » : فقال : « رأيت سحاب الخريف فكرهته ، فرأيت أنى قد كرهت ما ينفع المسلمين فأجمعت على ألا أربح فيه شيئاً » . فقال له عمر : « جزاك الله عن نفسك خيراً وعن المسلمين خيراً » . قال البرقى : وكانت سن المسور يوم مات ثلاثا وستين سنة وكانت وفاته سنة أربع وستين .

٨ – ومنهم **عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق** ، رضى الله تعالى عنهما .

يكنى أبا محمد صحب النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو صاحب ابن صاحب ابن صاحب لأن أبا قحافة ، واسمه عثمان ، والد أبى بكر الصديق أسلم يوم فتح مكة وصحب النبى صلى الله عليه وسلم . ذكر أبو سعيد بن يونس أن عبد الرحمن دخل إفريقية ، ولم يذكر فى أى جيش دخلها .

---

(١) « والتولية فى البيع أن تشترى سلعة بثمن معلوم ثم توليها رجلا آخر بذلك الثمن» اللسان ج ٢٠ ، ص ٢٥٩ .

(٢) فى الأصل : على .

٩ – ومنهم **أبو ذر الغفاري** ، واسمه **جندب بن جنادة** •

كان من كبار الصحابة ، وكان كثير العزلة . ودخل إفريقيــة غازياً مع ابن أبي سرح ، وشهد مشاهدها ، وشهد فتح مصر واختط بهـا . توفى « بالربذة » سنة إحدى وثلاثين .

عن ابراهيم بن أسيد عن أبيه (١) قال : « لمـا حضرت أبا ذر الوفاة بالربذة بكت امرأته ، فقال لها : « مايبكيك ؟ » فقالت : « وما لى لا أبكى وأنت تموت بفلاة من الأرض ، وليس لى ثوب يسعك كفناً ، ولا لى طاقة بتغييبك فى الأرض ؟ » ، فقال : « لا تبكى وأبشرى ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم : ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض وتشهده عصابة من المؤمنين » وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد هلك فى قرية وجماعة غيرى ، فأنا الذى أموت بالفلاة ، فأبصرى الطريق وتبصرى » قالت : فقلت «أنّى ذلك وقد انقطع الطريق وذهب الحاج ؟» ، قال : «أبصرى وتبصّرى» قالت : (ص ١٦) « فقمت أشتد إلى كثيب من رمل فأقوم عليه فأتبصّر ، ثم أعود إليه فأمرضه » ، قالت : « فبينا أنا كذلك ، إذا أنا بنفر على رحالهم كأنهم الرخم تجدُّ بهم رواحلهم » قالت : « فألحت بثوبى ، فوضعوا السياط عليها وأسرعوا ، فلما وصلوا إلىّ قالوا : « يا أمة الله ، مالك ؟ » فقلت : « رجل من المسلمين يموت ، فكفنوه » . قالوا : « ومن هو ؟ » فقالت : « أبو ذر ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم » فأتوا يفدونه بالآباء والأمهات حتى دخلوا عليه فسلموا ، فقال : « أبشروا ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول » ، ثم ذكر لهم الحديث الذى ذكر لامرأته . ثم قال لهم : « وأنا ذلك الرجل . وأنتم أولئك القوم . وإنه لو كان لى ثوب يسعنى كفناً لم أكـفّن إلا فى ثوب لى أو لأهلى ، وإنى أنشدكم الله أن [لا] يكفننى رجل [منكم] كان أميراً أو عريفاً أو بريداً أو نقيباً » ، قال : « وليس من القوم إلا وقد

---

(١) روى صاحب المعالم هذا الخبر بالاسناد التالى : «عن ابن نعيم عن الأشتر عن أبيه عن أم ذر زوجة أبى ذر». جـ١ ، ص ٧٤

قارف ما سمى ، إلا فتى من الأنصار ، قال : « ياعم ، أنا أكفنك فى ردائى هذا أو فى ثوبين فى عيبتى من غزل أمى ، ولم أقارف مما ذكرت شيئاً » . فكفنه الأنصارى فى ثوبيه ، وحضروا غسله وصلوا عليه رضى الله تعالى عنه ودفنوه » .

١٠ — ومنهم **أبو سعيد المقداد بن عمر بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة البرهانى** (١) رضى الله تعالى عنه .

شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم « بدرا » وغيرها من المغازى ، وهو أول من عدا به فرسه فى سبيل الله تعالى ، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثاً كثيراً ، وهو الذى أمره على رضى الله تعالى عنه أن يسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن المذى يعرض للرجل ، ماذا عليه ؟ قال على عليه السلام : « وعندى ابنته ، فأنا أستحيى أن أسأله بنفسى » . أدخله مالك فى « موطئه » وسماه المقداد بن الأسود ، وإنما انسب إلى الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن زهرة ، كان قد تبناه ورباه فنسب إليه . قال ابن قتيبة : ثم رجع المقداد إلى نَسَبِه وغزا إفريقية مع ابن أبى سرح ، وكانت له بها مقامات مشهورات . ذكر سفيان ابن الحارث أنهم قالوا للمقداد : « إنك ثقلت ، وتخرج فى هذه المغازى ؟ » فقال : خفيفاً كنت أو ثقيلا ، لا أتخلف عنها ، لأن الله تعالى يقول فى كتابه العزيز : « انفروا خفافاً وثقالا » ، ثم قال : قدمت سرية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا البرد والحر (٢) الذى أصابهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « إن البرد الشديد والأجر العظيم لأهل إفريقيـة » . قال عبد الله بن وهب فى « جامعه » : أخبرنى عبد الله بن لهيعة أنه سمع يزيد ابن حبيب يذكر أن المقداد بن الأسود كان قد غزا مع عبد الله بن سعد إفريقية ، فلما رجعوا قال عبد الله بن سعد للمقداد فى دار بناها فى مصر : « كيف ترى بنيان هذه الدار » (٣) فقال له المقداد : « إن كانت من مال الله فقد أفسدت ،

---

(١) فى الأصل : النهرانى ، والتصحيح من المعالم ، جـ١ ، ص ١٠٣ .

(٢) فى الأصل : الأجر ، وقد ذكر المالكى هذا الخبر فيما سبق .

(٣) جاء هذا الخبر فى « معالم الايمان » أيضا ، أنظر ، جـ١ ص ١٠٤ .

وإن كانت من مالك فقد أسرفت » ، فقال له عبد الله : « لولا أن يقول قائل : أفسد مرتين، لهدمتها » . وتوفى المقداد سنة ثلاث وثلاثين « بالجرف » . وحمل على رقاب الرجال حتى دفن بالمدينة ، وصلى عليه عثمان ، رضى الله تعالى عنهم أجمعين ؛ وتوفى وهو ابن سبعين سنة .

١١ — ومنهم **حمزة بن عمرو الأسلمي** رضى الله تعالى عنه .

صحب النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه حديثاً كثيراً .

شهد فتح إفريقية مع عبد الله بن سعد ، وكانت له فى ذلك مقامات مشهورة . [روى] من طريق ابن سنجر عن محمد بن حمزة بن عمرو الأسلمى — وكان أبوه قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال : « سمعت أبي يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « على ذروة كل بعير شيطان ، فإذا ركبتموها فسموا الله عز وجل ثم لاتقصروا عن حاجتكم » .

١٢ — ومنهم **أبو عبد الرحمن بلال بن الحارث المزنى** رضى الله تعالى عنه

صحب النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه حديثا كثيراً . شهد غزو إفريقية وفتحها مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح [حدث] الواقدى قال : حدثنى كثير بن عبد الله المزنى قال : كانت مزينة فى غزو إفريقية وفتحها أربعمائة ، وكان لواؤهم على حدة يحمله بلال بن الحارث المزنى . [روى] من طريق [ابن] سنجر عن محمد بن عمرو (١) [بن علقمة] عن أبيه عن جده قال : مر عليه رجل له شرف فقال له : « يافلان ، إن لك رحماً وإنك تدخل على هؤلاء القوم فتقول وتتكلم ، وإنى سمعت بلال بن الحارث المزنى يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله عز وجل ما يظن أن تبلغ مابلغت ، فيكتب الله عز وجل [له] بها رضوانه إلى يوم يلقاه ؛ وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله عز وجل ما يظن أن تبلغ

---

(١) « المعالم » ج١ ص ١٠٧ : عمر .

ما بلغت ، فيكتب الله عز وجل بها [عليه] سخطه إلى يوم يلقاه (١) » فانظر ماذا تقول وماذا تتكلم ، فرب كلام قد منعني منه ماقاله بلال رحمه الله تعالى » .
قال عبد الله : أدخل مالك رضى الله تعالى عنه هذا الحديث فى « موطئه » عن محمد بن عمرو بن علقمة عن بلال بن الحارث المزنى ، ولم يذكر « جده » كما ذكره ابن سنجر ، ولذلك قال الشيخ أبو الحسن على بن محمد فى كتابه « الملخص » : « وفى اتصاله شيء » (٢) .

١٣ – ومنهم **المطلب بن السائب بن أبى وداعة السهمى** (٣) رضى الله تعالى عنه .

واسم « أبى وداعة » الحارث بن صبيرة (٤) . وكان معدوداً من جملة الصحابة ، وأدخله مالك فى « موطئه » : [روى] من طريق ابن شهاب عن السائب بن يزيد عن المطلب [بن أبى وداعة السهمى] عن حفصة أم المؤمنين ، أنها قالت : « ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى سُبْحته (٥) قاعداً قط ، حتى كان قبل [وفاته] بعام ، فكان يصلى فى سبحته قاعداً ، ويقرأ بالسورة فيرتلها حتى يكون الحر من أطول منها (٦) . وذكر ابن سنجر عن المطلب قال : « مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يصلى قاعداً فقال : « صلاة القاعد

---

(١) الزيادات بين الأقواس عن « معالم الايمان » جـ١ ، ص ١٠٧ . وقد أورد هذا الحديث بنصه مع تحريف لفظى طفيف .

(٢) أى فى اتصال سند هذا الحديث .

(٣) التكملة من « الطبقات » لأبى العرب (ص ١٤) . وقد ورد اسم المطلب هذا فى « المعالم » بنفس صورة « الرياض » (جـ١ ، ص ١١٦) .

(٤) فى « المعالم » : الحارث بن حبيرة بن سعيد بن سهم (جـ١ ، ص ١١٦) .

(٥) « السُّبْحة : الدعاء وصلاة التطوع والنافلة ، يقال : فرغ فلان من سُبْحته أى فرغ من صلاة النافلة » — تاج العروس ، جـ٢ ، ص ١٥٧ .

(٦) كذا فى الأصل ، ونص « معالم الايمان » أكثر اضطرابا فى هذا الموضع من نص المالكى (انظر جـ١ ، ص ١١٦) .

وجاء فى البخارى حديثان فى هذا المعنى فى باب : « صلاة القاعد » عن عائشة رضى الله تعالى عنها أيضا ونصهما : =

على نصف صلاة القائم »، قال: فتجشم الناس القيام ». قال أبوسعيد بن يونس: « وروى المطلب بن أبي وداعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً فى الط[ـواف] (ص ١٧) [بالبيت]. قال عبـــد الله : وقد أدخله محمد بن سنجر فى « مسنده » فى جملة الصحابة الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورووا عنه ؛ وذكر حديث الذى كان يصلى قاعداً.

شهد غزو إفريقية مع عبد الله بن سعد ومعه جماعة من قومه من بنى سهم رضى الله تعالى عنهم.

١٤ – ومنهم **ربيعة بن عباد الديلي**(١) رضى الله تعالى عنه.

كانت له صحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ورواية عنه من طريق ابن سنجر عن ربيعة بن عباد الدوئلى (٢)، قال: « رأيت رسول الله

= حدثنا عبد الله بن يوسف، قال أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها أخبرته أنها لم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة الليل قاعداً قط حتى أسنّ، فكان يقرأ قاعداً، حتى إذا أراد أن يركع قام فقرأ نحواً من ثلاثين آية أو أربعين آية ثم ركع ».

حدثنا عبد الله بن يوسف، قال: أخبرنا مالك عن عبد الله بن زيد وأبى النضر مولى عمر بن عبيد الله عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى جالسا، فيقرأ وهو جالس، فاذا بقى من قراءته نحو من ثلاثين أو أربعين آية قام فقرأها وهو قائم ثم ركع، ثم سجد، يفعل فى الركعة الثانية مثل ذلك . . . الخ ».

صحيح البخارى: (طبعة عبد الرحمن محمد ١٣٤٩ هـ) ج١ ص ١٣٠.

(١) وردت نسبة « ربيعة » هذا عند « أبى العرب »: الدئلى (الطبقات، ص ١٤) وفى « المعالم »: الدولى (ج١، ص ١١٧) وفى نص « الرياض »: الذيلى. وجاء فى « تاج العروس »: « .. الدول فى « حنيفة » كزور وفى « عبد القيس » الديل، كزير، وكذلك « الديل » فى « الأزد » (انظر التاج، ج ٧، ص ٣١٧)، ولهذا صححته إلى: الديلى.

(٢) كذا فى الأصل.

صلى الله عليه وسلم بذى المجاز يتبع الناس فى منازلهم يدعوهم إلى الله عز وجل [1] ووراءه رجل [يعدو جنبه] [2] وهو يقول : « أيها الناس ، لايغرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم » قلت : « من هذا ؟ » قالوا : « عمه أبو لهب لعنه الله » .

ودخل ربيعة مع عبد الله بن سعد إفريقية ، وشهد غزوها وكانت له بهـا آثار ومقامات .

١٥ – ومنهم **أبو محمد فضالة بن عبيد** [**الله**] [3] **الأنصارى** [**الأوسى**] [3] رضى الله تعالى عنه .

كان معدوداً من جملة الصحابة الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورووا عنه . وأدخله محمد بن سنجر فى « مسنده » فى جملة الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، [روى] عن طريق ابن سنجر عن « فضالة » قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع : « ألا أخبركم بالمؤمن ؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم . والمسلم ؟ من [سلم] الناس من لسانه ويده . والمجاهد ؟ من جاهد نفسه فى طاعة الله عز وجل . والمهاجر ؟ من هجر الخطايا والذنوب » .

قال أبو سـعيد بن يونس : دخل فضالة بن عبيد إفريقية غازياً هـو ورويفع بن ثابت ، وشهد فتح مصر وولى بها القضـاء والبحر لمعاوية بن أبى سـفيان . توفى بدمشق سنة ثلاث وخمسـين . ويقال إن بها ولده إلى اليوم .

---

(١) ورد هذا الخبر فى « معالم الايمان » كما يلى : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم « بذى المجاز » يطوف على الناس بمنى قبل أن يهاجر إلى المدينة يدعوهم إلى الله عز وجل » .

(٢) فى الأصل : يعدو جنباه .

(٣) التكملة فى هذين الموضعين من « المعالم » جـ١ ، ص ٨٨ .

١٦ – ومنهم **رويفع بن ثابت الأنصارى** (١) رضى الله تعالى عنه .

صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه . أدخله محمد بن سنجر فى « مسنده » . من طريق [حنش بن عبد الله الصنعانى . حدثنا حنش بن] عبد الله الصنعانى قال : « غزونا المغرب وعلينا رويفع بن ثابت فافتتحنا قرية يقال لها « جربة » فقام فينا رويفع بن ثابت خطيباً فقال : « لا أقوم فيكم إلا بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قام فينا « يوم خيبر » حين افتتحناها فقال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس ثوباً من فئ المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يركبن دابة من فئ المسلمين حتى إذا أعجفها ردها فيه » (٢) وذكر أبو سعيد بن يونس باسناد له يتصل بعبد الله بن أبى حذيفة قال : « قدم علينا رويفع بن ثابت الأنصارى إفريقية ، فأصبنا غنائم ، فقام فينا خطيباً فحمد الله [تعالى] وأثنى عليه ثم قال : « إن الله عز وجل قبض نبيه صلى الله عليه وسلم وخلفنى حتى أخبركم » ، ثم بكى وجلس [ثم قام] (٣) فقال : « إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى أن توطأ الحبالى حتى يضعن » ، وذكر باقى الحديث . وذكر « أبو العرب بن تميم » بخطه أن رويفع بن ثابت هذا دخل إفريقية فى زمن موسى ابن نصير فى حاجة ، فلما فرغ من حاجته وبرز للخروج دخل على موسى ابن نصير فقال : « إنى رأيت أن علىّ حقاً أن أودك وأذكر لك شيئاً قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم أرغبك به فى فعل الخير وكثرة الصدقة والمعروف ، وذلك أنه اتصل بى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المعروف من أبواب الجنة وهو يمنع مصارع السوء » .

---

(١) ورد اسم رويفع فى المعالم هكذا : « رويفع بن ثابت بن السكن بن عدى بن خارجة ابن عمر بن زيد مناة بن عدى بن عمر بن ملك بن النجار » (أنظر « المعالم » جـ ١ ، ص ١٠٢)

(٢) ورد هذا الحديث فى « معالم الايمان » بزيادة طفيفة فى أوله وهى : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يأتين شيئا من السبى حتى يستبرئها » . وبقية الحديث هناك شبيهة بنصه هنا مع تقديم وتأخير (أنظر « المعالم » جـ ١ ص ١٠٢) .

(٣) التكملة من « المعالم » جـ ١ ، ص ١٠٢ .

وتوفى رويفع بن ثابت سنة ثلاث وخمسين « ببرقة » وهو أمير عليها لمسلمة ابن مخلد الأنصارى أمير مصر ، وقبره معروف بها إلى اليوم . وكان قد اندرس ثم وجد بعد ذلك عند رأسه بلاطة مكتوب فيها : هذا قبر رويفع بن ثابت الأنصارى (١) .

قال أبو سعيد بن يونس : كانت لرويفع بالمغرب وإفريقية ولايات وفتوحات ، وشهد أيضاً فتح مصر واختط بها ، ومنزله قائم بحاله إلى اليوم فى زقاق « بنى حسنة » (٢) .

١٧ – ومنهم **جرهد بن خويلد بن بجرة السلمى** ،رضى الله تعالى عنه .

صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه ، وشهد فتح إفريقية وغزوها مع عبد الله بن سعد . ذكر ذلك [أبو سعيد بن] يونس وأدخله « البخارى » فقال : « ويروى عن ابن عباس وجرهد ومحمد بن جحش عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الفخذ عورة » . أدخل محمد بن سنجر هذا الحديث فى (مسنده) فى جملة [ما رواه عن] الصحابة (٣) .

١٨ – ومنهم [**أبو زمعة البلوى** (٤) [رضى الله تعالى عنه] .

ذكر أبو العرب أنه من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ممن بايع تحت « الشجرة » ، وأنه دخل إفريقية وأقام بها ، وحضرته الوفاة بها ، وأمرهم أن يسووا

---

(١) أضاف ابن الناجى فى « معالم الأيمان » إلى هذا النص : « صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما » (جـ١ ، ص ١٠٢) .

(٢) ورد اسم هذا الزقاق فى المعالم « زقاق ابن حسنة » .

(٣) روى صاحب « المعالم » هذا الحديث هكذا : « قال : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما عندنا وفخذى منكشفة ، فقال : أما علمت أن الفخذ عورة ؟ » . وتوفى سنة احدى وثلاثين » المعالم جـ١ ، ص ٨٨ .

(٤) ورد اسم أبى زمعة فى « المعالم » هكذا : أبو زمعة عبيد الله بن آدم البلوى . جـ١ ، ص ٨٢ .

قبره بالأرض . قيل إن قبره « بمقبرة البلوية » . ذكر أحمد بن أبى سليمان أن أبا زمعة دفن بباب تونس ، وبه سميت « البلوية » .

قال أبو العرب : ولقد حدثنى بعض أصحابنا أنه حضر حفر قبر فى البلوية ، قال فحفروا فى أرض شديدة لم يحسبوا أن أحداً حفر فيها ، فظهروا على رجل مدفون لم يتغير منه شىء فظنوا أنه أبو زمعة « البلوى » صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

١٩ — ومنهم **أبو عبد الرحمن بشر بن أبى ارطاة** ، ويقال ابن أرطأة (٢) رضى الله تعالى عنه .

صحب النبى صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه . ذكر ذلك [أبو] سعيد ابن يونس وغيره ، وذكره أبو عبد الله محمد بن سنجر فى « مسنده » فى الصحابة [روى] من طريق ابن سنجر عن بشر بن أرطاة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها وأجِرْنا من خزى الدنيا [وعذاب] الآخرة » .

دخل إفريقية غازياً ، وشهد فتحها مع عبد الله بن سعد ، وأقام معه بها ؛ وشهد قبل ذلك فتح مصر واختط بها ، وله بمصر [دار وحمام يعرفان به] (٣) وكان قد عرض له وسواس فى آخر عمره بعد قتل عثمان رضى الله تعالى عنه حزناً عليه ، وكانت وفاته بالشام .

---

(١) أورد « أبو العرب » هذا الخبر هكذا : « ولقد حدثنى بعض أصحابنا أنه حضر حفر قبر بالبلوية فى أرض شديدة لم يظنوا أنه حفر فيها شىء ؛ قال : فظهرنا على رجل مدفون لم يتحرك منه شىء ، فظنوا أنه أبو زمعة البلوى » — «الطبقات» ص ١٧ .

(٢) ورد اسمه فى « الاصابة » : «عبد الرحمن بن بُسْر» . وكذلك فى « المعالم » (انظر ج١ ، ص ١٢٤) ، وهو الأصح .

(٣) التكملة من « المعالم » ج١ ، ص ١٢٥ .

٢٠ — ومنهم [**المسيب**] **بن** [**حزن**] **المخزومى** (١) وهو والد **سعيد** ، رضى الله تعالى عنهما .

وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وممن بايع تحت « الشجرة » (ص ١٨) وشهد « الحديبية » ، روى عنه ولده سعيد وغيره .

٢١ — ومنهم **زياد بن الحارث الصدائى** ، [رضى الله تعالى عنه] .

كانت له صحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورواية عنه . وكان قد أتى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فبايعه على الإسلام ، ثم كتب إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام والقدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبلوا وأسلموا .

قال أبو سهل محمد العبدى : قدم زياد بن الحارث الصدائى إفريقية ، وانفرد أهل إفريقية بحديثه ، وحديثه من إحدى الغرائب التى أغرب بها عبد الرحمن ابن أنْـــعُم .

دخل إفريقية وشهد المغازى . وأدخله محمد بن سنجر فى « مسنده » فى الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأغرب فى حديث عنه ، ما علمتُ أن أحداً أدخله من أصحاب المسانيد ، [وهو] : عن ابن أنعم عن زيد بن نعيم الحضرمى ، قال زياد بن الحارث الصدائى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « أتيت نبى الله صلى الله عليه وسلم ، فبايعته على الإسلام ، فأخبرت أنه بعث جيشاً إلى قومى ، فقلت : « يانبى الله اردد الجيش ، وأنا لك بإسلام قومى وطاعتهم . قال : « فاذهب فردهم » . فقلت : « يارسول الله ، إن راحلتى قد كلت » ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فردهم » . قال الصدائى : فكتبت إليهم ، فقدم وفدهم باسلامهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياأخا صداء ، إنك لمطاع فى قومك » فقلت : « بل الله سبحانه هداهم للإسلام برسول الله » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) التكملة من « أسد الغابة » ، وقد ورد فيه الاسم كاملا هكذا : المسيب ابن حزن بن أبى وهب بن عمرو بن عابد بن عمر بن مخزوم المخزومى . (أنظر ج ٤ ، ص ٣٦٦) .

أفلا أؤمّـرك عليهم ؟ » فقلت : « بلى يارسول الله » فكتب لى يؤمّـرنى عليهم ، فقلت : « يارسول الله ، مرلى بشىء من صدقاتهم » . قال : « نعم » ، فكتب لى كتاباً آخر بذلك . وكان ذلك فى بعض أسفاره ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا ، فأتاه أهل ذلك المنزل يشكون عاملهم ، ويتظلمون منه ، فقال : « أو قد فعل ؟ » قالوا : « نعم » ، فالتفت إلى أصحابه [فقال لهم] وأنا فيهم أسمع : « لاخير فى الإمارة لرجل مؤمن » قال الصدائى : « فدخل ذلك فى نفسى » ، ثم أتاه آخر ، فقال : « يارسول الله اعطنى ! » فقال صلى الله عليه وسلم : « من سأل الناس عن ظهر غنى فصداع فى الرأس وداء فى البطن » ، فقال السائل : « فاعطنى من الصدقة ! » فقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل لم يرض حكم نبى ولا غيره فى الصدقات حتى حكم هو فيها فجزأها ثمانية أجزاء ، فإن كنت أنت من تلك الأجزاء أعطيتك حقك » قال الصدائى : « فدخل ذلك فى نفسى ، إنى سألته من الصدقات وأنا غنى » . فلما كان أوان أذان الصبح ، أمرنى ، فأذنت ، فجعلت أقول : « أقيم يارسول الله ؟ » فنظر إلى ناحية الشرق إلى الفجر ، فقال : « لا » ، حتى إذا طلع الفجر وتلاحق به أصحابه قال : « هل من ماء ياأخا صداء ؟ » فقلت : « لا ، إلا شيئاً قليلا لايكفيك » قال : « اجعله فى إناء ثم ائتنى به » فقلت : « نعم » ، فوضع كفه فى الإناء ، فرأيت بين كل أصبعين من أصابعه عيناً تفور ، فقال : « لولا أنى أستحيى من ربى ياأخا صداء لسقينا وأسقينا . ناد فى أصحابى : من له حاجة بالماء؟ » [فناديت فيهم فأخذ] (١) من أراد منهم . ثم قام نبى الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة ، فأراد بلال أن يقيم ، فقال له نبى الله : « إن أخا صداء (٢) هو أذن ، ومن أذن فهو (٢) يقيم الصلاة » . قال الصدائى : « فأقمت ؛ فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة أتيته بالكتابين ، فقلت : « يانبى الله ، أعفنى من هذين » ، فقال نبى الله : « وما بدا لك ؟ » فقلت : « يا رسول الله ، سمعتك تقول : لاخير فى الإمارة لرجل مؤمن ، وأنا مؤمن بالله ورسوله .

---

(١) التكملة من « المعالم » : جـ١ ، ص ١١٩ .

(٢) فى « المعالم » من غير « هو » . جـ١ ، ص ١١٩ .

وسمعتك تقول لسائل : من سأل الناس عن ظهر غنى فصداع فى الرأس وداء فى البطن ، وقد سألتك وأنا غنى » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «هو ذاك ، فان شئت فاقبل وإن شئت فدع » فقلت له : « بل أدع » فقال : « دلنى على رجل أؤمره » ، فدللته على رجل من الوفد الذين قدموا عليه . قال ، فقلنا : « يانبى الله ، إن لنا بئراً إذا كان الشتاء وسعنا ماؤها ، وإذا كان الصيف قل ماؤها وتفرقنا على ماحولها . وقد أسلمنا ، وكل من حولنا عدو لنا ، فادع الله لنا فى بئرنا أن يسعنا ماؤها ، فنجتمع ولانفترق » فدعا بسبع حُصَيَّات ففركهن فى يده ودعا فيهن ثم قال : « اذهبوا بهذه الحصيات ، فاذا أتيتم البئر فألقوها فى البئر واحدة واحدة ، واذكروا اسم الله عز وجل » ، قال الصدائى : «ففعلنا ، فما استطعنا بعد ذلك أن ننظر إلى قعر البئر » ، يعنى من كثرة الماء .

٢٢ — ومنهم **أبو اليمن سفيان بن وهب الخولانى** ، رضى الله تعالى عنه .

كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكره أبو العلاء الكوفى فى « فوائده » ، وكان من الوافدين على رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو العلاء : إن سفيان بن وهب هذا كان تحت راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً أغرب فيه ، لم يروه عنه غيره ، ذكره أبو سعيد بن يونس بن عبد الأعلى فى كتابه بإسناد يتصل بعبد الرحمن بن شريح ، قال : سمعت سعيد بن أبى شمر (١) الشيبانى يقول : سمعت سفيان بن وهب الخولانى يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تأتى المائة وعلى ظهر الأرض أحد باق » ، قال بعض رواة هذا الحديث : فذكر هذا الحديث لعبد العزيز بن مروان ، فأمر بإحضار سفيان بن وهب ، فجىء إليه به محمولا ، وهو شيخ كبير ، فسأله عن هذا الحديث ، فحـ[ـدثه به]، فقال عبد العزيز: « لعل معناه : لايبقى أحد ممن أدركنى إلى رأس المـائة » فقال سفيان : « هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول » . وذكر « المحاسبى » عن على بن أبى طالب

(١) وفى « المعالم » جـ١ ، ص ١٢١ : شمس .

رضى الله تعالى عنه أنه لما بلغه هذا الحديث قال : « إنما أراد النبى صلى الله عليه وسلم بذلك نقصان [العلماء أو الإيمان] (١) (ص ١٩) واستحسن ذلك المحاسبي . وشهد سفيان فتح مصر وبقى حتى وَلِىَ الإمارة لعبد العزيز بن مروان على بعث « الطالعة » إلى إفريقية سنة ثمان وسبعين ، وذكر أنه توفى سنة اثنتين وثمانين . وذكر أبو الحسن الدارَقَطْنى بإسناد يتصل بغياث بن أبى شبيب قال : « كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بنا ونحن غلمة فى الكتاب ، فيسلم علينا [وعليه] عمامة قد أرخاها من خلفه » .

ذكر ابن سحنون فى تاريخه أن سفيان بن وهب هذا غزا إفريقية سنة ستين .

٢٣ – ومنهم **جبلة بن عمرو** (٢) **الساعدى** ، رضى الله تعالى عنه .

كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل إفريقية مع معاوية ابن حديج وحديثه رواه ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن بُكَيْر بن الأشَجّ ، قال : سألت سليمان بن يسار عن النفل فى الغزو فقال : نفلنا معاوية بن حديج بافريقية ، فأبى جبلة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ من ذلك شيئا . قال أبو سعيد بن يونس : وكان ولده بافريقية .

٢٤ – ومنهم **أبو نعيم معاوية بن حديج** ، رضى الله تعالى عنه .

ذكره محمد بن عبد الله بن سنجر وحمزة الكنانى وغيرهما فى جملة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . [روى] من طريق ابن سنجر عن معاوية ابن حديج التجيبى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن كان فى شىء شفاء ففى شرطة من محجم أو شربة من عسل أو كية بنار » .

قال ابن يونس : وَلِىَ معاوية إمارة إفريقية ثلاث مرات لمعاوية بن أبى سفيان : سنة أربع وثلاثين وسنة أربعين وسنة خمسين ، وكان شهد فتح مصر . وهو الوافد بفتح الاسكندرية إلى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه . وكان أعور ذهبت عينه يوم « دمقلة » من بلد « النوبة » مع ابن أبى سرح سنة إحدى وثمانين .

---

(١) التكملة من « المعالم » جـ١ ، ص ١٢١ .

(٢) أضاف صاحب « المعالم » هنا : الأنصارى .

دخل إفريقية غازياً ثلاث مرات، وكانت له بها مقامات جليلة ومشاهد مشهورة شريفة، وكان قد اختط مدينة عند «القرن» قبل تأسيس عقبة «للقيروان»، وأقام بهما مدة إقامته بافريقية وحفر آباراً عند باب تونس فى ناحية الجبل منه منحرفة للشرق بالقرب من «مصلى الجنائز» تسمى للآن «آبار حديج» غلب عليها اسم أبيه حديج، وذلك قبل تأسيس القيروان.

٢٥ — ومنهم **ابو شداد زهير بن قيس البلوى**، [رضى الله تعالى عنه].

ذكره ابن يونس، و[قال] إنه معدود فى جملة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنه روى — مع صحبته — عن بعض التابعين، ولم يذكر عنه حديثاً، غير أنه ذكر حديثاً يتصل بعبد الله بن وهب عن زهير بن قيس البلوى عن علقمة بن رمثة (٢)، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى «البحرين»، ثم خرج فى سرية، وخرجنا معه، فنعس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ فقال: «رحم الله عَمْراً»، فتذاكرنا كل إنسان اسمه عمرو، ثم نعس الثانية فقال: «رحم الله عَمْراً»، ثم نعس الثالثة فقال: «رحم الله عَمْراً»، فقلنا: «مَنْ عمرو يارسول الله؟» قال: «عمرو بن العاص» قلنا: «وما باله؟» قال: «كنت إذا ندبت الناس للصدقة جاء من الصدقة فأجزل(٣)، فأقول: «من أين هذا ياعمرو؟» فيقول: «من عند الله» فصدق عمرو، وإن لعمرو عند الله خيراً كثيرا».

قال علقمة: فلما كانت الفتنة قلت: «أتبع هذا الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما قال». قال: «فصحبته، فلم أفارقه». قال ابن يونس: لم يحدّث به عن علقمة غير زهير، وكلاهما صحابى غزا إفريقية ووَلِيهَا. ورجع إلى مصر كراهة فى الإمارة بعد أن سار بسيرة أهل العدل.

---

(١) فى الأصل وفى «المعالم»: دهقلة.

(٢) فى الأصل: ربتة، وسيرد ذكره مراراً على الصورة المصححة.

(٣) فى سياق هذا الحديث اضطراب، ولعل صحته: «كنت إذا ندبت الناس للصدقة جاء عمرو فأجزل... الخ».

٢٦ — ومنهم **أبيض** (١) ؛ رضى الله تعالى عنه .

ذكره ابن يونس فى جملة الصحابة .

[قال] موسى بن الأشعث ، حدثهم أن (٢) الوليد بن عنبسة حدثه أنه انطلق هو وأبيض ، رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، إلى رجل يعودانه . قال : فدخلنا المسجد ، فرأيت الناس يصلون ، فقلت : « الحمد لله الذى جمع بالإسلام بين الأسود والأحمر والأبيض ». وقال أبيض : « والذى نفسى بيده ، لاتقوم الساعة حتى لا تبقى ملة إلا ولها منكم نصيب » ، (٣) فقلت : « يرتدون [و] يخرجون من الإسلام ؟ » فقال : « لا ، بل يصلون بصلاتكم ، ويجلسون مجالسكم ، وهم معكم فى سوادكم » .

قال أبو سعيد بن يونس بن عبد الأعلى : دخل أبيض هذا إفريقية ، وهو معدود فيها من أهل مصر .

٢٧ — ومنهم **قيس بن يسار بن مسلم الكنانى** (٤) ، رضى الله تعالى عنه .

قال أبو سعيد وغيره : يقال إنه صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتل معه فى [ ] (٥) وقاتل أيام « الردة » .

دخل إفريقية غازياً مع عقبة بن نافع ، وقيل إنه دخلها قبل ذلك سنة سبع وعشرين مع عبد الله بن سعد وهو جد أبى محرز القاضى .

---

(١) هكذا ورد الاسم فى نص « الرياض » ، وقد عثرت عليه كاملا فى « المعالم » هكذا : أبيض بن حمال السبائى المواربى ، (ج١ ، ص ١٢٢) .

(٢) فى الأصل : بن

(٣) فى الأصل : نصير ، والتصحيح من « المعالم » ، (ج١ ، ص ١٢٢) .

(٤) لم يفرد « الدباغ » لهذا الصحابى فصلا ، ولكنه ذكره فى حديثه عن أبى محرز القاضى (ج٢ ، ص ٢٥) .

(٥) بياض بالأصل .

٢٨ — ومنهم **أبو يقظان** ، رضى الله تعالى عنه .

ذكره أبو سعيد (بن يونس) فى جملة الصحابة الذين دخلوا إفريقية . من طريق أبى سعيد أن أبا عُشَانة (١) المعافرى حدثه أنه سمع أبا اليقظان ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم « بصقلية » يقول : « أبشروا ! فوالله لأنتم أشد حباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم — ولم تروه — من عامة من رآه » .

دخل أبو يقظان هذا إفريقية و غزا « صقلية » ، قال أبو سعيد : وذكر أن أبا يقظان هذا هو عمار بن ياسر ، وذلك عندى وهم .

٢٩ — ومنهم **عقبة بن نافع بن عبد القيس** ، رضى الله تعالى عنه .

ذكر أبو سعيد وغيره أنه معدود من جملة الصحابة الذين دخلوا إفريقية .

وَلِىَ الإمارة على إفريقية وبلد المغرب لمعاوية ولولده يزيد ، وهو الذى اختط مدينة « قيروان إفريقية » وبنى دار الإمارة التى فى قبلىّ الجامع ، وقد مر من أخباره ونداثه بالسباع والحيّات وغيرها : « اظعنوا . . . (٢) » ، وذكر زياد ابن عجلان أن أهل إفريقية أقاموا بعد ذلك أربعين سنة ولو التمست حية أو عقرب بألف دينار ماوجدت .

وذكر أبو العرب بن تميم هذه الحكاية بإسناده عن سحنون عن ابن وهب عن الليث بن سعد ، إلا أنه ذكر أن الذى جرى له (ص ٢٠) هذا عقبة بن عامر. قال أبو العرب : وغير ابن وهب يقول بل هو عقبة بن نافع ، وهو الصحيح . ولا يوجد فى شىء من مغازى إفريقية أن عقبة بن عامر غزا إفريقية ولا وُلى عليها .

---

(١) فى الأصل : غشاله ، وجاء فى هامش « المعالم » : فى القاموس : أبو عشانة من كناهم ، وهو بضم العين على وزن ثمامة . (جـ١ ، ص ١٢٤) .

(٢) انظر ص ٢١ من هذا الكتاب .

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم قال : لما فتح عقبة بن نافع «وَدان» و «فَزان» وأسلموا على يديه ،سألهم : «هل من ورائكم أحد؟» قالوا : «نعم ، أهل جاوان» (١) وهو قصر عظيم على رأس المفازة فى وعورة على ظهر الجبل ، وهو قصبة «كوار» فسار إليهم خمس عشرة ليلة ، فحاصرهم فلم يستطع فتح الحصن ، فصالحهم ثم انصرف راجعاً ، فأقام بموضع اسمه اليوم «ما[ء] فرس» ، ولم يكن به ماء فأصابهم عطش شديد أشرف منه عقبة وأصحابه على الموت ، فصلى عقبة ركعتين ، ودعا الله تبارك وتعالى ، فجعل فرسه يبحث بيديه فى الأرض [حتى] كشف عن صفاة ، فانفجر منها الماء ، وجعل الفرس يمص من ذلك الماء ، فانصرف عقبة فنادى فى الناس أن احتفروا ، فاحتفروا سبعين حِسياً ، فشربوا وسقوا وصار ذلك ماء معيناً ، فسمى لذلك ماء فرس إلى اليوم .

---

(١) انظر : طبقات علماء افريقية لأبى العرب ، ص ٩ .
وفى هامش الأصل : وقيل جلوان .

— ٢ —

ذكر من دخل إفريقية وأوطنها من التابعين

وهم الطبقة الأولى من علماء مدينة القيروان

وذكر من كان فى هذه الطبقة فى سائر مدن إفريقية وحصونها ومراسيها

أبدأ منهم بذكر العشرة التابعين الذين بعثهم أمير المؤمنين عمر بن [عبد] العزيز رضى الله تعالى عنه ، ليفقهوا أهل إفريقية ويعلموهم أمر دينهم .

٣٠ — منهم ابو عبد الرحمن الحبلى واسمه عبد الله بن يزيد المعافرى

كان رجلا صالحاً فاضلا ، يروى عن جماعة من الصحابة منهم أبو أيوب الأنصارى ، وعبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن عمر ، وعقبة بن عامر ، وفضالة ابن عبيد(١) زيد الأنصارى وغيرهم .

روى عنه جماعة من العلماء ، وأدخله المصنفون فى كتبهم وأغرب « بحديث السجلات » : عن أبى عبد الرحمن الحبلى أنه قال : سمعت عبد الله بن عمرو ابن العاص ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يصاح برجل من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر له تسعة وتسعون سجلا ، كل سجل منها مد البصر ، ثم يقول له الله تبارك وتعالى : « أتنكر من هذا شيئاً ؟ » فيقول : « لا يارب » فيقول الله عز وجل : « ألك عذر أو حسنة ؟ » فيهاب الرجل فيقول : « لا يارب » فيقول الله عز وجل : « بلى ، إن لك عندنا حسنات ، وإنك لا ظلم عليك » فتخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله» فيقول : « يارب ، ماهذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ » فيقول الله عز وجل :

(١) فى « المعالم » فضالة بن زيد الانصارى . جا ص ١٣٩ .

إنه لا ظلم عليك » قال : « فتوضع السجلات فى كفة ، والبطاقة فى كفة ، فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة » .

بعثه عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه إلى [أهل] إفريقية ليفقههم فى الدين ، فانتفع به أهل إفريقية ، وبث فيها علماً كثيراً . وتوفى بالقيروان سنة مائة من الهجرة ، ودفن بباب تونس (١) .

وكان الشيخ أبو الحسن بن القابسى ، رضى الله تعالى عنه ، إذا ترحم على والديه بباب تونس يحول وجهه إلى ناحية دبر القبلة من الجبانة منحرفاً إلى الشرق . ويقول : « رحمك الله يا أبا عبد الرحمن » ويذكر أن قبره بتلك الناحية .

أخبرنا أبو عقيل زهير (٢) بن معبد القرشى ، قال : « كنت ضجيعاً لأبى عبد الرحمن الحبلى فى المركب فى غزو إفريقية ، فكنت أسمعه إذا انتبه من نومه يقول : « لا إلــه إلا الله وحده لا شريك له » ثلاث مرات (٣) و « الحمد لله الذى أنام ليلى وهدأ عروقى » ثلاث مرات . قال أبو عقيل : فقلت له : « رأيتك تلزم هذه الكلمات ، فما بلغك فيهن ؟ » قال : « بلغنى أنه ما يقولهن أحد حين ينتبه من نومه ، إلا كان من الخطايا كيوم ولدته أمه (٤) » . قال أبو عقيل : « وسمعت أبا عبد الرحمن يقول أيضاً : « إن الرجل إذا سلم على أخيه المسلم ، فسأله : كيف أصبحت ، فقال : أحمد الله إليك ، كتبه الله عز وجل من الحامدين » فكان أبو عبد الرحمن إذا سئل : كيف أصبحت ، قال : أحمد الله إليكم وإلى جميع خلقه . [حدث] ابن هبيرة قال : سمعت أبا عبد الرحمن الحبلى [يقول] : « مثل الذى يجتنب الكبائر ويقع فى المحقرات كمثل رجل لقيه سبع

---

(١) يقول ابن الناجى فى هذا الموضع ان المالكى يقول : بقرب « باب أزهر » (حـ ١ ، ص ١٤٠) ، ولعل هذه العبارة وردت فى النسخة التى كان ينقل عنها .

(٢) المعالم (حـ ١ ، ص ١٤٠) : زهرة .

(٣) أضاف صاحب « المعالم » هنا هذه العبارة : سبحان الذى يحيى الموتى وهو على كل شىء قدير ، ثلاث مرات . (حـ ١ ، ص ١٤٠) .

(٤) ورد فى هامش الأصل قبالة هذا السطر : حديث من انتبه من النوم .

فاتقاه حتى نجا منه ، ثم لقيه فحل إبل فاتقاه حتى نجا منه ، ثم لقيه فحل خيل ، فكذلك حتى نجا . ثم لدغته نملة ، فتهاون بها و [أوجعته] ، (١) ثم أخرى ثم أخرى ، ثم اجتمعن عليه فصرعنه ، فكذلك الذى يجتنب الكبائر ويقع فى المحقرات .

[حدث] عمرو بن سعيد المعافرى ، قال : سمعت أبا عبد الرحمن الحبلى يقول : « لتركبن هذه الأمة سنن بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل » فقلت له : « وتتيه يا أبا عبد الرحمن كما تاهوا ؟ » فقال : « ثكلتك أمك، ومنذ متى أنتم فى التيه ؟ »

قال اسماعيل بن زيد الأبلى : كنا نأتى عبد الله بن أبى يزيد الإفريقى وهو [أبو] عبد الرحمن [الحبلى] فنجلس ونتحدث ونتخاصم فى الشىء وهو معنا ، ونرفع أصواتنا . فنقول له : « ماعندك فى هذا ؟ » فيقول : « ماسمعت ماقلتم، وإنى لمشغول عن ذلك » للذى غلب على قلبه من محبة الله عز وجل والشوق إليه .

٣١ — ومنهم **أبو مسعود سعد** (٢) **بن مسعود التجيبى** ، رضى الله تعالى عنه .

كان رجلا فاضلا مشهوراً بالدين والفضل، قليل الهيبة للملوك فى حق يقوله ، لاتأخذه فى الله لومة لائم . صحب جماعة من الصحابة وروى عنهم ، منهم أبو الدرداء وغيره ، وروى عنه جماعة منهم . [حدث] عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم [قال] : أخبرنى سعد بن مسعود أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له : « يارسول الله، إنه تمر بنا ساعات لو نموت فيها خشينا على أنفسنا » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس من مؤمن إلا وله سورة وفترة ، فإذا دخلت السورة فأسرعوا قبل أن تأتيكم الفترة . فاستمسكوا بالفرائض

---

(١) التكملة من « المعالم » : جـ ١ ، ص ١٣٩ .

(٢) ورد هذا الاسم عند أبى العرب هكذا : أبو مسعود سعيد بن مسعود التجيبى .

والسنن » ، وأدخله عبد الله بن وهب فى « جامعه » . [رُوى] عن سعد ابن مسعود عن أبى الدرداء ، صاحب النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أحب الموت اشتياقاً إلى ربى ، وأحب المرض تكفيراً لخطيئتى ، وأحب الفقر تواضعاً لربى » .

(ص ٢١) وهو من العشرة الذين بعثهم عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه [ليفقهوا أهل القيروان] (١) . [حدث] عبد الأعلى بن عقبة الغفارى . قال : « لما ثارت « الخوارج » على حنظلة بن صفوان بطنجة ، جمع حنظلة علماء إفريقية ، وهم الذين بعثهم عمر بن عبد العزيز إلى إفريقية ليفقهوا أهلها فى الدين ، منهم سعد بن مسعود وحَبّان بن أبى جبلة (٢) وطَلْق بن حابان (٣) وغيرهم ، فكتبوا له هذه الرسالة ليقتدى بها المسلمون ويعتقدوا مافيها وهى :

بسم الله الرحمن الرحيم

من حنظلة بن صفوان إلى جميع أهل طنجة

أما بعد ، فان أهل العلم بالله وبكتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم [قالوا] إنه يرجع جميع ماأنزل الله عز وجل إلى عشر آيات : آمرة ، وزاجرة ، ومبشرة ، ومنذرة ، ومخبرة ، ومحكمة ، ومشتبهة ، وحلال ، وحرام ، وأمثال . فآمرة بالمعروف ، وزاجرة عن المنكر ، ومبشرة بالجنة ، ومنذرة بالنار ، ومخبرة بخبر الأولين والآخرين ، ومحكمة يعمل بها ، ومتشابهة يؤمن بها ، وحلال أمر أن يؤتى ، وحرام أمر أن يجتنب ، وأمثال واعظة . فمن يطع الآمرة وتزجره الزاجرة فقد استبشر بالمبشرة وأنذرته المنذرة ، ومن يحلل الحلال ويحرم الحرام ويرو العلم فيما اختلف فيه الناس إلى الله ، مع طاعة واضحة ونية صالحة ، فقد فلح وأنجح وحيا حياة الدنيا والآخرة . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

---

(١) التكملة من « المعالم » ج ١ ص ١٤٢ .

(٢) ورد اسمه فى « المعالم » هكذا : حبان بن أبى جبلة القرشى مولى بنى عبد الدار . (ج ١ ص ١٥٨) .

(٣) هكذا ورد الاسم فى «المعالم» و« تهذيب التهذيب » لابن حجر (ج١ ص ١٦١) . وقد رسمه أبو العرب فى « الطبقات » : جابان (ص ٢٠) .

قال (١) حدثنى شيخ يكنى بأبى مسعود قال : بعث الريان بن عبد العزيز ابن مروان رسولا إلى سعد بن مسعود فوجده فى مجلسه فى « جامع الفسطاط » مع أصحابه . فقال له : « الأمير يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : إن رأيت أن تؤنسنا بنفسك العشية ، فافعل » فقال للرسول : « اقرأ على الأمير السلام . وقل له ليس لى إليك حاجة فآتى لها . فإن تك لك حاجة فأت لها » فأتاه الرسول فأخبره فقصد إليه الريان حتى لقيه وسلم عليه . وقال : « يغفر الله لك يا أبا مسعود ! أتاك رسولنا ، فكان من إغلاظك له ما كان » . فقال له : « أصلح الله الأمير ؛ دعوتنى إلى مايشينى ودعوتك إلى مايزينك » . فقال له : « فكيف ذلك ؟ » فقال له : « إنه من رآك ماشياً إلى مدحك ، وقال : ذاك طالب علم وخير . ومن رآنى ماشياً إليك رآنى طالباً حطاماً وعرضاً من أعراض الدنيا ، فشاننى » . فقال له الريان : « سلبت والله ما كان بقلبى ونورته . نور الله قلبك وعلمك » .

وعن فرات بن محمد العبدى أن سعداً بن مسعود صاح يوم الجمعة على [أمير] إفريقية فى مظلمة ، وقد خرج الأمير من الجامع : « إنى بالله لابك ؛ أنا بالله لابك ! » فقضى الأمير حاجته . [ورُوى] عن سعد أنه كان يقول : « إذا أتاك الشيطان من قبل الصمت ، فقال لك : إن الناس يعدون ذلك عياً منك . فأته أنت من قبل السلامة ، فقل له : صامت سالم خير من ناطق آثم » . قال سعد ابن مسعود : « إذا رأيتم العبد دنياه تزداد ودينه(٢) ينقص ، مقيما على ذلك راضياً به فذلك المغبون الذى ينتقص دينه ولا يشعر » . وسئل رحمه الله تعالى عن [علامة]

---

(١) ورد فى المخطوط قبل هذه الكلمة العنوان التالى : « ومنهم أبو عثمان سعيد ابن محمد بن صبيح صاحب سحنون رضى الله تعالى عنه » . ولم يرد بعد ذلك أى حديث عن هذا الشخص ، والكلام بعد ذلك متصل عن أبى مسعود سعد التجيبى ، مما يدل على أن تلك الفقرة أقحمت هنا فى غير موضعها ، ويحتمل أن تكون صحة هذه الفقرة هكذا : « [حدث] أبو عثمان سعيد بن محمد بن صبيح صاحب سحنون رضى الله تعالى عنه قال : . . . الخ » . وسها الناسخ وكتب « ومنهم » بدلا من « حدث » . ولهذا رفعت العبارة المقحمة كلها من النص .

(٢) فى « المعالم » : وآخرته (حـ ١ ، ص ١٤٣) .

ولىّ الله عز وجل . فقال : « من استفرغت آخرته دنياه ، ومن كان الحق هواه ، و [من] لم يكن فى شىء (١) مما يسخط الله تعالى رضاه ، ومن كان الذكر قوله والعلم بغيته وفى بيوت الله عز وجل مجلسه » . وكان يقول : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » . وسئل أيضاً عن علامة المتوكل فقال : « من رضى بحكم الله واطمأن إلى موعد الله ، وكان عنده ماتكفل الله عز وجل له به من رزقه بمنزلة ما قد بلغه وملكته يده » . وسئل أيضاً عن علامة الحكيم فقال : « من كان مصيباً فى قوله ، حليما فى غضبه ، ذا عفو فى قدرته ، راضياً بمنزلته ، غير مفتون بما ليس له ، قد استغنى بأمر آخرته عن دنياه » . وسئل أيضاً عن الطاعة ، هل تكون لها منزلة أشد من منزلة ؟ فقال : « نعم ، إذا كانت الطاعة فى منازل ثقلها ودافعتها المعصية فى منازل دفعها (٢) فهنالك اشتدت الطاعة على أهلها فكان أعظم ما يكون من أجرها » . وسئل [أيضاً] : أى الجلساء أشر مجالسة ؟ فقال : « من يغفلكم قوله ، ومن تفتنكم رؤيته ، ومن يدعوكم إلى دنياكم فعله » . وسئل أيضاً عن الذى يزين العالم عند من جالسه فقال : « كثرة صمته وقلة غضبه وحسن خلقه ولينه وخشوعه وتواضعه » .

٣٢ ـ ومنهم **اسماعيل بن عبيد الأنصارى** رضى الله تعالى عنه

مولى لهم ، يعرف « بتاجر الله » ، من أهل الفضل والعبادة والنسك والارادة . كثير الصدقة والمعروف مع علم وفقه . صحب جماعة من الصحابة وروى عنهم وهم : عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو [بن العاص] (٣) وروى عنه من أهل إفريقية بكر بن سوادة الجذامى وعبد الرحمن بن زياد [ابن أنعم] (٤) . وروى عنه من أهل مصر عمران بن عوف الغافقى والحارث

---

(١) فى الأصل : شيئا ، والتصحيح من « المعالم » ، ونص هذه العبارة هناك هكذا : « ومن لم يكن له فى شىء مما يسخط الحق رضاه » (حـ ١ ، ص ١٤٣) .

(٢) فى الأصل : نفعها ، والتصحيح من « المعالم » (حـ ١ ، ص ١٤٣) .

(٣) التكملة من « المعالم » (حـ ١ ، ص ١٤٦) .

(٤) التكملة من فهرس « الطبقات » لأبى العرب .

ابن يزيد وعبد الله بن أبي جعفر.[1] ، وكان من سكان القيروان . انتفع به خلق كثير من أهلها وغيرهم ، وبث فيها علماً كثيراً . وهو أحد العشرة التابعين ، وكان رجلا صالحاً يقال له « تاجر الله » وهو الذى بنى « المسجد الكبير » بالقيروان الذى يعرف الآن « بمسجد الزيتونة » . وكان يصلى به ويعمره ، وإليه ينسب السوق الذى بجواره يسمى « سوق اسماعيل » . ولم يزل مقيما بالقيروان حتى حضرته نية فى الجهاد ، فخرج فى موكب مطوعاً فى غزاة عطاء بن رافع[2] فغرق رضى الله تعالى عنه وهو متقلد المصحف . وختم الله عز وجل أعماله بالشهادة . وكان ذلك فى سنة سبع ومائة .

وعن ابن أنعم ، قال : قلت لابن المسيب : إن عندنا رجلا من الأنصار يقال له إسماعيل بن عبيد ، من العباد . إذا سمعنا نذكر شعراً صاح علينا ، فقال سعيد : ذاك رجل نسك نسك العجم (ص ٢٢) . وكان رحمه الله تعالى يلبس جبة من صوف وكساء من صوف وقلنسوة صوف . وإنما سمى تاجر الله عز وجل لأنه جعل ثلث كسبه لله تعالى يصرفه فى وجوه الخير .

وكان يوجه المولدات والأحمال إلى المشرق ، فوجه رفقة كلها له ، فخرج يشيعهم [إلى قصر الماء][3] فسمع بكاء فقال : « ماهذا ؟ » فقيل له : « هؤلاء المولدات اللائى وجهتهن يبكين مع آبائهن وأمهاتهن وإخواتهن » فبكى إسماعيل وقال : « دنيا بلغت بى إلى أن أفرق بين الأحبة . إنها لدنيا سوء ؛ أشهدكم أن من كان لها أب أو أم أو أخت فى هذه الرفقة فهى حرة لوجه الله عز وجل » . قال : فأنزل من المحامل سبعين مولدة . فأعتقهن كلهن[4] .

---

(١) ورد هذا الاسم عند أبى العرب (ص ١٢) هكذا : عبد الله بن جعفر .

(٢) ورد هذا الاسم فى « المعالم » (ج ١ ، ص ١٤٧) هكذا : عبد الله بن رافع .

(٣) التكملة من « المعالم » : ج ١ ، ص ١٤٧ .

(٤) نص « الرياض » مضطرب اضطراباً شديداً فى هذا الموضع ، وقد صححته من « المعالم » (ج ١ . ص ١٤٨) .

حدث على بن المطلب ، وكان من فضلاء الناس ، قال : بار على اسماعيل طيقان ساج سبعمائة ، وكان بالغرب بإفريقية ، فقال : « لأتجرن فى هذه » ، فاشترى مع كل ساج جبة وكساها المجاهدين فى سبيل الله تعالى .

قالت امرأة من قريش من بنى أمية لإنسان كان يتجر لها : « مامنعك أن تكون مثل إسماعيل ؟ » فقال : « أتريدين أن تجعلى فلاناً تاجر فلانة مثل اسماعيل تاجر الله ؟ » .

كانت له جارية تخرج إلى السوق . وكان لها جار يتبعها إذا خرجت ، فشكت ذلك إلى مولاها إسماعيل . فأرسل إليه فأحضره فقال له : « ماحملك على أن تتعرض جاريتى ؟ » فقال له : « سلها ، هل كلمتها بكلمة قط ؟ » فسألها . فقالت : « لا ، صدق . ماكلمنى بكلمة قط ، إلا أنى إذا خرجت اتبعنى » فقال له : « ما حملك على هذا ؟ » قال : « المحبة لها » قال : فأمر بالجارية فأصلح من شأنها ، ووهبها له ، وأعطاه ثلاثين ديناراً . وقال له : « إذا فرغت فارجع إلى » .

حدث غير واحد قالوا : كان بالقيروان رجل خياط له بنات ، وكان ليس يقوم به عمله إلا عن جهد ، فلما كان ليلة عيد الفطر دخل على بناته ، فوجدهن فى الظلام ، وليس فى البيت شىء يرد يده إليه . فخرج من بيته هائماً محزوناً ، وشق عليه أن يرى بناته منكسرات القلوب بين أترابهن من بنات الجيران ، اللاتى يلبسن يوم العيد الثياب الحسان والزينة مع ماعند آبائهن من كفاية العيش . فسولت له نفسه الخروج من القيروان حتى ينقضى العيد . فمر بمسجد إسماعيل تاجر الله ، وقد حضرت صلاة العشاء الآخرة ، فصلى معه . فلما انصرف الناس ولم يبق فى المسجد إلا الرجل ، رآه إسماعيل ، فعلم أن له قصة . فمضى الشيخ إلى داره وبعث وراءه ، فأدخله وسأله عن قصته ، فذكرها له ، فتوجع إسماعيل لذلك وبكى ، وقال له : « كم عندك من البنات ؟ » فقال : « خمس » ، فصاح إسماعيل لأمهات أولاده وقال لهن : « إيتيننى بحلى بناتكن وما صنعتن لهن فى هذا العيد من الثياب والزينة » ، فأتينه بجميع ذلك . وقال لهن : « إيتيننى بمائدة العيد » فأتينه بها وفيها أنواع الأطعمة والحلوى . وقال لهن : « إيتيننى بما عندكن

من الطيب والحناء » فدفع جميع ذلك إلى الخياط ، ودفع إليه دنانير كثيرة ، وقال له : « اكس بناتك من هذه الثياب والحلى ، وطيبهن بهذا الطيب وكل معهن هذه المائدة ، وأوسع على نفسك وعليهن بهذه الدنانير » . ثم أمر عبيده ، فحملوا ذلك إلى دار الخياط ، فضرب الباب عليهن ففتحن الباب ، فوجدهن فى الظلام على حالهن ، فأدخل العبيد جميع ذلك إلى داره وذهبوا ، ففرح بناته بذلك فرحاً شديداً ، وكان فى داره سرور كثير ، ولبس بناته الحلى النفيس والثياب الجليلة واجتمعن حول المائدة ووسع عليهن فى النفقة .

٣٣ – ومنهم **ابو الجهم عبد الرحمن بن رافع**[١] **التنوخى** ، رضى الله تعالى عنه .

من فضلاء المؤمنين ، روى عن جماعة وروى عنه جماعة ، سكن القيروان وانتفع به خلق كثير ، وهو أول من استُقضى بها بعد فتحها ، ولاه عليها[٢] موسى بن نصير سنة ثمانين من الهجرة ، وهو أحد العشرة التابعين . توفى بالقيروان سنة ثلاث عشرة ومائة ، رحمه الله تعالى .

عن ابن أنعم ، عن عبد الرحمن بن رافع التنوخى ، عن عبد الله بن عمرو ابن العاص ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلس فى مسجده[٣] ، فوجد قوماً يدعون الله تعالى ويرغبون إليه ، وقوماً يتعلمون الفقه ويعلمونه ، فقال : « كلا المجلسين على خير ، وأحدهما أفضل من صاحبه ، أما هؤلاء فيدعون الله عز وجل ويرغبون إليه ، فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل فهم أفضل ، وإنما بُعثت معلماً » . ثم جلس فيهم .

---

(١) فى الأصل : نافع ، والتصحيح من « الطبقات » لأبى العرب (ص ٢٠ و ٢٣٣) وكذلك رسمه صاحب « المعالم » (حـ ١ ، ص ١٥١) .

(٢) الأصح هنا : ولاه قاضيا عليها .

(٣) فى الأصل : بمسجد فى مجلسه .

٣٤ – ومنهم **موهب بن حي** [١] **المعافرى** رضى الله تعالى عنه .

صحب ابن عباس وروى عنه وعن غيره من الصحابة . كان من أهل الفضل والدين .

[روى عن] ابن أنعم وعباس بن عباس السمناني [٢] قال : سألت ابن عباس فقلت له : « إنا نغزو المغرب وايسوا بأهل كتاب . فنجد فى آنيتهم السمن والعسل وفى قربهم [المـاء] ، فنأكل [ذلك] [٣] وننتفع به ؟ » فقال : « لا بأس بذلك . لأن الدباغ لها طهور » . وموهب أحد العشرة التابعين ، رحمه الله تعالى . سكن القيروان وبث فيها العلم وفيها كانت وفاته .

٣٥ – ومنهم **حيان** [٤] **بن ابى جبلة القرشى** رضى الله تعالى عنه

وهو من موالى بنى عبد الدار ، من أهل الفضل والدين ، روى عن جماعة من الصحابة منهم عبد الله بن عباس وعمرو بن العاص وولده عبد الله . روى عنه ابن أنعم وأبو شيبة عبد الرحمن بن يحيى الصدائى وعبد الله بن زحر .

سكن القيروان وانتفع به أهلها . توفى سنة خمس وعشرين ومائة وهو أحد العشرة التابعين . وأدخله محمد بن سنجر فى كتابه « المسند » وذلك ما حدثنا به عبيد الله بن زحر :

عن حيان بن أبى جبلة ، عن أبى قتادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من اغتسل ثم غسل رأسه ثم دنا فاستمع يوم الجمعة وأنصت ، كان له كأجر سنة صيامها وقيامها [٥] » .

---

(١) عند أبى العرب : « ابن حد » (ص ٢٠) وفى « المعالم » : « ابن حبى » (جـ ١ ، ص ١٦١) .

(٢) فى « المعالم » : الغسانى (جـ ١ ، ص ١٦١) .

(٣) التكملة من المعالم (جـ ١ ، ص ١٦١) .

(٤) « الطبقات » (ص ٢٠) و « المعالم » (جـ ١ ، ص ١٥٨) و « تهذيب التهذيب » لابن حجر (جـ ١ ، ص ١٦٢) : حبان .

(٥) ورد هذا الحديث فى « المعالم » بصورة أخرى (جـ ١ ، ص ١٥٨) .

٣٦ – ومنهم ابو ثمامة بكر بن سوادة الجذامى رضى الله تعالى عنه .

كان رجلا فاضلا جليلا . روى عن جماعة من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، منهم عقبة (ص ٢٣) بن عامر وسهل بن سعد الساعدى وسفيان بن وهب الخولانى وأبو ثور الفهمى [١] . وروى عن جماعة من التابعين منهم سعيد بن المسيب وابن شهاب الزهرى .

قال أبو سعيد بن يونس : كان فقيهاً مفتياً ، سكن القيروان . وكانت وفاته بها سنة ثمان وعشرين ومائة . رحمه الله تعالى . وقيل إنه غرق فى بحار الأندلس . وكان أحد العشرة التابعين ، وأغرب بحديث عن عقبة بن عامر لم يروه غيره فيما علمت : حدثنا عبد الله بن لهيعة ، عن بكر بن سوادة الجذامى ، عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كان على رأس مائتين فلا تأمر بمعروف ولا تنه عن منكر ، وعليك بخاصة نفسك » [٢] ، وهذا منه صلى الله عليه وسلم إشفاق منه على أمته أن ينالهم فى ذلك كره فى جسم أو عرض أو [مال] فتتغير [٣] أنفسهم ، ويودوا لو يكونون لم يفعلوا ذلك ، لتغير الزمان وفساد الأحوال وقلة المعين لهم على ذلك ، وأما من قدر على ذلك بيد أو لسان ولا يصل إليه على ذلك أذى فى جسم أو عرض ولا مال ، فقد توجه عليه الغرض فى ذلك . وقد روينا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ائتمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيتم هوى متبعاً وشحا مطاعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع أمر العامة » [٤] .

---

(١) « المعالم » (جـ ١ ، ص ١٦٠) : الفهرى .

(٢) فى هامش الأصل إلى جانب هذا الحديث : حديث عقبة ، إذا كان على رأس المائتين .

(٣) التكملة من « المعالم » (جـ ١ ، ص ١٦٠) .

(٤) كذا فى الأصل .

٣٧ـ ومنهم **أبو سعيد جعثل بن هاعان بن عمير البتور**(١)، رحمه الله تعالى

ذكر أبو العرب أنه من التابعين . ولم يذكر عمن روى من الصحابة ، وذكر أبو (٢) سعيد [بن يونس] أنه يروى عن أبي تميم الجبشاني (٣) عبد الله ابن مالك . وروى عنه بكر بن سوادة وابن زحر وابن أنعم . وهو أحد العشرة الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز من التابعين .

وولى « قضاء الجند » بإفريقية لهشام بن عبد الملك .

ذكر ابن يونس قال : كان أحد الفقهاء، توفى أول خلافة هشام (٤) : أدخله أبو عبد الرحمن النسائى فى « مسنده » فقال عنه بعد الإسناد عن عبيد الله ابن زحر أن أبا سعيد جعثل بن عامر (٥) عن أبى تميم الجيشانى أن عقبة ابن عامر أخبره أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امرأة نذرت أنها تمشى إلى بيت الله الحرام حافية غير مختمرة ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « مرها فلتختمر ولتركب ولتصم ثلاثة أيام » .

٣٨ ـ ومنهم **أبو عبد الحميد اسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر القرشى المخزومى** ، مولى لهم .

كان رضى الله تعالى عنه من أهل الدين والزهد . ذكر أبو العرب سعيد أنه روى عن عبد الرحمن بن عمر، وفضالة بن عبيد ، وروى عن جماعة من التابعين . وروى عنه الأوزاعى وسعيد بن عبد العزيز وابن أنعم .

استعمله عمر بن عبد العزيز على أهل إفريقية ليحكم بينهم بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ويفقههم فى الدين . وهو أحد العشرة التابعين . سكن القيروان وسار فى المسلمين بالحق والعدل . وعلمهم السنن

---

(١) « المعالم » (ج ١ ، ص ١٥٣) : أبو سعيد جعيل بن هاعان بن عمير البتوت .

(٢) فى الأصل : ابن

(٣) « المعالم » (ج ١ ، ص ١٥٣) : الجيشانى .

(٤) ورد هذا الخبر فى « المعالم » (ج ١ ، ص ١٥٤) هكذا : توفى قريبا من سنة خمس عشرة ومائة .

(٥) كذا فى الأصل وهو مخالف لصيغة اسمه فى العنوان .

وكانت وفاته بالقيروان : توفى سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وأسلم على يديه خلق كثير من البربر .

ذكره أبو جعفر الطبرى ، قال : كان خير وال وخير أمير ، سار فيهم بالعدل والحق ، وكان حريصاً على دعاء البربر إلى الإسلام .

[حدث] زياد بن أنعم ، قال : سمعت إسماعيل بن عبيد الله يخطب ويحث الناس على الجهاد ويقول : إن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال : « والله لو علمت أن أصحابى لايتأخرون ولا أجد ما يقوتهم ، ما تركت سرية تخرج فى سبيل الله تعالى إلا خرجت فيها . ولغدوة وروحة فى سبيل الله عز وجل خير من الدنيا وما فيها » . قال معن التنوخى : « ما رأيت زاهداً فى هذه الأمة غير اثنين : عمر بن عبد العزيز ، وإسماعيل بن عبيد الله المخزومى » . وكان خالا لهشام بن عبد الملك . قال رجاء : « وكان اسماعيل إذا قفل من الصائفة من الغزو افترش ذراعه فنام عليه ، وكان هو وأم ولده وفرسه فى بيت واحد زهداً فى الدنيا وتواضعاً » . ذكر أشهب وابن نافع عن مالك أن إسماعيل أوصى أن يُتصدق عنه بكل شيء تركه بعد موته ، فرفع ذلك إلى هشام فأجاز منه الثلث ورد ثلثيه . قال أبو بكر عبد الله المؤلف : وإنما فعل ذلك رجاء منه أن يجيز ذلك ورثته ، أو يكون لم يترك وارثاً ، وخاف أن يوضع فى غير موضعه ويُسلك به غير سبيله لتغير أحوال الأئمة » .

٣٩ — ومنهم **طلق بن جابان** (١) ويقال **ابن جعنان الفارسى** رضى الله تعالى عنه .

قلت — وأنا عبد الله عثمان بن عمر كاتب هذه النسخة — : إنى رأيت ترجمة طلق هذا مذكورة فى بعض النسخ ولم أجدها فى النسخة التى نقلت منها وهو مذكور قبل إسماعيل بن عبيد المتقدم ذكره : ذكر [ه] أبو العرب من التابعين ولم يذكر عمن روى من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، وذكر أبو سعيد ، عن أبى مسلمة ابن عبد الرحمن — وأبو مسلمة تابعى — : عده العرب من العشرة التابعين . روى عنه موسى بن على وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم . [و] روى عنه من أهل مصر يونس (٢) بن أبى أيوب .

---

(١) « الطبقات » (ص ٢٠) و « المعالم » (حـ ١ ص ١٦٢) : جابان .

(٢) « المعالم » حـ ١ ، ص ١٥١ : يزيد بن أبى أيوب .

ومن هذه الطبقة ممن هم سوى العشرة المتقدم ذكرهم :

٤٠ — ابو عبد الله [على] [١] بن رباح بن نصير [٢] اللخمى .

كان فاضلا جليلا من جملة التابعين . يروى عن جماعة من الصحابة، رضى الله تعالى عنهم، منهم عمرو بن العاص وولده عبد الله وعقبة بن عامر وأبو هريرة وعائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم . وروى عنه جماعة يكثر تعدادهم .

ذكره ابن وهب فى تصانيفه وسحنون فى « مدونته » . وقدم إفريقية غازياً مجاهداً وسكن القيروان واختط بها دارا ومسجداً . ومسجده عند باب نافع على يمين الخارج قبل أن يخرج . وانتفع به وتفقه على يديه [أهل القيروان](٣) وأدخله ابن سنجر فى كتابه .

وذكر أن موسى بن (ص ٢٤) نصير لما وصل من الأندلس إلى القيروان قعد يوماً فى مجلسه ، فجاءه العرب يسلمون عليه فلما احتفل المجلس قال : « إنه قد صحبتنى ثلاث نعم : أما واحدة فإن أمير المؤمنين كتب إلى يهنئنى فى كتابه » ، وأمر بقراءة كتاب أمير المؤمنين ، فهنى ، بذلك ، « وأما الثانية فإن كتاب [ابنى] قدم على بأنه فتح له بالأندلس فتح عظيم » ، فأمر بكتاب ابنه فقرئ فهنئ بذلك ، « وأما الثالثة فما صحبنى فى مقدمى هذا من الأموال والسبى من الأندلس » ، فهنئ بذلك . وعلى بن رباح اللخمى التابعى ساكت (٤) وكان على راوية ابن عباس وأبى هريرة . فقال لموسى : « مالك يا على لا تتكلم ؟ » فقال : « أصلح الله الأمير ، قد قال القوم » فقال : « وقل أنت أيضاً » . فقال : « أنا أقول ، وأنا أنصح القائلين لك ، أنه ما من دار امتلأت حبرة (٥)

---

(١) الزيادة من « المعالم » حـ ١ ، ص ١٥١

(٢) فى « المعالم » : حـ ١ ص ١٥١ نصر .

(٣) الزيادة من « المعالم » ، حـ ١ ص ١٥١ .

(٤) وردت هذه العبارة فى الأصل هكذا : . . . . فهنىء بذلك . نسخة : وعلى ابن رباح اللخمى التابعى ساكت وفى نسخة : وأبو عبد الله ساكت » .

(٥) الحبرة فى اللغة النعمة التامة (الأزهرى فى القاموس) . وجاء فى « اللسان » : الحبرة بالفتح النعمة الواسعة .

إلا امتلأت عبرة،(١) وما انتهى شيء إلا رجع ،فارجع قبل أن يرجع بك» . قال: فانكسر موسى بن نصير وخشع . ثم التفت ففر[ق] جوائز عدة . فكان موسى بعد ذلك إذا مر بخربة عادية ، أو مدينة من مدائن الأولين ، نزل وركع ركعتين ومشى فيها وفكر فى معالمها وفى آثارها ثم بكى بكاء كثيراً ثم يركب .

ذكر أن الناس قحطوا ، فخرج موسى بالناس فاستسقى وأمر رجلا يصلى بالناس وخطب [فيهم] ثم أخذ فى الدعاء للوليد وأكثر . فأرسل إليه موسى : « إنا لم نأت لذلك ، فأقبل على ما قصدنا إليه، وجلسنا من أجله » . فلم يلتفت إلى كلامه ، وتمادى على حاله رجاء أن يبلغ ذلك الوليد فينال عنده منزلة ، فأمر به موسى فسُحب حتى أخرج من بين الناس. ثم قام موسى فأخذ فى الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل واللجوء إليه، فما برح الناس حتى أمطرت السماء بماء كأفواه القرب ، قال : فأتى موسى بدابته فقال : « والله لاأركب . ولكن أخوض فى هذا الطين » . فانصرف ماشياً ، ومشى الناس معه . قال : فسمع يومئذ وهو يقول : « أسألك شهادة فى سبيلك ، أو موتة فى بلد نبيك » [و] يردد ذلك . فاستجاب الله تعالى دعاءه ، فتوفى بالمدينة متوجهاً إلى الحج ، واستجاب الله عز وجل دعاءه ودفن بالمدينة . ونفعه الله عز وجل بموعظة أبى عبد الله على بن رباح، فصغرت عنده الدنيا وما فيها ونبذها وانخلع مما كان فيه من الإمارة .

٤١ — ومنهم **أبو رشيد حنش بن عبد الله السبأى الصنعانى** (٢) رضى الله تعالى عنه .

من أهل الفضل والدين ، يروي عن جماعة من الصحابة منهم : على ، وابن عمر ، وابن عباس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص . وروى عنه الحارث ابن يزيد ، وابن أنعم ، وقيس بن الحجاج ، وعامر بن يحيى [المعافرى] (٣) . وولد بصنعاء .

---

(١) « المعالم » ج ١ ، ص ١٥١ : غبرة .

(٢) ورد هذا الاسم مضطربا فى نسخة المالكى فصححتها عن « المعالم » : ج ١ ص ١٤٤ .

(٣) التكملة من « المعالم » ج ١ ، ص ١٤٤ .

غزا المغرب مع رُوَيفع ، شهد غزو الأندلس مع موسى بن نصير ، وله بإفريقية آثار ومقامات . سكن القيروان واختط بها دارا ومسجداً ينسب إليه الآن فى ناحية « باب الريح » ، وتوفى بإفريقية فى سنة مائة وأدخله [عبدالله ابن وهب فى « جامعه » وسحنون فى « مدونته » .

[روى] ابن وهب قال : كان حنش إذا فرغ من عشائه وحوائجه وأراد الصلاة من الليل أوقد المصباح وقرب المصحف وإناء فيه ماء ، فإذا وجد النعاس استنشق الماء ، يريد بعد تسليمه ، وإذا تعايا فى آية نظر فى المصحف وكان كثير الصدقة لا يرد سائلا ، وإذا استطعمه السائل على باب داره لم يزل يصيح بأهله : « أطعموا السائل ! ، أطعموا السائل ! » حتى يطعم

٤٢ — ومنهم **أبو عطيف** (١) **الهذلى** واسمه **جندب بن بشر** وقيل **حبيب بن بشر** رضى الله تعالى عنه .

من فضلاء المؤمنين ، تابعى يروى عن جماعة من الصحابة منهم ابن عمر وعليه معتمده فى الرواية . حدث عنه ابن أنعم وموسى بن على بن رباح ، سكن القيروان واختط بها وتزوج بنت بكر بن سوادة الجذامى [و] قد تقدم ذكره [حدث] ابن أنعم قال : حدثنا أبو عطيف الهذلى قال : كنت عند ابن عمر فحضرت صلاة الظهر فصلى ، ثم عاد إلى مجلسه فى داره ، حتى إذا حضرت صلاة العصر توضأ ثم صلى ، ثم فعل فى المغرب مثل ذلك ، فقلت له : « أفريضة الوضوء عندك كل صلاة ؟ » فقال : « أو فطنت إلى هذا منى ؟ » فقلت : « نعم » ، فقال ابن عمر : ليس ذلك بفريضة ، ولو توضأت لصلاة الغداة لصليت به الصلوات كلها ، ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من توضأ على طهر فله عشر حسنات » .

---

(١) « الطبقات » (ص ٢٣) و « المعالم » (جـ ١ ، ص ١٦٣) : غطيف

٤٣ – ومنهم **أبو سعيد المقبرى**[١] واسمه **كيسان** ، مولى لبنى ليث رضى الله تعالى عنه .

وسمى « المقبرى » لأنه سكن المقبرة . وكان مكاتباً فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، هكذا قال أبو اسحق بن شعبان القرطى .

قال أبو القاسم الجوهرى : يقال إن كيسان كان مكاتباً لرجل من بنى جندع وكاتبه على أربعين ألفاً وشاة فى كل أضحى فأداها وخرج حراً[٢] .

كان من فضلاء التابعين . روى عن جماعة من الصحابة . منهم ابن عمر وأبو هريرة . روى عنه جماعة من المحدثين . منهم يزيد بن حبيب وابن أنعم . وأدخله مالك فى « موطئه » فقال : حدثنى سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة قال : « خمس من الفطرة : تقليم الأظفار . وقص الشارب ، ونتف الإبط . وحلق العانة . والختان » .

سكن القيروان وروى عنه أهلها . أدخله ابن وهب فى « موطئه » وسحنون فى « مدونته » وذكر عنه أنه استسلف « ديناراً جرجيرياً » من رجل على أن يعطيه « منقوشاً » بمصر فسأل ابن عمر عن ذلك فقال : « لولا الشرط الذى فيه لم يكن به بأس » . توفى سنة مائة .

٤٤ – ومنهم **مغيرة بن أبى بردة الكنانى** . حليف بنى عبد الدار . رضى الله تعالى عنه .

من أهل الفضل ، معدود فى التابعين . روى عن أبى هريرة وغيره ؛ أدخله (ص ٢٥) مالك فى « موطئه » . روى أنه سمع أبا هريرة يقول : سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا رسول الله ، إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء ، فإن توضأنا به عطشنا ، أفنتوضأ من ماء البحر؟ » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » .

---

(١) أضاف ابن حجر فى « الاصابة » إلى اسمه لفظ « المدنى » (حـ ٥ ، ص ٣٢٦)

(٢) ورد هذا الخبر مع مخالفات قليلة « فى الاصابة » لابن حجر (حـ ٥ ص ٣٢٦)

روى عنه موسى بن الأشعث البلوى وابن أنعم وولده عبد الله بن المغيرة .
[و] روى عنـــه من أهل مصر يزيد بن أبي حبيب والحارث بن يزيد وسعيد بن مسلمة .

وغزا مع ابن نصير المغرب والأندلس . [حدث] ابن وهب عن عبد الله ابن أبي صالح أنه قال: كنت مع المغيرة بن أبي بردة فى غزوة القسطنطينية . وكان كثير الصدقة لايرد سائلا سأله . فجاءه [يوماً] خازنه المؤتمن على أمواله وقال له: « أنفق أصلحك الله ، فوالذى يحلف به ما [من] إنا [ء] أفرغه إلا وجدته ملآن (١) قد ملئ » . ولما قتل يزيد بن أبي مسلم أمير إفريقية ، اجتمع أهل إفريقية من أهل الدين والفضل ، واتفق رأيهم على ولاية المغيرة لما علموا من دينه وحزمه ، فأبى من ذلك رغبة منه فى السلامة ، واتفق رأيه ورأى ولده على الهروب من ذلك .

٤٥ — ومنهم ولده **ابو المغيرة عبد الله بن المغيرة بن ابى بردة القرشى** .

من فضلاء التابعين . روى عن سفيان بن وهب الخولانى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ روى عنه يحيى بن سعيد الأنصارى وابن لهيعة وخالد بن [ميمون] (٢) وابن أنعم .

سكن القيروان وولاه قضاءها عمر بن عبد العزيز ، لما صح عنده من فضله . وهو صاحب « قصر مغيرة » و« قرية المغيريين » . [ذكر] أبو عبد الله محمد بن عبد الله رحمه الله عن أبيه ، وكان أبوه من أصحاب أبى بكر بن اللباد . قال : لما ولى عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه إسماعيل بن عبيد الله الأنصارى على إفريقية ، دفع إليه كتاباً بولاية عبد الله بن المغيرة قضاء إفريقية . وكان ذلك سنة تسع وتسعين من الهجرة . ودخل إسماعيل القيروان ومعه الكتاب يقول فيه : « قد قلدت القضاء فيكم عبد الله بن المغيرة ، لما صح عندنا من دينه وزهده ونفاذه فى علمه ومعرفته وثقته فى نفسه وشدة ورعه » . فقبل ذلك عبد الله بن المغيرة وسار فى أهل إفريقية بسيرة أهل العدل . وأقام فيهم كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) « المعالم » حـ ١ ، ص ١٥٠ : ما من إناء أفرغه إلا وجدته قدامى قد ملئ .
(٢) بياض بالأصل والتكملة من « المعالم » ، حـ ١ ، ص ١٥٨ .

قال ابو محمد عبد الله بن وهب. رحمه الله تعالى: إن سبب ولايته القضاء أن سليمان بن عبد الملك، لما أفضت إليه الخلافة. وجه رجلا ثقة عنده يقبض خراج إفريقية ، وكان عاملها عبد الله بن موسى بن نصير ، وكتب إليه يأمره أن لايوجه بما حصل من ذلك إلا مع عشرة عدول من أهل القيروان يصحبون المال حتى يصل إليه ، ويشهدون عنده أن هذا المال أخذ من وجهه ، فامتثل عبد الله ماأمره به سليمان. وحصل جميع ذلك ووجه به مع عشرة ثقات منهم عبد الله بن المغيرة ، فلما وصلوا بالمال إلى سليمان قال لهم سليمان : « أأخذ هذا المال من وجهه ؟ » قالوا : « نعم يا أمير المؤمنين »، وعبد الله بن المغيرة ساكت لم يتكلم بشيء ورعا منه وخوفاً من الله عز وجل . وكان عمر بن عبد العزيز حاضراً فى ذلك المجلس ، فلما سمع كلامهم حفظها عمر بن عبد العزيز له وعلم أنه إنما منعه من الكلام الورع والخوف من الله عز وجل أن لايتكلم إلا بحق . فلما انصرف القوم من المجلس. سأل عمر بن عبد العزيز عنه فعرفوه به وذكروا له دينه وفضله وورعه فحفظ ذلك له . فلما أفضت الخلافة إليه ولاه حينئذ قضاء إفريقية وتقلده للمسلمين ، رضى الله تعالى عنهما . وأقام على القضاء إلى زمان كلثوم بن عياض ؛ فلما ولى كلثوم استعفى من القضاء وولى بعده عبد الرحمن ابن عقبة الغفارى .

٤٦ — ومنهم **عمارة بن غراب الغفارى التجيبى** ،رضى الله تعالى عنه .

من فضلاء المسلمين . تابع روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وغيرها من التابعين . روى ابن أنعم عن عمارة بن غراب قال : « سألت عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها عن حجتى . وأخبرتها أنى صرورة » — والصرورة الذى لم يحج حجة الإسلام — فقالت لى : « شيخ مثلك لم يحج ! ما كان يؤمّنك أن يدركك الموت ؟ » فقلت لها : « إنا كنا بإفريقية نغزو المغرب، فنحن نجاهد عدونا ولا نجد إلى الحج سبيلا » . فقالت : « إن كنت كذلك فإن الله تعالى يعذر بالمعذرة » .

سكن القيروان وروى عنه ابن أنعم وذكره سحنون فى تواليفه .

٤٧ — ومنهم **زياد بن انعم السفياني** [(١)] والد عبد الرحمن رحمه الله تعالى .

كان رجلا صالحاً فاضلا تابعياً يروى عن ابن عمر وأبى أيوب الأنصارى ، روى عنهما ابنه عبد الرحمن . سكن القيروان واختط بها داراً ومسجداً فى ناحية « باب نافع » . شهد الغزو مع أبى أيوب الأنصارى ، قال : فلما حضر غداؤنا أرسلنا إلى [أبى] أيوب الأنصارى وإلى أهل موكبه . فأبى أبو يوب فقال : دعوتمونى وأنا صائم ، وكان علىّ من الحق أن أعينكم . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « للمسلم على المسلم ست خصال واجبات ، فمن ترك شيئاً منها فقد ترك حقاً واجباً لأخيه عليه : إذا دعاه أن يجيبه ، وإذا لقيه أن يسلم [عليه] وإذا عطس أن يشمته ، وإذا مرض أن يعوده ، وإذا مات [أن يحضره] [(٢)] ، وإذا استنصحه أن ينصحه » .

٤٨ — ومنهم **عبد الرحمن بن اشيفع بن وعلة الشيبانى** ، يعرف **بابن وعلة المصرى**

كان ، رضى الله تعالى عنه ، من أهل الفضل والدين تابعياً معدوداً فى التابعين . روى عن ابن عمر وابن عباس ، وروى عنه زيد بن أسلم ويحيى بن سعيد الأنصارى والقعقاع بن حكيم وابن أنعم وغيرهم . أدخله مالك فى « الموطأ » . يروى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دبغ الإهاب فقد طهر » . أدخله أبو داود ومسلم والنسائى فى مصنفاتهم (ص ٢٦) ذكر[ه] محمد بن سحنون فى « الطبقات » فقال فيه : من أهل إفريقية وبها مسجده ومواليه إلى اليوم . وذكره ابن عبد الأعلى فى كتابه ، وأثنى عليه وقال : وكان شريفاً بمصر فى أيامه ثم صار إلى إفريقية .

---

(١) « المعالم » ج ١ ، ص ١٦٤ : الشعبانى . وأضاف أبو العرب إلى اسمه : المعافرى (الطبقات ، فهرس) .

(٢) التكملة من « المعالم » ، ج ١ ، ص ١٦٥ .

٤٩ — ومنهم أبو الأشعث ربيعة بن يزيد ، مولى أبي سفيان بن حرب ابن أمية والد معاوية ، رضى الله تعالى عنه .

كان معدوداً فى التابعين ، يروى عن عقبة بن عامر الجهنى . روى عنه الفرج بن فضالة وعبد الله بن عامر القارى (١) وسعيد بن عبد العزيز ، وكان يعرف بربيعة بن يزيد الدمشقى ، لأن أصله كان من دمشق .

أوطن إفريقية وكان مشهوراً . قال سعيد بن عبد العزيز : « لم يكن عندنا بدمشق أحسن سمتا فى العبادة من مكحول وربيعة بن يزيد » . قال أبو زرعة : « خرج ربيعة بن يزيد غازياً إلى إفريقية ، بعثه هشام بن عبد الملك . واستعمل عليهم كلثوم بن عياض القشيرى ، فقتل بإفريقية ، قتلته البربر سنة ثلاث وعشرين ومائة » .

[حدث] أبو زرعة الدمشقى ، قال : حدثنى عبد الرحمن بن [أبى] عامر اليحصبى قال : سمعت ربيعة بن يزيد يقول : « ما أذن المؤذن لصلاة الصبح منذ أربعين سنة إلا وأنا فى المسجد ، إلا أن أكون مريضاً أو مسافراً » .

٥٠ — ومنهم أبو يحيى عياض بن عقبة بن نافع الفهرى ، رضى الله تعالى عنه .

كان من جملة التابعين وفضلاء المؤمنين ، يروى عن عبد الله بن عمرو ابن العاص وغيره من الصحابة والتابعين . روى عنه يزيد بن أبى حبيب واسحق ابن أبى فروة (٢) ، وأخوه أبو عبيدة بن عقبة .

سكن إفريقية وأوطنها ، وكان مع والده عقبة فى حياته وبعد وفاته . ثم انتقل فى آخر عمره إلى مصر ، فسكنها وأوطنها ، وتوفى بها فى سنة مائة .

وأغرب عن عبد الله بن عمرو بن العاص بحديث لم أعلمه رواه عنه غيره : ربيعة بن سيف ، قال : توفى ولد لعياض بن عقبة الفهرى واشتد وجده عليه ،

---

(١) هكذا فى « المعالم » أيضا (حـ ١ ص ١٥٦) وكتبه « أبو العرب » فى « الطبقات » : عبد الله بن عامر الأسلمى (ص ١٤) .

(٢) المعالم (حـ ١ ، ص ١٤٥) : بردة .

فقال له عبد الله بن عمرو بن العاص : ألا أنبئك بما يسليك عن ابنك هذا ؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من مسلم يموت يوم الجمعة إلا وُقِيَ فتَّانَيْ (١) القبر » . عن عياض بن عقبة الفهرى : أنه مات ابن له يقال له « يحيى » ، فلما أنزل فى قبره قال رجل : « والله إن كان لسيد الجيش . فعليك باحتسابه » فقال : « وما يمنعنى أن أحتسبه وقد كان أمس من زينة الحياة الدنيا وهو اليوم من الباقيات الصالحات ؟ » .

٥١ — ومنهم **أبو منصور** ، مولى سعد بن أبى وقاص .

وهو والد يزيد بن أبى منصور . كان ، رضى الله تعالى عنه ، من أهل الفضل والدين معدوداً فى التابعين . يروى عن ابن عمر وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف . روى عنه موسى بن وردان والنعمان بن عامر المعافرى وابن أنعم . كان مقرئاً للقرآن ومفتياً . [وكان] يقول : إذا سألتم الله عز وجل فاسألوه هكذا : وبسط راحتيه ، وإذا استجرتم به . فقولوا هكذا : وقلب كفيه فجعلهما مما يلى أذنيه . قال أبو بكر [المالكى] :(٢) الصفة الأولى رغبة والصفة الثانية رهبة ، وهو فى معنى قوله عز وجل : (يدعوننا رغباً ورهبا ، وكانوا لنا خاشعين) . وسمعت أبا هريرة يقول : « من خرج من بيته وقال : بسم الله ، قالت الملائكة : سَـلِمتَ . فإن قال : لاحول ولا قوة إلا بالله ، قالت الملائكة : حُـفِظتَ . فإن قال : توكلت على الله ، قالت الملائكة : كُـفِيتَ » (٣) .

---

(١) جاء فى اللسان : « وفتانا القبر منكر ونكير ، وفى حديث الكسوف : « وإنكم تفتنون فى القبور » ، يريد مساءلة منكر ونكير ، من الفتنة والامتحان » . لسان العرب ، مادة فتن حـ ١٧ ص ١٩٧ .

(٢) « المعالم » : حـ ١ ، ص ١٦٣ .

(٣) جاء فى هامش الأصل إلى يمين هذا الحديث : « قلت : والحديث فى « السنن » من حديث أبى هريرة ولفظه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا خرج الرجل من باب بيته ، أو من باب داره ، كان معه ملكان موكلان به ، فاذا قال : بسم الله ، قالا : هديت ، وإذا قال : توكلت على الله ، قالا : كفيت . قال : فيلقاه قرينان فيقول : ماذا تريدان =

٥٢ – ومنهم **ابو عثمان مسلم بن بشار الانصارى** [١] مولى الأنصار . يعرف بالطَّنْبذى ، رضى الله تعالى عنه .

روى عن [ابن عمر] وأبي هريرة وسفيان بن وهب الخولانى . روى عنه عمرو بن أبي نعيم وشراحيل بن يزيد [٢] وحميد بن هانئ وابن أنعم

سكن القيروان وتوفى بها ، وهو غير مسلم بن بشار [٣] البصرى . ذكر ابن عبد الأعلى بإسناد يرفعه إلى سعيد بن أبي أيوب عن أبي هانئ عن أبي عثمان مسلم بن بشار [٤] عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سيكون فى آخر أمتى قوم [٥] يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم . [فإياكم] [٦] وإياهم » .

٥٣ – ومنهم **أبو عمران موسى بن الأشعث البلوى** ، رضى الله تعالى عنه .

من أهل الفضل والدين ومن جملة التابعين ، روى عن عبد الله بن مسعود وغيره ؛ روى عنه عبد الرحمن بن يحيى الصوفى وبكر بن أبي سوادة الجذامى . ذكره ابن عبد الأعلى فى علماء أهل إفريقية : ذكر أنه قدم إفريقية فسكنها . قال : « وكان وطنه قرية من قراها لا أدرى ما اسمها » .

= من رجل قد هُدى ووُقى وكُفى ؟ » . ثم تلى ذلك كلمات غير واضحة . وقد أورد ابن الناجى هذين الحديثين فى « المعالم » فى سيرة « أبى علقمة مولى عبد الله بن عباس » قاضى إفريقية ، ولم أجد فى المعالم ترجمة لأبى منصور مولى سعد بن أبى وقاص هذا ، ونص الحديث الثانى عند ابن الناجى يختلف عما أورده المالكى ، مع أنه يقرر أنه أخذ عنه .

(١) « المعالم » ، جـ١ ص ١٦١ : يسار

(٢) « المعالم » ، جـ١ ص ١٦١ : زيد .

(٣ و ٤) « المعالم » ، جـ١ ص ١٦١ : يسار .

(٥) « المعالم » ، جـ١ ص ١٦١ : اناس .

(٦) التكملة من « المعالم » ، جـ١ ص ١٦١ .

٥٤ – ومنهم **ميسرة الزرودى** ، رضى الله تعالى عنه .

معدود فى جملة التـابعين . من أهل الفضـل والدين . يروى عن عمر ابن عبد العزيز . يروى عنه ابنه بشر بن ميسرة

سكن إفريقية وأوطنها ، وكان مقامه بقرية « زرود » التى بقرب « قلشانة »[١]

عن ميسرة الزرودى عن عبد الله بن عمر : أن قوماً أتوه ، فلما أرادوا أن يفارقوه ، قالوا : زودنا منك حديثاً ننتفع به ، فقال : « اعملوا [٢] لمعاشكم كأنكم تعيشون أبدا ، واعملوا لآخرتكم كأنكم تموتون غداً » . رواه عنه ولده بشر. وبإسناد عن بشر بن ميسرة عن أبيه ميسرة عن عمر بن عبد العزيز أنه قال : « حريم البئر قدر عمقها » .

٥٥ – ومنهم **عمرو بن راشد بن مسلم الكنانى** ، ويقال **عمارة بن راشد** وهو الغالب عليه .

وكان ، رضى الله تعالى عنه ، من فضلاء المؤمنين معدوداً فى جملة التابعين روى عن أبى هريرة وغيره . روى عنه ابن أنعم

سكن إفريقية وأوطنها ، وكان سكناه بتونس واختط بها ، وبها توفى ، رحمه الله تعالى ، وكان أصله من الشام .

٥٦ – ومنهم **أبو معمر عباد بن عبد الصمد**[٣] ، رضى الله تعالى عنه

كان يعد فى جملة التابعين على اختلاف منهم فى ذلك . ذكر أبو العرب أنه كان يروى عن أنس بن مالك – وعليه يعتمد – وعن عبد الرحمن بن غانم[٤] . روى عنه (ص٢٧) كامل بن طلحة ويحيى بن سليمان الحفرى[٥] ، وكان أصله من البصرة .

---

(١) جاء فى « المعالم » (جـ ١ ص ١٦٤) أن قلشانة على مقربة من القيروان .

(٢) فى الأصل : اخزنوا .

(٣) أبو معمر عباد بن عبد الصمد التميمى البصرى : « الطبقات » ص ١١ – ٢٦ – ٣٦ وغيرها .

(٤) فى الأصل : غنم .

(٥) « المعالم » (جـ ١ ، ص ١٦٦) : كامل بن طلحة الجحدرى .

سكن القيروان وأوطنها. وروى عنه بعض أهلها. ثم خرج إلى « قصطيلية » وأوطنها وأقام بها . وتوفى بها. وكان يروى عن غير واحد من التابعين. منهم الحسن البصرى وعمر بن عبد العزيز وعطاء بن أبى رباح [و] عبد الرحمن بن أبى حريث. سمعت(١) أبا معمر عباد بن عبد الصمد يقول : « أدركت أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فسمعت من اثنين منهم ولم أسمع من اثنين » . قال أسد بن الفرات : كان عندنا بالقيروان شيخ يقال له أبو معمر. فبلغنا أن يحيى ابن السلام مر به ذات يوم وهو « بمسجد أبى الفتح » عند أصحاب الشواذك(٢) وهو يقول: « حدثنى أنس بن مالك، حدثنى عبد الرحمن بن غانم »، فقال له يحيى: ياشيخ ، لو قلت : « بلغنى عن أنس بن مالك وعن ابن غانم لكان أشبه بك » وذلك أنه كان يطعن عليه فى روايته . ويقال إنما حدثه رجل عن أنس . [قال] أبو العرب: وسئل عنه يحيى بن السلام ، فقال : « ما أعرفه » . ويحيى بن السلام بصرى وأبو معمر بصرى . [وقال] أبو العرب: وإنما ضعفوه للغرائب التى أتى بها عن أنس ، وكان قد غُمز من بعض حديثه . قال : حدثنا أبو معمر عباد ابن عبد الصمد ، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: « لما أدخلت على الحجاج ابن يوسف ، قال الحجاج: « لقد هممت أن أضرب عنقك »، قال أنس: فقلت له: « ما أنت بقادر على ذلك » ، قال: « ومن يحول بينى وبينك ؟ » قلت: « الله عز وجل والكتاب حتى يبلغ منتهاه ، وكلام علمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعوذ به منك ومن أشباهك » . فقال له الحجاج: « علمنيه ! » ، فقال له: « لست له بأهل » ، فنكت الحجاج بمخصرته ونكس [رأسه] وقام أنس . فحدثنى [بما كان] من طلبه منه أن يعلمه إياه(٣)، فلم يعلمه وعلمنيه وهو: « الله . الله . الله . ربى لا أشرك بربى أحدا . اللهم إنى أسألك بخيرك من خيره ، وأعوذ بك من شره الذى لا يصرفه غيرك . لا إله إلا الله الحكيم الكريم . لا إله إلا الله . رب السموات السبع ورب العرش العظيم . لا إله إلا أنت ، عز جارك ، اجعلنى فى عياذك من فلان ومن الشيطان » .

---

(١) يبدو أن الناسخ أسقط هنا بعض الكلمات .

(٢) كذا فى الأصل .

(٣) وردت هذه العبارة فى الأصل هكذا : فحدثنى من طلبه منه أن يعلمه إياه منه .

وعن عباد بن عبد الصمد قال : « أتيت الوليد بن يزيد زائراً ، فبرّني وأمر بنزلى وأكرم مثواى . فبينا أنا عنده جالساً إذ أتى بخرائط مسك . فجُعلت بين يديه ، فجعل يزنها بيده ، ثم عمد إلى خريطة منها ، فرمى بها إلىّ ، فقال : « دونك ياأبا معمر ، ففيها ما يغنيك » . فأخذتها ، ثم قلت : « ياأمير المؤمنين ، حدثنى أنس بن مالك أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « طوبى لمن رآنى ، وآمن بى ، وصدق بما جئت به ؛ وطوبى لمن رأى من رآنى وآمن بى وصدق بما جئت به ، وطوبى لمن رآى من رأى من رآنى وآمن بى وصدق بما جئت به » فصاح الوليد لسراريه وصبيانه : « تعالوا انظروا من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم » فقالت صبية منهن : « ياأبتاه ، ليَــدْنُ أصافحه من وراء الستر حباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه قد رأى من رآه » فأشار إليها حاجبه أن افعلى . قال عباد : فتناولت بأصبعها من وراء الستر . قال عباد : فأقمت عنده بعد ذلك ما شاء الله ، حتى دخلت عليه كلب وقيس فذبحوه والمصحف فى حجره ، وأنا قاعد عنده . فلما رأيت [ذلك] خرجت هارباً والخريطة معى » .

ذكر من دخل إفريقية والقيروان من هذه الطبقة
ورجع إلى بلده أو غيرها

٥٧ — منهم عاصم بن عمر بن الخطاب

كان ، رضى الله تعالى عنه ، موصوفاً بالدين والفضل . ولد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين . يروى عن أبيه عمر .

دخل إفريقية مجاهداً مع عبدالله بن سعد سنة سبع وعشرين ، وله فى ذلك أخبار . ذكر ابن المبــارك فى كتابه ، عن أبى حاتم ، قال : « كان بين عاصم وبين رجل [من قريش] كلام فى أرض . فتنازع معه فيها . فقال القرشى لعاصم : « إن كنت صادقاً فادخلها ! » فقال له عاصم : « أوقد بلغ بك الغضب كل هذا ؟ هى لك ! » فقال له القرشى : « بل هى لك ! » . فتركاها جميعاً ؛ فلم يأخذها واحد منهما حتى ماتا ، ولم يتعرض لها أولادهما ، وبقيت للفقراء والمساكين .

وعن محمد بن سيرين ، قال : قال فلان — وسمى رجلا من الناس — : ما رأيت أحداً من الناس إلا قد تكلم ببعض ما يريد، غير عاصم . ولقد كان بينه وبين رجل شيء يوماً ، فقام وهو يقول :

قضى ما قضى فيما خلا ثم لا ترى له صبوة فيما بقى آخر الدهر

٥٨ — ومنهم **أبو عقيل زهرة بن معبد بن عبد الله بن هشام التيمى المدنى** ، رضى الله تعالى عنه .

من فضلاء المؤمنين ، يروى عن ابن عمر وابن الزبير . روى عنه حيوة ابن شُريح والليث بن سعد وسعيد بن أبى أيوب . وأصله من المدينة . سكن مصر وأوطنها .

ذكر أبو سعيد [بن يونس] أنه دخل إفريقية وأقام بها وغزا برها وبحرها مع إسماعيل بن عبيد الله أمير إفريقية ، وكان معه فى غزو إفريقية فى البحر أبو عبد الرحمن الحبلى التابعى ، رضى الله تعالى عنهما . ذُكر أن زهرة بن معبد هذا أصابه فى أرض العدو احتلام فى ليلة ثلاث وعشرين من رمضان ، وكان فى مركب ، فذهب إلى صدر المركب ليغتسل ، فزلقت رجله فسقط فى البحر ، فوجد ماءه عذباً . قال رشد بن سعيد المصرى ، قال عمر بن عبد العزيز لزهرة ابن معبد : « أين تسكن ؟ » فقال له : « بالفسطاط » فقال له : « وأين أنت عن الطيِّبة ؟ » فقال له : « وأين الطيبة ؟ » قال : « الإسكندرية ، فإنك تجمع فيها دنيا وآخرة . إنها الطيبة الموطن . والذى نفس عمر بيده ، لوددت أن قبرى يكون بها ، ولقد بلغنى أنها تقدس فى كل عام مرتين » . فسكن زهرة بعد ذلك الإسكندرية ، وترك سكنى مصر .

قال الليث بن سعد : « كنا نعود أبا عقال زهرة بن معبد وهو شديد الوجع ونحن خائفون عليه ، فزرناه غدوة من تلك الغدوات ، فقال : أُريت الليلة عمر بن عبد العزيز فى المنام ، فقال لى : أين تسكن يا أبا عقال ؟ فقلت له : الإسكندرية ، إذ عزمتَ (ص ٢٨) علىّ فى سكناها ، فقال لى : أبشر بما يسرك فى دنياك وآخرتك ، وكرر ذلك علىّ مرتين » .

٥٩ – ومنهم **أبو قبيل المعافرى** واسمه **حُيَىّ بن هانىء**، رضى الله عنه.

من أهل الدين والفضل. يروى عن جماعة من الصحابة: منهم عبادة ابن الصامت، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وعقبة بن عامر الجهنى. روى عنه عمرو بن الحارث، ويزيد بن أبى حبيب، والليث بن سعد.

دخل إفريقية غازياً مع حسان بن النعمان، وشهد معه المغازى. وكانت له فى ذلك مقامات، ثم رجع إلى مصر وتوفى بالبراس بمصر، (١) وتوفى سنة ثمان وعشرين ومائة.

ذكر ابن وهب فى «جامعه»، عن ابن لهيعة، عن أبى قبيل المعافرى، عن عبدالله بن عمرو، قال: «[من قال] حين يستنبه من نومه: «الحمد لله الذى أحيا نفسى بعد موتها. إن ربى على كل شئ قدير»، كان كيوم ولدته أمه».

ابن وهب: وسأل رجل أبا قبيل عن القدر فقال أبوقبيل: «لأنا فى الإسلام أقدم منه، فدين أنا فى الإسلام أقدم منه، لاخير فيه»

عن ضمام بن إسماعيل، قال: كان أبوقبيل إذا صلى الصبح جلس فى مصلاه الذى صلى فيه حتى تطلع الشمس وترتفع. فيركع مابدا له ثم يخرج فإذا قام على باب المسجد رفع يديه ثم يستقبل القبلة بباطن كفيه حذو منكبيه، ثم يقول: أعوذ بالذى (يمسك السموات والأرض أن تزولا، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده، إنه كان حليما غفورا) (٢) ثم يدعو دعاء كثيراً، ثم يقول فى آخر دعائه: «اللهم لاتقصر بى عن الأخيار، ولاتجعلنى مع الأشرار، وأسألك ألا تبقى أحداً من أهله ولاولده إلا قدمته بين يديه (٣)، ولا أترك ديناراً ولادرهماً ولا ديناً».

---

(١) فى الأصل: بالشام، ووردت بعد ذلك مباشرة العبارة التالية: «حاشية: البرلس بين ثغر الاسكندرية ودمياط. وقوله بالشام خطأ».

(٢) سورة فاطر، آية ٤١.

(٣) يريد: أهلى.. ولدى.. يدىّ.

قال ضمام : وكانت داره تسمى « اللفيف » (١) من كثرة من كان فيها من أمهات أولاده وغير ذلك . فماتوا كلهم حتى لم يبق منهم أحد . ولم يترك شيئاً من الدنيا إلا قطيفة وفراشاً وسلاحاً ، وكان من تواضعه يلي الشراء من السوق بنفسه ، وكان لايدع أن يصوم يوم الاثنين والخميس .

٦٠ – ومنهم **أبو عبد الله عكرمة** ، مولى عبد الله بن عباس ، رضى الله تعالى عنه .

كان كثير الرواية عن مولاه وعليه معتمده . وروى عن عبدالله بن عمرو ابن العاص وعن أبي هريرة ، وروى عنه خلق يطول ذكرهم . وأدخله مالك فى « موطئه » وكنى عن اسمه فقال : أخبرنى مخبر عن أبي عباس ، وهو عكرمة . قال عباس الدُّورى : قلت ليحيى بن معين : « مالك بن أنس كره عكرمة ؟ » فقال : « نعم . لكنه روى عن رجل عنه شيئاً يسيراً » . وسئل يحيى عن عكرمة وعن نافع مولى ابن عمر فقال : « كان عكرمة أعلمهم بابن عباس ، ونافع أعلمهما بابن عمر » . وقيل لسعيد بن جُبير : « تعلم أحداً أعلم منك ؟ » قال : « نعم . عكرمة » . قال قتادة : « أعلم الناس بالتفسير عكرمة » . قال أبوبكر : وقد اختلف العلماء بالحديث فى عكرمة . فمن وثقه وأثنى عليه يحيى بن معين وعلى بن المديني وأبو الحسن الكوفى وإسماعيل القاضى . وضعفه غيرهم ؛ لكنهم متفقون على حفظه ومعرفته بالعلم وتفسير القرآن الكريم .

دخل عكرمة إفريقية وأقام بالقيروان . وبث بها العلم . وكان مجلسه فى مؤخر جامع القيروان فى غربى الصومعة .

أبو العرب : ذكر أحمد بن صالح أن أصل عكرمة من بربر إفريقية ، وذكر غيره أنه من سبى إفريقية ، اشتراه (٢) ابن عباس . فقيل له « أتبيع علم

---

(١) اللفيف : القوم يجتمعون من قبائل شتى ليس أصلهم واحدا ... أبو عمرو : اللفيف الجمع العظيم من أخلاط شتى فيهم الشريف والدنيء والمطيع والعاصي والقوى والضعيف ، قال الله عز وجل : « جئنا بكم لفيفا » . (لسان العرب ، جـ ١١ ، ص ٢٣٠) .

(٢) شراه ، واشتراه : باعه ، قال تعالى : « ومن الناس من يشترى نفسه ابتغاء مرضاة الله » ، وقال تعالى : « وشروه بثمن بخس دراهم معدودة » – اى باعوه ، (لسان العرب ، جـ ١٩ ، ص ١٥٦) .

أبيك ؟ » ؛ فاسترده وأعته . توفى سنة خمس ومائة وهو ابن [ ] سنة ، وتوفى هو وكثَيِّر عزة فى يوم واحد ، وصُلى عليهما جميعاً ، فقيل : مات أشعر الناس وأعلم الناس .

٦١ — ومنهم **سليمان بن عوسجة اللخمى** .

ذكره أبو العرب فى التابعين ، ولم يذكر عمن روى . وذكر ابن عبد الأعلى أنه روى عن عبد الرحمن بن رافع التنوخى ، وعبد الرحمن هذا تابعى . روى عنه ابن أنعم وغيره . [حدث] ابن أنعم عن سليمان بن عوسجة عن عبد الرحمن بن رافع التنوخى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل السوق قال : « اللهم إنى أسألك من خير ما فيها ، وأعوذ بك من شر ما فيها ، اللهم إنى أعوذ بك من يمين ما حقة وصفقة خاسرة . يا أهل السوق ، اتقوا الأيمان فإنها تلقح البيع وتمحق الدين » (١)

٦٢ — ومنهم **أبو سعيد يحيى بن سعيد بن قيس بن فهد الأنصارى** ، رحمه الله تعالى .

قال يحيى بن مدين : وكان فهد صاحب النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانت ابنته عند حمزة بن عبد المطلب تسمى « خولة » . روى عن أنس ومعاذ والسائب بن يزيد . روى عنه مالك والليث بن سعد وشعبة بن الحجاج وغيرهم من الأكابر ، وتوفى سنة ثلاث وأربعين ومائة ببغداد وهو قاضيها ، ولاه عليها أبو جعفر المنصور .

ذكر أبو القاسم بن الجوهرى عن هشام بن عروة أنه قال : حدثنى الرضا الأمين على ما نص عليه يحيى بن سعيد ، وذكر النسائى أنه ولى قضاء المدينة وكان ثقة مأموناً . وقال أيوب : ما تركت بها — يعنى المدينة — أفقه من يحيى ابن سعيد . دخل إفريقية يحيى بن سعيد واجتمع بتونس مع خالد ابن أبى عمران ، وروى عنه . عن عيسى بن مسكين ، عن سحنون بن سعيد ، عن عبد الله بن وهب ، قال : أخبرنى سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال :

---

(١) فى هامش الأصل هذه العبارة : « نقله محمد عمار لطف الله تعالى به »

كنت بإفريقية فعرضت لى حاجة من حوائج الدنيا ، فلبثت أدعو فيها الليل والنهار حتى لمت نفسى فى ذلك وأهمنى ، فذكرت ذلك لشيخ كان فى المغرب ، فقال لى : « لا يهمنك ذلك ، فإنى قد كنت أسمع أن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يبارك لعبد فى حاجة أذن له فيها بالدعاء » . فقال أبو العرب : هذا الشيخ هو خالد بن أبى عمران . (١)

٦٣ — ومنهم **أبو أيوب سليمان بن يسار** ، رضى الله تعالى عنه .

وهو أخو عطاء بن يسار ، من فضلاء (ص ٢٩) التابعين وفقهائهم . وكان مالك رحمه الله تعالى يثنى عليه ويقول : « هو أفقه من سعيد ، وهو من أعلم أهل المدينة بالسير » . روى عن جماعة من الصحابة منهم ابن عمر وابن عباس وأبو هريرة وغيرهم ، وروى عنه ابن شهاب . وهو أحد الفقهاء السبعة .

قدم إفريقية غازياً وأقام بها ، وكانت له بها آثار مشهورة ومقامات مذكورة ثم رجع إلى المدينة فأقام بها حتى توفى سنة أربع وتسعين .

٦٤ — ومنهم **رافع بن عقيب الكلاعى** ، رضى الله تعالى عنه .

من أهل الفضل والدين ، روى عن ابن عمر وغيره .

دخل إفريقية ثم خرج منها . وروى أشهب ، يرفعه إلى رافع ، أنه قال : « أفطرت فى رمضان فى سفر حضرنى إلى اليمن ؛ ثم لم أقضه حتى حضرنى سفر آخر إلى إفريقية فى رمضان ، فأفطرته ؛ ثم لم أقضه حتى حضرنى سفر آخر فى رمضان ، فأفطرته ؛ فأخبرت بذلك عبد الله بن عمر فأمرنى أن أقضى الثلاثة الأشهر ، وأمرنى أن أقضى عن كل يوم مُداً . إلا أنى لم أقض حتى تداركن علىّ » .

---

(١) روى أبو العرب هذا الحديث فى صورة أخرى ، قال : ... فاما رواية يحيى بن سعيد عن خالد بن أبى عمران ، فان حبيبا ، صاحب مظالم سحنون ، وعيسى وأحمد حدثونى عن سحنون عن ابن وهب عن مالك ، قال : أخبرنى يحيى بن سعيد عن شيخ حدثه بالمغرب قال : « لقد بارك الله لعبد فى حاجة أذن له فيها بالدعاء » . — أبو العرب ، الطبقات ، ص ٢٤٦ .

٦٥ — ومنهم **أبو ليلى دجين بن عامر الحجرى** ، رضى الله تعالى عنه .

كان من فضلاء المؤمنين ، روى عن عقبة بن عامر الجهنى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جماعة من التابعين . روى عنه من أهل القيروان بكر بن سوادة الجذامى ويزيد بن أبى منصور وعبدالرحمن بن زياد بن أنعم

دخل إفريقية وأقام بها ، ويذكر أنه كتب لعقبة بن نافع ، وشهد معه المشاهد كلها والحروب والفتوحات التى كانت بإفريقية والمغرب ، ثم رجع إلى مصر . ويقال إنه استشهد بتنيس ؛ قتلته الروم بها سنة مائة ، رضى الله تعالى عنه .

٦٦ — ومنهم **أبو عبيدة مرّة بن عقبة بن نافع الفهرى** ، رضى الله تعالى عنه .

كان له فضل ودين ، روى عن ابن عمر وغيره ، وروى عن أبيه عقبة ابن نافع ، وروى عنه عبد الكريم بن الحرث وموسى بن أيوب .

دخل إفريقية مع أبيه عقبة ، وشهد معه بعض مغازيها .

[روى] ابن وهب فى « موطئه » ، يرفعه عن أبى عبيدة ، قال : « كنت مع أبى عقبة بن نافع بإفريقية ، نقصر الصلاة فى أسفاره سنة أو سنتين ، حتى كتب إليه معاوية بن أبى سفيان فعزم عليه ليتمّن » ؛ قال عبيد الله : وإنما التزم معاوية فى ذلك فعل عثمان بن عفان رضى الله عنهما ، لأن عثمان أتم الصلاة بمنى . وإنما فعل ذلك عثمان لما قيل له [من] أن بعض القادمين من الآفاق ممن حضر الحج وقصر الصلاة بمنى حسبوا أن الصلاة قُصرت ، فنقلوا ذلك إلى بلدانهم ، فالتبس ذلك على من لاعلم عنده ولادراية بالسنن والتفقه فى دين الله تعالى عز وجل ، فأتم عثمان الصلاة بمنى ليشتهر عند جميع من حضر الموسم من أهل الآفاق وغيرهم أن الصلاة لم تقصر ، وأنها باقية على الفريضة التى فرضها الله عز وجل على عباده ، وأن القصر إنما هو سنة فى السفر لافرض ؛ وكذلك تأولت عائشة رضى الله تعالى عنها فى إتمامها فى السفر ، كما تأول عثمان رضى الله تعالى عنه . وهذا أحسن ما يُتأول عليهما فى ذلك .

ذكر الطبقة الثانية من فقهاء مدينة القيروان وما يليها من البلدان ومحدثيهم وعبادهم ونساكهم

٦٧— منهم **أبو خالد عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافرى السفيانى** (١) قاضى إفريقية . رضى الله تعالى عنه .

كان من جلة المحدثين منسوباً إلى الزهد والورع ، صلباً فى دينه ، متفنناً فى علوم شتى . وكان أول مولود ولد فى الإسلام بعد فتح إفريقية . روى عن جماعة من التابعين تقدم ذكرهم ، وكان مشهوراً ، أدخله المؤلفون فى كتبهم . وكان سفيان الثورى يعظمه ويعرف حقه . وزاره سفيان بمكة ؛ وذلك ماحدثنا به عن ابن وهب ، قال : خرجت إلى مكة فى أول حجة حججتها وأنا صرورة . وكان بها ابن أنعم . وكنت آتيه فأسمع منه . فكنت عنده ذات يوم فإذا برجل يستأذن عليه بالباب فقال : « انظروا من الباب » ، فخرج رجل — أو قال : خرجت أنا — فقالوا : « رجل عليه أطمار » فقال : « ائذنوا له » ؛ فلما دخل قام إليه عبد الرحمن ولقيه بالبشر والسلام ، وأسند إليه حديثه وجرت بينهما مواعظ ومذاكرة . فلما خرج الرجل قلت لمن بالحضرة من الطلبة : « من هذا الذى فعل به عبد الرحمن هذا الفعل كله ؟ » فقالوا : « هذا سفيان الثورى » فلما قالوه(٢) لى جمعت كتبى وخرجت مبادراً فى إثره . ولا يشك أحدق فضل

---

(١) ذكر ابن الناجى اسمه وكنيته هكذا : أبو البقاء عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم المعافرى الشعبانى — (المعالم ١ ، ص ١٧١) . وذكره أبو العرب دون كنية أو لقب (انظر : الطبقات ، ص ٢٧ — ٣٣) .

(٢) فى الأصل : قاله .

عبد الرحمن ، [وتكلم فيه يحيى بن سعيد من أجل روايته] (١) لستة أحاديث يرفعها إلى النبي صلى الله عليه وسلم . [قال أبو العرب : وأنكروا عليه أحاديث ذكرها البهلول بن راشد . قال سمعت سفيان الثوري يقول : جاءنا عبد الرحمن ابن زياد الإفريقي بستة أحاديث يرفعها إلى النبي صلى الله عليه وسلم](٢) لم أسمع أحداً من أهل العلم يرويها : حديث أمهات الأولاد . وحديث الصدائي حين أذن قبل بلال فأراد بلال أن يقيم فقال عليه السلام : « إن أخا صداء قد أذن ، ومن أذن فهو يقيم » . وحديث : « إذا رفع الرجل رأسه من آخر سجدة ثم استوى جالساً فقد تمت صلاته [وإن أحدث] » . وحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اغدُ عالماً أومتعلماً ، ولا تكن الثالث فتهلك » . وحديث قال عليه الصلاة والسلام : « لاخير فيمن لم يكن عالماً أومتعلماً » . وحديث قال صلى الله عليه وسلم : « العلم ثلاثة ، وما سوى ذلك فضل : آية محكمة ، أو سنة قائمة ، أو فريضة عادلة » . فلهذه الغرائب أخذ عليه المحدثون [أشياء] . (٣)
وكان مسكنه بالقيروان بقرب باب نافع ومولده بإفريقية . وتوفي بالقيروان في شهر رمضان سنة إحدى وستين ومائة ودفن بباب نافع وكان قد أسره الروم فرفع إلى الطاغية مع جماعة من المسلمين . قال : « فبينا نحن في حبسه إذ غشيه عيد له . فأقبل علينا فيه من الحار والبارد مايفوق المقدار . [فبينا نحن كذلك] إذ خطرت امرأة على الطاغية (ص٣٠) فأخبرت بحسن صنيع الملك بالعرب [فاتصل ذلك بامرأة الملك ، وكانت نفيسة عنده ،] (٤) فمزقت ثيابها ونشرت شعرها وسودت وجهها . فقال لها : « ما لك ؟ » فقالت : « [إن] العرب قتلوا أبي وزوجي وأخي ، وأنت تفعل بهم هذا الذي رأيت ؟ » فنخر وصلب . وقال : « عليّ بهم » .

---

(١) التكملة من « معالم الايمان » . جـ ١ ، ص ١٧٦ .

(٢) سقطت هذه الفقرة بأكملها من الناسخ ، وأخذناها من « طبقات علماء افريقية » لأبي العرب ، ص ٢٧ .

(٣) أسقط هذه الكلمة ابن الناجي (جـ ١ ، ص ١٧٦) .

(٤) التكملة من « معالم الايمان » جـ ١ ص ١٧٤ .

فصرنا بين يديه شماطين، وأمر سيافه بضرب عنق واحد [بعد] واحد حتى قرب الأمر منى، فحركت شفتى، وقلت: «الله، الله، الله ربى لا أشرك به شيئاً، ولا أتخذ من دونه وليا»، ثلاثاً. وأبصر فعلى، فقال: «قدموا شماس العرب» — يريد عالمهم — فقال لى: لعلك قلت: «الله الله الله ربى لا أشرك به شيئاً؟» فقلت: «نعم». قال: «ومن أين علمته؟» قلت له: «نبينا، عليه الصلاة والسلام، أمرنا به» فقال لى: «وعيسى أمرنا به فى الإنجيل» فأطلقنى ومن معى». وقيل: فداه أبو جعفر المنصور، فداه وولاه قضاء أفريقية.

ودخل يوماً على المنصور، فقال: «يا ابن أنعم، ألا تحمد الله الذى أراحك مما كنت فيه، ومما كنت ترى بباب هشام وذوى هشام؟»، فقال له عبد الرحمن: «[يا أمير المؤمنين]، ما [من] أمر كنت أراه بباب هشام إلا وأنا أرى اليوم منه طرفاً [بالقيروان]» (١)، قال: فبكى لها أبو جعفر، ثم قال له: «فما منعك أن ترفع ذلك إلينا، وأنت تعلم أن قولك عندنا مقبول؟» فقال: «إنى رأيت السلطان سوقاً، وإنما يرفع إلى كل سوق ما يجوز فيها»، قال: فبكى لها أبو جعفر. ثم رفع رأسه فقال: «كأنك كرهت صحبتنا؟». قال [عبد الرحمن]: «ما يدرك [المال] (٢) والشرف إلا فى صحبتك، ولكنى تركت عجوزاً خلفتها بالقيروان أحب الرجوع إليها»؛ فأذن لى.

وحدثوا أنه لما غلب البربر على القيروان وفد على الخليفة رجال، قال عبد الرحمن بن زياد: «فكنت أنا فيهم، فلما صرت إليه قال: «كيف رأيت ما وراء [بابنا]؟ (٣)» فقلت: «رأيت ظلماً فاشياً وأمراً قبيحاً». قال: فقال [أبو جعفر]: «لعله فيما بعد من بابى؟» قال، فقلت له: «كلما قربت من بابك استفحل الأمر وغلظ» فقال لى: «أنت لا تهوى الدخول فى شىء من أمرنا». قالوا: ولما توجه إلى إفريقيـة كتب إلى ولده وخاصته بهذه الأبيات:

---

(١)، (٢) الزيادة من «المعالم» ج ١، ص ١٧٢.

(٣) «المعالم» ج ١، ص ١٧٢. وفى الأصل: وراءنا.

ذكرت القيروان فهاج شوقى وأين القيروان من العراق
مسيرة أشهر للعيس نصاً على الإبل المضمرة العتاق
فأبلغ أنعما وبنى أبيه ومن يرجى له ولنا التلاقى
بأن الله قد خلى سبيلى وجد بنا المسير إلى مزاق

و« مزاق » هذا فحص إفريقية.(١) وإنما سمى بذلك لتمزق السحاب عنده . عن قبيصة بن عقبة : سمعت سفيان الثورى يقول : لما قُدِم بابن أنعم على المنصور قال : « ما رأيتَ فى طريقك ؟ » قال : « ما زلت فى منكر وجور عظيم حتى قدمت عليك » . فقال له أبوجعفر : « ما نعمل ؟ ما نصنع ؟ لايلى لنا مثلك » . فقال له : « أتدرى ما قال عمر بن عبد العزيز ؟ – قال : الملك سوق ، وإنما يجلب إلى السوق ما ينفق فيها » . ولّى ابن أنعم عيسى بن موسى الهاشمى بالكوفة ؛ فقيل لعيسى : إن من حال هذا الرجل كذا ومن حاله كذا . فقال له عيسى : « ما منعك من إتياننا ؟ » فقال له : « وما أصنع عندك ؟ إن أتيتك فأدنيتنى فتنتنى ، وإن أقصيتنى أحزنتنى . فليس عندك ما أرجوه ولا عندى ما أخافك عليه » . وعن ابن أنعم قال : « من دخل على سلطان ظالم (٢) يتقيه فقال : « اللهم إنى أستعينك عليه وأدفع بك فى نحره وأعوذ بك من شره » . إلا صنع الله تعالى له(٣) ذلك » . سمعت أبا موسى عيسى بن مسكين يقول : كان ابن أنعم بالعراق ، فأرسل إليه أهله كتاباً من إفريقية ، فلما فتح الكتاب تغير لونه واصفر . فما فرغ من قراءة الكتاب حتى رؤى السرور فى وجهه واحمر ورجع إليه لونه . فقال له أصحابه الذين حوله : « أصلحك الله ، لقد رأينا منك عجبا : رأيناك لما فتحت الكتاب وقرأته تغير لونك ، ثم لم تفرغ من قراءته حتى رجع إليك لونك » . فقال لهم : « نعم ، لما قرأت أول الكتاب قرأت سلام أهلى ومالى وولدى فتغير لذلك لونى واغتممت ، إذ لم يذكرنى الله عز وجل بمصيبة ؛

---

(١) فى « المعالم » جـ ١ ص ١٧٣ : فحص القيروان .
(٢) فى الأصل : ظلم .
(٣) فى الأصل : لك .

ثم قرأت آخر الكتاب فذكروا : إنك ابتليت بكذا ومات لك كذا ومات لك كذا . ففرحت بذلك » . ولما ولى القضاء سار بالعدل ولم يقبل من أحد صلة ولا هدية ، نزه نفسه عن ذلك فرفع الله قدره وأعلى مناره (١) . أبو عثمان المعافرى (٢) قال : كنت يوماً عند ابن أنعم وهو يتنفس الصعداء حتى أتاه شاب ومعه مخلاة بصل . فأسر إليه كلاماً ، فأسفر وجهه — يعنى استبشر — وقال لمن كان بحضرته : « قل لهم — يعنى أهله — يبعثوا إلينا بشيء من البصل مع الفول الذى كنتم طبختموه البارحة » ، فبعثوا إليه بذلك . فقال لى : « يا أبا عثمان ، كل » ، فقلت له : « لا » ، فقال لى : « ولم ، يا أبا عثمان ؟ أظننت ظناً ؟ » فقلت : « نعم » فقال : « أحسنت ، يا أبا عثمان . إذا رأيت الهدية دخلت دار القاضى من باب الدار ، فاعلم أن الأمانة قد خرجت من كوة داره . وليس هذا هدية ، إنما أتانى به مولاى من ضيعتى » . قال أبو عثمان : فقلت له : « إنى رأيتك مغموماً ، فلما أتاك هذا الغلام انطلقت واستبشر وجهك » فقال لى : « إنى أصبحت فذكرت بعد عهدى بالمصائب فخفت أن أكون نقصت من عين الله عز وجل ، فلما أتانى هذا الغلام ذكر لى أن أكفأ عبيدى وأقومهم بضيعتى توفى ، فزال عنى الغم واسترحت » . وذكر أن امرأة من أهل القيروان كانت لها خاصة بخدمة (٣) يزيد بن حاتم أمير إفريقية ، فدار بينها وبين رجل من أهل القيروان خصومة . واستدار الحكم لها على خصمها وكتب لها ابن أنعم قضية بحقها وختمه بخاتمه وأعطاه لها . فمضت به المرأة مسرورة إلى يزيد لتعلمها بمسرته . فلما رفعت الكتاب إليه أخذه يزيد (ص ٣١) ففض خاتمه وقرأه ثم رده إليها . فبكت المرأة وخافت أن لاينفعها الحكم إذ فض خاتم القاضى ؛ فلما رأى يزيد مشقة ذلك عليها قال لها : « لاتجزعى . أنا أوجهه إلى القاضى فيختمه كما كان » .

---

(١) ورد فى هامش الأصل هذه العبارة : نقله محمد عامر ، لطف الله بأله . آمين .

(٢) اسمه الكامل « أبو عثمان حاتم بن عثمان المعافرى » — « المعالم » ج ١ ، ص ١٧٤ .

(٣) فى الأصل : بحرمة .

فبعثه إليه فأبى من ذلك وقال : « لا أختمه حتى تعيد المرأة البينة » . فرده عليه يزيد ثانية ليختمه ، فأبى وقال : « لا أفعل » . فلما ولى رسول يزيد راجعاً أخذ عبد الرحمن خاتمه فكسره ، ودخل بيته وقال : « أنا أسبقه إلى العزل » . وفي رواية : فلما رأى ذلك يزيد ، قال : « هذا قاض كره الحياة ، التمسوه ! » ، قال : فالتمسوه فلم يوجد في مجلس قضائه ، فلقيه قوم بأشراف (١) جزامة ومعه جلدة ودرته وهو سائر إلى تونس . وقد قيل إنه ما عزل وما مات إلا وهو قاض . والصحيح أنه عزل عن القضاء .

حاشية : قال : لما عزل عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ولى القضاء ماتع ابن عبد الرحمن الرعيني . قال أبو العرب : « وكان ماتع فيما ذكر لي رجل سوء » (٢). قال : « وما وجدت عن ماتع عند أحد من أصحابنا علما يروونه عنه » . وولى بعده يزيد بن الطفيل .

وقيل إنه ولى القضاء مرتين : الأولى في أيام بني أمية ، ولاه عليها مروان ابن محمد المعروف بالجعدي – وهو آخر من ملك من بني مروان – وكتب بذلك كتاباً يقول في بعضه : « وقد ولاك أمير المؤمنين الحكومة والقضاء بين أهل إفريقية ، وأسند إليك أمراً عظيما وحملك خطباً جسيما ، فيه دماء المسلمين وأموالهم ، وإقامة كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، والذب عن ضعيفهم من قويهم وإنصاف مظلومهم من ظالمهم ، والأخذ من شريفهم بالحق لخاملهم . وقد رجاك أمير المؤمنين لذلك لفقهك وعدلك وخيرك وحسبك وعلمك وتجربتك . فعليك باتقاء الله عز وجل وحده لا شريك له ، وإيثار الحق على ما سواه . وليكن جميع الناس : قويهم وضعيفهم ، في الحق ، عندك سواء » . فأقام قاضياً إلى سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وفيها زال ملك بني أمية ، فعزل عن القضاء إذ كان من قبل مروان . وولى بعده أبو كُريب .

---

(١) الشرفة أعلى الشيء ، والشرف كالشرفة والجمع اشراف – (لسان العرب ، ج ١١ ، ص ٧١) – اى المرتفعات القريبة من جزامة .

(٢) انظر : ابو العرب تميم (الطبقات ، ص ٣٢) وعبارة ابى العرب اكثر تفصيلا فى هذا الصدد .

وكان فاضلا ورعاً . قتلته الصفرية سنة أربعين ومائة ، حين تغلبوا على القيروان وملكوها . فلما رأى ذلك علماء إفريقية بعثوا إلى المشرق [جماعة من شيوخهم] إلى أبي جعفر المنصور ، وكان رئيسهم ابن أنعم ، مستغيثين به ، فوجه معهم محمد بن الأشعث بجيش كبير ، وأمره إذا وصل وملكها وأخرج البربر منها ، أن يولى عبد الرحمن بن أنعم قضاء إفريقية . وفى هذه السفرة سمع سفيان الثورى من ابن أنعم وكبار أصحاب أبي حنيفة وابن أبي زائدة . وأجمع أهل القيروان على ولايته ، لمـا علموا من دينه وفضله وزهده . فسار فيهم بسيرة أهل العدل ، وأقام فيهم الكتاب والسنة . ولم يزل على ذلك حتى جرى له مع يزيد بن حاتم ما جرى ، فترك القضاء ورحل عنه إلى تونس . ولم يزل معظماً في صدور الناس رفيع القدر عندهم حتى توفى ، رضى الله تعالى عنه . وسبب موته ، فيما ذكر أبو العرب ، أنه أكل حيتاناً درنية وشرب لبناً على مائدة الأمير يزيد بن حاتم . وكان يوحنا المتطبب حاضراً ، فقال : إن كان الطب حقاً فإن الشيخ يموت الليلة . فلما كان فى السحر سمعوا صيحة فقيل : ما هذه الصيحة ؟ فقيل : مات عبد الرحمن القاضى . وكان رحمه الله تعالى قبل ذلك يخوف الناس من أكل الحيتان مع اللبن ، فقال له يزيد بن حاتم : « اذكر الحديث الذى سمعناه منك » . فقال له عبد الرحمن : « لايكون إلا ماقدر الله عز وجل وأراده » ، فأفلج من ليلته ومات فى الوقت .

وقال أبو الغارات السراج (١) : شهدت جنازة [عبد الرحمن بن زياد] ابن أنعم [سنة إحدى وستين ومائة] وأنا غلام ، وشهدها الأمير يزيد بن حاتم ، فوقف يزيد خارجاً من « باب نافع » ينتظر الجنازة فأخذت بمعقد ثغر دابته . فلما نظر إلى جماعة الناس وازدحامهم وكثرتهم تمثل بهذا البيت فحفظته منه ، وهو : [لعبيد بن الأبرص] :

يا كعب ما راح من قوم ولا ابتكروا ... إلا وللموت فى آثارهم حادى (٢)

---

(١) كذا أيضا عند أبى العرب . انظر الطبقات ، ص ٣٢ .

(٢) انظر : لويس شيخو ـ شعراء النصرانية ص ٦٠٥ ، وديوان عبيد ابن الأبرص ص ٧٠ ، وأبو العرب ـ الطبقات ، ص ٣٢ .

وكان ذلك يوماً عظيماً . وكان الأمير يزيد بن حاتم ، على سنه ، محمود السيرة فى ولايته له مناقب مشهورة ؛ فلذلك استخف عبد الرحمن أكل طعامه ، على ورع عبد الرحمن وفضله .

٦٨– ومنهم أبو محمد بن عمران التجيبى ، مولى عمرو بن حارثة التجيبى .

كان من العلماء الراسخين فى العلم والعباد المجتهدين . اشتهرت إمامته بالمشرق والمغرب . سمع من جماعة من التابعين منهم سالم بن عبد الله بن عمر [بن الخطاب] ونافع مولى ابن عمر ، وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، رضى الله تعالى عنه . سمع منه جماعة من أهل المشرق منهم يحيى بن سعيد ، وحيوة بن شريح ، وعبد الله بن لهيعة ، وعمرو بن الحارث . روى عنه من أهل إفريقية [عبد الرحمن بن زياد] بن أنعم ، وعبد الملك بن أبي كريمة ، وعبيد الله بن زحر .

وكان مشهوراً بإجابة الدعوة ، وكان أكثر إقامته بتونس ، وكانت وفاته بها سنة خمس ، وقيل سنة سبع ، وعشرين ومائة ، والله أعلم .

وعن خالد بن أبي عمران أنه أتى القاسم وسالما بمسائل [من الغرب] فذهب يسائلهما عنها ، فأبيا عليه أن يجيباه ، فقال لهما خالد : « إنا بموضع جفا[ء] فى هذا المغرب ، وإنهم حملونى هذه المسائل ، وقالوا لى : إنك تقدم على المدينة وبها [أبناء] أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلهم لنا . وإنكما إن لم تفعلا كانت حجة لهم ، [فما شئتما] . فقال له القاسم : سل ، فسألهما خالد ، فأجاباه فيما سألهما فيه . وكثير منها فى مدونة سحنون . وكان أهل إفريقية وجهوا به إلى يزيد بن عبد الملك (ص ٣٢) ، وهو الخليفة يومئذ ، يخبره بقتل يزيد بن أبي مسلم عامله على إفريقية ، فلما وصل إليه قربه وأدنى مجلسه واستشاره فيمن يوليه ، فأشار عليه ، فقبل قوله .

[روى] زفر بن خالد الصدفى أن الصفرية لما خرجوا بإفريقية يوم « القرن » برز إليهم خالد بن أبي عمران ، فبرز إليه ابن عم عبد الواحد الزناتى الصفرى ، وهو رئيسهم ، فقتله خالد بن أبي عمران . وكانت له ، رحمه الله ، مقامات فى الدين ، شهد بها مغازى كثيرة وأبلى فيها بلاء كبيراً .

ذكر فضله ومناقبه : حيوة بن شريح قال : بُعث إلى خالد بن أبى عمران ليتولى القضاء فانضم إليه رجل فى طريقه . قال : فقال له : « يا أبا خالد ، بعث إليك هؤلاء القوم ؟ » قال : « نعم » . قال : « أرادوك على ماذا ؟ » قال : « أرادونى على القضاء » . قال : « أما علمت أن الله تبارك وتعالى إذا لم يكن له بالعبد حاجة نبذه إليهم ؟ » قال : ثم التفت فلم ير أحداً . فيروون أنه الخضر عليه السلام .

موعظة : [روى] ابن أبى كريمة عن خالد بن عمران . قال : طلبنى عبد الله ابن الحبحاب أمير إفريقية ليولينى القضاء بإفريقية . فهربت منه إلى الإسكندرية فلقينى الخضر رضى الله تعالى عنه . فقال : « ياخالد . طلبك عبيد الله للقضاء فأبيت عليه ؟ » قلت : « نعم » . قال : « أحسنت . فاستمسك . إن الله تبارك وتعالى إذا أبغض عبده ألقاه إليهم » .

عن إدريس قال : قال موسى بن نصير — وكان من التابعين — لأم ولده : « اتخذى خالداً بن [أبى] عمران ولداً » قال : فأرسلت [إليه] بوصائف ووصفاء . فرد هديتها . فقال له الرسول : « ومن يجترئ يرد على فلانة أم ولد الأمير هديتها ؟ » قال : فأغلق الباب فى وجهه . فلما [رأى] ذلك الرسولُ رجع بالهدية إليها . فقالت للرسول : « ويحك ! لعله استقلها ؟ » ثم أرسلت إلى ابن أبى عمران فجاء فقالت له : « لم رددت علينا هديتنا . لعلك استقللتها ؟ » ثم قالت له : « إن سيدى أمرنى أن أتخذك ولداً . لأنفعك » فقال لها : « فمن أين هذا الذى بعثت به ؟ » فقالت له : « أكلم سيدى فى [الرجل] فيعقد له الولاية . فيرسل إلى بالرأس والرأسين » . قال : فقال لها خالد : « بخ ! خالد بن [أبى] عمران يغزو فلا يدرك سهمه إلا كذا وكذا — بشىء يسير سماه — وأنتم تأتيكم الدنيا هكذا ؟ » ، ثم أفرغ عليها المواعظ . فوعظها . قال : فجاء موسى بن نصير فدخل عليها فلم تأخذ له أهبة . فقال لها موسى : « لعل خالد بن أبى عمران دخل عليك ؟ » . فقالت : « نعم » فقال : « إن الحق ما قاله لك . فافعليه » .

وعن حيوة أن خالداً بن أبى عمران كان له جيران ، وكانوا مخلطين ، فاستأذن عليهم يوماً ، وضرب عليهم الباب فغيبوا ما كان بين أيديهم وأدخلوه .

فدخل منزلهم ، فجلس فى قبلة البيت ثم قال لهم : « يا بَنِيَّ ، كم بين قرية فلانة إلى قرية فلانة ؟ » فقالوا : « يغدو الرجل من فلانة ويقيل بفلانة » قال : « فإن قصر ؟ » قالوا : « يروح من فلانة ويبيت بفلانة » . فقال لهم : « فإذا ترك الغدو والرواح ؟ » قالوا : « فبعيد عليه أن يبلغ » فقال لهم : « يا بنى أخى ! تؤملون التوبة وأنتم مقيمون على المعصية ؟ » . ثم أقبل عليهم بالمواعظ فوعظهم حتّى تابوا وحسن حالهم .

موعظة : وعن عبد الملك بن أبى كريمة ، قال : « صحبت خالداً بن أبى عمران وأنا صغير ، ومشيت خلفه وأنا بقرطاجنة فسكت وسكتُّ ، ثم التفت إلى وقال : « يا بنى ، إن للصحبة أمانة ولها خيانة ، وإنى أذكر الله عز وجل [فى السر] فاذكره » (١) .

دعاء : وقال حيوة : « اجتمعنا مع خالد بن أبى عمران فى مجلس ، قال فدعا الله تعالى وأمنا ثم قرأ سجدة ، فسجد وسجدنا معه ، فقال : « اللهم إن كنت استجبت لنا فأرنا علامة ذلك » فرفع رجل من القوم رأسه فإذا بنور ساطع ؛ قال إدريس : « فظننت أن الرافع رأسه حيوة » . قال عبد الله : « ورأيت لخالد ابن أبى عمران دعاء كان يدعو به لايكاد يفارقه ، وجدته بالمنستير بخط محمود المتعبد وهو : « الحمد لله الذى فتق عن أكمام الغفلة بنور الإخلاص ، والحمد لله الذى كشف عن ريب(٢) القلوب بنور اليقين ، والحمد لله حمداً دائماً بدوام ربوبيته . والحمد لله كما يجب له على جميع خلقه ، سبحان الله وبحمده تسبيحاً يبلغ أقطار السموات ويبلغ الرمل والثرى وما بين ذلك ، وسبحان الله وبحمده تسبيحاً تخشع له السموات السبع ومن فيهن والأرضون ومن فيهن ، وسبحان الله وبحمده من حيث يعلم ومن حيث لا يُعلم ، ومن حيث علم ربى وعلى لسان كل قائل ؛ رب إنى إن انقطع أملى من عملى لم ينقطع أملى منك ، فحقق رجائى

(١) ذكر أبو العرب هذه الفقرة فى طبقاته (ص ٢٤٦) وجاء فيها بعد ذلك حديث « ان الله تبارك وتعالى اذا أراد أن يبارك لعبده فى حاجة أذن له فيها بالدعاء » .

(٢) ورد حذاء هذا السطر بهامش الأصل : ربما انه رين القلوب .

ولا تحقق حذرى ، واستر عورتى ، وسكن روعتى . أنت دليلى ، إليك أشكو بثى وحزنى وفاقتى وفقرى ، فيا حزنى فى قلة شكرى ، ويا حزنى إن أصبت بنفسى وأنت غير راض عنى ، فلا تعذبنى بالنار بعد إذ أسكنت توحيدك قلبى ، فإنك إن عذبتنى بالنار جمعت بينى وبين قوم عاديتهم فيك . اللهم ارحم فى الدنيا غربتى ، وفى القبر وحشتى ، وبين يديك ذل مقامى ؛ اللهم إنى أعوذ بك أن يُفرط علىّ وعلى ولدى وأهلى ، أو أن يطغى [علىّ] . جل جلالك ، وعز جارك ، وتبارك اسمك . هذا مقام العائذ بك ، الهارب إليك ، ياوارث أيام الجبارين يارحمن الدنيا والآخرة . اكفنا البلاء كله ، عاجله وآجله . وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم » .

٦٩ — ومنهم **عبد الله بن عبد الحكم البلوى** .

يروى عن جماعة من أهل العلم ، ذكره ابن سحنون فى طبقات أهل إفريقية لكنه أدخله فى جملة شيوخ المصريين ، وابن سحنون أقعد بذلك . أدخله سحنون فى « مدونته » .

عن عبد الله بن عبد الحكم البلوى أنه سمع علياً بن رباح اللخمى يخبر عن عقبة بن عامر الجهنى ، قال : « قدمت على عمر بن الخطاب بفتح من الشام وعلىّ خفان لى ، فنظر إلى ثم قال : كم لك منذ لم تخلعهما (١) ؟ فقلت : لبستهما يوم الجمعة واليوم الجمعة . فقال : أصبت » .

٧٠ — ومنهم **ابو محمد عبد العزيز بن مجير بن (ص٣٣) ريسان الرعينى**

ذكره أبو سعيد بن يونس ، وأثنى عليه ، وروى عن جماعة . كان بمصر وانتقل إلى إفريقية وأوطنها ، وكان جواداً كريماً مطعاماً للطعام . ذُكر عنه أنه قيل له إن ناساً من أهل الشرف يحضرون طعامك ويستحيون ، فأمر غلمانه إذا قدموا الطعام أن يطفئوا المصابيح .

---

(١) فى هامش الأصل : أو قال منذ لم تنزعهما .

٧١ — ومنهم **ابو كريب جميل بن كريب المعافرى** القاضى ، ويقال اسمه عبد الرحمن .

من أهل الفضل والعلم ، يروى عن [أبى عبد الرحمن] الحبلى [وغيره] . روى عنه جماعة [من العلماء] (١) . سكن تونس ، وكان من أجلاء شيوخ إفريقية . وأشخص إلى مدينة القيروان بأمر بعض ولاة إفريقية ، وولاه على قضائها بعد امتناعه منه وكراهيته فيه ؛ قيل إنه يزيد بن حاتم ، وقيل إنه أخوه روح ، وقيل عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع ، وهو الصواب ؛ وكان حسن السيرة فى قضائه ، ولم يزل على ذلك حتّى قتلته الخوارج بوادى أبى كريب فى ناحية الحبلى من ناحية القيروان سنة تسع وثلاثين ومائة .

وعن جميل بن كريب ، عن عبد الله بن يزيد ، عن عبد الله بن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شرب بزقة خمر فاجلدوه ثمانين » .

ذكر فضله ومناقبه : حدث أحمد بن بهلول الزيات أن يزيد بن حاتم ، وهو يومئذ أمير بإفريقية ، بعث إلى والى تونس يقول له : « ابعث لى بأبى كريب أوليه القضاء » ، فما رضى أبو كريب ، فكتب والى تونس إلى الأمير أن أبا كريب مريض ، فكتب إليه يزيد : « ابعث إلىّ به فى قطيفة » (٢) . فبعث والى تونس بأبى كريب ، فلما قدم على يزيد كلمه يزيد فلم يرد عليه جواباً ، ثم كلمه الأمير وأبو كريب ساكت فأنبه جُلاّس يزيد فقالوا : « الأمير يكلمك وأنت

---

(١) التكملة بين الاقواس من « طبقات علماء افريقية » للحارث بن اسد الخشنى . جـ ٦ ، ص ٢٣٤ .

(٢) وردت هذه العبارة فى «معالم الايمان» للدباغ هكذا : « ابعث لى به فى محفة » (جـ ١ ، ص ١٦٨) . وجاء فى لسان العرب : « والقطوف من الدواب البطىء ، وقال ابو زيد : هو العتيق المشى ، وقطفت الدابة تقطف قطفا ، وتقطف قطافا وقطوفا ، وقطفت وهى قطوف : اساءت السير وابطات ، والجمع قطف ، والاسم القطاف .. » مادة قطف جـ ١١ ص ١٦٣ .

صامت ؟ » ، فقام الأمير يزيد على قدميه وأمر جلاسه أن يتفرقوا عنه ، وجعل يقول له : « والله يا أبا كريب ما أردت إلا الله عز وجل ، وأن أجعلك حسنة بيني وبين الله عز وجل للمسلمين ، وتكون عوناً على هذا الأمر ، وتحكم بالحق عليّ وعلى من حولي ، فاتق الله عز وجل فيما دعوتك إليه من القيام بالحق فيّ وفي المسلمين » . فقال له أبو كريب : « آلله عز وجل أردت بذلك ؟ » فقال : « نعم » فكررها عليه ثلاثاً ، فقال : « نعم » فقال أبو كريب : « قد قبلت » . وجلس في جامع القيروان يحكم بينهم ، فما مرت إلا أيام يسيرة حتى أتاه رجل فقال : « أصلح الله القاضي ، لي قِبل الأمير حق ومطالب دفعني عنه (١) وقد وقعت له وسألته المجيء إليك فلم يفعل » ، فأعطاه القاضي طابعاً . ومضى الرجل إلى باب الأمير ، فأعلم بذلك الأمير يزيد . وقيل : بل مضى معه أبو كريب بنفسه إلى باب الأمير يزيد ، فقال للحاجب : أعلم الأمير بمكاني . إن هذا الرجل يذكر أن له حقاً قبله ، فأعلمه الحاجب ، فلبس يزيد ثيابه وخرج إلى الجامع ، فادعى الخصم على الأمير يزيد بدعوى ، فقال أبو كريب ليزيد : « ما تقول فيما ادعاه بحضرتك ؟ » فأنكر يزيد [دعواه] ، فطلب خصمه يمينه ، فاستحلفه أبو كريب فأبى يزيد أن يحلف ، فقال له أبو كريب : « إني أحكم عليك بنكولك عن اليمين » فأنصفه يزيد من دعواه ، ثم انصرف يزيد وهو يقول : « الحمد لله الذي لم أمت حتى جعلت بيني وبين الله عز وجل من يحكم بين عباده بالحق » . فقال أبو كريب : « وأنا أقول الحمد لله الذي لم أمت حتى رأيت أميراً يشكر الله عز وجل بالقضاء بالحق عليه » . هكذا ذكر أبو بكر بن اللباد وأبو العرب أنها كانت مع يزيد ، والصواب من ذلك أن يكون هذا المجلس إنما جرى مع عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة ابن نافع الفهري أمير إفريقية . ويشهد بصحة ذلك أن أبا كريب استشهد في سنة أربعين ومائة في دولة مروان بن محمد ، ويزيد بن حاتم إنما ولي إفريقية

---

(١) في الأصل : منه .

فى سنة خمس وخمسين ومائة فى دولة المنصور . فلا شك أن ذكر يزيد بن حاتم هنا غلط . وكان رحمه الله يركب حماراً بشنف ورسنه حبل ليف ، ومر يوماً بمدينة القيروان ببيت (١) أم عياض فعرض له خصمان فنزل عن حماره وقعد إلى حائط ونظر بينهما فيما اختصما فيه ، ثم قام ليركب فأراد أحدهما أن يمسك برسن الحمار حتى يركب فمنعه أبو كريب من ذلك وأمسكه هو لنفسه ، وهذا من محاسبته لنفسه واجتهاده . ومثل هذه الحكاية ، قال : أقبل غوث بن سليمان القاضى ، وهو يريد المسجد ، فلما كان عند السراجين لقيته امرأة فى محفتها ، كما قدمت من الريف ، فشكت مظلمة فنزل فى حانوت من حوانيت السراجين ، كما هو ولم يبلغ المسجد ، وكتب لها بحاجتها ، ثم ركب دابته إلى المسجد وانصرفت المرأة وهى تقول : أصابت والله أمك حين سمتك « غوث » ، فأنت والله غوث عند اسمك .

ومن مناقبه : أنه كان [إذ كان] قاضياً بالقيروان [ساكناً فى الدرب المعروف بالسنجارى] (٢) ، وأنه كان إذا أراد أن يتوجه إلى الجامع ساق حماره بين يديه ، وإذا انصرف من الجامع ركبه منصرفاً ، فربما لقيه فى مسيره إلى الجامع بعض الناس وهو يخوض الطين إلى أنصاف ساقيه ، فيقال له : « لو ركبت الحمار ! » فيقول : « لا أفعل ، هكذا حال من يسير إلى ربه عز وجل ، يسير ذليلا متواضعاً » ، وربما وجد فى الجامع وحده فيقال له : « أتقعد وحدك ؟ » فيقول : « إن الناس قد ذهبوا إلى جنازة » . فيقال له : « لو أنك انصرفت إلى دارك ! » فيقول : « ومن لى بالملهوف المضطر إذا قصدنى فلم يجدنى ؟ » قال أحمد : وكان ربما تبين له الحكم بالليل ، فيأتى دار من ثبت الحق له ، فيقرع عليه بابه فيستخرجه ويأمره بأن يحضر له صالحى جيرانه ليشهدهم له ، فيقول له : « لو تركت هذا إلى الغد ! » فيقول القاضى : « فلو مت أنا فى ليلتى هذه ، أما أكون أنا الذى أضعت عليك حقك ؟ » . ولم يزل قاضياً

---

(١) فى الأصل من غير نقط .

(٢) التكملة من ابى العرب : ص ٢٥٠ .

حتى ثار عاصم بن جميل [الصفرى] على حيد[ب بن عبد الرحمن ، فخرج إليهم حبيب ، فقاتلهم] (ص٣٤) (١) فهزم هو ومن معه من عسكره ، فلما صار إلى مدينة القيروان أمر أبو كريب بقتالهم ، فاجتمع إلى أبي كريب أهل البصائر وخرجوا لقتالهم ، إذ كانوا يستحلون سفك دماء المسلمين . واجتمع إليه من الناس ألف رجل وتخاذل الباقون من أهل القيروان ، فالتقوا على الوادى المعروف « بوادى أبي كريب » ، (٢) فسمى به إلى اليوم ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فقتل أبو كريب وجميع من معه ، رحمة الله عليهم . وذلك سنة تسع وثلاثين ومائة .

٧٢ — ومنهم **يزيد بن الطفيل القاضي** واسمه **عبد الله بن عبد الرحمن** واشتهر وعرف **بيزيد بن الطفيل** (٣)، وكان من فضلاء المؤمنين .

روى عن علقمة بن وقاص الليثى ، روى ابن أنعم عن ابن الطفيل ، قال : « سمعت علقمة بن وقاص يقول : سمعت عمر بن الخطاب ، رضى الله تعالى عنه ، يقول : « استقبلوا الشمس بجباهكم فإنها حجامات العرب » . وسبب توليته القضاء أنه قدم إلى القيروان وزيراً للخليفة فدخل المسجد الأعظم . فرأى حلقة عظيمة وفيها شاب كلما اختلف اثنان ممن حضر الحلقة رُجع إليه وصدرا عن رأيه ، فقال الوزير : « من يكون هذا ؟ » فقيل له : هذا يزيد بن الطفيل . فرجع الوزير إلى الخليفة . فبينا هو يوماً بين يدى الخليفة إذ ذكر قاضياً لإفريقية .

---

(١) التكملة من « المعالم » : جـ ١ ، ص ١٧١ .

(٢) قال الدباغ فى « المعالم » فى التعريف بهذا الوادى انه بجوفى القيروان على طريق تونس ، وعلق على ذلك ابن الناجى بقوله : « قلت : هو الوادى المعروف اليوم بوادى السراول على ظاهر هذا اللفظ ، وعرفنى من أثق به أنه رأى ذلك مكتوبا فى حاشية نسخة عتيقة من الدباغ» المعالم جـ ١ ص ١٧١

(٣) ذكر ابو العرب (ص ٣٣ — ٣٤) والخشنى (ص ٢٣٤) أنه « يزيد ابن الطفيل التجيبى » ، ولم يذكره الدباغ .

فقال له الوزير : « أين أنت من ابن الطفيـل ؟ » ووصف له ما رأى منه ؛ فبعث إليه بسجله . فبينا ابن الطفيل على دكان له على باب داره بصطفورة إذ أقبل البريدُ فقال : « من فيكم ابن الطفيل ؟ » فقيل له : « هذا » ، فقال : « السلام عليك ورحمة الله وبركاته أيها القاضى » ، وناوله السجل . وكان رحمه الله تعالى يركب حماراً [له] حتى يأتى المسجد الجامع ، فينزل عنه ويجلس ويحل الحمار ويأخذ لجامه فيتركه عنـده ، قال : فينطلق الحمار يريد دار يزيد ابن الطفيل بلا قائد ولا سـائق ، فيقمم من الأزقة من حشيش أو بقل ، [أو ما أشبه ذلك ، وهو فى ذلك يمشى حتى يأتى دار ابن الطفيل](١) ، فيؤخذ فيدخل به الدار . ويجلس ابن الطفيل ، فربما يجلس فلا يأتيه أحد لقلة الخصومات فى ذلك الزمان ، فينعس القاضى ؛ فإذا كان الوقت الذى يعلمون أن القاضى ينصرف فيه ، سرحوا الحمار فيذهب حتى [يأتى] باب الجامع ، فيخرج القاضى فيركبـه . (٢) ولم يزل قاضـياً حتى عزله يزيد بن حاتم ، لأنه كان [إذا انصرف من مجلس قضائه] يستودع ديوانه رجلا صباغاً مقابل المسجد الجامع ، فتقدم إليه يزيد فى ذلك فقال له : « إنى أحفظ ما فى ديوانى وهذا لايضرنى » ولم يرجع فى ذلك إلى قول يزيد بن حاتم ، فرأى يزيد أن ذلك تضييع ، فعزله .

٧٣ — ومنهم **عمر بن يزيد بن مسروق اليحصبى الزاهد** .

وكان عابداً من أهل إفريقية وقضاتها . يروى عن عبد الله بن دينار مولى عبد الله بن عمر . روى عنه جماعة من أهل العلم

---

(١) التكملة من أبى العرب : ص ٣٣

(٢) روى أبو العرب هذا الخبر بالسند التالى : « قال ابن تميم : وقد كان يزيد بن الطفيل التجيبى قد ولى قضاء افريقية قبل عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، وأحسب أن الذى ولاه يزيد بن حاتم ، قال : ولقد سمعت أحمد بن أبى سليمان يقول : كان ابن الطفيل قاضيا بالقيروان ، فكان يركب حمارا له ، حتى يأتى المسجد ... الخ » أبو العرب ، الطبقات ، ص ٣٣

٧٤ – ومنهم عبيد الله بن زحر الكناني .

كان فاضلا صالحاً [مولده بإفريقية] . يروى عن جماعة من العلماء (١) .
ومما يتصل بنا عنه من الحديث [: قال أبو عيسى الترمذى ، حدثنا سويد ابن عبد الله بن مالك عن يحيي بن أيوب] (٢) عبد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة (٣) الباهلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أغبط الناس عندى لمؤمن خفيف الحاذ (٤) ، ذو حظ من صلاة . أحسن عبادة ربه ، وأطاعه فى السر ، غامض فى الناس لايشار إليه بالأصابع ، وكان عيشه كفافاً فصبر على ذلك » ، ثم نفض رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصبعه ثم قال : « عجلت منيته وقلت بواكيه وقل تراثه » (٥) . روى عنه عبد الله ابن لهيعة والفضل بن فضالة .

٧٥ – ومنهم أبو عمران موسى بن على بن رباح بن قصير اللخمى . رضى الله تعالى عنه .

كان فاضلا ، روى عن جماعة من التابعين منهم والده على بن رباح . روى عنه أكابر العلماء ، منهم الليث ، وابن المبارك ، وابن وهب . أصله من القيروان وبها مولده .

---

(١) ذكر الدباغ الرجال الذين أخذ عنهم ، وهم عبد الله بن مسعود التجيبى ، وخالد بن ابى عمران التونسى ، « ثم رحل الى المشرق فاخذ عن الأعمش ، وابى هارون العبدى والربيع بن انس . سمع منه يحيى بن سعيد ورقبة بن مصقلة وخلاد الصهار وليث بن أبى سليم ، وليث بن أبى أيوب ، والفضل بن ابى فضاله . . » – « المعالم » ج ١ ص ١٨٥ .

(٢) التكملة من « المعالم » : ج ١ ، ص ١٨٥

(٣) اسمه صدى بن عجلان – انظر «الاصابة» لابن حجر (ج ٧ ، ص ٩) .

(٤) ورد هذا الحديث فى « لسان العرب » – مادة «حوذ» ج ٥ ص ٢٠ – هكذا : « اغبط الناس الخفيف الحاذ » اى خفيف الظهر .

(٥) أورد الدباغ هذا الحديث فى « معالم الايمان » (ج ١ ص ١٨٦) ولكنه وضع « رزقه » بدل « عيشه » و « يديه » بدل « أصبعيه » .

قال عبد الله بن لهيعة : قدم علينا موسى بن على بن رباح سنة عشرين ومائة وافداً إلى هشام بن عبد الملك ، وكان يخضب بالسواد . وتوفى بالاسكندرية سنة ثلاث وستين ومائة .

٧٦ — ومنهم **ابو سليمان خلاد بن سليمان الحضرمى** .

كان من أهل الفضل والدين . يروى عن نافع بن عمر ، وخالد بن أبى عمران ، ودراج بن سمعان . روى عنه ابن وهب وسعيد بن أبى مريم . وكان أحد الخائفين . مولده بإفريقية ، ثم انتقل إلى المشرق وتوفى سنة ثمان وسبعين ومائة . أسند عنه ابن عبد الأعلى حديثين بعد أن أثنى عليه ، فرفع الإسناد : حدثنا نافع أنه سأل عبد الله بن عمر فقال : « إنا قوم لانثبت عند قتال عدونا ، ولا ندرى مَن الفئة » فقال : « إن الفئة رسول الله صلى الله عليه وسلم » فقلت : « إن الله عز وجل يقول فى كتابه العزيز : « يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار » ، فقال : « إنما نزلت هذه الآية لأهل بدر ، لاقبلها ولا بعدها » .

٧٧ — ومنهم **ابو محمد عبد الله بن فروخ الفارسى** .

كان فاضلا صالحاً متواضعاً فى نفسه ، قليل الهيبة للملوك فى حق يقوله ، لا يخاف فى الله لومة لائم ، مبايناً لأهل البدع ومعادياً لهم . حافظاً للحديث والفقه . رحل إلى المشرق فسمع من جماعة من العلماء ، منهم زكريا بن أبى زائدة تابعى ، ومالك [بن أنس] ، وسفيان الثورى ، وغيرهم . وكان اعتماده على مالك لكنه يميل إلى طريقة أهل النظر والاستدلال . [فربما مال إلى قول أهل العراق لظهور صواب عنده] . (١) وكان مالك يكرمه ويروى له فضلا ويقول لأصحابه : « هذا فقيه أهل المغرب » . ويقال إن مولده كان بالأندلس سنة خمس عشرة ومائة ، ثم سكن القيروان وأوطنها ، ثم رحل إلى المشرق فلقى من ذكرنا ونفعه الله عز وجل بهم .

---

(١) التكملة من « المعالم » ج ١ ، ص ١٧٨

[روى] عن سحنون أنه نظر فى رسالة مالك إلى ابن فروخ — وقد كان ابن فروخ قد كتب إلى مالك (١) يخبره : « إن بلدنا كثير البدع » ، (ص ٣٥) وأنه ألف لهم كلاماً فى الرد عليهم — فكتب إليه مالك فى الرسالة : « إنك إن ظننت ذلك بنفسك خفت أن تزل أو تهلك . لايرد عليهم إلا من كان ضابطاً عارفاً بما يقول لهم ، ليس يقدرون أن يعرجوا عليه ، فإن هذا لا بأس به . وأما غير هذا فإنى أخاف أن يكلمهم فيخطئ فيمضوا على خطئه أو يظفروا منه بشىء فيتعلقوا [به] ويزدادوا تمادياً على ذلك » . قال [أبو] عبد الله : أشفق مالك ، رضى الله تعالى عنه ، أن يكون ذلك سبباً لإظهار طريقة الجدل بإفريقية فيؤدى ذلك إلى أسباب يُخاف من غوائلها ولا يُؤمن شرها ، فأراد حسم الباب . ثم رحل إلى المشرق ولقى من ذكرناه من أهل العلم ونفعه الله عز وجل بهم ، ثم رجع إلى إفريقية فأوطنها وأقام بها يعلم الناس العلم ويحدثهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفع به كثير ، ثم رحل إلى المشرق لما ألح عليه عبد الله بن عمر بن غانم قاضى إفريقية فى المشاورة فى بعض أقضيته وأحكامه ، وأن يتقلد له ما يراه صواباً ، فأشفق من ذلك ابن فروخ وخاف من التقليد ، فأراد السلامة والهروب من الرئاسة فرحل إلى المشرق فوصل إلى مصر ، ثم تمادى إلى مكة فحج . فرجع إلى مصر فتوفى بها ودفن بسفح المقطم سنة ست ومائة . وكانت لوفاته بمصر فجعة عظيمة فى قلوب أهل العلم ، وقالوا : طمعنا أن يكون خلفاً لنا من الليث . وكانوا يعظمونه ويعتقدون إمامته . رحمه الله تعالى .

قال سحنون : « اختلف ابن فروخ وابن غانم فى مسألة، فقال ابن فروخ : « [لاينبغى للقاضى] إذا ولاه أمير غير عدل أن يلى [القضاء] » وقال ابن غانم : « يجوز له أن يلى، وإن كان الأمير غير عدل » . فكتب بها إلى مالك [بن أنس] فى المدينة ، [فلما وصل الرسول إلى] مالك [وجده] (٢) على دكان كبيرة

---

(١) اورد أبو العرب هذا الخبر (ص ٣٦) هكذا : وحدثنى جبلة بن حمود قال : وأخبرنا — يعنى سحنون — أنه نظر فى رسالة مالك الى ابن خروخ ...الخ

(٢) التكملة من « المعالم » ج ١ ص ١٨٣ .

مرتفعة كثيرة الارتفاع ، والناس مجتمعون عليه . فقعد حتى تفرق الناس عنه ، فقام إلى مالك وأعطاه الكتاب ، فقرأه مالك وقال للرجل : « أَوُلِّيَ ابن غانم ؟ » فقال الرجل : « نعم » ؛ فقال مالك : « إنا لله وإنا إليه راجعون ! ألا فرّ حتى تقطع يده ! » ثم قال : « أصاب الفارسى ، يعنى ابن فروخ ، وأخطأ الذى نزعم أنه عرنى » ، يريد ابن غانم ، رضى الله عنهم أجمعين .

ومن فضـــائله رضى الله تعالى عنه، ومناقبه وتعظيم العلماء له وثنائهم عليه وأنواع من أخباره : سنان [بن] أبى سنان الأسدى (١) الكوفى ، قال : سمعت أبى يقول : قدم عبد الله بن فروخ المدينة حاجاً ، فلما نزل المدينة لبس ثيابه ثم توجه إلى قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فسلم عليه ، ثم أتى مالكاً بن أنس للسلام عليه ، فلما رآه مالك تلقاه بالسلام وقام إليه ، وكان لا يكاد يفعل ذلك لكثير من الناس ، وكان لمـالك موضع من مجلسه يقعد فيه وإلى جانبه المخزومى (٢) معروف له ذلك لا يستدعى مالك أحداً إلى القعود فيه ، فأقعده فيه وساءله عن أموره وأحواله ، وقال له : « متى كان قدومك يا أبا محمد ؟ » فأعلمه أن قدومه كان فى الوقت الذى أتى إليه فيه . فقال له : « صدقت ؛ لو كان قدومك تقدم إذاً لعلمت بك ، ولو علمت لأتيتك » ، وجعل مالك لا ترد عليه مسألة وعبد الله حاضر إلا قال : « أجب يا أبا محمد » فيجيب عبد الله ، ثم يقول مالك للسائل : « هو كما قال لك » . ثم التفت مالك إلى أصحابه وقال : « هذا فقيه أهل المغرب » . وذكر بعض المصنفين عن أبى عمر وميمون بن عمر بن (٣) المعلوف صاحب سحنون ، قال : « حدثنى أبو زكريا القصير عن عبد الله بن فروخ أنه قال : أتيت الكوفة وأكبر أملى السماع من سليمان بن مهران الأعمش ،

---

(١) خصص له أبو العرب فصلا — انظر الطبقات ص ١١٦ — ١١٧ — واسمه الكامل أبو سنان زيد بن سنان .

(٢) اسمه الكامل : المغيرة بن عبـد الرحمن المخزومى المدنى . انظر « الديباج المذهب » لابن فرحون (مخطوط دار الكتب المصرية) ص ٤١ ، ١ .

(٣) ورد هذا الاسم فى « المعالم » (ج ١ ، ص ١٩٧) بدون لفظة « ابن » الثـانية .

فسألت عنه ، فقيل [لى] إنه غضب على أصحاب الحديث ، فحلف أنه لا يسمعهم إلى وقت ذكروه . قال : فكنت أختلف إلى داره طمعاً أن أصل إليه، فلم أقدر على ذلك ، فجلست يوماً على بابه وأنا مفكر فى غربتى وما حرمته من السماع منه ، إلى أن فتح الباب ، فخرجت جارية ، فقالت : « ما بالك على بابنا ؟ » فقلت : « أنا رجل غريب » ، وأعلمتها بخبرى ، فقالت : « وأين بلدك ؟ » ، فقلت : « إفريقية » فانشرحت لى وقالت : « أتعرف القيروان ؟ » قلت لها : « ومن أهلها أنا ! » قالت : « لعلك تعرف دار ابن فروخ ؟ » ، ثم تأملتنى وقالت : « عبد الله ؟ » قلت : « نعم ! » فإذا هى جارية كانت ببلادنا — أو قال من بلادنا ، وأظنه قال : كنت رضيعاً لها فأبعناها وهى صغيرة — فصارت إلى الأعمش ، فقالت [له] : « ابن مولاى ، الذى كنت أخبرك بخبره ، بالباب » فأمرها بإدخالى ، وأسكننى فى بيت قبالته ، فكنت أسمع منه وحدى وقد حرم سائر الناس ، إلى أن قضيت أربى منه » . قال : وكان مالك يكرمه ويعظمه .

وفى هذه السفرة اجتمع مع أبى حنيفة ، وذاكره وكتب عنه مسائل كثيرة غير مدونة يذكر أنها نحو عشرة آلاف مسألة ، وقد لقيه قبل أن يدون كتابه. ويروى أنه ناظر زُفَر فى مجلس أبى حنيفة ، فازدراه زفر للمغربية . فلم يزل ابن فروخ يناظره حتى علا على زفر ، وقطعه بالحجة . فقال أبو حنيفة لزفر (١) : « لا خفف الله ما بك ! » معاتبة من أبى حنيفة لزفر ، إذ ازدرى ابن فروخ . ويذكر أنه قال : كنت يوماً عند أبى حنيفة ، فسقطت آجرة من أعلى داره على رأسى فدمى ، فقال لى : « اختر : إن شئت أرش الجرح ، وإن شئت ثلاثمائة حديث » فقلت : « الحديث خير لى » ، فحدثنى ثلاثمائة حديث .

وفى هذه السفرة لقى مالكا بن أنس وسمع منه وتفقه ، وعليه اعتمد فى الحديث والفقه ، وبصحبته اشتهر . وكان ربما مال إلى قول أهل العراق إذا تبين له أن الصواب فى قولهم . وعن أبى عثمان المعافرى ، قال : « أتيت إلى مالك بن أنس بمسائل من ابن غانم أقضية ، فقال : « ما قال فيها المصفر ، يعنى البهلول

---

(١) زفر بن الهذيل تلميذ ابى حنيفة — التاج ، مادة « زفر » .

ابن راشد ، وما قال فيها الفارسى ؟(ص ٣٦) ، يعنى ابن فروخ » . قال : ثم كتب الأجوبة وكتب فى آخر الكتاب : « ودين الله يسر إذا أقيمت حدوده » .

وكان البهلول بن راشد يعظم قدر عبد الله بن فروخ ويكبر قدره ويقلده فى بعض ما ينزل به من أمور الديانة . [روى] أبو محمد بن سعيد الحداد عن أبيه ، قال : حدثنى من أثق به من أهل العلم ، قال : خرج إليهم البهلول بن راشد ذات يوم على أصحابه ، وقد غطى خنصره بكمه ، فقال لرجل من أصحابه فأسر إليه كلاماً دون سائر أهل المجلس ، ثم انصرف الرجل ثم عاد إليه فكلمه فيما بينه وبينه ، فأزال ابن (١) البهلول كمه عن خنصره وجعل يقول : الحمد لله الذى لم يجعلنى ممن ابتدع بدعة فى الإسلام . ثم أقبل على الرجل فقال له : « حدث القوم بما كان بينى وبينك » ، فقال الرجل : أرسلنى إلى ابن فروخ أسأله : هل كان أحد من السلف — إذا أوصى بحاجة — ربط فى إصبعه خيطاً ؟ فتوجهت إلى عبد الله بن فروخ فسألته عن ذلك فقال : « نعم ، كان عبد الله بن عمر يفعله » ، فقال بهلول عند ذلك : « إن أهلى سألونى فى حاجة فربطت فى خنصرى خيطاً لأذكر حاجتهم ، ثم خفت أن أكون ابتدعت بدعة فى الإسلام » .

[روى] عن ابن عمر قال : « كان النبى ، صلى الله عليه وسلم ، إذا أشفق أن ينسى الحاجة جعل فى يده خيطاً ليذكرها » . [حدث] سكن الصائغ ، قال : « كنت (٢) أعمل السلاسل من نحاس وأطليها بماء الذهب الذى يجعل فى اللجم ، وأبعث بها تباع ببلد السودان . فوقع فى قلبى منها شىء ، فسألت البهلول بن راشد فقال : « ما عندى فيها علم ، ولكن اذهب إلى ابن فروخ الفارسى وانظر الجواب وأخبرنى » ، فذهبت إلى ابن فروخ فسألته فقال : « أهؤلاء الذين تبعث إليهم هذه السلاسل معاهدون ؟ » قلت : « نعم » فقال : « ما أرى هذا ، وهذا غش » . فرجعت إلى البهلول فأخبرته فقال : « يا بنى ، هو كما قال ابن فروخ » . ثم قال :

---

(١) كذا فى الأصل .

(٢) فى هامش الأصل مقابل هذا السطر : نقله محمد بن عمار المعز لله ورسوله .

« ابن فروخ الدرهم الجيد وأنا الدرهم الستوق » (١) . قال سكن الصائغ : فما عرفت أى شىء الدرهم الستوق ، فسألت عنه فقيل لى الدرهم النحاس » .

ذكر [أبو عثمان سعيد بن محمد أنه قال : حدثنى من أثق به] (٢) أن روح ابن حاتم أرسل إلى عبد الله بن فروخ ليوليه القضاء فلما جاءه ، قال : [له] : « بلغنى أنك تريد الخروج علينا » فقال ابن فروخ : « نعم ! » فتعاظم ذلك روح من قوله . فقال له [ابن] فروخ : « أرى ذلك مع ثلاثمائة وسبعة عشر رجلا . عدة أصحاب بدر ، كلهم أفضل منى » فقال له روح : « قد أمناك أن تخرج علينا أبدا » . ثم عرض عليه القضاء فأبى من ذلك وامتنع . فأقعده فى الجامع . وأمر بالخصوم أن يكلموه (٣) وهو يبكى ويقول لهم : « ارحمونى يرحمكم الله ! » . ولما أبى من ذلك أمر به أن يربط ويصعد به على سقف الجامع فإن هو قبل وإلا طرح من أعلاه . فصعد به إلى سطح الجامع . وقيل له : « تفعل ؟ » قال : « لا ! » وحُلّ على أن يطرح . فلما رأى العزيمة جداً ، وكان يظن أنه لن يطرح حـ[ـقاً] . فقال : « قد قبلته » ، فأجلس للناس وجُعل معه حرس . فتقدم إليه خصمان فلما صارا بين يديه نظر إليهما ، فبكى وطال بكاؤه فأقام طويلا باكياً ، ثم رفع رأسه إليهما وقال : « سألتكما بالله إلا أعفيتمانى من أنفسكما ولا تكونا أول مشؤومين علىّ » فرحماه وقاما من بين يديه ، فأعلم الحرس بذلك روحاً ، فقال : امضوا إليـه ، فقولوا له : « فأشر علينا بمن نولى أو اقبل » فقال : « إن يكن أحد فعبد الله بن عمر بن غانم ، فإنى أراه شاباً له صيانة » . فقبل ذلك منه روح ، وولى عبد الله بن غانم القضاء . وكان ابن فروخ أشد الناس كراهة فى القضاء ، وكان يقول : « قلت لأبى حنيفة : ما منعك أن تلى القضاء ؟ فقال لى : يا ابن فروخ ، القضاء على ثلاثة أوجه ، مثل رجل

---

(١) درهم ستوق وتستوق زيف بهرج لا خير فيه : اللسان (ج ١٢ ، ص ١٨) .

(٢) انظر « المعالم » (ج ١ ، ص ١٨٠) و « أبو العرب » ص ٣٥

(٣) وأمر بالخصوم فأجلسوا حوله فجعل الخصوم يكلمونه — انظر « أبو العرب » ، ص ٣٥

يحسن العوم فأخذ البحر طولا ، فما عسى أن يعوم يوشك أن يكل فيغرق ، ورجل لا بأس بعومه فعام يسيراً فغرق . ورجل لا يحسن العوم فألقى بنفسه فى البحر فغرق من ساعته . فهذا يمنعنى من القضاء والدخول فيه » .

وأرسل يزيد بن حاتم إلى ابن فروخ يسأله عن دم البراغيث فى الثوب ، هل تجوز الصلاة به . فقال : « ما أرى به بأساً » . وقال بحضرة الرسول : « يسألوننا عن دم البراغيث ولا يسألوننا عن دماء المسلمين التى تسفك ! » .

وعن عبد الله بن فروخ أنه خرج يوماً يصلى على جنازة [فى باب نافع] (١) فرأى إسحق ابن الأمير يزيد بن حاتم وقد أغرى كلاباً كانت معه على ظبى ليضربها به ، فنهشت الظبى ومزقت جلده . فلما انصرف من الجنازة لقى إسحق ابن الأمير الذى كانت الكلاب معه فاستوقفه ابن فروخ ، فوقف له إسحق . فما كناه ابن فروخ ولا زاده على أن قال له : « يا فتى ، إنى رأيتك آنفاً تغرى كلابك بشىء من البهائم . وما أحب لك ذلك ، لأن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، نهى عن ذلك » فقبل منه إسحق وقال له : « صدقت يا أبا محمد ، جزاك الله خيراً » مكنياً له ومعظماً . ثم قال : « والله لا فعلت ذلك بعدها أبداً » . ثم مضى لوجهه .

ذكر محمد بن وهب ، قال : حدثنى عمران بن يحيى بن قادم . وكان جاراً لابن وهب . قال : كنت أصحب ابن فروخ . وكان ابن فروخ ربما غسل الأموات الغرباء ومن لا أحد له تواضعاً لله عز وجل ورغبة منه فى الأجر . وكان يتولى ذلك ولا يوليه غيره . قال : فصليت يوماً الظهر فى الجامع ثم نظر إلىّ عبد الله بن فروخ وقال لى : اتبعنى . فاتبعته . ولم يزل يتسلسل فى الأزقة حتى أتى (ص ٣٧) بعض دوائب (٢) باب نافع . فدخل حجرة خربة ودخلت وراءه . فإذا رجل أسود ميت على مغسل . وإذا بقصرية مملوءة ماء وكساء أسود معلق على وتد . فتشمر عبد الله بن فروخ وجمع ثيابه إلى حجره ولم ينزعها . ثم قال لى : « يا ابن أم (٣) قادم ،

---

(١) « المعالم » ج ١ ص ١٨٢ و « القاضى عياض » ج ١ ، ص ٤٧٢

(٢) كذا فى الأصل ولعلها : خرائب .

(٣) كذا فى الأصل .

صب عليّ صباً رفيقاً » ، قال : فصبيت عليه فجعل يغسل حتى فرغ . ثم أخذ الكساء فكفنه فيه ثم وضعناه على سرير نعشه ، ثم قال : « اخرج بنا إلى الطريق » ، قال فحملناه حتى أخرجناه إلى الطريق فمر بنا رجل فقال له ابن فروخ : « الجنازة يرحمك الله » ، قال : فحملناه وحمل معنا ابن فروخ حتى صلينا عليه ودفناه . وكان الناس يتبركون بصحبة ابن فروخ ويجلسون له على طريقه إذا خرج من بيته ، فإذا مشى مشى الناس معه ، واغتنموا منه دعوة وذكرا وموعظة حتى الجامع ، ثم يتشاغل بمسح رجليه برا الجامع ويقول للناس : « ادخلوا رحمكم الله » ، حتى لايبقى من الناس الذين كانوا معه أحد ، فإذا انفرد وبقي وحده ، دخل رحمه الله .

قال ابن قادم : وخرج يوماً من الجامع ، فمر في زقاق بني غانم فنظر إلى دار [عبد الله بن عمر] (١) بن غانم القاضي ، وهو إذ ذاك على القضاء ، ونظر إلى غرفة مبنية بالطوب على بعض داره ، فرفع رأسه إليها وردد النظر إليها ثم قال : « يا ابن غانم ؟ ما ظننت أنه يبلغ بك الأمر إلى هذا كله ! » . وأقبل يتعجب من ذلك ويستعظمه . [وروى] عن محمد بن سحنون أنه قال : كانت المعتزلة تدعى : « عبد الله بن فروخ عندنا » . فأخبرني بعض أصحاب أبي ، وكان قد صحب أبا خارجة (٢) ، قال : نزل بنا أبو خارجة — وقد كنت أسمع أن ابن فروخ يُرمى بالاعتزال — فسألته عن ذلك ، فقال : من قال هذا ؟ أنا حي ، فوالله الذي لا إله إلا هو ، ما رأيت بهاتين العينين — ومس عينيه بأصبعيه — شاباً أعبد من ابن فروخ . ثم قال : والله لقد كنت معه حتى أتاه حبوس بن طارق فقال له : ما تقول في المعتزلة ؟ فقال له : وما سؤالك عن المعتزلة ؟ فعلى المعتزلة لعنة الله قبل يوم الدين ، وفي يوم الدين ، وبعد يوم الدين ،

---

(١) روى الدباغ هذا الخبر عن ابن قادم — « المعالم » ج ١ ، ص ١٨٢

(٢) اسمه الكامل : ابو خارجة عنبسة بن خارجة الغافقي ، من الرعيل الأول من علماء افريقية ، سمع من مالك بن انس ومن سفيان الثوري ، وقد سمع منه البهلول بن راشد ونفر آخر من العلماء ، وقد خصه ابو العرب بفصل ، انظر : « طبقات علماء افريقية » ، ص ٧٢

وفى طول دهر الداهرين ! » فقال له حبوس بن طارق : لا تفعل فإن فيهم رجالا صالحين . فقال : ويحك ! ما أحسبك تخاف فى نفسك [فى قعود] ولا فى قيام من الناس . وهل فيهم رجل صالح ؟ .

قال سحنون : « مات رجل يقال له الرفا [ء ، وكان] من أصحاب البهلول ، وكان فاضلا فحضره ابن غانم وابن فروخ والبهلول ، فأتى بجنازته وبجنازة ابن صخر المعتزلى ، فصُلى على الرفاء ثم قدم ابن صخر المعتزلى فقالوا لابن غانم : « الجنازة ! » فقال : « كل حى ميت ، قدموا دابتى » . ولم يصل عليه ، فقيل لابن فروخ : « الجنازة ! » ، فقال مثل ذلك ، وقام ولم يصل ، وقيل للبهلول : « الجنازة ! » ، فقال مثل ذلك فأخبر بلفظ كل واحد من أصحابه ، فكان مما عرف لابن فروخ ، ويرئ مما كان يقال فيه . (نسخة) (١) قال : ولما تولى ابن غانم القضاء فكان يشاور ابن فروخ فى كثير من أحكامه فقال له : « يا ابن غانم ، لم أقبلها أميراً ، فأقبلها وزيراً ؟ » فألح عليه ابن غانم فى ذلك وشدد عليه . فلما رأى ذلك خرج إلى مصر . وكان ابن فروخ أشد الناس كراهية فى القضاء والولاية وأعظمهم إشفاقاً منه . وكان يقول : قلت لأبى حنيفة . وذكر ما تقدم من قول أبى حنيفة فى من يتولى القضاء مثل من يسبح فيغرق . [وروى] عن ابراهيم الجرمى . قال : « خاصم إلى ابن غانم رجل من « صدف » أعور ، فقال له ابن غانم فى بعض خصومته — إذ أمره بشىء ، فقال له الصدفى : « قد سألت العلماء فقالوا خلاف هذا » — فقال له ابن غانم (٢) : « والله ما رأيت بعينك هذه العوراء عالماً قط » . قال فأتى ابن فروخ فقال له : « يا أبا محمد ، إنى خاصمت إلى ابن غانم فقال لى شيئاً فقلت : إنى سألت العلماء فقالوا لى كذا وكذا ، فقال لى ، والله ما رأيت بعينك عالماً قط . وهذا أنت يا أبا محمد وغيرك من العلماء ، فكيف يحلف على هذا ؟ » فقال له ابن فروخ : « إنما العلماء

---

(١) كذا فى الأصل مما يدل على ان ناسخ هذا الكتاب كان ينقل من أكثر من نسخة واحدة .

(٢) كذا فى الأصل ، وهذه العبارة الأخيرة مكررة .

الذين يخشون الله عز وجل . والعالم الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليٌّ أقضى أمتى ، وزيد أفرض أمتى ، ومعاذ يأتى يتقدم العلماء» ، فهؤلاء العلماء . وهذا من إشفاق ابن فروخ وتواضعه ، لم ير نفسه أهلا أن يتسمى بعالم .

وكان ابن فروخ كثير التهجد ، وكان تهجده فى آخر الليل . قال أحمد ابن يزيد : «كان ابن فروخ إذا أخذ الجند أعطياتهم أغلق حانوته تلك الأيام حتى يذهب ما فى أيديهم ، فإذا ذهب ما فى أيديهم فتح حانوته» .

٧٨ — ومنهم **سعيد بن لبيد المعافرى** ، رحمه الله تعالى .

يروى عن أبى قبيل المعافرى أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول : «إن خطيئة الخمر تعلو الخطايا كما تعلو شجرتها الشجر» .

٧٩ — ومنهم **أبو زكريا يحيى بن السلام** (١) **بن ابى ثعلبة البصرى التيمى** ، تيم ربيعة . مولى لهم ، رحمة الله عليه .

كان يحيى بن السلام يقول : «أحصيت بقلبى من لقيت من العلماء فعددت ثلاثمائة وثلاثة وستين عالماً ، سوى التابعين ، وهم أربعة وعشرون ، وامرأة تحدث عن عائشة رضى الله تعالى عنها» .

روى عنه جماعة بالمشرق والمغرب . وكان يقول : «كل من رويت عنه العلم فقد روى عنى ، إلا القليل منهم» . ويذكر أنه : «يروى عنى من العلماء أربعة : مالك ، والليث بن سعد ، وعبد الله بن لهيعة» (٢) ؛ ونسى الرابع . ذكر ذلك أحمد بن كلدة ، عن أبى العباس بن حمدون . وقال : «كتب عنى مالك بن أنس ثمانية عشر حديثاً» .

---

(١) فى «المعالم» جـ ١ ، ص ٢٣٩ : عبد السلام — وفى «أبى العرب» ص ٣٧ : سلام .

(٢) جاء فى «المعالم» (جـ ١ ، ص ٢٤٠) : وروى عن جماعة من العلماء شرقا وغربا منهم مالك بن أنس والليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة وسواهم .

قال أبو العرب : كان مولده سنة أربع وعشرين [ومائة] . سكن القيروان وأقام بها مدة من الزمان، ثم خرج إلى المشرق فتوفى بمصر سنة مائتين ودفن بالمقطم بجوار (ص٣٨) قبر عبد الله بن فروخ .

ومن سنده عن عبد الرحمن بن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خصلتان من كانتا فيه كتبه الله عز وجل شاكراً صابراً ، ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله تعالى شاكراً ولا صابراً : من نظر إلى من فوقه فى الدين ودونه فى الدنيا فاقتدى بهما كتبه الله سبحانه شاكراً صابراً ، ومن نظر إلى من فوقه فى الدنيا ودونه فى الدين فاقتدى بهما لم يكتبه الله عز وجل شاكر ولا صابراً » .

ذكر فضله ومناقبه أحمد بن محمد بن كدنة [فقال] : سمعت محمداً ابن يحيى يقول : « قال لى أبى — وأنا زميله فى سفرى إلى الحج — : يا بنى ، رويت ستة آلاف حديث ، أو ثمانية آلاف حديث، لم يسألنى عنها أحد ولم أحدث بها أحدا » .

قال أبو سنان زيد بن سنان : « أخذت بركابه ، فركب ، فقال لى : أجرك الله يا ابن أخى ، أما إنه من أخذ بركاب أخيه المؤمن حتى يركب ، حط الله عز وجل عنه أربعين كبيرة » فقلت له : « يا أبا زكريا، إن هذا من العلم الشريف ، ولكنى أريد أن تخبرنى بأفضل ما تقرب العباد به إلى الله عز وجل » فقال : أخبرنى أبو ذر عن أنس بن مالك (١) ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لن يتقرب العباد إلى الله تعالى بأفضل من رد كبد جائع » .

قال أبو العرب : سألت أبا يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام خالياً عن قول جده فى الإيمان ، فقال لى : كان جدى يقول : « الإيمان قول وعمل ونية » . وكان يحيى ثقة صدوقاً لا يقول عن جده إلا الحق (٢) .

---

(١) روى ابن الناجى هذا الحديث عن : يحيى بن السلام ، عن أبى سنان زيد بن سنان ، عن زيد بن حبيش ، عن أنس بن مالك — انظر « المعالم » ج ١ ، ص ٢٤٠

(٢) اضاف أبو العرب بعد ذلك ، قال : « وحدثنى أن جده مات سنة مائتين ، وله مناقب كثيرة تركتها كراهة التطويل » — ص ٣٨ .

وعن أبي القاسم السدرى : أنه كتب إليه عيسى بن مسكين يقول : حدثنا عون بن يوسف قال : قلت ليحيى بن السلام : « إن الناس يرمونك بالإرجاء » ، قال عون : « فأخذ لحيته بيده وقال : أحرق الله هذه اللحية بالنار إن كنت دنت الله عز وجل قط بالإرجاء (١) » . وفي موضع آخر : « كيف وقد حدثتكم أنه بدعة ؟ » ، (٢)فقيل لعيسى : « فما تقول أنت فيه ؟ » فقال : « والله إنه لخير منا ، وقد برأه الله مما يقولون » .

قال أبو العباس بن حمدون : « سمعت محمداً بن يحيى يقول : كنت أمشي مع أبي رحمه الله تعالى ، إلى أن انتهينا إلى موقف الخيل ، فبينا نحن نمشي إذ جبذني جبذة (٣) شديدة ثم دخل سقيفة وأدخلني معه ، فقلت له : يا أبي : ما قصتك ؟ — فقال : يا بني إني [رأيت] غريماً لي فخفت أن يراني فيرتاع مني أو يخاف ، وذكرت قول الله تعالى عز وجل (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة) . فقعدنا ساعة ، ثم خرج أبي فخرجت معه ، فلما أن مشينا قليلا قال : يا بني ، إنه جاء في الحديث : « من رحم يرحم » .

[حدث] أبو العباس تميم بن أبي العرب عن أبيه ، قال : [كان] يحيى بن السلام من خيار خلق الله تعالى : دعا الله تعالى أن يقضى عنه الدين فقضى دينه ، ودعا الله عز وجل أن يورث ولده العلم فكان كما دعا . ودعا الله عز وجل أن يكون قبره بمقطم مصر فكان ذلك . وقبره إلى جانب قبر ابن فروخ ، وقيل أنه يرى عليهما كل ليلة قنديلان .

---

(١) روى أبو العرب هذا الخبر بصيغة أخرى باسناد عن بكر بن حماد ، عن ابى الربيع اللحيانى ، عن رجل قال له : « يا ابا زكريا ! انهم يقولون انك تقول بالارجاء » ، فضرب بيده على جدار القبله ، فقال : « لا ورب هذه القبلة ، ما عبدت الله على شيء من الارجاء قط . كيف وقد حدثتكم انه بدعة ؟ » — الطبقات ، ص ٣٧

(٢) جعل الناسخ هذه العبارة الأخيرة بعد كلام عيسى بن مسكين الذي يليها ، فجعلتها هنا تمشيا مع رواية ابي العرب ، ومع السياق كذلك . انظر الهامش السابق .

(٣) رواه الدباغ : « فجذبني جذبة شديدة » . و « جبذ جبذة » صواب ايضا ، وهي لغة في جذب .
انظر : « المعالم » ج ١ ص ٢٤١ ، ولسان العرب : جَبَذَ .

قال سليمان بن سالم : إنما نسب إلى يحيى بن السلام الإرجاء أن موسى ابن معاوية الصمادحى أتاه فقال له : « يا أبا زكريا ؛ ما أدركت الناس يقولون فى الإيمان ؟ » فقال : أدركت مالكاً وسفيان الثورى وغيرهم يقولون : « الإيمان قول وعمل » ، وأدركت مالكاً بن مغول (١) وقطن (٢) بن خليفة وعمر بن ذر [يقولون : « الإيمان قول » . قال سليمان : فأخبر موسى سحنون بن سعيد بما ذكر يحيى عن عمر بن ذر وقطن بن خليفة ومالك بن مغول] (٣) ولم يذكر له ما قال عن غيرهم ، فقال سحنون : « هذا مرجىء » .

حدث عون بن يوسف (٤) قال : « كنت عند عبد الله بن وهب [نسمع منه] وهو يقرأ عليه ، فمر [فى كتبه] حديث عن يحيى بن السلام فقال : « امحه ! » فقال عون : « لم تمحوه أصلحك الله ؟ » فقال : « بلغنى أنه يقول بالإرجاء » فقلت له : « فأنا كاشفته عن ذلك » . فقال لى : « أنت ؟ » فقلت له : « نعم ! » فقال لى : « فما قال لك ؟ » قلت له : « فقال : معاذ الله أن يكون ذلك رأيى ، أو أدين الله به . ولكن أحاديث رويتها عن رجال يقولون : « الإيمان قول » وآخرين يقولون : « الإيمان قول وعمل » ؛ فحدثنا بما سمعنا منهم » ، فقال ابن وهب : « فرّجت عنى ، فرج الله عنك » . قال عون : « فلما قدمت القيروان وكان يحيى [ ] (٥) بعد فأتانى فسلم علىّ وقال لى : « يا أبا محمد . قد بلغنى محضرك فجزاك الله خيراً . والله ما قلت إلا حقاً وما دنت الله به قط » . (٦)

---

(١) ورد هذا الاسم فى أبى العرب ايضا ـ ص ٣٨

(٢) وفى ابى العرب ـ ص ٣٨ ـ : قطر .

(٣) التكملة من ابى العرب ، ص ٣٨

(٤) روى ابو العرب ـ ص ٣٧ ـ هذا الخبر بالاسناد التالى : « وحدثنى سليمان بن سالم عن عون بن يوسف ، قال ... »

(٥) كلمة غير واضحة .

(٦) وردت بعد ذلك العبارة التالية فى النص : « كان فى النسخة التى نقلت منها يقول : ان هذا الخبر غير مختصر وما بعده مختصر . بسم الله الرحمن الرحيم ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا » وواضح أن تلك الزيادة من كلام الناسخ .

ذكر من كان فى [هذه] الطبقة من أهل القيروان
من أهل العبـــادة والنسك (١)

٨٠ – منهم **أبو عبد الله محمد بن مسروق** – يعرف بالزاهد ، رضى الله تعالى عنه .

كان رجلا صالحاً زاهداً فى الدنيا راغباً فى الآخرة ، ترك الدنيا عن مقدرة رغبة منه فيما عند الله عز وجل . ذكر ابن اللباد بإسناد يتصل « بسعيد الأدم » المتعبد بمصر أنه قال : « كان يقال إن رجلين كانا فى الدنيا فزهدا فيها ، وهما عمر بن عبد العزيز ومحمد بن مسروق هذا » . قال يحيى بن عمر : ومحمد ابن مسروق هذا هو صاحب « المسروقين » التى على طريق « سوسة » .

عن على بن مطلب قال : مسروق والد محمد خليفة موسى بن نصير بالمغرب ، قال : فكان محمد بن مسروق يفتض كل يوم عذراء ، (٢) فلما مات أبوه بات ينظر فى كتبه وفى أمواله ومنازله ، حتى أصبح فقال لجواربه : « من منكن تساعدنى على أمر أريده ؟ » فأجابته واحدة منهن إلى ذلك ، فقال لها : « اثردى لى خبزاً وزيتاً ، وقدميه لى عند إفطارى » ، ففعلت ذلك . فلما أمسى قدمته إليه ، فلم تساعده نفسه على أكله لما عهدته من الطعام الطيب ، فقال لها : « غطيه وارفعيه » ، وأصبح صائماً ، ولم يأكل منه شيئاً ، فلم يأت الليل حتى اشتهاه وأكله (ص٣٩) قال على بن مطلب : فكان بعد ذلك يمر بالقرية من قرى أبيه . فيخرج إليه أهلها ومن فيها فيقولون : « نحن عبيدك وكل ما [لنا] فى هذه القرية فهو لك » ، فيقول : « إن كنتم صادقين فأنتم أحرار ومالكم لكم » . ثم انخلع من جميع ذلك ومما ترك أبوه ، ولم يتلبس منه بشىء .

---

(١) ورد فى هامش الأصل أمام هذا السطر : هذه الطبقة وهى الطبقة الثانية .

(٢) جاء فى « المعالم » : « . . . ونشا محمد بن مسروق هذا فى رفاهية من العيش . روى أنه كان يفتض كل ليلة عذراء » – ج ١ ، ص ٢٤٥

قال أبو الربيع سليمان بن داود : ثم رحل محمد بن مسروق هذا من إفريقية ، فقدم إسكندرية ، فدخل عليه أبو شريح المتعبد الإسكندرانى ، فوجده راقداً على لبد وبين يديه شققة(١) فيها رماد يبصق فيها، وجارية جالسة فى بيته تغزل . قال : فجعل ابن شريح يعزيه ويبشره ، فقال له ابن مسروق : « والله يا أبا شريح ، لو أجد عن الله عز وجل مهرباً لهربت » ؛ وهذا من فرط إشفاقه وخوفه من الله عز وجل .

٨١ — ومنهم **أبو عيسى مروان بن عبد الرحمن اليحصبى** ، رضى الله تعالى عنه .

كان من أهل الفضل والدين والزهد والعبادة . روى عنه ابن وهب وإدريس ابن يحيى وغيرهما . [وروى] سليمان بن سالم قال : قال سحنون : « كان أبو عيسى اليحصبي رجلا صالحاً ناسكاً ، وكان لا ينام أكثر ليله ، لشغله بصلاته وإقباله على مناجاته ربه جل وعلا » . [وعن] يحيى بن عمر ، (٢) قال أبو الربيع سليمان ابن داود ابن أخى رشد بن سعد، (٣) قال : قدم ابن الحياق (٤) الإسكندرية بمراكب [موسوقة] قمحاً فاستبشر لها أهل الإسكندرية وفرحوا بها ، قال : فلما وصل بها خزنها ، فحزن الناس لذلك ، وأتوا إلى أبى عيسى مروان الناسك ، فقالوا : « يا أبا عيسى ، نحن فى ثغر من ثغور المسلمين ، وقد قدم ابن الحياق بطعام واحتكره علينا » ، قال : فلما صلى العصر وفرغ من دعائه قال : « اللهم إن فلاناً قدم علينا بمراكب موسوقة كأنها إبل مقطورة (٥) ، وزعم أنه لايبيع الطعام إلا بكذا وكذا ، اللهم فبعه عليه ثلاثة أرادب وأربعة أرادب وخمسة أرادب » . قال أبو الإصبع : فأخبرنى من وقف عليه وهو يباع إلى آخر ما انتهى إليه دعاء أبى عيسى .

---

(١) الشقف : الخزف المكسر — لسان العرب .

(٢) وفى « المعالم » جـ ١ ، ص ١٨٧ : يعمر .

(٣) وفى « المعالم » جـ ١ ، ص ١٨٧ : أخى رشيد بن سعيد .

(٤) وفى « المعالم » جـ ١ ، ص ١٨٧ : الخناق .

(٥) وفى « المعالم » جـ ١ ، ص ١٨٧ : منظرة . وفى الهامش : ابل منظرة أى معلمة بأعلام .

[وعن] زياد بن سفيان ، قال : سرق رجل حمار أبي عيسى ، فكان يقول في دعائه : اللهم وصاحب الحمار فتب عليه ! قال : فلما كان بعد ذلك إذا برجل قد جاء فسلم عليه . فقال له : «من أنت يرحمك الله ؟» قال : «أنا والله سارق الحمار . فاجعلني في حل . وهذا حمارك .

حدث «سعيد الأدم» عن سكر الناظرين (١) قال : كنت مع أبي عيسى مروان بإفريقية قبل انتقاله إلى الإسكندرية ، وكان يقال إنه مجاب الدعوة . فأخرج ديناراً يشترى به طعاماً في سنة مجاعة وشدة ، فلقى سائلا يقول : «من [ذا] الذى يقرض الله قرضاً حسناً ؟» فقال في نفسه : «لك ثلثه» فجاءه إبليس فوسوس إليه وقال له : «وما عسى أن يقع منك ثلثه في هذا الغلاء ؟» فأراد أن يرغم الشيطان . فقال في نفسه : «لك ثلثاه» قال : فجاءه إبليس ووسوس إليه وقال له : «وما عسى أن يقع منك ثلثاه ؟» قال : فأعطى السائل الدينار كله . ثم عمد إلى جرابه فملأه نشارة ، ثم جاء به إلى زوجته . فألقاه إليها ثم مضى إلى المسجد . فأقام فيه حتى صلى العشاء الآخرة ، ثم أقام في المسجد حتى ظن أن عياله قد ناموا ثم انصرف إلى منزله . فرأى أثر نار فقالت له زوجته : «يا أبا عيسى . لقد جئتنا اليوم بحوارى ما رأينا مثلها قط !» فلما أصبح قال : «يا سكر الناظرين . تعال حتى أطعمك من طعام لم يزرعه زارع ولم يحصده حاصد» .

٨٢ – ومنهم **أبو عبد الله محمد بن أحمد السوسى** ، رضى الله تعالى عنه .

كان رجلا صالحاً فاضلا ورعاً متجرداً من الدنيا زاهداً فيها . أصله من السوس الأقصى ثم انتقل إلى إفريقية ؛ فسكن القيروان وأوطنها ، وصحبه البهلول بن راشد وانتفع به هو وغيره من أهل القيروان .

---

(١) كذا في الأصل . وفي «المعالم» (ج ١ ، ص ١٨٦) : سكن الناظر .

[عن] يحيى بن عمر ، قال إبراهيم بن سنان : صحبت أبا عبد الله السوسى ثلاثين سنة ، فدخلت يوماً وهو يأكل . فقلت له : « بعد ثلاثين سنة ، لم تدعنى إلى طعامك إلا اليوم ! » فقال لى : « إن النبى صلى الله عليه وسلم قال لى فى منام رأيته : « لا يأكل طعامك إلا كل تقى » . ولم يتبين لى تقاك إلا اليوم » .

قال يحيى بن عمر : وكان محمد السوسى يقول : « الفقير إذا سافر يحتاج إلى أربعة أشياء : علم يحرسه ، ووَجْد يحمله ، ووَرَع يسوسه ، وذكر يؤنسه » .

قال : وسئل عن الزهد ، فقال : « الزهد تجريد القلوب ونزوع اليقين بالانصراف سراً وجهراً » . وكان ينادى إذا جنه الليل : « اللهم إنى أسألك بِيَدٍ أضرعتها إليك [بِـبُذل] الافتقار ، أن توصلنى بفضلك إلى عز كل كرامة . وأنا إلهى فى خناق خشيتك مأسور ، أنتظر ما يَرِدُ علىَّ من فضلك ورحمتك ، يا أرحم الراحمين » . ثم خرج أبو عبد الله السوسى من القيروان إلى المشرق ، فتوفى بالطور ، رضى الله تعالى عنه .

٨٣ — ومنهم **أبو حفص عمر بن عبد الله الفتال** ، من الأبدال [١] .

وكان من فضلاء المؤمنين ومن الأصفياء المجتبين . [رُوى] عن عبد الله ابن الوليد صاحبِ سحنون : وكان أبو حفص قد جعل على نفسه ألا يضحك أبدا ولا ينام مضطجعاً ولا يأكل سميناً . فما رُئى ضاحكاً ولا مضطجعاً ولا آكلا سميناً ، حتى مات رحمه الله تعالى .

---

(١) جاء فى لسان العرب لابن منظور فى معنى « الابدال » : « والأبدال قوم من الصالحين ، بهم يقيم الله الأرض ، أربعون فى الشام وثلاثون فى سائر البلاد ، لا يموت منهم أحد الا قام مكانه آخر ، فلذلك سموا أبدالا . وواحد الأبدال العبّاد بِدْلٌ وبَدَلٌ ، وقال ابن دريد : الواحد بديل ؛ وروى ابن شُمَيْل بسنده حديثا عن على كرم الله وجهه أنه قال : الأبدال بالشام والنجباء بمصر والعصائب بالعراق .... قال ابن السكيت : « سمى المبرزون فى الصلاح ابدالا ، لأنهم ابدلوا من السلف الصالح » ، قال : والأبدال جمع بَدَلٌ وبِدل ، وجمع بديل بَدْلَى ، والأبدال الأولياء والعباد ، سموا بذلك لأنهم كلما مات منهم واحد أبدل بآخر » — اللسان ج ١٣ ص ٥١ (مادة بدل) .

قال عبد الله بن الوليد: « أصاب الناس ريح وظلمة، فخرج الناس إلى الجامع فوجدوه ساجداً وهو يبكى ويقول فى سجوده : « اللهم احفظ محمداً صلى الله عليه وسلم فى أمته، ولا تشمت بنا أحداً من الأمم، وإن كنت أخذت القوم بذنبى فهذه ناصيتى بين يديك » [فلم يزل كذلك حتى سكن الريح وانجلت الظلمة] (١).

وكان يقول فى مناجاته (٢) : « إلهى ، أسألك مسألة مدهوش بهره وقار جلالك ، وأسألك حيرة لبيب حصرته (٣) رؤية إفضالك ، وأسألك إطراق مفكر لا يدرى ما الجواب وقد تقدم (ص ٤٠) إليه إعذارك ، وأسألك إخبات خاشع قد ملك عقله إعظامك، وأسألك قلق الوجلين وروعة الخائفين وخلوة المستكينين، وأسألك دمعة مسريها من ماء معين ، لايفنى مددها ، ولا تنفد مجاريها الأحزان ، كمثل شجرة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها » .

وكان يقول : « اللهم إن كنت تعلم أنى أعبدك حباً لك وشوقاً إلى رؤية وجهك الكريم فى الجنة ، فأبِحنيه مرة فى الجنة واصنع بى ما شئت » ، وكان كثيراً ما يقول : « نزلنا حيث رحل الناس » .

٨٤ — ومنهم **أبو سليمان ربيع بن عبد الله الناسك** ، [القيروانى الصوفى] (٤)، رضى الله تعالى عنه .

كان من أهل الفضل والدين . تخلى عن الدنيا وتجرد منها وسلك طريقة أهل الصدق فى الانقطاع إلى الله عز وجل ، وكان كثير السياحة والتغرب عن الأوطان ، وسكن « جبل اللُّكام » بالشام ، وصحب الأبدال .

---

(١) التكملة من « المعالم » — ج ١ ، ص ١٨٨

(٢) فى هامش الأصل كلمة : مناجاة .

(٣) « وقيل : حصر لم يقدر على الكلام ، وحصر صدره ضاق ، والحصر ضيق الصدر ، واذا ضاق المرء عن أمر قيل حَصِرَ صدر المرء عن أهله .. وحصره يحصره حصرا فهو محصور وحصير ، وأحصره ، كلاهما حبسه عن السفر أو من حاجة يريدها ... وحصرنى الشىء وأحصرنى : حبسنى» . لسان العرب ، مادة « حصَرَ » ج ٥ ، ص ٢٦٩ — ٢٧٠

(٤) التكملة من « المعالم » . وقد أورد ابن الدباغ سيرة ابن سليمان هذا بتفصيل أوفى مع تعليق من ابن ناجى — ج ٢ ، ص ٢٠٠ .

قال أبو سليمان : سلكت طريق « تبوك » فاستوحشت ، فهتف بى هاتف وهو يقول : « يا هذا ، نقضت العهد . لم تستوحش ؟ أليس حبيبك معك ؟ » . وقال أبو عبد الله الزاهد ، وكان قد صحب ربيعاً هذا ، قال : « مرض ربيع مرضة فاشتهى الرمان ، فطلب له بكل وجه ، فلم يوجد ، فخرج إلى البحر فاستقبل القبلة ودعا ، فأتاه آت بسبع رمانات ، فوضعهن فى حجره . وانصرف » .

٨٥ — ومنهم **مسافر بن سنان الواعظ** ، رضى الله تعالى عنه .

كان رجلا صالحاً فاضلا يجتمع إليه الناس للذكر والمواعظ ، فانتفع به وعلى يده جماعة من الناس . قال سليمان بن سالم فى « مجالسه » : كان مسافر ابن سنان بالقيروان ، وذكر مواعظه ، ثم قال : لقد أخبرنى يحيى بن زكريا بن الحكم عن أبيه ، قال : قلت للبهلول بن راشد : « يا أبا عمر ، أرأيت هذه القراءة التى تقرأ عندك ، أشىء رويته عن السلف فترويه عنك ، أم شىء رأيته ؟ » فقال لى : « ما أخذته عن أحد ، إلا أنى كنت عند معلمى أحفظ ، وكان يرسلنى ، فكنت أمر على مسافر بن سنان فى المسجد الجامع وهو يذكر الناس ويعظهم وقوم من القراء يقرأون ، فأقف عليه وأستحلى سماع ذلك فأبطىء على معلمى . فحاسبت نفسى وقلت : لا يسوغ لى هذا ولا يسعنى ذلك لأنى مستأجر . فكنت آخذ من معلمى طريحة أعملها بأجرة معلومة ، وأسقطت العمل بالأيام . فكنت أعمل طريحتى فإذا فرغت منها مضيت إلى مجلس مسافر فأسمع ما يجرى فى مجلسه من المواعظ والذكر فانتفعت بذلك ، وبقيت حلاوة تلك المجالس فى قلبى ومنفعتها إلى الآن » . قال البهلول : « وهؤلاء القراء إن أتونى سمعت قراءتهم ، وإن غابوا لم أرسل وراءهم » . قال أبو بكر : ولم أجد لمسافر هذا خبراً ولا أثراً أنقله عنه .

ذكر الطبقـــة الثالثة

٨٦ – منهم **البهلول بن راشد الحجرى الرعينى** ، مولى لهم فضله أشهر من أن يذكر .

سمع من مالك والليث بن سعد والحارث بن نبهان ويونس بن يزيد (١) . وسمع بإفريقية من ابن أنعم وموسى بن على بن رباح . سمع منه سحنون وعون ابن يوسف وأبو زكريا الحفرى وعبد المتعال (٢) [وخالد بن يزيد وأبو سنان] (٣) وسمع منه يحيى بن السلام حديثاً واحداً ، وروى عنه عبد الله [بن] (٤) مسلمة القعنبى . قال القعنبى : حدثنى البهلول : « وهو وتد من أوتاد المغرب » (٥) . وروى عنه مسلم بن الحجاج فى « سننه » ، وذكر ابن الجهم عن يزيد الفقير أنه روى عنه ، قال : لقيته بالمغرب ، قال : وكان حسن الهيئة . وذكر ذلك ابن الجهم فى « كتاب الجزية » . كان مولده ومولد عبد الله بن غانم وعبد الرحمن بن القاسم فى ســـنة واحدة ، سنة ثمـان وعشرين ومائة . وتوفى رحمه الله تعـالى سنة ثلاث وثمانين ومائة ، بعد وفاة على بن زياد بخمسة وثلاثين يوماً . ودفن « بباب سلم » وقبره هناك مشهور . وألف ديواناً فى الفقه العالى على مذهب مالك ، وربما مال إلى قول الثورى .

ومن بعض ما يتصل بنا إسناده ما حدثنا عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم خرج من بعض بيوته إلى المسجد فلم ير فيه أحداً .

---

(١) ذكره القاضى عياض فى « ترتيب المدارك » (مخطوط دار الكتب المصرية) ج ١ ، ص ٤٤٨ : زيد .

(٢) فى « المعالم » ج ١ ، ص ١٩٧ : عبد المتعالى .

(٣،٤) التكملة من « المعالم » ج ١ ، ص ١٩٧

(٥) فى « المعالم » ج ١ ، ص ١٩٨ : الأرض .

فسمع في زاوية من زوايا المسجد صوتاً فأتاهم فقال لهم : « الصلاة تنتظرون ؟ أما إنها صلاة لم تكن فى الأمم قبلكم ، وهى العشاء الآخرة » . ثم نظر إلى السماء فقال : « إن النجوم أمان السماء ، فإذا انطمست أتى السماء ما توعد . وأنا أمان لأصحابى فإذا أنا مت أتى أصحابى ما يوعدون . وأصحابى أمان لأمتى فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون » . قالوا : « يا رسول الله ، وما يأتيهم ؟ » قال : « التفاخر ، والتكاثر ، وقول الأشرار ، وعمل الفجار ، وتأتلف ألسنتهم وتختلف قلوبهم ، يظهر بينهم الصفارون » . قالوا : « يا رسول الله ، وما الصفارون ؟ » قال : « قوم تكون تحيتهم التلاعن فالعنوهم ، لعنهم الله » .

ذكر فضله ومناقبه : فمن ذلك ما حدث به الشيخ الفقيه أبو عبد الله ابن الأحدانى (١) رحمه الله تعالى عن سليمان بن سالم ، قال : نظر مالك إلى البهلول فقال : هذا عابد بلده . ونظر إلى عبد الله بن غانم فقال : هذا قاضى بلده . ونظر إلى عبد الله بن فروخ فقال : هذا فقيه بلده . فكان كما قال . وكان البهلول من الفقهاء لكن غلب عليه العبادة ، وابن غانم فقيه لكن لما ولى القضاء غلب عليه اسمه .

وذكر « حمديس » أنه سمع سحنوناً يقول : كان البهلول [بن راشد] ورباح بن يزيد ، وكان الذكر لرباح ، فلما مات عاد الذكر للبهلول . وما ذاك إلا من هيبة (٢) كانت للبهلول . وقال سحنون : مثل العلم القليل فى الرجل الصالح مثل العين العذبة فى الأرض (ص ٤١) العذبة يزرع عليها صاحبها زرعاً فينتفع به ، ومثل العلم الكثير فى الرجل الغير صالح مثل العين الخرارة فى الأرض السبخة تهدر الليل والنهار لاينتفع بها . وكان سحنون يقول على اثر هذا : البهلول كان رجلا صالحاً ولم يكن عنده من الفقه ماعند غيره . [ولكن] (٣) نفع الله تعالى به . وذكر رجلا آخر صحب السلطان فقال : إنه بحر من البحور ما نفعه الله بعلمه . وكان سحنون يقول : إنما اقتديت فى ترك السلام على أهل الأهواء والصلاة خلفهم بمعلمى البهلول .

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعلها « الاجدابى » .

(٢) فى الأصل : خيبة . وفى « أبى العرب » ص ٢٥ : خشية .

(٣) التكملة من « المعالم » ج ١ ، ص ١٩٩ .

[وقال] أبو عثمان سعيد بن الحداد : ما كان بهذا البلد أحد أقوم بالسنة من رجلين : بهلول فى وقته وسحنون فى وقته . وعنه . قال : أقبل أبو محرز إلى بهلول بعوده فلما انتهى إلى درب البهلول الذى فيه داره قيل للبهلول : أتاك أبو محرز لعيادتك . فقال : قولوا له : إن كنت على رأيك فلا تقربنا .

[وروى] عن أبي عثمان (١) قال : سمعت أبي يقول : مررت بسقيفة العراق وهم يتناظرون فى الاعتزال ، فوقفت أسمع منهم مناظرتهم ، فبلغ ذلك البهلول . فلما جئته قال : « يا محمد ، بلغنى أنك مررت بسقيفة العراق فوقفت إليهم تسمع إلى مثل هذا ، فلا تقربنى » . وأغلظ علىّ .

قال سحنون : ولقد أتيت يوماً إلى البهلول فوافانى رجل من أهل الأهواء على بابه ، وسألنى عن الشيخ ، فما رددت عليه جواباً ، والشيخ يسمع ذلك ، فلما دخلت على الشيخ سلمت عليه ، فلم يرد على السلام ، وأعرض عنى ، فلما خرج الناس من عنده تقدمت إليه ، فجثوت على ركبتى بين يديه ، فقلت له : « ما خبرى وما قصتى ؟ » فقال : « يسلم عليك رجل من أهل الأهواء ويسألك عنى ! » فقلت له : « والله ما رددت عليه جواباً » قال ، فقام لى عند ذلك وقال لى : « مرحباً وأهلا » ، وسلم علىّ وقال لى : « إن هذا الذى أمرتك به تعرف به الحق من الباطل » .

وقال بعض أصحابه : كنت يوماً جالساً عنده ومعه رجل عليه لباس حسن وهيئة ، فقال له البهلول : « أحب أن تذكر لى ما تحتج به القدرية » . فسكت [الرجل] حتى تفرق الناس ثم قال له : « يا أبا عمرو ؛ إنك سألتنى عما تحتج به القدرية ، وهو كلام تصحبه الشياطين ، لأنه سلاح من سلاحهم ، فتزينه فى قلوب العامة ، وفى مجلسك من لا يفهم ما أتكلم به من ذلك ، فلا آمن أن يحاو بقلبه منه شىء ، فيقول : سمعت هذا الكلام فى مجلس البهلول » . فقال له : « والله لأقبلن رأسك ، أحييتنى أحياك الله » .

---

(١) أبو عثمان حاتم بن عثمان المعافرى («أبو العرب» ، ص ٧١ — ٧٢) .

[عن] سعدون بن أبان ، عن دحيون ، قال : كنت بالمدينة فإذا برجل يسأل ويقول : « أها هنا أحد من أهل إفريقية ؟ » فقلت له : « أنا ! » فقال : « من أهل القيروان ؟ » قلت : « نعم » قال : « أتعرف البهلول [بن راشد] ؟ » قلت : « نعم » ، قال : فدفع إلى كتاباً وقال : « أوصله إليه » . فدفعت إليه الكتاب ، ففضه فإذا فيه [ ] (١) من أهل سمرقند خراسان : « إنى امرأة مجنت مجوناً لم تمجنه إلا هى » قالت : « ثم إنى تبت إلى الله عز وجل وسألت عن العبّ[ـاد من] النـاس فى أقطار الأرض ، فوُصف لى أربعـة ، بهلول بإفريقيـة رابع الثلاثة . فسألتك بالله يا بهلول إلا سألت الله عز وجل أن يديم لى ما فتح لى فيه » ، قال : فسقط الكتاب من يده وخر على وجهه ، فما زال يبكى حتى لصق الكتاب بطين دموعه ثم قال : « يا بهلول ، [ذُكرت] بسمرقند (٢) خراسـان ! الويل لك يا بهلول من الله إن لم يستر الله تعالى عليك يوم القيامة ! » .

وبإسناده عن عثمان قال : « بلغنى أنه كان عند البهلول طعام ، فغلا السعر فأمر فبيع له ، ثم أمر من يشـترى له ربع قفير ، فقيل له : تبيع ثم تشترى ؟ فقال : نفرح إذا فرح الناس ، ونحزن إذا حزنوا » قال أبو ذرجونة : « إنى استعقبت ليلة جمعة وضربت بمقرعة ، فأخبرت البهلول من الغد ، فقلت له : إنى استعقبت ، ونزعت عنى أسمالى . قال ، فأكب علىَّ يسألنى أن أجعل من فعل ذلك فى حل ، فقلت له : يا أبا عمرو ، فعلوا بى وفعلوا ، وأجعلهم فى حل ؟ فقال : أيسرك أن يحال بين أخيك المسلم وبين الجنة بسببك ؟ قال : فلم يزل يلطف بى ويسألنى ، حتى جعلتهم فى حل » .

وعن رجل من أصحاب البهلول ، قال : جئت إلى البهلول وبين يديه ابنته (٣) وعليها ثياب مصـبغة وهى طفلة ، فقال : « ما أحب شيئاً [مثل] حبى لهـا ، وإنى أحب لو قدمتها » . فانصرفت عنه ، ثم عدت إليه فإذا الناس مجتمعون

---

(١) بياض بالأصل . وفى أبى العرب (ص٥٥) : امرأة من

(٢) التكملة من طبقات أبى العرب ، ص ٥٥

(٣) وفى « المعالم » ج ١ ، ص ٢٠١ : بنية له .

على بابه ، فقلت : « ما للناس مجتمعون ؟ » فقيل لى : « توفيت ابنة البهلول » فدخلت إليه ، فلما عزيته ووليت عنه ، لحقنى فقال لى : « سألتك بالله ، لاتذكر لأحد ما كان منى مادمت حياً » ، يريد ما كان منه فى تمنيه فى صدر ذلك اليوم لموت ابنته ، فقلت له : « والله لا ذكرته ما دمت حياً » .

حدث أحمد بن إبراهيم ، قال : « دفع بهلول دينارين إلى رجل وأمره أن يشترى له بهما زيتاً من الساحل [و] يستعذبه له ، فلما انتهى الرجل إلى الموضع سأل عن الزيت العذب فذكر له إنه عند رجل نصرانى ، وليس بالموضع زيت أعذب منه ، فانطلق إليه فسأله أن يبيع منه بالدينارين ، وقال : إنما أردته للبهلول . فقال له النصرانى : « فنحن نتقرب إلى الله بالبهلول كما تتقربون به إلى الله تعالى » ، فأعطاه بديناريه من ذلك الزيت الذى ليس بالموضع أعذب منه مقدار ما يباع بأربعة دنانير من الزيت الدون ، ثم قدم على بهلول فأخبره بجميع ما صنع مع النصرانى ، وما سمح له به ، وما قال له . فقال له البهلول : « قد قضيت حاجة فاقض الأخرى : اردد علىّ الدينارين . فقال له الرجل : « ولم ، أصلحك الله ؟ » قال : « ذكرت قول الله عز وجل : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله) ، فخشيت أن آكل من زيت النصرانى فتحدث له مودة فى قلبى ، فأكون ممن واد من حاد الله ورسوله على عرض من الدنيا يسير » .

عن أبى عثمان (ص ٤٢) قال : أتى هرثمة بن أعين وهو والى إفريقيـة [حتى انتهى] إلى [مسجد] البهلول برجاله وألويته ، وكان [البهلول] فى مسجده مستنداً إلى عمود ، فمال هرثمة عن السرج لينزل [فلم يزح بهلول رأسه عن العمود] ، فلما رآه لم يرفع رأسه إليه ولم ينهض إلى التمام ، رجع إلى سرجه ، وقال لبعض أعوانه : « ادفع هذا المزود الدراهم إليه ، وقل له : يأمرك الأمير أن تفرقه ، [فأقبل عليه رسوله وأمره بما أمره به][1] فقال له البهلول : « قل له أنت أعرف بموضعه منى » وأبى أن يقبله .

---

(١) العبارات التى بين أقواس فى هذا الخبر مأخوذة من أبى العرب — ص ٥٦

[حدث](1) عبد الله بن سعيد الحداد ، عن أبيه عن جده ، قال : كان لقوم من النحاسين على بهلول عشرون ديناراً ، وكان لبهلول مع دحيون عشرون مثلها ، فوقف ببهلول سائل ، فقال لدحيون : « ادفع إليه ديناراً من العشرين » ، ثم أقبل إلى بهلول أصحاب العشرين ، فقال لهم بهلول : « حضر منها تسعة عشر ديناراً » ثم قال لدحيون : « عدها عليهم » ، فعدها ، فأصاب عشرين ديناراً ، فقال لبهلول : « أراها عشرين ! » فقال له بهلول : « لا إله إلا الله ! أراك لا تحسن العدد » ، وإنما قال هذا مخافة أن يظهر الله تعالى عليه هذا الأمر . ومما يسند هذه الحكاية أن عامر بن قيس كان يأخذ عطاءه فيجعله في ردائه ، فلا يلقى أحداً من المساكين فيسأله إلا أعطاه ، فإذا دخل على أهله رمى بها إليهم ، فيزنونها فيجدونها سواء كما أعطيها .

[روى] ابن الحداد قال : حدثتني أمي عن [غُزيل] سرية البهلول قالت : أقمت مع البهلول ثلاثين سنة فما رأيته نزع ثوبه عن جسده قط ، ولا رأيته مصلياً نافلة قط . كان يأتيني فيرقدني كما ترقد الأم ابنها ، ثم يدخل المرحاض ، فيتهيأ للصلاة ، ثم يصعد إلى غرفته فيغلقها بيني وبينه ، فما كنت أدري أحيّ هو أو ميت ، غير أني كنت أسمع سقطته من آخر الليل ، فأظن أنه استثقل نوماً فسقط » .

حدث بعض مشايخنا قال : دخل مُغيث(2) بن رباح على البهلول في مسجده فقال له البهلول : « يا أبا أحمد ، ما جاء بك ؟ » فقال : « يا أبا عمرو ، قد عزمت العام على الخروج إلى الحج » فقال له : « يا أبا أحمد ، أما كنت حججت ؟ » فقال : « نعم ، قد حججت ، ولكني اشتقت إلى بيت الله الحرام وإلى قبر النبي عليه الصلاة والسلام » ، فقال له البهلول : « فكم هيأت لخروجك ؟ » فقال : « مائة دينار » فقال له البهلول : « فهل لك أن تأتيني بها ، فأصرفها

---

(1) أورد أبو العرب (ص٥٦) هذا الخبر بالاسناد التالي : قال أبو بكر محمد بن محمد بن اللباد : حدثني أبو عثمان سعيد بن محمد ، قال : سمعت أبي رحمه الله يقول : .. الخ .

(2) في المعالم : معتب بن رباح .

فى مواضع ، وأضمن لك على الله عز وجل عشر حجج مقبولة ؟ » فقام مغيث سريعاً فأتى بالصرة ، فأفرغها البهلول تحت جلد كان قاعداً عليه ، وقعد مغيث ابن رباح ، فلم يزل يدخل الرجل فيعطيه [البهلول] خمسة وآخر يعطيه ثمانية وآخر يعطيه عشرة ، فواحد يقول له : « تزوج منها ، وعش بالباقى » وآخر يقول له : « عد بها [1] على عيالك وصبيانك » ، وآخر يقول له : « استر بها وجهك » ، فلم يقم حتى نفدت المائة .

وكان « بالسدرة » بالقيروان رجل صالح يقال له أبو سليمان الأعمى ، وكان من أهل الدين والفضل ، وكان ربما أدلج إليه صقلاب بن زياد الهمدانى ودنيج وأبو الغصن ، وهم من أصحاب البهلول ، يتبركون بالصلاة خلف أبى سليمان ، فأخبر أبو سليمان أنه أتاه آت فى تلك الليلة ، فقال : « يا أبا سليمان ، امض إلى مغيث بن رباح فأخبره أن الله ، تبارك وتعالى ، قد وفى له بما ضمنه له بهلول » . قال أبو سليمان : « فغلب على النوم ، ثم أتانى الثانية فقال : يا أبا سليمان ، امض إلى مغيث الساعة ، قبل أن يطلع الفجر ، فأخبره أن الله عز وجل وفاه ما ضمن له البهلول » فقام أبو سليمان تلك الساعة ، فأتى إلى باب مغيث بن رباح ، فدق عليه الباب ، فخرج إليه مغيث فقال : « يا أبا سليمان ، ما جاء بك فى هذه الساعة ؟ » فقال : « أرسلت إليك أخبرك أن الله عز وجل قد وفى لك ما ضمن لك البهلول عند الله تعالى » .

[وعن] عبد الله بن الوليد [قال : كان عند البهلول] شاب [2] يطلب عليه العلم ، ثم أقبل على المجانة ، فأعلم البهلول بذلك ، فساءه ما بلغه ، فبينما هو يوماً جالس إذ خطر به الشاب وتحت ثوبه طنبور ، فقيل للبهلول : « انظر أصلحك الله إليه وإلى ماتحت ثوبه ! » فتأمله البهلول ، فعرف تصديق [3]

---

(١) فى المعالم (جـ ١ ، ص ٢٠٣) : وسع .

(٢) التكملة من « المعالم » جـ ١ ، ص ٢٠٥ .

(٣) كذا فى الأصل وفى « المعالم » (جـ ١ ، ص ٢٠٥) : والصواب صدق .

ما قالوا ، فقال للقائل : « لعله إنما ذهب به ليكسره ! » فلما كان بعد ذلك بقريب مضى البهلول بنفسه إلى دار الشاب ، فقرع الباب ، فقالت له أمه : « من هذا ؟ » فقال لها : « بهلول » ، فقالت له : « ما تريد ؟ » قال : « ولدك ! » فلم يزل به حتى خرج عليه الشاب فسلم البهلول عليه وقال له : « يا ابن أخى ، ما لك اشتغلت عنا ؟ أكل هذا زهادة منك فى الخير ؟ » وأخذ يعظه ويرفق به ويتعاهده بذلك ، حتى رجع الفتى عما كان عليه من المجانة ، وعاود مجلس البهلول ، وكان له شأن ، ونفعه الله تعالى ببهلول وصحبته .

وذكر (١) عنه رحمه الله تعالى أنه صنع طعاماً ، وأحضر له جماعة من أصحابه ، فقالوا : « يا أبا عمرو ، لم صنعت هذا الطعام ، وليس عندك شىء يصنع لأجله الطعام ؟ » فقال : « إنى كنت خائفاً من أن أكون من البربر ، لما جاء فيهم [من] الحديث ، فسألت عن أصلى من يعلمه ، فأخبرت انى لست من البربر فأحدثت لذلك هذا الطعام شكراً لله عز وجل ، إذ لم أكن من البربر » .

وحضر يوماً عند المغيب فى دار ابن غانم ، وكان شهر رمضان ، فقرب الماء لغسل يد من كان حاضراً عنده ، فغسلوا وغسل البهلول يده ، ووضعها على المائدة ولم يأكل ، فقال له ابن غانم : « ما لك لم تأكل ، أما كنت صائماً ؟ » فقال له البهلول : « سبحان الله ! ألا أصوم رمضان ؟ » فقال له ابن غانم : « أفسلطان أنا ، طعامى حرام ؟ » فجعل البهلول يعتذر (ص ٤٣) إليه ويقول : « طعامك لا أجد فى بيتى مثله ، وإن تكلفته شق ذلك على [وأنا أكره ما يشق على » ، وابن غانم يهذر ويعيد علينا كلامه الأول والبهلول يعتذر إليه] (٢) ولا يزيده على هذا الاعتذار إلى أن فرغ الناس من الأكل . [ثم خرج بهلول ، وخرجت معه ، فجعل يتأمل ما كان من ابن غانم إليه ويكرره حتى بلغنا سوق اليهود] (٣)

---

(١) أورد أبو العرب هذا الخبر وأسنده الى محمد بن محمد بن خالد القيسى ، قال : حدثنى عبد الرحمن بن عمران عن عون ابن يوسف . . . — الطبقات ، ص ٥٨ .

(٢ ، ٣) التكملة من ابى العرب (ص ٥٥) وقد ورد فيه فى الفقرة الأخيرة لفظ « يتعامل » فاستبدلته بلفظ « يتأمل » .

وكان رحمه الله متواضعاً : حدث أبو محمد عبد الله بن يوسف الحبى [1] قال : بلغنى أن رجلا قال لبهلول : « يا بهلول . يا مرائى ! » فقال له بهلول : « قد أخبرتها بذلك — يعنى نفسه — فأبت علىّ ولم تقبل منى ، [فالآن] اجتمع عليها شهادتك وعلمى بها . فشهادة اثنين خير من شهادة واحد » . [حدث] أبو زكريا الحفرى قال : « كنت عند بهلول وهو يتفلى . إذ أقبلت امرأتان فقالت إحداهما للأخرى : « أتريدين أن أريك بهلولا ؟ » — فقالت لها صاحبتها : « نعم » ، فقالت لها : « هذا الذى يتفلى » . فقالت : « لئن تسمع بالمعيدى خير من أن تراه » . قال أبو زكريا : فأقبل علىّ بهلول فقال لى : « أتريد أن أريك من غرفتى [2] هذه المرأة التى عرفتنى ؟ » . وسأله سائل عن مسألة ، فأجابه ، وقال : اذهب إلى الفارسى — يعنى ابن فروخ — فذهب السائل إليه فأجابه بمثل جواب البهلول ، فانصرف الرجل إلى البهلول فسأله فيها أيضاً . فقال له البهلول : أليس قد دلك؟قال : بلى ، وقد أجابنى . فقال له البهلول : فلعلك تفضل بعض الناس على بعض ؟ والله لو كانت للذنوب رائحة ما جلستُ إليك ولا جلستَ إلىّ .

[روى] أبو سنان قال : « سمعت البهلول يقول : إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى العلماء فضرب عليهم بسور من نور ثم يقول : « إنى لم أضـ[ـع] حكمتى فيكم وأنا أريد أن أعذبكم . تعافوا وادخلوا الجنة » . قال أبو سنان : فقيل للبهلول : « ما معنى تعافوا ؟ » فقال : « قول بعضهم فى بعض : فلان ليس يعرف شيئاً » [3] . وقال : « ما أعمال البر كلها عند الجهاد فى سبيل الله تعالى إلا كبصقة فى بحر ، وما أعمال البر كلها والجهاد عند طلب العلم إلا كبصقة فى بحر » .

---

(١) كذا فى الأصل . وقد أورد ابن ناجى هذا الخبر فى المعالم ، ولكنه لم يذكر نسبة هذا الراوية .

(٢) فى الأصل من غير نقط ، وفى « المعالم » (ج ١ ، ص ٢٠١) : عرفنى .

(٣) ورد هذا الخبر على هذه الصورة بالضبط فى طبقات أبى العرب (ص ٥٤) ومعالم الايمان (ج ١ ، ص ٢٠٥) . ولم أجد فى القواميس هذا المعنى الذى ذكره البهلول للفظ « تعافوا » ، والغالب أن معناها : تبادلوا العفو فيما بينكم .

روى عن البهلول أنه كان يقول : بينما رضوان واقف على باب الجنة إذ سمع فيها حركة. فقال : « يا رب ، خلقت هذه الدار وجعلت مفاتيحها بيدى وما ظننت أن أحداً يدخلها بغير علمى »، فأوحى الله عز وجل إليه : « يا رضوان، هؤلاء قوم عبدونى فى الدنيا سراً فأدخلتهم الجنة سراً لئلا يروا أهوال يوم القيامة ».

دعاء : وكان رحمه الله تعالى كثيراً ما يدعو بهذا الدعاء . قال عبد الله : « رأيته بخط محمود المتعبد بالمنستير وهو : « اللهم إنى أسألك باسمك العظيم الأعظم وأسألك باسمك الكبير الأكبر . يا الله ، يا الله ، يا الله . أنت نور كلّ نور ، وأنت نور السموات والأرض . أسألك بنور وجهك يا كريم ، يا فتاح ، يا فتاح يا فتاح . يا قادر ، يا قادر ، يا قادر . وبنور وجهك يا قادر ، وبنور وجهك يا قادر ، وبنور وجهك يا قادر ، وبنور وجهك يا قادر يا حليم ، وبنور وجهك يا حليم ، وبنور وجهك يا حليم ، (١) أسألك أن توجب لنا رضوانك الأكبر ، والدرجات العلى من الجنة ، وتعفينا من النار ، ومن سخطك ؛ وتمن علينا بحفظ كتابك حتى [نتلوه على الوجه الذى يرضيك] (٢) عنا » قال البهلول : وإياك أن تدعو به فى شىء من أمور الدنيا، اللهم إنى قد بلغت » . وكان رحمه الله تعالى يقول فى دعائه : « اللهم ارضنى بقضائك وبارك لى فى قدرك ، حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت » .

ذكر محنته رضى الله تعالى عنه : كان رحمه الله تعالى فى زمان محمد ابن مقاتل العكى أمير إفريقية (٣). وكان يلاطف الطاغية ويبعث إليه بالألطاف ويكافئه الطاغية ، فكتب الطاغية إلى العكى أن ابعث إلىّ بالنحاس والحديد والسلاح . فلما عزم العكى على ذلك و[أراد] أن يبعث إليه بما طلب، لم يسع البهلول السكوت . فتكلم وعارض العكى ، ووعظه. لتزول عنه الحجة من الله عز وجل ،

---

(١) صيغة هذا الدعاء فى الأصل وفى المعالم أيضا مضطربة (ج ١ ، ص ٢٠٥) . وقد بدلت مواضع بعض العبارات حتى يستقيم السياق على نحو مقبول .

(٢) بياض بالأصل ، والتكملة بين الحاصرتين من المعالم (ج ١ ، ص ٢٠٥)

(٣) فى الأصل : أميرا على افريقية .

فلما ألح عليه فى ذلك بعث العكى إليه فضربه . وقيل إنه لما قيده فمدت رجلاه للقيد قال البهلول : إن هذا الضرب من البلاء الذى لم أسأل الله عز وجل العافية منه قط . وقيل إنه لما بعث وراءه ليضربه تحاشد إليه الناس والجماعات . فزاد العكى ذلك حنقاً عليه . فأخرج إلى الناس أجناده ففرقوهم ، وأمر بتجريده وضربه ، فرمى عليه بأنفسهم جماعة ، فضربوا . ثم ضرب أسواطاً دون العشرين ، وحبسه ثم أخرجه فبرأ الضرب من جسمه إلا أثر سوط واحد فنغل ، فكان ذلك سبب موته . [روى] بهلول قال : « أقمت ثلاثين سنة أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت : « بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم » فلما كان يومى مع العكى أنسيت أن أقولها ، فابتليت به » . قال أبو عثمان : وإنى لأقولها كل صباح خمسين مرة وكل مساء خمسين مرة منذكم شاء الله من الدهر . إنما أفتح عينى إليها بروعة . [وحدث] أبو زرجونة ، قال : لما ضرب بهلول دخلتُ عليه ، فبينا أنا عنده إذ سمعت بكاء رجل داخل من الباب وهو يبكى . فإذا هو عبد الله بن فروخ . فأتى فجلس قدام بهلول وهو يبكى ، فقال له بهلول : « سبحان الله يا أبا محمد ، ما يبكيك ؟ » قال : « أبكى لظهر ضرب فى غير حق » ، فقال له : « يا أبا محمد ، قضاء وقدر » قال أبو زرجونة : فنحن (١) جلوس حتى أرسل إليه العكى بكسوة وكيس ، فأبى البهلول أن يقبله ورده مع الرسول ، فرد العكى الرسول إليه وقال له : « يقول لك العكى : « إن كنت لم تقبل منى فاجعلنى فى حل » فقال له البهلول : « قل : له ما حللت يدى من [العقالين] (٢) حتى جعلتك فى حل » فاغتم العكى لذلك وندم . ونظر العكى إليه من حيث لا يشعر البهلول فجعل يقول (ص ٤٤) : « تبارك الله ، كأنه والله سفيان الثورى » ، وكان لباس البهلول قلنسوة حبر وساجاً طرازياً وقميصاً تستريًا ونعلا طايفياً .

---

(١) وفى المعالم : فبينما نحن جلوس اذ أرسل العكى .... (ج ١ ، ص ٢٠٧) .

(٢) فى الأصل : المعافس ، والتصحيح من المعالم ، ج ١ ، ص ٢٠٧

عن أبي جعفر أحمد الكوفى ، الذى كان يسكن « بالمنستير » قال : كنا مع بعض الخلفاء فى غزاة . وكنا معه من أهل الثغور اثنا عشر ألف فارس ، وكان يقضى لنا كل يوم حاجتين نكتب بهما إليه فى رقعة يوصلها الحاجب إليه . فلما بلغنا أن البهلول ضرب بإفريقية تخلخل العسكر ، فأتينا بأسرنا إلى باب الخليفة . فقال لنا الحاجب : « ما بالكم ؟ » فقلنا : « قد جعلنا حوائجنا كلها فى نصرة البهلول » فقال لنا الحاجب : « اتقوا الله فى دم العكى . ليس يبلغ الخليفة أن العكى ضرب البهلول إلا قتله ، وكيف يضرب البهلول بإفريقية ، إلا أن يكون أهل إفريقية ارتدوا عن الإسلام ؟ ولكن اصبروا ، فإن صح الخبر رفعت أمركم » ، فرجعنا من الغزو قبل أن يتبين لنا صحة الخبر ، فرضى الله عن البهلول [و] ختم الله عز وجل أعماله بالشهادة بهذا الابتلاء الذى اختاره الله له ليوصله الله عز وجل بذلك إلى أعلى الدرجات وأكرم المقامات .

٨٧ — ومنهم **ابو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن غانم بن شرحبيل ابن ثوبان الرعينى**(١) .

قاضى إفريقية وصاحب مالك بن أنس ، رضى الله تعالى عنهم . كان فضله وعلمه وورعه أشهر من أن ينبه عليه بذكر أحد من الثقات ، وهو من الثقات . روى عن مالك وعليه معتمده ، وروى عن سفيان الثورى وجماعة يطول ذكرهم . وروى عن إبراهيم بن أنعم وخالد بن أبي عمران ، ودخل الشام والعراق فى طلب العلم ولقى أبا يوسف صاحب أبي حنيفة ، وقد أدخله ابن عبدوس فى المجموعة . وكان مولده ومولد البهلول فى ليلة واحدة سنة ثمان وعشرين ومائة ، وقد ذكرناه . وكانت وفاته سنة تسعين ومائة ، وصلى عليه إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقية ، ودفن بباب نافع ، وكانت وفاته فى ربيع الآخر من فالج أصابه .

---

(١) فى الأصل : ابو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن غانم بن شرحبيل ابن يونان بن ثوبان شرحبيل الرعينى ، وقد صححت الاسم من المعالم (ج ١ ص ٢١٥) واسمه فى الطبقات : « عبد الله بن عمر بن غانم » فحسب (ص ٤٣) .

وكان أبوه مذكوراً فى العرب الذين كانوا بإفريقية أيام بنى أمية . قبل دخول المسوِّدة . [و] كان موصوفاً بالشجاعة والقوة : ذكر أنه كان على ساقة الناس فى وقعة « القرن والأصنام » حين خرج حنظلة بن صفوان أمير إفريقية أيام بنى أمية لمحاربة الخوارج الذين أرادوا استباحة القيروان . فيقال إن عمر بن غانم قتل منهم مائة وثمانين (١) . ومن بعض ما يتصل بنا عنه من الإسناد عن داود ابن أبى يحيى عن عبد الله بن عمر بن غانم (٢) وحاتم بن عثمان المعافرى وعبد الله بن أبى حسان اليحصبى قالوا : حدثنا مالك بن أنس ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحب أن يمتثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار » .

ذكر مناقبـــه : بإسناد أن عبد الله بن فروخ قال : دخلنا على سفيان الثورى - أنا وابن غانم والبهلول - فسألناه فى السماع . فأجاب إلى ذلك وقال : « يقرأ علىّ أعربكم كلاماً فإنه ربما قرأ علىّ القارئ يلحن فى قراءته فأحرم نومى وطعامى » . قال : فقرأ لنا عليه ابن غانم شهوراً كثيرة فما رأينا الثورى رد عليه فى قراءته شيئا ولا أخذ عليه لحنة . وكان مالك إذا دخل عليه ابن غانم ، وقت سماعه ، أجلسه إلى جنبه ويقول : (٣) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه » ، وهذا كريم فى بلده .

ولما ولى قضاء إفريقية بشر مالك بذلك أصحابه ، وقال لهم : « أعلمتم أن الفتى الرعينى الذى كان يأتى إلينا قد استقضى على إفريقية ؟ » . وكان يسره ذلك . وذكر بعض قرابته أن مالك بن أنس عرض عليه أن يزوجه ابنته ويقيم عنده . فامتنع من المقام وقال : « إن أخرجتها معى إلى القيروان تزوجتها » (٤) .

---

(١) ما بين الحاصرتين من « المعالم » ، (ج ١ ص ٢١٦) .

(٢) التكملة من « المعالم » (ج ١ ، ص ٢٣١) .

(٣) كذا فى الأصل ، وصحتها : وقال

(٤) اورد « الدباغ » هذا الخبر فى « المعالم » هكذا : « وروى ان مالكا عرض عليه ان يزوجه ابنته على ان يقيم عنده ، فابى الا ان يرتحل بها الى القيروان » (ج ١ ص ٢٢٧) .

ولما بلغ ابنَ وهب موته غمه ذلك غماً شديداً. وقال: « إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمك الله يا أبا عبد الرحمن. فلقد كنت قائماً بهذا الأمر »، يريد التفقه والعلم.

[روى] سحنون، قال: « قرأ علينا ابن غانم كتاباً من « الموطأ ». فقال له رجل: « يا أبا عبد الرحمن، أيعجبك هذا من قول مالك؟ » فقام ابن غانم وألقى الكتاب من يده، وقال: « أو ليس وصمة عليّ في ديني وعقلي أن أرد على مالك قولة قالها؟ والله لقد أدركت العُباد الذين يتورعون عن الذّر فما فوقه — سفيان ودون سفيان — فما رأيت بعيني أورع من مالك »؛ وهذا من حسن أدبه.

وحدث بعض مشايخنا، قال: مر رباح بن يزيد بعبد الله بن غانم، وبيد رباح قسط زيت. فقال له ابن غانم: أحمله لك يا أبا يزيد؟ فقال رباح: « شأنك به »، وابن غانم إذ ذاك على القضاء، فدفع القسط إليه. وجعل رباح يشق به مجامع الناس. فسلك به على حوانيت البزازين والمواضع المشهورة، حتى انتهى إلى داره، قال له رباح: « أتدرى لم فعلت هذا بك؟ » قال: « لا »، قال له: « بلغني أنك تجد في نفسك فأحببت أن أضع منك ». (1) فقال له ابن غانم: « جزاك الله عني خيراً ». وجرى له مع البهلول مثل ذلك.

حدث بعض أهل العلم، قال: خرج ابن غانم القاضي مع جماعة من أصحابه إلى منزله. وكان فيمن خرج معه سليمان بن زُرعة. وخرج بزوامله ومطابخه. فلما نزل نزع ثيابه واشتمل برادئه. وفعل مثل ذلك بجميع من معه. وكان في صيف ووقت حر، ثم أمر بالطعام فقرب إليهم، وفيه كنافة، وكان ابن غانم يحبها. فلما وضعت بين أيديهم خرق رجل من القوم موضع الزبد من وسط القصعة. فقال له سليمان: « أخرقتها لتغرق أهلها؟ » فقال له ابن غانم: « أتهزأ بكتاب الله تعالى؟ (ص ٤٥) عليّ ألا كلمتك أبدا! » ثم أمر بدابته فقربت إليه. وانصرف راجعاً إلى القيروان.

عن أبي عثمان، قال: « حدثت عنه أن ابنه دخل عليه وقد انصرف من المكتب. فسأله عن سورته فقال له الصبي: حوّلني المعلم من سورة « الحمد »

---

(١) ورد هذا الخبر على هذه الصورة أيضا في «المعالم» (ج ١ ص٢٢٩).

فقال له : « اقرأها » فقرأها ، فقال له : « تهجها » ، قال : فتهجاها، فقال له : « ارفع ذلك المقعد » ، فرفعه فإذا تحته دنانير كثيرة ، قال : وأبو عثمان شاك فى عددها ، إلا أنها أكثر من العشرة ودون العشرين ، قال : فحملها إلى معلمه فدفعها له ، فأنكر المعلم ذلك ، وأتى بها إلى ابن غانم وأخبره أن الصبى أتاه بها فقال له ابن غانم كالمعتذر : « لم يحضرنى غيرها يا معلم ، أتدرى ما علمته ؟ علمتـه « الحمد لله رب العالمين » . لحرف واحد مما علمته خير من الدنيا وما فيها » . وكان [ابن غانم] (١) من أحسن [النـاس] همة فى نفسه ، خلف بعـد وفاته كسوة ظهره (٢) بألف دينار .

ومما يذكر من فصاحته وبلاغته ما ذكره بعض المؤلفين ، قال : روينا أن عبد الله بن غانم — قبل أن يلى القضاء — دخل على يزيد بن حاتم المهلبى فقال له : « ما شئ بلغنى عنك ؟ » فقال : « وما ذاك ؟ أصلح الله الأمير » فقال له : « وقعت بنا عند يزيد بن أبى منصور الرعينى ابن عمك ، وما بلاؤنا عندك وعند أهل بيتك ؟ » فقال : « ما كان ذلك منى . كان المجلس الذى قُرِفت به عندك وأنا إذ ذاك ناقله يوم كذا من شهر كذا ، شاهدى عليك الرقعة بأسرها ، وقد أهللنا هلال شهر رمضان ، فتشايرناه بالأيدى » . فقال له يزيد : « لحنت يا ابن عم » فقال له : « ما هى لحنة » فقال له : « فلم قلت تشايرناه ؟ وإنمـا هو تشاورناه » فقال ابن غانم : « تشاورناه من الشورى ، وتشايرنا من الإشارة بالأيدى » (٣) فقال له ابن غانم : « بينى وبينك أيها الأمير قتيبة النحوى » ، (٤) وكان قتيبة إذ ذاك قد قدم على يزيد وأنزله عنده ، وكان إماماً من أئمة أهل الكوفة ، فبعث إليه يزيد . وكان فى قتيبة غفلة ، فقال له يزيد :

---

(١) التكملة من «المعالم»، وقد نقل هذا الخبر بنصه من المالكى وأسنده اليه (جـ ١ ص ٢٢٨) .

(٢) فى «المعالم» : بدنه (جـ ١ ص ٢٢٨) .

(٣) هنا أسقط الناسخ فقرة ، هى اعتراض يزيد بن حاتم المهلبى .

(٤) اسمه الكامل « قتيبة الجعفى النحوى الكوفى » . انظر « طبقات النحويين واللغويين » لأبى بكر الزبيدى ، مخطوط دار الكتب ، رقم ٦٠٩٦ ح — ص ١٣١ .

« إذا رأيت الهلال كيف تقول ؟ وكيف يكون القول إذا أشرت إليه وأشار غيرك ؟ » قال : « أقول ربي وربك الله ! » فقال له يزيد : « ليس هذا أردنا » فقال له ابن غانم : « دعني أصلحك الله ، فإنه نحوى ، آخذ له من طريق النحو فأفهمه » فقال : « لاتلقنه إذاً » ، فقال له ابن غانم : « إذا أشرت وأشار غيرك . فقلت تفاعلنا فى الإشارة ، كيف يكون ؟ » قال : « تشايرنا » ، فاستحى يزيد وقال : « ظلمناك يا ابن غانم » وأنشد قتيبة لكثير عزة :

فقلت وفى الأحشاء داء مخامر ألا حبذا يا عز ذاك التشاير

قال : « فأين أنت يا قتيبة من التشاور؟ » فقال قتيبة : « هيهات أيها الأمير، ليس هذا من عملك ، هذا من الشورى وذاك من الإشارة » . فضحك يزيد وعرف خطأ قتيبة فأعرض عنه . قال أبو عثمان سعيد بن الحداد : كان ابن غانم كثيراً ما ينشد هذين البيتين فى مجلسه :

إذا انقرضت عنى من العيش مدتى فإن غناء البـاكيات قليل
سيُعرَضُ عن ذكرى وتُنسى مودتى ويحدث بعدى للخليل خليل (١)

ذكر ولايته القضاء وسيرته فيه : ولى فى رجب من سنة إحدى وسبعين ومائة ، وهو ابن اثنتين وأربعين سنة . وكان يكتب إلى ابن كنانة ويسأل له مالكاً عن أحكامه . واختـلف فيمن عقد له القضاء على إفريقية ، فقيل : هرون الرشيد ، وكتب له بذلك كتاباً ، وقيل : بل عقد له بذلك أمير إفريقية روح ابن حاتم ، واتصل ذلك بالخليفة فأقره . وأذكر ماروى لى فى ذلك ليصح عند قارئه ومستمعه : ذُكر (٢) أن أبا عثمان حاتم بن عثمان المعافرى كان صديقاً لابن غانم ، وكان قد رحل معه إلى مالك وسمع منه . فجلس أبو عثمان يوماً مع أناس (٣)

---

(١) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا :
سـتعرض عنى وتنسى مودتى
وتحدث من بعد الخليل خليل
وقد اخذت برواية « المعالم » ، حـ ١ ص ٢٢٨ .

(٢) فى الأصل : وذكر .

(٣) فى الأصل : اياس .

فتكلموا فى ولاية ابن غانم ، فقال بعضهم : لم تكن من أمير المؤمنين وإنما كانت من المسوّدة ، - يعنون الجند - وروح بن حاتم . فقال أبو عثمان : « امرأته طالق بليلته ورقيقه أحرار إن كان ولاه إلا أمير المؤمنين » . ثم إن [أبا] عثمان أتى إلى ابن غانم فأخبره الخبر . فقال له ابن غانم : « كم صداق زوجتك التى تزوجتها [به](١) ؟ » قال : « مائة دينار » قال : « وكم ثمن مماليكك عليك ؟ » قال : « مائة دينار » قال : فدعا ابن غانم بكيس ، فعد لأبى عثمان ثلاثمائة دينار وقال : « خذها يا أبا عثمان ، فقد بانت منك امرأتك وعتق عليك عبيدك » . فهذا دليل على أن أمير المؤمنين لم يوله القضاء . وانتهى من فضله إلى [أن](٢) كاتبه الخليفة فصارت ولايته كأنها من قبله ، إذ أجازها وأمضاها .

وذكر ابن أبى حسان ، قال : مضيت مع ابن غانم إلى منزله الذى « بالريدان » فقال لى : « ما يقول الناس فى ولايتى ؟ » فقلت له : « يقولون إن الذى ولاك روح بن حاتم برأى ابن أبى فروخ » ، فقال ابن غانم : « لا والله ، لقد قال لى روح بن حاتم : والله ما خرجتُ من المشرق إلا وأنت قاض ، وذلك أنى دخلت على أبى يوسف - وهو حينئذ قاضى القضاة لأودعه وكان لى صديقاً - فقلت له : « أصلحك الله يا أبا يوسف ، إن أمير المؤمنين ولانى إفريقية ، فهل لك من حاجة؟» فقال : «أوصيك بتقوى الله عز وجل وبأهل مدينة القيروان . وبها شاب يقال له عبد الله بن غانم قد تَفَقّه وهو حسن الحال ، فوله قضاءها » . فقلت له : « نعم » فودعته ثم انصرفت . فمن ذلك اليوم عقدتُ ولايتك فى قلبى »

كان ، رحمه الله تعالى ، إذا جلس للخصوم رمى إليه الخصماء الشقاف(٣) فيها قصصهم مكتوباً ، فقعد يوماً للخصوم ، فرموا إليه شقافهم . فدعا بها ، فإذا فى شقفة منها مكتوب « نخاسو البغال » ، فدعاهم وسألهم عن قصصهم ، فقالوا له : « اشترى [منا] أبو هارون موسى ، مولى إبراهيم بن الأغلب

---

(١) « المعالم » ، ج ١ ص ٢١٨ .

(٢) فى الأصل : الى ، والتصحيح من «المعالم» ، ج ١ ص ٢١٨ .

(٣) فى الأصل : السقاف .

وصاحب أمره ، بغالا بخمسمائة دينار ولم يدفع إلينا شيئاً . فضم ديوانه، ثم قام إلى إبراهيم . وكان قد أباح له الدخول ، فقال له إبراهيم : « ما قصة القاضي ؟ » فذكر له أمر المتظلمين من أبي هارون . قال : فأحضر ابن الأغلب أبا هارون فسأله عما ذكر ابن غانم ، فأقر به وقال : « إنما أخرته لتجبي خراج قصطيلية فإذا جاء دفعت (ص ٤٦) إليهم . فقال ابن غانم : « إنما ظننت أنه يجحد ، فأوقفه معهم موقف الخصوم ، فأما إذ أقر فإني لا أبرح حتى تدفع إليهم أموالهم .

وبعث مرة الأمير إبراهيم [بن الأغلب] إلى ابن غانم . فلما صار إلى دار الإمارة جلس حتى [يُدخَل على] الأمير ، قال : فنظر ابن غانم في المجلس فإذا برجل يعرف بحاتم الإبزاري ترعد فرائصه . فعرف قصته . وذلك أن كتاب أمير المؤمنين الرشيد ورد فيه أن : « أحضر حاتماً الذي يقال له الإبزاري إليك ، فإن « للفرج » فتى أمير المؤمنين عنده عشرة آلاف دينار ، فاقبضها منه ووجهها إلى أمير المؤمنين » ، وفي أسفل الكتاب : « وأحضره إلى عند عبد الله بن غانم القاضي » . قال : فدخل ابن غانم وحاتم والخراساني — وهو الرسول — [على إبراهيم] فقرأ إبراهيم كتاب هارون حتى [أتى] إلى آخره ، ثم التفت إلى ابن غانم فقال : « يا أبا عبد الرحمن ، هل سمعت ما في الكتاب ؟ » قال : « نعم ، فلماذا أحضرتني ؟ ألي في هذا الكتاب محتمل ؟ » (١) فقال إبراهيم : « بلى ، لعمر الله . ولِمَ آمر بإحضارك ؟ » فقال له ابن غانم : « فأول ذلك أن آمر هذا الرسول بإحضار شاهدين عدلين [على] أن أمير المؤمنين استخلفه على قبض هذا المال ، إن صح له ، ويشهد غيرهما ، أو هما ، من أهل الثقة أن هذا المال لأمير المؤمنين أو « للفرج » فتاه » . فقال الرسول : « أو يكتب أمير المؤمنين بالباطل ؟ » فقال

---

(١) في الأصل : معتمل . وجاء في سيرة ابن غانم في « ترتيب المدارك » لعياض . (ج ١ ص ١٦٥) في سياق هذا الخبر : « ... فلما أكمل ابراهيم قراءة الكتاب قال لابن غانم : سمعت ما فيه ؟ قال نعم . قال ابن غانم : وما أحضرتَ الا لتحمل على قولي فيما في هذا الكتاب . قال ابراهيم : ولم أمرتَ باحضارك اذن ؟ ... » واعتمادا على هذا النص جعلت كلمة « محتمل » مكان « معتمل » .

ابن غانم : « معاذ الله ، أمير المؤمنين أصدق وأكرم [من] أن يأخذ مالا بغير حله ، ولكن قد تُختلق (١) الأشياء دونه » فقال الخراسانى لإبراهيم : « ما يقول الأمير ؟ » فقال : « أقول ما قال القاضى » قال : فقام القاضى ابن غانم وقال لحاتم : « امض أمامى » فقال إبراهيم : « لله دره (٢) من امرئ دحداح — يريد قصير القامة — ما أنفذ بصيرته وأمضى عزيمته ! » .

ونظر ابن غانم إلى قارورة فى يد إبراهيم فيها دهن يسير . فقال له : « ما هذا ؟ » قال : « دهن » ثم قال للقاضى : « كم تظن يساوى هذا ؟ » فقال له « يسير » فقال له إبراهيم : « فإن ثمنه كثير : كذا وكذا » ، وذكر ثمناً كثيراً . فقال ابن غانم : « وما هو هذا ؟ » قال : « السم القاتل » قال ابن غانم : « أرنيه » فدفع إليه القارورة ، فلما أخذها ابن غانم ضرب بها عموداً كان فى المجلس ، فكسرها وأراق ما فيها ، فقال له إبراهيم : « هاه ! ماذا صنعت ؟ » قال : « أفأترك معك ما يقتل الناس ؟ » (٣) .

وركب إبراهيم عمارية (٤) ، ودعا ابن غانم فقال : « اركب معى » ، وأراد أن يشق السماط الأعظم ، فامتنع من ذلك ابن غانم . ثم ركب يوماً آخر وابن غانم معه ، فسلك زرعاً ولم يسلك معه ابن غانم فى الزرع وأخذ فى المحجة . ثم إن إبراهيم صعد يوماً إلى صومعة الجامع — وكانت الصومعة فى الركن الغربى ثم أزيلت بعد ذلك وجعلت فى المكان الذى [هى] به اليوم — فدعا إبراهيم ابن غانم وقال له : « اصعد إلىّ » فأبى ابن غانم من ذلك وقال : « يا قوم !

---

(١) فى الأصل : يخترق . والتكملات فى هذه الصفحة من « المعالم » جـ ١ ص ٢١٩ .

(٢) فى الأصل : ملادة والتصحيح من « المعالم » جـ ١ ص ٢١٩ .

(٣) وردت هذه العبارة فى « المعالم » هكذا : « قال : افاترك معك ما تقتل الناس به اغتيالا ؟ » جـ ١ ص ٢٢٧ .

(٤) العمارية ، بتشديد الميم ، نقالة يحمل فيها الناس او هودج يجلس فيه . وقد يحملها بغل .
cf. DOZY : *Supplément aux dictionnaires arabes,* II. pp. 171. 172.

ألا تعجبون من هذا الأمير ما يريد منى ؟ : مرة يقول اركب معى فى العمارية ويشق السماط كهيئة المجلودين ، لأنه إنما يشق فى السماط بالمجلودين ، ومرة يشق فى زرع الناس بدوابه ، ويريد منى أن أمشى فيه ، ومرة يقول : اصعد معى الصومعة ، وفى صعودى إليها تشرف على حرم المسلمين ونظر إلى عوراتهم . والله لا أفعل ذلك ! » .

[وعن] تميم بن حيران ، قال : « كانت تأتى الكتب – متى(١) تأتى – من عند الخليفة إلى إبراهيم ، ويأتى معها كتابه إلى ابن غانم ، وكان الرسول يسكن إلى قرب « قبة [ابن](٢) عبد السلام » ، فربما أتى إبراهيم وابن غانم إليه ، فأخذ كل واحد منهما كتابه ، ففض إبراهيم كتابه وقرأه على ابن غانم ، وهما جميعاً راكبان يتسايران ، فقال إبراهيم لابن غانم : « قد فضضت أنا كتابى وقرأته عليك ، ففض أنت كتابك واقرأه على » فأبى ابن غانم من ذلك ، فوجد من ذلك ابن الأغلب . فلما صارا جميعاً إلى « مُرَبع(٣) السماط » الذى يؤخذ منه إلى « السقطيين » وإلى ناحية « الإبزاريين » حرك إبراهيم دابته ، فصار قدام ابن غانم ، فتركه بن غانم وعطف فى « زقاق السقطيين » وتمادى إلى داره ، وشق إبراهيم السماط إلى دار الإمارة وهو يظن أن ابن غانم خلفه ، فلما صار إلى باب دار الإمارة افتقده ، فأعلموه أنه فارقه من ذلك الموضع ، فبعث فى طلبه ، فأتاه فقال له : « ما حملك على أن عطفت عنى وفارقتنى ؟ » قال : « أصلح الله الأمير ؛ إنما القاضى بحرمته ، وإنما تنفذ أحكامه بقدر وفور جاهه ، وإنى [رأيتك](٤) حركت دابتك ، ولو حركت دابتى سقطت قلنسوتى ، وإذا سقطت قلنسوتى انكشف رأسى وضحك علىّ الصبيان » .

ويروى أن إبراهيم قال لابن غانم : « إنك فعلت اليوم فعلتين قبيحتين ،

---

(١) فى الأصل : من .

(٢) التكملة من « المعالم » ، جـ ١ ص ٢٢٤ .

(٣) وفى « المعالم » (جـ ١ ص ٢٢٥) : موضع فى السماط .

(٤) التكملة من « المعالم » ، جـ ١ ص ٢٢٤ .

إحداهما منعك قراءتي كتابك ، والثانية مفارقتك لى » . ثم عاتبه على ذلك وأظهر الغضب وقال له : « أوما علمت أن فى الأخبار أن إبراهيم الأمير يقتل عبد الله القاضى ؟ » فقال له ابن غانم : « لست أنت ذلك الأمير ، ولا أنا ذلك القاضى . ذلك الأمير ولدك ، والقاضى هو غيرى » . فقُــدّر أن كان ذلك إبراهيم بن أحمد والقاضى عبد الله بن طالب .

وكان من إكرام الخليفـة لابن غانم وإجلاله له ما يفوق المقـدار ، حتى [إنه] كان إذا كتب كتـاباً لإبراهيم يقول فى كتـابه : « وأنا أعلمك أنى لا أفك لك كتاباً حتى يكون مع كتابك إلىّ كتاب ابن غانم » . فكان إبراهيم لذلك (١) أشد الناس وأكثرهم مداراة لابن غانم ، وكان كثير الإكرام له والتعظيم .

وكان إبراهيم بن الأغلب يصلى بالجامع المكتوبات كلها ، فخرج ليلة من الليالى من داره ، دار الإمارة ، فدخل الجامع لصلاة العتمة ، وكان مشغول القلب فعثر على حصير فسقط ، فلما صلى بالناس وانصرف ، بعث فى طلب ابن غانم ، فأتاه الرسول (ص ٤٧) وقال له : « الأمير يدعوك » فتغير ابن غانم عند ذلك وقال : « فى مثل هذا الوقت يوجه ورائى ؟ » ثم لم يجد بداً من أن قام إليه . فلما دخل عليه قال : « يا أبا عبد الرحمن ، إنى لم أبعث إليك إلا لخير . إنى لما دخلت المسجد اشتغل قلبى عن حفظ نفسى ، فعثرت على حصير فسقطت ، فظننت بالناس أنهم حسبوا أنى منتبذ ، فأحببت أن تكون براءتى عندك ، ولا أبالى بغيرك ، فاستنكهنى » ، فاستنكهه ابن غانم فوجده بريئاً مما قال ، فشكر له ذلك .

[وعن] زياد بن يونس السدرى : كان لابن غانم كاتب ، وكان من عادته أن يتقدم إلى مقعده فى الجامع فيجلس حتى يأتى ابن غانم ، وكان من عادة القاضى أن يبعث بديوانه مختوماً مع وصيف له ، فيبقى بحاله إلى أن يأتى ابن غانم فيركع ركعات ثم يجلس ، فإذا رأى طابعه بحاله فكه ، قال : فتقدم الكاتب يوماً كما كان يفعل ، فبينما هو جالس إذ أتاه كتاب ابنه من باديته ،

---

(١) فى الأصل : عند ذلك ، والتصحيح من « المعالم » ج ١ ص ٢٢٦ .

فجاء وصيف ابن غانم بالديوان على عادته فناوله الكتاب ، فأخذه منه ، ثم فك كتاب نفسه ليقرأه ، فوافق ذلك دخول القاضى . فأبصر الكتاب فى يده ، فبادر الكاتب بالكتاب فأدخله فى كمه . فأتى ابن غانم وما يبصر طريقاً من شغل قلبه ، فركع ركعتين خفيفتين ، وعلى وجهه الكآبة والغضب ، ثم سكت وجلس ، فناوله الكاتب التمطر كما تقدمت عادته ليرى ابن غانم طابعه ويفكه ، فصاح عليه ابن غانم : « كف ! » فكف ، ثم طأطأ ابن غانم ثم تنهد، ثم رفع رأسه وهو يقول : « الله أحق أن يؤثر ، ليس فى الحق من حشمة . ما هذا الكتاب الذى فى كمك ؟ » فاستحى الكاتب واحمر لونه ، ودهش ثم قال : « أصلحك الله ، كتاب أتانى من البادية أخبرونى فيه أن الزريعة قد فرغت ، فابعث إلينا بالزريعة » فقال له ابن غانم : « لا بد من إخراجه » فأخرجه له ، فقرأه ابن غانم فأصابه كما قال ، فسرى عن وجه ابن غانم ما كان ظهر عليه من الكآبة ، ثم أمر بفك الطابع ، ففكه وأخذ فى النظر بين الناس . وهذا غاية فى التوقى والاحتياط .

[روى] أبو محمد بن أبي زيد، رضى الله تعالى عنه ، عن عبد الله بن سعيد ابن الحداد ، عن أبيه ، قال : حُدثت عن القاضى ابن غانم أن اليوم الذى كان يجلس فيه للنظر بين النساء يلبس فيه فرواً دنياً (١) ويلقى عينيه بالأرض (٢) . والذى لم يكن رآه قبل ذلك الوقت يتوهم أنه مكفوف البصر . وكان يزيل الكُتّاب والحجّاب من بين يديه إذا جلس للنظر بين النساء . قال ابن الحداد : وبلغنى أنه كان إذا أشرف على إنفاذ حكم لأحد يصلى حزبه من الليل ، فإذا جلس فى آخر صلاته عرض من أراد أن يحكم له ، على الله عز وجل ، ويقول : « اللهم إن فلاناً خاصم إلىّ فلاناً وادعى عليه بكذا وكذا . فسألت فلاناً عما ادعى عليه فأنكر ، فسألت فلاناً هل عنده فيما يدعيه بينة ، فأحضرنى بينة ، فرضيت حالها وصحت عندى عدالتها بكشفى عنها سراً وعلانية ، وقد أشرفت

---

(١) فى الأصل : دنسا ، والتصحيح من « المعالم » (ج ١ ص ٢٢٠) .
(٢) كذا فى الأصل ، وفى « المعالم » : يصرف بصره الى الأرض (ج ١ ص ٢٢٠) .

على أن أدفع من مال فلان إلى فلان كذا وكذا . اللهم إن كنت أشرفت [1] من ذلك على حق وأمر ترضاه فسددني له ووفقني ، وإن كنت لم أوفق ولم يكن ذلك كذلك فاصرفه عني . اللهم لا تسلمني ! اللهم سلمني ! » ؛ فلا يزال يعرض الخصوم على ربه عز وجل ويسأله التوفيق والتسديد حتى يطلع الفجر .

وذكر سليمان بن عمران، في صبره وحلمه، أن رجلا يقال له ابن زرعة له جاه ورياسة لقي يوماً ابن غانم ، فشتمه في وجهه في موضع خال ليس فيه أحد ، وذلك لأنه حكم عليه بوجه حق ترتب عليه [2] . فاستعداه [3] لذلك ، فأعرض عنه ابن غانم ولم يرد عليه شيئاً ، فلما كان بعد ذلك، لقيه « بطريق الريدان » فسلم عليه ابن زرعة ، فرد ابن غانم السلام ورحب به ؛ ومضى به معه إلى منزله بالريدان ، وأكرمه وعمل له طعاماً كثيراً ، ثم رجع ابن غانم إلى القيروان ومعه ابن زرعة ، فلما أراد مفارقته قال ابن زرعة لابن غانم : « يا أبا عبد الرحمن ، اغفر لي واجعلني في حل مما كان من خطابي » ، فقال له ابن غانم : « أما هذا فلست أفعله حتى أوقفك بين يدي الله تعالى، وأما أن ينالك في الدنيا مني مكروه أو عقوبة فلا » .

وكان سبب موته ، رحمه الله ، الفالج . أخبر أبو الوليد عبد الملك بن قطن الفهري ، قال : « مرض عبد الله بن عمر بن غانم مرضه الذي توفي منه ، فدخلت عليه عائداً فقلت : رفع الله تعالى ضجعتك من هذه العلة إلى إفاقة وراحة ، وأعاد عليك ما عودك من الصحة والسلامة ، فلطالما صححت وعوفيت ، أصلحك الله . فاصبر لحكم الله عز وجل، فإن الله يحب أن يُصبر على بلواه كما يحب أن يشكر على نعماه » فقال : « هو الموت والغاية التي إليها نهاية الخلق، فصبر جميل يؤجر صاحبه خير من جزع لا يغني عنه » ، ثم تمثل :

فهل من خالد إما هلكنا ... وهل بالموت — يا للناس — عار؟

---

(١) في الأصل : اسرفت .

(٢) كذا في الأصل ، وكذلك في «المعالم» (جـ ١ ص ٢٣٠) .

(٣) كذا في الأصل، وكذلك في«المعالم» (جـ ١ ص ٢٣٠) والصواب: عاداه

[روى] سليمان بن عمران، قال: « لما توفى ابن غانم رأى رجل فى النوم، ممن لا يعرف الشعر ولا يقرأ [من] القرآن إلا ما يقيم به صلاته، كأن قائلا [يقول] بأعلى صوته:

زأرت ذئاب بعد طول عوائها لما تضمنه التُّـرْب الملحد (١)

قال فتعجب الناس من رؤياه. وبكي عليه الأمير إبراهيم بن الأغلب، وأقبل « مَعَـد » خال إبراهيم يبكى وينتحب حتى فرغوا من دفنه، وذلك « بجبانة باب نافع »، رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم.

٨٨ – ومنهم **صقلاب بن زياد الهمذانى**، رضى الله تعالى عنه.

قال أبو سنان: كان صقلاب إماماً من أئمة المسلمين مأموناً على ما سمع. قال أبو العرب: سمع من مالك (٢). وهو من طبقة البهلول. سمع منه أبو سنان وداود بن يحيى وغيرهما. ذكر أبو سنان زيد بن سنان أنه كان يدعو إذا جن الليل: « اللهم إنى أسألك منك ما هو لك رضى، وأستعيذك من كل أمر يسخطك. اللهم إنى أسألك من صفاء الصفاء صفاء أنال به منك شرف العطاء. اللهم لا تشغلنى شغل من شغله عنك ما أراد منك، إلا أن يكون لك». وكان يقول: « نحن إلى كثير (ص٤٨) من الأدب أحوج منا إلى قليل من العلم (٣). والله لوددت أن جسدى قرض بالمقاريض، وأن هذا الخلق أطاعوا الله عز وجل». توفى، رحمه الله تعالى، سنة ثلاث وتسعين ومائة.

---

(١) أورد الدباغ هذا البيت، ووضع فى شطره الأول « كلاب » بدل « ذئاب » وعلق ابن ناجي على هذا البيت بقوله: « والمراد أن ابن غانم كان مع وجوده لا يقدر احد [على] تغيير فى الأمور الشرعية، فلما مات تغيرت الأحوال، وصار كل أحد يقول ويصول، لنجابته وذبه عن الشرعيات، كما تقدم فى سيرته مع ابرهيم بن الأغلب الامير » (« المعالم » – ج ١ ص ٢٢٣).

(٢) علق ابن ناجي على هذه العبارة بقوله: « قلت: يريد أنه لم يقرأ الا على مالك رحمه الله تعالى » (« المعالم » – ج ١ ص ٢٣٥).

(٣) لعله يريد ان يقول: « نحن الى قليل من الادب احوج الى كثير من العلم »

٨٩ — ومنهم **أبو عون معاوية بن الفضل الصمادحى**، رضى الله تعالى عنه .

ذكره أبو إسحق بن شعبان القرطى [وقال] إنه روى عن مالك رحمه الله. روى معاوية عن ابن أنعم وعن الثورى. وروى عنه سحنون، وروى عنه ولد نفسه موسى وأبو داود العطار. وكان ثقة قليل الحديث. ذكر الفقيه أبو القاسم بن شبلون، رحمه الله، أن معاوية، رحمه الله، كانت له كل يوم ختمة، وكان يستعمل الحديث الذى جاء: « إن الذاكر لله عز وجل، بين الغافلين، له من الأجر والثواب ما لا يحصى تفسيره ». وكان يكثر من ذكر الله عز وجل فى الأسواق والمواضع التى يشتغل الناس فيها بالبياعات، (١) . وكان يركب بغلته ويمضى إلى السوق ويجئ [وهو] يتلو القرآن حتى يختم. قال: وإنما كان يركب إذا بقى عليه اليسير من ختمته.

حدث معاوية عن طلحة بن عمر [عن عطاء عن نافع قال: « رأيت رجلا جاء إلى ابن عمر رضى الله عنهما] (٢) فقال: يا أبا عبد الرحمن، أنظرتم بأعينكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلمتموه بألسنتكم هذه، وبايعتموه بأيديكم هذه؟ » فقال له عبد الله بن عمر: « نعم » فقال له الرجل: « طوبى [لكم] » فقال [له] ابن عمر: « ألا أخبرك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ » قال: « بلى » قال: « فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « طوبى لمن رآنى وآمن بى، وطوبى لمن رآنى وآمن بى وطوبى لمن رآنى وآمن بى » (٣) .

---

(١) كذا فى الأصل؛ وجاء فى « دوزى » أن البياعة هى ما يأخذه الوسيط نظير وساطته بين البائع والمشترى .

Cf : Dozy : *Supplément* ... I. p. 136

(٢) التكملة فى هذه المواضع من « المعالم » (ج ١ ص ٢٣٧) .

(٣) ورد هذا الحديث فيما سبق على صورة اخرى، وقد اورده ابن حنبل فى « مسنده » هكذا: حدثنا عبد الله، حدثنى أبى، حدثنا حسن، قال: سمعت عبد الله بن لهيعة قال: حدثنا دراج أبو السمح أن أبا الهيثم حدثه عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال له: « يا رسول الله، طوبى لمن رآك وآمن بك » . قال: « طوبى لمن رآنى وآمن بى، ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى » . قال له رجل: « ما طوبى؟ » . قال: « شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام، ثياب اهل الجنة تخرج من اكمامها » — حسن بن حنبل (الميمنية، القاهرة — سنة ١٣١٣ هـ) . ج ٣ ص ٧١ .

٩٠ – ومنهم **أبو عثمان حاتم بن عثمان المعافرى** ،رضى الله تعالى عنه .

سمع من مالك ومن ابن أنعم . قال أبو العرب : وأحسب أن رحلته إلى مالك (١) كانت مع ابن غانم . وروى عنه داود بن يحيى وغيره . وهو الذى كان يمضى بمسائل ابن غانم إلى مالك . حدث أبو عثمان [حاتم] ، قال : كنت إذا أتيت بكتاب ابن غانم إلى مالك الذى فيه مسائله ، يقول مالك : « ادفعه إلى ابن كنانة » ، قال : فكان ابن كنانة يكتب الجواب ، فإذا كتبه أتيت به مالكاً فيقرأ جوابه (٢) فإن أنكر شيئاً أصلحه ، وإلا قال : « ادفع إليه الكتاب فكله عنى » ، فأتيته يوماً نصف النهار فقلت له : « يا أبا عبد الله ، إن الناس قد رحلوا ، ولا أقدر أن أتخلف » قال : فخرج إلىّ وعليه غلالة ورداء تساوى الغلالة خمسة دنانير ، فأخذ الكتاب وقرأه ثم قال : « الدواة ! » فجعلت أمد له ، فإذا مر بشىء ينكره أصلحه . ثم قال لى : « ادفعه إليه » . فقلت له : « اطبع عليه ، أصلحك الله ، فإنها أحكام المسلمين » فقال لى : « ما لى خاتم ، إنما الخاتم لثلاثة : لتاجر أو قاض أو سلطان » فمضيت بالكتاب إلى ابن غانم غير مختوم .

قال حاتم : وأكلت مع مالك ، فرأيته يأكل بثلاث أصابع . وكان يروى عن مالك غرائب لايكاد يرويها عنه غيره . لقد ذكر سليمان بن سالم بإسناد رفعه عن حاتم ، قال : سمعت مالكاً بن أنس يقول : « حياة الثوب طيه (٣) وعيبه قصر أكمامه » وعنه قال : حدثنا مالك عن ابن شهاب عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : « باب من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة » . وسمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا جاء الموت طالب علم ومات على حاله فهو شهيد » .

---

(١) وفى « المعالم » (ج ١ ص ٢٣٤) رحلته الى مكة .

(٢) فى الأصل : فيعْرضه ، والتصحيح من « المعالم » (ج ١ ص٢٣٤) .

(٣) فى الأصل : طيبه ، والتصحيح من « المعالم » (ج ١ ص ٢٣٤) .

٩١– ومنهم **أبو الحسن على بن زياد العبسى التونسى**، رضى الله تعالى عنه

[حدث] أبو العرب قال: كان ثقة مأموناً [فقيها خياراً] (١) متعبداً بارعاً فى الفقه. سمع من مالك والثورى والليث وابن لهيعة، ولم يكن فى عصره بإفريقية مثله. سمع منه البهلول وسحنون وشجرة بن عيسى وأسد بن الفرات. وذكر أن أسداً قال: «إنى لأدعو الله عز وجل لعلى بن زياد مع والدىّ، لأنه أول من تعلمت العلم عليه». ولم يكن سحنون يقدم عليه أحداً من أهل إفريقية. قال أبو سعيد بن يونس: وهو أول من أدخل المغرب «جامع سفيان الثورى» و«موطأ مالك» وفسر لهم قول مالك، ولم يكونوا يعرفونه، وهو معلم سحنون. دخل الحجاز والعراق. سمعت سحنوناً يسأل شرحبيل قاضى طرابلس عن أصل على بن زياد فقال: «كشفنا عن أصله فإذا هو من العجم. وكان أوله من طرابلس [ثم سكن مدينة تونس]» (٢).

ذكر فضله ومناقبه: عن سحنون (٣)، قال: «كان البهلول يأتى إلى على ابن زياد ليسمع منه، ويفزع إليه فى الملمات، يعنى فى العلم والمعرفة. [قال]: أبو العرب: حدثنى يونس بن محمد وأبو عياش بن موسى أنهما سمعا سحنوناً ابن سعيد يقول: «ما بلغ البهلول شسع على بن زياد»، وضرب سحنون يده إلى شسع نعله. وكان يقول: «ما أنتجت إفريقية مثل على بن زياد». وكان يقول: «ما فاقه المصريون إلا بكثرة سماعهم (٤)، وذلك أن علياً بن زياد اختبرت سره وعلانيته، والمصريون إنما اختبرت علانيتهم فقط». [وعن] أسد: قال المخزومى وابن كنانة: ما طرأ إلينا من بلد من البلدان من كشف هذا الأمر ككشف على بن زياد. قال سحنون: كان البهلول يكاتب علياً إلى تونس يستفتيه فى أمور الديانة، وكان أهل العلم بالقيروان إذا اختلفوا فى مسألة كتبوا بها إلى على بن زياد ليخبرهم مَن على الصواب فيها. [روى] أبو القاسم خالد

---

(١) اكملت هذه الفقرة من اصلها عند ابى العرب، الطبقات، ص ٢٥١.

(٢) التكملة من ابى العرب: الطبقات، ص ٢٥٣.

(٣) اسند ابو العرب هذا الخبر الى: جبلة بن حمود عن سحنون.

(٤) يستدعى اتصال السياق اضافة جملة فى معنى: «وهو عندى أفضل منهم» بين لفظى «سماعهم».. و«وذلك».

ابن يزيد الفارسي [1] قال: «كنا عند البهلول فأتاه رجل فقال: إني رأيت في المنام كأن قنديلا دخل من باب تونس، فسار حتى دخل في دار في رحبة « بني [2] دراج »، فقال له بهلول: « أتعرف الدار؟ » فقال الرجل: « نعم »، فقال البهلول: « قوموا بنا فقد جاء على بن زياد. قوموا بنا »، فقمنا وقام الرجل معنا حتى أتينا رحبة (ص ٤٩) « بني دراج » فقال الرجل: «هذه الدار التي رأيت القنديل دخل [3] فيها »، فوقفنا بالباب، فسألناه، فقالوا لنا: هذا على بن زياد دخل في السحر. فاستأذن عليه بهلول فدخل، فقام إليه على بن زياد وسلم عليه وسلمنا عليه. وجعل بهلول يسأله عن مسائل، حتى دخل أبو محرز [4] فسلم فشفف [5] على بن زياد في السلام ولم يلتفت إليه، فقام بهلول وقال لي: « ياخالد، اجلس ننظر مايقول له » فجلست. فقال له أبو محرز: « ياأبا الحسن، قد تعلم ما بيننا وبينك من العشرة والمودة وقد أرى منك غير ذلك، فلم ذلك؟ » فقال له على بن زياد: « يا محمود، بلغني عنك أنك تقول إن إبليس يستطيع السجود؛ فإذا كان يستطيع السجود فكيف يجوز لك أن تلعنه، فلعله قد سجد؟ » فوجم أبو محرز، وأخذ له في غير الجواب. وأخذ على يكرر ذلك عليه، وهو يحيد عن الجواب. [قال] أبو جعفر بن قطويه: مر على ابن زياد بأبي محرز، وعنده الطلبة، فقال له: « يا أبا محرز، ما الذي أراد الله سبحانه وتعالى من عباده؟ » قال: « الطاعة »، فقال له: « وما الذي أراده إبليس منهم؟ » فقال له: « المعصية » فقال له: « أي الإرادتين غلبت؟ » فقال له أبو محرز: « أقلني، أقالك الله تعالى »، فقال له على: « والله لاأقيلك

---

(١) ذكر ابو العرب اسناد هذا الخبر كما يلي: حدثني فرات بن محمد، قال: حدثنا ابو الهيثم خالد بن يزيد الفارسي قال ... الخ. الطبقات ٢٥٢.

(٢) في الطبقات (ص ٢٥٢) ابي درجاج، وذهب ناشرها وهو الشيخ محمد بن ابي شنب الى ان هذه الصيغة اصح.

(٣) في الأصل: رايت دخل القنديل فيها، وقد صححتها بناء على نص ابي العرب (ص ٢٥٢)

(٤) في الطبقات (ص ٢٥٢): ابو عوف.

(٥) جاء في لسان العرب (ح ١١ ص ٨٣): الشف ايضا النقص ـ والمقصود هنا انه لم يحتفل به في السلام.

حتى تتوب عن بدعتك » ، ثم التفت على بن زياد إلى الطلبة فقال : « شاهت الوجوه ! أفمن هذا تسمعون ؟ » . [وعن] سحنون : قال لى على بن زياد : « زعم هؤلاء القوم — يعنى أهل العراق — أنهم يحسنون القياس ، وقد بنوا على غير أساس » .

[وعن] سحنون قال : أراد أمير تونس ورسول الخليفة الاجتماع بعلى بن زياد فى مشور من يلى القضاء ، فتمارض لهم وأظهر أنه مريض لايقدر على التصرف . فأخبر بذلك والى تونس رسول الخليفة ، فقال الرسول : « أمير بلد ورسول الخليفة يوجهان [1] إلى رجل من رعيته فيتثاقل عن المجئ ؟ » فقام الوالى ورسول الخليفة فتوجها إليه فلما قيل له إنهما بالباب قال لمن حوله : « حولوا وجهى إلى الحائط » ، فدخلا عليه فقال له الوالى : « يا أبا الحسن ، هذا رسول الخليفة يستشيرك فى قاض يلى قضاء إفريقية » ، فقام على وحول وجهه إلى القبلة وقال : « ورب هذه القبلة ما أعرف بها أحدا يستوجب القضاء ، قوموا عنى » .

وبعث [2] روح بن حاتم أمير إفريقية إلى تونس فى طلب على بن زياد ليوليه القضاء فقدم عليه ، وأقبل بهلول بن راشد والصالحون إلى باب دار الإمارة إذ بلغهم قدومه ودخوله على روح بن حاتم [3] ، فمكثوا ينتظرون خروجه إلى أن خرج عليهم ممسياً يمسح العرق عن جبينه ، فقالوا له : « ما فعلت ؟ » فقال لهم : « عافى الله ، وهو محمود » ، فقال له بهلول : « على مَ عزمت ؟ » فقال : « على ألا أبيت بها فيبدو له ، فيوجه ورائى » . فذهب البهلول وأصحابه مع على حتى خرجوا من باب تونس ، والبواب يريد غلق باب المدينة لدخول الليل ، فسألوا البواب أن يمكث حتى ينتهوا مع على إلى وادى أبى كريب [4] ويحبس عليهم الباب ، ففعل : فتوجهوا حتى ودعوه بعد غروب الشمس ، فانطلق على بن زياد وحده على حماره إلى تونس .

---

(١) فى الأصل : يوجه .

(٢) اورد ابو العرب هذا الخبر باسناده وهو : « ذكر أبو عثمان سعيد ابن محمد ، قال حدثنى احمد بن بهلول الزيات ، وكان رجلا صالحا ، قال : بعث . . الخ . . » ص ٢٥١ .

(٣) اضاف ابو العرب هنا : « وكان روح أمير افريقية » . الطبقات ص ٢٥٢ .

(٤) فى الأصل : ابى كريب .

٩٢ — ومنهم **أبو زكريا بن الحكم اللخمى** (١) . رضى الله تعالى عنه .

قال أبو العرب : كان [رجلا صالحاً] ثقة مأموناً . ذكر سليمان بن عمران (٢) ، قال : كان زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب جالساً ، وعنده يحيى بن السلام وأسد ابن الفرات (٣) وأبو محرز وزكريا بن محمد بن الحكم ، قال : فأتى زيادة الله بجراب فيه مال ففُرِّغ بين يديه ، فإذا فيه خلاخل وأسورة من حلى النساء ودنانير ، فأعطى منه لمن حضر مجلسه ، فأخذوا غير زكريا فإنه لم يأخذ منه شيئا ، ثم قام فانصرف . فلما ولى جعل زيادة الله ينظر إليه وهو مول ويقول : « لله درك يا ابن الحكم (٤) » .

قال ابن الأجدابي (٥) : حضور يحيى بن السلام فى هذا المجلس لا يصح ، لأنه مات سنة مائتين ، وولى زيادة الله سنة إحدى ومائتين .

[حدث] محمد بن الحكم ، عن حيوة بن شريح ، قال : « من صلى ثمانى ركعات من أول نهاره ، كفاه الله ما أهمه وأوجب له مغفرته ؛ وإن مات فى نهاره مات شهيداً » .

---

(١) أورد أبو العرب اسمه فى الطبقات (ص ٨٦) : زكرياء بن محمد بن الحكم .

(٢) وردت هذه العبارة عند أبى العرب هكذا : كان ثقة رجلا صالحا سمع من مالك ومن غيره . سمعت بعض المشايخ يحدث — أحسبه عن سليمان بن عمران — قال .. الخ (ص ٨٦) .

(٣) أضاف أبو العرب فى هذا الموضع : وأحسبه قال وأبو محرز (ص ٨٦) .

(٤) الخبر هنا مختصر ، ونصه الكامل عند أبى العرب : فأتى زيادة الله بجراب فيه مال من قسطيلية ، ففرغ بين يديه ، فاذا فيه خلاخيل وأسورة وحلى من حلى النساء ودنانير عينا . فقال زيادة الله للقوم الذين حضروا : « والله ما أعطى هذا أهله وهم طائعون » . ثم لما كان بعد ساعة اراد القوم القيام ، فقال ليحيى بن سلام : « هاك ! » فحفن له فى ردائه ، وقال لأسد بن الفرات : « هاك ! » فحفن له فى ردائه ، واعطى القوم ، فأخذوا كلهم . ثم قال لزكرياء بن الحكم : « هاك ! » فقال له زكرياء : « أنت تخبرنا أنهم ما أعطوه طائعين ، فكيف نأخذه ؟ » ولم يأخذ منه شيئا ، ثم خرج زكرياء . فلما ولى جعل زيادة الله ينظر اليه وهو مولٍ وهو يقول : « لله درك يا ابن الحكم » الطبقات : ص ٨٦ .

(٥) هو ابو الحسين بن عبد الله بن عبد الرحمن الاجدابى المؤرخ ، ذكره الدباغ فى المعالم ، وجعل نسبته « الأجذابى » بالذال . وقال فيه : « كان واحد زمانه علما وفضلا ، وكان ثقة ثبتا يروى عن ابى بكر بن أبى عقبة عن جبلة بن حمود وعن أبى الحسن القابسى ، وأبى العباس بن أبى العرب ، وعنه أخذ أبو بكر بن محمد المالكى وغيره . توفى يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة ٤٣٢ ودفن بباب سلم قرب البهلول بن راشد » . المعالم ، ج ٣ ص ٢١٣ .

٩٣ – ومنهم **يزيد بن محمد الجُمَحى** ، رضى الله تعالى عنه .

قال أبو العرب : كان ثقة قديم السن كثير الحديث . لقى مالك بن أنس وإبراهيم بن محمد (١) من أهل المدينة ، وسمع من أبي بكر بن عياش وجماعة من أهل الكوفة وأهل الشام وأهل البصرة . سمع منه موسى بن معاوية الصمادحى .

وركب يزيد بن محمد من إفريقية فى البحر يريد غزو « المصيصة » (٢) فخرج عليهم عدو صقلية فاستشهد ، رضى الله تعالى عنه . قال الشيخ أبو عبد الله الأجدابي : فدل ذلك على أن أهل صقلية لم يكن بينهم وبين المسلمين هدنة .

ومن بعض ما أسنده من الحديث: عن يزيد بن محمد الجمحى عن بقية ابن الوليد عن مسلم بن أبي زياد، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من قال حين يصبح: اللهم [إنا] أصبحنا نشهدك ونشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك، أنك أنت الله لا إلـه إلا أنت وحدك لاشريك لك ، وأن محمداً عبدك ورسولك، أعتق الله عز وجل ربعه ذلك اليوم من النار. فإن قالها مرتين، أعتق الله نصفه من النار. فإن قالها ثلاثاً ، أعتق الله عز وجل ثلاثة أرباعه من النار. فإن قالها أربعاً، أعتقه الله تعالى فى ذلك اليوم من النار» .

٩٤ – ومنهم **عبد الله بن ابى غسان** ، رحمه الله تعالى .

قال أبو العرب : سمع من مالك وأغرب عنه بحديث ما علمت أن غيره رواه عنه: [حدثنى به فرات، قال : حدثنى] (٣) عبد الله بن أبي غسان، قال: حدثنا مالك، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طول مقام أمتى فى قبورهم تمحيص (٤) لذنوبهم » .

---

(١) يتفق أبو العرب مع المالكى فى ذكره باسم ابراهيم بن محمد فى حين يذكره الدباغ باسم : ابراهيم بن طلحة المدينى . الطبقات ، ص ٨٥ – المعالم ، جـ ٢ ص ٤٥ .

(٢) كذا فى الأصل . وقد وردت على هذه الصورة فى القطعة التى نشرها «أمارى» من كتاب رياض النفوس – انظر «المكتبة الصقلية»، ص ١٨٠
MICHELLE Amari : *Biblioteca Arabo - Sicula* (Libsia 1855)

(٣) التكملة من طبقات ابى العرب (ص ٧٧) .

(٤) فى الأصل « تمحيصا » وكذلك فى طبقات ابى العرب (ص ٧٧) ، وربما كانت صحة الحديث : « يطول مقام امتى .. الخ .. » .

٩٥– ومنهم **يحيى بن زكريا بن محمد بن الحكم التجيبى**، رضى الله تعالى عنه.

قال أبو العرب: كان صالحاً ثقة. قال عبد الله (١): ذكره أبو الحسن بن فهر فى جماعة أصحاب مالك. وقال أبو العرب: ذكر سليمان بن عمران (٢) أنه قال: كنا فى جنازة يحيى بن زكريا، فازدحم الناس عليه وكثروا على النعش، فبقى النعش واقفاً فى باب نافع لا (ص ٥٠) يقدر الناس على أن يتعدوا به لكثرتهم، فصاح صائح: «معشر المسلمين! ازدحموا على عمله ولا تزدحموا على نعشه».

٩٦ – ومنهم **ابو خارجة عنبسة بن خارجة الغافقى**، من أنفسهم؛ رضى الله تعالى عنه.

قال أبو العرب: كان ثقة مأموناً، وله سماع من مالك ومن الثورى. وقال غيره: «[إنه كان] مستجاباً عالماً باختلاف العلماء واتفاقهم، أكثر اعتماده على مذهب مالك. وسمع من الليث واليسع بن حميد وابن وهب ورشد بن سعد والمغيرة ابن عبد الرحمن المخزومى. وذكر ابن يونس أنه سمع من سفيان بن عيينة. سمع منه فى المغرب غير واحد. [قال: لقد حدثنى محمد بن خالد عن يزيد عن أبيه قال:] (٣) قال [لنا] البهلول [بن راشد]: اذهبوا بنا إلى أبى خارجة فإنه بلغنى أنه جاء «بجامع» سفيان الثورى لنسمع منه. وكان مقام أبى خارجة فى حصن على البحر يقال له «بَقّة» (٤) فى ناحية سفاقس فى الغربى منها. توفى فى شهر ربيع الآخر سنة عشر ومائتين وهو ابن ست وثمانين سنة.

---

(١) كذا فى الأصل، والمراد به «المالكى» مؤلف الكتاب.

(٢) فى الأصل سلمان، والتصحيح من ابى العرب، راجع الفهرس: سليمان بن عمران المعروف. معالم الايمان، ج ١ ص ٢٣٩.

(٣) التكملة من «الطبقات»، ص ٧٢.

(٤) فى الأصل من غير نقط هكذا: بمه، وقد صححت اسم هذا الحصن بناء على ما جاء فى «المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب» للبكرى عند الكلام عن ناحية المهدية: «... وكان لها أرباض كثيرة آهلة عامرة أقربها اليها ربض زويلة فيه الأسواق والحمامات، وربض الحمى كان مسكنا لأجناد أفريقية من العرب والبربر، و«قصر أبى سعيد» و«بقة» و«فاساس» ... الخ». طبعة دى سلين. باريس سنة ١٩١١.

وفى بعض ما يتصل عنه من الإسناد، يرفعه عن مالك عن نافع عن أبى عمر، أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول: « ما بعث الله تعالى نبياً قبلى فاجتمع عليه أمر أمته إلا كان فيهم « قدرية » ومرجئة يوسوسون أمر أمته من بعده . ألا إن الله لعن القدرية والمرجئة على لسان اثنين وسبعين نبياً » . قال أبو خارجة : زاد فيه غير مالك : « أولهم نوح وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم » .

ذكر مناقبه وفضائله : فمن ذلك : قال سليمان بن محمد الأندلسى عن الحسين بن نصر السوسى ، قال : حدثنا نصر بن خالد : عطش الناس بسفاقس و « غافق » وأجدبوا ونزل بهم القحط والجهد ، فأتوا إلى أبى خارجة عنبسة ، وكان مجاب الدعوة ، وكان أسن من سحنون ، فقالوا : « نزل بنا الجوع والقحط فاستسق لنا » فقال لهم : « تأتون غداً ببناتكم وصبيانكم وبهائمكم وتبيتون الصيام الليلة ، فإذا كان الليل ، فقفوا بين يديه ، وتضرعوا إليه واعرضوا أعمالكم عليه فإنه يرق لحالكم » . قال : ففعل الناس ذلك ، واجتمعوا من كل مكان من الغد ، وخرج بهم أبو خارجة ، فصلى بهم صلاة الاستسقاء ، ثم خطب بهم ، ثم جلس إلى صلاة الظهر ، واشتد الحر عليهم فصاح الأطفال والبهائم من شدة الحر ، فقام أبو خارجة وصلى بهم الظهر ، ثم بسط يديه وقال : « أنت مولانا مالنا غيرك ولا سواك ، بك نالوا الدرجات الرفيعة والمواهب العالية ، ولولاك مانالوها ، وأنت ذو رحمة واسعة ، وأنت العالم بأحوالنا وقبيح أعمالنا وما لنا غيرك ولا سواك . وقد قامت آمالنا بك ، وقد جئونا بين يديك . بهائمنا جائعة ، وأرضنا سوداء يابسة ، وقلوبنا خائفة ، وبيوتنا فارغة ، وسماؤك عامرة ، وخزائنك واسعة ، فاسقنا سقية [ ] (١) تجدد [ ] (٢) ولا نبرح من بين يدى كريم حتى تسقينا . ووسيلتنا إليك نبينا الذى جعلته رحمة لنا ، صلى الله عليه وسلم » . قال نصر بن خالد : فرأيت سحابة بيضاء رقيقة ثم رأيت السماء اندفقت بالغيث ، فرأيت أبا خارجة وهو يرفع ثيابه وهو يقول : « بهذا يعرف الكريم ، هذا فعلك فى من قصدك ، فبهذا تعرف وتوصف » . وكان من دعائه : « اللهم إنى أسألك الصحة والعفة والأمانة وحسن الخلق والرضا بالقدر » .

---

(١) و (٢) : بياض بالأصل .

وكان أبو خارجة يقول : « اللهم أمتنى قبل أن يخرج من هذا الوجه قوم ينبحون نباح الكلاب » قيل له : « تريد : من هذا الغرب ، نحو أرض البربر ؟ » فقال : « نعم » . قال : فبلغنى أنه مات قبل أن تشتجر الحرب . وكان ذلك أيام المنصور الطنبذى .

قال عيسى بن مسكين : وكان هاهنا بالساحل رجل به تابع ، فقال تابعه يوماً من الأيام : « لأخوفن أبا خارجة الليلة » ، فنهاه عن ذلك الإنسى ، وقال له : « لا تعرض » ، فقال : « لأفعلن ! » . فلما كان الليل ركب أبوخارجة لينصرف إلى منزله فلقيه خيال ، ثم مضى غير بعيد فلقيه أيضاً وتمثل بين يديه فى صورة شخص ، فقصده أبو خارجة ووضع عليه يده ففر من بين يديه ، وأقبل أبو خارجة يتبعه ضرباً وهو يصيح حتى دخل فى الزيتون ، ثم ذهب أبو خارجة فى حاجته فأتى الجنى إلى صاحبه ، وهو مروع ، فأخبره الخبر فقال له : « قد نصحتك فلم تقبل » .

وعن عيسى بن مسكين : حدثونا عن أبى خارجة أنه كان يصلى من الليل فى مسجد كان إستطاف أهله ، فبينما هو يصلى فى ركن المسجد نظر إلى الركن الآخر فإذا بشيخ قائم يصلى ، فلما سلم أبوخارجة من صلاته استل سيفه ثم قصده وهو يقول : « أعلىّ تجسر ؟ » ، فلما رأى عزمه انقمع منه ، فإذا به إبليس اللعين ، أراد أن يلبس عليه صلاته ويدخل عليه الفتنة فحماه الله عز وجل منه . [روى] عيسى ابن مسكين قال : « كان أبوخارجة كثيراً ما يقول : « لا تمر الليالى والأيام حتى تنمحى(1) كتب أبى حنيفة من إفريقية » . فكان كذلك : محاها الله عز وجل بسحنون ، رضى الله تعالى عنهم أجمعين . وكانت تذكر عنه أعاجيب من الإنذار بالحوادث التى تحدث فى آخر الزمان ، وكانت عنده فى ذلك أحاديث يرويها عن شيوخه ، ومن عنده أخذها عيسى بن مسكين . وكان سحنون يعظم أبا خارجة ويعرف حقه .

أ [خبر] عيسى بن مسكين قال : كان رجل يُنزل عنده أبا خارجة إذا مر به ، وكان سحنون أيضاً ينزل عنده إذا مر به ، فنزل به مرة سحنون فبينما هو عنده إذ جاء رجل يستأذن ، فإذا به أبو خارجة ، فقام الرجل ليلتمس له موضعاً غير موضع (ص ٥١) سحنون ، فمنعه سحنون من ذلك ، وقال له : « بل يكون معى فى موضعى »

---

(1) فى الأصل : تمتحى .

فأذن له الرجل فدخل وسلم، فرد عليه سحنون السلام وأكبره وعظمه ومد إليه يده فصافحه ثم جلس أبو خارجة . وجاء رجل فسأل سحنوناً عن مسألة فقال له سحنون: « سل أبا خارجة » ، وامتنع أن يجيب بحضرته إجلالا له وتعظيما . قال : فسأل الرجل أبا خارجة فأجاب بجواب لم يوافقه سحنون عليه . قيل لعيسى : « فما أنكر عليه سحنون ؟ » فقال عيسى : « سحنون كان أحكم من ذلك » .

قال عيسى : كان رجل بغدادي يود لو رأى أبا خارجة ، قال : فنزل أبو خارجة يوماً قريباً من موضع الرجل ، قال : فلما سمع بخبره أتاه فسلم عليه وصافحه وعانقه وقال له : « أنت أبو خارجة ؟ » فقال : « نعم ، أنا أبو خارجة ، تسمع بالمعيدى خير من أن تراه ! » — تواضعاً منه ، رحمه الله تعالى . وكان عالماً بالعربية وعبارة الرؤيا .

روى عيسى عن أبي خارجة : أن المشط يذهب الوباء ، بالتصحيف . وحضره رجل أعرابي فقال له : « يا أبا خارجة ، انظر في هذا الحرف إنما هو « الوناء » بالنون » . فتفكر أبو خارجة قليلا ثم قال : « نعم والله ، هو الوناء وهو الضعف والكلل ؛ ودليل ذلك قوله تعالى (ولا تنيا في ذكرى) يعني تضعفا » . قال : وشكا نبي من الأنبياء إلى الله عز وجل الضعف في قومه ، فأمره أن يأمرهم أن يأكلوا لحم الثنيان باللبن . وعنه ، رضي الله تعالى عنه : أنه خرج إلى « سوسة » فنزل في بعض الطريق واستلقى ، وقال لأصحابه : « يأتيكم الساعة رجلان على دابة ، فيسألان عن شيء فيسمعان ما يكرهان » . فبينما هم كذلك إذ أقبل رجلان على بغلة فسألا عن الشيخ أبي خارجة فأخبرا ، فقالا له : رجل له عجل رأى في المنام كأنه خالفه إلى خميرة عنده فأكلها . فقال له أبو خارجة : هذا رجل يخالَف إلى أهله . فقال [أحد] الرجلين لصاحبه : « قد نهيناه من دخوله إليه فلم ينته » .

وكان رحمه الله تعالى ممن ينطق بالحكمة (١) : عن أبي سعيد بن حسان أنه قال : أوصى أبو خارجة بعض إخوانه فقال : يا عبد الله ، أوصيك بوصية : وهي أن تكون ذاكراً غانماً أو ساكتاً سالماً ، وإياك وكثرة الكلام : إن العبد يسأل يوم القيامة عن فضول كلامه كما يسأل عن فضول ماله ، وإياك وكثرة الضحك : فإنه يميت القلب ، ويذهب بنور الوجه ، ويورث الفقر .

(١) في الأصل بحذاء هذا السطر هذه العبارة : من كلامه (في) الحكمة .

وكان يقول: أحب الأمور إلى الله سبحانه أسمحها وأسهلها . وثلاث من أعطيهن (١) فقد اغتبط: علم نافع، ورزق طيب، وعمل متقبل. وكان يقول: التائب من الذنب كمن لاذنب له، والتائب من الذنب العائد فيه كالمستهزئ به . وكان يقول: إذا ذكر عند أحدكم أخوه، فدعا له، كتب له من الأجر كمن عاده فى مرضه أوتبع جنازته . ومن أصابته مصيبة فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، جدد الله أجرها وإن قدمت . وكان يقول: ثلاث من أعلام الإحسان: كظم الغيظ، وحفظ الغيب، وستر العيب . وثلاث من أعلام المعرفة: الإقبال على الله عز وجل، والانقطاع إلى الله تبارك وتعالى، والافتخار بالله سبحانه . وثلاث من أعلام الفكرة: سرعة الادكار . وإدمان الاعتبار ، وكثرة الاستغفار . وكان يقول عند إفطاره : الحمد لله الذى رزقنى فأفطرت . إن تعذبنى فأنا أهل لذلك ، وإن تغفر لى فأنت أهل لذلك (٢) . وكان يقول : إذا دعا الرجل وفرغ من دعائه ، ولم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم، رفرف الدعاء على رأسه فلا يصعد حتى يقوله . وكان يقول: ثلاثة لكل واحد منهم ملك موكل به ينسيه : النفساء ، وراكب البحر ، وحامل الجنازة . فالنفساء إذا أضربها الطلق قالت : إن نجوت لم أعد . فإذا وضعت ضرب الملك العاتق وقال لها: انسى، فتنسى . وراكب البحر إذا أخذه الهول فى البحر قال : إن نجوت لم أعد . فإذا وضع رجله فى البر ضربه الملك على العاتق وقال له: انس، فينسى . وحامل الجنازة إذا حملها ذكر الآخرة ونسى الدنيا، فإذا وضعها ضرب الملك العاتق وقال: انس، فينسى .

وكان رحمه الله تعالى، يروى عن مالك غرائب لم تكن عند غيره . و[من] ذلك ماحدث به عنه، قال: « سألت مالكاً عن الذى يعتم بالعمامة ولا يجعلها تحت حلقه، فأنكرها وقال : « ذلك من عمل النبط وليس من عمة الناس ، إلا أن تكون قصيرة ولا تبلغ » . قال مالك : « ومما يقوى العمة عندى أن الميت يعمم . والعمامة، والاحتباء ، والانتعال من عمل العرب » قال أبو خارجة: فقلت لمالك :

---

(١) فى الأصل : ثلث من أعظمهن .

(٢) الى جانب هذا السطر فى الأصل هذا الهامش : « وكان انسان غيره يقول عند افطاره : الحمد لله الذى قوانى فصمت ورزقنى فأفطرت . الحمد لله ربى لا شريك له » .

« هل كانت العمة فى الجاهلية ؟ » فقال : « كانت العمامة فى أول الإسلام ثم لم تزل حتى كان هؤلاء ، ولقد كنت أعد فى مجلس ربيعة (١) واحداً وثلاثين رجلا ما منهم رجل إلاوهو معتم » . قال مالك : « وأنا منهم » . قال مالك : « ولقد كنت أراهم يعتمون حتى تطلع الثريا ، رضى الله تعالى عنهم أجمعين » .

٩٧ — ومنهم **عمر بن الحكم اللخمى** .

سمع من مالك وكان ثقة . روى عنه الأوزاعى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من خرج يوم جمعة مسافراً دعت عليه الملائكة ألا يصحب فى سفره ولا تقضى حاجته » .

٩٨ — ومنهم **أبو القاسم الزواوى** ، رحمه الله تعالى .

قال أبو العرب : سمع من مالك وروى عنه [حديثاً] لم أعلمه رواه عنه غيره . قال : حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما خلق الله عز وجل الجنة حفها بالريحان [و] بالحنا ، وما خلق الله عز وجل شجرة أحب إليه من الحنا . وإن الخاضب بالحنا لتصلى عليه ملائكة الأرض إذا راح » .

٩٩ — ومنهم **أبو الوليد عباس بن الوليد الفارسى** ، (ص ٥٢) رضى الله تعالى عنه .

قال أبوالعرب : كان ثقة مأموناً حافظاً للحديث . لقى جماعة [من المحدثين] (٢) منهم ابن عيينة وحماد بن زيد والفضيل بن عياض ، وبشراً كثيراً من محدثى الأمصار . وأحسبه لقى مالكاً . لأن رحلته ورحلة « أسد » كانت فى مدة واحدة . وذكر ابن سكن أنه لقى مالكاً وروى عنه . سكن تونس وأوطنها وكانت له بالقيروان دار عند « باب الريح » . استشهد رضى الله تعالى عنه بمدينة تونس فى شهر رمضان سنة ثمان عشرة ومائتين .

---

(١) هو ربيعة الرأى أستاذ مالك .

(٢) التكملة من « الطبقات » ، ص ٢٥٤ .

ومن بعض ما أسنده عنه من الحديث عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي مليكة عن طاووس عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قدوا مصابيح منازلكم عند الغروب تستغفر لكم الملائكة وأركان البيت ، ومن ترك ذلك استبقاء للزيت نقص من زيته سبعون نقطة من حيث لا يعلم . ومن أوقدها عند الغروب إكراماً للملائكة زيد في زيته سبعون نقطة من حيث لايعلم » . وقال : « لاتبيتوا حتى تطفئوا المصابيح وتكفأوا الإناء » (١) .

حدث أبو العرب (٢) عن أبيه أنه قال : وجدنا في أواخر كتب عباس الفارسي يقول : « درسته ألف مرة » . [أخبر] محمد بن جبلة قال : جئنا إلى عباس ابن الفارسي لنسمع منه ، وأردنا أن نختبر حفظه ، ومعنا كتاب أبي الأحوص ، فقلبنا الورق فجعلنا الأول آخراً والآخر أولا ، فلما ذهبنا لنقرأ عليه قال : « ليس هذا . أول الكتاب حديث فلان » . وكلما أردنا أن نجوز عليه من مكان إلى مكان يقول لنا : « يتلو هذا الحديث حديث فلان » . فلم نزل كذلك حتى ألف الكتاب على نفسه (٣) . قال : فقبلت رأسه وقلت : « مثلك من حمل العلم » .

كان ، رحمه الله تعالى ، أحد الأئمة المعدودين والعلماء الراسخين . انتشرت إمامته بالمغرب والمشرق مما يطول بذكره الكتاب . ثم ختم الله عز وجل له بالشهادة ، فاستشهد بمدينة تونس ، وذلك لما دخلها جيش زيادة [الله] بن إبراهيم ابن الأغلب في [حرب] منصور الطنبذي وأراد استباحتها وقتل أهلها وسبيهم . جلس عباس بن الفارسي في داره ولم يقاتل حتى دخلوا عليه في داره ، فخرج بسيفه وهو يقول : « الجهاد ، الجهاد » فقتل وقطعت رأسه ، وطرحت جثته بخربة بتونس ؛ فأقامت سبعة أيام لم يقربها ذو ناب ولا مخلب حتى دفنت . وكان يرى عليه كل ليلة مصباح أو كالمصباح .

---

(١) الى جانب هذا السطر بالأصل هذا الهامش : نقله محمد بن عمار .

(٢) أورد أبو العرب هذا الخبر كما يلي : « ولقد حدثني أبي – أحمد بن تميم – رحمه الله ، أنهم ربما وجدوا في آخر بعض كتب عباس بن الفارسي : درسته ألف مرة » الطبقات ، ص ٢٥٤ .

(٣) كذا في الأصل ، والمراد : بنفسه .

ذكر عن أبي إسحاق بن علي بن حميد ، قال : كنت يوماً جالساً في مجلس الأمير زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب ، إذ دخل عليه أبو فهد بن عمرون ، فأخبره بمـا جرى له في تونس وفتحه لها واستيلائه عليها ، ثم قال له : « وأعلمك أني قتلت عباس بن الفارسي » ، فاستعظم ذلك زيادة الله وأنكره ، وقال له : « ما حملك على ذلك ، وما دعاك إلى قتله ، وهو رجل صالح عالم ؟ أما علمت أن قاتل عباس بن الفارسي لايلبث حولا ؟ » قال أبو إسحاق : فما دار الحول على أبي فهر حتى قتل . قال أبو العرب : قال لي أبي [و] [1] حدثني « صبرة » – مولى لنا – قال : « رأيت عند جثة عباس بن الفارسي كلباً أبيض يمنع الكلاب أن تدنو من جثته . وكانت جثته ملقاة في خربة ، فلم يقربها كلب » .

حدثنا سليمان بن سالم ، قال : « رأيت قاتل عباس بن الفارسي دخل علينا – [ونحن عند يزيد بن بشر] – [2] وهو أسود الوجه قد مسخ به ، ثم قتل بعد ذلك » .

١٠٠ – ومنهم **ابو الخطاب محمد بن عبد الأعلى الكندي** ، رحمه الله تعالى .

قال أبو سعيد بن عبد الأعلى : روى عن مالك والليث وابن لهيعة وابن أنعم قال أبو العرب : كان أبو الخطاب من مشايخ أهل إفريقية . روى عن الثوري ، وكان [يقول] إن له أربعين سنة لم ينزع طوقه من عنقه ، اشتغالا منه بالصلاة والعبادة . وكان ثقة في علمه وما حمل . وذُكر أن البهلول سمع منه [3] .

١٠١ – ومنهم **ابو مسعود العباس بن اشرس الانصاري** ، مولى لهم .

وكان فاضلا . سمع من مالك . قال سحنون : كان ابن أشرس حسن الضبط للعلم ، وكان شديد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهو مذكور في « الموطأ » ، رحمه الله تعالى . وقد كانت نزلت به نازلة فرحل إلى القيروان

(١، ٢) التكملة من أبي العرب : الطبقات ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(٣) أضاف أبو العرب في حديثه عنه : « وكان يرمي بهوى الصفرية ، وهو ثقة في علمه وما حمل ، سمع منـه ابو داوود العطـار وغيره » ، الطبقات ، ص ٨٧ .

– [ليستفتى البهلول] (1) فيها – من تونس . واجتمع بالبهلول بن راشد، وقبل منه ما أفتاه فيها وقلده إياها . وذلك ما حدث به موسى بن معاوية الصمادحى، قال: استحلف السلطان بتونس أبا مسعود بن أشرس ، صاحب مالك ، على رجل أراد السلطان قتله أنه ما أواه ولا يعلم له موضعاً . فحلف له ابن أشرس – وابن أشرس يومئذ قد علم موضعه وهو الذى أواه – فحلفه بالطلاق ثلاثاً. فحلف له ابن أشرس إشفاقاً منه على الرجل وحقناً لدمه ، ثم قال لامرأته : اعتزليني ، فاعتزلته . ثم ركب ابن أشرس حتى قدم على البهلول بالقيروان ، فأخبره بما جرى . فقال له البهلول : « قال مالك : إنك حانث » . قال له ابن أشرس: وأنا سمعت مالكاً يقول ذلك ، وإنما أردت أن أرى ما عندك . فقال له البهلول : « قال الحسن ابن أبي الحسن البصرى : لا حنث عليك » . قال : فرجع ابن أشرس إلى زوجته وأخذ يقول: « الحسن (2) قال » . [قال] أبو الحسن بن الخلاف : روى ذلك عن الحسن بن محمد بن يحيى بن السلام عن أبيه عن جده عن الحسن بن دينار عن الحسن (3) ، فى رجل طلبه السلطان ليقتله أو ليجتاح ماله ، فحلف عليه رجل بالطلاق أنه لا يعلم علمه، قال: « يحلف عن أخيه المسلم ولا طلاق عليه » .

١٠٢ – ومنهم عمر بن سمك بن حميد مولى موسى بن نصير ، رحمه الله تعالى .

روى عن مالك رحمه الله تعالى . [قد حدثنى أحمد بن يزيد عن أبي سنان عن عمر بن سمك عن مالك. قال : وحدثنى فرات عن عيسى بن أبي المهاجر قال : عمر بن سمك بن حميد مولى موسى بن نصير. قال : وحدثنى عبد الله ابن خليل عن محمد بن عياض عن عمر بن سمك قال : وكان من أصحاب البهلول ابن راشد . قال : وما علمت إلا خيراً] (4) .

---

(١) اضفت هذه العبارة ليستقيم السياق .

(٢) كذا فى الأصل ، ويبدو ان الناسخ اسقط هنا عبارة فى معنى : « يحلف عن أخيه المسلم ولاطلاق عليه » .

(٣) المراد هنا : الحسن البصرى .

(٤) التكملة من « الطبقات » – ص ٩٧ .

١٠٣ - ومنهم **ابو طالب عبد الله بن عثمان الأبزارى المعافرى**.

قال أبو العرب: كان رجلا صالحاً. سمع من مالك ومن عبد الله بن فروخ. وروى عنه داود بن يحيى. قال داود: حدثنا أبو طالب بن عثمان عن عباد ابن كبير عن يحيى بن كثير عن أبي هريرة عن النبي (ص٥٣) صلى الله عليه وسلم أن حذيفة قال: «يا رسول الله، كيف لنا بعلم ما يكون؟». قال: «يا ابن اليمان، من عمل بطاعة الله، ولم ينتهك محارم الله، ولم يستأثر بالفئ لنفسه ولأهل بيته فعليك به يا حذيفة. فإذا استأثر هو بالفئ وأهل بيته وشيدوا بنيانهم، وأظهروا دنياهم، وزعموا أن الناس خول لهم، نقضوا كتاب الله تعالى وغيروا سنتى، فما لك ولهم؟ إياك أن تكون لهم قاضياً ولا جابياً ولا عريفاً ولا شرطياً، ولا تعن بسمع ولا ببصر ولا لسان ولا شد، وكن حلساً من أحلاس بيتك، وإياك وأعوان الظلمة ومؤازرة أهل الباطل فتكون من أتباعهم، وترد مواردهم يوم القيامة».

١٠٤ - ومنهم **ابو عبد الله اسد بن الفرات بن سنان** مولى بنى سليم: رضى الله تعالى عنه.

قال أبو العرب: أصله من خراسان، [من] (١) نيسابور. قال سليمان ابن عمران: إنه ولد بحران (٢) سنة اثنتين وأربعين ومائة. ويقال إنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الغرق بالطوفان. قال [أسد بن الفرات]: دخلت مع أبى إلى القيروان فى جيش «ابن الأشعث»، فأقمنا بها خمس سنين، ثم رحلنا إلى تونس فأقمت بها نحو تسع سنين. فلما بلغت ثمانى عشرة سنة علمت القرآن [فى قرية على وادى بجردة]. (٣) قال: ورأت أمى بها كأن حشيشاً نبت على ظهرى ترعاه البهائم، فعبرت رؤياها عند معبر، فقال: «سوف يكون عند هذا الغلام علم يحمل عنه».

---

(١) كذا فى الأصل، وفى «المكتبة الصقلية» (جـ ١ ص ١٨٠)، و«المعالم» جـ ٢ ص ٢. والتكملة بين الحاصرتين من «الطبقات» ص ٨١.

(٢) فى «المعالم» (جـ ٢ ص ٢): بنجران.

(٣) فى الأصل: علمت القرآن ببجردة. وقد أخذت العبارة التى أثبتها فى النص من الأصل الذى اخذ عنه «الدباغ» وهو «الطبقات» ص ٨١.

كان قدومه القيروان سنة أربع وأربعين ومائة وهو ابن سنتين ، وسمع من على ابن زياد الموطأ وتعلم منه العلم بعد أن ارتحل من بجردة إلى تونس . ثم ارتحل إلى المشرق ، فلقى مالكاً وواظب عليه ، وطلب عليه العلم وسمع منه « الموطأ » . ثم ارتحل إلى العراق فلقى أصحاب أبى حنيفة : أبا يوسف وأسد بن عمر (١) ومحمد بن الحسن . وكتب الحديث بالعراق وتفقه بها ، ثم رحل من العراق — بعد وفاة مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه — إلى مصر ، فوجد أصحاب مالك بوفرهم فلزم ابن القاسم رحمه الله وأخذ عنه الأسدية ، وقدم بها إلى القيروان وسمعها منه خلق كثير مع « الموطأ » وغير ذلك من العلوم ، وانتشرت إمامته .

ثم ولاه زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب قضاء إفريقية سنة ثلاث ومائتين ، فأقام قاضياً عليها يقضى بين أهلها بالكتاب والسنة ، حتى خرج لغزو « صقلية » فجاهد بها الروم وقاتلهم قتالا عظيما ، وكانت له بها آثار مشهورة ومقامات مذكورة ، وافتتح منها مواضع كثيرة ، ثم توفى رحمه الله تعالى من جراحات أصابته وهو محاصر « لسرقوسة » فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ومائتين ، ودفن بذلك الموضع .

ومن بعض ما أسند عنه من الحديث : عنه عن مالك عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس ، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء ، فيقال : أنظروا هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا » .

ذكر رحلته وما تم له مع مالك وأهل العراق ، وكيف كان سبب تدوينه الأسدية وما جرى له مع محمد بن القاسم فى ذلك : ذكر سليمان بن سالم صاحب سحنون أنه أخبره غير واحد [من شيوخه] (٢) أن أسداً خرج إلى المشرق

---

(١) وفى الطبقات (ص ٨٢) : عمرو .

(٢) الاضافة هنا من « المعالم » . وقد نقل هذه العبارة من نسخة أخرى من « الرياض » ، ج ٢ ص ٣ .

فى سنة اثنتين وسبعين ومائة ، فقصد مالك بن أنس ، فلما فرغ من سماعه منه قال له : « زدنى يا أبا عبد الله سماعاً منك » — فكأنه استقل الموطأ — فقال له مالك : « حسبك ما للناس » . وكان مالك إذا سئل عن مسألة كتبها أصحابه ، فيصير لكل واحد منهم « سماع » مثل « سماع ابن القاسم » . فرأى أسد أمرا يطول عليه ، وخاف من طول مقامه أن يفوته ما رغب فيه من لقاء الرجال والرواية عنهم ، فرحل إلى العراق . وذكر غير (١) سليمان أنه سأل مالكاً يوماً عن مسألة ، فأجابه فيها ؛ فزاد أسد فى السؤال ، فأجابه، فزاد أسد فى السؤال . فأجابه ، ثم زاد ، فقال له مالك : « حسبك يا مغربى ! إن أحببت الرأى فعليك بالعراق » . وذكر بعض المؤرخين عن أسد أنه قال : « لقد كان أصحاب مالك — [ابن] القاسم وغيره — يجعلوننى أسأل مالكاً عن المسألة ، فإذا سألته أجابنى . فيقولون لى : « فلو كان كذا وكذا ؟ » فأقول له ، فضاق علىَّ يوماً فقال لى : « سلسلة بنت سليسلة : إذا كان كذا وكذا ، كان كذا وكذا ! إن أردت هذا فعليك بالعراق » . قال : فقلت لأصحابى : « تريدون أن تأخذوا العقارب بيدى ؟ لا أعود إلى مثل هذا » . وعن أسد قال : دخلت أنا وحارث ابن أسد القفصى وغالب بن مهدى (٢) على مالك بن أنس لأودعه ، فتقدم إليه صاحباى فقالا : « أوصنا يرحمك الله » ، فأوصاهما ، ثم قال [لى] : « أوصيك بتقوى الله [تعالى] (٣) ، والقرآن ، والمناصحة (٤) لهذه الأمة » . فلما خرجنا من عنده قال لى صاحباى : « زادك والله علينا يا أبا عبد الله » . قال سليمان : ولما ودعه ابن القاسم قال له : « (٥) أوصيك بتقوى الله ، والقرآن ، ونشر هذا العلم » .

---

(١) فى الأصل : عن ، والتصحيح من « المعالم » (جـ ٢ ص ٣) .

(٢) فى الأصل : غالب صهرى . والتصحيح من « المعالم » جـ ٢ ص ٤ .

(٣) التكملة من « المعالم » جـ ٢ ص ٤ .

(٤) فى « المعالم » جـ ٢ ص ٤ : النصيحة .

(٥) وردت هذه العبارة فى « المعالم » جـ ٢ ص ٤ هكذا : وما ودعه ابن القاسم قط الا وهو يقول .. الخ ..

ولما وصل أسد رحمه الله تعالى إلى العراق لقى أصحاب أبي حنيفة ، فسمع منهم ودارسهم ، فلم يفتح له ما أراد ، وكان يجلس فى حلقة محمد بن الحسن فلا ينفتح له شئ مما يتكلم عليه ، وكان يدرس الليل والنهار ولا ينفتح له شيء. وكان يتعاهد رقاقاً يشترى منه الرقوق فشكا إليه وقال : « إنى غريب طالب [علم] ، وقد نفدت بضاعتى ولم ينفتح لى شئ من العلم . فقال له : « اقرأ علىّ وأنا أفتح لك وأبين لك أصول القوم » . قال : « فكنت أقرأ عليه ويبين لى ، وكنت أتعاهده حتى انكشفت لى أصول القوم وظهرت لى مذاهبهم . فلما جلست بعد ذلك فى حلقة ابن الحسن تكلمت معهم وناظرتهم . فقال محمد (ص٥٤) لأصحابه : انفتح دماغ المغربى ! » قال أسد : « فبينا نحن مع محمد ابن الحسن يوماً فى الحلقة إذ أتاه رجل يتخطى الناس [له] حتى سارّ محمد ابن الحسن . فسمعنا محمداً يقول : « إنا لله وإنا إليه راجعون ، مصيبة ما أعظمها ! مات مالك بن أنس . مات أمير المؤمنين فى الحديث ! » قال : ثم فشا الخبر فى المسجد وماج الناس حزناً لموت مالك بن أنس . وكان بعد موت مالك إذا حدث عن مالك اجتمع إليه الناس وانسدت عليه الطريق رغبة فى حديث مالك ، وإذا حدث عن غيره لم يجئه إلا الخواص .

ذكر سليمان بن سالم عن أسد أنه قال لمحمد بن الحسن : « إنى غريب قليل النفقة . والسماع منك [نزر] (١) والطلب عندك كثير ، فما حيلتى ؟ » فقال لى : « اسمع مع (٢) العراقيين بالنهار ، وقد جعلت لك الليل وحدك ، فتأتى فتبيت عندى ، وأسمعك » . قال : « فكنت أبيت عنده . وكنت فى بيت فى سقيفته — وكان يسكن العلو — فكان ينزل إلىّ ، ويجعل بين يديه قدحاً فيه الماء ، ثم يأخذ فى القراءة . فإذا طال عليه الليل ورآنى قد نعست ، ملأ يده ونضح به فى وجهى ، فأنتبه . وكان ذلك دأبى ودأبه حتى أتيت على ما أريد من السماع عليه » . قال أسد رحمه الله تعالى : وكنت يوماً جالساً فى حلقة محمد بن الحسن حتى صاح صائح : « الماء للسبيل ! » فقمت مبادراً فشربت

---

(١) التكملة من « المعالم » جـ ٢ ص ٥ .

(٢) فى الأصل : من . والتصحيح من « المعالم » جـ ٢ ص ٥ .

من المـاء ثم رجعت إلى الحلقة ، فقال لى محمد بن الحسن : « يا مغربى شربت ماء السبيل ؟ » فقلت : « أصلحك الله ، وأنا ابن سـبيل » قال : ثم انصرفت فلما كان الليـل إذا بإنسان يدق البـاب ، فخرجت إليـه ، فإذا خادم محمد ابن الحسن فقـال : « مولاى يقرأ عليك السلام ويقول لك : « ما علمت أنك ابن سـبيل إلا فى يومى ، فخذ هذه النفقـة فاستغن بهـا على حاجتك » . ثم دفع إلى صرة ثقيـلة فقلت فى نفسى : هذه كلهـا دراهم ، ففرحت بها . فلما دخلت منزلى فتحتها فإذا فيها ثمانون ديناراً .

وعن [أبى محمد] (١) بن أبى زيد الفقيه عن عبد الله بن سعيد بن الحداد عن أبيه سعيد قال : بلغنى عن محمد بن الحسن ما أعجبنى : وذلك أن أسداً نفدت نفقته إذ كان يطلب العلم بالمشرق ، ولم يبق معه ما يتحمل به فى انصرافه إلى إفريقية . فأعلم محمد بن الحسن بذلك . فأحب إدخال المنفعة عليه ، فقال له : « إنى أذكر شأنك لولى العهد فأرجو أن يصلك بما تتحمل به إلى بلدك وتقوى به على ما أنت بسبيله » . قال : فلما لقيه ذاكره أمره ، فقال له : « يأتى الحاجب يوم كذا وكذا فيوصله إلى » . قال : فأعلم محمد بن الحسن أسداً بذلك ، وأمره أن يمضى إليه للوعد ، وقال له : « اعلم أنك عندهم حيث تضع نفسك فإن أنزلت نفسك فى مكان حسن أنزلوك [فيه] . فلما كان ذلك اليوم مضى أسد فدخل على الحاجب فأجلسه ، ثم دخل إلى ولى العهد ، فخرج الحاجب وخادم معه ، فأمره بالدخول ، فدخل أسد والخادم بين يديه ، حتى انتهى به إلى موضع فأمره بالجلوس فيه حتى يرجع إليه . ومضى الخادم فأقام شيئاً ثم رجع ومعه مائدة مغطاة فجعلها بين يديه وقال له : « كل » قال أسد : ففكرت فيما بينى وبين نفسى ، وقلت : « أهذه مكرمة أو منقصة ؟ ما أرى هذه إلا منقصة » . فقلت للخادم : « هذا الذى جئت به منك أو من مولاك ؟ » فقال : « مولاى أمر أن آتيك به ، وهو أرسلنى [إليك] » ، فلقت : « إن مولاك لا يرضى بهذا : أن يكون ضيفه يأكل دونه . يا غلام هذا بر منك ، وجبت مكافأتك [علىّ] . » قال : وكانت معى فى جيبى أربعون درهماً لم يبق معى من نفقتى سواها ، فدفعتها إلى الخادم ، وقلت له : ارفع مائدتك ،

---

(١) التكملة من المعالم : جـ ٢ ص ٥ .

فرفعها . ثم دخل فأعلم مولاه بالذى كان منى . قال : فبلغنى انه لما حكى له ما فعلت وما قلت ، قال : « حر والله الذى لا إلـه إلا هو » ثم خرج إلىّ الخادم وقال لى : « ادخل » . فمضيت حتى دخلت عليـه ، وهو على سرير ومعلمه على سرير قبالتـه وسرير ثالث خال ليس عليـه أحد . فسلمت ، فأمرنى بالجلوس على السرير الخالى ، فجلست . وأقبل يسألنى وأجيبه ، فلما قرب انصرافى أخذ رقعة وكتبها وختمها ودفعها إلىّ ، وقال لى : « قف [بهـا] إلى صاحب الديوان ، وتعود إلينا إن شاء الله تعالى ، فلك عندنا ما تسر به » . قال : فأخذت الرقعة وخرجت وليس معى شئ ولا بقى معى من نفقتى شئ ، فاحتقرت الرقعة ، ولم أمض بها . فلما كان الغد لقيت محمد بن الحسن فقال لى : « ما صنعت ؟ » فأخبرته بالذى كان ، فقال لى : « قم الساعة ، فتوصل الرقعة ولا تتوان » فمضيت فدفعتها إلى صاحب الديوان ، فدفع إلىّ عشرة آلاف ، فأخذتها ومضيت إلى محمد بن الحسن ، فأعلمته بما كان ، فقال لى : « لك فيما وصل [إليك] عون على ما أنت بصـدده ، وفيها ما تتحمل به إلى بلدك ، وإن عدت إلى القوم كنت لهم خادماً » . قال : فتركت العود إليهم (١) . قال أبو عثمان : والثانية أن أسداً تحدث فى مجلس محمد بن الحسن أن بالغرب طائراً يتكلم ، قال : فنظر إليـه الطلبـة و نظر بعضهم إلى بعض منكرين لمـا تحدث به . وفهمت ذلك منهم ولم يرد على شيئاً ، وبقيت مغموماً بذلك إلى أن بلغنى أن غراباً وصل إلى بعض السلاطين هدية من « المغرب » . قال : فلم أزل أسعى فيه حتى دُفع إلى ، فجئتُ به إلى مجلس محمد بن الحسن ، فقلت : « هذا الذى كنت حدثتك أنه يتكلم » . وجعلت أريهم كيف يجاوب ، فقال لى محمد : « ماأبهمت إذ تحدثت ولا عُـذرَ بك إذ جئت بالمخرج منه ، إذ كان خبراً لا تقبله القلوب » . قال : والثالثة أن أسداً كان جالساً مع محمد إذ مرت به امرأة فى يدها ثوب تريد أن تبيعه ، فدعاها أسد ، فأخذ الثوب فنظر إليه ثم قال :

---

(١) نقل هـذا الخبر بنصه « ابن ناجى » فى تعليقـه على « الدباغ » فى « المعالم » ، وقد صححت نص النسخة التى بين أيدينا وأكملت الناقص منها من المعالم (جـ ٢ ص ٣ ــ ٤) .

« إنه لثوب صحيح » . فقال له محمد : « ما هكذا تخاطب النساء ، ألا قلت : ثوب صفيق أو ثوب جيد أو ثوب حسن ؟ » على [سبيل] الإنكار منه على أسد إذ كلم المرأة بما كلمها به (١) .

قال أسد : قلت يوماً لمحمد [بن الحسن] : اختلفت الروايات في الذبيح من هو ، فقال قوم : إسحاق ، وقال قوم : إسماعيل ، وقال محمد : أصح الروايات عندنا أنه إسماعيل (ص ٥٥) ، لأن الله عز وجل يقول في كتابه الكريم : (فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب) (٢) فكيف يُختبر [إبراهيم] بذبح إسحاق وقد أعلمه الله أنه سيولد له إسحاق ويولد لإسحاق يعقوب ؟ وإنما الاختبار فيما لم يعرف عاقبته وهو إسماعيل .

وذكر سليمان بن سالم أن أسداً لما وصل مصر بعد وفاة مالك (٣) اجتمع مع عبد الله بن وهب ، فسأله عن مسألة فأجابه ابن وهب بالرواية ، فأراد أن يدخل عليه غير الرواية ، فقال له ابن وهب : « حسبك إذا أدينا إليك الرواية » ثم أتى إلى أشهب ، فسأله [عن المسألة] فأجابه أشهب ، فقال له أسد : « من يقول هذا ، أمالك أم أبو حنيفة ؟ » فقال أشهب : « هذا [من] قولي ، عافاك الله ! » ، فقال له : « إنما سألتك عن قول مالك وأبي حنيفة ، فتقول هذا قولي ؟ » ، فدار بينهما كلام ، فقال عبد الله بن عبد الحكم لأسد : « ما لك ولهذا ؟ هذا رجل أجابك بجوابه ، فإن شئت فاقبل وإن شئت فاترك » . ففرق بينهما . فنزل أسد (٤) وأتى إلى عبد الرحمن بن القاسم ، وهو يختم كل يوم وليلة

---

(١) عبارة الأصل هنا مضطربة وناقصة ، وقد قومتها .

(٢) سورة هود آية ٧١ . وقد ورد نص هذه الآية في الأصل محرفا هكذا : « وبشرناه بإسحق ومن وراء اسحق يعقوب » ، وظاهر أن الناسخ خلط بين هذه الآية والآية رقم ١١٢ من سورة الصافات : (وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين) .

(٣) ورد نص هذا الخبر مضطربا في الأصل فقومته على نص المالكي نفسه الذي أورده ابن ناجي في تعليقاته على « المعالم » ج ٢ ص ٧ .

(٤) في الأصل : أشهب .

ثلاث ختمات ، وقد أضنى نفسه من العبادة ، فسأله عن مسألة فأجابه ثم أدخل عليه ، فأجابه ، حتى انقطع أسد فى السؤال . فقال له ابن القاسم : « يا مغربى زد وقل لى من أين قلت حتى أبين لك قول مالك » فعند ذلك قام أسد على قدميه فى المسجد فقال : « معاشر الناس ، إن كان مالك بن أنس قد مات ، فهذا مالك بن أنس ! » فكان يغدو إليه كل يوم ، فيسأله ويجيبه ابن القاسم ، حتى دون ستين كتاباً وسماها « الأسدية » . وقيل إن ابن القاسم ترك لأسد فى سؤاله ختمة (١) . فلما عزم أسد على الرحيل إلى إفريقية قام عليه أهل مصر فسألوه فى كتبه (٢) أن ينسخوها ، فأبى عليهم ، فقدموه إلى القاضى بمصر ، فقال لهم القاضى : « وأى سبيل لكم عليه ؟ رجل سأل رجلا فأجابه ، وهو (٣) بين أظهركم فسلوه كما سأله » . فرغبوا إلى القاضى فى سؤاله أن يقضى حاجتهم ، فسأله القاضى فأجابه إلى ذلك ، فنسخوها حتى فرغوا منها . و[لما] عزم أسد على الرحيل [إلى مصر] (٤) وجه معه ابن القاسم بضاعة وقال له : « إذا قدمت إفريقية فبعها واشتر بثمنها رقوقاً ، وانسخ الكتب ووجه بها إلى » . فلما قدم أسد إفريقية أظهر الكتب وأسمعها الناس ، وانتشرت بإفريقية . قال : وكان سحنون ومحمد بن رشد (٥) يكتبانها ، فلما سمع أسد بذلك شح على الكتب ولم يعطها لأحد . قال سليمان : قال لى محمد بن سحنون : فبقى على سحنون منها « كتاب القسم » فأتى رجل من أهل الجزيرة إلى أسد فسأله فى كتاب « القسم » فأبى أن يعطيه إياه حتى حلفه

---

(١) كذا فى الأصل . وجاء فى « ترتيب المدارك » لعياض فى ترجمة أسد : « قال لى (أى لأسد) ابن القاسم : كنت أختم فى اليوم والليلة ختمتين ، فقد نزلت لك عن واحدة رغبة فى احياء العلم » . (جـ ١ ص ٩٥ ب) .

(٢) فى الأصل : كتب . ونص العبارة فى المعالم (جـ ٢ ص ٨) : « قام عليه أهل مصر ، فسألوه فى كتاب الأسدية أن ينسخوه » ، وهو أصوب .

(٣) أى عبد الرحمن بن القاسم .

(٤) التكملة من نص المالكى فى المعالم (جـ ٢ ص ٨) .

( ) فى المعالم (جـ ٢ ص ٨) : رشيد .

أنه لا يعطيه لسحنون ، فلما صار الكتاب إلى الرجل أتى به إلى سحنون وقال له : « خذه يا أبا سعيد ؛ فما أعطانيه حتى حلفت ، وأنا أكفر عن يميني » . فكملت الكتب عند سحنون . قال أبو القاسم زياد بن يونس السدري (١) : ولما تهيأ سحنون للخروج (٢) إلى مصر خرج معه مشايخ أهل العلم وفيهم أسد. فقال لسحنون : « أما إنه لو كان معك هذا الديوان لسمعتَـه على ابن القاسم » ، فقال له سحنون : « أما إنه فى وعائى ! » ثم شيعوه وانصرفوا . فوصل إلى ابن القاسم [فسأله ابن القاسم] (٣) عن أسد ما فعل الله به ، فأخبره بما نشر (٤) من علمه فى جميع الآفاق ، فسر بذلك عبد الرحمن . ثم شافهه سحنون فى مسائل سأله عنها ، فرد عليه جوابها ، ثم أحله من نفسه بمحل عظيم . ثم قال له سحنون : إنى أريد أن أسمع منك هذه « المدونة » ، قال : فاستخار الله عز وجل فى ذلك عبد الرحمن ، ثم قال : افعل . فبدأ بالسماع عليه حتى استكملها ، وأسقط منها ابن القاسم : « وأظن مالكاً قال فى هذه المسألة كذا ، وكذا ، وأحال مالكاً قال كذا وكذا » وقال لابن القاسم : « ما وقفت عليه من قول مالك كتبته وما لم تقف عليه تركته وتكلمت فيه بما يظهر لك من ذلك ، والله يعينك » . فأجابه عبد الرحمن إلى ذلك وتم له ما أراد ، فلما فرغ كتب له عبد الرحمن كتاباً إلى « أسد » يأمره فيه أن يرد « مدونته » على « مدونة سحنون » فلما قدم سحنون بالكتاب دفعه إلى أسد ، فلما قرأه أراد أن يفعل ما أمره به من ذلك ، فشاور فى ذلك جماعة من تلامذته فقالوا له : « لا تفعل ، فإنك تتضع عند الناس إن رددت كتبك على كتب سحنون ويسود بذلك عليك وترجع له تلميذاً ، وأنت قد أدركت مالكاً وأخذت عنه ، ثم دخلتَ الكوفة وأخذت عن أبى يوسف ومحمد بن الحسن ، فاترك هذا واحمل (٥) عن هؤلاء لا تقبل منهم كلامهم » . وقالوا له ما قالوا ، ولم يقبل كتاب ابن القاسم

---

(١) فى المعالم (جـ ٢ ص ٨) : السيورى .

(٢) فى الأصل : ولما تهيأ لسحنون الخروج . والتصحيح من المعالم .

(٣) التكملة من المعالم : جـ ٢ ص ٨ .

(٤) فى الأصل انتشر . والتصحيح من المعالم جـ ٢ ص ٨ .

(٥) كذا فى الأصل ، وفى « المعالم » ، ولعل المراد : اعدل .

فى ذلك ، وتمسك بكتابه « الأسدية » ونشر مذاهب أهل العراق ، وتمسك سحنون « بمدونته » التى قدم بها ، ونشرها وسمعها عليه أهل المغرب ، وانتشر ذكرها فى الآفاق . وعول الناس عليها وأعرضوا عن « الأسدية » وغلب عليها اسم سحنون .

والمشهور عن أسد رحمه الله تعالى أنه كان يلتزم من أقوال أهل المدينة وأهل العراق ما وافق الحق عنده ، ويحق له ذلك لاستبحاره فى العلوم وبحثه عنها وكثرة من لقى من العلماء والمحدثين . وكان أسد بعد وصول كتاب ابن القاسم إليه ، إذا ذكر عنده ابن القاسم ، مشرفاً له ومعظماً . وعن عبد الله بن سعيد [ابن] الحداد عن أبيه قال : « سمعت معمراً يقول : دخلت على أسد فوجدته يبكى ، فقلت له ، « أمصيبة نزلت بك ؟ » فقال : « لا ، ولكنه جاءنى من ابن القاسم كتاب يأمرنى فيه أن أعرض كتبى على كتب سحنون ، أفأعرض كتبى على كتبه وأنا ربيته ؟ »(١) قال : فقلت له : « أنت أهل لما أصابك ، أفما عرفت انما عرف(٢) ابن القاسم بك ؟ » . فقال لى : « لا تفعل ، لو رأيت ابن القاسم لعز عليك أن تقول هذا فيه » . وقيل إن أسداً ضرب شيخاً من شيوخ إفريقية معروفاً بالعلم ومعرفة الحديث لما شهد عليه عنده فى وقت ولايته القضاء أنه انتقص ابن القاسم ، فضربه على ذلك ضرباً عظيماً . فهذا يدل على موالاته ومحبته فيه ، رضى الله تعالى عنهم .

(ص٥٦) ذكر فضله ومناقبه : قال أبو جعفر القصرى : كان أسد إمام العراقيين بالقيروان كافة ، مشهوراً بالفضل والدين ، ودينه ومذهبه هو السنة ، يقول : القرآن كلام الله عز وجل ليس بمخلوق ، وكان يبدّع من يقول غير ذلك ، وكان يقول : « إن الله على العرش استوى بلا كيف ويُرى فى الأخرى كيف يشاء لا كما يشاء العباد » ، ويكفّر من يمنع من ذلك . وكان يقول : « والله لو أدخلت الجنة فحجبت عن رؤيته لشككت فيه ، ولأنا أسر برؤية ربى منى بالجنة » .

---

(١) فى الأصل من غير نقط ، وفى المعالم : ربيته (جـ ٢ ص ١٠) .

(٢) عبارة الأصل هكذا : أفما عرفت أفما عرف ابن القاسم بك ... وقد صححتها بحسب ما جاء فى « المعالم » جـ ٢ ص ١٠ .

وكان رحمه الله تعالى يكفر بشراً المريسى ويتكلم فيه بأقبح الكلام ، وبلغه أنه وضع كتاباً وسماه « بكتاب التوحيد » فقال أسد : « أوجهل الناس التوحيد حتى يضع لهم بشر فيه كتاباً ؟ هذه نبوة ادعاها » . قال أسد : ولقد هممت أن أختلف بألواحي إلى بشر فلم أفعل . فلما قدمت بلغنى أنه تزندق وتعدى . قال : وتحدث أسد بحديث فيه رؤية الله تبارك وتعالى فى الآخرة ، وسليمان العراق آخر المسجد ، فتكلم وأنكر ، فسمعه فقام إليه وجمع بين طوقه ولحيته واستقبله بنعله ، فضر به ضرباً شديداً حتى أدماه . [أخبر] أبو العرب ابن جبلة بن حمود : قال أبو سليمان داود بن يحيى : رأيت أسد بن الفرات يعرض التفسير فتلا هذه الآية : (فاستمع لما يوحى إننى أنا الله لا إلـٰه إلا أنا فاعبدنى) ، فقال أسد عند ذلك : « ويل لأهل البدع ، هلكت هوالكهم ، يزعمون أن الله عز وجل خلق كلاماً ، يقول ذلك الكلام المخلوق : لا إلـٰه إلا أنا ! » عن ابن الحداد قال : « حُدثت عن أسد أن أصحابه كانوا يقرأون عليه يوماً فى « تفسير المسيب بن شريك » ، إلى أن قرأ القارىء : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) ، وكان سليمان بن حفص جالساً بين يديه ، فقال له : « يا أبا عبد الله : مِن الانتظار » وكان إلى جانب أسد نعل غليظ ، فأخذ أسد بتلابيبه (١) وكان أيداً ، وأخذ بيده الأخرى نعله وقال : « إى والله يا زنديق ، لتقولنها أو لأبيضن بها عينيك ! » فقال : « نعم ، ننظره » .

قيل : لما قدم أسد من المشرق نزل القيروان ، وسمع منه المعروفون بصحبته ووجوه أهلها كسحنون وأمثاله فى ذلك الوقت . وسمع عليه كل معروف بصحبته مثل معمر ومحمد بن وهب ومحمد بن تادم وأبى المنهال وسلمان بن عمران وسائر من يقول بقول الكوفيين . ورحل الناس إليه من البلدان ، وسمعوا عليه وتفقهوا به ؛ فذكر عن عبد الخالق المتعبد أنه أتى إليه فقال له : « يا أبا عبد الله ، جئتنا بالرأى وتركت الآثار وما كان عليه السلف » ، فقال له أسد : « أما علمت يا عبد الخالق أن قول أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هو رأى لهم وهو أثر لمن بعدهم ،

---

(١) فى الأصل : تلبيته .

وكذلك التابعين هو رأى لهم وهو أثر لمن بعدهم ؟ وأما ما فى كتبى من قول ابن القاسم « أرى ، وأظن » فلقد كنت أسأله عن المسألة فيجيبنى ، فأقول له : « هذا قول مالك ؟ » فيقول لى : « كذلك أحسب . وكذلك أرى » . وكان ابن القاسم ورعاً ، وكان يكره أن يهجم على الجواب وهو بشك فيه . ولقد دفع إلىّ ، لما أردت الانصراف إلى إفريقية ، كتاباً وقال لى : « كنت أجيبك بأجوبة وربما شككت فيها انها قول مالك . وهذا سماعى من مالك فى هذا الكتاب فخذه ليكون عندك ، وقابل بما فيه وأصلح ما خالفه عليه » ، فسكت عبد الخالق .

وعن أبى سنان الفقيه أنه قال : « كنت جالساً عند البهلول وأتاه رجل فقال : « إنى أمرت ابنى بشىء وقلت له : إن لم تفعله فأمك طالق ، إن قدرت لك على مال لارددته عليك » . فلم يجبه بشىء وسكت عنه إلى أن جاء أسد فقال له : « سل هذا » ، فسأله عن المسألة فقال له أسد : « طلق أمه واحدة بائنة ، واتركها حتى تنقضى عدتها ، ثم رد على ابنك ماله ، واخطب امرأتك وتزوجها » . فقال له البهلول : « اسمع ما يقول لك » . [قال] أبو سنان (١) : « كان أسد إذا سرد أقوال العراقيين يقول مشايخ كانوا يجالسونه — ممن يذهب إلى مذاهب أهل المدينة — : « أوقد القنديل الثانى يا أبا عبد الله » ، فيسرد أقاويل المدنيين . وكان ابن غانم يشاوره ويعجب به وكان يقول : « ضربنا فى طلب العلم آباط الإبل ، واغتربنا فى البلدان ولقينا العلماء ، وغيرنا إنما طلب العلم خلف كانون أبيه ووراء منسج أمه ، ويريدون أن يلحقوا بنا ! » ، يريد بذلك أبا محرز (٢) . ومدحه محمد بن الحسن بمكة ووصفه بالمناظرة والدراسة والسماع .

وسئل أسد عن الرجل يسأل عن المسألة وهو يعرف اختلاف الناس فى مثلها ، هل يفتى بالأقاويل أو يستحسن أحدها فيفتى به ؟ فقال : إذا كان المفتى من أهل النظر فلا يفتى بالقولين ، لأنه يدع السائل فى حيرة ، ولكنه يفتى

---

(١) هو أبو سنان زيد بن سنان الأسدى . انظر ترجمته فى المعالم ج ٢ ص ٧٠ .

(٢) هو أبو محرز محمد بن عبد الله بن قيس الكنانى . سترد ترجمته فيما بعد فى هذا الكتاب .

بأحسن الأقاويل عنده ؛ وإن كان من غير أهل التميز فليخبر المستفتى بما رُوى عن العلماء ولا يتخير له . [قال] سليمان بن عمران : سمعت أسداً يقول : أهل الكوفة إذا أرسلوا فى الرواية عن عبد الله فهو ابن مسعود ، وأهل المدينة إذا أرسلوا عن عبد الله فهوابن عمر . قال أسد : معنى القول الذى قالته العلماء فى النجاسة إذا وقعت فى الغدير : أنها لا تفسده حتى يكون إذا حركت ناحية منه تحرك أعلاه وأسفله ، إنما معنى ذلك إذا أنت حركت ناحية منه تحركت النواحى بتحريكك فى وقته ، وليس هى تحريك الناحية التى تحركها فتتحرك غيرها بعد ذلك الوقت بتتابع الأمواج . [قال] سليمان [بن عمران]: عرض لنا أسد «كتاب الأشربة» ، فمر فيه : لا بأس بشرب المنصَّف ، لأن عنب خراسان كثير العسل قليل الماء فهو ينعقد على النصف ، وأما غيره فلا يجوز حتى ينعقد وإن بلغ الثلثين . قال : ولقد اختبرنا عندنا «بمجردة» فوجدناه لا ينعقد إلا على الثلاثة أرباع ، لأنه قليل العسل كثير الماء ، ولا يحل قبل انعقاده . وكذلك قال أهل العلم : إذا انعقد قبل أن يبلغ الثلثين حل ، لأن الحكم فيه انعقاده . ولا يشرب الطلا حتى يصير أصفر كعسل النحل . (ص٥٧) قال سليمان : وكتب إلىّ رجل من «قمودة» من طلبة العلم أن أسأل أسداً عن النبيذ ، أحلال هو أم حرام ؟. فسألت أسداً عن ذلك فقال : «إن النبيذ أخبث الخبائث ، ليس تقوم بالنبيذ عبادة ولا صيام ولا صلاة ولا جهاد ولا صدقة ، إنما يقوم به مزمار أوعود أوطنبور ، فلو لم يعتبر تحليله من تحريمه إلا بأخواته التى تقارنه [لكفى]» . وأخبر سليمان قال : سمعت أسداً يقول : شهدت عند ابن غانم على غلام بالبلوغ ، فلما خرجت من عنده وإذا الخصوم قد غيروا علىّ هانئ بن أبى خيثمة ، وهو الذى شهدت عليه ، فقال لى : يا أبا عبد الله ، اتق الله ! لا تشهد على غلام بالبلوغ وأنت لا تعلم ذلك إلا بالنظر . قال أسد : فقلت له : ويحك ! هذا من الأمور التى يشهد على ظاهرها كما أشهد أنك هانئ بن أبى خيثمة ، ولم أعاين أباك حين قذفك نطفة فى رحم أمك . قال : فسكت عنى . وكان أسد يقول : «يا معشر طلبة العلم ، إنكم تنوبون للمسلمين نيابة عظيمة ، بتقييدكم العلم عليهم ، فلكم فى بيت مال المسلمين حق لذلك ، وكذلك قالت العلماء : من ناب نيابة للمسلمين فله فى بيت مالهم حق . وكان أسد يقول : ثلاثة لا غيبة فيهم :

صاحب بدعة ، وأمير غشوم ، ومن ألقى جلباب الحياء وظاهر بالسوء .
[أخبر] ابن الحداد (١) ، قال : بلغنى عن أسد أنه كان يختلف إليه شاب يطلب عليه العلم ، فبينا هو ذات يوم جالس معه إذ سأله عن صناعته ، فسمى له الشاب صناعته . فقال له أسد: « قم ! » ، بانتهار . فقال له الشاب : « ما قصتى أصلحك الله ؟ إن كنت أنكرت صناعتى تركتها » فقال له أسد : « ما أنكرتها ، ولكنى أنكرت تعطيلك لحانوتك الذى منه معاشك ، وتقوى به على طلب العلم ، وصاحب الحانوت إنما هو بالحرفاء (٢) فإذا جاءك حريفك اليوم ولم يجدك وغداً فلم يجدك وبعد غد مثل ذلك ، استبدل بك غيرك ، فضررت بنفسك وبمن نعوله . ولكن إن عزمت فاجعل لنفسك يوماً أو يومين [فى] الجمعة يعلم حرفاؤك بمغيبك عن حانوتك فى ذلك اليوم أو اليومين . فيأخذون ما يحتاجون إليه قبل مغيبك » ، ثم قال له أسد : « انظر إلى هؤلاء الذين يأتون ، إنما هم أهل حرث وحصاد . فإذا كان وقت حرثهم وحصادهم لم تر منهم أحداً يجئ إلينا ، فإذا انقضى حرثهم أو حصادهم عادوا إلى ما كانوا فيه » . وكان [أسد] على فهمه وعلمه ، أحد الشجعان وكانت له مقامات فى الدين مشهودة .

ذكر سبب ولايته القضاء وسيرته فى ذلك ، وولايته على الجند الخارجين إلى غزو صقلية ، وبعض ما جرى له من المقامات والأخبار :

ذكر بعض المؤرخين أن سبب ولايته القضاء أن على بن حميد (٣) لم يزل يتاطف بزيادة الله فى عزل « أبى محرز » وولاية « أسد » وعظّم عنده شأنه واشتهاره بالفقه والعلم ، فأجابه إلى ذلك . وأقر أبا محرز على القضاء وولى معه أسداً ، فكانا يقضيان جميعاً — ولم يُعلم أن [كان] قبلها قاضيان فى مصر واحد ووقت واحد — وذلك سنة أربع ومائتين . ولم يزالا على ذلك حتى ثار منصور الطنبدى وجماعة الجند على زيادة الله وحاصروه فى « القصر القديم » نحواً

---

(١) هو أبو عثمان سعيد بن محمد الغسانى المعروف بابن الحداد ، وسترد ترجمته .

(٢) جمع حريف ، وهو المعامل فى الحرفة (القاموس المحيط) .

(٣) فى الأصل : على بن جميلة ، والتصحيح من « المعالم » ج ٢ ص ١٢ .

من اثنتى عشرة سنة ، وملك منصور مدينة القيروان وإفريقية . ونزل بعسكره بين شرقى مدينة القيروان وقبليها (١)، وخندق خندقاً هناك . فخرج إليه « أسد » وأبو محرز وهما جميعاً قاضيان . فدخلا على منصور — وعنده وجوه الأجناد وغيرهم — فقال لهما منصور فى كلام كان منه : « اخرجا معنا ، أما تعلمان أن هذا اليابس (٢) ظلم المسلمين؟ » فأما أبو محرز فإنه خاف من منصور وأصحابه فقال : « نعم ، وظلم اليهود والنصارى » . وأما أسد فقال لهم : « قد كنتم إخواناً له قبل هذا الوقت، وأنتم وهو على مثل هذا الحال . وكما وسعنا الوقوف عنه وعنكم فكذلك يسعنا الوقوف عنه وحده » قال: فصال عليه بعض الجند، فانصرفا جميعاً وهما خائفان . ثم انهزم منصور فى شهر رمضان من سنة إحدى عشرة ومائتين. وفتح الله عز وجل لزيادة الله ، ورجع إليه ملك إفريقية .

قال سليمان بن عمران : « كنت حضرت فى أيام أبي العباس [بن الأغلب] فى هدنة صقلية ، وقد جمع شيوخ القيروان ووجوههم . وكنت فيمن حضر ، فكُتب بين يديه كتاب الهدنة وقرئ على جماعة الناس، وكان فيه : إن من دخل إليهم من المسلمين وأراد أن يردوه إلى المسلمين كان ذلك عليهم . فلما قدم « فيمه » [الرومى] (٣) فى هذه الهدنة أيام زيادة الله رفع إليه أن عند الروم أسارى من المسلمين ، فجمع زيادة الله الناس، وأحضر أسداً وأبا محرز، وسألهما عن ذلك. فأما أبو محرز فقال : « نستأني في هذا الأمر حتى يتبين » وأما أسد فقال : « نسأل رسلهم عن ذلك » . فقال أبو محرز : « وكيف نقبل قول الرسل عليهم أو دفعهم عنهم؟ » . فقال أسد: « بالرسل هادنّاهم وبالرسل نجعلهم ناقضين .

---

(١) فى « المعالم » ج ٢ ص ١٢ : غربيها .

(٢) فى « المعالم » ج ٢ ص ١٣ : البايس . أمارى : اليائس (المكتبة الصقلية) ج ١ ص ١٨٢ .

(٣) كذا فى الأصل ، والاضافة من المعالم ، ص ١٢ . وقد أورد ابن الأثير اسمه هكذا : « فيمى » وأعطانا تفاصيل وافية عن شخصيته وعن الدور الذى قام به فى التمهيد لفتح المسلمين صقلية فى ذلك الحين : انظر : المكتبة الصقلية لأمارى ، ج ١ ص ٢٢١ — ٢٢٢

قال الله عز وجل: (فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون) (١) ، فكذلك لا تماسك به (٢) ونحن الأعلون » قال: فسأل زيادة الله عند ذلك الرسل فقالوا: « نعم ، حبسوهم . لأنهم فى دينهم (٣) لا يحل لهم ردهم » قال: وكان فى الرسل مسلم .

قال : فأمر يومئذ زيادة الله بالغزو إليها ، فسارع أسد إلى الخروج . فكان زيادة الله يتثاقل عن ذلك ، وكان أسد يقول : « وجدونى رخيصاً فلم يقبلونى ، وقد أصابوا من يُجرى لهم مراكبهم من النواتية ، فما أحوجهم إلى من يجريها لهم بالكتاب والسنة » . قال أحمد بن سليمان (٤): كره علماء إفريقية غزو صقلية للعهد الذى كان لهم ، لأنه لم يصح عندهم أنهم نقضوا العهد . فلما ولى زيادة الله أسداً على تلك الغزاة ، وعزم عليه فى ذلك قال له: « أصلح الله الأمير ، من بعد القضاء والنظر فى حلال الله [تعالى] وحرامه تعزلنى وتولينى (٥) الإمارة ؟ » فقال له زيادة الله : « إنى لم أعزلك عن القضاء (ص ٥٨) بل وليتك الإمارة ، وهى أشرف من القضاء ، وأبقيت لك اسم القضاء ؛ فأنت قاض أمير » .

فخرج أسد على ذلك ، ولم تجتمع الإمارة والقضاء لأحد ببلد إفريقية إلا لأسد وحده . قال أبو العرب : وكان خروجه إلى صقلية فى شهر ربيع الأول سنة اثنتى عشرة ومائتين . وكان معه فى جيشه نحو من عشرة آلاف فارس .

---

(١) سورة محمد ، الآية ٣٥ .

وقد وردت هذه الآية محرفة فى الأصل . وخلط ابن ناجى بينها وبين آية أخرى ، وهى : «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين» ـ آل عمران آية ١٣٩ . انظر « المعالم » ، جـ ٢ ص ١٣ .

(٢) كذا فى الأصل . وأقر أمارى هذه الصورة (انظر المكتبة الصقلية ، جـ ١ ص ١٨٣) وكذلك « المعالم » جـ ٢ ص ١٤ . والغالب أن المراد : لا نتمسك بالسلم .

(٣) قرأها أمارى : حينهم (المكتبة الصقلية) جـ ١ ص ١٨٣ .

(٤) أحمد بن أبى سليمان : أبو العرب ، طبقات ، ص ٨٣ .

(٥) فى الأصل من غير نقط . وقد قرأها أمارى : « يعزلنى ويولينى » (جـ ١ ص ١٨٣) وقرأها ابن ناجى : « تعزلنى وتولينى » المعالم جـ ٢ ص ١٤ .

وذكر بعض مشايخنا أن أسداً لما خرج على الجيش متوجهاً إلى « سوسة » ليركب إلى صقلية ، خرج معه وجوه أهل العلم وجماعة الناس ليشيعوه . وأمر زيادة الله ألا يبقى أحد من رجاله إلا شيعه . فركب أسد فى جمع عظيم . فلما رأى جمع الناس بين يديه وخلفه وعن يمينه وعن شماله، وقد صهلت الخيول وضربت الطبول ونشرت البنود ، قال: « لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له »، ثم قال: « والله يا معشر الناس ما ولّى لى أب ولا جد ولاية قط، ولا رأى أحد من سلفى مثل هذا قط . وما رأيت ما ترون إلا بالأقلام ، فأجهدوا أنفسكم وأتعبوا أبدانكم فى طلب العلم وتدوينه، وكاثروا عليه واصبروا على شدته، فإنكم تنالون به الدنيا والآخرة » .

[قال] سليمان بن سالم : إن أسداً لما وصل إلى صقلية زحف « بلاطة » ملك صقلية فى خلق عظيم ، يقال إنه [كان] فى مائة ألف وخمسين ألفاً . قال ابن أبى الفضل : فرأيت أسد بن الفرات وفى يده اللواء وهو يزمزم فحملوا عليه ، فكانت فينا روعة، وأقبل أسد على قراءة « يٓس » ، فلما فرغ منها قال للناس : « هؤلاء عجم الساحل . هؤلاء عبيدكم . لا تهابوهم ! » ؛ وحمل الناس معه، فهزم الله عز وجل « بلاطة » وأصحابه . فلما انصرف أسد رأيت — والله — الدم قد سال مع قناة اللواء مع ذراعه حتى صار تحت إبطه . ومعنى قول أسد: هؤلاء عجم الساحل ، يعنى الذين كانوا هربوا من الساحل لما فتحت إفريقية . فكتب زيادة الله بن الأغلب بفتح صقلية على يدى أسد بن الفرات إلى « المأمون » .

ويقال إن أسداً قال « لفيمه » النصرانى الرسول : « اعتزلنا ، فلا حاجة لنا بأن تعينونا » وقال : « اجعلوا على رؤوسكم سيما (١) تعرفون بهـا ، لئلا يتوهم واحد منا أنكم من هؤلاء المواقفين لنا ، فيصيبكم بمكروه » . فجعلوا على رؤوسهم الحشيش ، فكانت تلك سيماهم . قال سليمان بن سالم : وكان أسد و« ابن قادم » قد اختلفا ، وذلك أن أسداً لما وصل بالناس إلى صقلية أضر بالناس الجوع حتى أكلوا لحم الخيل . فمشى الناس إلى ابن قادم ، فمضى إلى أسد وقال له : « ارجع بنا إفريقية ، فإن حياة رجل مسلم أحب إلينا من [أهل] الشرك كلهم »

---

(١) « المعالم » ج ٢ ص ١٦ : سيماء .

فقال له أسد: « ما كنت لأكسر غزوة على المسلمين، وفى المسلمين خير كثير »، فأبى عليه الناس ذلك، فأراد حرق المراكب. فبدرت من ابن قادم كلمة، فقال: « على أقل من هذا قتل عثمان بن عفان » فتناوله أسد بالسوط، فضربه ولم يجرده، وإنما ضربه أسواطاً يسيرة، قدر ثلاثة أو أربعة. وتمادت عزيمته ونصرته، فقاتل الروم قتالا شديداً حتى قتلهم وهزمهم واستأصلهم. وسكنها المسلمون واستوطنوها ثم شاء الله [تعالى]، بذنوب أهلها، أن أوقع بهم عدوهم. نسأل الله تعالى حلمه وأمانه وعافيته لمن بقى بهما من المسلمين، وارتداد الكرة لهم على عدوهم، [وعونه] وتأييدهم على عدوهم والتوبة عليهم آمين.

١٠٥ — ومنهم **أبو محرز محمد بن عبد الله بن قيس بن يسار بن مسلم الكنانى القاضى**، رحمه الله تعالى.

ذكر ابن سفيان (١) القرطبى أنه من المعدودين من أصحاب مالك. ولاه إبراهيم بن الأغلب القضاء على كره منه. وكان رحمه الله يجلس للخصوم فى داره وجعل للنساء يوماً عند بابه الذى فى « زقاق ابن دينار ». قال أبو العرب: كان أبو محرز مبتلى بصب الماء [فى الوضوء] وكان شديد الورع. فرفع إلى إبراهيم بن الأغلب أنه فى وقت وضوئه ينزع خاتمه من أصبعه ويطرحه فى بيته، فيطبع به أهله ما أحبوا. قال: فترصده إبراهيم يوماً فى وقت وضوئه، فوجه إليه خادمين، فوجداه، فى هيئة الوضوء، فقالا له: « يقول لك الأمير: أين خاتمك؟ ». فقال لهما: « ها هو ذا »، فإذا هو فى عنقه معلق فى خيط. فرجعا إلى الأمير فعرفاه بذلك، فتعجب من ذلك (٢). وكان أسد أوسع من أبى محرز علماً وأغزر فقهاً (٣)، وكان أبو محرز أقل علماً وأكثر صواباً فى كثير من الأوقات.

---

(١) فى المعالم (جـ ٢ ص ١٩): شعبان.

(٢) التكملة من « المعالم » جـ ٢ ص ٢٤. وقد نقل ابن ناجى والمالكى هذه الفقرة من أبى العرب كما هو ظاهر من النص.

(٣) فى الأصل: وأغزر فهما وفقها، وكتب الناسخ فوق « فقها » كلمة « صواب ».

قال محمد بن زرزر (١) : قال الأمير زيادة الله بن إبراهيم [يوماً] لأسد وأبي محرز : « ما تقولان في دخول الحمام مع الجواري ؟ » فقال له أسد : « ما بذلك [من] بأس ، هن إماؤك ، ونظرك إليهن وإلى فروجهن حلال » . فخالفه أبو محرز في ذلك وقال للأمير : « إن كان يحل لك أن تنظر إلى عوراتهن فلا يجوز لبعضهن أن تنظر إلى عورة بعض » (٢) .

وذكر الفقيه أبو القاسم بن شبلون ، رحمه الله تعالى ، قال : حدثونا أن رجلين استعدى أحدهما على الآخر عند أبي محرز القاضي ، وأثبت عنده شاهدين بعد أن كشف عنهما ، فعُـدِّلا . فلما أراد أن يوجه الحكم على المشهود عليه ، بعد أن أعذر [إليه] ، أتاه المشهود عليه بعد صلاة المغرب فهجم عليه في سقيفته ، وقال : « أيها القاضي ! عزمت [على] أن تحكم عليّ ؟ » ، قال القاضي : « نعم ! » ، قال المشهود عليه : « امرأته طالق ثلاثاً ، وكل مملوك له حر إن كان شهد عليّ هذان إلا بزور ! » فقال أبو محرز : « ليس هذا عليّ ، وأنا قد كشفت عنهما فلم يبلغني عنهما إلا خير » . فلما أصبح أبو محرز [توجه] إلى مجلس قضائه ، فجلس . فأقبل المشهود له فقال له : « احكم لي أصلحك الله » . فقال : « نعم ، لكن تأتي معك (ص ٥٩) بالشاهدين اللذين شهدا لك ، فإني أريد أن أسألهما عن شيء بقي عليّ لم أسألهما عنه » . فمضى الرجل فأحضرهما . فلما جلسا في مجلس القاضي أبي محرز قال القاضي بأعلى صوته : « يا شكرديد ! (٣) إن في حلقتي شاهدي زور ، فامض إلى « باب سلم » فجئني بجملين حتى تحملهما عليهما » . (٤) فمضى « شكرديد » . فالتفت أحد الشاهدين إلى الآخر [وقال] : « قم بنا فإنا نراد . ما أحسبه يحمل على هذين الجملين غيرنا » فهربا متسللين حتى غابا . فلما أتى « شكرديد » بالجملين قال « أبو محرز »

---

(١) في « المعالم » (جـ ٢ ص ٢٢) : محمد بن زوار .

(٢) ورد هذا الخبر ناقصا في النص ، فأكملته من « المعالم » لابن ناجي ، نقله عن أبي العرب ــ « المعالم » (جـ ٢ ص ٢٢) .

(٣) كذا في الأصل ، وفي المعالم (جـ ٢ ص ٢٢) : « سكر » .

(٤) في المعالم (جـ ٢ ص ٢٢) : حتى أحملهما وأطوفهما .

للمشهود له : « أين شاهداك ؟ » فقال : « ها هنا كانا الساعة ، ولا أدرى أين توجها ! » فقال له أبو محرز : « يا عدو الله ! تجترئ على بشهود الزور ؟ » وهم بضربه . وقال السقيفى : بلغنى أن أبا محرز كان يوماً عند أبى العباس وهو بمنزره (١) فكأن أبا العباس وجد من ذلك .

وكان أبو العباس يوماً عند ابن إبراهيم بن الأغلب ، وعلى رأسه عبد له أسود . فقال أبو العباس : « يا أبا محرز ، لو رأيت هذا وما يصنع فى الغارات لرأيت عظيماً » فقال أبو محرز : « إنه لا يعرف الله » فقال له أبو العباس : « وكيف ذلك؟» فقال أبو محرز للعبد: « محمد النبي من الملائكة هو أم من الإنس؟» فقال العبد : « هو ربى وربك ! » فقال أبو محرز : « ربى وربك الله » ثم قال له : « قد أخبرتك أنه لايعرف الله تعالى » .

قال سليمان بن عمران : أخذ فى زمن زيادة الله زنديق ، فأرسل إلى أسد وأبى محرز وزكريا بن محمد — وكان من أصحاب مالك — يسألهم عن وجه الحكم فيه . فقال أبو محرز : « يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل » . ووافقه أسد . وقال زكريا بن محمد بن الحكم : « قد روى أهل العلم أنه من كان يظهر الإسلام واطلع عليه بغير ذلك لم تُقبل توبته » . فقال أبو محرز : « فاعطه السيف ليقتله » قال : « إنما رويت هذا ولا آخذه » فقال له أبو محرز : « يا أحمق ! أفتجرئ هذا على قتله ، وأنت لا تأخذه؟» . فقال أسد : « لو قتل بعد توبته عندى لكان شهيداً » (٢) قال : فدعا زيادة الله بالزنديق ، فاستتابه فلم يتب ، فضربت عنقه . والصواب ما قاله أبو زكريا : إنه لا تقبل توبته بعد القدرة عليه . لأن توبته لا تعرف حقيقتها ، لأنه يمكن أن يكون إنما تاب فراراً من السيف ، فلا يصح إيمانه إلا بيقين ، كما إنه لا يصح كفره إلا بيقين . فإذا تاب قبل القدرة عليه قبلنا توبته ، لأنه لو كان مقيما على زندقته ما جاءنا تائباً ، فلما جاءنا

---

(١) وردت هذه الكلمة فى الأصل هكذا : برزى . وقد قومتها على هذا النحو .

(٢) كذا فى الأصل ، والغالب أن المراد : لكان عندى شهيدا .

من قبل أن نقدر عليه علمنا صحة توبتـــه ، وهذا هو مذهب أهل المدينة . وإنما تقلد أبو محرز وأسد فى هذه المسألة مذاهب أهل العراق، رضى الله تعالى عنهم أجمعين . قال أبو العرب : يذكر عنه انه كان لقناً ذهناً (١) . وكان يروى عن عباد بن كثير وعبد الله بن فروخ . ويقال إن جده قيساً صحب النبى .

ذكر ولايتـــه القضاء : فإنه لما توفى ابن غانم قال ابن الأغلب له(٢) : « قد عزمت على توليتك القضاء » (٣) فقال له أبو محرز : « لست أصلح لهذا الأمر ولست أطيقه » ، فقال له إبراهيم بن الأغلب : « لو كان الأغلب بن سالم ويزيد ابن حاتم باقيين لم أكن أنا أميراً ، ولو كان ابن أنعم وابن فروخ باقيين لم تكن أنت قاضياً ، ولكل زمان رجال وعلى الأمير أن يختار » ، فقال أبو محرز متمثلا :

خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردى بالسؤدد

فقال له : « قد وليتك القضاء » فامتنع (٤) ، فأمر به عامر بن معمر صاحب الشرطة فأخذ بضبعه وأخرجه من باب المقصورة إلى المسجد الجامع ، فأجلسه وأمره بالنظر بين الخصوم . فرأى الناس أبا محرز وقد تقدمت الخصوم

---

(١) العبارة هنا مقتضبة ، ونصها الكامل عند أبى العرب : « .. وكان أبو محرز ذهنا لقنا وكان أبو محرز وأسد تغايرا فى القضاء . قال أسد لأبى محرز يوما : من استقضاك ؟ » قال له أبو محرز : « الذى استعجزك » الطبقات ص ٨٤ .

(٢) السياق هنا مستقيم ولكنه مبتور فى الغالب . وقد أورده الدباغ كاملا هكذا : قال : ولى القضاء بعد عبد الله بن غانم سنة احدى وتسعين ومائة . وقد كان ابراهيم بن الاغلب أراد أن يولى غيره ، فقال له رجل من أكبر أصحابه : ان كنت تريد الله فعليك بصاحب اللفافة أبى محرز ، وكان يلبس عمامة كبيرة ، فقال له ابراهيم : « يا أبا محرز ، انى عزمت ... » (« المعالم » : ج ٢ ص ١٩) .

(٣) ازاء هـذا السطـر فى الأصل هذا الهامش : عزمت عليك لتوليتك القضاء .

(٤) أضاف الدباغ هنا : وامتنع ، **فتلطف به ابراهيم** ثم أمر ابراهيم ابن عامر .. - (« المعالم » ج ٢ ص ٢٠) .

بين [يديه] ، فلما نُظر بين الناس كبروا . فسمع إبراهيم تكبيرهم من داره فقال : « قد قبل أبو محرز القضاء » . قال:(1) ولما ولي أبو محرز القضاء جمع كل عبد له وماشية وأراهم للناس وقال لهم : « هذا ما أملكه ، وإنما أوقفتكم عليه لتعلموا أنني متى زدت على ذلك فاعلموا أني خائن » .

وكان بين أسد وأبي محرز ملاحاة ومباعدة ، إلا أنه على ما كان بينهما لم يستحل أحدهما من صاحبه ما نهاه الله تعالى عنه . لقد ذكر بعض المؤرخين أن أسداً انصرف يوماً من عند زيادة الله فقال لبعض أصحابه: « لله در أبي محرز ! له ، والله ، دين يشح به . والله ما أباح دينه على ما كان بيني وبينه من الشحناء » قيل له : « وكيف ذلك ؟ » قال : « كنا اليوم عند زيادة الله حتى دخل عليه أبو شيخ (2) المفسر ، فقال : أصاح الله الأمير ؛ رأيت لك البارحة رؤيا حسنة فلتهنك ! ، فقال زيادة الله: وما رأيت يا أبا شيخ ؟ ، فقال :رأيت جبريل عليه السلام وقد قبل يدك ، (3) فانتفخ لها زيادة الله وتبارى فوق سريره » ، قال أسد : « فسمعت أبا محرز وهو يقول بكلام خفي : كذب والله أبو شيخ ! ، فقلت في نفسي : والله لا تسبقني إليها يا أبا محرز ! فبدرته (4) وقلت : كذب أبو شيخ ! فتغيظ عليّ (5) زيادة الله وتربد وجهه وقال : كيف ذلك يا أسد ؟ فلم أحر جواباً ، فتداركني أبو محرز — ولولا ذلك لهلكت — فقال : أيها الأمير ؛ كذب والله أبو شيخ وصدق أسد .

---

(1) لم ينسب المالكي هذا الخبر الى أحد ، ولكنه ورد عند أبي العرب مفصلا ، فالغالب أن المالكي أخذه عنه . — (« الطبقات » : ص ٨٤) .

(2) في الأصل من غير نقط . انظر ترجمته في ص ٢٠٩ من هذا الكتاب .

(3) أورد الدباغ هذه الرؤيا على صورة أخرى هي: «قال : رأيت جبريل عليه السلام هبط من السماء الى الأرض ومعه نور حتى وقف بين يديك وصافحك .. » — (« المعالم » : ج ٢ ص ٢١) ، وسيرويها المالكي مرة أخرى على هذه الصورة بعد قليل .

(4) كذا في الأصل ، والصواب : فابتدرته .

(5) كذا في الأصل .

قال : وكيف ذلك ؟ فلم يزل يكلمه ويبين له ، فأطرق زيادة الله وخرجنا من عنده »(١) .

وذُكر عن أبي العباس محمد بن عبدون [أنه] قال : « بعث الأمير زيادة الله في طلب أبي محرز وأسد ، وهما قاضيان ، ليشهدهما على شراء اشتراه ، فأقبل أسد إلى قنطرة « باب أبي الربيع » فألفى أبا محرز واقفاً ينتظره وبعض رسل الأمير معه ، وكانت بينهما وحشة ، فقال له : « كيف أصبحت يا أبا محرز ؟ » فلم يرد عليه شيئاً . فمشيا حتى دخلا على زيادة الله ، فأجلس أبا محرز عن يمينه وأسداً عن يساره ، ثم دفع الكتاب إلى أسد ليقرأه ، فنسي « بسم الله الرحمن الرحيم » وقال : « هذا ما اشترى الأمير [زيادة الله بن إبراهيم] » ،(٢) فقال له (ص٦٠) أبو محرز : « أخطأت ! » ، فقال له (٣) أسد : « أيها الأمير ، لقيته فسلمت عليه فلم يرد عليّ ، ولم أقرأ غير كلمتين من الكتاب فقال لي : أخطأت » ، فنظر زيادة الله إلى أبي محرز ، فقال أبو محرز : « ما سلم عليّ ، ولو سلم عليّ لرددت عليه ، وما كنت أستجيز ترك ذلك ، وإنما قال لي : كيف أصبحت ؟ [وقد] أصبحت محموماً ، (٤) ولو أعلمته لسررته ، [وقرأ فلم يذكر « بسم الله الرحمن الرحيم » فأخطأ] » .

---

(١) ورد الجزء الثاني من هذا الخبر في صورة أوضح «المعالم» (ج ٢ ص ٢١) هكذا : « فغضب زيادة الله حتى رئي الغضب في وجهه ، ثم التفت الى أبي محرز كالمحرك له عليه ، لما يعلم (بما) بينهما ، فقال أبو محرز : « صدق أسد وكذب الرجل . ان جبريل عليه السلام لا ينزل الا بوحي على نبي ، وقد انقطع الوحي بعد وفاة محمد صلى الله عليه وسلم تسليما ، لانه لا نبي بعده . وهذا وأمثاله انما يأتونك طلبا لدنياك ، فاتق الله عز وجل» . فقام أبو محرز وأسد وخرجا . فالتفت أسد الى أبي محرز وقال : « أحسن الله لك جزاءك فيما رددت عني من زيادة الله » فقال أبو محرز : « أمسك ! لله فعلته لا لك » .

(٢) أورد الدباغ هذا الخبر عن أسد نفسه ، وقد صححت رواية نص « الرياض » بناء على رواية الدباغ وأكملتها منها . (أنظر « المعالم » : ج ١ ص ٢٠) .

(٣) « له » هنا زائدة ، ولم يوردها الدباغ .

(٤) في « المعالم » (ج ٢ ص ٢٠) : مهموما .

فلما انقضى أمر الكتاب دخل الحاجب وقال [1] : « أصلح الله الأمير . بالباب رجل يذكر أنه رأى رؤيا لك ، وهو يحب أن يقصها على الأمير » فقال : « اكتبها عنه وجئني بها » فقال : « قد أردت ذلك منه ، فقال : لا أقصها إلا على الأمير » قال : « إيذن له » فدخل ،[فقال : « ما رؤياك ؟ »] [2] فقال [3] : « رأيت كأن جبريل هبط من السماء إلى الأرض ومعه نور حتى وقف بين يديك وصافحك » فقال زيادة الله : « هذا عدل يجريه الله عز وجل على يديّ » ، فقال أسد : « كذب الشيخ أيها الأمير » ،فغضب زيادة الله . فقال أبو محرز : « صدق أسد » ،وأتى بحجة يبين بها كذب الرجل ،ثم قال : « أصلح الله الأمير ، إن هذا وأمثاله يأتونك بمثل هذا طلباً لدنياك ، فاتق الله عز وجل » . وخرج أبو محرز وأسد ، فلما خرجا قال أسد لأبي محرز : « أحسن الله جزاءك !رددت عني زيادة الله » ، فقال أبو محرز : « إنما فعلته لله عز وجل لا لك » .

وكان رحمه الله تعالى ، يبعد عن كل من فيه شبهة أو من يطلع من أحواله على دنس . ولقد ذكر سليمان بن عمران [4] عن الصف القبلي من الرهادنة [5] والرفائين] [6] وبعض حوانيت الكتانين وما وراء ذلك أنها كانت دوراً لقوم ،

---

(١) سبق أن أورد المالكي هذا الخبر بخلاف قليل ٠ وصورته التالية هي نفس الصورة التي أوردها الدباغ ٠ وواضح أنهما أخذا عن مصدر واحد وربما يكون الدباغ قد أخذها عن المالكي دون أن يشير الى ذلك ٠

التكملة من المعالم ٠ جـ ٢ ص ٢١ ٠

٣) في الأصل ، ازاء هذا السطر ، هذا الهامش : مكرر لان به زيادة فذكرتها للزيادة التي فيها ٠

(٤) في الأصل : « سليمان بن محمد ٠٠ » والتصحيح من « المعالم » جـ ٢ ص ٢٤ ٠

(٥) في « المعالم » : الرهادرة ـ (نفس الجزء والصفحة) ٠

(٦) التكملة من « المعالم » (جـ ٢ ص ٢٤) ٠ وقد ورد هذا الخبر في النص مضطربا ناقصا ، وقد أصلحته وأكملته عن نص « المعالم » ، لانهما أخذا عن أصل واحد كما هو ظاهر ٠

فبُنيت حوانيت وسميت « الحوانيت الجدد » ، ونُقل الناس من أسواقهم إليها وأخذوا الناس لسكناها وعمارتها للأمير ؛ وكان لأبي محرز صديق أُخذ لسكنى حانوت منها ، فأقبل يوماً ليدخل على أبي محرز على عادته ، فصاح به : « ارجع وراءك » فقال : « أصلح الله القاضي ، إني مجبر على سكناها . ومع هذا فإني اشتريت الحانوت من أصحابه » . قال القاضي : [« هب أنك اشتريت الحانوت من أصحابه] ، فما تفعل بطريقك إلى الحانوت؟ ممن تشتريه ؟ » [1] .

١٠٦ — ومنهم **ابو عمرو البهلول بن عمر بن صالح بن عبيدة بن حبيب ابن صالح التجيبي** ، رضي الله تعالى عنه .

ذكر ابن يونس وابن سفيان أنه من جملة أصحاب مالك من أهل إفريقيـة . حدث أحمد بن يحيى بن مهران عن البهلول بن عبيدة ، قال: « ما رأيت أحداً أنزع بآية [2] من كتاب الله عز وجل من مالك بن أنس ، وما رأيت أحداً أعظم قدراً في بلده من الليث بن سعد ، وما رأيت أحداً أحسن سمتاً من البهلول ابن راشد ، وما رأيت أحداً أخشى لله تعالى من عبد الله بن فروخ » . وعن أبي داود العطار صاحب سحنون قال: « سمعت البهلول [بن عبيدة] [3] يقول:

---

(١) أورد ابن ناجى فى تعليقـاته على نص الدباغ فى « المعالم » عبارة تلقى ضوءا على « سوق الرهادرة » المشار اليه ، وهى : « قلت : ما قاله أبو محرز فى غاية الصواب ، وبه أقول ، لأنه وان كان مجبرا على سكناها ، فهو قادر على أن يترك تلك الضيعة التى نقل بسببها ، وينتقل الى ما يتسبب به فى ضيعة أخرى بحيث لا ينقل اليها ، والرزق على الله عز وجل . وسوق الرهادرة عندنا اليوم أصله « للمخزن » وكان خرابا . وكان سوق الرهادرة الذى هوالآن للشواشين (كذا) للرعيةومن معهم ، أمر من مضى من السلاطين ممن أدركنا ، أن يبنى ذلك الخراب حوانيت ، وينقل له أصحـاب سوق الرهادرة جبرا ، ونفذ ذلك . ومن أراد أن يسكن خارجه ، ولو بقربه ، لا يترك ، وربما يترك أشهرا ، ثم يرد الى سكناها كرها . وهذا لا يجوز . وما يأخذه القضاة من كراء تلك الحوانيت فى مرتباتهم لا يجوز ، وهو مكس وجرحة فى امامتهم وشهادتهم » — (« المعالم » : ج ٢ ، ص ٢٤ — ٢٥) .

(٢) فى الأصل : يزع بالله . والتصحيح من « المعالم » ج٢ ، ص ٤٣ ،

(٣) روى ابن ناجى هذا الخبر عن المالكى . وقد أكملت نقص النص منه (« المعالم » ج٢ ، ص ٤٣) .

« كنت جالساً عنـد مالك فأتى برجل ملبب فقالوا لمالك : الأمير يقرأ عليك السلام ويقول لك : هذا رجل خنق رجلا فقتله ، فقال مالك : اخنقـوه كما خنقه حتى يموت . قال : فمضوا به ، فتغير وجه مالك وعلته صفرة وتشوّف إلى الزقاق حتى مر رجل فسأله : ما فعلوا بالرجل ؟ فقال : خنقوه حتى مات » . قال بهلول بن عبيدة : « فرأيت الدم رجع إلى وجه مالك، فقال له ابن كنانة : ما الذى رابك يا أبا عبد الله ؟ فقال : وما ظننتم ؟ أظننتم أنى ندمت فى الفتوى ؟ فقالوا : نعم ، فقال : لا ، ولكنى تغيرت خوفاً من أن يبطل حكم من أحكام الله عز وجل، فلما نفذ حكم الله فى الفاعل زال عنى ما كنت فيه » .

قال بهلول بن عبيدة : « جمعنا زيادة الله بن الأغلب وشاورنا فى قاض ، وكنا جماعة ، وكان فينا ابن الصمادحى » . قال بهلول : « فلما حضرت الصلاة قال (١) لهم : إن قدمنا أحداً منا رأى — يعنى السلطان — أنه خيرنا فيوليه القضاء ، لكن قدموا موسى بن معاوية الصمادحى ، فإنه ليس له فى هذا الأمر نصيب ، إذ هو مكفوف البصر . فقدمناه ، فصلى بنا » (٢) .

١٠٧ — ومنهم **أبو عبد الله زرارة بن عبد الله** ، رضى الله تعالى عنه .

روى عن مالك وابن فروخ والليث . توفى ، رضى الله تعالى عنه ، سنة ثمان وثلاثين ومائتين . حدث زرارة ، قال : كنت جالساً عند مالك فجاءه رجل فقال : « يا أبا عبد الله، إن لى أباً ببلد السودان ولى أم أنا معها، فأبى يكتب إلىّ بالنهوض إليه ، وأمى تنهانى عن الخروج إليه ، فما تأمرنى ؟ » فقال له مالك : « أطع أباك ولا تعص أمك » فقلت له : « يا أبا عبد الله، ما ترى ؟ » فانتهرنى وقال : « أتريد منى أن آمرك أن تعصيهما جميعاً ؟ » قال : ثم سألت الليث بن سعد، فقال : « أطع أمك، فقد جاء البر بها ثلاثاً » . وسألت حماداً فقال مثل قول الليث .

---

(١) كذا فى الأصل ، والصواب : قلت .

(٢) رواية المالكى والدباغ وابن ناجى («المعالم» : ج٢، ص ٤٣ — ٤٤) عن هذه الشخصية ناقصة ، ولابد من الاطلاع على ما ذكره أبو العرب حتى يستطيع القارىء أن يكون لنفسه فكرة صحيحة عنه . (« الطبقات » : ص ٩١ — ٩٢) .

١٠٨ – ومنهم **أبو الحجاج رباح بن ثابت الأزدي** . رحمه الله تعالى .

سمع من مالك وابن أبي ذئب (١) . قيل إنه قال في دعائه : « اللهم إنك تعلم أني إنما عبدتك حباً لك وشوقاً إلى وجهك الكريم ، فأبحنيه مرة واصنع ما شئت (٢) » . وكان حلف ألا ينام مضطجعاً ولا يضحك أبداً ولا يأكل سميناً ، فما رئي ضاحكاً ولا مضطجعاً ولا آكلا سميناً حتى مات . رضي الله تعالى عنه . وتوفي سنة سبع وثلاثين ومائتين ، وصلى عليه سحنون .

حدث أبو الحجاج رباح ، [قال] : « قال أبو معمر عباد ابن عبد الصمد عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم [أنه] قال : « من قال بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عشر مرات (ص ٦١) بريء من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وعوفي من بلايا الدنيا . منها الجذام والبرص والريح ، ويبعث الله عز وجل سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى الليل ، وهي رقية من تسعة وتسعين داء » (٣) .

---

(١) ذكر كل من أبي العرب (الطبقات : ص ٧٦) والدباغ (المعالم : جـ ٢ ص ٤٠) بقية من سمع منهم أبو الحجاج رباح وهم : أبو معمر عباد ابن عبد الصمد وابن لهيعة ، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم .

(٢) روى الدباغ هذا الدعاء بصيغة أخرى هي : « اللهم ان كنت تعلم أني أعبدك طمعا في جنتك فاحرمنيها ، وان كنت تعلم أني أعبدك خوفا من نارك فعذبني بها ، وان كنت تعلم أني أعبدك حبا لك وشوقا الى وجهك الكريم فابحنيه مرة ، وأصنع ما شئت » – (المعالم ، جـ ٢ ص ٤٠ – ٤١) .

(٣) روى الدباغ هذا الحديث مع اختلاف في الألفاظ ، هكذا : « من قال ... برىء أو خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وعوفي من سبعين ألف بلاء : من الجذام والبرص والريح ، ويبعث له سبعون ألف ملك ، يستغفرون له بالليل والنهار ، وهي رقية من تسعة وتسعين داء » – « المعالم » جـ ٢ ص ٤٠ .

١٠٩ — ومنهم **أبو محمد عبد الله بن أبى حسان اليحصبى** (١)، رضى الله تعالى عنه .

سمع من مالك وابن أبى ذئب . [وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم] (٢) . ومن بعض ما أسنده عنه : عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، قال : أخبرنى عبد الله بن يزيد، وهو أبو عبد الرحمن الحبلى، قال : كان عبد الله بن عمر جالساً فقال : « ألا أعلمكم كلمات كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يعلمهن أبا بكر يقولهن حين يريد أن ينام ؟ » قال : قلنا : « بلى »، فأخرج إلينا قرطاساً ، فإذا فيه : اللهم فاطر (٣) السمٰوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت رب كل شئ ومليكه ، أشهد ألا إلٰه إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك والملائكة يشهدون . اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان وشركه ، وأعوذ بك أن أقترف على نفسى سوءاً أو أجره على مسلم » .

حدث أبو سهل الفرات بن محمد العبدى قال : سمعت عبد الله بن أبى حسان يقول : « أتيت مالك بن أنس ، فوجدته قد ارتفع وباب داره مغلق ، فضربت الباب ، فخرجت إلىَّ جارية ، فقالت : « أمن أهل المسائل أنت أم من أهل الحوائج ؟ » فقلت : « رجل غريب أتى [إلى أبى] عبد الله مسلماً عليه » فقالت : « ليس هذا وقتك ، ادخل إلى السقيفة »، فدخلت . فلما كان وقت خروجه فتحت الباب، فإذا مجلس كبير مفروش بالنمارق والمتكآت (٤) من أول المجلس إلى آخره ، وفى صدر المجلس نمرقة عظيمة ومتكآت على اليمين

---

(١) قال الدباغ : « واسم أبى حسان : عبد الرحمن بن يزيد الفقيه » ــ المعالم ، جـ ٢ ص ٣٧ .

(٢) أضاف أبو العرب (الطبقات ، ص ٧٥) والدباغ (المعالم ، جـ٢ ص ٣٧) عبد الرحمن بن زياد بن نعم الى أساتذة عبدالله بن أبى حسان. وسياق الكلام هنا يدل على أن اسم ابن أنعم قد سقط من الناسخ، فأضفته ،

(٣) جاء فى هامش الأصل مقابل هذا السطر : دعاء عند النوم .

(٤) فى الأصل : المتكبات .

وأخرى على الشمال وأخرى إلى الحائط . فقلت فى نفسى : هذا مجلس الشيخ أبى عبد الله . ثم دخلت فخرجت الجارية وفى حضنها مراوح فوضعت على كل متكأة مروحة ، ثم دخل مشائخ فقعدوا ، ثم خرج مالك يتهادى بين تلك الجارية الصفراء وفتى ، ورجلاه تخطان فى الأرض من الكبر ، وكأنى أنظر إلى جماله وبهائه وإلى شعر رأسه وقد تعقف جعودةً ،حتى أتيا به إلى ذلك المجلس وسوى عليه ثيابه . فلما استوى جالساً سلم فعم بسلامه أهل المجلس فردوا عليه السلام، فقمت فدفعت إليه كتاب ابن غانم، فقال: عاد حقاً على القضاء؟ فقلت: نعم . فقال: ما ذاك بخير له . ثم قبل [1] الكتاب، ثم التفت إلى القوم فقال لهم: هذا كتاب ابن غانم أتانى فى هذا الرجل ، يخبرنى عن حاله فى بلده وقدره ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أتاكم عميد قوم فأكرموه » . قال: فقمت من بين يديه، فأوسع لى رجل، فجلست . فذكروا العلم فقال مالك : لا يؤخذ هذا العلم إلا من الموثوق بهم فى دينهم ، الحسن مخبرهم ، [قال] [2] : ثم يأتى الرجل فيسأله عن المسألة ، وأنا قاعد ، فربما قال : « العلم أوسع من ذلك ، العلم أوسع من ذلك ، والله أعلم ! » . فسئل عن ثنتين وعشرين مسألة ، فما أجاب إلا عن ثنتين منها ، وأنا أعدها ، وقال مع ذلك [3] : « لاحول ولا قوة إلا بالله » . قال : ثم اختلفت إليه ، فلم أزل عنده مكرماً ، رحمة الله تعالى عليه .

قال عيسى بن مسكين : وكان ابن أبى حسان يعطى لرجل كل يوم ثلاثة دراهم ليأخذ له مجلساً يجلس فيه فى مجلس مالك بالقرب منه، فكان الرجل يفعل له ذلك ، وكان الرجل إذا جاء ابن أبى حسان قام ذلك الرجل وجلس ابن أبى حسان فى موضعه .

---

(١) فى الطبقات (ص ٨٨) : قرأ .

(٢) التكملة من أبى العرب (الطبقات ، ص ٨٨) ، والقائل هنا هو : عبد الله بن أبى حسان .

(٣) جاء فى الطبقات (ص ٨٨) بدل هذه العبارة : فما أجاب الا فى ثنتين منها ، ولم يجب فى الاثنتين الا باكثر من : لا حول ولا قوة .. الخ . وهى عبارة غير مستقيمة ، ولا تستقيم الا بحذف « الا » .

وقال غير عيسى : كان ابن أبي حسان يروى عن مالك عن ليث [ما] (١) لا يكاد يوجد عند غيره . روى عنه أنه سمعه يقول : « إن أهل الذهن والذكاء والعقول من أهل الأمصار ثلاثة : المدينة ، ثم الكوفة ، ثم القيروان » . قال ابن وهب : ما رأيت مالكاً أميل منه إلى أحد كميله إلى ابن أبي حسان ؛ فكان مفوهاً ، حاضر الحجة ، قوياً على المناظرة ذاباً عن السنة ، قليل الهيبة للملوك فى حق يقوله .

حدث فرات بن محمد العبدى قال : سمعت عبد الله ابن أبي حسان يقول : دخلت على الأغلب فإذا الجعفرى والعنبري يتناظران فى القرآن ، والجعفرى ينكر أن يكون القرآن مخلوقاً ، والعنبرى يقول إنه مخلوق ، فلما رآنى الجعفرى قال : « قد جاء شيخنا أبو محمد يعيننى عليكم » . قال : فلما جلست قلت للعنبري : « وما أنت وذا ؟ هذا بحر عميق ، عليك بجربان البصرة » . يعنى النخل العنبرى (٢) . فقال العنبرى : « إن كان أبو محمد معك (٣) فهذا الأمير معى » يعنى الأغلب . فقلت : « ما للملوك والكلام فى الدين ؟ » فأحفظه ذلك ، يعنى أغضبه ، ثم قال لى : « [يا أبا محمد] ، وكذلك من أتى السلطان هو مثل السلطان » . فقلت له : « إنما أتاكم الآتى

---

(١) أضفت « ما » هنا ليستقيم السياق . ونص هذه العبارة عند الدباغ أصح وهو : ... فكان يروى عن مالك غرائب لا تكاد أن توجد عند غيره (المعالم جـ ٢ ، ص ٣٨) .

(٢) فى الأصل من غير نقط ، وقد جعلها ابن أبى شنب فى نشرته للطبقات (ص ٨٩) : « جربان النصرة » . وقد وجدت فى « تاج العروس » أن « الجربة : القراح من الأرض . قال أبو حنيفة (الدينورى) : واستعارها أمرؤ القيس للنخل فقال :

كجربة نخل أو كجنة يثرب .

« وجربان » جمع جربة ، فمعنى جربان البصرة على ذلك نخل البصرة . والنخل العنبرى نوع من النخل .

(٣) فى الأصل « معه » والتصحيح من الطبقات ، ص ٨٩ .

لأنكم خير ممن هو شر منكم ، ولو أتى من هو خير منكم لأتاه النـــاس ولم يأتوكم » (١) .

[أخبر] سليمان بن خلاد ، قال : قلت لابن أبي حسان : « أرأيت هذا الذي يقول الناس في أبي بكر وعليّ ؟ » — يريد التفضيل بينهما — فرفع يده فضربني للصدر ضربة واحدة أوجعتني ، ثم قال : « ليس هذا دين قريش ولا دين العرب . هذا دين أهل « قمْ » ، قرية من قرى خراسان » . ثم قال : « والله ما يخفى علينا نحن من يستحق الولاية بعد والينا ، ولا من يستحق القضاء بعد قاضينا ، فكيف يخفى على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من يستحق الأمر بعد نبيهم ؟ » .

[حدث] فرات (٢) ، قال (٣) : سمعت ابن أبي حسان يقول : « دخلت على زيادة الله بن [إبراهيم بن] الأغلب ، فأصبته جالساً وعنده أبو محرز وأسد وهما يتناظران في النبيذ المسكر ، وأبو محرز يذهب إلى تحليله ، وأسد يذهب إلى تحريمه . فلما جلست قال لي زيادة الله : « ما تقول يا أبا محمد ؟ » فقلت له : « قد علمتَ سوء رأيي فيه ، وقاضياك يتناظران (ص٦٢) بين يديك » . فقال لي : « ناظرني أنت ودعهما » . ثم قال لهما : « اسكتا » ، ثم قال لي : « ما تقول أنت ؟ » ، فقلت : « أصلح الله الأمير ، كم دية العقل ؟ » قال لي : « وما هذا مما نحن فيه ؟ » فقلت : « بجوابك ينتظم سؤالي (٤) » فقال : « دية العقل ألف دينار » فقلت : « أصلح الله الأمير . فيعمـــد الرجل إلى ما قيمتـــه ألف دينار فيبيعـــه

---

(١) أضاف أبو العرب بعد ذلك : فقال : من خير منا ؟ فقلت له : لو نزل عيسى بن مريم أكان حسنا يتركونه ويأتونكم ؟ لو نزل عيسى آتاه الناس ولم يأتوكم » — (الطبقات ، ص ٨٩) .

(٢) هو فرات بن محمد العبدي .

(٣) لم يذكر المالكي سند هذا الخبر ، وذكره أبو العرب تميم ، وهو : قال أبو بكر : وحدثني أبو سهل ، قال : سمعت عبدالله بن أبي حسان .. الخ » — (الطبقات ص ٨٨) .

(٤) في طبقات أبي العرب : « فقلت : ان جوابك ينتظر سؤالي » — (الطبقات : ص ٨٩) .

بـدُكَيـكِجة (١) تسوى نصف درهم ؟ » فقال لى : « يا أبا محمد ، إنه يذهب ويرجع » فقلت له : « بعد ماذا ، أصلحك الله ؟ بعد أن قاء على لحيته وكشف سوءته وسب هذا وضرب هذا وقتل هذا ؟ » فقال : « صدقت والله صدقت ! » .

وكان ، رحمه الله تعالى ، جواداً شريفاً : بلغنى أن رجلا من أصحابه أتاه يوماً على أثر نوء عظيم . وكان بالقيروان ، فهدم كثيراً من دورها ، فألفاه جالساً فى مسجده فسلم عليه ثم أعلمه بما انهدم فى داره ، وشاوره فى بنيانه ومن يرى أن يبنيه (٢) فأمر بعض غلمانه فأتاه بثلاثين (٣) ديناراً فدفعها إليه وقال : « استعن بهذه على بنائك » فلما مضى قال له بعض ولده : « أتاك يشاورك فى بنائه ، دفعتَ له ثلاثين ديناراً ؟ » فقال له : « يا بنى ، لست ببناء ولا صاحب مرمة ، وإنما تعرض [لمشورتنا] لمعروفنا » .

ولقد ثار الجند على زيادة الله وعاثوا عليه ، وأغاروا على منازل ابن أبي حسان ، وانتهبوا جميع ما كان له بها ، وطلبوه ، فاستخفى بالقيروان ، (٤) فبلغنى أنه قال هذه الأبيات يذكر فعلهم :

أباح طغامُ الجند جهلا حريمنا ... وشقوا عصا الإسلام من كل جانب
وعاثوا وجاروا فى البلاد سفاهةً ... وظنوا بأن الله غير معاقب
ولو أنهم عُـرْب كرام لدافعت ... نفوسٌ كرام عن حريم الأعارب
ولكنهم أوباش كل قبيلة ... وقبط وأغنام لئام المناسب (٥)

---

(١) كذا فى الأصل . وعند أبى العرب : زجيجة (الطبقات ، ص ٨٩) وعند الدباغ : بدكيجة . ـ (المعالم جـ ٢ ص ٤٠) . والدكيكجة مصغر دَكُوجة وهى القارورة الصغيرة (انظر ملحق القواميس لدوزى جا ص٤٥٣)

(٢) فى « المعالم » (جـ ٢ ص ٣٩) : « من ترى يتولى بنيانى » ، وقد أكملت نص الأصل فى هذه الفقرة من رواية صاحب المعالم .

(٣) روى الدباغ هذه الحكاية ولكنه جعل عدد الدنانير خمسين ـ (« المعالم » جـ ٢ ص ٣٩) .

(٤) أضاف عياض فى « المدارك » هنا : « وكان سيىء الرأى فيهم » . (مخطوط دار الكتب المصرية ـ جـ ١ ص ٩٨ ب) .

(٥) فى الأصل : المناصب ، والتصحيح من « المدارك » ، وقد روى صاحبه البيتين الثالث والرابع على صورة أخرى . (جـ ١ ص ٩٨ ب) .

١١٠ – ومنهم أبو عبد الله محمد بن معاوية الحضرمي (١) رحمه الله تعالى .

سمع من مالك موطأه ، وكان له سن وإدراك : من بعض ما أسنده من الحديث عنه ، عن العبدي ، عن محمد بن معاوية ، عن أبي معد عباد ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا ، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار ، ما أغنى عنكم شيئاً إلا بورع صادق » (٢) .

---

(١) أضاف عياض الى اسمه لفظ : طرابلسي (ج ١ ص ١٠٠) .

(٢) هذه المادة تدل على أن كاتب نسخة الرياض التي بين أيدينا ترك بعض فقرات من الكتاب الأصلي ، فقد نسب عياض هنا للمالكي عبارات لاتوجد في النص الذي بين أيدينا . وهذه هي رواية « عياض » عن محمد ابن معاوية الحضرمي كاملة للمقارنة : « من أصحاب مالك ، وله عنه سماع ثلاثة أجزاء ، وله غيره عن الليث ، رواه عن محمد بن وضاح .

« قال أبو العرب التميمي : سمع من أبي معمر ومالك بن أنس موطاه ومن الليث بن سعد وابن لهيعة وغيرهم . مشهور ثقة . وكان له سن وادراك . سمع من أبي معمر صاحب أنس بن مالك . سمع منه بكر بن حمادة وفرات بن محمد . وحكى بكر أن سحنونا قال فيه شيئا . قال أبو علي ابن البصري : هو أعلم من محمد بن ربيعة الحضرمي الطرابلسي ، وكان ايضا ابن ربيعة ممن روى عن مالك وابن لهيعة وأبي معمر وابن ابي حوزم وابراهيم بن أبي يحيى . قال أبو العرب . قال محمد بن معاوية : كان بقي عليه شيء من الموطا من كتاب الصلاة ، فأتيت الى مالك ، وقد دخل الناس ، فقال : من يقرأ لك ؟ قلت : حبيب ، وكنت قاطعته بخمسة دراهم ويقرأ الكتاب خمسا وعشرين ورقة ، فقرأها لي حبيب في مجلس واحد . قال لي حبيب : لم تفتني دراهمك يا مغربي ! وفي روايته في الموطأ « جامع الجامع » ، وليس ذلك عند غيره من أصحاب مالك : ذكر ذلك أبو بكر بن محمد المالكي في كتاب الرياض » – (« المدارك » ، ج ١ ص ١٠٠) .

١١١ – ومنهم **الحارث بن أسد القفصى** (١) ، رحمة الله تعالى عليه .

قال أبو العرب : إنه سمع من مالك ، وكان ثقة . لقد حدثنى سعيد ابن إسحاق ومحمد بن أبى يوسف ، قالا : حدثنا محمد بن تميم ، قال : حدثنى الحارث بن أسد، قال : دخلت على مالك بن أنس ، أنا وابن القاسم وابن وهب ، فأردنا وداعه فقال ابن وهب : أوصنا (٢) يا أبا عبد الله، فقال له: اتق الله وانظر عمن تنقل ، وقال لابن القاسم : اتق الله وانشر ما سمعت . فقلت له: يا أبا عبد الله، وأنا فأوصنى . فقال لى: اتق الله وعليك بتلاوة القرآن . قال الحارث : ولم يرنى أهلا للعلم فأمرنى بتقوى الله وتلاوة القرآن . قال أبو العرب : وكان الحارث مستجاباً . قال سعيد بن إسحاق : وكان يختم كل ليلة من رمضان ختمة .

١١٢ – ومنهم **عبد المؤمن بن المستنير الجزرى** ، رحمه الله تعالى .

قال أبو العرب : روى عن مالك وأصحابه . وكان عبد المؤمن رجلا صالحاً كثير الرباط كثير الرواية لغرائب الرباط . حدث أبو عبد الله بن حمدون ابن عبد الله المكفوف، قال : سمعت عبد المؤمن الجزرى يقول : سبعة يشتاقون العمل : الناقه من المرض، (٣) والحاج إذا صدر ، والقارئ إذا صدق نيته ، والمنصرف من الجمعة ، والمؤذن إذا أذّن للوقت ولم يأخذ على أذانه أجراً ، والرجل يرحل عنه الضيف ، والمشرك إذا أسلم .

---

(١) فى « ترتيب المدارك » : الحارث بن أسد من أهل قفصة (ج ١ ص ١١٠٠) .

(٢) كذا فى الأصل . وفى « المدارك » (ج ١ ص ١١٠٠) : أوصنى .

(٣) وردت هذه العبارة فى الأصل مشوهة هكذا : « سمعته يستأنفوا العمل لفاقة من المرض ... » – ولم يقل المؤلف اذا كان هذا حديثا شريفا او مجرد قول حكيم . ومع ذلك بحثت عنه فى أصول الحديث فلم أجده ، فقومته على هذه الصورة . ويحتمل ايضا أن تكون كلمة « يستأنفوا » « يستوفون » .

١١٣ — ومنهم **علىّ بن يونس بن عياض الليثى** ، رضى الله تعالى عنه .

سمع من مالك وابن عيينة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم . رُوى عنه أنه قال : «كنت جالساً عند مالك فجاء قوم من البربر من أهل المغرب فسألوه فقالوا : « ما تقول فى الصلاة بالتالمة (١) ؟ » فوصفوه له ، فلم نفهمه . فقالوا لى — وكنت أحدث من فى المجلس سناً — : « قم » فقمت ، فربطوه علىّ كما يفعلون فى بلادهم . فقال لهم مالك : « لم تفعلون هذا ؟ » قالوا : « نجمع فيه الحشيش من الزرع فتحضر الصلاة » . فقال مالك : « إذا كنتم إنما تفعلون هذا لمنافعكم ، فتحضركم الصلاة ، فتصلون به هكذا ، ما أرى به بأساً إن شاء الله » . قال : وكنت جالساً عند مالك وإذا بسفيان بن عيينة يستأذن بالباب . فقال مالك : « رجل صاحب سُـنّة ، أدخلوه » . فدخل فقال : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » فردوا السلام . فقال : « سلامنا خاصاً وعاماً ، السلام عليك يا أبا عبد الله ورحمة الله وبركاته » فقال مالك : « وعليك السلام يا أبا محمد ورحمة الله وبركاته » . وصافحه مالك وقال : « يا أبا محمد ، لولا أنها بدعة لعانقناك » . فقال سفيان : « قد عانق من هو خير منى ومنك النبىّ صلى الله عليه وسلم » فقال مالك : « جعفر » ؟ قال : « نعم » قال : « ذاك حديث خاص يا أبا محمد ، ليس بعام » فقال سفيان : « ما عم جعفر يعمنا إذا كنا صالحين ، وما يخصه يخصنا . أفتأذن لى أحدث فى مجلسك يا أبا عبد الله ؟ » قال : « نعم يا أبا محمد » ، فقال سفيان : « حدثنى عبد الله بن طاوس عن أبيه عن عبد الله بن عباس ، قال : لما قدم جعفر بن أبى طالب من أرض الحبشة اعتنقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل ما بين عينيه وقال : « جعفر أشبه الناس بى خَلقاً وخُلقاً . يا جعفر ، ما أعجب ما رأيت بأرض الحبشة ؟ » فقال : « يا رسول الله ، بينا أنا فى بعض أزقتها إذا بسوداء على رأسها مِكتل فيه بُرٌّ ، فصدمها رجل على دابته ، فوقع مكتلها وانتثر برها ، فأقبلت تجمعه من التراب وتقول : « ويل للظالم من المظلوم يوم القيامة . ويل للظالم إذا وُضع الكرسى للفصل يوم القيامة ! »

---

(١) رسمها النساخ فى الأصل خطأ : التاكما . وقد جاء فى « ملحق القواميس العربية » لدوزى ما يلى :

تالمة = espèce de scorconère (DAUMAS, *V.A.* 382), salsifie sauvage, DOZY. *Supplément aux dictionnaires arabes* I, 139,

أى أنه نوع من الحشائش البرية التى تؤكل .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم (ص٦٣) : « لا يقدس الله أمة لا يأخذ ضعيفها من قويها غير متعتع » [١] ثم قال سفيان : « يا أبا عبد الله ، قدمت لأصلى فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسمعك برؤيا رأيتها لك » فقال مالك : « نامت عينك ، خيراً إن شاء الله ! » قال سفيان : « رأيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم قد انشق ، وأقبل الناس يهرعون إليه من كل جانب ، والنبي صلى الله عليه وسلم جالس وأبو بكر عن يمينه وعن يساره عمر فقط ، والناس يسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم ، والنبي يرد عليهم بأحسن رد » قال سفيان : « فكأنى بك — وأنا أعرفك فى منامى كما أعرفك فى يقظتى — فسلمتَ عليه ، فرد عليك السلام ، ثم رمى فى حجرك بخاتم نزعه من أصبعه . فاتق الله يا أبا عبد الله فيما أعطاك . السلام عليكم » فقال مالك : « أخارج الساعة ؟ » فقال : « نعم » ، فودعه مالك وخرج . وعن علىّ بن يونس ، قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : « ناكح أمه وابنته وهادم الكعبة وقاتل النفس التى حرم الله أهون فى النار عذاباً من رجل يتكلم فى مسألة بغير علم » . قال ابن عون : يريد بذلك الكلام فى المسألة النازلة .

ذكر من كان فى هذه الطبقة من العلماء والمحدثين
ممن لم يلق مالكاً ولا روى عنه

١١٤ — منهم أبو عبد الله يحيى مقسم بن عبيد الله الأزدى [٢] .

وكان من الفضلاء ، رضى الله تعالى عنه ، فمما ذكر عنه أنه يرويه عن أبى معمر عباد بن عبد الصمد عن أنس بن مالك ، قال : « يقف العلم فى جوف الرجل يوم القيامة فيقول : يا رب ، إنك جعلتنى فى جوف هذا فلم يعمل بى ، قال : فيؤمر به إلى النار ، قال : فيأتى رجل قد كان علَّمه ذلك الرجل علماً ، ودخل به الجنة فيقول : يارب ، إن هذا كان علمنى علماً وصلت به إلى الجنة ، يا رب هب لى معلمى ، قال : فيقول الله عز وجل : هبوا له معلمه » .

---

(١) جاء فى تاج العروس فى مادة تعتع : « وجاء فى الحديث : « حتى يؤخذ للضعيف حقه غير متعتع » بفتح التاء ، أى من غير أن يصيبه أذى يقلقه ويزعجه » (جـ ٥ ص ٢٩١) .

(٢) ورد اسمه فى طبقات أبى العرب : مقسم بن عبد الله (ص ٩٢)

١١٥ – ومنهم **حفص بن عمارة** ، رضى الله تعالى عنه .

كان من أهل الفضل والدين . سمع سفيان الثورى . وكان مؤاخياً للبهلول وكان كثير التهجد ، كانت له ختمة كل ليلة . وهو الذى قال للبهلول لما رأى كثرة معروفه وصلاته : سمعت سفيان يقول : « إذا أكمل الصادق صدقه لم يملك ما فى يديه » ، فأقبل البهلول على يد حفص يقبلها ويقول له : « سألتك بالله : أنت سمعت هذا من سفيان الثورى؟ » فقال : « والله لقد سمعت سفيان يقوله » (١).

١١٦ – ومنهم **أبو عبد الله محمد بن على الرعينى** ، رضى الله تعالى عنه .

ومن بعض ما أسنده عنه من الحديث ماحدث به عن غالب عن سعيد بن جبير ، قال : « قلنا لابن عمر : حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعته منه . قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله تعالى ليقرب العبد يوم القيامة حتى يجعله فى حجابه ، ثم يقول له : « اقرأ كتابك » . فيعرّفه بذنبه [ ] » (٢).

---

(١) ذكر أبو العرب هذا الكلام فى طبقاته (ص ٦٢) . وجاء فى هذا الكتاب بعد ذلك ما يلى :

« قال محمد بن حارث : حذف أبو العرب هذه الحكاية حذفا وقد ذكرها أبو بكر بن اللباد على وجهها . قال أبو بكر : حدثنى أبو عثمان ، قال : حدثنى بعض أصحاب البهلول ، قال : لما ضرب بهلول أتاه السجان ليعالج ضربه فوهب له دينارا وأعطى لمن معه دراهم وقال: استنفقوها . قال : حدثنى بعض أصحاب البهلول ، قال : لما ضرب بهلول أتاه السجان ليعالج ضربه فوهب له دينارا وأعطى لمن معه دراهم وقال : استنفقوها . ثم فعل ذلك ثلاثة أيام ، كلما دخل عليه أعطاه دينارا . فخاف أصحابه عليه أن تستنفد ما عنده قبل خروجه من العلة ، فقالوا للسجان : انه قد برئ ، فلا تعاوده . فلم يعاوده . فلما استبطأه بهلول سال عنه أصحابه وقال : ما أراكم الا وقد عملتم عملا ، كانه اتهمهم أنهم صرفوه عنه . فقالوا : يا أبا عمرو ، فى كل يوم دينار ، فى كل يوم دينار فقال لهم : وما فى ذلك ؟ فقال له حفص ابن عمارة : سمعت سفيان الثورى يقول : « اذا كمل صدق الصادق لم يملك ما فى يده » فخر بهلول على يده يقبلها وجعل يقول : سألتك بالله ، أنت سمعته يقول هذا ؟ قال له – وحلف بالله – : لقد سمعت سفيان يقوله . وكان البهلول قد سها » .

وقد وجد الناشر خروقا فى هذا الموضع من الأصل فأكمل العبارة من « المدارك » (جـ ١ ص ٩١ ب) .

(٢) بياض بالأصل .

فيقول: « أتعرف ...؟ أتعرف ... ؟ » فيقول العبد : « نعم، نعم يارب ! » فيقرأ العبد ويلتفت عن يمينه وعن شماله فيقول له الجبار العظيم : « عبدى، لابأس عليك، أنت اليوم فى سترى من كل مخلوق، ليس بينى وبينك من يطلع على ذنوبك غيرى، اذهب فقد غفرتها لك ، إنك كنت لا ترجو المغفرة من أحد غيرى » .

وكان رحمه الله حكيما : ذكر عنه أن رجلا استشاره فى امرأة يتزوجها، فقال له: « لا تتزوج امرأة فيها من هذه الخلال الثمان : لا تتزوجها منّانة ، ولا بنّانة ، ولا كنّانة ، ولا حنّانة، ولا حدّاقة ، ولا خفّاقة، ولا أنّانة، ولا ذات دايات . فأما المنانة فهى التى تمن بشئ كان منها إليك ، وأما البنانة فهى التى تبنى ولد غيرك عندك ، وأما الكنانة فهى التى تقول : « كنت وكنت قبل أن أجيء إليك » . وأما الحنانة فهى التى تحن لزوج كان لها قبلك ، وأما الحداقة فهى التى تنظر بعينها ثم تقول : « فلانة كساها زوجها ، وفلانة حلاها زوجها وصنع بها »، فهى تجبره ، وأما الخفاقة فهى التى تصبح غدوة جائعة فتقول : « أبغى رؤوساً، أبغى فتوتاً (١) ، أبغى حبيساً » ، وأما الأنانة فهى التى تصبح تئن فتقول: « جنبى ! فخذى ! رأسى ! » لتنظر هل يحبها زوجها أم لا ، وأما ذات دايات فهى التى كل يوم عندها امرأة أو عجوز فتقول: هذه دايتى، هذه خالتى، هذه عمتى » .

١١٧ — ومنهم **أبو شيخ** المفسر، واسمه **طلق بن الشيخ** ، ويقال **سيف** ، رحمه الله تعالى .

قال أبو العرب: كان رجلا صالحاً معروفاً بالدين .

قال الشيخ أبو بكر عبد الله المالكي: كان سحنون يعظم أبا شيخ هذا ويستفتيه عن عبارة الرؤيا لما تحقق عنده من علمه بها . قال : رأى سحنون فى منامه كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ، واجتمع الناس على دفنه ما خلا سحنون وحده . فأرسل سحنون إلى أبى شيخ يسأله عن الرؤيا ، وقال للرسول:

---

(١) جاء فى تاج العروس (ج ١ ص ٥٦٧) : « الفتيت والفتوت الشيء المفتوت ، قد غلب على ما فت من الخبز . . . والفتوت خبز مفتوت كالسويق » .

« لا تخبره أنى رأيتها » واغتم لها سحنون ، فلما رآه تمادى (١) على أن سحنون رأى هذه الرؤيا ، فدافعه الرسول عن ذكر سحنون ، فلما تمادى على أن سحنون رأى الرؤيا قال له (٢) الرسول : « فسِّرها لمن كانت » (٣) . فقال أبو شيخ : « هذه سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد ماتت واجتمع الناس على دفنها خلا سحنون وحده ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات قبل هذا الوقت بحين ، وكانت سنته حية فأميتت فى هذا الوقت بالبدعة ، وتعاون الناس على دفنها إلا سحنون وحده » .

رَوى عن ابن أنعم والبهلول ، وذُكر [أنه] قال : « رأيت مالكاً على بغلة تساوى كثيراً ، وعليها سرج يسوى قريباً من ثمن البغلة ، وعليه ثياب حسنة وغلام يمشى خلفه حتى أتى باب داره وأنا أنظر إليه ، فدخل راكباً من الباب (ص٦٤) حتى أتى راكباً إلى موضع مفرشه ، فنزل عن دابته فقعد على مفرشه ، فأخذ غلام منديلا [ ] (٤) سفه ثم نزعه واستوى مالك فى مفرشه قاعداً » .

ذكر من كان فى هذه الطبقة من المتعبدين والزاهدين
رضى الله تعالى عنهم

١١٨ — منهم **أبو يزيد رباح بن يزيد اللخمى** ، رضى الله تعالى عنه .

قال أبو العرب وغيره : كان رباح رجلا صالحاً مستجاباً مشتهراً بالفضل والزهد ، يسلم ذلك إليه جميع أهل عصره . وكانوا يتبركون بدعائه ويتعظون برؤيته . وكان يضرب به المثل فى عبادته ، رقيق القلب غزير الدمعة ، كثير الإشفاق والخشية والتواضع والرحمة . روى عن ابن سمعان وعن عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى . قال أبو العرب : طلبت حديث رباح فما وجدت منه (٥) إلا كتاباً واحداً رواه

---

(١) فى الأصل : « فلما رآه قد تمادى ... » ، وقد خلط الناسخ هذه العبارة بعبارة مشابهة لها ستأتى بعد قليل . والفاعل فى هذه الجملة هو أبو شيخ .

(٢) فى الأصل : فقال .

(٣) المراد : فسرها بصرف النظر عمن كانت له .

(٤) بياض بالأصل .

(٥) فى الأصل : عنه . والتصحيح عن طبقات أبى العرب (ص ٤٧) .

عن ابن سمعان (١) . توفي سنة اثنتين وسبعين ومائة وهو ابن ثمـان وثلاثين سنة ، ودفن بباب سَـلم بجوار قبر البهلول .

ومما أسند عنه : قال : حدثنى ابن سمعان عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن عطاء بن يزيد الليثى عن أبى هريرة أنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الناس أفضل ؟ فقال : « مؤمن مجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله عز وجل » . قالوا : ثم من يا رسول الله ؟ قال : « ثم مؤمن معتزل فى شعب من الشعاب يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويدع الناس من شره » .

ذكر فضله ومناقبه وأوصافه وأحواله وكراماته وإجاباته . رضى الله تعالى عنه : فمن ذلك ما حدث أبو عبد الرحمن القصير (٢) قال : « رأيت أربعة ما رأيت فى الدنيا مثلهم : رأيت ابن عون بالبصرة فما رأيت مثله ، ورأيت سفيان الثورى بالكوفة فما رأيت مثله ، ورأيت رباح بن يزيد بإفريقية فما رأيت مثله ، ورأيت الأوزاعى بالشام فما رأيت مثله » . ذكر عنه أنه قال : « رُضت نفسى عن المآثم (٣) حولا فبعد حول ضبطتها ، ورضت لسانى على ترك (٤) ما لا يعنينى فبعد خمس عشرة سنة ضبطته » . قال أبو عثمان بن الحداد : « إنه ليغلب على ظنى أن هذه الرياضات إنما كانت بعد أن بلغ الحلم ، لأنه إنمـا مات ابن ثمان وثلاثين سنة . وكان قد حمل نفسه على الاجتهاد حتى بلغنى أنه قال : لقد كنت أحب الصحة فلما ضعفت عن العمل أحببت المرض » .

---

(١) جاء بعـد ذلك فى الطبقات ـ وهى الأصل الذى نقل عنه المالكى ـ فى هذا الموضع : « حدثنى به محمد بن أبى الهيثم اللؤلؤى عن أبيه عن أبى محمد الفارسى عن رباح بن يزيد عن ابن سمعان » (ص ٤٧) .

(٢) ذكر أبو العرب سند هذه الرواية ، وهو : « حدثنى سليمان بن سالم ، قال : حدثنى داوود بن يحيى ، قال : حدثنا موسى ، قال : حدثنى عبد الله بن يزيد أبو عبد الرحمن القصير ، قال ... » ـ الطبقات ، ص ٤٧ .

(٣) فى الطبقات (ص ٥٠) على ترك المآثم .

(٤) فى الأصل : عن ترك . والتصحيح عن طبقات أبى العرب (ص ٥٠) .

أخبر عبد الخالق المتعبد أن رباح بن يزيد ذكر ما أنعم الله عز وجل عليه [به] فى دينه يوماً من الأيام، وكان فى ذلك الوقت البهلول، فقال رباح للبهلول: «يا أبا عمرو: إن لى لاثنتى عشرة سنة أحمد الله تعالى إليك فيها كثيراً وأشكره على [أنى] ما بغيت فيها شيئاً سوى الله عز وجل، وإن لى لاثنتى عشرة سنة قد أعطيت فيها من حلاوة القرآن ما لو شئت أن أتهجد بالآية الواحدة ليالى لفعلت، وإن لى لاثنتى عشرة سنة أخاف فيها الغِنى كما يخاف الغَنى الفقر». فكان البهلول يقول: «أما الخلتان اللتان ذكرهما أولا: أنه لا يخاف شيئاً سوى الله عز وجل، وما ذكر من أنه أعطى من حلاوة القرآن ما ذكر، فقد كنت شهدت ذلك منه غير ما مرة. وأما ما ذكره من خوفه الغنى فكأن فى نفسى منها شيئاً، لأنى قلت: الغِنى يُخاف؟ هذه درجة عظيمة، أعظم.(١)

ثم إنه بلغنى أنه سأله رجل من أملياء أهل القيروان أن يزوجه ابنته، وكان لها مال عظيم. فامتنع من ذلك وقال لى: «إنما أردت وأصحابك أن تأتونى فتنظروا إلى فضول الدنيا عندى وفى بيتى، وملك ذلك لغيرى، ولا تنبسط يدى فيه، فأضعه فى المواضع التى هى أفضل. قم فلا حاجة لى فى شئ من ذلك كله». قال: فقلت: «صدق! من خاف شيئاً تجنبه، وهو صادق فيما يقول(٢)». قال أبو عثمان سعيد بن محمد الحداد:

---

(١) ظاهر أن الناسخ أسقط هنا شيئا، وربما كانت صحة العبارة: هذه درجة عظيمة، أعظم (من أن تصدق) أو أعظم (بها)! هذا ولم يرد لهذا الخبر ذكر فى «طبقات» أبى العرب أو فى «معالم» الدباغ.

(٢) جاء ذكر هذه الحكاية فى طبقات أبى العرب على صورة تكمل ما ذكره المالكى هنا وهى: «قال (أى أبو العرب): وذكر أبو عثمان سعيد ابن محمد، قال: حدثنى بعض أصحابنا عن البهلول أن اسماعيل المعروف بتاجر الله أتاه فقال له: يا أبا عمرو، ان عندى ابنة تنافس فيها أهل الدنيا وأبناء أهل الآخرة، وقد أردت أن أزوجها رجلا يعينها على الآخرة وتعينه على الدنيا. قال له البهلول: ما أحقك بذلك! قال اسماعيل: وقد رأيت أن يكون رباحا. فقال له البهلول: هو موضع لذلك. ثم توجه البهلول الى رباح فأخبره الخبر فقال له رباح: أظننت يا بهلول أن الدنيا لعبت بى كما لعبت بك وبنظرائك؟ والله الذى لا اله الا هو انى لأفر من الغنى كما تفر أنت وذووك من الفقر، والله الذى لا اله الا هو ما خفت مع الله غير الله منذ خمس عشرة سنة. قال أبو عثمان: وانما مات ابن ثمان وثلاثين سنة، ويقال ابن أربعين». (الطبقات ص ٤٩).

وكان اسماعيل بن عبيد الله ـ المعروف بتاجر الله ـ موسرا، وقد سبقت ترجمته.

« بلغني عن البهلول (١) بن راشد أنه كان يوماً جالساً وعنده رباح بن يزيد ، إذ أقبل « بقية » أخو البهلول من البادية ، فجعل يلهج بذكر البادية ، وبهلول يتقلى اغتماماً برباح ، لأنه يعلم أنه لا يحتمل ذكر الدنيا ، فلما أكثر من ذلك ، نهض رباح ، وجعل يقول لبهلول : « سقطت [من عيني] ، تُذكر الدنيا في مجلسك ولا تنكر ولا تغيِّر؟ » فقال له بهلول : « ما أبالى – إذا لم أسقط من عين الله عز وجل – من عين مَن سقطت » فخر رباح على رأس البهلول يقبله وجعل يقول : « نعم [أحسن] البهلول ، فلا يبالى من عين من سقط إذا لم يسقط من عين الله عز وجل (٢) » .

وقال بعضهم : حضرت مع رباح جنازة ، والناس في ذلك الوقت في أزمة شديدة وضيق من العيش ، فنظرت إلى رباح ووجهه يتهلل يكاد أن يضحك من البشر ، فقلت في نفسي : « الناس فيما هم فيه من الكرب وهو مستبشر؟ » . ثم إن الله عز وجل كشف ذلك عن المسلمين ، وصاروا إلى رخاء من السعر ، ورغد من العيش ، فاجتمعت معه في جنازة أخرى فنظرت إليه كئيباً حزيناً يبدو الحزن منه ، يكاد من شدة الحزن أن يبكى ، فقلت في نفسي : « أين هذه الحالة من الحالة التي كان [فيها حين كان الناس في] (٣) الشدة والضيق ؟ » ، ثم قلت : « والله لأسألنه ! » . فلصقت به وقلت له : « يا أبا يزيد ، رأيت منك حالتين ، فلم أجد لنفسي بداً [من] أن أسألك عنهما » ، فقال لي : « وما هما ؟ » فقلت له جميع ما رأيت منه ، فقال : « أوفطنت لي ؟ » فقلت له : « وكل أمرك قد راعيت » فقال لي : « ويحك ! كنا في اليوم الأول ونحن راغبون داعون الله عز وجل ، وعيالنا وصبياننا كذلك ، وأنت ترى غفلتنا اليوم وطول سـ ونا وقلة تضرعنا ، فأي الحالتين خير؟ » قال : فقلت في نفسي : « أنت في شيء والناس في غيره » .

---

(١) في الأصل : منصور بن راشد ، والتصحيح من « المعالم » (جـ ١ ص ١٩٤) .

(٢) أورد ابن ناجي هذا الخبر في المعالم (جـ١ ص ١٩٤) ، وقد صححت نص المالكي هنا وأكملته من روايته .

(٣) بياض في الأصل . وقد أكملته بما يستقيم به السياق . وجاء في « المعالم » في هذا الموضع : « .. أين هذه الحالة من الحالة التي كان فيها ؟ » (جـ١ ص ١٩٢) .

وذكر (١) أن رجلا من الأندلسيين أتى إلى رباح فقال له : « يا أبا يزيد ، إن سعيداً (ص ٦٥) بن حميد (٢) أخذ منى جارية لى » . فأخذ رباح عصاه وانطلق معه إلى دار سعيد بن حميد ، فوجد جماعة من الناس قد حفوا ببابه ينتظرونه . فألقى عصاه بينه وبين الناس (٣) حتى خرج سعيد راكباً من داره ، فلما رآه من كان على بابه من تلك الجماعة ، نهضوا على أقدامهم ، وثبت رباح جالساً ، فقصد إليه سعيد ، ورباح جالس فى مكانه ، فأقبل سعيد يقول لرباح فى الذين قاموا له : « [يا أبا يزيد] ،(٤) هؤلاء كلهم أبناء دنيا » ، فقال [له](٤) رباح : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحب (٥) أن يتمثل له الرجال قياماً على أقدامهم ، فليتبوأ مقعده من النار » . فقال له سعيد : « يا أبا يزيد ، هل من حاجة ؟ » فقال له رباح : « اردد على هذا الأندلسى جاريته » . فصاح سعيد : « جارية الأندلسى ! » فأخرجت ، فدفعها إلى مولاها (٦) .

وكان رحمه الله مستجاب الدعوة . قال سعيد بن الحداد : كان لرباح ابن يزيد صديق كانت له بنت مقعدة سأله أن يزوجها له ففعل ، فلما دخل

---

(١) ذكر ابو العرب سند هذه الرواية وهو : « .. وحدثنى أبو عثمان (سعيد بن الحداد) قال : حدثنى من أثق به أن رجلا ... » ـ الطبقات ، ص ٤٥ .

(٢) فى طبقات أبى العرب (ص ٤٥) « والمعالم » (ج ١ ص ١٩٢) : سعيد بن لبيد .

(٣) فى الطبقات : فالقى عصاه بينهم وجلس (ص ٤٥) .

(٤) التكملتان من الطبقات (ص ٤٥) .

(٥) وفى الطبقات (ص ٤٥) : من سره .

(٦) أورد الدباغ هذه الحكاية بنصها تقريبا ، وعلق عليها ابن ناجى بقوله : « ما ذكر الشيخ رباح من حمل الحديث على ما ذكره يأتى مثله لأبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن غانم الرعينى القاضى . والذى حمل عليه المحققون انما هو : من أحب أن يتمثل له الرجال قياما وهو جالس ، كعادة السلطان فى ذلك . وأما قيام الناس له لوروده عليهم فانه جائز ، ولم يجعلوا الحديث يتناوله » . (« المعالم » ج ١ ص ١٩٣) .

عليها أخذ بيدها، وقال لها: « قومي بإذن الله » فقامت صحيحة تمشي. فمال إلى موضع في البيت فصلى فيه حتى أصبح، وخرج وخلى سبيلها ولم يكن به إلى النكاح غاية. [ولقد كان سأله رجل من أملياء أهل القيروان أن يزوجه ابنته، وكان لها مال عظيم، فامتنع رباح من ذلك، وإنما تزوج هذه من أجل] (١) الدعوة لها. ومما يقوى هذه الحكاية ما ذُكر من أن عبد الله بن المبارك مر برجل قد أقعد من ركبتيه، ثم مر به مرة أخرى وقد أُطلق وهو يمشي صحيحاً فقال له ابن المبارك: « أعرفك وقد أُقعدت، وأراك صحيحاً تمشي، فكيف كان أمرك؟ » فقال له الذي كان مقعداً: « مر بي شخص لا أعرفه، فسلم عليَّ. وقال لي: لم لا تدعو الله عز وجل وتسأله العافية؟ فقلت له: كيف أقول في دعائي؟ فقال لي: قل في دعائك: اللهم كلما (٢) أنعمت عليَّ بنعمة قل شكري لك عليها، وكلما ابتليتني ببلية قل صبري لك عليها، فيا من لم يؤاخذني (٣) بقلة الشكر على نعمه ولا بقلة الصبر على بلائه اكشف ضري وفرج عني؛ فدعوت بذلك فصرت إلى العافية بإذن الله عز وجل ».

[وعن] أبي بكر محمد بن اللباد أنه قال: « أخبرت أن رباح بن يزيد كان عنده أجراء حصادون، فعمل لهم الغداء وكسر لهم الخبز، ثم قال: « لو كان عندنا لبن عملناه لهم! » (٤) وكانت عنده قربة مملوءة بالماء، فصب منها لبناً على الخبز، وقدم ذلك إليهم. ثم قام إلى القربة ليتوضأ منها للصلاة، فصب منها ماء فتوضأ للصلاة ». قال بهلول: « (٥) قلت لرباح: يا أبا يزيد،

---

(١) وردت هذه العبارة في الأصل مبتورة هكذا: « وانما كان به الى النكاح غاية الدعوة لها » فصححتها وأكملتها من المعالم (ج ١ ص ١٩١)

(٢) في « المعالم » (ج ١ ص ١٩١): « كم » بدلا من « كلما ».

(٣) في المعالم (ج ١ ص ١٩١): « لا » بدلا من « لم ».

(٤) أورد الدباغ هذا الخبر مع اختلاف يسير، فهو يقول: « فكسروا ذلك الخبز، فقيل لرباح: « لو كان له لبن! » – وقربته ملأى ماء – فصب منها على الخبر اللبن ». (المعالم ج ١، ص ١٩٠).

(٥) أسند الدباغ هذا الخبر الى عبد الرحمن بن بكار والبهلول بن راشد (ج ١ ص ١٩٠).

إن الناس قد أكثروا عليك فى قصة اللبن» ، فقال : « ما تعجُّبك من هذا ؟ فوالله إن لى اثنتى عشرة سنة ما خفت أحداً إلا الله عز وجل » . قال بهلول : « فتصاغرت إلىّ نفسى ، وقلت : « يا بهلول ، أنت تخاف الناس ، وهذا لا يخاف أحداً إلا الله ! » قال البهلول : « ثم قال رباح : لقد كنت بمكة فرأيت رجلا إذا كثر الطواف صلى وإذا قل الطواف طاف ، فاقتديت به واتبعته . فمال ليلة إلى زمزم ، فأدلى دلوه ، فخرج عسل حلو طيب ، فأكلنا منه . ثم دلى دلوه ، فخرج لنا مملوءاً لبناً ، فشرب وسقانى ، ثم قال : « يا مغربى ، بحق الذى أحببتنى له لا تذكر ذلك لأحد ما دمت بمكة » (١) . ويذكر مثل ذلك عن سفيان الثورى .

وكان رحمه الله ينطق بالحكمة : ذكر ابن الحداد ، قال : « أخبرنى بعض أهل العلم عن رباح بن يزيد أنه أرسل رسولا ، وكان فى المسجد ، فعثر الرسول على حصير ، ثم عاد الرسول فسلك على ذلك الحصير ، فعثر عليه ثانية ، فغضب رباح وقال له : « رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، وأنت تعثر على حصير مرتين ! ألا إذ عثرت عايه مرة أخذت حذرك فلا تعود إليه مرة أخرى ؟ » . ورأيت له ، رحمه الله تعالى ، رسالة كتب بها إلى البهلول بن راشد : « السلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد ، فإنى أوصيك ونفسى بتقوى الله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور . فالزم على نفسك كثرة ذكره ، واستعن بالله عز وجل على أداء فرائضه ، واستغفره لما هو أعلم به ، فإنه عز وجل يقول : (من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) (٢) ،

---

(١) ذكر الدباغ هذه الحكاية على صورة أخرى هكذا : وروى أبو بكر محمد بن اللباد شيخ جماعة أهل السنة بالقيروان ، رحمة الله تعالى عليه ، عن سعيد بن اسحاق الكلبى ، قال : حدثنى البهلول بن راشد أنه كان بمكة ، فأتى رجل خراسانى يسأل عن رباح بن يزيد ، فقلت له : ماحاجتك ؟ وأين عرفته ؟ فأخبرنى أنه رآه على بئر زمزم وقد استقى منه عسلا فشرب وسقانى . فلما أتى رباح أخبرته بما قال الخراسانى ، فكره ذلك وقطب . (المعالم ج ٦ ص ١٩٠) .

(٢) سورة النساء ، الآية ١١٠ .

ثم أحدثْ احتراساً من الجليس، إلا من كان همه يعلو فرجه، وفكره ينفع جليسه، يستعمله إلفه. فمن لم يكن منهم كذلك، فأظهر له حسن الخلق، واسلك من إخائه فى رفق. واستعن بكتاب الله عز وجل وكثرة ذكره وتلاوته، فإنه الشفاء والرحمة للمؤمنين. وقد نزل بنا ما ترى من سفك الدماء وذهاب الأموال، وقد علمتَ ما عاينتَ من كثرة العبر بتسليط إلهك عز وجل يوم سطا أبو حاتم الأعور، وإنما كان ذلك نقمة بالذنوب، فبلغ من الفساد ما الله أعلم به وأحصى له، من حصار وضيق أسعار وظهور المنكر. وقد قال إلهنا الكبير المتعال عز وجل: (ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون). [1] فهل من رجوع ظاهر أو باطن؟ فما ينتظر من كان فى مثل ما نحن فيه أن تزول النقم، إلا أن يعفو ربنا الحليم. ولقد علمت ما حل بصددس [2] وغيرها، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ثم إنا لله وإنا إليه راجعون. وقد قال إلهنا الكبير عز وجل: (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) [3]. وإنى أرى لك أن تحدث حذراً واحتراساً واستكانة وخضوعاً وتذللا وخشوعاً، ترجو بذلك رضى إلهك والنجاة من نزول عقابه، وما ظهر من الفساد خوفاً من سخط الجبار، ولا تكن من الغافلين، ولكن أكثر من مجالستك من أهمه أمر نفسه وصلاح دينه، فإن لم تجد أولئك فعليك بالخلوات. واستعن بالله عز وجل ولا تزال تذكرنا، فإنى قد نشبت فى موضع لا يخلص منه إلا الله عز وجل. والوحدة (ص٦٦) لا تضر من خاف الله تعالى بالغيب. والأنس لا ينفع من كان من دينه فى شك وريب. قال الله عز وجل: (فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنّا علماً) [4].

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٤٢.

(٢) كذا فى الأصل. وقد بحثت فى المراجع عن جميع نواحى افريقية التى حدثت بها اضطرابات أوحلت بها نكبات فى هذه الفترة فلم أجد غير صفاقس والأربس وتونس. فيحتمل أن يكون هذا اللفظ المحرف اسم احدى هذه البلدان.

(٣) سورة الاسراء، الآية ١٦.

(٤) سورة الكهف، الآية ٦٥

فمن رجوت من أهل زمانك أن يكون بقاؤه رحمة لأهل مكانه فأسر[ع] إليه وانتفع بلقائه، فإنه قد أدرك أمراً عظيما . فعليك يا أخى بكثرة الحزن والتفكير والاعتبار بالذكر وملازمة الدار ، ولا يعجبك كثرة الحديث ، فإنه ليس نافع الأمور إلا حديثاً حرك القلوب لما فيه نجاتها وعمارتها بما يرضى ربها عز وجل . وقد جاء فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أصبح أكبر همه غير الله عز وجل ، فليس من الله [ ] (١) ومن لم يهمه أمر المسلمين فليس منهم » . وقد أصبح الناس يسفك بعضهم دماء بعض ويأخذ بعضهم مال بعض ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وقال الله عز وجل : (يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم . ولا تقتلوا أنفسكم ، إن الله كان بكم رحيما . ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً فسوف نصليه ناراً ، وكان ذلك على الله يسيراً) (٢) . فكيف تطيب نفس مؤمن أو ترى سروراً ، وهو يرى سخط ربه ظاهراً ؟ ما سكنت القلوب إلى الفساد إلا لما خالط الأبدان من العيوب . يا أخى ، لايغرنك رضى الناس عنك فإنهم لا يعلمون ما يعلم الله . فاستغث بالله أيام رجائك ، وليعلم منك الشفقة منه والثقة به ، ولا تزال تكتب إلينا وتذكرنا بنفسك ، فإنه لن يخفى على بالنا أحد لمن أقوانا (٣) إلا وذلك خير له ولنا . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته »

وكتب إلى عبد الله بن فروخ :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من رباح بن يزيد إلى عبد الله بن فروخ ، سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، الذى أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة ، وإياه نعبد ونستعين . أسأله شكراً لأنعمه وعملا يرضاه .

جاءنى كتابك فقرأته وفهمت الذى ذكرت فيه ، آجرك الله فيما دللت عليه

---

(١) بياض بالأصل .

(٢) سورة النساء ، الآيتان ٢٩ و ٣٠ .

(٣) كذا فى الأصل . ويستقيم السياق اذا استبدلنا هذه العبارة بعبارة مثل : « فانه لن يبقى على بالنا أحد من اخواننا الا وذلك خير له ولنا » .

من خير . فإن الله عز وجل يقول : (لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس . ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما) (١) . جعلنا الله تعالى وإياك ممن استوجب ذلك الأجر العظيم بيسير من العمل ، وتغمد منا ومنك ما لا يغفره إلا هو . إنه لا يغفر الذنوب إلا هو وحده لا شريك له . أوصيك بتقوى الله الذى لا يشغله شئ عن شئ ، الذى ابتدأ خلق ما نرى على غير مثال كان قبل ذلك . فإنك فى زمان قد ماتت فيه قلوب خلق كثير وهم لايشعرون . فاتخذ أخاً مصافياً فى أموره ومداخله ومخارجه . فإذا وجدت ما تحب فأوجب له ما يجب من الأخوة فى الله عز وجل وإلا انقبض فى رفق ونصيحة . فإن كثيراً من أهل زمانك يحبون رضى الأشرار ورضى الأخيار فيما [ ] (٢) الأخيار وحسن الثناء على الأشرار ، حتى يخيل إلى من يسمعه أن القطع إليه برأيه وعمله وهواه . فأما الأشرار فيثنى عليهم بالشرف والفضل تعرضاً لغنم (٣) ما فى أيديهم مما لو كانت الكلاب تحاسب ثم عرفته لم تطعمه ، ولم تدن منه ، إلا أن يشاء الله ربنا ، وسع ربنا كل شئ علماً . وانظر إلى من يسكن إليه عقلك وتعرف البركة فى مجالسته ، وإن قل أولئك — وحق لهم القلة — [فإنه] لكرامتهم على الله عز وجل أعجل خروجهم من الدنيا إلى كرامتهم . لأنه لا يبقى فى آخر الزمان إلا الذين هم الأشرار كما قال عليه السلام : « حثالة كحثالة التمر » ، فارض بالوحشة واسأل الله عز وجل أن يسلمك يوماً بيوم حتى يلحقك بمن لا غنى بك عن صحبته ومرافقته ، وما التوفيق إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب . فقد أدركت زماناً أميتت فيه السنة وأظهرت فيه البدعة ، وعز فيه أشرار كثير[ون] من هذه الأمة . فإنا لله وإنا إليه راجعون مما تلقى من أهل زمانك . كأن الذى خوفوه لا يقع بهم ، أو كأن الذى حل بغيرهم لا يرونه . وقد قال الله عز وجل : (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ، ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) (٤) .

---

(١) سورة النساء ، الآية ١١٤ . (٢) بياض فى الأصل .

(٣) فى الأصل : لقدم . (٤) سورة الأنعام ، الآية ٤٣ .

وعهدت بلادنا بالحصار والقتل والفساد ، وقال الله تعالى : (أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ، أو يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين ، أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرءوف رحيم) (١) . أسأل الله العظيم الرءوف الرحيم أن يلحقنا وإياك بالصالحين . لا تزال تصلنا بكتاب فيه بعض ما ينفع الله عز وجل به من الحكم التى ليس يعدلها كثير من عرض الدنيا ، فإن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : ما من هدية يهديها المرء إلى أخيه خير له من كلمة حكمة ينفعه الله عز وجل بها فى دينه . وقال الله تعالى : (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) . فاغتنم بقية عمرك وأحسن [اختيار جلسا] ئك، (٢) فمن رأيت الأدب ينفعه فتفقد مجالسته ، ومن رأيته منهم يتكلم بلسانه وهواه فى الغيبة — يراها أفضل رغبته — فعاوده رجاء رجعته ، فلعله ينتفع بالحكمة ، فإن لم تزجره الموعظة فدع إخاءه ولا تستوحش إلى مجالسته » (٣) .

قال محمد بن الأشج : « أخبرنى أبى قال : اعتل رباح بن يزيد — وكان « بدرب عابد بن الأسود » — عند أخ من إخوانه ، فلما بلغ يزيد بن حاتم أمير إفريقية علته واعد « سعيد بن أسد » عامله على أنهما يمشيان إليه بعد المغرب رجّالة . فلما كان بعد المغرب أتى سعيد بن أسد قبل أن يأتى يزيد بن حاتم ، فخرج إليه صاحب الدار — وكان عند رباح ذلك الوقت جماعة (ص ٦٧) يعودونه — فلما رآه دخل إلى رباح فقال : « يا أبا يزيد ، هذا سعيد بن أسد قد أتى عائداً » . فقال له رباح : « لا تأذن له ولا تدخله علىّ » . فقال صاحب الدار فى نفسه : « رباح لا يبالى بسعيد ولا يخافه ، وأنا أبالى بسعيد وأخافه ، والدار دارى ! » فخرج إليه وقال : « ادخل أصلحك الله ! » ، ثم سبقه إلى رباح ، فقال : « هو ذا قد دخل » . فحول وجهه نحو الحائط قبل دخوله ، لئلا يخاطبه . فلما أن دخل سعيد قال له : « كيف تجدك يا أبا يزيد ؟ كيف أنت ؟ » .

---

(١) سورة النحل ، الآيات ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ .

(٢) بياض فى الأصل .

(٣) جاء فى هامش الأصل أمام هذا السطر : « نسخة ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . ومن هنا زيادة نسخة » .

ونحو ذلك من الكلام ، فما رد عليه رباح حرفاً ، ولا أجابه بشيء . فلما أن رأى ذلك سعيد قال : « أحسب أن أبا يزيد نائم ! » . فقال له صاحب الدار : « أحسب ذلك ، أصلحك الله » ؛ فحول رباح وجهه إلى صاحب الدار وقال : « ويحك ! تكذب وأنت تخاطبني الساعة وتقول إني نائم ؟ أما إني لو علمت أنك تكذب ما أويت لك إلى سقف ! » . قال : فخجل سعيد بن أسد وخرج من عنده واجداً لما نزل به . فلما صار إلى رأس الدرب لقي « يزيد بن حاتم » الأمير وقد أتى يعود رباحاً ، فقال له سعيد : « انصرف ، أصلح الله الأمير ! » فقال له : « لم ؟ » فأخبره بما نزل به ، وقال له : « إنما نزل بي هذا من رباح لكوني صحبتك » ، فتوقف يزيد ساعة مفكراً ثم قال له : « قد أتيتُ ، فما كنت لأنصرف حتى أشهد عيادته » ، فقال له : « وكيف تعمل ؟ » قال : « سوف أتلطف له وأحتال » . قال : فمضى يزيد حتى أتى الدار التي فيها رباح ، فخرج إليه صاحب الدار فلما رآه دخل إلى رباح فقال : « هذا الأمير يزيد بن حاتم قد أتى عائداً وقد أذنت له بالدخول ، ولم أقدر على غير ذلك » . فأعاد رباح وجهه إلى الحائط كما فعل مع سعيد ، والقوم جلوس بحالهم عند رباح لم يبرحوا . فلما دخل يزيد سلم عليهم ثم قال لهم : « كيف أمسى أبو يزيد العشية ؟ كيف رأيتموه ؟ منّ الله عليه بالعافية وصرف عنه المحذور » ، وكان أولئك العُوَّاد يجيبونه في كلامه كله في مسألته وفي دعائه . فخرج عنه الأمير يزيد بن حاتم .
ومات رباح من تلك العلة ، فبلغ يزيد بن حاتم وفاته ، فأتى لحضور جنازته ، فلما صلى الظهر أقبل الناس والأمير راكب ومعه [من] أصحابه خلق عظيم ، فوقف ينتظر الناس ليخرجوا به ، فازدحم الناس على نعشه من صلاة الظهر إلى صلاة العصر ، فلما رأى ذلك يزيد قال : « معاشر الناس ، إن كنتم مزدحمين فازدحموا على عمله ولا تزدحموا على جسمه » . وأمر الشُّرط بحمل النعش ، فأخذه الشرط فحملوه وأزالوا الناس عنه ، وحملوه إلى « باب سلم » ، فصلى عليه ودفن رحمه الله تعالى . وفي رواية(١)

---

(١) الرواية التالية تتفق ـ حرفيا تقريبا ـ مع رواية أبي العرب في الطبقات (ص ٤٦) وقد أخذها هذا الأخير عن أبي عثمان سعيد ابن الحداد .

أن سعيداً قام من عند رباح مغضباً حتى دخل على الأمير يزيد بن حاتم وقد غلبه البكاء وجعل يقول له : « ما مر علىّ قط مثل اليوم! » ، ثم قص عليه قصته مع رباح. فقال له يزيد : « إنى عاديت لك أهل الأرض. أفأعادى لك أهل السماء ؟ تعال حتى أريك كيف يعاد مثل رباح » . فركب يزيد مع سعيد حتى دخل على رباح. فسلم يزيد على رباح فلم يرد عليه السلام. فأقبل يزيد على عواد رباح فقال لهم : « إن سعيداً دخل عليكم (١) والعليل يشق عليه الكلام. فإذا أجبتمونا عنه فكأنه هو المجيب » . ثم سألهم عن مبيته كيف كان وكيف حاله (٢) ، ثم نهض. وكان هذا دأبه معه كل يوم فى الزيارة حتى مات ، رحمه الله تعالى.

١١٩ ـ ومنهم أبو على شَقَران بن على الفرضى ، (٣) رضى الله تعالى عنه.

قال أبو العرب ، رحمه الله تعالى : كان أبو علىّ رجلا صالحاً ضرير البدن والبصر، وكان يقال إنه مستجاب. وكان مؤاخياً للبهلول. وكان عالماً بالفرائض ، وله فيها كتاب لم نجد عند علمائنا عن شقران غيره (٤) . روى [عنه] (٥) سحنون وعون بن يوسف. وكان سنه نحو البهلول. وكانت عليه الفراض (٦) . وذكر

---

(١) لم يذكر أبو العرب العرب العبارة الأخيرة . ولكنه وضع بدلا منها ما يلى : « .. فقال لهم : ان أبا يزيد رجل عليل ، والعليل يشق عليه الكلام ... » الطبقات ، ص ٤٦ .

(٢) أضاف أبو العرب بعد « كيف حاله » ما يلى : « ثم نهض ، ثم جعل يأتيه فى كل يوم ، فيسلم عليه ، فلا يرد عليه رباح ، ثم يقبل يزيد على العـواد الذين بحضرته ، فيقول لهم : ان أبا يزيد رجل عليـل ... وعن حاله . فكان هذا دأبه معه كل يوم » ـ الطبقات ، ص ٤٦ .

(٣) جعل الدباغ نسبته : الهمذانى (المعالم جـ ١ ص ٢٠٨) .

(٤) كذا فى طبقات أبى العرب أيضا ، ص ٦٠ . وقد أورد الدباغ هذه العبارة هكذا : « وله فيها كتاب لم نجد عند علمائنا ، غير شقران ، مثله » ـ « المعالم » جـ ١ ص ٢٠٩ .

(٥) التكملة من « المعالم » جـ ١ ص ٢٠٩ .

(٦) جاء فى « اللسان » (جـ ٩ص ٧١) : « ويقال للرجل اذا لم يكن عليه ثوب : ما عليه فراض أى ثوب وقال أبو الهيثم : ما عليه ستـر . وفى الصحاح : يقال : ما عليه فراض أى شىء من لباس ». والغالب أن معنى هذه العبارة ـ بناء على هذا ـ أنه كان من أصحاب الخرق : المرقعات .

غير أبو العرب أنه نشأ على الطهارة مع كثرة صلاة وصيام وكثرة حزن وخشية رقيق القلب غزير الدمعة ، ومن صغره كان ينطق بالحكمة ، ويرد الناس إلى عبادة ربهم بالموعظة الحسنة ، حتى انتفع به جماعة من المريدين منهم ذوالنون [المصرى] (١) الأخميمى وغيره . لقد حدث أبو مروان عبد الملك بن نصرون (٢) المتعبد ، قال : « بلغ ذا النون (٣) أن بالغرب رجلا متعبداً يقال له شقران يخرج من أربعين يوماً إلى مثلها . فأتى من مصر ، فسأل عنه ، فقيل : « الساعة دخل . وليس يخرج إلى أربعين يوماً » . فأقام ذو النون على بابه أربعين يوماً ، فلما تمت خرج ، فلما رأى ذا النون قال له : « من المشرق أنت ؟ » قال : « نعم » . قال : « ما الذى أقدمك بلادنا ؟ » قال : « بلغنى خبرك فأتيت إليك لتعظنى ، لعل الله أن ينفعنى بكلامك » . فقال له : « يا فتى ، سُح فى الأرض ، واستعن بأكل العشب على أداء الفرض . ولا تقبل من أحد صلة ولا قرضاً ، فإذا خشيت أن تقترض فاستعن بالذى عليه تُعرَض » . ثم دخل فأقام (٤) على بابه أربعين يوماً ، فلما خرج بعد انقضائها قال له : « ما انتفعت من الموعظة بشئ ؟ » قال : « أردتُ الزيادة » ، قال : « أردتَ الزيادة وسأنقصك ! يا فتى ، كلْ من كد يمينك مما عرق فيه جبينك ، ولا تأكل بدينك ، فإن خفت أن يضعف يقينك فاستعن بالله معينك . اعلم أن لى ولك غداً موقفاً بين يدى الله عز وجل ، فاتق الله ولا تشك من يرحمك إلى من لايرحمك » . ثم دخل فأقام على بابه أربعين يوماً ، فلما خرج قال : « انتفعت بالموعظة ؟ » قال : « أردتُ الزيادة » . قال : « لستَ من أهلها ، وسأنقصك ! يا فتى : ارض بما قسم الله لك تكن من أزهد الناس ، واتبع ما أمرك الله به تكن من أعبد الناس ،

---

(١) « المعالم » جـ ١ ص ٢٠٩ . وإلى جانب هذا السطر فى هامش الأصل كلمتا : من مواعظه .

(٢) فى « المعالم » جـ ١ ص ٢١٠ : نصر .

(٣) فى الأصل : « قال ذو النون أن بالغرب » مما لايستقيم به السياق . وقد أصلحته من نص « المعالم » جـ ١ ص ٢١٠ .

(٤) فى الأصل : فاقمت .

وانته عما نهاك الله عز وجل عنه تكن من أورع النـــاس » ، ثم هم بالدخول .
[قال ذو النون] : فجذبت ثوبه (ص٦٨) وقلت : « زوّدنى منك زاداً ينفعنى الله تعالى به » . قال : « فدسّ فى يدى شيئاً كهيئة الدينار أو كهيئة الدرهم ، فنظرت فإذا هو اسم من أسماء الله تعالى » قال : « فما سألت الله عز وجل به شيئاً إلا أعطانى إياه » .
قال أبو محمد الحسن بن أبى العباس الأجدابى : « فذكر أن ذا النون وجد فى الرقعة التى دفعها إليه شقران : « يا دائم الثبات ، يا مخرج النبات ، ويا سامع الأصوات ، يا مجيب الدعوات » . وحدث أبو عثمان سعيد بن عثمان بن عباس الخياط ، قال : « سمعت ذا النون بن إبراهيم الأخميمى يقول : « وُصف لى رجل بالمغرب ، وذُكر لى من حكمته وكلامه (١) ما حملنى على أن ألقاه ، فرحلت إليه إلى المغرب فأقمت على بابه أربعين يوماً على أن يخرج من منزله إلى المسجد ، فكان يخرج فى وقت كل صلاة ، ويرجع كالواله ، لا يكلمنى ولا يكلم أحداً » ، قال : « فضاق لذلك صدرى ، فقلت : « ياهذا ، إنى مقيم هاهنا منذ أربعين صباحاً لا أراك تكلمنى » . فقال لى : « يا هذا لسانى سبع ، فإن أنا أطلقته أكلنى » فقلت : « رحمك الله ، عظنى بموعظة أحفظها عنك » . قال : « وتفعل ؟ » قلت : « نعم إن شاء الله تعالى » فقال : « لاتحب الدنيا ، وعد الفقر غنى ، والبلاء من الله عز وجل نعما ، والمنع من الله عطاء ، والوحدة مع الله أنساً ، والذل عزاً ، والمباهاة خطأ (٢) ، والإياس غفلة ، والطاعة حرفة ، والتوكل معاشاً ، والله عز وجل لكل شئ عدة » . قال : « ثم مكثت بعد ذلك شهراً لا يكلمنى . فقلت له : « رحمك الله ، إنى أريد الرجوع إلى بلدى ، فإن رأيت أن تزيدنى فى الموعظة » فقال لى : « وما كفاك ما سمعت ؟ » فقلت له : « رحمك الله تعالى ، إنى رجل مبتدئ لا علم عندى » فقال لى : « هكذا ؟ » قلت : « نعم » فقال لى

---

(١) فى الأصل : من كلامه حكم . وقد أصلحتها من نص « الدباغ » وقد أخذ هذا الخبر بنصه عن المالكى وذكر ذلك . « المعالم » ج ١ ص ٢١١ .

(٢) كذا فى الأصل ، وجاء فى «المعالم» ــ ونصها هنا منقول عن المالكى ــ « والمباهاة حظا » (ج ١ ص ٢١١) ولا يستقيم السياق على أى من هاتين الصورتين ، والغالب أن صحة العبارة : والمناجاة حظا .

« ياهذا ، اعلم أن الزاهد فى الدنيا قوته فى الدنيا ما وجد، ومسكنه حيث أدرك ، ولباسه ما يستر ، والخلوة مجلسه ، والقرآن حديثه ، والله العزيز الجبار أنيسه ، والذكر رفيقه ، والزهد قرينه ، والصمت محبته (١) ، والخوف محجته ، والشوق مطيته ، والنصيحة نهمته (٢) ، والاعتبار فكرته ، والصبر وساده ، والتراب فراشه ، والصديقون إخوانه ، والحكمة [كلامه] (٣) ، والعقل دليله ، والحلم خليله ، والتوكل نسبه (٤) ، والجوع إدامه ، والله عونه » . قال : فقلت له : « يرحمك الله تعالى ، بم يتبين (٥) العبد الزيادة فى هذا المكان ؟ » قال : « بالمحاسبة للنفس والمناقشة لها . حسبك الآن ، حسبك ! »

قال ذو النون : « سمعت أستاذى شقران المغربى يقول فى بعض مواعظه : « يا أخى ، (٦) إن لله عز وجل عباداً (٧) فألفوا ، وطلبوا فرحلوا ، وقصدوا فوصلوا ؛ أولئك الربانيون والأحبار وعمال الله الأبرار ، أولئك قوم كرمت نفوسهم على الله فركبوا مطية النجاة إلى الله ، وأحياهم عند ذلك حياة الأصفياء ، ثم أمدهم بمعونات الأقوياء . فسبحانه ما أك[رمه فيما أ] عطاهم وخولهم . ولقد دعاهم فأجابوا ، ولقد قبلوا فأصابوا » . ثم قال : « أواه ! ألا مريد صادق ؟ ألا فتى نمت عليه الحقائق ؟ مالى لا أرى الصادقين ؟ مالى عدمت أهل اليقين ؟ ألا فجدوا ، فإن الطريق واضح . ثم اسمعوا منى ، وإنى لكم ناصح . فكم يُلْتَقَ من هو غداً مكرم محبور إلى من هو موبخ بما جنى محقور ، ثم يؤمر به إلى لظى مجرور . ويحكم ! إن الدنيا دار فناء والآخرة دار بقاء ، ولنعم دار المتقين » . ثم قال :

---

(١) فى الأصل : محنته .

(٢) فى « المعالم » (جـ ١ ص ٢١٢) : همته .

(٣) التكملة من المعالم (جـ ١ ص ٢١٢) .

(٤) وفى « المعالم » (جـ ١ ص ٢١٢) : كسبه .

(٥) وردت هذه العبارة فى الأصل هكذا : « فمتى يسى العبد الزيادة فى هذا المكان » . وأوردها الدباغ هكذا : « بم يتبين الزيادة للعبد ... » (جـ ١ ص ٢١٢) فأصلحتها على النحو الوارد أعلاه ليستقيم السياق .

(٦) ورد فى هامش الأصل الى جانب هذا السطر كلمة : موعظة .

(٧) يبدو أن هنا كلمة ناقصة فى معنى : علموا .

« ألا لهَج خدوم ؟ ألا ثـكِل ندوم؟ ألا حبيب كئيب؟ ألا صفى لبيب؟ ألا تائب يشوب ؟ ألا خادم يذوب ؟ ألا راغب فى الجزيل ؟ ألا عارف بالجليـل ؟ أين من استراحت بواطنه بحب الله تعالى ؟ أين من ظهرت على جوارحه شواهد الهيبة ؟ أين من اقترب الرب تعالى من سرائره ؟ أين من دانت لمعاملة الله عز وجل ظواهره ؟ أين من خبر الطريق ؟ أين من نظر بالتحقيق؟ أين من أدناه فلم يبرح؟ أين من شـُوّق فلم يفرح؟ أين من شجى فباح؟ أين من بُلى فناح؟ أين من قُبل ففرح ؟ أين من وصـــل فغنم ؟ أين من لزم فاجتبى (١) ؟ أين من بكى بعويل ؟ أين من صرخ بغليل ؟ أين من رضى فطاب ؟ أين من نحل فذاب ؟ أين من شفه الوداد ؟ أين من جد باجتهاد ؟ أين من همه الحبيب ؟ أين [مَن] مِن دهره غريب ؟ أين من طالع الكشوف ؟ أين من صال بالمعروف ؟ أين عُمَّاله الكرام ؟ أين خـُـدّامه القيام؟ أين من ذِكره غِذاه؟ أين من قلبه يراه ؟ يا أخى ، هل كانوا إلا بركات على المسلمين ؟ ما أبصرهم بعلوم أهل اليقــين ! ما أغوصهم فى بحار المستنطقين ! ما قولك فى رجال أتتهم فوائد العطايا والمواهب؟ جعلنا الله منهم وفيهم ، وحشرنا فى زمرتهم » . وقال أيضاً : « قال أستاذى شقران : يا ذا النون ، من توكل استغنى ، ومن لم يتق تعب ، ومن شكر كوفى ، ومن رضى صوفى ، والنظر إلى الظَّلَمَة آفة التحقيق ، والهجر لهم أول الطريق » .

وحدث أبو بكر أحمد بن محمد بن يحيى القرشى المتعبد الصقلى ، قال : « حدثنى أبو عبد الله محمد بن خراسان ، قال : كان شقران علىّ من أكمل الناس ، فهويته امرأة ، فذكرت شأنها لعجوز فقالت لها : « أنا أجمع بينكما » . فمر شقران يوماً بالموضع ، فقامت إليه العجوز فقالت له : « يا ولدى ، لى ولد قد أحرقت قلبى غيبته ، وقد أتانى كتابه ، فأحب منك أن تقرأه لى » ، فأجابها إلى ذلك ، فقالت : « يا سيدى ، له أخت بها من الوجد عليه مثل ما بى ، فإن رأيت أن تأتى إلى الباب (٢) فتسمع أخته كتابه ! » فقال : « نعم » ، فأتاها

---

(١) فى الأصل : ماحى .

(٢) فى « المعالم » جـ ١ ص ٢١٢ : فان رأيت أن تلصق بالباب فتسمع أخته ...

إلى الباب ففتحته ودخلت وقالت له : « يا سيدى، إنها لا تخرج وهى فى الباب الوسطانى ، [1] (ص ٦٩) وهى وراء الباب الوسطانى ، فإن رأيت أن تتقدم إلى الباب الأوسط وتقرأه لها ، فإن الله تعالى يكمل أجرك » . فتقدم شقران إلى الباب ، فبادرت العجوز وغلقت الباب البرانى ، وفتحت الجارية الباب الأوسط [2] ، وضربت بيدها فى أطواق شقران وقالت له : « قد وصلت ! » وراودته عن نفسه . فلما رأى أن البلاء قد نزل به أراد ملاطفتها ليتخلص منها ، فقال لها : « ولا بد من ذلك ؟ » فقالت : « لابد من ذلك ! » فقال لها : « اعطينى ماء أتوضأ به » فأعطته ماء فتوضأ وضوءه للصلاة ، ثم قال : « اللهم إنك قد خلقتنى كما شئت ، وقد خفت الفتنة على نفسى ، وأسألك يارب أن تغير خلقتى وتصرف شرها عنى » ، فخرج وقد تغير وجهه وظهر به الجذام ، فلما رأت ذلك منه دفعته فى صدره وأخرجته من الدار ، ووقاه الله شرها . فكان ذلك بيديه ورجليه قراحاً [3] حتى مات رحمه الله تعالى ورضى عنه ، فإنه اختار بلاء الدنيا على بلاء الآخرة » .

ومما يشبه هذه الحكاية ما حدث به مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه ، قال : « كان يونس بن يوسف من العباد ، وإنه راح يوماً المسجد فلقيته امرأة فوقع فى نفسه منها شىء ، فقال : اللهم إنك كنت جعلت لى بصرى نعمة ، وقد خشيت أن يكون نقمة ، فاقبضه إليك » . قال : « فعمى ، فكان يروح إلى المسجد يقوده ابن أخ له ، فإذا [دخل المسجد] اشتغل الصبى مع الصبيان ، فإذا عرضت له حاجة دعاه فأقبل إليه . فبينا هو ذات يوم ضحوة فى المسجد

---

(١) واضح أن هذه العبارة زائدة ، ولم يذكرها الدباغ ، وروايته تتفق مع روايتنا تماما هنا .

(٢) فى الأصل : « البرانى » ولا يستقيم بها السياق ، وقد أصلحتها من رواية الدباغ فى « المعالم » ج ١ ص ٢١٢ .

(٣) فى الأصل : « قراص » ، ولم أجد فى المعاجم لهذا اللفظ معنى يتفق مع السياق هنا . وقد أصلحتها من نص « المعالم » ج ١ ص ٢١٢ .

إذ أحس فى بطنه شيئاً فطلب[1] الصبى فشغل عنه باللعب مع الصبيان ولم يعلم به . فقال : «اللهم إنك جعلت لى بصرى نعمة ، فسألتك أن تقبضه فقبضته ، اللهم وقد خشيت الفضيحة على نفسى فاردده إلىّ» . قال : «فانصرف إلى منزله وهو صحيح البصر» . قال مالك : «فرأيته أعمى ورأيته بصيراً» .

حدث عبد الرحيم صاحب ابن فروخ ، قال : «كنا عند البهلول حتى أتاه رجل معه ابن صغير له قد أصابه جدرى وهو لا يبصر ، فقال : ادع الله تعالى لولدى أن يرد الله على هذا الصبى بصره» ، قال : «فقام البهلول والصبى وأبو الصبى معنا حتى دخلنا على شقران بن علىّ ، فسلمنا عليه . فقال له البهلول : «إن أخانا هذا ليس له غير ابنه الذى معه ، وقد ابتلى فى بصره ، فادع الله تعالى أن يرد إليه بصره» . قال : فقال له شقران : «ادع يا أبا عمرو ونؤمن نحن» . قال : فاستقبل شقران القبلة وهو على سريره ، فحمد الله عز وجل وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال : «اللهم إن أخانا هذا قد سألنا ما علمت ، فنسألك أن ترد إلى ولده بصره» . فالتفت الصبى إلى أبيه وقال : «يا أبت ، ما هذا ؟» فلما سمعه البهلول أخذ بيد الصبى والرجل وقام فخرج . فطرح شقران بنفسه على وجهه فرددنا عليه الباب وخرجنا بالصبى بصيراً» .

أخبر حمدون بن العسال ، قال : قحط الناس عندنا بالقيروان ، فجاء قوم إلى شقران وأنا عنده جالس فقالوا : «يا أبا علىّ ، ادع الله يسقنا ، فقد ترى ما الناس فيه من الجهد والغلاء» . فشد إزاره على وسطه ، ورفع يديه بالدعاء والتضرع إلى الله عز وجل ، و[جعل] يقول فى دعائه : «عزيمة منى عليك ، اسقنا الساعة الساعة !» قال : فأرعدت وأبرقت وأمطرت . قال حمدون : فخرجنا من عنده نخوض فى الماء إلى أنصاف سوقنا . قال أبو عثمان : قال لى سعيد الصبيرى : «صدق حمدون ، كنت أنا حاضراً ذلك» . وفى رواية : أنه أبطأ عن الناس المطر ، والزرع فى الأكمام ، فاجتمع الناس يوم الجمعة وقالوا :

---

(١) فى الأصل : فحصب ، وهو خطأ من الناسخ فأصلحت اللفظ على هذا النحو حتى يستقيم السياق ، وظاهر أن ما يلى ذلك ينبغى أن يعدل بعض الشىء حتى يستقيم السياق تماما هكذا : فطلب الصبى ، فاذا به قدشغل باللعب مع الصبيان ، ولم يعلم به ...

« امضوا بنا إلى شقران » ، فمضى الناس حتى دخلوا عليه ، فقالوا : « يا أبا علىّ ، أنت ترى حالنا وما نزل بنا ، وقد أبطأ عنا المطر ، والزرع فى الأكمام ، فادع الله عز وجل أن يسقينا » . فقال : « يقرأ أحدكم » . فقرأ القارئ ، فلما فرغ القارئ استقبل شقران الدعاء . قال : فما برحت حتى سقينا ، وكان مطراً عظيما ، ثم حملنا أخفافنا فى أيدينا من السيل . قال : فكان من دعائه : « الساعة ، الساعة ! » ببطن كفيه .

قال أبو جعفر : ولقد بلغنا أن رجلا من أهل البيوتات كانت له ابنة يأخذها تابع ، فعالجوه فلم ينفع فيه العلاج ، قال : فمضوا إلى شقران ، فسألوه الدعاء فقال لهم : « يقرأ القارئ » . فقرأ القارئ ، ثم دعا شقران ثم قال لهم : « مرُّوا فى عافية » . قال : فلما مضوا بها إلى الدار دخل فيها الجنى ، ثم قال : « أين أهلها ؟ » فاجتمعوا إليه فقالوا له : « أتريد قتلها ؟ » فقال لهم : « لا ، إنما أردت [أن] أخبركم بعجب : [فقد] نادى مناد من الهواء : « قد دعا عليك شقران ابن علىّ ، اخرج وإلا أحرقت بالنار ! » وأنا خارج ، لا تروننى بعدها أبدا » .

وعن خادم شقران قال : صاح بى شقران فقال : « إنى أجنَبت ، فارفعنى أغتسل » . فغلب علىّ النوم ، فلحظ السماء وقال : « اللهم إنى قد عجزت عن أداء فرضى ، وانقطع رجائى من غيرك ، فاعطف على أسرى وقلة حيلتى » . فقمت لوقوع المـاء فى المرحاض ، والسراج متقد (١) وهو قائم على رجليه بعد أن كان لا يقدر على القيام ، فعجبت من ذلك ، فقال لى : « سألتك بالله لا تذكر هذا لأحد مادمت حياً » . وفى رواية : إنه احتلم ، فسألنى ماء فقلت له : « ليس عندنا ماء » . وكان ذلك فى الليل ، وأراد التطهر للصلاة ، وكانت ليلة باردة ، قال : فرأيته حرك شفتيه ثم قال لى : « امض إلى القلة » ، فسرت إليها وأنا أسمعه يقول : « اللهم يا رب اجعلها سخنة » فأتيت القلة فإذا بها مملوءة بماء سخن ، فأعلمته فقال لى : « احملنى إلى مغتسل » . قال : فقمت به ، وكانت ليلة مظلمة ، فقال لى : « يا فضل ، لوكان معنا مصـباح لكان أمكن لى فى طهورى » . قال (ص ٧٠) : فخرجت كف من الحائط وفيها مصباح يضئ ، فأقسم علىّ ألا أخبر عنه حسب ما تقدم .

---

(١) فى الأصل : نفد ، وقد أصلحتها هكذا ليستقيم السياق .

١٢٠ – ومنهم أبو سليمان الجبال .

كان رجلا فاضلا متعبداً . ذكر أحمد بن يزيد صاحب سحنون أنه رأى أبا سليمان المتعبد واجتمع به ، قال : فرأيت رجلا فى عينيه رطوبة من كثرة البكاء . وقبره « بالأجيفر » . وأخبر رجل يسكن بالقرب من منزله يقال له عيسى بن القطان من أهل القيروان ، [وهو] رجل صالح ، أن أبا سليمان هذا اشتهت امرأته لحماً ، فما شعروا إلا بطائر عظيم هجم عليهم فى البيت [١] . وأخبر صديقاً له قال : « قال لى أبو سليمان : أعلمك شيئاً اكتمه عنى : إنى خرجت من البيت وليس فى البيت شئ ، وأخذت المزود وجزت بأصحاب نشر الخشب ، فملأته ومضيت به إلى البيت فأعطيته لهم ، ولم أدخل الدار حتى صليت العتمة ، فدخلت الدار ، فأتونى بقُـرَص فقلت : « من أين لكم هذا ؟ » فقالوا : « من الدقيق الذى جئتنا به » ، فرفعت يدى بالدعاء وحمدت الله عز وجل على ذلك » . [وهذا] مثل ما جرى لأبى مسلم الخولانى ، رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

١٢١ – ومنهم أبو يزيد عبد الملك بن أبى كريمة الأنصارى، مولى لهم [٢] .

قال أبو العرب : كان ثقة ، وكان يقال إنه مستجاب . سمع من مالك والثورى وغيرهم . وسمع منه خلق من الناس ، وله مناقب جليلة [٣] . وكان سحنون يقول : « كان بتونس علىّ بن زياد وابن أشرس وعبد الملك بن أبى كريمة . ولم يكن ابن أبى كريمة فى ناحيتهما ، وإنما كان رجلا صالحاً ورعاً صاحب أحاديث » .

---

(١) يبدو أن الناسخ أسقط بقية الخبر . وسياق الأصل هنا مضطرب .

(٢) قال أبو العرب : وهو مولى لاسماعيل بن عبيد تاجر الله ، مولى له من أسفل (ص ٢٤٧) .

(٣) ذكر أبو العرب شيئا أوفى عن هذه الناحية ، قال : (قال ابن تميم ، وقد روى عن عبد الملك بن أبى كريمة من أهل المشرق أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح . كذلك حدثنى سعيد بن اسحاق عن أبى الطاهر عنه . وروى عنه من أهل المغرب سحنون وعون وداود بن يحيى وشجرة وغيرهم . قال : وله كتاب فى الزهد فيه رجال ما ينبغى أن يكون سمع منهم مثل موسى بن عبيدة الربذى ويزيد بن أبى حبيب ، ومحمد بن زيد وغيرهم . قال : ويقال ان كتاب الزهد انما هو كله عن ميسرة بن عبد ربه عنهم . قال : ويقال انه سمع من سفيان الثورى) – الطبقات ، ص ٢٤٨ .

قال غيره : وكان يقوم الليل كله ، فإذا كان السحر نادى بصوت له محزون : « إليك قطع العابدون دجى الليل بتبكير الدلج ، يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك . فبك إلهى لا بغيرك أسألك أن ترفعنى إليك درجةَ المقربين ، وتجعلنى فى زمرة السابقين » ، فلا يزال كذلك حتى ينادَى بالفجر .

وذُكر[1] عنه ، رحمه الله تعالى ، أنه كان يأتى وادى « بَجَرْدة » فإن لم ير أحداً مشى بالبغلة على غير المجاز فى ماء غريق ، وإن رأى الناس خاض بها الماء وأخذ على المجاز . حدث عيسى بن مسكين قال : خرج عبد الملك بن أبى كريمة يوماً وهو يُحمل فى محفة وقد كَبُر وخرف ، فمر على مجلسه الذى كان يجلس فيه مع أصحابه للعلم فأنشأ يقول :

لقد ذهب الكماة وأسلمونى | كفى حزناً لفرقتى الكماة
هم كانوا الثقاة لكل أمر | وهم زين المجالس فى الحياة
تولوا للقبور وخلفونى | فواحزناً على فقد الحماة

وروى عنه أنه قال : « قال بعض السلف : منهومان لا يشبعان : منهوم فى العلم ، ومنهوم فى المال . فالمنهوم فى العلم يزداد خشية للرحمن ، والمنهوم فى المال يزداد فى الطغيان » . وروى أبو خارجة فى سماعه من ابن أبى كريمة أنه قال : « من آثر الدينار والدرهم على أخيه المسلم ، إذا اضطر إليه ، لم يدخل حظيرة الفردوس » . وحدث أبو زكريا يحيى بن عون ، قال : سمعت يحيى ابن سليمان المغربى يقول : « قلت لابن أبى كريمة : ما لى لا أراك تخرج إلى المسجد تصلى الجماعة وقد عرفتَ فضلها ؟ » فقال : « رأيت قلوباً لاهية ، ومجالس ساهية ، وألسنة لاغية ، فخفت عليهم الداهية ، فانصرفت عنهم فى عافية »[2] .

(١) ذكر أبو العرب سند هذا الخبر ، وهو : « قال : وحدثنى عبد الرحمن ابن يوسف قال : حدثنى عمك سليمان بن تميم قال : حدثنا مشائخنا بهمرسة أن ابن أبى كريمة كان يأتى ... » ـ « الطبقات » ص ٢٤٨ .

(٢) مادة الدباغ هنا غير وافية .

١٢٢ – ومنهم **أبو خالد عبد الخالق المتعبد يعرف بالقتان** (١) .

قال أبو العرب : كان من طبقة المجتهدين فى العبادة ، وكان من أصحاب البهلول ، وكان راغباً فى الآخرة ، كثير الخوف ، دائم الحزن ، كثير المعروف ، قليل الهيبة للملوك . روى عنــه واصل بن عمرو المتعبد وحسون بن هلال صاحب سحنون . ذكر سعيد بن العسال ، قال : سألنى سهل بن يونس بمصر عن عبد الخالق فقلت له : « قطعه الخوف من العمل » . فقــال : « ما يضره ذلك . لو كان عبد الخالق فى بنى إسرائيــل لصوروه فى الكنائس » . وذكر حمدون المعروف بالخرنق ، (٢) قال : كنت مع عبد الخالق ذات يوم نحو « باب سلم » إذ أبصر جماعة من الناس قد اجتمعوا فسألنى عن شأنهم ، فقلت : « قعدوا لِخَـيْل تستبق » ، فقال لى : « محضر صالح ، بلغنى أن الملائكة تشهده » ، ثم توجه وتوجهت معه إلى تلك الجماعة ، فجلسنا حتّى أقبلت الخيل وقد تقدمها فارسان وأحدهما تقدم صاحبه . فلم يزل الذى كان صاحبه [متأخراً] يحث [فرسه] حتّى صار بين يدى صاحبه [وسـبقه] ، فأخذ صاحبه قصبات السبق . (٣) فجعل عبــد الخالق يتخلل الناس حتّى انتهى إلى الفرس السابق فجعل يقبل جحفلتـه (٤) ويقول : « بارك الله [فيك] ، صبرت فظفرت » ، ثم انجدل مغشياً عليه . فاجتمع الناس عليه فلطفت بهم حتّى أزلتهم عنه ، وحملته على دابة حتّى انتهيت به إلى موضعه ،

---

(١) فى الأصل : القتاب ، والتصحيح من المعالم ج ٢ ص ١٧ .

(٢) فى الأصل من غير نقط . وهذه الصورة عن أبى العرب ـ « الطبقات » ص ٦٤ .

(٣) عبارة الأصل هنا ركيكة ، وقد أسقط منها الناسخ كثيرا ، فاكملتها على هــذا النحو . وقد أورد أبو الغرب الحكاية على نحــو أوضح وأكثر ايجازا ، قال : « ... قال : فسبق واحد من الخيل ، وأخذ صاحبه قصبة السبق ، قال : فجعل عبد الخالق ... الخ » ـ « الطبقات » ص ٦٦ ـ ٦٧

(٤) جاء فى « لسان العرب » ج ١٣ ص ١٠٨ : وجحافل الخيل أفواهها وجحفلة الدابة ماتتناول به العلف ، وقيل : الجحفلة من الخيل والحمر والبغال وذوات الحافر بمنزلة الشفة من الانسان والمشفر للبعير ، واستعاره بعضهم لذوات الخف ..

فأقام كم شاء الله مغشياً عليه ، ثم أفاق . فذكرت له ما نابه ،(١) فقال لى : « لما رأيتُ الفرس الذى كان خلف صار أمام الذى كان أمامه ، وأخذ فارسه السبق ذكرت تقدمَ أقوام وأنَّ مَن خلفهم قد يصير هو المتقدم ويصيرون خلفه » .

قال أبو جعفر بن بطونة : سمعت أبي يقول : حضرت جنازة فى باب تونس وحضرها عبد الخالق المتعبد ، فذكر من حضر (٢) الآخرة وأهوالها . قال : فصاح عبد الخالق ثم ولى نحو الفحص هارباً على وجهه (٣) ، فمضينا فى أثره فأصبناه جاثياً على ركبتيه خاراً على وجهه ، فحملناه على دابة ، ثم أقمنا بعد ذلك أياماً نعوده حتى مات ، رحمة الله عليه ، سنة عشر ومائتين » .

وذكر سليمان بن سالم ، قال : حدثنى زرجونة فى جنازة يحيى بن زكريا ابن الحكم ، قال : خرجت ليلة أريد الأذان فى المسجد — يريد أذان [المغرب] — فإذا عبد الخالق مقبل فقلت له : « تفطر عندى ! » فقال لى : « أويسرك ذلك يا أبا عبد الله ؟ » فقلت له : « نعم » فقال لى : « نفعل ذلك » . قلت : « [لا ضرورة للذهاب إلى] (٤) المسجد حتى نصلى وندخل البيت » فقال : « لا تمكن ذلك ، لأنى خرجت من بيتى ومن نيتى أن أصلى فى الجامع ، [فدعنى] أصلى وأنصرف إليك » . قال أبو (ص ٧١) زرجونة : فدخلت على [أم] عيالى ، فأخبرتها بذلك ، وأمرتها أن تهيئ المائدة إلى أن يجىء ، ثم أذنت وصليت المغرب ، وقعدت أنتظره حتى أقبل ، فقمت ودخلت معه ، وكانت المرأة سوت البيت وبخرته وأوقدت المصباح وأغلقت الباب ، فلما جئنا ندخل دفعتُ الباب وأبو خالد خلفى ، فلما ضربت إليه رائحة البخور وقف . فأقبل شبه المتنهد حتى خلت أن نفسه تتقطع ، وأنا أقول له : « ادخل يا أبا خالد » وهو فيما هو فيه من كربه ، فقمت فأخذت بضبعه وأدخلته ، وهو يقول : « يا أبا عبد الله !

---

(١) « الطبقات » (ص ٦٧) : ناله .

(٢) فى « المعالم » (ج ٢ ص ١٨) : فذكر بعض الحاضرين الآخرة وأهوالها ...

(٣) فى الأصل : بوجهه ، والتصحيح من « المعالم » ج ٢ ص ١٨ .

(٤) بياض فى الأصل ، وقد أضفت هذه العبارة ليتصل السياق .

يا أبا عبد الله ! يا أبا عبد الله ! » - كالمستغيث - « إليّ ! » ثم بقى مطروحاً على الوسادة ، وجئت بالمائدة بجهلى وهو يستغيث : « إليّ ! » ، فلما رأيته لا يمد يده إلى المائدة [ ] ،[1] ثم قام فبادر إلى الباب فخرج . فلما كان بعد أيام لقيت ابنه ، فقلت : « يا ابن أخى ، كيف أبوك ؟ » فقال لى : « يا أبا عبد الله ، بات الليل كله يصيح ويبكى ، ما تركنا نرقد من بكائه وصياحه » .

[قال] ابن الحداد : حدثنى بعض من لقيت ممن أثق به من جيران عبد الخالق ، عن رجل من أصحابه يقال له حمدون الحرنق ، قال : أقبل إليّ عبد الخالق يوماً على بغل ، وعليه قفتان من قفاف البقل ومعه لحم بقرى ولحم غنمى من كل صنف رطل [أو قال : فيهما جميعاً رطل][2] ومعه خبز نقى فقال : « يا حمدون ، إن امرأة حمدون مريضة » - يعنى زوجته - « فسر معى حتى تنال منه »[3] . وكان سكناه فى ذلك الوقت « بالقرن » ، فقلت له : « لم أُعلِم أهلى » ، فلم يزل بى حتى أجبته وتوجهت معه إلى « القرن » . قال : « فدفع ذلك الخبز واللحم إلى أهله ودخلت معه إلى المسجد ، فبصر برجل من أهل البادية عليه أثر البؤس ومعه أطفال وهو يقضم الشعير كما تقضم الدواب ، فذهب عبد الخالق إلى زوجته فجعل يقول لها : « يا أم حمدون ، يضعف الله أجرك غداً ! » وقد كانت عالجت ذلك الطعام ، فأقبل به بأسره إلى ذلك الشيخ البدوى وقال له : « شأنك ! » ثم نهض فأتى بقرص من شعير ولبن فقال لى : « كل أنت هذا يا أبا حمدون » .

وكان بجواره جار له دميم المنظر وكانت له جارية حسناء ، وكان يصيبها ، فشكت إليه أن ابنا لعبد الخالق كان يتعرضها . وكانت صلاته مع عبد الخالق فى المسجد ، فلما صلى عبد الخالق العشاء الآخرة انصرف يريد داره فصحبه الرجل وجعل يقول له : « يا أبا خالد ، أنت ترى منظرى وعندى جارية أصيبها ، وقد شكت إليّ ابنك ، وأنا أخاف أن تجىء بولد فيخبث عليه قلبى » .

---

(١) بياض بالاصل .

(٢) أورد « أبو العرب » هذه الحكاية بنصها وسندها ، فرأيت أن أكمل منه نص المالكى هنا . انظر « الطبقات » ، ص ٦٤ - ٦٥ .

(٣) فى الطبقات : فسر معى حتى تنال معنا من هذا .

فجعل عبد الخالق يقول : « لا تتكلم بهذا الكلام ، فإن عليك فيه دركاً [١] ، ولا يسمع هذا الكلام منك أحد » . ثم دخل عبد الخالق إلى داره وانصرف الرجل عنه . فلما صلى الرجل الصبح فى جماعة التمس عبد الخالق ، فلم يجده ، فتوجه إلى داره ، فإذا أبواب الدار مفتحة وليس فى الدار أحد . فسأل عنه فقالوا : تحوّل البارحة بعياله إلى الفندق [إذ] لم يمكنه أن يكترى داراً بالليل [٢] .

وحدث الثقة أن إبراهيم بن الأغلب أرسل إلى عبد الخالق فجاءه ، وكان عبد الخالق رجلا طويلا آدم [٣] غليظاً كثير الشعر يلبس عمامة كأنها شُقّة ، فقال له الأمير : « بلغنى أنك من العرب وأن لك عيالا ، فخذ هذه المائة دينار » ، فقال له [عبد الخالق] : « أنا عنها غنى » فقال إبراهيم : « زيدوه مائة أخرى » فقال له عبد الخالق : « لو كان لى حاجة إلى ذلك لكان فى المائة كفاية » . فلم يزل يقول : « زيدوه » وعبد الخالق يكلمه بالكلام الأول حتى بلغ معه خمسمائة دينار ، فقال له إبراهيم بن الأغلب : « أفسدكم البربرى [٤] — يعنى البهلول — والله لو أدركتُه لجعلته يرقص خلفى » . قال عبد الخالق : « فأحسست شعرى قد خرج من عمامتى . ثم أقبلتُ عليه فقلت له : والله لو أدركتَه ، لكنتَ أهون عليه من هذا الطين الذى يعجن بين يديك ، [٥] ثم انصرفت » .

---

(١) فى الطبقات ، (ص ٦٥) : فان عليك فيه شيئا .

(٢) اضفت كلمة « اذ » ليستقيم السياق . ونص العبارة عند أبى العرب أوفى ، وهو : .. فقيل له : « تحول البارحة بعياله وبولده وبجميع من فى داره الى الفندق الذى عند الجامع » ، فقال لى أبو عثمان : كأنه — والله أعلم — لم يمكنه فى تلك الليلة أن يكترى دارا ، لأن الناس قد صاروا الى فرشهم ، فانتقل الى الفندق ، حتى تهيأ له كراء مسكن ، وبين الموضعين بعد .

(٣) جاء فى « لسان العرب » (ج ١٤ ص ٢٧٦) : والأدمة هى السمرة والآدم من الناس الأسمر .

(٤) فى الأصل التبريزى ، والتصحيح من « الطبقات » ، ص ٦٦ .

(٥) جاء فى الطبقات (ص ٦٦) بعد ذلك مباشرة : وكان بين يدى ابراهيم طين يعجن لرمة .

قال عبد الله : ورأيت له هذه الموعظة [1] كتب بها إلى أخ من إخوانه فاستحسنتها وهي :

« أما بعــد ، فإني أوصيك ونفسي بتقوى الله عز وجل وذكر الموت ، فإنه لم ينج من نجا من الأولين والآخرين إلا بالتقوى [2] ، فأعدها جُنة لك في الدنيا والآخرة ، وآثرها على هواك ، ولا تقصر في شيء منها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم . أســأل الله يا أخي أن يجعلنا وإياك من المتقين الصــادقين الذين لايلتمسون إلا رضاه وثوابه ؛ وطوبى للصادقين في هذا الزمان ، ما أعظم ثوابهم وأشــد حالهم وأطول غمهم ! لمـا يعلمون ويرون من أنفسهم خلاف الحق وما تدعوهم إليه أنفسهم من حب الدنيا وحب رضى الناس عنهم . فهم ماضون أنفسهم على ذلك يريدون أن يخلصوا أعمالهم ولا يريدون رضى أحد من الناس . فمن هنالك حزن القوم واغتموا وهانت عليهم الدنيا وطلبوا الإخلاص رجاء أن يخلصوا من أهوال يوم القيــامة ومن غم الموت وهوله ، فشغلهم ذلك عن الدنيا وكسر قلوبهم ، فأنفسهم منه في عناء ، والناس في راحة . أسأل الله العظيم أن يجعل راحتنا بعد الموت ، وأن يمن علينا وعليك يا أخي بتوبة نصوح قبل الموت . يا أخي ، أقصر نفسك عن شهواتها ولا تمكنها من هواها فترديك ، فإنها لا تشبع ولا تقنع ولا ترضى منك إلا بهلاكك إن أطعتها . ولتعلم يا أخي أن الفقر مع الدين خير من الغنى مع الفجور ، وارض من الدنيا باليسير ، فإن القليل منها يجزى ، ولا تشتغل بحبها ولا بطلبها عن الآخرة التي لاغنى لك عنها ولابد لك منها . واعلم أنه ليس أحد [ينظر لك إلا] أن تنظر أنت لنفسك ، فاعمل لهـا قبل أن يحال بينك وبين العمل ؛ واغتنم بقية عمرك وصحة بدنك واتعب نفسك في الدنيا تجد ذلك [وأنت] أحو[ج ما ت]كون إليه حين يندم طالب الدنيا الذي يستعر[ض لها و] لم يدرك منها إلا ما قسم له ، وضيع آخرته حتى قدم ولم يقدم لنفسه شيئا ، فلا دنيا بقيت [ولا آخرة] حصلت . أسأل الله (ص٧٢) تعالى أن ينفعنا وإياك يا أخي بما علمنا .

---

(١) ورد ازاء هذا السطر بهامش الأصل كلمة : موعظة .

(٢) ورد ازاء هذا السطر بهامش الأصل هذه العبارة : ومن هنا زيادة في بعض النسخ .

يا أخى ، عليك بتلاوة القرآن والصلاة من الليل ولو ركعتين ، فإن فى ذلك ثواباً عظيما . وإياك وكثرة الأكل فإن ذلك يقسى القلب ويعميه عن الآخرة ويستخرج من اللسان داء [1] ليس له به حاجة من الكلام ، فاحفظ لسانك وأكثر التفكر واذكر الموت ولا تنسه ، وانظر من تخالط ومن تصاحب ، فإن صحبة الناس وخلطتهم اليوم هلاك ، ولا تكثر من الأصحاب والمعارف إلا من ترجو نفعهم لآخرتك ، وما أقلهم فى هذا الزمان . ولا تستوحش إلا لمن ترجوه أن يكون عوناً على دينك . واحذر الناس واعلم أن من صحبهم اليوم يورث الغفلة فى الفهم والقسوة فى القلب ، فخالفهم واحذر [على] دينك ، وأدّ ما وجب عليك من الحق ، وانصحهم ولا تداهن أحداً من الناس ، ولا ترض لهم [2] إلا بما ترضى به لنفسك ولا تستحى أن تأمر أحداً بالحق وإن غضب ، فإن ذلك لا يضرك وهو لك لازم . ولا تخالط من الناس إلا من تريد أن تحمل مؤنته ، وخالط من يتحمل مؤنتك وهو أهون عليك وأعون لك على دينك يا أخى . واعلم أن الله تبارك وتعالى كريم ، إذا علم من العبد الصادق الصدق وهو يريد رضاه وفقه وأعانه وذلل له الناس وجعلهم يخضعون له ويقبلون منه ويتقونه ، وإذا لم يكن كذلك هان عليهم ولم يقبلوا منه . فتمسك بطاعة الله تعالى ، وإياك أن تتهاون بشىء من المعاصى فتهون على الله عز وجل بعد الذى رزقك من المعرفة ، وبعد الذى صنع بك ، فاشكر الله تعالى يزدك ، وتضرع إليه يرحمك . وليعلم منك أن أكبر همك فى ليلك ونهارك رضاه ، وأنك إنما تريد البقاء فى الدنيا لترضيه ، واجتنب جميع ما يكره تدخل فى ولاية الله عز وجل ، إن شاء الله تعالى ، وتهن عليك الدنيا وأهلها ، وارض بقضاء الله تعالى فى جميع أمورك ، ولا تتهمه فإنه أنظر منك لنفسك فيما أحببت أو كرهت ، فسلم لقضائه وارض به . ولا تحمل على نفسك شدة المؤونة فى الدنيا فتهلك . أسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياك من المتحابين فيه الصادقين المتناصحين ، وأن يغفر لنا ولك كل ما أردنا به غيره ، وأن يحولنا وإياك إلى ما يحب ويرضى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . وصلى الله على سيدنا محمد » .

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعل صحتها : ما .

(٢) فى الأصل : له .

١٢٣ – ومنهم **حفص بن عمر الجزري**، رضى الله تعالى عنه .

كان رجلا صالحاً فاضلا زاهداً ورعاً . ظهرت له إجابات وكرامات ، فمن ذلك أنه كان عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب من أجمل الناس ، وكان قد جعل على كل زوج تحرث ثمانية دنانير ، فضاق الأمر بالناس، فقدم « حفص » مع رجال صالحين من أهل « الجزيرة » فدخلوا على أبى العباس ، فقال له حفص : « أيها الأمير ، اتق الله الذى إليه مصيرك ، وارحم شبابك هذا، واحذر على وجهك الجميل النـار ، وخفف عن النـاس وأسقط عنهم ما وضعت على الأزواج من هذه الدنانير » . فقال له : « لست أفعل ، ولا أحطهم شيئاً »، فخرجوا من عنده يريدون القيروان . فقـال لهم حفص : « تصلون ركعتين تخلص فيهما الدعاء ، وتضرع إلى الله تعـالى لعله يكفيناه ، فإنا قد يئسـنا من المخلوقين، فنرجع إلى الخالق عز وجل ، فتوضأوا للصلاة وصلوا ركعتين » . ففعلوا ، ثم قال حفص : « اللهم إن هذا الرجل الذى فضلته على عبادك فى هذه الدنيا ومكنته فى بلادك قد ظلمنا وحمل علينا ما لا نقوى ولا نطيق دفعه ولا نستطيع منعه فاكفناه ، واحكم بيننا وبينه وأنت خير الحاكمين » . فما لبث أبو العباس إلا خمسة أيام ، ثم خرجت له قرحة عظيمة تحت أذنه مات منها اليوم الخامس ، فقتلته فى اليوم العاشر (١) من دعائهم .

١٢٤ – ومنهم **ابو عثمان الجزرى** ، رضى الله تعالى عنه .

كان من أولياء الله تعالى المنقطعين إليه المتبتلين فى العبادة . حدث بشر (٢) ابن عمروس المنستيرى المتعبد، قال : صلينا العيد فى المنستير ، فخرجت إلى الشـعرا أدورها ، فإذا أنا بأبى عثمان الجزرى وصاحب له قعود خلف شرف ، فما شعرا بى حتى وقفت عليهما . فأما صاحب أبى عثمان ففر منى فدخل الشعرا ، فلم أدر من هو ، فقلت : « يا أبا عثمان ، السلام عليك » . فرد علىّ السلام ثم قلت له :

---

(١) فى الأصل : السابع .

(٢) فى الأصل « بشير » ، والأسم كله من غير نقط . وقد ذكره ابو العرب فى (الطبقات ، ص ٧١) باسم بشر المنستيرى . فصححته بناء على روايته .

« اليوم يوم عيد ، فأطعمنى مما معك » . قال : فقال لى : « اقعد » . فأخرجَ كسرة يابسة من مخلاة كانت معه ، فقلت له : « يا أبا عثمان ، قد تعلم ما جاء فيمن أدخل على أخيه المؤمن السرور ، فسُرّنى ! » فقال : « بماذا ؟ » قلت : « تمضى معى إلى البيت » . فأنسنى وأجابنى إلى ذلك ، فقلت له : « وصاحبك؟ » فقال : « ليس تقدر عليه ولا تراه ، ولكنى أنا أمضى معك » . قال : فمضى معى حتى دخلنا « قصر المنستير » وصعد معى إلى بيتى ، فلما دخل البيت علق مخلاته . قال بشر[1] : فخرجت إلى بَرًّا وتركته فى البيت ، واشتريت ربع خروف وأتيت به ، فلما نظر إلىّ قام فأخذ مخلاته [ومضى] إلى المسجد ، فأقرن قدميه ، فما زال كذلك حتى صلينا الظهر ، ثم أقرن قدميه حتى صلى العصر ثم جلس فجلست إليه وقلت له : « يا أبا عثمان ، لو قمت إلى البيت؟ » فقال : « يا أخى ، ما أقبح التكـ[ـلف] ! ما أبرح من مكانى ! » . فلما أمسى وصلينا المغرب أقرن قدميه وصلى إلى العتمة ، فلما صلى العتمة أقرن قدميه فصلى إلى الصبح ، فلما صلينا الصبح خرجت إلى البيت . ثم جئت لأطلبه فى مكانه فإذا به قد خرج ؛ فخرجت إلى باب القصر أنظر أى وجه أخذ ، فلم أعرف أين أخذ .

١٢٥ — ومنهم **اسماعيل رباح الجزرى** ، رضى الله تعالى عنه .

قال أبو العرب : كان إسماعيل من المخبتين مستجاب الدعوة ، ما علمت أنه (ص٧٣) روى عنه علم غير عبادته ومناقبه . وقال غيره : كان معظماً لأمر الله عز وجل ، لا يكاد يرى منكراً إلا غيره ، ولا يهاب فى ذلك أحداً من الناس ، كثير المعروف .

وسمع من يحيى بن المسلم ، ولم أجد له حديثاً يتصل بى عنه . وكان أصله من الجزيرة[2] ، ثم سكن القيروان ، وتوفى سنة اثنتى عشرة ومائتين غريقاً فى البحر بعد رجوعه من الحج ؛ وذلك أنه ركب فى البحر ، فتحرك عليهم الهواء ، فقالوا له : « يا أبا عبد الله ، ادع لنا » فقال : « قد قضيتم حجكم فما الذى تريدون ؟ » ثم أخذ مصحفه فجعله فى عنقه ، ثم غطى رأسه بكسائه ، ثم غرقت بهم المركب ؛ ذكر ذلك أبو العرب عن سليمان بن سالم .

---

(١) فى الأصل « بشير » أيضا .

(٢) المقصود جزيرة شريك .

ذكر فضله ومناقبه وما خصه الله عز وجل به : ذكر عثمان بن سعيد الحداد، قال: حدثني من أثق به قال: كان إسماعيل في صغره يحضر المكتب، فإذا حفظ ما في لوحه غسل ما فيه من القرآن في إناء وشربه، فهذا كان دأبه حتى ختم. وذكر أنه دخل على قوم جلوس في بيت وكل واحد منهم جالس على وطاء متكئاً، فنظر في جانب البيت فإذا بمصحف موضوع في الركن، فأخذ المصحف فضمه إلى صدره، ثم قال لهم: «قوموا كلكم!» فقاموا، فأخذ ذلك الوطاء فكدسه في وسط البيت شيئاً على شيء حتى صار مرتفعاً، ثم أخذ ذلك المصحف فوضعه فوقه، ثم قال لهم: «اقعدوا الساعة. فهكذا ينبغي للمصحف أن يكون عالياً لا يُعلى»، وهذا من تعظيمه وتشريفه لكتاب الله عز وجل، ولذلك عظمه الله تعالى وشرف قدره.

ويروى عنه أنه مر يوماً على دار أبي محرز القاضي، فإذا على القناة التي تجرى بين يدي داره قرطاس فيه اسم من أسماء الله تعالى فوق القناة لم يغرق فيها، فخاف إسماعيل إن حاول إخراجه بقصبة أن يغرق في القناة فيتلطخ بالنجاسة، فألقى كساءه [على الطريق] (١) ونزل إلى القناة، [وليس عليه إلا مئزره] (١) فساخ فيها إلى الورك، وأخذ القرطاس بيده وجعل يتخلل في القناة يلتمس موضعاً يسهل عليه منه الخروج، فلم يزل كذلك حتى أمكنه الخروج فخرج، وقد اجتمع الرجال والنساء والصبيان ينظرون إليه، ثم أخذ كساءه بيده [وقد اسود بذلك القذر مئزره وجسده] (٢) ثم تمادى إلى باب أبي الربيع (٣) [والناس حواليه ينظرون إليه] (٤) حتى انتهى إلى «وادي العطارين» (٥) فغسل مئزره وجسده ثم انصرف.

---

(١) التكملة من أبي العرب، ص ٧٠.

(٢) التكملة من أبي العرب، ص ٧٠.

(٣) عند أبي العرب: باب ابن الربيع، ص ٧٠.

(٤) التكملة من أبي العرب، ص ٧٠.

(٥) في طبقات أبي العرب (ص ٧٠): وادي القنطرة.

وذكر عن فضل بن أبي القنبر[١] ، وكان والياً على « الجزيرة » ، قال : « قدمت بزواملي[٢] وأعواني ، فنزلنا ببعض حصون « الجزيرة » التي على ساحل البحر ، فأدخلوا ثقلي في مسجد من مساجد الحصون ، وأدخلوا الحصن كلاباً وطيوراً كانت معهم » . قال الفضل : « فلما دخلت رآني إسماعيل بن رباح ، فأتاني فقال : « ما هذا الذي أحدثت ؟ أما ترى ما فعل أعوانك في بيت من بيوت الله عز وجل ؟ » فصحت عليهم ، وأخرجتهم بالزجر » . قال : « فنظر إليَّ إسماعيل وقال : حقن الله دمك ! » قال : فشهد فضل معارك كثيرة فكان يقول لهم : « والله لو حملوني على الأسنة ما أهريقت مني محجمة دم ، لأن دعوة الرجل الصالح بردت على قلبي » . فمات فضل سوياً على فراشه لم يجرح جرحاً حتى مات .

وعن ابن الحداد عن أبيه ، قال : حدثني محمد بن عبد الله ، قال : كنت أخيط ، وأنا غلام حدث السن ، مع شبان عند معلمنا في المسجد المعروف اليوم « بمسجد ابن أبي نصر » إذ أقبل ابن أبي رباح الجزري فقال لمعلمنا : « يا شيخ ، بكم اكتريت هذا الحانوت ؟ » فقال له معلمنا : « ليس هذا بحانوت ، وإنما هو مسجد » فقال له إسماعيل : « إن المساجد لم تبن للصناع ، إنما بنيت للصلاة والذكر وتلاوة القرآن » . أو كما قال رحمه الله تعالى ، فكره معلمنا ذلك[٣] ، ثم أقبل علينا فقال : « يا شباب ، اقبلوا مني أنتم إذ لم يقبل مني معلمكم أن لا تخيطوا في المسجد » . ثم ولى عنا ، فكان يتردد إلينا كالغريم يسألنا في أن ننتقل عن المسجد ، ولا نخيط فيه . قال : فما زال بنا حتى تركنا الخياطة فيه .

---

(١) في الأصل من غير نقط ، وهذه الصورة عن أبي العرب . وقد ذكر هذه الحكاية رواية عن أبيه أحمد بن تميم (ص ٧٠) .

(٢) الزاملة بعير يستظهر به الرجل يحمل عليه متاعه وطعامه . قال ابن بري : وهجا مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة قوما من رواة الشعر فقال :

زوامل للأشعار لا علم عندهم ... بجيِّدها الا كعلم الأباعر

لعمرك ما يدري البعير اذا غدا ... بأوساقه أو راحما في الغرائر

(لسان العرب . جـ ١٣ ، ص ٢٣٠) .

(٣) في الأصل : « فتكره ذلك » وعند أبي العرب « فنبره معلمنا ذلك » والعبارتان غير مستقيمتين ، وقد قومتها على هذا النحو .

وحدث أبو سليمان بن ربيعة الجزرى ، قال : كنا فى « الجزيرة » على طعام إذ دخل علينا يهودى فدعوناه ، فجلس يأكل معنا ، إلى أن أقبل إسماعيل ابن رباح ، فرفعنا اليهودى فى غرفة ، فلما دخل إسماعيل دعوناه إلى طعامنا ، فمد يده ليأكل ، ثم قبضها وقال : « طعامكم نجس ، أو أكل منه نجس » فقلنا له : دعونا يهودياً طوافاً فأكل معنا ، فقال : « أما تستحيون من الله تعالى ؟ تأكلون مع من كفر بالله ! » فنزل اليهودى من الغرفة وهو يرعد .

ويروى عنه أنه أراد أن يشترى دابة من القيروان ، فقيل له : « إنهم يأخذون ربع درهم على الباب » ، فرجع فقال : « والله لا أشترى من ها هنا ، وليس بى ما ذكرتم ولكن يقال فلان أعطى حق الباب فيرون أنه حلال » . واشترى من القيروان حماراً فوجده ربوضاً ، ووجد فيه عيوباً كثيرة ، وقالوا له : « هذا حمارك كثير العيوب ، فرده على النخاسين » فقال : « لا أفعل ، فإنى استخرت الله تعالى فلست أرده » . وحدث محمد بن عبد الله — شيخ كان من المخبتين مخمول الذكر وكان من المحزونين — قال : بينما إسماعيل بن رباح فى سفر إذ وافى رجلا من أهل الساحل ومعه أهله وولده وهم بحال رثة ، فرفع رأسه إليهم [كالناظر] (١) إلى فرصة ثم سار (٢) إلى الساحلى فقال له : « يا ساحلى ، كم تزيدنى على كسائك [هذا] وأعطيك كسائى [هذا] ؟ » . وكان كساء الساحلى خلقاً وكساء إسماعيل جديداً ، فقال له : « ما عندى ما أزيدك ، ما عندى إلا ثلاثة دراهم » . فبادر إسماعيل فألقى كساءه ، وبادر الساحلى فألقى كساءه إلى إسماعيل وأعطاه الدراهم الثلاثة ، واشتمل إسماعيل بذلك الكساء الخلق ثم انطلق ، فاشترى بدرهم من تلك الدراهم شعيراً وبدرهم زيتاً وبدرهم [تيناً] (٣) ثم عمل من ذلك بسيسة ، وجعلها فى جفنة ، ثم وضعها على رأسه ، ثم أقبل بها [إلى] الساحلى ثم قال : « تقدم أنت وأهلك وأطفالك فكلوا » ،

---

(١) التكملة من أبى العرب .

(٢) فى الأصل « ثم نار » من غير نقط . وفى طبقات أبى العرب : « فثار » (ص ٦٩) وقد جعلتها : « سار » ليستقيم السياق .

(٣) التكملة من أبى العرب ، ص٦٩ .

ودفع جفنة الطعام إليهم فأكلوه . ثم قال : « بقيت لى إليك حاجة : أخبرنى أى موضع تريد ؟ » فقال الساحلى : « بلغنى أن بصطفورة (ص ٧٤) زرعاً (١) فأحببت أن أبلغ إليها فأعيش فيها أنا وأهلى وصبيانى » . فترك إسماعيل الجهة التى كان عليها (٢)، وتوجه مع الساحلى حتى وصل معه إلى المنزل ، فبلغ صاحب المنزل أن إسماعيل بن رباح أتى إلى منزله ، فخرج إليه يسأله : « ما الذى جاء بك ؟ » فقال له : « هذا الساحلى وأهله وولده وديعتى عندك » ثم ولى منصرفاً .

قال سليمان بن سالم فى « مجالسه » : بلغنى أن أهل بيت إسماعيل عاتبوه وقالوا له : « قد عررتنا بهذا المئزر (٣) وبهذا الكساء ، ولكن خذ هذه الخمسة دنانير فاذهب بها إلى القيروان فاكتس بها » . فدخل القيروان فوقف على صراف فقال له : « اعطنى بهذه الدنانير دراهم » — وكانت الدراهم كباراً — فلما صارت الدراهم إليه وقف به سائل وقال : تصدق علىّ ، فأعطاه درهماً . ثم وقف به آخر فأعطاه درهماً ، ففطن به المساكين فتحاشدوا عليه فتصدق ديناراً آخر ثم آخر حتى تصدق بها كلها على المساكين ولم يبق معه إلا نصف دينار ، فمضى وهو يريد أن يخرج إلى الجزيرة فى كسائه ومئزره (٤) فلما كان فى « سوق إيلان » وقف على خباز يبيع الخبز فأعطاه النصف دينار الذى بقى معه وقال له : عد لى به خبزاً فعد له به خبزاً فى كسائه ثم أقبل به إلى المساكين ففرقه عليهم ولم يبق معه شىء ثم خرج فأتى منزله فاجتمع إليه أهل بيته فقالوا له : « وأين ما اكتسيت؟» فقال : « وافقت سوقاً والله ما رأيت خيراً منه » . فقالوا فيما بينهم : « دعوا هذا عنكم فلبس ينفع فيه شىء » .

---

(١) أضاف أبو العرب هنا : « بمنزل فلان » ص ٦٩ .

(٢) عند أبى العرب : « التى كان يمضى اليها » ص ٦٩ — ٧٠ .

(٣) ورد هذا اللفظ فى الأصل هكذا : النار .

(٤) ورد هذا اللفظ فى الأصل هكذا : ونازره .

وحدث داود بن يحيى قال : دخل علىّ إسماعيل بن رباح فقربت إليه كسراً من شعير يابسة وزيتاً مراً ، فلما أكل قال : « هذا طعامك ؟ » قلت : « نعم » فقال : « لو علمت أن هذا طعامك ما كان نزولى إلا عليك ، ولم أكن أنزل على غيرك » . قال : وحدثنى غير داود : كان نزوله على داود الصمادحى ، فيستجيد له الطعام فلا يأكل منه شيئاً ، فيذهب معاوية إلى السؤّال وأهل الطرق فيجمعهم إليه ويقرب الطعام إليهم فإذا رآهم أكلوا أكل معهم .

وحدث أبو سليمان ربيعة الجزرى أن إسماعيل بن رباح خرج يريد « الجزيرة » ومعه قوم ، فعرض لهم الأسد ، فوقف الناس وتقدم إليه إسماعيل وقال له : « إن كنت أمرت فينا بشىء فامض لما أُمرت به ، وإن كنت لم تؤمر فخل عن الطريق » . قالوا : وكذلك جرى لإبراهيم بن أدهم مع الأسد : قال لأصحابه : « قولوا : اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام واكنفنا بركنك الذى لا يرام ؛ اللهم ارحمنا بقدرتك علينا ، لا نهلك وأنت الرجاء » .

وذكر ابن إسماعيل بن رباح [أن إسماعيل] دخل على عبد الله بن إبراهيم أمير إفريقية ، فقال له الأمير : « ما اسمك ؟ » فرد عليه وقال : « وأنت أيضاً ما اسمك ؟ » فقال الأمير : « اسمى عبد الله » . فقال : « وأنا اسمى إسماعيل » فقال له الأمير : « اقرأ علىّ » فقال إسماعيل : « لا سبيل إلى ذلك » ، فقال الأمير : « ولم ؟ » ، قال : « لأنه بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم [قال] : « من قرأ على إمام جائر لُعن بكل حرف عشر لعنات » فقال له الأمير : « أو لا تسألنى شيئاً ؟ » قال : « وما تملك فأسألك ؟ » ثم خرج فقال بعض جلساء الأمير : « لقد انتظرنا أمرك فيه » ، قال : « أوما رأيتم ما كان بينى وبينه ؟ » ، قالوا : « وما كان بينك وبينه ؟ » ، قال : « كان بينى وبينه ثعبان فاغر فاه ، لو أشرت إليه لابتلعنى » .

وحدث السحانى (١) صاحب سحنون قال : صحبت إسماعيل الجزرى من الجزيرة نريد « سوسة » ، ونحن رجالة ، فلما صرنا بين « المدفون » و « هرقلة » غابت لنا الشمس واختلط الظلام ، فمال إسماعيل إلى البحر فتوضأ وصلينا المغرب ،

---

(١) كذا فى الأصل ولم أجد من أصحاب سحنون من نسبته تقرب من هذا الرسم .

ثم قرن كعبيه فصلى ما بين المغرب والعشاء [ثم صلى العشاء] فركع ما شاء الله تعالى، ثم التفت إلىّ فقال: « تشاء أن ترقد ؟ » قلت له: « نعم » فمال إلى ذروة فجمع شيئاً من الرمل فجعله عند رأسه، وكانت ليلة شديدة البرد فالتف فى كسائه، ورقد ورقدت إلى جانبه وألصقت ركبتى إلى ذقنى من البرد، فما مر من الليل شىء حتى عرقت، فمددت يدى فإذا قطيفة علينا ألين من الحرير فتمطيت ففطن بى، فقال: « ما شأنك ؟ » فقلت له: « ألا ترى ما علينا ؟ » فقال لى: « احمد الله، وإن أردت أن ترقد فارقد وإن أردت أن تقوم فقم ». وكان كثيراً ما يقول: « رب سلّم، رب سلم ! » حتى يظن الجاهل أنه يقود جملا فى زلق من كثرة قوله: سلم، سلم.

وذكر أنه كان فى رفقة، فسلبهم السلابة، وكانت له فى حياصته دنانير، فلما عرفت السلابة أن فى المسلوبين إسماعيل بن رباح ردوا على الناس جميع ما سلبوه، وردوا دنانير إسماعيل عليه، فأبى أن يقبلها وقال: « إنها اختلطت مع غيرها »، تورعاً.

ثم خرج فى آخر عمره إلى الحج فذُكر (١) أنه وقف بحلقة [عبد الله] ابن وهب بمصر وعليه تليس، فلم يقبل عليه ولا قرّب [من] مجلسه، فصاح من آخر الحلقة: « من أجل لباسى هذا أقصى وأبعد ؟ » فصاح به ابن وهب: « إلىّ ها هنا ! [إلىّ ها هنا !] » فدنا منه حتى لاصقه بالركبة. وكان ابن وهب لا يعرفه، فلما خلا معه ابن وهب قال له: « لو لبست [وسطاً من الثياب] (٢) كان أحمد لك ! » فقال له إسماعيل: « [من تحمل حملا] (٢) ثقيلا من خشية الله تعالى أوشك أن يفضى به إلى راحة ». فقال له ابن وهب: « صدقت ».

وقال عبد الله: وكان لإسماعيل بن رباح مواعظ حسنة وعظ بها بعض إخوانه من المريدين، [وقد رأيت بعضها] بخط أبى زكريا محمد بن أحمد [ ] (٣)

---

(١) أورد أبو العرب هذا الخبر عن محمد بن حارث عن لقمان بن يوسف ـ الطبقات: ص ٦٧.

(٢) التكملة من الطبقات، ص ٦٧.

(٣) هنا بياض فى الأصل، ويحتمل أن يكون الناسخ قد أسقط جزاء من اسم ابن مهران. وازاء هذا السطر فى الأصل كلمة: موعظة.

ابن مهران ، وأنا أذكر منها ما فيه مقنع إن شاء الله تعالى لمن ألهمه الله رشده :

«كيف تصل يا أخى إلى ثواب الله عز وجل وقد علمتَ (١) غضب الله مراراً كثيرة وقد تعرضت لسخطه ، وقد علمت أنه بسخط على أهل معصيته ولم تعلم أنه رضى وأنت تأوى إلى النساء بالليـــل [ ] (٢) ؟ (ص ٧٥) لو كنتَ عصيتَ بعض الآدميين أو كان السلطان يطلبك بذنب لما هناك عيش ولا أتيت النساء ، ولخرجت هارباً فى البلاد مخافة سخطه وعقابه وسجنه ، فأى عذاب هو أشد من النار ؟ وأى ملك هو أقوى من الله عز وجل نقمة ؟ لم يُخفِ سر سقر ، لا تبقى ولا تذر ، المطلعة على الأفئدة المنصحة للخلق ، التى لا يفك أسيرها ولا يطاق حر ســعيرها ، ولا يداوى جريحها ، ولا يرحم فيها باك ، ولا يجاب فيها داع . لا أكثر عليك الكلام ، تريد أن تدرك شرف الصالحين وتسبقهم ؟ ارفض الدنيا وانبذها وراءك ، وإن استطعت أن لا تكون لك فيها دار ولا محل قرار فافعل ، وليكن لباسك فيها الخلق الخشن من الثياب والعبا ، ولتكن صائماً دهرك الطويل ، ولتأكل عند فطرك الشعير ولتشرب المـاء القراح ، يكن طعامك أطيب مما تأكل الملوك وشرابك أطيب من شرابهم . وأطل القيام فى الليل وتوسد الأرض ، يكن فراشك غداً الحرير عند الملك القدير . واعلم أن الرِّى غداً [لمن عاش] فى ظمئها (٣) ، والشبع غداً لمن جاع ، والحلل غداً لمن عرى اليوم ، والفرح غداً لمن طال حزنه اليوم .

يا أخى ، ما رأيت الطبيب كيف يصف الدواء ويخبر صاحبه أنه لا ينفع حتى يحتمى ويترك ما نهاه عنه؟ واعلم يا أخى أنك لا تنتفع بشىء وإن كثرت صلاتك وصدقتك حتى تترك ما يسخط ربك عليك فيه . اذكر كثرة نعمه عليك وإحسانه إليك : من أنعم عليك بالإسلام ؟ من كان يغذيك وأنت جنين فى بطن أمك ؟ أما تستحى من الله علام الغيوب؟ اذكر نزول ملك الموت بك ، المرمـل زوجتك ، المفرق مالك الذى سعيت فى طلبه وجمعته من حله وحرامه فصار لمن لا يحمدك ،

---

(١) ترك الناسخ هنا فراغا بقدر كلمة .

(٢) بياض بالأصل .

(٣) أضفت العبارة التى بين الحاصرتين ليستقيم السياق .

وتقف بين يدى من لا يعذرك مرتهناً بعملك . اذكر قول ملك الموت : « اخرجى أيتها النفس الخبيثة ، اخرجى إلى سخط الله وشدة نقمته ، أبشرى بخلود فى النار أبد الأبد مع الحميم والزقوم ومقطعات النيران » . واذكر قوله : « السلام عليك يا ولىّ الله تعالى ، ارحل من هذه الدار إلى نعيم مقيم أبد الأبد مع المتقين الأبرار ، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . أبشر بسندس وحرير وحور عين . لم يبق أحد إلا وهو راض عنك محب لك لرضى الله تعالى عنك ومحبتـــه لك . لو رأيت يا ولىّ الله ما أُعِدّ لك ! لو رأيت يا ولىّ الله ، ما أعد لك لم تبال ما أصابك . قد بكت عليك الملائكة المقربون ، وموضع مصلاك فى الأرض باب [1] من السماء كان ينزل منه رزقك ويصعد منه عملك . قد بكت عليك الملائكة من شدة كربك ، ولا كرب عليك بعد اليوم . هذا وقد استبشرت بلقائك اليوم الملائكة واصطفت صفوفاً لتشيعك إلى قبرك . أبشر بروح وريحان ورب غير غضبان ، فما تخرج روح ولىّ الله إلا وهو فرح مسرور » . فقد كان ينبغى لك أن تعمل لهذه الصفة لعلك أن تدركها ، [2] وتحذر من الأخرى لعلك أن تنجو منها . ما بالك يا هذا كأنك فى شك من الموت ؟ أين أبوك وأمك ؟ أين الأهل ، أين القرابة ؟ فانظر لنفسك وعاجل الندم بالتوبة قبل أن يقع الندم منك حين لا ترحم لك عبرة ولا تقال لك عثرة . ما قولك إذا وقفت بين يديه وقال لك : « عبدى ، أتعرف ذنب كذا يوم كذا ؟ عبدى ، ألم أحذرك نقمتى وشدة سلطانى ؟ ألم أخبرك إنى منتقم ممن عصانى ؟ فما جوابك علىّ ؟ أكل هذا استخفافاً بحقى وجرأة علىّ ؟ فوعزتى وجلالى وارتفاع مكانى وقدرتى على جميع خلقى ، لا يجاورنى من عصانى ! وعزتى لأنتقمن اليوم لنفسى ! فما قولك يومئذ وقد طاشت الأحلام وانكسرت الألسن ؟ وفقنا الله وإياكم ، وأعاننا على أهوال ذلك اليوم . وتماسكنا بهذه الدار وسكناها وحبها من أعظم البلاء علينا . أما سمعته يقول فى كتابه :

---

(١) فى الأصل : وباب .

(٢) وردت هذه العبارة من أول « فقد كان .. » مكررة فى الأصل .

([اعلموا] أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد) [1] إلى قوله تعالى : (وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) ؟ [2] وقال تعالى : (إن المتقين فى جنات وعيون ، آخذين ما آتاهم ربهم ، إنهم كانوا قبل ذلك محسنين) [3] إلى قوله تعالى : (وبالأسحار هم يستغفرون) [4] أثنى عليهم بما فعله لهم وشكره لهم . وقال عزوجل : (إنهم كانوا [يسارعون فى الخيرات] يدعوننا رغباً ورهباً ، وكانوا لنا خاشعين) [5] قرأوا القرآن فأسهروا به ليلهم ، وصفّروا به ألوانهم ، ورهلوا به أقدامهم ، فما ليلهم بليل ولا نهارهم بنهار . أضنوا بالقرآن أبدانهم ، وأسهروا به أعينهم ، ولبسوا الأخلاق من الثياب ، وأكلوا الكسر من خبز الشعير ، وشربوا الماء القراح ، [و] توسدوا الأرض . يخيل لهم أن زفير جهنم بين أيديهم وبين حجابهم ، هتكوا حجابهم وأرملوا نساءهم وأيتموا أولادهم . إذا جنهم الليل ارتعدت فرائصهم وهملت أعينهم ، وكان أحدهم مثل المرأة التى تطلق : مرة قياماً ومرة قعوداً ، آمل مايكونون أحزن ما يكونون ، أشوق ما يكونون ، فمنهم من ينادى ليله الطويل : « سيدى ، نجنى من شر جهنم ! » ومنهم من ينادى ليله الطويل : « يا مولاى ، العفو ، العفو ! » ومنهم من ينادى : « إلـه محمد ! الأمان ، الأمان ! وأن لقّـنى عند خروج روحى الروح والريحان » ومنهم من ينادى : « إلهى ، لا تحرمنى النظر إليك ، واجعلنى فى جوارك » فما أقل ما صبروا ، وما أعظم ما أخذوا من جزيل عطاء الله الكثير . أما سمعته عز وجل يقول : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) [6] ؟ فلنعم الجزاء جزاؤهم ، أباحهم [مولاهم] بحبوحة كرامته [و] أنزلهم مع أخيار خلقه فى جنة الخلد وملك الأبد . فاعمل يا هذا لهذا عمل من يخاف الآخرة ويرجو (ص٧٦) رحمة ربه وجزيل ثوابه ، وكن كالثكلى التى لا تجف دموعها لعلك تنجو ، وما أراك ناجياً . عصمنا الله وإياك وغفر لنا ولك وتجاوز عنا وعنك » .

(١و٢) سورة الحديد ، الآية ٢٠ .

(٣و٤) سورة الذاريات ، الآيات ١٥و١٦و١٧ .

(٥) سورة الأنبياء ، الآية ٩٠ (٦) سورة السجدة ، الآية ١٧ .

ذكر الطبقة الرابعة من فقهاء مدينة القيروان وعبادها
وما يليها من بلدان إفريقيـــة وغيرها ومحدثيهم

١٢٦– أولهم أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال ابن بكار بن ربيعة التنوخي ، رضى الله تعالى عنه .

وكان اسمه عبد السلام فغلب عليه اسم سحنون . قال أبو العرب : اجتمعت فيه خلال قلما اجتمعت فى غيره : الفقه البارع ، والورع الصادق ، والصرامة فى الحق ، والزهادة فى الدنيا ، والتخشن فى الملبس والمطعم ، والسماحة . كان ربما وصل إخوانه بالثلاثين ديناراً ، وكان لا يقبل من أحد شيئاً . سلطان أو غيره . ولم يكن يهاب سلطاناً فى حق يقوله . سليم الصدر للمؤمنين ، شديد على أهل البدع . انتشرت إمامته بالمشرق والمغرب وسلم له الإمامة أهل عصره وأجمعوا كلهم على فضله وتقدمته ، رحمه الله تعالى (١) . قال [أبو] العرب [إنه] من تنوخ . أصله من الشام ، من حمص . قدم به أبوه سعيد مع جند أهل حمص . قال : سمعت محمد بن أبان وقد قيل له : أكان سحنون من العرب صليبة أو من الموالى ؟ فقال : إن سحنون قد [أخذ] الناس عنه دينهم وصدقوه فى الدين وائتمنوه عليه . وقد قال : إنه من العرب ، فكيف لا يصدقونه فى نسبه ؟ قال : وكان مولده سنة ستين ومائة فى رجب . قال عيسى بن مسكين : ولد سحنون فى قرية يقال لها مزبابة الشرق (٢) ،

---

(١) وردت هذه العبارة السابقة كلها فى « طبقات أبى العرب » التى بين أيدينا ، ونصها هنا أكمل وأوفى ، لأنها عن الأصل الذى اختصره أحمد بن محمد الطلمنكى فى هذه الصورة التى نشرها ابن شنب . انظر « الطبقات » ص ١٠١ .

(٢) كذا فى الأصل ، ولم أستطع تحقيق اسم هذا المكان . ويفهم من سياق الحديث هنا أن سحنون ولد فى المشرق فى هذا المكان ، وقدم به أبوه الى افريقية ، بخلاف ما تذهب اليه بقية المراجع ، وهو أنه ولد فى افريقية .

وأعرف البيت الذى ولد فيه . وتوفى فى رجب لتسعة أيام مضت منه قبل صلاة الظهر سنة أربعين ومائتين ، ودفن بعد صلاة العصر . وكان الذى صلى عليه محمد ابن الأغلب فى مصلى باب نافع وقبره معروف مشهور ، رضى الله تعالى عنه .

سمع بإفريقية من جماعة من العلماء منهم علىّ بن زياد ، وأبو مسعود العباس ابن أشرس ، والبهلول بن راشد ، وعبد الله بن عمر بن غانم الرعينى ، ومعاوية الصمادحى (١) . وسمع بمصر من ابن القاسم ، وأشهب ، وابن وهب ، وعبد الله ابن طليب المراوى ، وعبد الله بن عبد الحكم ، وسعيد بن الليث بن سعد ، ويوسف ابن عمرو . وسمع بالمدينة من عبد الله بن نافع الصائغ . ومعن بن عيسى ، وأبى ضمرة أنس بن عياض ، وعبد الملك بن عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون (٢) . وسمع من سفيان بن عيينة — وأصله من الكوفة . ثم نزل مكة وسمع من عبد الرحمن ابن مهدى (بصرى) ، ووكيع بن الجراح (كوفى) ، وحفص بن غياث (كوفى) ، ويزيد بن هارون (واسطى) ، ويحيى بن سليمان (طائفى) ، وأبى داود الطيالسى (بصرى) ، وأبى إسحق الأزرق وغيرهم .

ذكر رحلته فى طلب العلم وبعض ما جرى له فى ذلك: قال أبو العرب : رحل سحنون فى طلب العلم أول سنة ثمان وثمانين ومائة . وقال غير أبى العرب : وكان اعتماد سحنون على ابن القاسم وبه تفقه ، وصحح عليه « الأسدية » [وكان] لا يكاد يفارقه فى سماع العلم والبحث عنه . قال أبو عثمان سعيد بن الحداد : سمعت سحنون بن سعيد يقول : كنت إذا سألت ابن القاسم عن المسائل يقول لى : « يا سحنون ، أنت فارغ . إنى لأحس فى رأسى دوياً كدوى الرحى » . يعنى

---

(١) ورد بالأصل مقابل هذا السطر هذه العبارة : « نسخة وقيل شعيب بن الليث » . وصحة هذا الاسم شعيب بن يزيد الليثى الذى قال عنه أبو العرب : « روى عن رباح بن يزيد ، قال : قد حدثنا أحمد بن يزيد عن موسى بن معاوية عن شعيب بن يزيد الليثى » ومن الجائز لهذا أن يكون من شيوخ سحنون بافريقية — انظر طبقات أبى العرب ، ص ٩٣ .

(٢) ازاء هذا السطر فى هامش الأصل هذه العبارة : « نسخة : وسعيد ابن أبى سعيد المقبرى ، ومطرف بن عبد الله وغيرهم . وسمع بالشام من الوليد بن مسلم ، ومن أبى سعيد أيوب بن سويد الحميرى » .

من قيام الليل . قال : وكان قلما يعرض لنا إلا وهو يقول : « اتقوا الله، فإن قليل هذا الأمر مع تقوى الله عز وجل كثير ، وكثيره مع غير تقوى الله قليـــل » . وكان سحنون أيضاً كثيراً ما يقوله إذا قرئ عليـــه . ثم لما فرغ من قراءة العلم على ابن القاسم وغيره من أصحاب مالك خرج إلى الحجاز ، فحدث أبو سهل فرات بن محمد العبـدى ، قال : سمعت سحنوناً يقول : « لما حججنا كنت أزامل ابن وهب ، وكنت فى الشق الأيمن ، وكان أشهب يزامله يتيمه (١) وكان ابن القاسم يزامله ابنه موسى أبو هارون » . قال سحنون : « فكنت إذا نزلت ذهبت إلى ابن القاسم أسائله من الكتب وأقرأ عليه إلى قرب وقت الرحيل » . قال : « فقال لى ابن وهب وأشهب : « لو كلمت صاحبك ليلة واحدة يفطر عندنا ! » فكلمته فقال : « إن ذلك يثقل علىّ » فقلت له : « فبِمَ يعلم القوم مكانى منك ؟ » فقال لى : « فإذا عزمت على ذلك فأنا أفعل لك ذلك إن شاء الله إذا نزلنا للتعريس » . فأتيت إليهم فأعلمتهم ، فلما كان وقت التعريس قام وقمت معه إلى القوم ، فأصبت أشهب وقد فرش أنطاعه وأتى من الأطعمة بأمر عظيم ، وصنع ابن وهب دون ذلك . فلما أتى عبد الرحمن سلم وقعد ثم أدار عينه فى الطعام فإذا بسكرجة ، فأخذها بيده وحرك الأبزار (٢) حتى صارت ناحية ولعق من الملح ثلاث لعقات ، وهو يعلم أن أصل ملح مصر طيب ، ثم قام وترك ذلك وقال : « بارك الله لكم ! » . قال سحنون : « فاستحييت أن أقوم » . قال : « فتكلم أشهب وعظم عليه ما فعل عبد الرحمن ، فقال ابن وهب : « دعه ، دعه ! » قال سحنون : وكنا نمشى بالنهار ، ونلقى المسائل ونحن مشاة ، فإذا كان الليل وبركت الرفقة ، قام كل واحد إلى حزبه من الصلاة فيقول ابن وهب لأصحابه : « أما ترون إلى هذا المغربى يلقى المسائل بالنهار وهو لا يدرس بالليل ؟ » فيقول له ابن القاسم : « هو نور يجعله الله [فى القلوب] (٣) » . (ص ٧٧) قال : « ونزلنا بمسجد ببعض مدائن

---

(١) كذا فى « المدارك » أيضا ، جـ ١ ص ١١٨ ب

(٢) جاء فى اللسان (جـ ٥ ص ١٢١ ، مادة « بزر ») : والبَزْر والبِزْر التابل ، وجمعه أبزار وأبازير .

(٣) التكملة من « المدارك » جـ ١ ص ١١٨ ب .

الحجاز – نسيت اسمها – قال : فنمنا بها ونمت عند رجلى ابن القاسم ، فانتبه مذعوراً فقال لى : يا أبا سعيد ، رأيت الساعة فى المنام كأن رجلا دخل علينا من باب المسجد ومعه طبق مغطى بمنديل وفيه رأس خنزير ، فأسأل الله خيرها » .
قال سحنون : « فما لبثنا حتى أقبل رجل ومعه طبق مغطى بمنديل وفيه رطب من تمر تلك القرية ، فجعله بين يدى ابن القاسم وقال له : « ألا تأكل ، أصلحك الله تعالى ؟ » فقال له ابن القاسم : « ما لى إلى ذلك سبيل » ، قال : « فأعطه أصحابك » فقال : « أنا لا آكله ، [ثم] أعطيه غيرى! » فانصرف الرجل ، فقال ابن القاسم : « هذا تأويل الرؤيا يا أبا سعيد » . قال : وكان يقال : إن تلك القرية أكثرها أحباس غصبت ، فحماه الله عز وجل منها لتقاه ودينه . قال : ومرضت بمكة ، فكنت ربما جلست عند ابن القاسم وربما جلست عند أشهب وابن وهب ، وربما جلس ابن القاسم مع أشهب فى موضع واحد ، وربما جلست مع أشهب وابن وهب . فجلست يوماً مع ابن وهب فقلت له : « نشرب من هذا الماء » . وكان الماء حينئذ بمكة فى جلود الطائف بجوار السوارى يصب فيه الماء ويملأ ليشرب منه الناس . فأصابنى عطش يوماً فقلت له : « تشرب ؟ » فقال : « لا » فقلت له : « أليس لى فى فىء المسلمين سهم ؟ » . فقال لى : « ليس هذا من فىء المسلمين ، إنما هذا الماء مما يأخذونه من صدقات الأعراب ، فمنه هذا الماء بمكة » . قال : « ولقد كنت أفتى أنه لا يحل شراء تمر مكة ، لأنها كلها من الصدقات ، حتى كثر فيها الحلال وأنشأ الناس فيها الحيطان ، وصار الغالب عليها ذلك وإن كنت لأتقيه فى خاصة نفسى ، ولا أحب أن أضيق بذلك على الناس ، فربما جاءنى الرجل يستفتينى عن شرائه فأقول : « جائز » .

ذكر أوصافه ومناقبه وفراسة العلماء فيه: ذكر أن البهلول كتب إلى علىّ ابن زياد كتاباً عناية بسحنون أن يسمع عليه ، وكتب إليه : « إنى إنما كتبت إليك فى رجل يطلب العلم لله عز وجل » . قال : فلما قرأه قال لسحنون : « أين نزلت؟ » فأخبره . قال : فأخذ علىّ بن زياد الموطأ فأتى به إلى سحنون ليسمعه فى موضعه الذى نزل به ، وقال : « ابن أخى – يعنى البهلول – كتب إلىّ يعلمنى [أنك] إنما تطلب العلم لله تعالى » . وقال ابن القاسم لمحمد بن رشيد : « قل لصاحبك سحنون يقعد فالعلم أولى به

من الجهاد وأكثر ثواباً (1) » . وفى رواية أن ابن القاسم قال : « إن يكن أحد يسعد بهذه الكتب فسحنون المغربى » ، ثم التفت إلى عبد الله بن الحكم فقال : « وإنْ قِبَل أبي محمد لعلماً » ، والتفت إلى أصْبَغ وقال : « إن قبل هذا لرواية » . وقال أيضاً : « ما قدم إلينا من إفريقية أحد مثل سحنون ، لا ولا ابن غانم » . وقال أشهب مثله فى سحنون وقال : « سحنون أفقه من أسد نفساً » وقال : « سحنون أفقه من أسد تسعاً وتسعين مرة » . ويروى أن عبد الرحمن بن عبد ربه الزاهد شاور أسداً (2) عند خروجه إلى صقلية : إلى من يقصد بعده ليسمع منه ؟ فقال : « عليك بهذا الشيخ (3) سحنون ، فما أعلم أحداً يشبهه » . قال حمديس [القطان إنه] (4) سمع على سحنون العلم سنة إحدى وتسعين ومائة ، وتلك السنة توفى ابن القاسم . وكان العلم فى صدره كسورة من القرآن . وقال حمديس : « رأيت أبا المصعب (5) الزهرى صاحب مالك بالمدينة ، ورأيت أصحاب ابن القاسم بمصر وأصحاب ابن وهب وأشهب ، ورأيت بمكة علماء وعلماء من أهل بغداد قدموا إليها ، فوالله ما رأيت فيهم مثل سحنون ولا مثل ابنه محمد بعده » (6) .

---

(1) أورد القاضى عياض هذا الخبر فى « ترتيب المدارك » هكذا : « .. قل لصاحبك يقعد ، فالعلم أولى به من الجهاد وأكثر ثوابا ، ويعطى هذه الخيل التى قدم بها لمن هو فى مثل حاله يؤديها عنه ، فما قدم الينا من افريقية مثل سحنون ولا ابن غانم » ج ١ ص ١١٩ — ١ .

(2) وردت هذه العبارة فى الأصل هكذا : « ويروى أنه شاور عبد الرحمن ابن عبد ربه الزاهد أسدا عند خروجه الى صقلية ... » فاصلحتها على هذا النحو . وروى « الدباغ » فى المعالم هذا الخبر هكذا : « وقال عبد الرحمن الزاهد : لما خرج أسد الى العراق (كذا) شاورته فيمن أقصد بعده أسمع منه ، فقال : عليك بهذا الشيخ ، فما أعرف أحدا يشبهه » « المعالم » ج ٢ ص ٥٣ .

(3) فى الأصل : السبخى ، وقد أصلحتها بناء على ما ورد فى « المعالم » . انظر الهامش السابق وكذلك « المدارك » ج ١ ص ١١٩ ب .

(4) أضفت هذه العبارة ليستقيم السياق . راجع ترجمة أبى جعفر حمديس القطان فى « المعالم » ج ٢ ص ١٣٣ .

(5) فى « المدارك » ج ١ ص ١١٩ — ١ : أبا مصعب .

(6) ذكر القاضى عياض هذه العبارة مع خلاف يسير فى نهايتها هكذا : « والله ما رأيت فيهم مثل سحنون ، ولا رأيته بعده » ج ١ ص ١١٩ .

قال عبد الله بن القبرياني [1] : « جاء رجل إلى سحنون فسأله عن مسألة ، فأجابه فيها ، فسكت الرجل ، فقال له سحنون : « متى عهدك ؟ » فوجه سحنون فى طلب الكتاب ، فجئ به إليه ، قال : « تصفح » فقصد موضع المسألة كأنه يعرفه ، فوجده كما قال سحنون ، فقال حينئذ سحنون : « إنى حفظت هذه الكتب حتى صارت فى صدرى كأم القرآن ، ثم كبرت سنى وضعفت قوتى ، وأحسست الضعف ، وأخاف أن يكون قد خالطنى فى عقلى مثل ما أصابنى فى قوتى ، أفتريد أن تشككنى فى هذا القليل الذى معى ؟ » ، أو كما قال رحمه الله تعالى .

قال أبو بكر بن اللباد : قال لنا أبو سعيد بن عمرو بن يزيد : « أول ما تعلمت من العلم مسائل الصلاة من سحنون ، ولئن قلت لك إن سحنون أفقه من أصحاب مالك بن أنس — معلميه كلهم — إنى لصادق » . وكان عيسى بن مسكين يقول : « سحنون راهب هذه الأمة » . ولم يكن بين مالك وسحنون أحد أفقه من سحنون .

قال أحمد بن أبى سليمان : كان سحنون بن سعيد يوماً عند البهلول بن راشد فسئل عن مسألة فأخطأ فيها ، فكلمه سحنون فى ذلك ، فضاق وقال : « ألا ترى هؤلاء الأحداث يؤذوننا ؟ » وكان شيخ إلى جانبه ، فكلمه فسكت عنه . ومما يذكر عن الشيخ أبى الحسن القابسى أنه كان يشق عليه مخالفة مالك وسحنون خاصة ، وكان يقول : « لا أقدر أن أخالفهما وأهاب ذلك هيبة عظيمة » . وكان سحنون إذا اجتمعت له نفقة خرج إلى علىّ بن زياد صاحب مالك فى [2] تونس يطلب عليه العلم ، فبينا سحنون عند علىّ بن زياد بتونس إذ جاءه كتاب البهلول يسأله عن المسألة التى بينه وبين سحنون ، فلما قرأه علىّ بن زياد رمى به إلى سحنون ، فلما قرأه قال : هذه مسألة قد اختلف فيها عندنا ، فقال البهلول : « فيها كذا وكذا » . فقال ابن زياد : « ومن نازعه ؟ » فقال سحنون : « أنا خالفته » ، وأخبره بما قال فيها ، فقال له علىّ بن زياد : « أخطأ البهلول وأصبت أنت ، اكتب إليه بهذا عنى » ثم قال لسحنون : « الزم هذا الشيخ — يعنى البهلول بن راشد — فإنه رجل صالح ،

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن سهل القبريانى . راجع ترجمته فى « المعالم » ج ٢ ص ٧٢ .

(٢) فى الأصل : الى .

لما أن أهمته المسألة كتب إلىّ فيها » . قال سليمان بن سالم ، قال: لما أردت الخروج إلى الحج قال لى سحنون : « إنك تقدم طرابلس وقد كان فيها رجال [مدنيون ومصريون](١)، ثم تقدم إلى مصر وبها الرواة ، ثم تقدم المدينة وهى عش مالك ، ثم تقدم مكة . فاجتهد مجهودك فإن قدمت علىّ (ص٧٨) بلفظة خرجت من دماغ مالك ليس عند شيخك أصلها فاعلم أن شيخك كان مفرطاً(٢) ، يعنى نفسه رحمه الله تعالى . حدث أبو العباس بن موسى ، قال: سمعت سحنوناً يقول – وهو يزرى على من يعجل بالفتوى وينكر ذلك ويذكر النهى عن ذلك عن المتقدمين من معلميه – : « [إنى] لأسأل عن المسألة فأعرفها وأعرف فى أى كتاب هى فيه ، وفى أى ورقة ، وأى صفحة ، وعلى كم هى من سطر ، فما يمنعنى من الجواب فيها إلا كراهية الجرأة بعدى على الفتوى » . ثم قال: « ها هنا قوم يزعمون أنه يحمل عنى ست وثلاثون ورقة فى الصلاة ، وإنى لأخرج من الدنيا ولا يسألنى الله عز وجل عن مسألة قلت فيها برأى » . وذكر سليمان بن سالم أنه أتى رجل من أهل اصطفورة إلى سحنون فسأله عن مسألة فأقام يتردد إليه ثلاثة أيام ، فقال بعد ذلك: « مسألتى أصلحك الله ، [لى](٣) ثلاثة أيام » ، فقال له: « وما أصنع بك يا خليلى؟(٤) مسألتك نازلة وهى معضلة وفيها أقاويل وأنا متحير فى ذلك » ، فقال له الصطفورى « وأنت أصلحك الله لكل معضلة » . فقال له سحنون: « هيهات يا ابن أخى ، ليس بقولك أبذل لك لحمى ودمى للنار(٥) . ما أكثر ما لا أعرف ، إن صبرت رجوت

---

(١) بياض بالأصل . والتكملة بين الحاصرتين من « المعالم » جـ ٢ ص ٥٢ .

(٢) أورد القاضى عياض هذا الخبر بنصه ولكنه جعل قائل هذه العبارة محمد بن سحنون هكذا : « قال لى أبى : اذا أردت الحج (فانك) تقدم أطرابلس ... الخ » (المدارك جـ ١ ص ١١٩ ب) وكذلك فعل الدباغ فى المعالم (جـ ٢ ص ٥٢) .

(٣) التكملة من « المدارك » جـ ١ ، ص ١٢٤ – ١ .

(٤) وفى المدارك (جـ ١ ص ١٢٤ – ١) : وما أصنع لك ؟ ما حيلتى ؟ مسألتك نازلة ...

(٥) وفى « المدارك » (جـ ١ ص ١٢٤ – ١) : فقال : هيهات ! ليس يا ابن أخى بقولك أبذل لحمى ودمى الى النار .

أن تنقلب بحاجتك وإن أردت تمضى إلى غيرى تجاب فى ساعة واحدة » . فقال له : « إنما جئت إليك ولا أستفتى غيرك » ، فقال : « فاصبر عافاك الله » ، ثم أجابه بعد ذلك . قال عيسى بن مسكين : قلت لسحنون : « تأتيك المسائل مشهورة مفهومة فتتأنى بالجواب [1] فيها ؟ » فقال : « سرعة الجواب بالصواب أشد فتنة من فتنة المال » . وقال : « كان بعض من مضى يريد أن يتكلم الكلمة ، ولو تكلم بها لانتفع بها خلق كثير ، فيحبسها ولا يتكلم بها مخافة المباهاة » . وكان يتكلم ويصمت فإذا أعجبه الصمت تكلم ، وإذا أعجبه الكلام صمت . وكان يقول : « أجرأ الناس على الفتيا أقلهم علماً : يكون عند الرجل باب واحد من العلم يظن أن الحق كله فيه » . قال سحنون : « وأنا أحفظ مسائل فيها ثمانية أقاويل من ثمانية أئمة ، فكيف يسعنى [2] أن أعجل بالجواب حتى أتخير ؟ فلم ألام على حبس الجواب ؟ » . وذكر محمد بن عبدوس مسألة الوطء فى الدبر ، مع [3] هيبته لسحنون فى سؤاله عنها . ولما سأله قال : « يا بنى لى فى هذه المسألة أربعون سنة أتدبرها وأدبر ما يخرج من الجواب فيها ، [حتى] أحمل الناس عليه فما اتجه لى فيها شئ . يا بنى هذه من الشبهات ، وترك الشبهات خير ، فما تسمع منى فيها حلالا ولا حراماً » ، فما سمعنا عنه فيها شيئا ، ولا تقلد فيها فتوى ، رضى الله تعالى عنه . وذكر أنه أرسل إليه الأمير زيادة الله بن الأغلب يسأل سحنوناً عن مسألة نزلت به ، فلم يجبه فيها بشئ . ورجع الرسول من عنده بلا جواب فقال محمد بن عبدوس لسحنون : « اخرج من بلد القوم ، لا تساكنهم : أمس ترجع عن الصلاة خلف قاضيهم — يعنى ابن أبى الجواد — واليوم لا تجيبهم فى مسائلهم ؟ » فقال له سحنون : « أفتجيب إنساناً إنما يريد أن يتفكه ، يريد أن يأخذ قولى وقول غيرى ؟ ولو كان شيئاً يقصد به الدين لأجبته » . وقال : « أشقى الناس من باع آخرته بدنياه ، وأشقى منه من باع آخرته بدنيا غيره » . وقال رضى الله تعالى عنه : ففكرت فيمن باع آخرته بدنيا غيره ، فوجدته المفتى :

---

(١) فى المدارك (جـ ١ ص ١٢٤ — ب) : فتأبى الجواب فيها .

(٢) فى الأصل ينبغى ، والتصحيح من « المدارك » جـ ١ ، ص ١٢٤ — ب .

(٣) فى الأصل : فى .

يأتيه الرجل قد حنث فى امرأته أو رقيقه فيقول له : لا شئ عليك ، فيذهب عنه الحانث فيتمتع بزوجته ورقيقه ، وقد باع المفتى له دينه بدنيا هذا . فما وجدت بقلبي من باع آخرته بدنيا غيره إلا المفتى » . قال الشيخ أبومحمد بن أبي زيد رحمه الله تعالى : قيل له : قد قال بعض الناس ، ممن حضر هذا الكلام ، لسحنون : إن بعض الشعراء قد ضمن هذا المعنى فى بيتين :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى   ولمشترى دنياه بالدين أعجب

وأعجب من هذين من باع دينه   بدنيا سواه ، ذاك للحين أقرب

فأمر سحنون من حوله أن يكتبوهما .

وكان سحنون يقول : « من فقه الرجل مطعمه ومشربه ومدخله ومخرجه وصحبته لأهل الخير . وليست العبادة بمطأطأة الرأس » . وقيل لسحنون بحضرة أبى سليمان : « يا أبا سعيد ، كيف يسعك فى دينك أن تدع الطلبة وحاجتهم إليك وتخرج إلى البادية فتقيم بها الشهور الكثيرة ؟ » فقال : « يا أبا سليمان ، تريد أن ترى كتبى فى هذا الغدير ؟ » — وأشار إلى ماء بين يديه — فقال له أبو سليمان : « وكيف ذلك ؟ » قال : « أحتاج إلى دراهم هؤلاء القوم — يريد الملوك — فآخذها ، فإذا أخذتها فارموا كتبى فى هذا الغدير » . وقال محمد بن سحنون : « قلت لسحنون : إن فلاناً لا يأتى الوالى ولا القاضى إلا بالليل ، فكتب إليه بعض إخوانه : إن الذى يراك بالنهار هو يراك فى الليل ، والسلام » . فأعجب سحنون بما كتب به إليه وقال على إثر هذا : « ما أقبح بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيه ، فيسأل عنه فيقال : « هو عند الأمير ، هو عند الوزير ، هو عند القاضى » . فإن هذا وشبهه لأشر من علماء بنى إسرائيل ، لأنه بلغنى أنهم كانوا يلقونهم من الرخص بما يحبون مما [ليس] عليه العمل ، ويتركون أن يلقوهم بما عليه العمل وفيه النجاة [لهم] ، كراهة أن [يستثقلوهم] [1] . ولعمرى لو فعلوا ذلك لربحوا ولوجب أجرهم على الله عز وجل ، فوالله لقد ابتليت

(١) وردت هذه العبارة فى الأصل مضطربة هكذا « لأنه بلغنى أنهم كانوا يلقونهم من الرخص بما يحبون مما عليه العمل وما هو متروك ويتركون أن يلقونهم بما عليه العمل وفيه النجاة كراهة أن [   ] » ، وقد قومتها على هذا النحو مما أورده القاضى عياض فى المدارك (ج١ص ١٢٤ — ب) والمعالم ج ٢ ، ص ٦٢ .

بهذا القضاء وبهم ، فوالله ما أكلت [1] [لقمة]، ولا شربت لهم جرعة، ولا لبست لهم ثوباً ، ولا ركبت لهم دابة ، ولا أخذت لهم صلة . وإنى لأدخل عليهم فأكلمهم بالتشديد، وبما عليه العمل وفيه النجاة، ثم أخرج من عندهم فأنظر فى أمرى فأجد علىّ الدرك، مع ما ألقاهم به من الشدة والغلظة وكثرة مخالفتى لهم ووعظى لهم، فوددت أنى أنجو مما دخلت فيه كفافاً، لا علىّ ولا لى » .(ص٧٩) قال: «وكنت أسمع منه يقول: إنه يقال : إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم ». وقال زيد بن إسماعيل: « سمعت سحنوناً يقول — وقد ذكر بعض هذه المواجل [2] التى بناها هؤلاء الولاة فقال: « إنما هى حجارة، جمعوا ذلك فبنوا به ماجلا. فدخل فيه ماء ساقه الله إليه، فما أرى بشرب ذلك الماء بأساً » ، قال : فحدثت بذلك أحمد بن إسحاق فقال لى: ما شرب سحنون من ماجل بناه الأمراء حتى لقى الله عزوجل ، تورعاً ونزاهة » .

حدث أحمد بن أبى سليمان ، [3] قال : « كنا يوماً جلوساً عند سحنون حتى أتاه غلامه بدرهم و[نصف فضة باع له به زيتوناً] [4] ، فقال سحنون : « الحمد لله، زيتوننا وغلامنا ودابتنا » ، ثم رمى بها ، ثم قال لنفسه : « يا شقى، يا شقى، يا شقى، تدرى ممن باعها لك ؟ » وهذا من إشفاقه، رضى الله تعالى عنه . قال سليمان بن سالم: ذكر « حسيس السرار » [5] يوماً عند سحنون وصدقاته وزكواته وما كان يفعل من المعروف فى ماله ، فلما أكثروا عليه قال لهم سحنون : « اسكتوا! فلو لم يكن موقف حسيس عند الله تعالى إلا أنه يسأله عن كسبه ماله من أين كسبه

---

(١) بياض بالأصل والتكملة من المدارك (ج ١ ص ١٢٤ — ب) .

(٢) فى الأصل: المياجل، والتصحيح من المدارك (ج ١ ص ١٢٥ — ب) . وجاء فى اللسان (ج ١٤ ص ١٣٨) : قيل لمستنقع الماء: ماجل، هكذا رواه ثعلب عن ابن الأعرابى بكسر الجيم غير مهموز . وأما أبو عبيد فإنه روى عن أبى عمرو : المأجل بفتح الجيم وهمزة قبلها وجمعه مآجل . وقال رؤبة :

* وأخلف الوقطان والمآجلا *

وفى حديث أبى واقد : كنا نتماقل فى ماجل أو صهريج .

(٣) هو أحمد بن أبى سليمان داود الصواف من كبار رجال سحنون . انظر ترجمته فى طبقات أبى العرب (ص ١٣٩) والمعالم (ج ٢ ص ١٣٧) .

(٤) التكملة من المدارك (ج ١ ص ١٢٥ — ب) .

(٥) كذا فى الأصل ، ولعله ، البزاز ، ولم أستطع تحقيق اسمه .

[لكان حسبه ! . و] (١) قد قيـــل لابن هرمز : مات فلان وترك من المـال كذا وكذا . . فقال : لكن المـال لايتركه ! » .

قال محمد عن أبيه سحنون : « اعلموا أن ترك الحلال أفضل من عبادة التطوع ، وترك الحلال لله تعالى أفضل من أخذه وإنفاقه فى طاعة الله عز وجل » . وحدث يونس بن محمد الوردانى ، قال : سأل محمد بن عبدوس ، ومحمد بن حسن ، ونفيس الضرير سحنوناً عن الورع فقال : « ترك دانق مما كره الله عز وجل أفضل من سبعين ألف حجة يتبعها سبعون ألف عمرة مبرورة متقبلة ، وأفضل من سبعين ألف فرس فى سبيل الله تعالى بزادها وسلاحها ، وأفضل من سبعين ألف بدنة يهديها إلى بيت الله الحرام ، وأفضل من [عتق] (٢) سبعين ألف رقبة مؤمنة من ولد إسماعيل » . فذكر هذا الحديث صاحب (٣) لعبد الجبار [بن خالد] (٤) فقال عبد الجبار : « نعم ، وأفضل من ملء الأرض إلى عنان السماء ذهباً وفضة من كسب حلال وأنفقت فى سبيل الله لايراد بها إلا وجه الله تعالى » . قال : « وهذا كلام صحيح ، وذلك أن ترك الحرام فريضة ، وهذه الأشياء التى [ذكرها] كلها تطوع ، فالفريضة أولى من التطوع » . وكان سحنون رحمه الله تعالى يقول : « من فقه الرجل مطعمه ومشربه وملبسه ومدخله ومخرجه وصحبته لأهل الخير ، وليست العبادة بمطأطأة الرأس » . وقيل لسحنون بحضرة أبى سليمان [بن سالم] : « كيف يسعك فى دينك أن تدع هؤلاء الطلبة وحاجتهم إليك ، وتخرج إلى البادية فتقيم بها الشهور الكثيرة ؟ » فقال : « يا أبا سليمان تريد أن ترى كتبى فى هذا الغدير ؟ » — وأشار إلى ماء بين يديه — فقال له أبو سليمان : « وكيف ذلك ؟ » (٥) فقال : « أحتاج إلى دراهم هؤلاء القوم — يريد الملوك — فآخذها ، فإذا أخذتها فارموا كتبى فى هذا الغدير » . حدث عبد الجبار بن خالد ، قال : كنا نسمع من سحنون بمنزله فى الساحل ، فصلى يوماً الصبح ، ثم دخل فخرج علينا وعلى كتفه المحراث وبين يديه زوج بقر مقرون ،

---

(١) اضفت هذه العبارة ليستقيم السياق .

(٢ و ٤) التكملة من « المدارك » ج ١ ص ١٢٥ ب .

(٣) فى الأصل : فذكر صاحب هذا الحديث لعبد الجبار بن خالد . .

(٥) الى جانب هذا السطر فى الأصل هذه العبارة : تكررت من نسخة أخرى .

فقال لنا : « إن الغلام مُحمّ ، فأنا أريد أن أذهب لأحرث ثم أرجع إليكم إذا فرغت أسمعكم » . قال عبد الجبار : « فقلت له : أنا أذهب أحرث لك ، واجلس أنت تسمع أصحابنا فإذا رجعت قرأت عليك ما فاتنى به أصحابى . قال : فدفع إلىّ المحراث ، فذهبت به فحرثت فلما رجعت أدخلت البقر الدار . قال : فقرب إلىّ سحنون غداءه فإذا هو خبز شعير وزيت قديم ، فأكلت معه ثم قرأت عليه ما فاتنى » . وحدث إسماعيل بن إبراهيم قال : دخلت على سحنون ، وهو يومئذ قاض وأنا يومئذ غلام ، فإذا هو جالس فى بيته وفى عنقه تسبيح وهو يسبح به وفى الدار جشيش [1] قد طبخ ، فقال : « احتس من هذا الجشيش » فأبيت عليه من ذلك ، فقال : « يا بنى ، خذ هذه الشقة فقل لأخيك يبيعها وأخبره أنه قد دخل فى طعمتها كذا وكذا ، وتُبَيِّن لمن تبيعها منه أن قيامها أصطبة [2] ، وعجل علىّ بثمنها ، فإن لشيخك ثلاثة أيام لم يجد ما يشترى به سخينة [3] يأكلها » قال : فذهبت بالشقة فبعتها ، وجئته بالثمن عشية وهو ينظر بين الناس ، فأخذ الدراهم ، وكنت قد جعلتها فى كمى وجعلتها بين أصبعين من أصابعى ، قال : فعرك سحنون أذنى بيده وقال : « ليس هكذا تمسك الدراهم ، إنها يا بنى حلال ، فإذا ذهبت فأين أجد مثلها ؟ » . قال : ثم وجه ربع درهم فاشترى به أربع ثردات [4] ،

---

(١) « الجشيش والجشيشة ما جُشّ (دق) من الحب ، وقيل : الجشيش الحب حين يدق قبل أن يطبخ ، فإذا طبخ فهو جشيشة . قال شمر : الجشيش أن تطحن الحنطة طحنا قليلا ثم تنصب به القدر ويلقى عليها لحم أو تمر فيطبخ ، فهذا هو الجشيش » — (لسان العرب ، ج ٨ ص ١٦١) .

(٢) جاء فى اللسان : « (اصطب) : النهاية لابن الأثير فى الحديث : رأيت أبا هريرة رضى الله عنه ، وعليه ازار فيه عَلَق وقد خيطه بالأُصْطُبَّة . هى مشاقة الكتان والعلق الخرق » . (ج ١ ص ٢٠٨) .

(٣) جاء فى اللسان : « والسخينة التى ارتفعت عن الحساء ، وثقلت عن أن تحسى ، وهى طعام يتخذ من الدقيق دون العصيدة فى الرقة وفوق الحساء . وانما يأكلون السخينة والنفيتة فى شدة الدهر وغلاء السعر وعجف المال » . (ج١٧ ص ٦٨) .

(٤) جاء فى اللسان (ج ٤ ص ٧١) : « الثريد معروف ، والثرد الهشم ، ومنه قيل لما يهشم من الخبز ويبل بماء القدر وغيره ثريدة . والثرد الفت ، ثرده يثرده ثردا ، فهى ثريدة ، وثردت الخبز ثردا كسرته ، فهو ثريد ومثرود . والاسم « الثردة » بالضم » .

فطبخها وأفطر عليها، فلما خرج لصلاة العشاء قال: « ما أطيب الثرد! اشترى لى منها أربع: فبعثت بواحدة إلى ابنى محمد، وواحدة إلى ابنتى خديجة، وأخرى إلى كذا، وأكلت أنا واحدة». وكان يبعث فى كل يوم إلى مغيث بن الأزهر يشترى له ربع الربع لحماً [1] ليفطر عليه، ثم استكثره وتركه اقتداء منه بالصالحين. ولقد كان يتصدق على الرجل الواحد بالمال الكثير الذى تجب فيه الزكاة. ولقد حدث سعيد بن عباد المعروف بالمزغلة [2] صاحب سحنون، قال: قال لى سحنون يوماً، وقد خلا معى: « يا سعيد، أليس أنا إمامك؟ » فقلت: « نعم، أصلحك الله » فقال: « أوتقبل قولى؟ » فقلت: « وكيف لا أقبل قولك ولو لم أقبل قولك لم أختلف [إليك] » قال: فقال لى: « هذا قولى ويمينى » وحلف لى بالله، وأرانى صرة فى يده، وذكر أن فيها ثلاثين ديناراً وقال: « ما هى مال سلطان ولا من تاجر ولا من وصية، و[إنما] [3] هى من ثمن ثمرة بعتها، [غرستها] بيدى، فخذها تتقوى بها على أمر آخرتك ودنياك» قال: فقلت له: « أنا عنها غنى» قال [ ] [4]: «[و] هو والله كان محتاجاً إلى خروبة». قال [سعيد بن عباد]: فقال سحنون – لما قلت له إنى عنها غنى –: « فخذها سلفاً فتتزوج منها وتنفق، فإن رزقك الله [مالا] [5] فردها نقبلها منك، (ص ٨٠) وإن تعذر عليك ردها فأنت فى حل»، فقلت: « ما كنت بالذى أتعجل ديناً فى ذمتى من غير حاجة» فقال: « فإذا أبيت من قبولها فلا تذكرها لأحد ما دمت أنا حياً » [6].

---

(١) كذا فى الأصل، وجاء فى المدارك: « قال ابن مغيث: كان يشترى سحنون كل يوم ربع رطل لحم يفطر عليه .. الخ » ج ١ ص ١٢٠ – ١.

(٢) ذكره أبو العرب هكذا: سعيد المعروف بمزغلة (ص ١٥٤).

(٣) فى الأصل: ولا. وقد أبدلتها بما يستقيم به السياق.

(٤) ترك الناسخ هنا بياضا بقدر كلمة، فلم يذكر اسم صاحب هذه الجملة الاعتراضية.

(٥) بياض بالأصل.

(٦) ذكر القاضى عياض بن موسى اليحصبى فى « المدارك » حكاية مشابهة لهذه وهى: قال حمديس (القطان): ماتت لأبى خادم ثمنها ثمانية وعشرون دينارا، فعرض على سحنون ثمنها لأشترى منه لأبى خادما، فقلت: « أنا عن هذا غنى » ج ١ ص ١٢٥ ب، ١٢٦ – ١.

وكان ، رحمه الله تعالى ، نزه النفس . قال أبو داود العطار : « [1] أباع سحنون زيتوناً له بنحو ثمانمائة [2] فدفع ذلك المال إلىّ » ، قال : « فكان [يبعث] إلىّ رقعة يقول : « ادفع لفلان كذا وكذا ديناراً ، ولفلان كذا » صدقة منه عليهم ، حتى فنى ذلك المال كله » . قال أبو داود : « فأتيته بإضبارة فيها تلك البطائق التى كان يبعث بها إلىّ ، فلما خرج من سماع الناس عليه تقدمت إليه بتلك البطائق فقال : « ما هذه؟» فأعلمته بها فقال : « أبقى من ذلك شئ » . قلت : « لا » قال : فرمى بتلك البطائق إلىّ وأبى أن يحاسبنى ، وقال لى : « إذا فرغ المال فلما [ذا] أحاسبك ؟ » .

وحدث أبو محمد عبد الله بن سعيد الصائغ ، قال : دفع سحنون لرجل ذات يوم صرة [دنانير] [3] وهو فى بيته ثم قال له : « اذهب ، فأول رجل تلقاه فادفعها إليه » . قال : فتخللت الأزقة ، فإذا برجل عليه ثوب أبيض وتحته شئ يحمله ، فدفعت إليه الصرة ، فلما أخذها أتى الذى بيده وقال : « هذه ميتة ، كانت حلالنا فحرمت الآن علينا » . فكانت هذه الفراسة من سحنون من العجب ، إذ وقعت على غائب لم يشهده . وله فى ذلك حكايات من عطاء ومسامحة وتفريق [4] غلة زيتون يطول بها الشرح . قال بعض أصحابنا : « مررت بمحمد بن بشار المعروف بالزريبى [5] الفقيه وهو جالس فى صحن مسجده ، فصعدت إليه فسلمت عليه ، فرد علىّ رداً فيه انكسار ، فسألته : « ما بالك مغتما؟» فقال : « وكيف لا أغتم وخادم لى سوداء كانت تكفينى مؤونة الفرن والماء أصبت بها؟» قال : « فمضيت إلى سحنون فأعلمته باغتمام الزريبى بموت خادمه ، فقال سحنون : « اذهب إلى فندق كذا وكذا فإن فيه رجالا خمسة من الساحلين فائتنى بهم » . قال : فذهبت

---

(1) ورد هذا الاسم فى الأصل هكذا : ابو داود العصار ، وورد فى « المدارك » : أبو داود القطان (ج ١ ص ١٢٥ ب) وصحة الاسم أبو داود العطار كما أوردته فى المتن ، واسمه : أحمد بن موسى بن جرير الأزدى . (« المعالم » ج ٢ ص ١٠٤) وفى نسخة : أحمد بن عيسى .

(2) فى « المدارك » (ج ١ ص ١٢٥ ب) : ثلاثمائة .

(3) التكملة من « المدارك » ، ج ١ ص ١٢٥ ـ ا

(4) فى الأصل : افراق .

(5) فى الأصل : الزربى ، وقد ذكر المؤلف هذه النسبة بعد ذلك مرتين الزريبى ، فأصلحت هذه .

فأتيته بهم، فأقعدهم وقال لى: «اذهب إلى جامع العطار (١)، وقل له: «الشيخ يقول لك: ادفع إلىّ خمسين ديناراً». فأتيت بها إلى سحنون، فعدها عشرة عشرة إلى أولئك الساحليين وقال: فرقوها (٢) على زيت من نبات (٣)، وكان ذلك قريباً من جمع الزيتون، ففعلوا ثم كتبوا إليه: إن الزيت قد اجتمع، فكتب إليهم ببيعه، فأباعوه بمائة دينار، فرد سحنون الخمسين ديناراً إلى جامع، فأنكر ذلك وقال: «شيخ مبارك يأخذ ويرد؟». ثم قال لى سحنون: «اذهب بهذه الصرة إلى الزربى، فيها خمسون ديناراً». ففعلت، فأخذها منى ودعا لسحنون وقال: «يفتقدوننا فى دنيانا وآخرتنا».

قال سليمان بن سالم: «تأدب [سحنون] بأدب أهل المدينة حتى فى العيش، وكان (٤) يقول: «ما أحب أن يكون عيش الرجل إلا [على] قدر ذات يده، ولا يتكلف إلى أكثر من ذلك، وإن احتاج إلى امرأة طلبها على قدر ذات يده فى مؤنتها وقناعتها حتى يبقى فى يده ما يستغنى به، وإن كان له مال صالح حلال – والحلال هو الذى ارتضاه الله عز وجل لأنبيائه حين يقول: (يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً) (٥)، والطيب هو الحلال – اعتمد عليه وتفرغ للعبادة؛ وإن لم يكن عنده فعليه بكسب يده أولى به من ذل (٦) المال

(١) «جامع» هنا اسم علم، ولا يراد به «مسجد».

(٢) فى الأصل: أفرقوها.

(٣) فى الأصل هكذا: «زيت من نبات»، بغير نقط. والاشارة هنا الى ما يتبعه بعض الناس عادة مع الزراع من شراء محصولهم قبل حلول ميعاده بثمن منخفض والانتظار حتى ينضج ثم بيعه بسعر أحسن فى الموسم فيحصلون من ذلك على ربح، وهو الذى أراده سحنون بعمله هذا.

(٤) أضفت الكلمتين المحصورتين بين القوسين ليستقيم السياق. وقد أورد القاضى عياض فى المدارك عبارة مشابهة لتلك، وهى: قال سليمان ابن سالم: أخذ سحنون بمذهب أهل المدينة فى كل شىء حتى فى العيش. (جـ ١ ص ١٢٠ – ١).

(٥) سورة «المؤمنون»، الآية ٥١.

(٦) فى الاصل: من ذلك المال. وقد وردت هذه العبارة فى «ترتيب المدارك» للقاضى عياض هكذا: «... فذلك أولى به من مسألة الناس» جـ ١ ص ١٢٠ – ١

وهو مسألة الناس ؛ وإن كان مستغنياً عن الزوجة فتركها أحب إلىّ ، وأكل أموال الناس بالمسكنة والصدقة خير من أكلها بالعلم والقرآن إذا احتاج إلى ذلك » .

[حدث] سليمان بن سالم ، قال : رأيت لسحنون ، رحمه الله تعالى ، ساجاً كحلياً و[ساجاً] (١) أزرق وقلنسوة حبر . وكان يركب بلجام حديد ليس فيه من الفضة شئ . وكان له برنس أسود كثيراً ما يلبسه فى المطر والبرد والريح ، وربما قعد للسماع وهو عليه ، وربما حمل حزم البصل من حانوت جامع العطار وغير ذلك إلى داره تواضعاً لله عز وجل .

[ذكر] فرات بن محمد العبدى ، قال : كنت عند سحنون عشية فجاءه حسان فقال له سحنون : « اجلس [وأسمعنا] « يا عاشق الحور » لابن المبارك (٢) ولا تطرّب » ، فابتدأ فى القصيدة فكلما أراد أن يطرب بها يقول له سحنون : « هيه ! اسكت عن التطريب » ، حتى انتهى إلى قول هذا البيت :

لمن رآك قتيلا بين أودية ... فى غربة قد سقيت المر والصبرا

فقال سحنون : « يرحم الله أبا عبد الرحمن ، كيف يكون غريباً من تبكى عليه السماء والأرض ؟ إنما الغريب الذى [فيه] قال الله عز وجل : (فما بكت عليهم السماء والأرض) » (٣) .

---

(١) التكملة بين الحاصرتين من « المدارك » (ج ١ ص ١٢٠ـ١) والعبارة هناك أوفى ، ونصها كما يلى : « قال سليمان بن سالم : رأيت لسحنون ساجا كحليا وساجا أزرق ورداء وقلنسوة حبر ، وقلنسوة زرقاء وشيا وقلنسوة تشبه الأغلبى ، وإذا قعد للسماع لبس الرداء وقلنسوة الأغلبى ، واذا شهد الجمعة لبس الساج وقلنسوة الحبر ، واذا حضر جنازة لبس الساج الأزرق والقلنسوة الزرقاء ، هذا كان أكثر فعله » .

(٢) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزى المحدث الزاهد الفقيه الذى عاش بين سنتى ٢١٨ ، ٢٨١ أو ٢٨٢ هـ . وقد ولد بمرو وتوفى ببغداد ، وله شعر صوفى معروف ذكر ابن خلكان منه طرفا . انظر : « وفيات الأعيان » (طبعة بولاق ١٢٧٥ هـ) ج ١ ص ٣٥٠ ـ ٣٥١ و « حلية الأولياء وطبقات الأصفياء » للحافظ أبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى (طبعة مكتبة الخانجى ومطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٣٨ ج ٨ ، ص ١٦٢ ـ ١٩٠) .

(٣) سورة الدخان ، الآية ٢٩ .

[ذكر] عبد الجبار بن خالد السُّرتى ، قال : كنا نسمع على سحنون فى بيت قبلته ، فدخل يوماً فجلس مجتنباً ، فطوى الكتاب وجعله بين عينيــه وعليه كآبة وحزن ، فما جسر أحد منا [على أن] يسـأله ، حتى دخلت الشمس البيت ؛ فقرع الباب ، فقيل : « من ؟ » فقال [الطارق] : « غلامك فلان فى منزل صقلاب » ؛ فدخل الغلام ، فقال له سحنون : « ما وراءك ؟ » فقال : « هلك الزوج الفلانى ، وماتت الخادم الفلانية ، وقطع لك البين — يعنى الريح — نحو خمسين ومائة شجرة » ، فتهلل وجهه وظهر سروره ورفع الكتاب الذى يقرؤه ، ولما فرغ من القراءة قلنا له : « أصلحك الله ، دخلت علينـا وعليك كآبة وحزن ، فلما جاء هذا الغلام وحكى لك مصائب وهموماً استبشرت وظهر عليك سرور ! » فقال : « أصبحت وأنا مفكر فى نفسى أنى لم أصب بمصيبة فى جسم ولا ولد ولا مال ، فقلت : « ما أرى الله تعالى ذكرنى ، ولا لى عنده جاه ! » فلما جاء هذا الغلام وذكر ما ذكر عرفت أن الله تعالى قد ذكرنى وأنه يخلف ما ذهب » .

قال [ ][1] : « مات لولده ولد يكنى أبا بكر ، فلما تقدم (ص ٨١) ليصلى عليه سكت فأطال السكوت ، فقال له أحمد بن لبدة : « إنك لم تكبر » فكبر ، فلما فرغ من الصلاة قال له ابن لبدة : « يا عمى ، ما بالك ؟ » فقال له : « إنى لمـا نظرت إلى قامته على النعش راعنى أمره ، فظننت أنى كبّرت حتى أنبهتنى » ثم قال : « لئن وفى جدك ثوابك يا أبا بكر فما أحسن حاله » . وكان إذا بلغه موت أحد ممن سمع عليه يبكيه ذلك ويحزنه جداً . قال ابن الحداد : « وكان إذا قرئ عليه « مغازى ابن وهب » تسيل دموعه » . قال سليمان بن سالم : « وكانت إذا قرئت عليه « مغازى الجهاد لابن وهب » أو « كتاب الزهد » بكى حتى تسيل دموعه على لحيته » .

قال أبو بكر بن اللباد : « حُدثت أن رجلا من أهل الأندلس يقال له « إبراهيم بن لبيب » كان يسمع من سحنون ، فأراد أن يعلم حزبه وصلاته بالليل . قال إبراهيم : فأتيته فقلت : « إنى أريد أن أسـافر ، وعندى غلام معه نعمتى ولا تطمئن نفسى أن يكون إلا عنـدك ، فأحب أن تبيح له أن يبيت معك فى البيت الذى تبيت فيـه ، قال : فأجابه إلى ذلك . فقـال إبراهيم للغلام : « لا يكون لك عمل فى النهار إلا النوم والسهر فى الليل ، حتى ترى صلاة سحنون

---

(١) بياض بالأصل .

فى الليل » . فأقام ثلاث ليال مع سحنون فى البيت ، ثم رجع إلى مولاه ، فسأله عما عاين من سحنون، فقال له: «كان يصلى العشاء الآخرة ثم يوتر ثم ينام فما يقوم إلا لصلاة الصبح ، فيركع ركعتى الفجر ثم يصلى الصبح » . فمضى إبراهيم بن لبيب إلى سحنون فقال: « أصلحك الله، إنك إمامى، وقد أخذت عنك دينى، وقد أردت أن أعلم حزبك فى الليل » فقال له: « وما دعاك إلى هذا يا إبراهيم ؟» . فقال: « أردت أن أعلم ذلك » فقال له سحنون: « قليل من العمل مع الورع كثير» . هذا ويمكن(1) أن يكون عرض لسحنون فى هذه الليالى ما منعه من قيام الليل ، فقد وردت عنه أخبار فى قيام الليل صحيحة مما يدل على كثرة تهجده وملازمته لقيام الليل » .

[ذكر] يحيى بن عون، قال: « دخلت مع سحنون على ابن القصار وهو مريض، وكان من أصحابه ، وأصابه فى علته قلق، فقال له: « يا ابن القصار، ما هذا القلق الذى أنت فيه ؟ » قال : « الموت والقدوم على الله عز وجل » فقال له سحنون: « ألست مصدقاً بالرسل أولهم وآخرهم والبعث والحساب والجنة والنار؟ وأن أفضل هذه الأمة — بعد نبيها صلى الله عليه وسلم — أبو بكر ثم عمر؟ و[أن] القرآن كلام الله غير مخلوق ؟ وأن الله تعالى يرى يوم القيامة ؟ وأنه (على العرش استوى) ؟ ولا تخرج على الأئمة بالسيف وإن جاروا ؟ » قال: « إى والله الذى لا إلـه إلا هو» . فضرب سحنون بيده على ضبعيه وقال له: « مت إذا شئت، مت إذا شئت »، ثم خرج عنه » .

حدث فرات بن محمد العبدى، قال: حدثت عن سحنون أنه قال لابنه محمد: « يا بنى ، سلم على الناس ، فإن السلام عليهم يزرع المودة فى قلوبهم ، وسلم على عدوك، فإن رأس الإيمـان بالله مداراة الناس » . وكان سحنون يقول: « ليست الأمور تصاحب من لم ينظر لها فى العواقب » .

وحدث أبو محمد بن معاوية ، قال : حضرت سحنوناً ، وكان ينهى الطلبة عن الجلوس فى موضع الطريق لخروج أهل الدار إلى حوائجهم ، فجلست يوماً فى الطريق لضيق الموضع ، فجاءه حِمل طعام من البادية ، فنظر إلىّ وقال لى : « قم من الطريق » . فلم أقدر أن أقوم، فقال: « قد جاءنا رزق، فمن أين يدخل إلينا إذا قعدتم لنا فى الطريق ؟ » . ثم تخطانى وجاز، ثم نظر إلينا ثم قال: « قد نهيتكم غير مرة [عن] أن تقعدوا فى الطريق »، وضاق علينا وقال: « إنما غايتكم أن أحتاج

---

(1) فى الأصل : وهذا يمكن .

إلى هؤلاء ! » — وأومأ إلى السلطان — « فإذا أخذنا منهم فما تصنعون بكتبكم هذه ؟ ارموها فى ذلك الماء » وأشار إلى ماء بين يديه . فلما كان من الغد خرج علينا وعلى يده الكتب للسماع ، فلما قعد فى موضع أخذ الكتاب ليقرأ، فلما قرأ « بسم الله الرحمن الرحيم » وضع الكتاب من يده ثم تبسم قليلا ثم قال : « كبرنا وساءت أخلاقنا ! ويعلم الله ما أصيح عليكم إلا لأؤدبكم ، وما أريد بكم — يعلم الله — مكروهاً ، ألا إنا ابتلينا عند الكبر و[نحن] أحوج ما كنا إلى أنفسنا » — كأنه يريد أن يعتذر بما ابتلى به من أمر القضاء — « وما أريد إلا لترعوا وتفقهوا وتعملوا بما سمعتم » .

قال عيسى بن مسكين : وأتى قوم من الأندلسيين قد كتبوا « المدونة » وأرادوا أن يسمعوها من سحنون ، فقال لهم : « إنى مشغول » فقال له شاب منهم : « إنا قد كتبناها فما نصنع بها ؟ لئن لم تسمعناها لنطرحنها فى هذا الغدير! » [وأشار] لغدير ماء بين يديه ، فتغير سحنون وعض بنانه من الغيظ ثم قام فمضى إلى أزواجه وهى تحرث ، ثم رجع إليهم فقال : « إنى لو احتجت إليكم فى مثل هذه — ورفع شيئاً من الأرض — ما سوى علمى عندكم شيئاً » ، ثم أسمعهم .

وقال سليمان بن سالم : كنت قاعداً عند سحنون حتى أتاه رجل يقال له حسان بن شاكر ، فسلم عليه ثم قال [سحنون] : « أين غبت يا حسان ؟ » فقال : « فى البادية ، أصلحك الله » فقال له : « إن الله تعالى نبياً من البادية » . ثم قال : « ما حال مسجدكم ؟ » فقال له : « كما تعرف البادية » فقال له سحنون : « وإنى لأظنه تفتل به الحبال » فقال له : « نعم ، فما أصنع بهم ؟ » فتبسم سحنون ثم قال : « يا شيخ ، ابن سبعين سنة ولا تعرف ما تصنع بهم ؟ أنا أخبرك ما تصنع بهم : تأخذ الحبل من يده فتثنيه على أربعة وتضرب به رأسه وتخرجه من المسجد ، فإن المساجد لم تبن لفتل الحبال » ، ثم قال له : « ما حال زرعكم ؟ » فقال له : « جيد ، أصلحك الله ، وأرجو أن تكون سنة مباركة » . فقال سحنون : « آمين ، جعلها الله سنة مباركة ! » وكرر ذلك ثلاثاً . ثم قال : « يا حسان ، تدرى ما السنة المباركة؟ السنة التى يسلم فيها للناس دينهم وإن كان نيلهم من الدنيا قليلا ، والسنة التى لا يسلم للناس فيها دينهم ، وإن كان نيلهم من الدنيا كثيراً ، فتلك سنة مشؤومة عليهم » .

حدث الشيخ أبو الحسن علىّ بن محمد (ص٨٢) بن خلف الفقيه القابسى ، رضى الله تعالى عنه ، قال : أتى رجل إلى سحنون ، رضى الله تعالى عنه ، فجلس

حتى [إذا] انصرف الناس وخلا المجلس أخذ فى البكاء ، فسأله سحنون وألح عليه فيما أوجب ذلك ، فذكر له أنه رأى ما استعظمه ، فلم يزل به حتى شرح له ذلك ، فذكر له أنه رأى كأن القيامة قد قامت وأن الناس قد حشروا ، [ثم] قال لسحنون : « وأتى بك ، [وأنا] أعرفك فى منامى كما أعرفك فى يقظتى » ، ثم وصف له أنه فعل به من الأغلال والسرابيل وأصناف الأنكال أمر عظيم ، وأنه أمر به فألقى فى النار . قال الرائى لذلك : « فانتبهت مذعوراً » فزعموا أن سحنوناً صبّره وسكّنه وأرسل فى طلب رؤساء كنيسة النصارى ، فأتى إليه باثنين منهم ، فجلسا ، ثم سألهما سحنون فقال لهما : « هل مات لكم فى هذا الوقت أحد تعظمونه ؟ » قالا : « بلى » ووصفا من حال ميتهم شيئاً كثيراً ، فقال لهما سحنون : « هل من شأنكم أن تروا فى منامكم لميتكم شيئاً ؟ » قالا : « بلى » قال : « فهل رأيتما لهذا الميت الذى وصفتما شيئاً ؟ » فقالا : « نعم ، جاءت فيه رؤى كثيرة » ، ووصفا فيه من الخير والترفيع له أمراً كبيراً ، فقال : « انصرفا » . ثم قال للرجل : « كيف ترى ؟ هل تشك فى هؤلاء ومن مات منهم أنه من أهل النار ؟ » فقال الرجل : « لا » ، فقال له سحنون : « فاعلم أن الشيطان يأتى المؤمن بما يثبطه وينفره عن الخير ويمقّته إليه ويمقت إليه أهله ، ويأتى إلى الكافر بما يغبطه إليه فى حاله (١) ويثبته على أمره . وإنما رآك تكثر الاختلاف إلينا والائتمام بنا ، فأراد أن يخذلك و[يقعدك] » .

وسأل أشهب عن سحنون فقال : « ما لى لا أسمع له ذكراً فى بلدكم ؟ » فقيل له : « إنه رجل قليل ذات اليد ، وإنما لزومه البادية أكثر أيامه » فقال أشهب : « الحمد لله ، لقد ظننت أنه زل زلة سقط بها عند أهل بلده ، فأما إذ كان هكذا فلا يضره شىء » .

حدث أبو موسى عيسى بن مسكين ، قال : قدم سحنون إلى « منزلة بنى هنغلات » ، فصلى العتمة فى المسجد ، قال : فجعل أهل القرية يسألونه عن أخبار القيروان حتى مضى حين من الليل ، فقال سحنون لغلام له : « اذهب إلى البيت فافرش لى » فلم يجد فيه شيئاً يفرشه ، فجاء سحنوناً فقال له : « أفرشت لى ؟ » فقال الغلام : « لم أصب ما أفرش لك » فأخذ سحنون بردعة الحمار ففرشها وجعل السبد عند رأسه وقال للغلام : « هكذا كنت تفعل » .

---

(١) كذا فى الأصل ، والأسلوب هنا ركيك جدا .

قال سليمان بن سالم : وسمعت سحنوناً يقول : « اشترى لى شئ بخروبة ونصف ، فتغديت به أمس وتعشيت منه البارحة وتغديت منه اليوم قبل أن أخرج إليكم ، وبقى لى ما أتعشى به » . قال سليمان بن سالم : ولم يسألوه ما هو. قال : وكنا عنده يوماً ومعنا رجل يقال له خلف بن جبير ، والقارئ يقرأ ، فنعس خلف هذا حتى قرأ القارئ ما شاء الله من ذلك ، ثم انتبه فاختلفنا فى سماعه ، فسألنا سحنوناً فقال : « إذا جاء السماع وله قصده فهو يجزى » .

وذكر أبو حفص القصطلانى عن الجزرى ، قال : بينا أنا جالس فى مجلس سحنون إذ أتاه رجل فسأله عن مسألتين أو ثلاث ثم قال له : « ما اليوم ، وما غداً وما بعد غد ؟ » فقال له سحنون مجيباً « اليوم عمل ، وغداً الحساب ، وبعد غد الجزاء » (١). قال الجزرى : فلما ولى السائل قمت فى طلبه فتبعته إلى « باب سلم » وأنا فى طلبه حتى دخل المقبرة ، فلما خفت أن يفوتنى قلت له : بالله قف لى يا رجل ، فوقف وقال لى : ما تريد منى ؟ أنا رجل من الجان ، جئت أغشى مجلس أبى سعيد أسأله عن مسائل فأحرمتنى السؤال . ثم غاب عنى وهو يتشبه برجل بهى من الرجال أكحل العينين . قال الجزرى : فحضرنى الخروج إلى الحج فخرجت ، فبينا أنا فى الطواف إذ جذبنى رجل بثوبى من ورائى ، فإذا بالجنى فسلم علىّ فرددت عليه السلام ، وأخبرنى خبر من خلفت من أهلى وضيعتى ثم قال : « إن الطلبة رأتهم مختلفين إلى رجل فى حلى (٢) البيت ومعهم كتبهم ومحابرهم » . فمضيت إلى الرجل معه ، فلما أشرفنا على الجماعة جبذ يدى وقد تغير لونه وقال : « هذا إبليس ، والله لو رآنى لقتلنى » . فقلت له : « فما العمل ؟ » فقال لى : « ارجع إليه فالكمه [على] الرأس وقل له : يا لعين يا ملعون ، ايش أتى بك ها هنا؟» ففعلت ذلك ، فاضمحل حتى صار مثل الدخان . فالتفت إلى الطلبة فقلت : «أين الذى كنتم تسمعون منه ؟ هل ترون أحداً ؟ » ثم أخبرتهم بالقصة ، فعجبوا من ذلك وحرقوا الكتب التى سمعوها منه . ومما يسند هذه الحكاية ما رواه مسلم

---

(١) روى القاضى عياض هذا الجزء عن المالكى مع خلاف يسير فقال : « وما غد » و « اليوم عمل وغد حساب وما بعد غد جزاء » ج ١ ص ١٢٦ ـ ١ .

(٢) كذا فى الأصل .

ابن الحجاج فى صحيحه عن أبي عبد الله الأشج، قال: حدثنى وكيع عن الأعمش عن المسيب بن رافع عن عامر بن عبدة، قال: قال عبد الله — يعنى ابن مسعود —: « إن الشيطان ليتمثل فى صورة الرجل فيأتى القوم فيحدثهم الحديث من الكذب، فيتفرقون عنه فيقول الرجل منهم: سمعت رجلا أعرف وجهه ولا أدرى مَن ».

دخل إسحاق بن إبراهيم بن عبدوس عند سحنون — وكان أبوه قد شكاه إلى سحنون — فقال له سحنون: « تعال يا ولدى فاسمعه ». قال: فلما أتاه وعاتبه بكى سحنون وقال له: « يا ابنى أنت مثل ولدى، فاجعلنى فى حل »، فقال له إسحاق: « قد فعلت، أصلحك الله ».

قال سليمان: وسمعته يقول فى الطلبة: « ما أريد منهم إلا لعل الله ينفعنى منهم بواحد ». قال: وسمعته يقول: « كادت تفوتنى كتب ابن وهب، وبالله ما تُشرى بكتاب منها الدنيا وما فيها، وما عميت عن مسألة قط إلا وجدت (ص ٨٣) فرجها فى كتاب ابن وهب ». قال: وسمعته يقول فى كتاب ابن القاسم: « كذا وهذه،[1] فقلما رأيت أحداً أخذها إلا ونفعه الله تعالى بها، وذلك أن صاحبها كان يريد الله عز وجل ». قال وسمعته يقول: « مَن صحت كتبه صحت روايته، ومن سقم كتابه سقمت روايته ». قال وسمعته يقول فى « كتاب الصمت » من « جامع ابن وهب »: « هذا الكتاب يورثه الرجل ولده خير من أن يورثه الدنيا بجميع ما فيها ». قال سليمان [بن سالم]: وكنت قاعداً قدام سحنون وهو يقرأ « كتاب الترغيب » من « جامع ابن وهب » فرددت عليه حديثاً هو فى كتابى ولم يكن فى كتابه، فقال لى: « اقرأ الحديث »، فلما قرأته أنكر الحديث وصاح علىّ وقال: « من أين دخل هذا الحديث فى كتابك؟ » فأمسكت ولم أرد عليه، فكلمه محمد ولده وقال: « أصلحك الله، الكتب تختلف »، فقال لى: « اطرح الحديث من كتابك »، فخططت عليه بالقلم وهو ينظر، فقال لى: « زد خطاً عليه »، فطلسته كله. فلما كان بعد ذلك خرج، فقعد، فنظرت فى وجهه زبل حمام فقلت له: « ايش هو؟ » فقال: « ما هو؟ » فقلت: « زبل حمام، أصلحك الله » فقال: « قد آذونا بالحمام، وقلت لهم ينحونه عنا فأبوا ». ثم قال: « إذا رأيت الطالب يصاح عليه وينهر فلا يبرح من مكانه

(١) كذا فى الأصل. وهو يريد أن يقول: وكذلك هذه.

فارجه، وإذا رأيته إذا صيح عليه تنحى من مكانه ويقعد بعيداً ثم لا يرجع، فليس يفلح ». فقال أصحابنا الطلبة: « قد أعتبك ». وحدث بعض أصحابنا، قال: « رأيت فيما يرى النائم كأن سحنوناً يبنى الكعبة »، قال: « فغدوت إليه فوجدته يقرأ للناس « كتاب المناسك فى الحج » الذى اختصره. ووجدت أبا عبد الله محمد ابن المبارك بن الزيات صاحب مظالم ابن طالب، قال: كان يألفنى رجل طرابلسى، دون أصحابنا أيام سماعنا من سحنون، فرأيت معه كتباً قد محيت وكتب فيها قول أهل المدينة. قال: فكان يسمع معنا فيها. قال: فقلت له: ما قصة هذه الكتب؟ قال: إنى كنت أسمع قول أهل العراق، فرأيت فى منامى كأنى واقف فى وسط غدير وقد أصابنى عطش شديد بلغ منى، فإذا شربت من الماء شربت دماً، ثم أملأ ركوتى بالماء فإذا شربت منها شربت دماً فأمجه من فمى، ثم التفت إلى رجل كان منى على القرب فقلت له: اسقنى الماء فإن العطش قد بلغ منى، فقال: أنت فى الماء وتطلب من يسقيك؟ فقلت له: إنى إذا شربته صار فى فمى دماً، فقال لى: اذهب إلى الشيخ فهو يسقيك، قال: فمضيت إليه فأصبت الشيخ قاعداً ووجهه إلى القبلة، فقلت له: لعل معك ماء فتسقينى، فقال لى: أنت فى الماء وتطلب من يسقيك؟ فقلت له: إنى إذا شربته صار دماً فى فمى، وجعلت أريه ذلك، فقال لى: هلم الإداوة التى معك فى يدك، فناولته الإداوة فصب لى فيها ماء فشربته فرويت. فلما أصبحت ذهبت أسأل عن تأويل رؤياى فقيل: تطلب علماً لا تنتفع به وسيبدلك الله تعالى به علماً خيراً منه. فقلت فى نفسى: ما هو إلا قول أهل العراق! فتركته وطلبت قول أهل المدينة من كل طريق ». قال: « فرحلت إليكم، فلم يكن لى هم إلا السؤال عن الرؤيا، فدلونى على أبى زكريا الحفرى. فمضيت إليه فسألته عن رؤياى، فقال لى مثل قول الاطرابلسى. واختلفت إلى عون حيناً، فقال لى رجل: « ممن تسمع؟ » فقلت: « من عون »، فقال: « تدع سحنوناً وتسمع من عون؟ » فقلت له: « فأين موضعه؟ » فقال لى: « بالقرب من مسجد عون » فقلت له: « إنه يمر بنا قوم معهم المحابر والدفاتر » فقال: « إلى سحنون يمرون »، قال: « فتبعتهم، فأول ما رأيت سحنوناً ». وزاد أبو القاسم: (١) « رأيت الرجل الذى سقانى الماء فى نومى » (٢).

---

(١) فى الأصل ازاء هذا السطر هامش: زيادة الى هنا.

(٢) الى هنا تنتهى سيرة سحنون فى نسخة « الرياض » التى بين=

[ص ١٢٠ ا] ذكر ولايته القضاء : ولى سحنون قضاء إفريقية سنة أربع وثلاثين ومائتين وسنه إذ ذاك أربع وسبعون سنة، فلم يزل قاضياً إلى أن مات. قال أبو العرب: لما عزل ابن أبي الجواد، قال سحنون: «اللهم ولّ هذه الأمة خيرها وأعدلها». فكان هو الذى ولى بعده. وذكر «عريب الكاتب»(١) فى «تاريخه»: «أن سحنوناً مر يوماً بابن أبي الجواد، فرأى منه ظلماً، فقال: اللهم لا تمتني حتى أراه بين يدي قاض عدل يحكم فيه بالحق»، فعزل وولى سحنون، فامتحنه، فقال: أجيبت دعوته.

ولما أراد محمد بن الأغلب أن يولى سحنوناً [جمع الفقهاء للمشورة](٢). فأشار سحنون بسليمان بن عمران، وأشاروا وأشار سليمان بسحنون، وأشار غيرهم بسليمان. فأدخلوا فرادى، فقالوا كقولهم الأول، وذلك أن أكثر الفقهاء إذ ذاك

= يدينا، وظاهر بوضوح أنها مبتورة، إذ تنقصها فقرات كبيرة هامة عن: قضاء سحنون، وعلاقاته بالأغالبة، وموقفه من مسألة خلق القرآن، ومحنته، وما الى ذلك.

وعندما قارنت رواية النسخة التى بين يدى بروايات المراجع الأخرى التى أستعين بها، مثل «طبقات» أبى العرب، و «معالم الايمان» للدباغ وتعليقات ابن ناجى عليها، و «ترتيب المدارك» للقاضى عياض، لاحظت أن الدباغ والقاضى عياضا يرويان بعض الأخبار المتصلة بهذه المواضيع وينسبانها الى المالكى، مما يدل على أن «كتاب الرياض» كما الفه المالكى كان يضم هذه الفصول، وقد أغفلها الناسخ أو أسقطها.

لهذا رأيت أن أستدرك هذا النقص، فأخذت من «ترتيب المدارك» الفصول الناقصة حتى تكمل السيرة. ويلاحظ ان عياضا أخذ هذه الأخبار عن نفس الرواة الذين يسند المالكى اليهم أخباره فى هذا الصدد وقد حصرت الجزء المضاف كله بين حاصرتين، ورقمته بأرقام صفحات مخطوطة «المدارك» التى أعتمد عليها (انظر قائمة المراجع) وجعلت هذه الأرقام بين أقواس كما هو الحال فى ترقيم صفحات مخطوط «الرياض»

(١) فى الأصل: غريب الكاتب، وفى «المعالم» (ج ٢ ص ٥٤) «عريف الكاتب»؛ وصحتها عريب. وهو عريب بن سعد القرطبى الكاتب صاحب «صلة تاريخ الطبرى»

(٢) التكملة من «المعالم» (ج ٢ ص ٥٤)، وقد أورد ابن ناجى هذه العبارة كلها بنصها.

كانوا على رأى الكوفيين ، وكان سليمان يرى رأيهم ، فقال سليمان : « ما ظننت أنه يشاورنى [فى] (١) سحنون . حججت ، فرأيت أهل مصر يتمنون كونه بين أظهرهم ، وما يستحق أحد القضاء وسحنون حى » .

وبعث ابن الأغلب [١٢٠ ب] ابنَ قادم إلى سحنون يقول له : « إنى أريد أن أستكفيك قضاء رعيتى ، فاعْلَمْهُ » فقال : « أصلح الله الأمير ! لا أقوى عليه ، أدلك على من هو أقوى : سليمان بن عمران » .

قال محمد بن سحنون : ولى سحنون القضاء بعد أن أُدير عليه حولا وأُغلظ عليه أشد الغلظة ، وحلف عليه محمد بن الأغلب بأشد الأيمان . فولى يوم الاثنين الثالث من رمضان سنة أربع وثلاثين ومائتين . فأقام أياماً ينظر فى القضاء يلتمس أعواناً ، ثم قعد للناس يوم الأحد بعده فى المسجد الجامع بعد أن ركع ودعا بدعاء كثير . وقال سحنون : « لم أكن أرى قبول هذا الأمر حتى كان من الأمير ضمينان (٢) : أحدهما [أنه] أعطانى كل ما طلبت وأطلق يدى فى كل مارغبت ، حتى إنى قلت له : « أبدأ بأهل بيتك وقرابتك وأعوانهم ، فإنّ قبلهم ظلامات (٣) للناس وأموالا لهم منذ زمان طويل ، إذ لم يجترئ عليهم من كان قبلى » ، فقال لى : « نعم ، لا تبدأ إلا بهم ، وأجر الحق على مفرق رأسى » فقلت له : « الله ! » قال لى : « الله ! » ثلاثاً . وجاءنى من عزمه مع هذا مايخاف المرء [منه] على نفسه ، وفكرت فلم أجد (٤) أحداً يستحق هذا الأمر ، ولم أجد لنفسى سعة فى رده » . قال سليمان بن سالم : « لما تمت ولاية سحنون تلقاه الناس فرأيته راكباً على دابة ما عليه كسوة ولا قلنسوة ، والكآبة فى وجهه ما يتجرأ أحد أن يهنيه . فسار حتى دخل على ابنته خديجة ، وكانت من خيار النساء ، فقال لها : « اليوم ذبح أبوك بغير سكين » ، فعلم الناس قبوله للقضاء . ولما ولى جاءه عون بن يوسف ، فقال له : « نهنيك أو نعزيك ؟ » ثم سكت ، ثم قال : « بلغنى أن من أتاها من غير مسألة أعين عليها ، ومن أتاها عن مسألة لم يُعَن

---

(١) التكملة من « المعالم » ج ٢ ص ٥٤ .

(٢) هذا اللفظ عسير القراءة فى الأصل ، ويراد به هنا : ضمانان .

(٣) فى الأصل : ظلمات ، والتصحيح من « المعالم » ج ٢ ص ٥٣ .

(٤) فى الأصل : يجد

عليها » فقال له سحنون : « من ولته الشفاعة عزلته الشفاعة ، ومن ولته الشفاعة حكم بالشفاعة » فقال له رجل من الأندلس : « إنا لله وإنا إليـه راجعون ، وددنا أنا رأيناك اليوم على أعواد نعشك ، ولم نرك (١) فى هذا المجلس قاعداً » .
وكتب عبد الرحيم الزاهد إلى سحنون لما ولى القضاء : « أما بعد، فإنى عهدتك وشأن نفسك عليك مهم ، تعلّم الخير وتؤدب عليه ، وأصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة تؤدبهم على دنياهم ، يذل الشريف بين يديك والوضيع ، قد اشترك فيك العدو والصديق ، ولكل حظه من العدل ، فأى حالتيك أفضل : الحالة الأولى أم الثانية ؟ والسلام » . فكتب إليه سحنون : « أما بعد ، فإنى جاءنى كتابك وفهمت ما ذكرت فيه ، وإنى أجيبك : لا حول ولا قوة فى شئ من الأمور إلا بالله تعالى ، عليه توكلت وإليه أنيب . فأما [ما] كتبت [من] أنك عهدتنى وشأن نفسى علىّ مهم ، أعلّم الخير وأؤدب عليه ، وأصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة أؤدبهم على دنياهم ، فلعمرى (٢) إن من لم تصلح له دنياه فسدت له أخراه ، وفى صلاح الدنيا ، إذا صح المطعم والمشرب ، صلاح الآخرة . فكلا الأمرين متصل بالآخر : أؤدبهم فى معاشهم وأدفع ظالمهم عن مظلومهم ، وَأَخْذُهم الأمورَ من وجوهها أدبٌ لآخرتهم ، لأن بصلاح دنياهم تصلح لهم آخرتهم ، وبفساد الدنيا تفسد الآخرة . حدثنى ابن وهب ، ورفع سنده إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : نعم المطية الدنيا ، فارتحلوها فإنها تبلغكم الآخرة ، ولن تبلِّغ الدنيا الآخرةَ من عمل فى الدنيا بغير الواجب من حق الله . وأما قولك : [إنى] وليت أمر هذه الأمة ، فإنى ، ولم أزل ، مبتلى ينفذ قولى منذ أربعين سنة فى أشعار المسلمين وأبشارهم . حدثنى ابن وهب أن عبيد الله بن أبى جعفر قال : « لن تزالوا بخير ما تعلمتم ، فإذا احتيج إليكم فانظروا كيف تكونون » . قال ابن أبى جعفر : « فرأيت فى المنام (٣) : إنما المفتى قاض ، يجوز قوله فى أبشار المسلمين وأحوالهم » [ومع ذلك فإنى [ص١٢١ ا] قد ابتليت ، فقُـدِّمت جبراً] ، (٤) فعليك بالدعاء [لى] (٥) . والسلام » .

---

(١) فى الأصل : يرك . (٢) فى الأصل : ولعمرى .
(٣) ظاهر أن الناسخ أسقط هنا شيئا ، ويستقيم السياق اذا جعلنا العبارة كما يلى : قال ابن أبى جعفر : « [غفت عينى مرة] فرأيت فى المنام [النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال لى :] « انما المفتى قاض ... الخ »
(٤و٥) التكملة من « المعالم » ج ٢ ص ٥٥ .

قال ابن أبي جعفر سليمان بن عمران: « لما ولي سحنون قال لي : « إذا ولي القاضي السُّقيا (١) (كذا) (٢) فكيف يكتب كذا ؟ » فكتبت له ذلك » .

وكان سليمان يكتب لسحنون في قضائه، إلى أن ولاه بجاية وباجة والأُربُس، فلما مات سحنون ولي سليمان مكانه . قال سليمان: قال لي سحنون: « ابتليتني، فوالله لأبتلينك » ، فولاني القضاء ، وقال : « عليك يا أبا الربيع بالحجازية ! » فقلت : « القاضي مُفْتٍ ، فما كنت أفتي به فبه أقضي » فسكت عني .

وكان سليمان عراقي المذهب ، فلما وَلّى سحنونُ سليمانَ القضـــاء دخل عليه من الغد ، فقال له سحنون : « عزمتَ يا أبا الربيع ؟ » فقال له : « إن قلت : لا كذبتك ، أنا أريد ! » فقال سحنون لمن عنده : « انظروا ، إن كان دَخَلَه رياء لأظهر تمنعاً (٣) ، مثلك يا أبا الربيع يكون ناظراً للمسلمين » .

قال جبلة (٤) : « كان سحنون لا يأخذ لنفسه رزقاً ولا صلة من السلطان في قضائه كله ، ويأخذ لأعوانه وكتابه وقضاته من جزية أهل الكتاب » .

قال ابن سحنون : وسمعته يقول للأمير : « والله لو أعطيتني ما في بيت مالك — أو قال له : — لو ملأت مجلسك هذا إلى السَّقف دراهم أو دنانير ما سألني الله أن أقبل من ذلك ولا آخذ منك شيئاً » ، و[كان] يقول : « لو أخذته لجاز لي ، ولكنه تَذَرُّع » . وسمعتـــه يقول للأمير : « حبست أرزاق أعواني وهم أجراؤك ، وقد وفوك عملك ولا يحل لك ذلك » . وقال : « قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : اعط الأجير حقه قبل أن يجف عرقه » .

---

(١) وردت هذه الكلمة في الأصل هكذا : السقي .

(٢) كلمة «كذا» التي قبلها مكتوبة في الأصل فوق .

(٣) في الأصل : « ان كان دخله رياء وأظهر تمنعا » وظاهر أن المعنى لا يستقيم هكذا ، وأن السياق يتصل اذا جعلنا العبارة كما يلي : « ان كان دخله رياء [لكذب] وأظهـــر تمنعـــا » ، أو بإبدال واو العطف بلام جواب الشرط ، وقد آثرت الصورة الثانية كيلا أضيف الى النص كلمة .

(٤) هو أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمن بن سلمة الصدفي الفقيه الزاهد المتوفى في صفر سنة ٢٩٧ هـ . وكان من تلاميـــذ سحنون . راجع ترجمته في الجزء الثاني من كتابنا هذا (انظر الفهرس) وفي «المعالم» جـ ٢ ص ١٨٣ وما بعدها .

قال ابن مسكين : «كان سحنون قبل أن يلى أشرف منه بعد ما وَلِى . ولقد امتنع من النظر وجلس فى بيته مدة، حتى حضر جنازة فرأى منكراً فأمر بتغييره وانصرف فنظر بين الناس » .

قال ابن سحنون : « وكان سحنون يضرب الخصوم إذا آذى بعضهم بعضاً بكلام أو تعرض للشهود . و[كان] يقول : « إذا تُعُرض للشهود كيف يشهدون ؟ » . و[كان] يؤدب الخصوم إذا طعن على الشاهد بعيب أو تجريح أو يقول : « سل لى على البينة فإنهم [ ] [1] » حتى يسأله هو عن تجريحه ويقول للخصم : « أنا أعنى بذلك منك وهو علىّ دونك » . وكان إذا دخل عليه الشاهد ورعب منه أعرض عنه حتى يستأنس ويذهب روعه، فإن طال ذلك به هون عليه وقال له : « ليس معى سوط ولا عصا ولا عليك بأس ، أدّ ما علمتَ ودع ما لم تعلم » . قال جبلة : « كان سحنون يؤدب الناس على الأيمان التى لا تجوز — من الطلاق والعتق — حتى لا يحلفوا بغير الله ، ويؤدبهم على سوء الحال فى لباسهم وما نُهى عنه ، ويأمرهم بحسن السيرة والقصد » .

قال ابنه محمد : وتخاصم إليه رجلان صالحان ممن نظر فى العلم ، فأقامهما وأبى أن يسمع منهما وقال : « استرا عنى ما ستر الله عليكما » .

قال غير واحد : أول ما نظر سحنون فى الأسواق — وإنما كان ينظر فيها الولاة دون القضاة — فنظر فيما يصلح من المعاش وما يغش من السلع ، و[كان] يجعل الأمناء على ذلك ، ويؤدب على الغش ، وينفى من الأسواق من يستحق ذلك . وهو أول من نظر فى الحسبة من القضاة ، وأمر الناس بتغيير المنكر.

وكان أول قاض [2] فرق حلق أهل البدع من الجامع ، وشرد أهل الأهواء منه ، وكانوا فيه حلقاً من الصفرية والإباضية والمعتزلة ، وكانوا فيه حلقاً يتناظرون فيه ويظهرون زيغهم ، وعزلهم أن يكونوا أئمة للناس أو معلمين لصبيانهم أو مؤدبين ، وأمرهم ألا يجتمعوا . وأدب جماعة منهم بعد هذا خالفوا أمره وأطافهم ، وتوّب جماعة

(١) بياض فى الأصل بقدر أربع كلمات أو خمس .

(٢) فى الأصل : القضاة ، كما يرى فى السياق بعد ذلك ، وانما أصلحت هذه لتوضيح المراد من مثل هذا التعبير .

منهم ، فكان يقيم من أظهر التوبة منهم على البوادى [1] وغيرها [2] فيعلن بتوبته عن بدعته . وهو أول القضاة جعل فى الجامع إماماً يصلى بالناس ، وكان ذلك للأمراء . وأولهم جعل الودائع [١٢١ – ب] عند الأمناء ، وكانت قبلُ فى بيوت القضاة . وأول من قدم الأمناء فى البوادى فكان يكتب إليهم ، وكان من قبله يكتب إلى جماعة الصالحين منهم ، فأخذت القضاة بهذه السيرة بعده . وكان يجلس فى بيت فى الجامع بناه لنفسه ، إذ [3] رأى كثرة الناس وكثرة كلامهم : فكان لايحضر عنده غير الخصمين ومن يشهد بينهما فى دعواهما ، وسائر الناس بمعزل لايراهم ولا يسمع لغطهم ولا يشغل باله أمرهم ، فصار الجلوس فى ذلك البيت سنة لقضاة المالكية ، فإذا ولى عراقى هدمه ، وإذا ولى مدنى بناه وحكم فيه .

وكان سحنون يكتب للناس أسماءهم فى رقاع تجعل بين يديه ويدعو بهم واحداً واحداً ، إلا أن يأتى مضطر أو ملهوف . وكان يضرب بالدرة وما خف من الأدب فى الجامع ، فإذا [أقام] الحدود أخرجهم عن الجامع . وكان كثيراً ما يؤدب بلطم القفا . وقيد امرأة كانت تتهم بسوء ، حتى شُهد عنده أنها تابت . وضرب أخرى – كانت تتهم بالجمع بين الرجال والنساء – بالسوط فى قفنها ، [4] وبنى باب دارها ، ونقلها بين قوم صالحين . وجاءت إليه امرأة من القصر غاب عنها زوجها فأرادت أن تقطع بشرطها ، فأبى ثم قال لها : « إياك أن تشهدى أحداً من أهل القصر ، لا أقبل شهادتهم » . وكتب مراراً يأمر [5] بقتل الكلاب

---

(١) فى الاصل : البوا ، فحسب . وقد كتب الناسخ فوقها كلمة : كذا ، مما يدل على إنه لم يستطع قراءتها . ولكن كلمة « البوادى » وردت بعد ذلك فى معنى شبيه بذلك فاكملت اللفظ هنا على هذه الصورة قياسا . ويراد بالبوادى هنا : الأرياف أو النواحى .

(٢) فى الاصل : وغيره . وسياق العبارة مضطرب بعض الشىء .

(٣) فى الاصل : اذا ، والتصحيح من « المعالم » جـ ١ ص ٥٥

(٤) فى الاصل قفنة . وجاء فى لسان العرب: « وقالوا : القَفَن للقفا» ، وجاء فيه أيضا : « وقفَنَ الرجل يقفِنه قفْناً ضربه على رأسه بالعصا » – (جـ ١٧ ، ص ٢٢٦ – ٢٢٧) . أى أن المراد أنه ضربها بالسوط على قفاها ورأسها .

(٥) جاء فى الأصل بعد كلمة «يأمر» لفظ «فكتب» ، وهو زائد فحذفته .

وسيَّب وراءها الأعوان بالحراب . و[كان] يعطى الطابع لأهل الدعوى [1]، فإذا جاءه المستعدى بصاحبه أخذ منه الطابع لئلا يعبث الناس . و[كان] يضرب على اللدد [2] . قال عيسى بن مسكين : فحصل الناس بولايته على شريعة من الحق، ولم يل قضاء إفريقية مثله . قال سعيد بن إسحاق : كل من ولى قضاء إفريقية اكتسب ، إلا سحنون .

وكان سحنون أيام قضـــاء ابن أبى الجواد يقول : « إن أمره لآخر [3] ، ولكنى أخشى أن الوالى بعده لا يحسن أن يقتص منه » ، فكان هو الوالى بعده . وخاصم ابنَ أبى الجواد رجل بين يدى سحنون ، فحكم له على ابن أبى الجواد وحبسه وقال له : « إن لم تؤد ضربتك بالسوط » ، فقال : « ما عندى مال » ، فيقال إنه أخرجه وضربه فى جمعة بالسياط مائة سوط ، وقيل أكثر من ذلك ، حتى أسال دمه على كعبــه . فمر[فى] طريقه على صباغ فصب عليه قصرية فصار[ ] [4] وقال : « اقتلوا الزنديق » ، ورد إلى السجن فمات فيه . وقيل : كان سبب ضربه أنه شُهد عليه بقبض وديعة فأنكرها ، فضربه ثمـانية عشر سوطاً مجرداً فى السماط : يضربه سبعة بعد سبعة وهو متماد . وقيل إنها وُجدت بخطه فأنكر ، وشُهد على خطه فحبسه أياماً وضربه عشرة أسواط ، وكان يخرجه فى كل جمعة فيضربه عشرة كل جمعة ، إلى أن مرض . وقيل : بل فعل ذلك به لما كان عليه من البدعة . وكانت أسماء بنت أسد بن الفرات ، زوج ابن أبى الجواد ، قالت لسحنون : « أنا أهب هذا المال يقضيه عن نفسه » ، فلم يقبل ذلك سحنون وقال لها : « حتى يقول : أؤدى ما لزمنى » . وقيل : فعل ذلك سحنون لأن مالكاً لا يلزم قبول الهبة ، ولو قالت : « أنا أقضى عنه ما طُلب منه » ، لما رد ذلك سحنون . والله أعلم . فامتنع وأبى سحنون من قبول المال إلا بإقراره .

---

(١) فى الاصل : العدوى .

(٢) اللدد شدة الخصومة والانحراف والصمم عن الحق . (اللسان ، جـ ٤ ص ٢٩٦) .

(٣) فى الاصل : لاخر .

(٤) بياض بعد هذه الكلمة . وقد كتب الناسخ فوق كلمة « صار » لفظ « كذا » .

ذكر أخباره مع الملوك وثبوته على الحق : قال أبو العرب : وكان لا يهاب سلطاناً فى حق يقيمه عليه . ولما أكثر من رد الظلامات من رجال ابن الأغلب ، وأبى أن يقبل منهم الوكلاء على الخصومة إلا بأنفسهم ، وجه إليه الأمير — وقد شكوه إليه بأنه يغلظ عليهم — فأرسل إليه ابن الأغلب ، وقيل [إنه قال له :] « إنهم فيهم غلظة وقد شكوك ورأيت [ص١٢٢ — ا] معافاتك من شرهم فلا تنظر فى أمرهم » فقال سحنون للرسول : « ليس هذا الذى بينى وبينه » ، وقال له : «خذلتنى خذلك الله » ، فلما أنهى الرسول الرسالة إلى الأمير قال له : « ما نعمل به ؟ إنما أراد الله » .

قال ابن أبي سليمان (١) وغيره : إن المحتسبين لم يكونوا يعرفون بإفريقية ، حتى كان سحنون جالساً على باب داره إذ مر به حاتم الجزرى ومعه سبي من سبي تونس ، فقال سحنون لاصحابه : « قوموا فاتوا بهم » ، فذهبوا حتى خلصوهم من حاتم وأتوا بهم . وهرب حاتم على برذونه ، ومزق ثيابه ودخل على الأمير فشكا أمره . فأرسل الأمير إلى سحنون أن اردد إلى حاتم السبي ؛ فقال سحنون : « إنهم أحرار ولا سبي عليهم وقد أطلقتهم ! » فرد الأمير إلى سحنون : «لابد من ردهم !» فأبى سحنون وقال للرسول : « قل للأمير : جعل الله حاتماً شفيعك يوم القيامة ! » وأقسم عليه ليبلغن ذلك إلى الأمير ، ثم قال سحنون : « هذا الأسود » — يعنى حاتماً — « يمضى هكذا ؟ » ، وأمر بسجنه . فطرحت عمامته فى عنقه وحمل إلى الحبس . فلحقه معتب فقال : « يا حاتم ، لا تلق الشر بين الأمير والقاضى » ، وأعطاه معتب من عنده سبعة دنانير ، فتخلى حاتم عن السبي . وأخبر معتب سحنوناً بذلك ، فأمر بإطلاق حاتم من السجن .

وحكى ابن اللباد أن رجلين اختصما إلى سحنون ، حلف أحدهما بالطلاق [ ] (٢) ليستوفى حقه فى حائط بينهما [فأمر] سحنون بصفع قفاه ثم قال له : « تحلف بالطلاق ! » فأرسل إلى رجل يقال له عبد الله البناء فسأله : « هل من يعينه ؟ » فخرج فى الاستقصاء ، فقال : « نعم ، بالخاتم والشفرة » (٣) .

---

(١) هو أبو جعفر أحمد بن أبى سليمان داود الربعى الصواف ، من تلاميذ سحنون — انظر ترجمته فى « المعالم » ج ٢ ، ص ١٣٧ وما يليها .

(٢) بياض بالاصل . (٣) كذا فى الاصل .

قال ابن الحداد : كنت يوماً عند سحنون ، إذ جاءه رسول الأمير محمد ابن الأغلب ، يأمره برد النسوة على حاتم ، فإنهن [إماء] له ، قال سحنون : « وإن كن إماء فمثل حاتم لا يؤتمن على الفروج » فانصرف ، ثم رجع فقال : « يقول لك [الأمير] : لا تعبث ، ارددهن كما أمرتك » ، فقام سحنون على قدميه وقال : « إنما يعبث هو ! والله الذى لا إلـه إلا هو — ثلاثاً — والله لا أفعل حتى يفرق بين رأسى وجسدى ! » وجاء محمد ابنه وقال له : « لا تفعل يا أبت ، اكتب إليه ولاطفه » . فكتب إليه ، وابنه يقول : « دون ذا ! » حتى فرغ من طبع كتابه ، وبعث إليه ، فأخذه ابن الأغلب وضرب به الأرض ثم قال : « ما أدرى هو علينا أم نحن عليه ! » واسود وجهه ولم يدخل إليه أحد إلى بعد العصر ، فأذن لأصحابه بالدخول ، وقال لهم : « ما أظن هذا الرجل يريد بنا إلا خيراً ونحن لا نعلم . ارسلوا إليه يرسل إلينا المحتسبة لنكتب لهم السجلات حتى يذهبوا إلى أقصى عملى ليـأخذوا من يجدونه من الحرائر » ، فكان ذلك . ولم يرض سحنون حتى فض الكتب التى كُتِبت لهم وقرأها ورضيها . وكتب سحنون إلى أبى زكير البربرى أن يفتش الرفاق ، فاعترضها وكشف البراقع ، فمن زعمت أنها (١) من سبي تونس رفعها إلى سحنون ، فأطلق منهن عدة .

ولمـا ثار القويبع على محمد بن الأغلب قال بعض القواد : « اليوم يستمكن من سحنون ، إما [أن] يخسر دينه أو دنياه ! » فقالوا للأمير : « سحنون داعية مطاع ، فمره ينصرك على هذا الخارجى » فبعث فيه الأمير ، وأعلمه بالأمر واستشاره فى قتاله ، وأن يعلم الناس [و] يعرض ذلك عليهم ، فقال سحنون : « غشك من دلك على هذا ، متى كانت القضاة تشاورها الملوك فى صلاح سلطانها ؟ » ، ونهض من عنده .

وقال ابن اللباد ، عن أبيه : رأيت ابن أبى الجواد بين يدى سحنون وعليه كساء قرمسى وعمامة ، فقـال : « أصلحك الله ، بأى قول أخذتنى ؟ قاض ينظر منذ ثمانية عشر عاماً ! » فقال له : « من أين ؟ وأين ؟ » [فقال ابن أبى الجواد : « هذا ليس من حقك !] (٢) . وقد أخبرنى أسد بن الفرات عن مالك فى القاضى

---

(١) فى الاصل : فمن زعم أنه من سبى تونس رفعه الى سـحنون ، فأطلق منهم ...

(٢) لم يترك الناسخ بياضا فى هذا الموضع ، ولكن السياق يدل على سقوط شىء هنا ، فأضفت العبارة التى بين الحاصرتين ليستقيم الكلام .

يعزل ثم يلي آخر: هل ينظر فيما نظر فيه؟ فقال: «لا، وله فى نفسه ما يشغله».
وفى رواية: «فإن الناس اختلفوا: فلوكان للمتولى أن ينظر له لما استقر قضاء ولاصح لأحد» [ص ١٢٢ ب] فرد عليه كلاماً رده عليه ابن أبى الجواد فقال سحنون: «الدرة!» فنزعت عمامته، فقال ابن أبى الجواد: «سألتك بالله أن لا تفعل!» فتركه. قال ابن طالب: أشغلنى معنى قول سحنون لابن أبى الجواد «أضربك حتى تقول: أؤدى!» وسألت عنه ابنه وابن عبدوس، فكلهم وقف حتى بان لى أن معناه أنه كان أظهر العدم، وكان عند سحنون [علم] بذلك، فلذا ضربه ليرجع إلى الحق ولم يقبل منه ما حاد إليه من أداء زوجته عنه، إذ لوكان كما زعم عديماً ما لزمه أداء شئ ولا أدى غيره عنه. هذا معنى قول ابن طالب، وعندى أنا أن امتناعه لقول زوجته: «أفديه» وقوله: «يقر!» [معناه أنه] إنما [يؤدى] (١) المال أو بدلا منه. وإباية ابن أبى الجواد من هذا فقه حسن دقيق وحجة بينة لسحنون، إذ مضمون فعله وفعل زوجته فداء له من مظلمة نزلت به، وأنه بحكم المضغوط الذى لا يلزمه [أداء] ما بذله، فلم ير إطلاقه بهذا الوجه. وذكر أنه لما مات من ضربه فى السجن توسوس سحنون، وحفظ عنه أنه كان يردد: «ما أنا قتلته، الحق قتله!».

ولوكان على ما ذهب إليه ابن طالب لكان من أُدِّى عنه كمن وُهب له [ما] يقضى به دينه (٢)، فلا يكون حكمه بحكم العديم. وقد جاء فى كتاب سحنون إلى محمد بن زياد قاضى قرطبة يأمره بالشد والمعاقبة لمن تفالس وتكرار الأدب والضرب عليه حتى يؤدى أو يموت، قال له: «وبذلك أخذتُ ابن أبى الجواد: ضربته أربعاً وعشرين ومائة درة وأوقفته يوم الجمعة للناس فى صحن الجامع، وسوف أضربه أبداً حتى يؤدى تحت الدرة أو يموت».

وقال ابن حارث: قيل لسحنون: «هذا منصور دخل من تونس بالجرائر». فركب وانتزع منه ما بيده. فدخل منصور على ابن الأغلب، وقد شق ثوبه،

---

(١) أضفت الكلمات التى بين الحواصر ليستقيم السياق.

(٢) وردت هذه العبارة فى الاصل كما يلى: «ولو كان على ما ذهب اليه ابن طالب، لكان من أدى عنه كمال وهب له يقضى به دينه»، وقد قومتها على هذا النحو ليستقيم السياق، ويمكن تصويبها أيضا هكذا: «لكان ما أدى عنه كمال وهب له يقضى به دينه».

وشكا إليه مانزل به، فأرسل ابن الأغلب إلى سحنون [يقول: «لابد] (١) أن تصرفهن على منصور» ، فأبى سحنون، [فبعث إليه ابن الأغلب] (١) ثانية وثالثة، فقال: «لا أفعل» . وأقبل ابن الأغلب حتى دنا من موضع سحنون، وضربت له قبة ينزل فيها، وقد استشاط غيظاً لمصادمته إياه على منصور، ودعا فتى فقال له: «اذهب إلى سحنون فقل له: «اردد السبي على منصور» وإلا فأتنى برأسه» . فجاء الفتى إلى سحنون يبكي ويتضرع ويقول له: «أمرت فيك بعظيم!» فأخذ سحنون ورقاً فكتب بعد الاسم: (ويا قوم ما لى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار) (٢) ، الآية ، ودفع الكتاب للفتى ثم قال: «ادفعه لابن الأغلب» ، فلما قرأه أمر برفع مضربه واحتجب ثلاثاً، ثم قال للمنصور: «اسألنى ما شئت وأعرض عن خبر سحنون» .

وكان ابن الأغلب يقول فى قضيته مع سحنون: «إن سحنون لم يركب لنا دابة ولا ثقل كمه بصرة ، فهو لا يخافنا» .

وذكر بعضهم أن بعض قواد بنى الأغلب (٣) انصرف من بعض الحروب بعدة حرائر، [فأخبر سحنون أن زوكاى أدخل سبع عشرة من سبي الجزيرة ، قرشيات وعربيات] (٤) . فأرسل سحنون إلى جميع البوادى فى الصوفية (٥) ، فاجتمع إليه نحو ألف رجل فقالوا: «مرنا بما شئت» ، فقال: «تخيروا منكم مائة (٦) رجل [أريدهم لأمر يؤجرنى الله عليه]» فكانوا عنده إلى المغرب ، ولا يعلمون غرضه . فلما صلى [العشاء] ندبهم وقال: «تمضون إلى دار [زوكاى بن زريخ] فتضربون عليه ، فإذا

---

(١) النص هنا مضطرب جدا ، وقد أضفت العبارتين الواردتين بين الحواصر ليستقيم السياق .

(٢) سورة غافر ، الآية ٤١ .

(٣) اورد الدباغ هذه الحكاية فى «المعالم» (ج ٢ ص ٥٨) رواية عن أبى العرب عن يحيى بن عمر ، ونصها عنده أوفى ولهذا اعتمدت عليه فى تصويب نص «المدارك» الوارد هنا واكماله . وقد ذكر ان اسم القائد الذى يدور عليه ذلك الخبر زوكاى بن زريخ ، ولهذا ذكرته باسمه فى الاضافات التى أخذتها عن «المعالم» .

(٤) التكملة من «المعالم» ـ ج ٢ ص ٥٨ .

(٥) يريد : فى طلب الصوفية .

(٦) فى «المعالم» ـ ج ٢ ص ٨٥ : «مائتا شاب» .

فتح بلغوه سلامى ، [وقولوا له] أن يخرج الحرائر اللائى أتى بهن من الجزيرة الساعة ، ولا تجعلوا له إلى غلق الباب سبيلا لئلا يحترز [1] هو ومن معه فيدافعكم ويمضى الأمر إلى إراقة الدماء . وإن هو لاطفكم ومانعكم فاشغلوه حتى يلج [2] سبعة مشايخ منكم حتى ينتهوا [إلى] الباب الأوسط وينادوا بهن : « أين الحرائر المسبيات بالجزيرة ؟ يخرجن إلى القاضى » . فإذا خرجن جميعهن أتيتم بهن وتركتموه [وسبيله] [3] . ففعلوا ما أمرهم به ، فلما أبى عليهم [زوكاى] [4] قبضوا عليه حتى أخرجهن الشيوخ كما حدده سحنون لهم ، وحملوهن إلى سحنون . فركب القائد [زوكاى بن زريخ] إلى القصر فوجد الأبواب مغلقة ، فبات [ص ١٢٣ - ا] هناك [5] حتى أصبح . ودخل على ابن الأغلب ، وقد شق ثيابه ونتف لحيته وأخذ فى البكاء ، فسأله [6] ، فأخبره . فأنكر ذلك [ابن الأغلب] ، ووجه فتى إلى سحنون يأمره بردهن له ، فقال له سحنون : « قل له : والله الذى لا إله إلا هو ، إن أخرجتهن من دارى حتى تعزلنى عن القضاء ، وبعلم الله أنه لا نظر لى على رجلين من المسلمين » . ثم وجه ابنه محمداً بسجله مع الفتى إلى الأمير وقال : « قل له هذا سجلك ، وجعل الله [زوكاى] شفيعك يوم القيامة » ، فوصلا إليه وأبلغاه ما قال . فقال محمد : « هذا سجلك بعث به لتولى أمور المسلمين من تراه [7] » فقال أبو العباس :

---

(١) فى الأصل : يحترج ، وقد وردت هذه العبارة فى « المعالم » هكذا : « ولا تجعلوا له سبيلا الى غلق الباب ، فإنه ان أغلقه لبس سلاحه ، ولا آمن أن تهراق الدماء » - ج ٢ ، ص ٥٨ .

(٢) فى الأصل : يلى .

(٣) التكملة من « المعالم » - ج ٢ ، ص ٥٨ .

(٤) فى الأصل : فلان .

(٥) فى « المعالم » - ج ٢ ص ٥٨ : فبات على الميدان .

(٦) فى « المعالم » - ج ٢ ص ٥٨ : « فلما اصبح استأذن على ابى العباس الأمير وشق ثيابه ، فقال : مالك ؟ ويحك ! » .

(٧) نص هذه العبارة فى « المعالم » يختلف عن نصها هنا اختلافا يقتضى التنويه وهو : « ... وقال له : جعل الله زوكاى شفيعك عنده يوم القيامة ، فانصرف الفتى الى الأمير فأعلمه بيمين سحنون ، وذكر له أن ابنه محمدا بالباب بالسجل ، وقال : قد استحلفت أن أؤدى اليك ما أجل الأمير عنه . قال : قل ولا حرج . قال : يقول لك : جعل الله زوكاى شفيعك =

« اقرأ على أبيك السلام وقل له : جزاك الله عن نفسك وعن المسلمين خيراً ، فقد أحسنت أولا وآخراً ، ونحن نرضى قائدنا من أموالنا ، وامض على أحسن نظرك » . فبلغ ذلك سحنون ، واجتمع إليه وجوه الناس وأهل الخير وشكروا فعله ، فقال لهم : « إن الله قد أحب الشكر من عباده ، فتقدموا إلى باب الأمير واشكروه على تأييد الحق ، ففى ذلك صلاح الخاصة والعامة » ففعلوا ذلك .

قال سليمان بن عمران : ودخل سحنون على محمد بن الأغلب يشكو إليه رفع الخصوم عن بابه إلى باب الطبنى شريكه فى القضاء ؛ وذلك أن ابن الأغلب — لما لم يمكنه عزل سحنون لمكانه من قلوب الناس ، وقصده من تحامل [عليهم سحنون من] [1] رجاله وضيق عليهم — ولّى الحكمَ معه الطبنى — [وكان] رجلا جافياً جاهلا — قصادةً [2] لسحنون ، فكان يرفع الخصوم عن بابه إلى الطبنى . فلما ذكر ذلك لمحمد ابن الأغلب قال له محمد : « ما عندى من هذا علم » ، ثم التفت إلى بعض جلسائه فقال : «أعندك من هذا علم ؟ » ، قال : « لا » ! فقال [سحنون] : « يلتعب بى وأنا إمام فى العلم منذ ستين سنة ، وهذا يشهد لى ؟ » — يريد ابن عمران — فقلت [3] : « وما حاجتك إلى ذلك ؟ أدركت الناس بمصر وهم يتمنون أن لو كنت فيها » ، فأسمعه يعقوب بن المضار كلاماً غليظاً فيما ينبغى من الحق عليهم بحضرة ابن الأغلب . فقال له سحنون : « أين أنت من هذا القول ، إذ جىء بك وفى عنقك حبل كالكلب ؟ » . ثم خرج سحنون ، فقال يعقوب للأمير : « شيخ من مشايخك وعم من أعمامك ، يفعل بى سحنون بين يديك مثل هذا ولا يرى لمجلسك حرمة ؟ » فقال الأمير لأصحاب الأعمدة : « لو قتلتموه ما كنت أصنع بكم [شيئاً] » ، فعافاه الله . ولما رأى سحنون حال الطبنى [وعلم أنه] مد يده إلى بعض أصحابه ، خرج سحنون إلى الجامع ، وسمع بذلك الناس فأتوا إليه من كل جهة ، فخرج الطبنى من الجامع إلى داره ، فكان ينظر فى داره وسحنون فى الجامع على عادته نحواً من أربعين يوماً إلى أن توفى ، رحمه الله تعالى . »

= عنده يوم القيامة ، فنكس الأمير برأسه وقال : يدخل الينا محمد ولد القاضى . فقال : ما يقول الشيخ والدك ؟ قال : يطلب من الله ان يعفيه الأمير من القضاء . وهذا سجله بعث به لتولى أمر المسلمين من تراه » — ج ٢ ص ٥٩ .

(١) أضفت هذه العبارة ليستقيم بها السياق .

(٢) يريد : تحديا لسحنون .

(٣) القائل هنا سليمان بن عمران .

وكتب زيادة الله بن الأغلب إلى علماء إفريقية يسألهم عن مسألة، فأخبروه إلا سحنون، فعوتب فى ذلك، فقال: «أكره أن أجيبه فيكتب إلىّ ثانية» استثقالا لمعرفة الأمراء. فقال له إبراهيم بن عبدوس فى مثلها: «اخرج من بلد القوم: أمس لا تصلى خلف قاضيهم، واليوم لا تجيب فى مسألتهم؟» فقال سحنون: «أجيب رجلا يتفكه فى الدين؟ لو علمت أنه يقصد الحق أجبته»، وذلك قبل قضائه.

ذكر محنته: قال غير واحد من العلماء بالأثر: كان سحنون قد حضر جنازة، فتقدم ابن أبى الجواد، الذى كان قاضياً قبله وكان يذهب إلى رأى الكوفيين ويقول بالمخلوق، فصلى عليها. فرجع سحنون ولم يصل خلفه، فبلغ ذلك الأمير زيادة الله، فأمر بأن يوجه إلى عامل القيروان أن يضرب سحنوناً خمسمائة سوط ويحلق لحيته ورأسه. فبلغ ذلك وزيره علىّ بن حميد، فأمر الوزير (١) أن يتوقف، وتلطف حتى دخل على الأمير وقت القائلة وقد نام، فقال: «ما شىء بلغنى فى كذا؟» قال: «نعم»، قال: «لا تفعل، فإن العكىّ إنما هلك فى ضربه للبهلول بن راشد». فقال: «وهذا مثل البهلول؟»، قال: «نعم، وقد حبست البريد شفقة على الأمير»، فشكره ولم ينفذ أمره.

[١٢٣ — ب] وبينما سحنون يقرأ للناس إذ أتاه الخبر بما أزاح الله عنه، وقيل [له]: «لو ذهبت إلى علىّ بن حميد فشكرته»، قال: «لا أفعل». قيل له: «لو وجهت ابنك لذلك» فأبى وقال: «لكنى أحمد الله الذى حرك علىّ بن حميد لهذا فهو أولى بالشكر»، وأقبل على إسماعه، فقال له قوم من أصحابه: «لهذا كتب والله اسمك بالحبر على الرقوق».

قال ابن وضاح: كنت عند سحنون فجاءه إنسان فساره بشىء، فتغير لونه، ثم جاءه آخر فساره فرجعت إليه نفسه ثم قال: «لم أبلغ أنا مبلغ من ضُرب، إنما يضرب مثل مالك وابن المسيب».

ولما ولى أحمد بن الأغلب الإمارة، وأخذ الناس بالمحنة بالقرآن وخُطب به بالقيروان، توجه سحنون إلى عبد الرحيم الزاهد بقصر زياد فاراً، فكان عنده،

---

(١) كذا فى الأصل وكذلك فى المعالم (جـ ٢ ص ٦٠)، والغالب ان صحتها: فأمر الوزير العامل.

فوُجِّه فى طلبه رجل يقال له ابن سلطان ، كان مبغضاً فى سحنون ، فظاً غليظاً . اختاره لذلك فى خيل وجهها معه ، فلما وصل إلى سحنون قال له ابن سلطان : « وجهنى الأمير إليك وقصدنى لبغضى فيك لأبلغ منك ، وقد حالت نيتى عن ذلك ، وأنا أبذل دمى دون دمك ، فاذهب حيث شئت من البلاد أو أقم فأنا معك » ، فشكره سحنون وقال : « ما كنت أعرضك لهذا ، بل أذهب معك » ، وخرج فشيعه أصحابه . فقال عبد الرحيم للرسول : « قل للأمير : أوحشتنا من صاحبنا وأخينا فى هذا الشهر العظيم » — وكان شهر رمضان — « سلبك الله ما أنت فيه وأوحشك الله منه ! » . وفى رواية : « عارضتنى فى ضيقى ، فوالله لأعرضنك على رب العالمين » . فلما وصل [إلى] الأمير جمع له قواده وقاضيه ابن أبى الجواد وغيره وسأله عن القرآن ، فقال له سحنون : « أما شئ ابتدئه من نفسى فلا ، ولكنى سمعت من تعلمت منهم وأخذت عنهم كلهم يقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق » . فقال ابن أبى الجواد : « كفر فاقتله ودمه فى عنقى » ، وقال مِثلَهُ غَيْرُهُ ممن يرى رأيه . وقال بعضهم : « يُقَطَّعُ أرباعاً ويجعل كل ربع بموضع من المدينة ، ويقال : هذا جزاء من لم يقل بكذا » . فقال الأمير لداود بن حمزة : « ما تقول أنت ؟ » قال : « قتله بالسيف راحة — ويقال [إن] قائل هذا علىّ ابن حميد [ومحمد بن أحمد] (١) الحضرمى ورجال السنة من أصحاب السلطان — ولكن [اقتله] قتل الحياة ، فتأخذ عليه الضمناء وينادى عليه بسماط القيروان ألّا يفتى ولا يسمع أحداً ويلزم داره » . ففعل ذلك وأخذ عليه عشرة حملاء . ويقال إن ابن أبى الجواد هو الذى أمر بأخذ الحملاء عليه حتى يتبين ، فرجع [عن قتله] وفعل ذلك (٢) ، وأمر الحراس أن يأخذوا ثياب من دخل عليه . قال سهل : فدخلت عليه ومعى دراهم أشترى بها ثيابى من الحرس إن أخذونى ، فعافانى الله ، فقلت : « البدعة فاشية وأهلها أعزاء » فقال [لى] : « أما علمت أن الله إذا أراد قطع بدعة أظهرها ؟ » [فما كان إلا زمناً قليلا ، ومات الأمير . هذا نقل الأكثر . وقال المازرى فى « شرح الجوزقى » : لما انصرف الحاجب

---

(١) التكملة من « المعالم » ج ٢ ص ٦١

(٢) عبارة الاصل مضطربة جدا هنا ، وكذلك رواية « المعالم » ، وقد أضفت الكلمتين اللتين بين الحاصرتين حتى يستقيم السياق ، وعدلت « ففعل » الواردة فى الاصل الى « وفعل » .

بسحنون ، ومشوا به ، وبقى بينه وبين القيروان قدر الميل . إذا بصوت كصوت الغرانيق يهول الخيل يخبرهم : « إن أميركم قد مات » . قال سحنون : « فدخلت بحمد الله سالماً » (١) .

قال جبلة : ولما قرب سحنون فى قصته هذه من القصر لقيه من الموالى رجل سكران على برذون بيده قناة ، فأدخلها بين رجلى برذون سحنون ليثب بسحنون فيقتله ، فتحامل برذون السكران به ، وقفز ، فدخل زج القناة فى صدر المولى فمات ، وسلم سحنون . وقيل : بل الأمير كان أوصى إنساناً بركوب بغل شموس ، وقال له : « اصدم به سحنون بعد أن تحميه ، فلعل الله يريحنا منه » . فلما قرب سحنون من القصر فعل الرجل ما أمر به ، فطرحه البغل الشموس فمات .

وكان [سحنون] فى طريقه نزل تحت شجرة ، والرسول الذى جاء به تحت أخرى ، فأتى رجل إلى سحنون بقصعة ثريد عليها دجاجة ، فأكل سحنون ولم يدع الرسول ، فعاتبه فى ذلك وقال له : « أحسنتُ صحبتك وتفعل هذا معى ! » فقال له سحنون : « ليس من السنة أن أدعوك إلى طعام غيرى ، ولو كان لى لفعلت » (٢) .

[١٢٤ ا] وحكى أنه لما دخل سحنون على ابن الأغلب قال له سحنون : « قد كنت خائفاً حتى دخلت عليك فأمنت » ، فأمنه . وكان ابنه محمد قد توارى معه ، فلما أتى باب القصر نفر الشرط إلى انتهابه فأخذوا لجام دابته ، فلما دخل على الأمير قال له : « تكلم » فقال : « إنما يتكلم من معه عقله ، وأما أنا فقد ذهب [عقلى] » . فسأله فأعلمه بما جرى عليه ، فأمنه وأمر بصرف لجامه .

---

(١) هذه العبارة كلها ناقصة فى نسخة « المدارك » التى بين يدى ، ولا يستقيم السياق بغيرها ، ولهذا أخذتها عن « المعالم » ، ج ٢ ص ٦٢ .

(٢) أضاف القاضى عياض هنا فقرة من عنده علق بها على تصرف سحنون هذا ، وقد آثرت أن أجعلها فى الهامش ، لانها لا يمكن أن تكون فى الاصل الذى كتبه المالكى . وهى : « قال القاضى أبو الفضل عياض رضى الله تعالى عنه : ما قال سحنون صواب ، ولكن لا أدرى لِمَ لَمْ يستأذن رب الطعام فى أكله معه ، كما فعل عليه الصلاة والسلام . ولعله فعل ذلك ولم يأذن له . وفى هذا الخبر قال : كان سحنون يقول فى طريقه : (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم ، فاخشوهم فزادهم ايمانا ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) . سورة الاعراف ، الآية ١٧٣ .

قال ابن وضاح : دخلت مصر فلقيت الحارس بن مسكين فسألني عن سحنون فقلت له : « إنه مغموم من قبل الأمير » . فقال الحارث : « قال الأوزاعي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أحب الله عبداً سلط عليه من يؤذيه » [(١)] .

[١٢٦–ا] ذكر وفاة سحنون ، رحمه الله تعالى ، ورُؤى [(٢)] رؤيت له :

لم يختلف فى أن سحنون توفى فى رجب سنة أربعين ومائتين . قال أبو علىّ : يوم الأحد قبل نصف النهار لثلاث خلون منه . وقال غيره : لسبع خلون منه . ودفن فى يومه ، وصلى عليه الأمير محمد بن الأغلب ، ووجه إليه بكفن وحنوط فاحتال ابنه محمد حتى كفن فى غيره ، وتصدق بذلك . واستعفى رجال ابن الأغلب من الصلاة عليه ، وقالوا : « قد علمت ما بيننا وبينه ، وأنه يكفرنا ونكفّره » — لأن أكثرهم كانوا معتزلة — « وإنما خرجنا طاعة لك . فإن صلينا عليه رأى الناس أنا رضينا حاله » ، فأعفاهم . فتقدم وصلى فى عبيد وعامة أهل السنة وجماعة المسلمين ، وكانت سنه يوم مات ثمانين سنة .

مولده : سنة ستين ومائة ، ويقال إحدى وستين . وقال له رجل : « يا أبا سعيد ، الناس يقولون إنك دعوت الله ألّا يبلغك سنة أربعين » — يعنى ومائتين — فقال : « ما فعلت ، ولكن الناس يقولونه . وما أرى أجلى إلّا فيها » .

قال أبو بكر المالكى : « لما مات سحنون رجت القيروان لموته وحزن له الناس » . قال سليمان بن سالم : « لقد رأيت يوم مات سحنون مشايخ من أهل الأندلس يبكون ويضربون خدودهم كالنساء يقولون : يا أبا سعيد ، ليتنا تزودنا منك نظرة نرجع بها إلى بلدنا » .

قال بعضهم لأبى بكر الحضرمى : « رأيت فى نومى رجلا صعد إلى سماء الدنيا ثم من سماء إلى سماء ، حتى صار تحت العرش » ، فقال : « ينبغى أن يكون هذا سحنون » ،

---

(١) يلى ذلك فصل ذكر فيه القاضي عياض شيئا من « فضائل سحنون وتقاه وحزنه وزهده وتحريه فى الفتيا وعبادته وفقر من كلامه ووصاياه وأخباره » ؛ ولما كان المالكى قد ذكر معظم هذه الأخبار فقد تركتها وانتقلت الى فصل آخر من ترجمة سحنون فى «المدارك» أهمله ناسخ «الرياض» . وأرقام الصفحات هنا هى أرقامها فى « المدارك » .

(٢) فى الأصل : مرائى .

فقال الرائى : « هو ذاك » . وقيل إن الرائى رأى الحضرمى فى النوم فسأله عنها ففسرها له بمثل ما ذكرنا . وفى أولها : « « رأيت باباً فتح فى السماء ونودى سحنون فأتى به فصعد » ، وقال آخر : « رأيت النبى صلى الله عليه وسلم مقبوراً والناس يجعلون على قبره التراب وسحنون ينبشه ، فقال : قل لسحنون : هم يدفنون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت تحييها » .

قال عيسى بن مسكين : رأيت فى المنام كأن سحنون يبنى الكعبة فغدوت عليه فوجدته يقرأ للناس « كتاب مختصر المناسك » له .

قال عبد الله بن الخشاب الأندلسى — وكان ثقة — : « رأيت فى المنام النبى صلى الله عليه وسلم فى طريق ، وأبا بكر خلفه ، وعمر خلف أبى بكر ، ومالكاً خلف عمر ، وسحنون خلف مالك » . قال ابن وضاح : « فذكرتها لسحنون فسر بذلك » . وقال غيره : « رأيت سحنون فى النوم وبيده لواء قد بلغ السماء وقد امتلأ الفضاء فراشاً ، فكنت أسأل بعض الحضور فيقال لى : هذا لواء محمد وهذا الفراش ملائكة » .

وذكر ابن الحارث أن رجلا من أهل طرابلس كان على بدعة — وفى رواية : كان يقرأ كتب أهل العراق — فرأى فى النوم كأنه فى ماء قد غرق فيه إلى الذقن ويكاد مع ذلك أن يموت عطشاً ولا يقدر على [الشرب] ، — وفى رواية : فإذا شرب صار [الماء فى] فيه دماً — فأتاه فى تلك الحال رجل فسقاه حتى روي . [قال الرجل :] « فانتبهت ، وبقيت صورة ذلك الرجل فى نفسى ، فجعلت أمشى فى البلد وأتأمل وجوه الناس لعلى أرى تلك الصفة ، حتى رأيت سحنون فعرفته بتلك الصفة ، فصحبته وتركت مذهبي وصرت إلى مذهبه » .

قال ابن الحارث : « أقام سؤدد العلم فى دار سحنون نحو مائة عام وثلاثين عاماً ، من ابتداء طلب سحنون وأخيه إلى موت ابن ابنه محمد بن محمد بن سحنون » .

قال أبو الأحوص المتعبد : «رأيت سحنون فى المنام وقد تهيأ للخروج إلى المصلى مع ابنه محمد فأتيته بثوب أبيض فقال لى : « أما علمت أنى لا أقبل الهدية ؟ » فقلت : « ليس بهدية ، ولكن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أدفعه إليك » ، فقال لى : « وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ » فقلت له : « ها هنا جالس » . فما أقام سحنون إلا يسيراً حتى مات . ورأى بعض المتعبدين قائلا يقول : « من أراد أن يشرب من ماء الحياة فليسمع من سحنون » .

قال ابن أبي سليمان : « رأيت فى شأن سحنون قبل موته رؤياً ، فقصصتها على معبر يقال له ابن عياض [١٢٧ — ا] فقال : « هذا رجل يموت على السنة » . ورثاه عبد الملك الهذلى بقوله [١]. ورثاه عبد الملك بن نصر [٢] بقصيدة أولها :

من يبصر البرق فوق الأفق قد لمعا	تسربل ثوب الليل وادرعا
ولى ، لعمرى ، بأرض الغرب قاطبة	مَيْتٌ له البدو والحضار قد خشعا
له أتت إذا ما هاب فاصله	من الفضاء كليل الحد فارتدعا
هناك برّزت يا سحنون منفرداً	كسابق الخيل لما بان فانقطعا
فاذهب فقيداً حباك الله جنته	واحصد من الخير ، اقد كنت مزدرعا [٣]

١٢٧ — ومنهم **أبو جعفر موسى بن معاوية الصمادحى** . رضى الله تعالى عنه .

قال أبو بكر بن اللباد : هو من ولد جعفر بن أبي طالب ذى الجناحين . وكان فاضلا . وقال أبو العرب وغيره : كان ثقة مأموناً صالحاً عالماً بالحديث والفقه .

حدثت عن معتب [بن أبي] [٤] الأزهر : قلت لسحنون : « إن موسى جلس فى الجامع يفتى الناس » فقال لى سحنون : « ما جلس فى الجامع منذ ثلاثين سنة أحق من موسى بالفتيا » [٥] .

[حدث] أبو بكر بن اللباد ، قال : « [لَقِيَ] موسى بن معاوية فى رحلته جماعة من الفضلاء . منهم وكيع بن الجراح والفضيل بن عياض وجرير بن عبد الحميد » . [٦]

---

(١) هكذا نص الاصل . (٢) فى الاصل : فصر .

(٣) هكذا وردت هذه الأبيات ، ومعناها فى كثير من الفقرات غامض . والى هنا ينتهى الجزء الذى نقلته عن « ترتيب المدارك » لتكملة سيرة سحنون . (انظر ص ٢٧٢ هامش ٢) .

(٤) هو أبو جعفر أحمد بن معتب بن أبي الازهر عبد الوارث بن حسن الأزدى من تلاميذ سحنون بن سعيد ، وقد توفى سنة ٢٧٦ هـ . انظر ترجمته المطولة فى « المعالم » ج ٢ ص ١١٨ وما بعدها .

(٥) فى الاصل بالفتوى . والتصحيح من « المعالم » ج ٢ ص ٣٢ .

(٦) ذكر الدباغ فى « المعالم » الشيوخ الذين أخذ عنهم الصمادحى بصورة أوفى ، وذكر أن رحلته للمشرق كانت سنة ١٨٤ هـ . « المعالم » ج ٢ ص ٣٣ .

وعن موسى بن معاوية . قال: «لم ألق أحداً أروى من وكيع(1) بن الجراح. وكان يروى خمسة وثلاثين ألف حديث. يقرؤها علينا ظاهراً على تأليفها مانشك فى حديث منها». وحدث أبو سليمان داود بن يحيى، قال: «سمعت موسى بن معاوية الصمادحى يقول: رحلت من القيروان ولا أظن أنى أرى أحداً أخشع من البهلول بن راشد. حتى لقيت وكيع بن الجراح. وكان يقال إنه يختم فى رمضان ختمة وثلثاً كل ليلة. فبت فى مسجده. فدخل معتكفه فقلت: الليلة يبين لى ما قيل لى فيه. فصلينا التراويح. فخرج إلى صحن المسجد وأنا أنظر إليه. فلما أوترنا دخل فى مكانه فأحرم وأنا جالس فافتتح فقرأ بأم القرآن. ثم قرأ بعدها البقرة وآل عمران. فأخذتنى عينى فنمت. ثم انتبهت وقد ذهب من الليل أكثره وهو يقرأ فى «الحواميم». فجلست حتى ختم. فدخل عليه [ابنه] بطبق فيه خبز وتمر وركوة فيها ماء. فقال: «أين المغربى(2)؟» فقمت إليه فقال: «تنال من سحورنا هذا شيئاً». فأكل وأكلت معه. ثم قام فقرأ ثلث القرآن إلى «سورة براءة» ثم ركع وسجد وسلم وجلس موضعه حتى أقيمت الصلاة فصلى. ثم جلس فى مصلاه. والطلبة حوله وأنا معهم. حتى ركع الضحى سنته باثنتى عشرة ركعة. ثم تحول فحدث إلى نصف النهار أو قريب من ذلك. ثم رقد فى مكانه فقام وقت الظهر فدخل الميضأة. وهى قريبة من المسجد. فتوضأ للصلاة. ثم دخل المسجد فصلى الظهر. (ص ٨٤) ثم أقرن كعبيه إلى العصر. فكان هكذا الشهر كله. حتى انقضى وأنا معه فى المسجد. قال: ثم رحلت إلى الفضيل فقلت: ما أظن أنى أرى أحداً أخشع من وكيع. حتى قدمت مكة فطلبت الفضيل فلم أقدر عليه. فبينا أنا ذات عشية فى بعض أزقة مكة إذا أنا برجلين يقول أحدهما لصاحبه: «وعدنا الشيخ [بأن] يحدثنا». فقلت لهما: «من الشيخ؟» فقالا: «الفضيل». فاغتديت إلى المسجد الحرام. فصلى بنا هارون الخليفة صلاة الصبح. فقرأ بنا سورة الرحمن وسورة الواقعة فى الركعة. فتمنيت ألا يسكت من حسن قراءته. فقمت لأبادر(3). فجذبنى رجل إلى جانبى وقال لى: «تقوم بعد صلاة الصبح مسرعاً!» فاعتذرت له بطلبى للفضيل لأسمع منه. فقال: «أتحب أن تراه؟» قلت: «نعم»

(١) فى الاصل «معاوية» والتصحيح من «المعالم» ج ٢ ص ٣٣.

(٢) فى الأصل «أين المقرىء» والتصحيح من «المعالم» ج ٢ ص ٣٤.

(٣) فى «المعالم» ج ٢ ص ٣٤: فقمت أبادر.

فأشار إلى ناحية من المسجد وقال لى : « هناك هو » ، فقمت إليه فسمعته يقول : « مسكين هارون ! قرأ سورة الرحمن وسورة الواقعة ولا يدرى ما فيهما » ، ثم قام إلى منزله فدخل وأغلق الباب . وأتى الطلبة من كل مكان ، فإذا شيخ آدم ، فقال له [الناس] (١) : اجلس يا أبا عبدالله اقرأ ، لعل الشيخ يسمع قراءتك [فيخرج] . (١) فسألت رجلا إلى جانبي : « من هذا ؟ » فقال [لى : هذا] صالح (١) المرى ، فقرأ : (بسم الله الرحمن الرحيم . فكلا أخذنا بذنبه : فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا . وما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) . (٢) قال : ففتح الكوة وقال لابنه علىّ (٢) : « اخرج بى إلى هؤلاء القوم » ، فخرج به وأقعده على مصطبة . فختم القارئ الآية ثم دعا فقام إليه رجل حسن الوجه [حسن] (٣) الإحرام فقال له : « يا أبا علىّ ، [ما] (٤) تفسير هذه الآية : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب)؟ » فقال الفضيل : « حدثنى هشام بن حسان عن الحسن أنه قال : تأكلهم النار فى كل يوم سبعين ألف مرة ، كلما أكلتهم وأنضجتهم قيل لهم عودوا فيعودون » فصعق الفضيل وغشى عليه ، فحمل إلى داره . فبلغ ذلك هارون الخليفة ، فأرسل إلى سفيان ابن عيينة وقال له : « إن الفضيل بن عياض فسر آية من القرآن فصعق به ، فإذا صليت عشاء الآخرة فواف (٥) الباب » ثم أمر بعض خدمه فقال [له] : (٦) « إذا رأيت هذا الشيخ — يعنى سفيان — فأدخله إلىّ » ، فأتى سفيان فأدخله إليه ، فدعا ببغلة وبدرة ، والبدرة ألف دينار ، فأمر خادماً فحملها وخرج وهو يبكى حتى أتى باب الفضيل ، فقرعه سفيان واستأذن ، فأذنت له الخادم بالدخول ، قال : «أويدخل من معى؟ » قال : « نعم » فدخلوا ، فسلموا عليه ثم قال له سفيان : « هذا أمير المؤمنين قد جاء عائداً لك » ، فاستوى الفضيل جالساً ، فمد هارون يده إليه وسأله عن أحواله وقال : «عظنى

---

(١) التكملة من « المعالم » ، جـ٢ ص ٣٥ .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية ٤٠ .

(٣) فى « المعالم » جـ ٢ ص ٣٥ « وقال : يا أبا على ، اخرج بى ... »

(٤) التكملة من « المعالم » جـ ٢ ص ٣٥ .

(٥) فى الاصل : فوافى ، وفى « المعالم » (جـ ٢ ص ٣٥) : فوافنى بالباب .

(٦) التكملة من « المعالم » : جـ ٢ ص ٣٥ .

يرحمك الله [عز وجل] (١) » فقال له الفضيل : « يا حسن الوجه ، أنت المسئول عن هذه الرعية غداً » . فقال له : « عظنى ، يرحمك الله » فقال له : « أنت المسئول عن هذه الرعية » ، وكرر ذلك ثلاث مرات . فبكى هارون حتى مسح دموعه بطرف ثوبه . ثم قال له هارون : « هذا شيء أتيناك به ، فاستعن به على نفقتك وعيالك » . فقال له الفضيل : « أنا غنى عنه » ثم كرر عليه فأبى ، فقال له : « ففرّقه على بعض أصحابك » فقال : « إنى رجل ضعيف لا أستطيع » ؛ فرجع بها هارون معه ، ولم يأخذ الفضيل منها شيئاً .

[ذكر] محمد بن وضاح ، قال : خرج علينا موسى بن معاوية الصمادحى يوماً وقد احمر وجهه ، فقلنا له : « ما لك يا أبا جعفر ؟ » فقال : « جيران لى آذونى فى دجاجى » . وقد أخبرنى معاوية (٢) الضرير عن الأعمش عن خيثمة [أنه] (٣) قال : « إن لى جيراناً ما لهم عندى دينار ولا درهم ولا سألونى حاجة إلا قضيتها ، وإنى لأبغض إليهم من الكلب الأسود إلى أهله » . قيل : « ولم يا أبا عبد الرحمن ؟ » قال : « لأنه لا يحب منافق مؤمناً أبداً » .

وعن موسى بن معاوية عن ابن القاسم أنه قال : « لى اليوم عشرون سنة ما دخلت السوق ، ولى عشرون سنة ما دخلت الحمام » قيل : « ولم ؟ » » قال : « نهانى عنه مالك » فقيل [له] : « وكيف تعمل بالنورة ؟ » (٤) قال : « أطلى بها من الشهر إلى الشهر ، تطلينى بها أم ولدى فى البيت » . [وحدث موسى بن معاوية عن] (٥) الحارث بن مسكين [أنه] قال : « كان ، والله ، ابن القاسم محباً لله ولرسوله . وكانت فيه العبادة والسخاء والشجاعة والورع والزهد » . [وروى] عن ابن عبد الحكم أنه قال : « كان ابن القاسم يصوم الدهر كله » (٦) .

---

(١) التكملة من « المعالم » : ج ٢ ص ٣٥ .

(٢) وفى « المعالم » ج ٢ ص ٣٧ : أبو معاوية .

(٣) التكملة من « المعالم » ج ٢ ص ٣٧ .

(٤) ورد بهامش الاصل مقابل هذا السطر : نسخة : صوابه : كيف تصنع بالنورة .

(٥) سياق الرواية هنا يدل على أن المؤلف يورد أقوالا لموسى بن معاوية الصمادحى مسندة الى بعض شيوخه ، وقد وردت هذه العبارة الأخيرة مبتورة الأول ، فاضفت ما بين الاقواس ليستقيم السياق .

(٦) ازاء هذا السطر فى هامش الأصل كلمة : نسخة .

وروى عنه (١) [أنه] قال: «ذُكر لي رجل بخراسان، فأتيته فأصبته في المسجد يحدث، فقال: «من أين الرجل؟» فقلت: «من المغرب» فقال: «من أي موضع؟» فقلت: «من القيروان» قال: «ومن لقيت؟» قلت: «الفضيل ووكيعاً وأبا معاوية الضرير» فقال لي: «ما أظنك تريد بهذا اللهَ عز وجل، أما كان يكفيك أن تجعل أحدهم لدينك؟ ولكنك أردت أن تقدم بلدك فتقول: لقيت فلاناً وفلاناً. والله لا أسمعك إلا ثلاثة أحاديث لعنائك!». فأخذت كتبه فانتخبت منها ثلاثة أحاديث رويتها عنه، ثم خرجت من الغد إلى جرير بن عبد الحميد [الضبي]». (٢) وهذا إشفاق من الرجل على موسى خيفة أن تؤدي به (٣) رغبته في كثرة الرواية إلى أن يروي عن الضعيف والمتروك، كما قال مالك، رحمه الله تعالى، لولدي (٤) أخيه وهما أبو بكر وإسماعيل ابنا أبي أُوَيس لما رأى حرصهما على كثرة الرواية: «إن أردتما أن ينفعكما الله عز وجل فأقلا منها (٥) وتفقها».

وقال سحنون (٦): «كنا نرابط بالمنستير في شهر رمضان، وكان موسى أكثرنا صلاة [وأدومنا عليها] (٧) فإذا كانت ليلة سبع وعشرين من رمضان (ص٨٥) طبقها من أولها إلى آخرها، فإذا أصبح قال: «توجهوا بنا إلى القيروان» فنقول له: «أقم بنا حتى نعيِّد هاهنا (٨)» فيقول: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الأواخر

---

(١) أي عن موسى بن معاوية الصمادحي . انظر «المعالم» ج ٢ ص ٣٦ .

(٢) بياض في الاصل، والتكملة من «المعالم» ج ٢ ص ٣٦ .

(٣) في الاصل: توديه، وكذلك في «المعالم» (ج٢ ص٣٦) وقد قومتها على هذا النحو .

(٤) في الاصل: «لأولاد» والتصحيح من «المعالم» ج ٢ ص ٣٧ .

(٥) في الاصل: «منه»، والتصحيح من «المعالم» (ج٢ ص ٣٧) .

(٦) روى «أبو العرب» هذا الخبر وأسنده الى فرات [بن محمد أبي سهل العبدي] عن سحنون . «الطبقات» ص ١٠٧ .

(٧) التكملة من «طبقات» أبي العرب (ص ١٠٧)، وهو يقول: «وأدومهم عليها» لأن سياق كلامه يستلزم ذلك، فعدلتها لتستقيم مع نص المالكي هنا .

(٨) وفي «المعالم» (ج ٢ ص ٣٣): «حتى نتعبد هاهنا» .

من شهر رمضان . فإذا مضت ليلة سبع وعشرين رئيت فيه الفترة » .[1] قال : « فلا نجد بداً من مساعدته ، فإذا أشرف على القير وان حرك دابته وقال : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم [كان] إذا قفل من حج أو عمرة فأشرف على المدينة أوضع على راحلته وقال : أسرعوا بنا إلى بنات الأقوام » . قال فرات [بن محمد العبدى] : ثم قال لى سحنون : « ويحك ، اطلب لى هذا الحديث لموسى » فطلبته ، فأصبته لموسى عن عيسى بن يونس السبيعى بإسناده إلى النبى صلى الله عليه وسلم » .

قال أبو سهل فرات[2] : حضرت موسى [بن معاوية] وقد أتاه رسول الأمير زيادة الله [بن إبراهيم بن الأغلب] يسأله عن عمود فى مسجد خرب بالساحل أراد أن يحوله إلى المسجد الجامع ، ليجعله مع صاحب له ، فقال موسى : « لا تحركه من الموضع الذى هو فيه » ، ثم قال موسى : « حدثنى سفيان بن عُيينة ، عن بشر بن عاصم ، عن سعيد بن المُسَيَّب . أن عمر بن الخطاب لما بنى مسجد مكة أراد أن يدخل أرضاً للعباس ليعتدل بها المسجد ، فمنعه[3] العباس وقال : « أرضى وملكى » فقال له عمر : « الأرض أرض الله ، والمسجد مسجد الله » فقال له العباس : « بينى وبينك رجل من المسلمين يحكم بينى وبينك » فتراضيا بأُبَىّ بن كعب [فمضـ]ـيا إلى أبىّ فضربا عليه الباب ، فخرج إليهما . فلما رأى عمر قال : « يا أمير المؤمنين ، ألا أرسلت إلىّ حتى آتيك ؟ » فقال له عمر : « إن الحاكم يؤتى إليه ولا يأتى إلى أحد ، وإنى والعباس تشاجرنا فى أمر وحكمناك فيه » . ثم دخلا معه داره . فأخذ وسادة فألقاها إلى عمر فنبذها عمر برجله وقال له : « هذا أول جورك ، اجلس أنت عليها » فجلس أبىّ عليها ، ثم ذكر له عمر القصة ، فقال له : « ياأمير المؤمنين ، إن الله عز وجل أوحى إلى داود عليه السلام « أن ابن لى بيتاً فى الأرض أقدسه وأشرفه وأعظمه وأذكر فيه » ، فوضع داود يده فيه فبنى

---

(١) جاء فى « اللسان » : الفترة الانكسار والضعف .. وفتر جسمه يفتر فتورا ، لانت مفاصله وضعف . (مادة فتر ج ٦ ص ٢٤٨ – ٢٤٩) .

(٢) روى أبو العرب هذا الخبر فى « الطبقات » (ص ١٠٧) وأسنده الى فرات بن محمد العبدى عن أبى بكر محمد بن محمد .

(٣) فى « الطبقات » لأبى العرب (ص ١٠٨) : « فأبى العباس » ، وهو أصح . وقد أخطأ الشيخ محمد بن أبى شنب ناشر « الطبقات » ، فقرأها « فأما العباس » ، وقد اختلطت عليه ، لأن بعض الناسخين يكتب « فأبى » بالألف هكذا : « فأبا » فقرأها الناشر : « فأما » .

أساسه، وهو «بيت المقدس»، ثم أتمه بعده ولده سليمان. فلما أخذ فى إتمامه إذا فيه بيت لامرأة من بنى إسرائيل لايعتدل المسجد إلا به، فأعطاها سليمان فيه عطاء، فلم ترض، فأمسك سليمان عن البناء، فأوحى الله عز وجل إليه: «ياسليمان إن كنت إنما تعطى من عندك فأمسك، وإن كنت إنما تعطى من عندى فأعط» فأعطاها سليمان حتى رضيت. فما أرى ياأمير المؤمنين الحق إلا للعباس، فأرضه». [1] فقال العباس: «ألست قد حكمت لى؟» قال: «نعم»، قال: «فإنى أشهد الله عز وجل وأشهدك أنى تركت أمير المؤمنين يدخله فى المسجد. وتركته لله تعالى»، رضي الله تعالى عن جميعهم.

وحدث موسى، قال: «لما خرجت أريد جريراً «بالرى» من بلد خراسان، صحبنى شاب عليه جبة صوف وكساء صوف راجلا، فقلت له: «إلى أين تريد؟» قال: «إلى جرير» فقلت له: «فالطريق واحدة». فوصلنا إليه نصف النهار، فجلسنا على بابه فى ظل حائط، حتى خرج متوكئاً على عصا يريد الأذان فى المسجد والصلاة فيه، فسلمنا عليه فقال: «أين بلدكم؟» فقلت: «إفريقية» فقال: «إفريقية!» يستعظم ذلك، وقال: «ثم إلى أين؟» فقلت له: «ثم إليك، يرحمك الله» قال: فرق لنا ثم قال: «ادخلا المسجد لتصليا» ثم أذن وصلينا معه، ثم أخرج كتابه فقرأ لنا، وأنا أمسك كتابى معه والشاب جالس وليس معه كتاب. فانصرفنا إلى الموضع الذى نزلنا فيه والشاب معى، فلما جلسنا نتذاكر ماحدثنا به الشيخ قال لى الشاب: حدث فلان عن فلان، فقلت له: «عن فلان عن فلان» فقال: «ليس كذا قرأ الشيخ، [2] اقرأ: فلان عن فلان» فقمت إلى الكتاب فأصبته كما قال. فلم يزل الشاب معى حتى فرغنا من كتب جرير بن عبد الحميد، ثم انصرفنا، فضاق صدرى، فكاشفت الفتى فقلت له: «أين كتبك؟» فتبسم ثم قال لى: «يا أباجعفر، أخرج إلىّ أى كتاب شئت» فأردت الاستقصاء عليه، فأخرجت إليه كتاباً فقال: «أى كتاب هو؟» فنسبته له، فقال لى: «اسمع»، فاندفع يقرؤه ظاهراً، فرأيت منه قدرة الله، فقلت له: حسبك، يكفيك». [3]

---

(١) جاء فى النص هنا: «فقال العباس: فارضه»، وهو خطأ من الناسخ وربما كانت صحتها: «فقال عمر: اذن فأرضه» ولما كان السياق يستقيم بدونها، فقد تركتها واكتفيت بهذه الاشارة.

(٢) جاء فى النص هنا كلمة: «أيضا» وهى زائدة.

(٣) ترك المالكى كثيرا من أخبار موسى بن معاوية الهامة، ومادة «طبقات أبى العرب» هنا أوفى (ص ١٠٦ — ١٠٩).

١٢٨ – ومنهم **ابو محمد عون بن يوسف الخزاعى**. رضى الله تعالى عنه.

قال أبو العرب: كان [رجلا] (١) صالحاً ثقة مأمونا. حدثنى عنه ابنه يحيى أنه قال: «قدمت المدينة سنة ثمان ومائتين. وأدركت بها أربعين رجلا من معلمى ابن وهب رحمه الله تعالى» (٢).

قال أبو العرب: وكانت له، رحمه الله تعالى، حبة من شعير (٣) فى حين كان يبيع الكتان. إذا أعطى جعلها مع المثقال وإذا أخذ جعلها مع الدراهم التى يأخذ [ها]، فيعطى بزيادة ويأخذ بنقصان (٤).

وذكر عنه أبو سعيد بن طالب (٥). قال: سمعت عون بن يوسف يقول: «إنى لأحب أن ألقى الله عز وجل وأنا طالب». وكان يقول: «لا يبالى من لقى الله عز وجل على الإسلام والسنة على أى جنب لقى الله تعالى». قال: فقال له ولده (٦): «وإن كثرت ذنوبه؟» فقال: «نعم». فاستعظمت ذلك وتعجبت منه. فقال لى: «وتلك الذنوب كلها تدخل فى رحمة الله تعالى التى وسعت كل شىء» (٧).

---

(١) التكملة من نص أبى العرب: الطبقات، ص ١٠٥.

(٢) يقول المالكى إنه ينقل هنا عن «أبى العرب»، ولكن نص الطبقات يختلف بعض الشىء، فهو يقول: «حدثنى يحيى ابنه أنه كان أسن من سحنون بعشر سنين. كان مولده سنة خمسين ومائة، ومات عون قبل سحنون. قال: وحدثنى سعيد بن اسحاق، قال: مات عون بن يوسف يوم الأحد ليوم مضى من جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين ومائتين» (ص١٠٥).

(٣) فى الأصل: «حبة من شعر»، والتصويب من «المعالم» ج٢ ص٤٦

(٤) علق ابن ناجى على رواية الدباغ لهذا الخبر فى «المعالم» بقوله: «أراد بالمثاقيل الأواق والأرطال التى يزن بها، فاذا باع زاد الحبة معها ليعطى للمشترى زيادة وزنها، واذا أخذ الدراهم فى الصنجة كما هو فى البلاد اليوم جعلها مع الدراهم ..» – انظر «المعالم» ج ٢ ص ٤٦.

(٥) ورد هذا الاسم فى الأصل: أبو سعيد بن طالب، وهو خطأ، وصحة الاسم «أبو العباس» كما أورده المؤلف فيما بعد فى المادة الخاصة به بعد ذلك وكما أورده الدباغ أيضا فى «المعالم» (ج ٢ ص ١٠٥ – ١١٥) واسمه الكامل: أبو العباس عبد الله بن أحمد بن طالب التميمى.

(٦) ذكر ابن ناجى فى «المعالم» (ج٢، ص٤٦) أن اسم ولده هذا: يحيى.

(٧) ذكر ابن ناجى رد عون بن يوسف فى صورة أخرى هكذا: «فقال: أيها أكثر: ذنوب الخلائق أو رحمة الله التى وسعت كل شىء؟» («المعالم»، ج ٢ ص ٤٦).

وروى عنه، رحمه الله تعالى ، أنه عاد رجلا مبتلى فقال له عون : « وهب الله لك العافيــة » فقال المبتلى : « لا تفعل يا أبا محمد ، فإنى إذا وجدت العافيــة سكنت عروقى وجوارحى فلم أناج ربى ، وإذا ضربت علىّ عروق ناجيت ربى سبحانه » . أخبرنى سليمان بن سالم عنه، قال: كنت جالساً عنده، فأتاه ثلاثة من المُبْتَلين [1] فقـالوا : « مات عنـدنا رجل يقول بخلق القرآن ، فما نصنع به ؟ » فقال: « إن وجدتم (ص٨٦) من يكفيكم مؤنته فلا تقربوه » ، فسكتوا ثم أعادوا السؤال ثانية فأجابهم بمثل الأول . ثم أعادوا السؤال ثالثة، فأجابهم بمثل ذلك، فقالوا: « لا نجد من يكفينا مؤنته » فقال لهم: « اذهبوا فواروه من أجل التوحيد » . قال سليمان: « يريد تغسلونه وتكفنونه وتصلون عليه وتدفنونه » .

قال أبو الحسن بن الخلاف بخطه : قال عون بن يوسف : « إذا أردت أن تكفر القدرى فقل له : « ما أراد الله عز وجل من خلقه ؟ » فإن قال: « أراد منهم الطاعة » فقد كفر ، لأن منهم من عصى .وكل إلـه لا تتم طاعته فليس بإلـه . وإن قال : « أراد منهم المعصية » فقد كفر ، لأن منهم من أطاع ، وكل إلـه لاتتم إرادته فليس بإلـه » . قال : « فإن قال لك المسئول: « ما أراد منهم ؟ » فقل : « أراد منهم الذى أراد لهم والذى كان لهم » — يريد ما سبق لهم عنده فى اللوح المحفوظ . قال عون : ولقد بلغ بعض [الخلفاء] أن رجلا تكلم فى القدر، فبعث إليه ونهاه ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، ابعث إلىّ من يكلمنى ، فإن ظفر بى فاقتلنى ، وإن ظفرت به فما لك علىّ سبيل » . فبعث فى طلب الأوزاعى فأتاه فأخبره بما قال الرجل، وقال : « خاطبه وحاجه » . فقال له الأوزاعى : « أسألك أو تسألنى ؟ » فقال له القدرى: « سلنى ولا تكثر » فقال له الأوزاعى : « هل علمت أن الله عز وجل قضى [2] بما نهى عنه ؟ » قال القدرى: « ما عندى من هذا علم » فقال له الأوزاعى : « هل علمت أن الله تعالى حال دون ما أمر به ؟ » فقـال : « هذه أعظم من الأولى ، ما عنـدى من هذا علم » قال له الأوزاعى: « هل علمت أن الله عزوجل أعان على ما حرم ؟ » فقال : « هذه أعظم من الاثنتين ، ما عندى من هذا علم » فأمر به الخليفة فقتل ، ثم قال

---

(١) فى الأصل : المبتلاين .

(٢) فى الأصل : « قضى على ما نهى عنه » .

للأوزاعى : « يا أبا عمر ، تكلمت ففسر » فقال : « سألته عن ثلاث كلمات من كتاب الله تعالى ؛ قلت له : « هل علمت أن الله عز وجل قضى بما نهى [عنه] ؟ » ، فإن الله تعالى نهى آدم عن أكل الشجرة ، وقضى عليه بأكلها . وقلت له : « هل علمت أن الله عز وجل حال دون ما أمر به ؟ » ، أمر إبليس لعنه الله تعالى بالسجود لآدم وحال بينه وبين ذلك . وقلت له : « هل علمت أن الله عز وجل أعان على ما حرم ؟ » ، فإنه حرم الميتة وأعان المضطر على أكلها » .

قال بكر بن حماد [1] : لما فرغت من قراءة كتبي كلها على عون — وهي كتب ابن وهب — قلت له : « يا أبا محمد ، كيف كان سماعك من ابن وهب؟ » فقال لى : « يا بنى ، أقال لك أحد فينا شيئاً ؟ » ثم قال لى : « والله ما أحب أن يعذب الله أحداً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بسببى بالنار ؛ أبطل الله سعيه وصومه وصلاته وسائر عمله إن كنت أخذتها من ابن وهب إلا [قراءة] : [2] قرأت عليه أنا وقرأ علىّ ، ولو كانت إجازة لقلت إنها إجازة . وقد حضرت ابن وهب وأتاه رجل بكتبه فى تلبس فقال له : « يا أبا محمد ، هذه كتبك » ، فقال له ابن وهب : « صححت ، وقابلت ؟ » فقال : « نعم » فقال له : « اذهب فحدّث [بها] [2] فقد أجزتها لك ، فإنى حضرت مالكاً وقد فعل [مثل] [2] ذلك » [3] .

---

(١) هكذا ورد الاسم فى الأصل ، وكذلك فى « طبقات » أبى العرب ، ولكن أبا العرب يقول فى تتمه الخبر بعد ذلك : «قال أبو بكر ..» (ص ١٠٦) مما يفهم منه ان اسمه قد يكون أبا بكر بن حماد ، والمراد هنا أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سمك بن اسماعيل الزناتى المتوفى سنة ٢٩٦ . انظر : « المعالم » ج ٢ ص ١٩٢ .

(٢) التكملة من « طبقات » أبى العرب ، ص ١٠٥ .

(٣) الى هنا تقف نسخة المالكى التى بين يدى بهذا الخبر ، وقد أورد أبو العرب فى « الطبقات » (ص ١٠٦) بقيته وهى : « قال أبو بكر [ابن حماد] : فقلت له : « يا أبا محمد ، فكتاب الأهوال سمعته من ابن وهب ؟ » فقال : « لا ، حدثنى به رجل يقال له موسى بن منير عن ابن وهب » . قال أبو العرب : « وموسى بن منير من أهل الأندلس » .

ثم قال بعد ذلك : « وكان الذى صلى على عون سحنون ، ودفن بباب نافع ، ومناقبه كثيرة اختصرناها لئلا تطول » .

قال ابن حارث : «رأيت فى «كتاب دحمان بن معافى» ، قال : نزلت نازلة أحضرلها محمد بن الاغلب علماء القيروان ، فتقدم عون ، فقال له ابن =

١٢٩ – ومنهم **أبو سنان زيد بن سنان الأسدى**، رضى الله تعالى عنه.

كان ثقة مأموناً فقيهاً. قال أبو العرب: وكان سعيد بن الحداد يقول: «ما سمعت الدنيا تُذكر عنده قط». (١) ولقد كان من تواضعه يحمل الخبزة على يده إلى الفرن فيراوده الطلبة على أن يحملوها له فيأبى إلا أن يحملها بنفسه تواضعاً.

قال أبو سنان: كان بالمدينة رجل يصلى كل وقت تحل فيه الصلاة، فإذا جاء وقت لا تحل فيه الصلاة ألقى ظهره على الحصى (٢) فى المسجد ورفع رجله على جدار المسجد ثم قال: اللهم امنن علىّ بلقائك حتى أستريح، فإنه لا راحة لمن عرفك حتى يلقاك.

قال سليمان بن سالم: قال لى أبو سنان: «يا سليمان، إذا كان طالب العلم قبل أن يتعلم مسألة فى الدين يتعلم الوقيعة فى الناس، متى يفلح؟». وكان، رحمه الله تعالى، لا يتكلم أحد فى مجلسه بغيبة، وإذا هم بذلك أحد نهاه وأسكته.

موعظة: قال أبو سنان: كتب إلىّ عبد الرحمن بن أبى الغَمْر كتاباً، فكان فيما كتب به إلىّ: «عليك يا أخى بنفسك، فلها فاعمل، وعلى حظها فاحرص، وعلى دوام بقائها بالنعيم المقيم فقم لها بذلك».

= الأغلب: «تقدم يا أبا محمد، فلك السن ولك الجلالة، ألم يقل مالك كذا؟ ألم يقل مالك كذا؟»، وهو يقول: «نعم»، وتكلم ابن قادم، فعطف أبو سنان فقال: «أما أنا فما تكلمت بشىء»، فقال له ابن الاغلب: «ولا سألناك عن شىء».

هذا، وقد ختم «ابن ناجى» ترجمة «عون» التى كتبها الدباغ بتعليق من عنده لا تخفى أهميته وهو: «قلت (أى ابن ناجى): وكان عون أوصى ابنه يحيى أن يصلى عليه، وقال سحنون: «يزعم أنى كذاب لم أسمع من ابن وهب، وإنما أخذت عليه إجازة» فلما قدم للصلاة عليه تقدم ابنه «يحيى» وقال: «انه أوصى ألا تصلى عليه» فضرب رأسه بالسوط، وصلى عليه. قال ابن وضاح: كان عون والله خيرا منه وأتقى لله عز وجل».

(١) هذه العبارة غير واردة فى نسخة «طبقات» أبى العرب المطبوعة، ولكنها واردة فيما نقله الدباغ عن أبى العرب فى «المعالم»، وهى فى هذا المرجع الأخير أصح مما هى فى نسخة «الرياض» التى بين أيدينا، وقد قومتها.

(٢) فى «المعالم» جـ ٢ ص ٧: حصباء المسجد.

[وكان سعيد بن إسحاق وسعيد بن الحداد يذكرانه بخير كثير . ويذكر سعيد ابن الحداد أنه كان متقشفاً سمحاً . وكان فقيراً] (١) . [وكان سعيد بن الحداد يسأله في ذلك] (٢) . فكان [يقول] (٢) : « قد حُجبتَ عن القيام بما ذكرت لك ، [و] ما كان ذلك مبذولا . واعلم أنك لا تقوى على ذلك حتى تترك ما تحب إلى ما تكره . فعند ذلك تقوى على ما تريد ويهون عليك طلب ذلك وتقدر عليه إن شاء الله تعالى . [وأنت] أبعد ما تكون منه حين تعطى نفسك مناها وتدرأ عنها ما تكره ، واعلم أن ذلك بالله ومنه . فعليك بالاستعانة به (٣) في ذلك . فلعلك تعطاه إن حسنت فيه نيتك » (٤) .

١٣٠ – ومنهم **أبو البشر (٥) زيد بن بشر بن عبد الرحمن الأزدى** .

كان أصله من مصر فقــدم مدينة القــيروان (٦) . وكان فاضلا ، رحمه الله تعالى . ذكر سعيد بن أخى هشام ، قال : كان طريق بشر على سوق الخرازين فأقبل يوماً يريد الجامع وحوله الطلبة ، فإذا بشاب خراز يقول لجاره : « ما رأيت أوحش من هذا الشيخ ولا أوحش لباساً من لباسه » . وكان زيد يلبس

---

(١) واضح أن عبارة من الاصل سقطت من الناسخ هنا ، ولما كان الكلام بعد ذلك منصبا على التقشف والزهد في الطعام ، فقد رأيت أن أنقل الفقرات الواردة بين الحاصرتين من « طبقات » أبى العرب (ص ١١٧) .

(٢) أضفت هذه العبارة ليستقيم السياق .

(٣) في الاصل : بالاستعانة اليه في ذلك .

(٤) ختم أبو العرب المادة الخاصة بزيد بن سنان في « الطبقات » (ص ١١٧) بعبارة تزيدنا معرفة بزيد وعلاقته بسحنون ، وهى : « قال : وقد ذكر لى أبو سليمان بن عيشون وغيره أن سحنون بن سعيد كان يغمزه ، قال : وكان أبو سنان على السنة . ذكر ذلك محمد بن سحنون . ومات أبو سنان سنة أربع وأربعين [ومائتين] وصلى عليه سليمان بن عمران ، ودفن بباب أبى الربيع » .

ولم يذكر المالكى شيئا عن شيوخه ، وقد ذكرهم أبو العرب (ص ١١٦) وهم : بهلول بن راشد وصقلاب بن زياد وأسد بن الفرات ، وسمع منه بكر بن حماد وسعيد بن اسحاق وسعيد بن محمد بن الحداد .

وذكر ابن ناجى في تعليقاته على نص الدباغ في « المعالم » أن زيد بن سنان ولد سنة خمس وخمسين ومائة (ج ٢ ص ٧٠ – ٧١) فكأنه عاش تسعاً وتسعين سنة .

(٥) في الأصل : أبو اليسر ، والتصحيح من أبى العرب : « الطبقات » ص ٢٥٥ .

(٦) العبارة هنا مبتورة ، وتتمتها في « طبقات » أبى العرب (ص ٢٥٥) وهى : وسحنون حينئذ قاض بها ، فأتاه زيد فسلم عليه ، ثم لحق بتونس فسكنها وأوطنها .

المفرج ،(١) فلما سمع ذلك زيد نكس راسه وتمادى إلى الجامع . فلما انصرف من الجامع عاوده الشاب بقبيح اللفظ ، فانصرف زيد ولم يلتفت إليه ، فاتفق طلبة زيد على أنهم يضربون الشاب . فلما بلغ ذلك زيداً قال : « ما هذا الذى أردتم ؟ و [ما] الذى بلغنى أنكم تنفستم به فى شأن الشاب ؟ » فقالوا : « هو ما قيل لك ، أصلحك الله . لاستخفافه بحقك وامتهانه لقدرك وعلمك » فقال لهم : « أعطى الله عهداً إن تقدم إليه أحد منكم إلا بالتى هى أحسن [ما] وطئ لى بساطاً . أنا أصلح شأن الشاب » . فصرَّ صرة فيها عشرة دراهم ، وجعلها فى جبته . واستعمل لفردة نعل من (ص٨٧) نعليه قبالا واهياً ، ثم توجه إلى الجامع . فلما مر بالشاب عاود اللفظ القبيح حسب عادته . فلما حاذاه اتكأ على القبال فقطعه ، ثم مال إلى الشاب فسلم عليه ثم قال : « أى بنى ، لعل عندك قبالا(٢) ؟ » فأعطاه قبالا . فدفع إليه بالصرة . فقال له الشاب : « ما بال هذه الصرة ؟ » فقال : « إنك صنعت لى هذا القبال ، فهو مكافأة لك عليه » وانصرف مع الطلبة إلى الجامع . فلما انصرف من الجامع وقرب من حانوت الشاب قام الشاب على قدميه وقال : « الحمد لله الذى اختص بلدنا بهذا الشيخ الفاضل » ، ثم قال : « اللهم أبقه لنا واحرزه للمسلمين . فلقد انتفع به شبابنا وحظى به شيوخنا . ليت فى بلدنا آخر مثله » . استعمل ، رحمه الله تعالى ، أدب ما أنزل عز وجل فى كتابه : « ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم »(٣) .

---

(١) الثوب المفرج هو المفتوح من أمام . انظر :
Dozy : *Supplément* . . . , II , P . 248
وقد قرأ « دوزى » عبارة « الرياض » هذه وأوردها بنصها فى « ملحق القواميس » وفسر لفظ مفرج بقوله : نوع من الملبوس .

(٢) جاء فى « اللسان » : القِبَال زمام النعل ، وهو السير الذى يكون بين الأصبعين ، وفى الحديث : « قابلوا النعال » ، أى اعملوا لها قبالا ، (م . قبل . جـ ١٤ ص ٦٠) .

(٣) روى أبو العرب هذا الخبر فى صورة أخرى ، هكذا : « كان من أكرم الناس ، قال : لقد حدثنى سليمان بن سالم وغيره أنه انصرف ليلة من مسجد جامع (كذا) تونس ، فانقطع شسع نعله ، فوثب اليه رجل حائك ، فأعطاه شسعا فأصلح نعله . وكان يحمل معه منديلا ، فقال لحامل المنديل : « قرب المنديل الى » فقربه منه ، فنظر الى وجه الحائك ليعرفه فيكافئه ، فكان كلما مر الى المسجد ومعه الجماعة مال إلى الحائك فسلم عليه ويسأله عن حاله ، شكراً للشسع الذى أعطاه » — « طبقات علماء إفريقية » ص ٢٥٦ .

١٣١ – ومنهم أبو الوليد مروان بن أبى شحمة (١) المسيلى الافريقى ، رحمه الله تعالى .

قال أبو العرب : كان ثقة مستجاباً فاضلا . وهو مولى آل عمر بن نافع . سمع من وكيع بن الجراح ومن عبد الرحمن بن مهدى [ومن غيرهما . وكان فاضلا] . (٢) وكان سحنون يعرف فضله . سمع منه أحمد بن وزان (٣) الصواف .

قال : وبعث فى طلبه بعض أمراء بنى الأغلب (٤) فى أمر نسب إليه ، (٥) فأقبل [ولقى] (٦) وقت دخوله إلى الأمير خصياً بيده عود أو طنبور . فأخذه مروان من يده بنزع عنيف [فكسره] . فدخل [الخصي] على الأمير وقال : « شيخ بالباب كسر من يدى كذا وكذا » ، وخرق الخصى ثيابه لعظم ما نزل به عند نفسه . فلما دخل مروان على الأمير عاتبه فيما صنع . فقال : « نعم ، رأيت منكراً فغيرته » فلم يراجعه الأمير ، ثم عافاه الله تعالى منه وخرج .

وحدث عبد الرحمن ابنه فقال : كان أبى يعمل الطوب بيده ، فيتصدق بثلث ما يربح ، وينفق الثلث الثانى ، ويرد ثلثاً فى الطين والتبن وفيما يصلح به عمل الطوب . قال : ولم يكن له سرير يرقد عليه ، إنما كان قد نصب طوباً

---

(١) فى الاصل : سمحة . والتصويب من «المعالم» (جـ٢ ص ٦٨) و«طبقات أبى العرب » (ص ١١٥) .

وقد أضاف صاحب « المعالم » الى اسمه : مولى آل عمر بن الخطاب . وفى « الطبقات » أنه : مولى آل عامر بن نافع .

(٢) التكملة من أبى العرب ، « الطبقات » ص ١١٥ .

(٣) فى الأصل : أحمد بن رازن ، والتصويب من « المعالم » . واسمه الكامل أبو حفص أحمد بن وزان الصواف . انظر ترجمته فى كتابنا هذا (الفهرس) وفى « المعالم » جـ ٢ ص ١٣١ .

(٤) قال أبو العرب : « وأحسبه هو الأمير محمد بن الأغلب » – (« الطبقات » ص ١١٥) .

(٥) فصل أبو العرب هذا الأمر الذى نسب الى مروان بقوله : « وكان قيل للأمير يومئذ – وأحسبه هو محمد بن الاغلب – إنه متشبه » – «الطبقات» ص ١١٥ .

(٦) التكملة من « أبى العرب » ، ص ١١٥ .

[فعليه] ينام [في بيته] (١) وقال غير أبي العرب : كان مروان رجلا صالحاً متقللا من الدنيا. وكان يُهَجِّرُ (٢) إلى الجامع وعليه تأزير مرتدياً بإزار آخر (٣) .

وكان إذا جنه الليل ينادي : « إلهى ، لئن كنت أطلتَ في الدنيا جهدى وتطبل شقائى فى الآخرة لقد أهملتنى وأسقطتنى من عينك أيها الكريم » ، ثم يبكى حتى يغشى عليه ، ويقول عند ذلك : « قال مالك بن دينار : إن كنت تحب البقاء فعليك بدار تعافى فيها فلا تسقم ، ولا تشيب فيها ولا تهرم ، وتقيم فلا تظعن ، وتعيش فلا تموت » - يعنى الجنة (٤) .

١٣٢ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن عياض المعلم .

قال أبو العرب : كان رجلا صالحاً ثقة عالماً بتعبير الرؤيا ، وله سماع من البهلول وغيره . أقام خمس عشرة سنة يشتهى [التمر] (٥) . فاشترى له منه طل . فلما مرض [قال] (٥) لهم : « انظروا التمر فى الطاق فتصدقوا به » . ومات لم يأكله ، رحمه الله تعالى (٦) .

---

(١) التكملة من « طبقات » أبى العرب ، ص ١١٥ .

(٢) جاء فى القاموس المحيط (م . هجر) أن التهجير هو التبكير الى الصلوات ، وهو المضى اليها فى أوائل أوقاتها .

(٣) فى الأصل من غير نقط أو همز ، وقد ورد هذا اللفظ على صحته فى « طبقات » أبى العرب (ص ١١٥) . والتأزير جبة مما كان الرجال يلبسونه ، انظر .

Dozy : *Dic . des Noms des Vêtements . . .* , art . تأزير
Dozy : *Supplément . . . etc* . art . و إزار

(٤) بازاء هذا السطر فى هامش الأصل كلمة : نسخة .

قال « الدباغ » : انه توفى فى شوال سنة اثنتين وأربعين ومائتين وهو ابن أربع وتسعين سنة . « المعالم » جـ ٢ ص ٦٩ .

(٥) التكملة من أبى العرب ، « الطبقات » ص ١١٢ .

(٦) جاء فى « طبقات » أبى العرب فى نهاية كلامه عنه : « عمّر ، [و] ما أحسب أن موته [كان] سنة ستين ومائتين » . (ص ١١٢) وقد ذكر الدباغ أن وفاته كانت سنة ٢٥٣ (« المعالم » ، جـ ٢ ص ٧٩) وقد تكلم عنه تحت اسم ابنه جعفر خطأ .

١٣٣ — ومنهم **بو جعفر عبد الله بن محمد بن علي الدغشي** ، رحمه الله تعالى .

ذكر أبو العرب أنه كان ضعيفاً في الحديث . وذكر غيره أنه كان من العلماء الزهاد ، وأنه كتب إلى سهل بن يونس كتاباً يسأله فيه أن يعظه ويكتب إليه بحاله ، فكتب إليه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، كتبت إليّ تسألني عن حالي ؛ وما عسى أن أخبرك به من حالي وأنا بين خصال موجعات أبكاني منهن أربع : [ ] (١) النظر ، ولساني الفضول ، وقلبي الرئاسة ، فأجابني إبليس لما يكره الله عز وجل مني ؛ وأمرضني [أربع] مثلها : عين لا تبكي للذنوب المثبتة ، وقلب لا يخشع عند الموعظة ، ومعرفة كلما قلبتها لم أحمدها ، وحب المحمدة من الخلق ، وأضناني [أربع] مثلها : عدمت خير زاد الآخرة وهو التقوى ، وحرمت خير خصال الإيمان وهو الحياء ، وبعت أيامي بمحبتي الدنيا ، وضيعت قلباً لا أقتني مثله أبداً ؟ » .

١٣٤ — ومنهم **عباس بن عبد الله الضرير** .

كان مكفوف البصر ، وكان من الفضل والعبادة [بمكان عظيم] ، كثير الحزن والبكاء . حدث جبلة بن حمود عن عون بن يوسف ، قال : كان عباس الضرير ينادي إذا أجنه الليل : « ليت شعري ، إلى متى تحبسني ؟ أنت تعلم أني لا أريد من الدارين غيرك ، فعجل راحتي » . وكان يحيي الليل صلاة ، فإذا طلع الفجر وأصبح يقول : يا ابن آدم ، إنه ليس أحد أبر منه بخلقه ، ولا أعلم بالدنيا وضررها من خالقها ، وكان من بره [العـ]ـميم أن أراد لـ[ـهم] ما يبقى وكره لهم ما يفنى ، فقال تبارك وتعالى : (تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة) ، ثم يقول : « إلهي ، لاطفتَ العصاة حتى كأن بك الحاجة إليهم ، وقد طال صبري عنك ولابد لي منك » ، ثم يندفع في النياحة .

١٣٥ — ومنهم **أحمد بن أبي محرز القاضي** ، رضي الله تعالى عنه .

قال أبو بكر بن اللباد : إنه لم يحكم في قضائه منذ ولي حتى مات إلا بحكم واحد : يقال إنه حكم في حمار وغرم ثمنه ، وذلك أنه ولي القضاء مكرهاً في شهر رمضان سنة عشرين ومائة ، فأقام على القضاء تسعة أشهر ثم توفي . قال أبو العرب : كان أحمد ابن أبي محرز ورعاً ، لم يحكم بحكم حتى مات . وكان سحنون إذا تكلم فيمن تقدمه من القضاة لم يتكلم فيه إلا بخير [لفضله] (٢) .

---

(١) بياض بالأصل .
(٢) التكملة من أبي العرب ، « الطبقات » ، ص ٩٥ .

وكان سبب توليته القضاء أن الناس احتاجوا إلى قاض ، وكانوا فى ذلك الوقت إذا عرض القضاء على أحد امتنع من ذلك، فجمعهم الأمير عنده فى مقصورة وقال لهم : « ليس تخرجوا من عندى من هذا المكان حتى تشيروا علىّ بقاض أوليه على المسلمين » فامتنعوا من ذلك . فلما رأى الأمير ذلك دس عليهم من عنده عيناً وقال [له]: « انظر إليهم وقت الصلاة من يقدمونه يصلى بهم » ، (ص٨٨) فرجع إليه الرسول فأخبره أنهم قدموا على أنفسهم أحمد بن أبى محرز ، فقال الأمير : « [من] رضوه لدينهم رضيته أنا للدنيا » . فعندها أجبره على القضاء وأطلق الباقين . فلما ولى القضاء اشترط على الأمير ألا يقبل من أحد من أقاربه أو حشمه أو من يلوذ به وكيلا .

وقال من له عناية بأخبار القضاة : تخاصم رجل من أهل القيروان مع رجل يعنى به علىّ بن حميد الوزير فى دار من دور مدينة القيروان بقرب موضع يعرف « بسقيفة المساكين » « بالسماط الأعظم » . فلما نشبت الخصومة فى هذه الدار عند أحمد ابن أبى محرز وجب عقلها حتى يفصل فيها ، فطبعها (١) على الرجل الذى كان يعنى به

---

(١) الطبع فى الأصل : الختم ، وهو التأثير فى الطين ونحوه (القاموس المحيط ، م ٠ طبع) ٠

وجاء فى اللسان (م ٠ طبع ، ج ١٠ ص ١٠٢) : « وطبع الشىء وعليه يطبع طبعا : ختم ٠ والطابَع والطابِع : الخاتم الذى يختم به ٠ والطابع : ميسم الفرائض ، يقال : طبع الشاة ، وطبع الله على قلبه : ختم ٠٠٠

وعن أبى إسحاق النحوى أن طبع وختم واحد » ٠

وقد دخل لفظ « طبع » فى اصطلاحات القضاء فى المغرب الاسلامى — على الأقل — بهذا المعنى الأخير ٠ فالطابع فى مصطلح القضاء : « كتاب يكتبه القاضى ويطبعه بخاتمه يستدعى به من يريد للحضور أمامه (الثعالبى لطائف المعارف ، ص ١٠٨) ٠ وقد علق على هذا الاصطلاح القضائى تعليقا وافيا خوليان ريبرا فى مقدمة ترجمته الاسبانية لقضاة قرطبة للخشنى :

Julian Ribera *Historia de los jueces de Cordoba, Par Aljoxani* (Madrid, 1914). *Prologo del traductor*, pp. VII — XLVI.

وقد ورد هذا اللفظ فى قاموس بطرس الكلاعى ٠

Pedro de Alcala : *Vocabulista aravigo en letra Castellana*, Granada 1505

بمعنى الختم (Selladura) واختصه دوزى بمادة من ملحق القواميس

Dozy : *Supplément . . . II . p .* 23

وذكر أن من معانيه : انذار Semmation أو اشارة Signe وغير ذلك ٠

ولفظ « طبع » مستعمل هنا مع حرف الجر « على » ، وقد وجدت فى =

عليّ بن حميد . فمضى ذلك الرجل إلى عليّ بن حميد فأخبره . فأمر عليّ بن حميد بحل الطابع . وذلك أن عليّ بن حميد هذا [كان] من دولة بنى الأغلب بمحل الوزارة ورفيع الرياسة ، حتى كان بنو الأغلب يدعونه « العم » ؛ فمضى الرجل المطبوع [له] إلى أحمد ابن محرز وهو جالس فى مجلس قضائه بجامع القيروان فأخبره بذلك . فغضب القاضى وضم (١) ديوانه ومضى إلى داره ، وأخذ سجل ولايته ومضى إلى قصر [الأمير] (٢) القديم نصف النهار وقت قائلة الأمير زيادة الله . فوافق مسروراً الحاجب وسأله الإذن على الأمير ، فمنعه من ذلك وقال : « ليس هذا وقت إذن » فقال له أحمد القاضى : « وتمنعنى من بابه ؟ » فقال له : « لا أمنعك ولا آمرك » فأتى أحمد القاضى إلى باب قصر زيادة الله فقرع حلقته . فخرجت والدة زيادة الله من مقصورتها فزعة . فقيل لها : « القاضى أحمد يريد الإذن [على] (٣) الأمير لأمر أهمه » . فأتت إلى مقصورة زيادة الله وهو نائم على سريره مع بعض حرمه . فحركت حلقة الباب . فقال الأمير : « من هذا ؟ » فقالت : « الوالدة » فقال : « وما حاجتك ؟ » فقالت : « القاضى بالباب ، و[قد] ذكر أنه أتى فى أمر أهمه » (٤) فأذن له بالدخول عليه . [فدخل وسلم عليه] بالإمارة وقص عليه قصته وقال : « هذا سجلك . فإن رأيت أن تعافينى فإن الله تعالى يجزل مثوبتك » فكان جوابه : « اجلس خارج القصر حتى أريك ما أفعله » . قال : [فخرج] (٥) أحمد [القاضى] (٥) إلى سقيفة القصر وقام زيادة الله فاغتسل ولبس ثيابه وركب وجمع جنده حوله ، وركب أحمد القاضى معه يحادثه ولا يدرى أين يتوجه الأمير ، حتى دخل من « باب أبى الربيع » ووقف على باب المسجد المعروف « بمسجد المقرعة » بالقرب من الجامع . فقال لأحمد : « أين الدار التى أمرت بطبعها ؟ » فقال : « هذه هى »

= اللسان : « الطبع أيسر من الإقفال ، والإقفال أشد من ذلك كله » ، مما يفهم منه أن قوله « طبع على الدار » : وضع عليها قفلا يسيرا ، أو أقفلها ووضع عليها طابع القاضى حتى يستقصى أمرها ويصدر حكمه فيها ، وهو المراد هنا .

(١) فى الأصل : واحم .

(٢) التكملة من « المعالم » ، ج ٢ ، ص ٢٩ .

(٣) التكملة من « المعالم » ، ج ٢ ص ٢٩ .

(٤) فى الأصل وفى المعالم (ج ٢ ص ٢٩) : دهمه .

(٥) التكملة من « المعالم » ، ج ٢ ص ٣٠ .

فقال : « اجعل عليا طابعاً » ففعل ذلك ، وختم بطابع الأمير زيادة الله ، ثم عطف على أحمد فقال : « إنا نرضيك يا قاضى » . فلما سمع علىّ بن حميد ذلك ومجىء الأمير ووقوفه « بالسماط الأعظم » خرج راجلا حتى أتاه ، فكان من زيادة الله إلى علىّ كلام خشن ، وقال له فى كلامه : « والله لولا واجب قديم صحبتك ما جعلت طابعه إلا على رأس من حله ! من تنقص قاضىّ فإنما تنقصنى وحل من أمرى » . ثم رجع الأمير زيادة [الله] إلى قصره ، فكان من ذلك بالقيروان رجة عظيمة . وتبرأ علىّ بن حميد من ذلك الرجل وود لو أن حياته انقضت قبل ذلك . وجرى مثل ذلك غير ما مرة ، فرحمة الله تعالى ورضوانه على الأمير وعلى قاضيه .

وكان زيادة الله يقول : « ما أبالى إن سأ [لنى] الله بم (١) قدمت عليه يوم القيامة وقد قدمت أربعة قبل وفاتى » ، قيل : « وما هى ؟ » قال : « بنائى المسجد الجامع بالقيروان ، أنفقت فيه ستة وثمانين ألف دينار ، وبنائى « القنطرة » « بباب أبى الربيع » ، وبنائى « الحصن بسوسة » ، وتوليتى أحمد بن أبى محرز قضاء إفريقية » .

وسُمع [محمد] بن زرقون يحكى أنه تخاصم رجل أبزارى مع رجل آخر عند أحمد بن أبى محرز ، فراجع الأبزارى ابن أبى محرز وجفا عليه ، فأمر بأدبه . فلما كان فى تلك الليلة راجع [أحمد] بن [أبى محرز] القاضى نفسه فى أمر الأبزارى فوقع عنده أنه انتصر لنفسه ، فلما أصبح وجه فى طلب الأبزارى ليتحلل منه ، فوجده قد رحل إلى المشرق للحج ، فلحقه إلى مدينة « قلشانة » فاجتمع معه وسأله [أن] يحلله فحلله فرجع . فلما صار فى بعض الطريق قال فى نفسه : « رجل فعلت به ما فعلت فى جماعة من المسلمين [ثم] سألته أن يحللنى بينى وبينه ، هذا لا يصلح » .(٢) [فرجع] (٣) إلى رفقة الحاج وجلس فى وسط الناس وطلب الأبزارى ، وجمع الرفقة وأعلمهم بالقصة ، وسأل الأبزارى بحضرتهم أن يحلله أو يقتص منه ، فحلله الأبزارى وقال : « ما أردت ، أصلحك الله ، إلا خيراً . وأنا رفعت كلامى عليك ولم أجلّ القضاء ، وقد أخطأت فيما فعلت وأنت فى حل مما أمرت به وفى سعة فى الدنيا والآخرة عن طيب نفس منى » ، فشكره على ذلك ودعا الناس لابن أبى محرز وشكروه على ذلك وبكا

---

(١) فى الأصل : ما .

(٢) وفى « المعالم » جـ ٢ ص ٢٨ : لا يصح .

(٣) التكملة من « المعالم » جـ ٢ ص ٢٨ .

لفرقته، وانصرف إلى مدينة القيروان . فرحم الله أبا محرز : حاسب نفسه قبل أن يحاسَب، ولم يتقلد لأحد قلادة يطالَب بها يوم القيامة. فلقى الله تعالى خفيف الظهر.

وكان كثير البكاء غزير الدمعة، قال عبد الله الربعى : ذكر يوماً فى مجلس ابن أبى محرز أن عمر بن عبد العزيز عزم على إبرهيم بن أبى علية [1] أن يوليه القضاء فامتنع من ذلك إبرهيم، فشدد عليه عمر فى ذلك فقال إبرهيم : « يا أمير المؤمنين ، بينى وبينك كتاب الله عز وجل » قال : « وما هو؟ » قال : « قوله تعالى (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) [فلم يـ] [2] ـكرهها على حملها ولا عتب [3] إذ أشفقت منها ». فبكى ابن أبى محرز عند ذلك بكاء عظيما حتى انصرف الناس، (ص٨٩) ولم ينتفع به باقى يومه ذلك.

ولم يزل قاضياً بالقيروان لزيادة الله حتى توفى . وكانت ولايته تسعة أشهر . ولما احتضر أحمد، قال لابنه عمران : « إنى أظن هذا الملك — يعنى زيادة الله — إذا أنا متُّ يبعث [4] إلىّ بكفن وحنوط ويصلى علىّ . فإذا أنا مت فاستر موتى واغسلنى وكفنى وحنطنى وصل علىّ أنت ومن حضرك من أهل خاصتنا، ثم أظهر موتى وأخرجنى إلى قبرى » ؛ ثم مات رحمه الله تعالى . وفعل عمران ما أمره . فلما أخرجه وصار على باب داره . وافاهم « خلف» الخادم من عند الأمير زيادة الله ومعه اثنا عشر ثوباً وبرمة فيها مسك . فقال عمران : « ما هذا الذى صنعت؟ » قال : « هل من سبيل [5] إلى أن تدخلوا هذه الثياب فى كفنه ؟ » فقال : « ليس إلى هذا سبيل ، ولا يصلح هذا » . فأخذ خلف الخادم تلك البرمة وأفرغها على كفن أحمد القاضى حتى أتى على آخرها، ومضوا به. فلقيهم زيادة الله عند المصلى، فنزل وصلى عليه، وحضر دفنه وعزى عمران ولده . ثم قال زيادة [الله]: ياأهل القيروان، مالكم عند الله من خير ، ألم يُزِل أحمد من بين أظهركم ؟ [6] وإنما استكفاه أموركم تسعة أشهر» .

---

(١) فى « المعالم » ج ٢ ص ٢٨ : أبى عبلة .

(٢) التكملة من « المعالم » ، ج ٢ ص ٢٨ .

(٣) فى الأصل : عيب ، وفى « المعالم » (ج ٢ ص ٢٨) : ولا عنفها .

(٤) فى الأصل : ان يبعث . وقد حذفت « أن » لأنها زائدة .

(٥) فى الأصل « فلاسبلى » من غير نقط ، وهو خطأ من الناسخ . وقد صوبتها من « المعالم » ج ٢ ص ٣١ .

(٦) عبارة الأصل هنا مقلقلة ، ومعناها مفهوم إجمالا ، ونص ابن ناجى =

١٣٦ – ومنهم أبو عبد الملك الملشونى وابنه اسحق ٠

قال أبو العرب : حدث عن معامل بن سليمان وغيره ، وحديثه يدل على ضعفه .

وقال غير أبي العرب : كان أبو عبد الملك الملشونى صاحب أخبار ومغاز وله كتاب كبير فى أخبار الأنبياء صلوات الله عليهم وفى الندى (١) .

وقال أبو العرب . وكان أمراء بنى الأغلب يرسلون إلى أبى إسحاق فيكون عندهم فى شهر رمضان ، فيحدثهم بتلك العجائب حتى يقطع بهم طول النهار . وكان ربما جالس سحنون بن سعيد . وكان الشيخ أبو القاسم بن شيلون الفقيه . رضى الله تعالى عنه ، [يروى] ، فيما [كان يرويه] ، (٢) أن سحنون بن سعيد دخل على محمد بن الأغلب الأمير أول يوم من شهر رمضان ، فألفى الأمير خالياً . فقال له : « أراك أيها الأمير خالياً » فقال : « نعم ، انفرد [نا] فى هذا الشهر المعظم وخلونا فيه وتركنا ما كان لغير الله عز وجل » ، فقال سحنون : « فأين أنت أيها الأمير من إسحاق الملشونى يحدثك بأخبار الأمم السالفة والأعوام الماضية ؟ » . فأمر محمد بن الأغلب بإحضاره . وكان يحضر عند محمد بن الأغلب فى كل يوم يحدثه بذلك حتى انقضى شهر رمضان ، فلما رأى هلال شوال خرج الحاجب إليه فقال : « انصرف » . قال إسحاق : « فقلت فى نفسى : ما أحد أعجز منى ولا أزهد فى نفسه ! (٣) حضرتُ مجلس الأمير ثلاثين يوماً فلم أذكر الدَّين الذى علىَّ ولا الفقر الذى أنا [فيه] ! فلما بلغتُ الباب إذا برسول يركض خلفى فقال : « أجب الأمير » ، فرجعت فدخلت عليه فقال : « يا ابن الملشونى ، أردت أن أسألك عن شئ أجبنى عنه » فقلت : « أصلحك الله ، ما هو ؟ » فقال : « عقل الرجل أين مسكنه ؟ » فقلت : « أما من عاقل مثلك فبين عينيه ، وأما من حليم مثلك فوسط رأسه ، وأما فى غير حازم مثلى وفى عاجز يشبهنى فى قفاه »

= الذى علق به على الدباغ فى « المعالم » أقوم ، فهو يقول : « يا أهل القيروان لو أراد الله بكم خيرا لم يزل أحمد بن أبى محرز بين أظهركم » – ج ٢ ص ٣١

وقد ذكر الدباغ بعد ذلك تاريخ وفاة أحمد بن أبى محرز وهو : جمادى الآخرة سنة احدى وعشرين ومائتين ٠

(١) كذا فى الأصل ٠

(٢) بياض بالأصل ، وقد أضفت ما بين الحواصر ليستقيم السياق ٠

(٣) فى الأصل : فى نفسى ٠

قال : « ولم ذاك ؟ » فقلت : « أصلح الله الأمير ، جالستك وسامرتك ثلاثين يوماً ولم أذكر لك ديناً علىّ ولا أعلمتك به » قال : « ويحك ! وكم عليك دين ؟ » قلت : « مائة وخمسون ديناراً » ، فأمر بها من بيت المال » . قال إسحاق : « فقلت له : القمح الذى تقوم به الأبدان ليس فى البيت منه شئ » قال : « وكم قوتك فى السنة ؟ » قلت : « خمسون قفيز قمح » قال : « فأمر لى بها ، فقلت له : « أصلح الله الأمير ، البرذون الذى يحمل رحلى لا يقوم إلا بالعلف » قال : « وكم يقوم به فى السنة؟ » قلت: « خمسون قفيز شعير » فأمر لى بها ، فقلت : « أصلح الله الأمير ، الزيت الذى نأتدم به ونستصبح به ليس فى البيت منه شئ » قال : « وكم يقوم بك فى السنة ؟ » قلت : « ثلاثمائة قفيز » فأمر لى بها ، فقلت : « أصلح الله الأمير ، الحطب الذى ليس عنه غنى ليس عندنا منه شئ » قال : « وكم يقوم بك ؟ » قلت : « عشرة أحمال » فأمر لى بها ، قال : ثم أمر الأميرُ إبرهيمَ بن دارم كاتبه أن يدفع إلىّ الخمسين ومائة دينار وقال : « إن شئت تعطى بها ، وإن شئت اصنع بها ما شئت » قال : « فأخذت ذلك كله وانصرفت ، وذلك ليلة العيد » .

١٣٧ – **ومنهم أبو الوليد عبد الملك بن قطن اللغوى .**

كان شيخ أهل اللغة العربية والرواية ورئيسهم وعميدهم والمقدم فى زمانه وبلده . وكان من أحفظ العلماء وأكثرهم رواية لأنساب العرب ووقائعها وأيامها : وحسبك معرفة بعلمه وصحة روايته أن أكثر الأشعار المشروحة كانت تقرأ عليه مجردة من الشرح فيشرحها ويبين معانيها . وفيما كانوا يروونه عنه أنه لما دخلت المشروحات بطليطلة الغربية (١) لم يجدوا فى شرحه خلافا (٢) لما قال أصحاب الشرح ولا أخذوا عليه فى تفسيره خطأ .

---

(١) كذا فى الأصل . وقد عرضتها على أستاذنا حسن حسنى عبد الوهاب باشا ، فكتب الىّ ما يلى : « اظنها فى قسطيلية الغربية ، وهى التى نسميها اليوم « بلاد الجريد » وقاعدتها « توزر » . وكانت قديما الطريق المسلوكة بين المشرق والمغرب ، وكان بها أعلام من النحاة واللغويين ، وهى تقع فى الناحية الجنوبية الغربية من إفريقية » .

(٢) وردت هذه العبارة فى الاصل مضطربة اضطرابا شديدا هكذا : « فلما دخلت المشروحات بطليطلة الغربية فيها وفيما كانوا رووا عنه فلم يجدوا فى شرحه خلافاً .. الخ » . وقد قومتها على هذا النحو ليستقيم الكلام .

كان قليل النظر فى تدبير معيشته : لا يمسك ديناراً ولا درهماً ، على كثير ماكان يوصَل [به] ويحبى ويعطى . حدث حمدون النحوى المعروف بالنعجة . قال : كنا عند أبى الوليد المهرى (١) يوماً فقال : « اخرجوا بنا إلى « ماجل مهرية » نتفرج » ، وكانت حارة بالقرب « من سوق الأحد » . فخرجنا معه . فجلس وجلسنا حوله إلى أن مرت بنا نحو عشرين بغلا أو أكثر ومعها رجل راكب ، فلما رأى المهرى عدل إليه ونزل وقال له : « يقرأ عليك السلام مولاى ويوجه إليك بهذه الدواب وهى محملة طعاماً وعسلا وزيتاً، وبهذه العشرين ديناراً » فقبضها مكرهاً [منه] ثم رجع وقال : « ذهب الناس ! » ثم قال : « إنا لله وإنا إليه راجعون، أبو الفضل بن علىّ بن حميد يوجه إلىّ بهذه ! » . قال حمدون : فقلت له : « احمد الله عز وجل واشكره، فإن هذا كثير » . فنظر إلىّ وهو مغضب فقال لى : « هذا كثير لك ولأمثالك ، وأما لى فلا » .

قال سعيد (ص ٩٠) بن الحداد صاحب سحنون : « كنت يوماً أمشى مع « المهرى » إلى أن مررنا بالجزارين ، فقام إليه رجل منهم فقال : « يا أبا الوليد، أضررت بى ، لأن بضاعتى كلها عندك، ولا بد لى من أداء مالى قبلك ! » فاعتذر إليه وسأله الصبر ، فأبى عنه ، فمر بنا رجل فقال للجزار : « كم لك على الشيخ ؟ » قال : « عشرة دنانير » قال : « هى لك علىّ ، امض معى حتى أدفعها لك » فمضى معه فدفع إليه الدنانير . وظننت أنا أنه من إخوان المهرى ، وظن المهرى أنه من أجلى فعل ذلك به ، فلما سرنا قال (٢) لى المهرى :

---

(١) هو صاحب الترجمة نفسه ، ويذكر فى بعض الأحيان « بالمهرى » فقط . وقد ورد هذا اللفظ فى الأصل محرفا هكذا : المهدى . وقد ذكره السيوطى فى « بغية الوعاة فى طبقات النحاة » (مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٥٧٧ تاريخ) واختصه بمادة فقال : « عبد الملك بن قطن أبو الوليد المهرى القيراونى النحوى اللغوى أخو ابراهيم السابق (يريد ابراهيم بن قطن المهرى القيروانى الذى ذكر فى ص ١٧١ من البغية) . كان أحفظ أهل الأدب بالمغرب وشيخ أهل اللغة والنحو والرواة ببلده شاعرا خطيبا ، سمحا جوادا . عمر طويلا وصنف اشتقاق الأسماء ، وروى عن يونس المقرى ، وعنه يحيى بن خشيش . ومات سنة ست وخمسين ومائتين، ذكره الزبيدى وغيره » (ص ٣٠٣ ب) .

(٢) كرر الناسخ جزءا من هذه العبارة ، فحذفته .

« الرجل الذى ودى[1] عنى الدنانير من هو ؟ » فقلت : « لا أعرفه ، ولكن أسأل عنه » فسألت فإذا هو رجل عطار » . قال : « وكان الناس من تعظيم أهل العلم خلاف ما هم عليه اليوم . ولقد تذكرت بهذه الحكاية حكاية أخبرنى بها بعض المشايخ ، قال : « كان شيخ له أدب وعقل ، وكان يأتى[2] إلى « زقاق الفرانين » بقرب « السماط » فيجلس مع قوم ، وكان أكثرهم من أهل العلم . فأبطأ عليهم أياماً ، فمضوا إليه يتعرفون أحواله ، فسألوه عما أخره عنهم فأعلمهم أن حماره الذى كان ينصرف عليه أصيب به ، فأصبح كل واحد منهم — من غير أن يعلم صاحبه — فاشترى له حماراً بسرجه ولجامه ، وكانوا جماعة . فأصبح على بابه نحو من أربعين » .

قال المهرى : « اغتممت ليلة غماً ما مر بى مثله ، ثم سررت سروراً ما سررت مثله ، ثم اغتممت » فقيل له : « وكيف ذلك ، أصلحك الله ؟ » قال : « كانت شدة وأزمة عظيمة ، وضاق بنا الحال ، فبلغنى أن رجلا من أشراف مهرة عنده طعام كثير يصل منه ويعطى » . قال : « فحسن عندى [أن أنال منه شيئاً][3] ، فركبت دابتى ومضيت حتى وصلت منزله ، فوجدته جالساً فى مسجده وعنده جماعة من الناس : مستورون وغيرهم . [ ][4] وجلست ثم عرفته بنفسى ، فلم يكن منه انشراح يرضينى . فصلى المغرب ثم دخل منزله ، ثم خرج فصلى بنا العشاء الآخرة ، ثم دخل فلم نشعر إلا بالموائد نصبت للناس ، فأكلنا ، ثم أمر من أعلف دوابنا . فلما كان آخر الليل سمعت حركة الناس للإدلاج ، فإذا بغلام ينبهنى [ويستوقفنى][5] ، فقلت : « ما بالك ؟ إن الناس راحلون » [فدعانى للمسير معه][5] فامتنعت ، فقال لى :

---

(١) كذا فى الأصل . ويريد : أدى . وقد تركتها هكذا لأنها مثال واضح جدا من استغناء الكاتب عن الهمزات فى كلامه استغناء تاما .

(٢) فى الأصل : فاتى . وقد قومتها على هذا النحو ليستقيم السياق.

(٣) بياض بالأصل ، وقد أضفت هذه العبارة ليستقيم السياق .

(٤) بياض بالأصل .

(٥) واضح أن الناسخ أسقط هنا كلاما ، فأضفت ما بين الحواصر ليستقيم السياق .

« بهذا أمرنى مولاى » فقدم إلىّ دابتى ، فركبت وأنا من أكثر الناس هماً ، وجعلت أقول فى نفسى : « هذا الكذا ، لم يلق [إلىّ] بالاً ولا اكترث بقدومى عليه ! » وندمت على إتيانى إليه . ومضى الغلام معى حتى لقينا الناس ، فقال لبعض أهل الرفقة : « هذا الرجل » ثم قال لى : « إن مولاى احتشم منك ومن لقائك والاجتماع معك والاستماع لمحادثتك إذ لم يستقبلك بما يجب لك » فزادنى ذلك غماً ، فقال لى الرجل الذى جمع الغلام بينى وبينه : « هل أصلحت موضعاً ؟ » قلت : « لماذا ؟ » قال : « هذه العشرون جملا محملة طعاماً كلها لك » فسرى عنى وسررت سروراً كثيراً . وكان القمح فى ذلك [الحين] القفيز بدنانير كثيرة . وأقبلت وأنا أفكر فيما أبيع منه وما أبقى . وكيف أصنع . [وصرت] فى سرور عظيم . فبينا أنا على ذلك إذا بقوم محاربين قد خرجوا علينا وأحاطوا بنا وأخذوا كل شىء كان معنا ، وعرونا من ثيابنا ، وكتفت فيمن كتف ، فما مر علىّ غم مثله . فبينا أنا على ذلك ، وكانت ليلة مقمرة ، إذ مربى أحد السلابة ، فنظر إلىّ وتأملنى ثم قال لى : « من أنت ؟ » قلت : « أنا أبو الوليد المهرى » فطأطأ علىّ وقبل رأسى وعانقنى ، ثم أتى بأصحابه وهو يقول لهم : « كانت سفرتكم سفرة خائبة ! » ثم أتيت بثيابى فلبستها ، وبدابتى فركبتها ، وهو آخذ بركابى ، ورد علىّ ورد على جميع ما كان لأهل الرفقة بسببى (١) . ثم قال لى : « أتعرفنى ؟ » فقلت : « لا ، إلا أنك أنعمت علىّ وأحسنت إلىّ » فقال لى : « وأين هذا من إحسانك ؟ » ثم قال لى : « أتعرف الفتى الحدث الذى قدم إلى زيادة الله بن الأغلب بالقيروان ليقتل مع أصحابه ، فسألت فيه وخلصته منه ؟ » فقلت : « نعم » فقال : « أنا هو » فجعلت أشكره ، فقال : « وكيف لى بمكافأتك ؟ خلصتنى من القتل وأما أنا فكففت عنك شرى » . ثم ودعنى وانصرف مع أصحابه بعد أن مشوا معنا إلى أن أصبح الصبح » .

(١) العبارة هنا ركيكة ، والنص محرف ، وهو يريد أن يقول : « ورد علىّ وعلى جميع أهل الرفقة ما كان لهم بسببى » . وقد تركت النص على هذا الحال لكى يكون القارىء لنفسه صورة عن اضطراب السياق فى بعض المواضع .

ذكر من كان في هذه الطبقة

من المتعبدين والزاهدين الخائفين والوجلين المشفقين
رضى الله عنهم أجمعين

١٣٨ – منهم **أبو خلف الخياط** واسمه **مطروح** (١) **بن قيس** . رضى الله تعالى عنه .

كان فاضلا حميداً مشتهراً بالعبادة والاجتهاد . سمع من البهلول ، وسمع من الفضيل [بن عياض] ، وصحب جماعة من العلماء والمتعبدين . وذُكر [عن أبي جعفر] حمديس [القطان] أنه قال : « إن كان لا يدخل الجنة إلا مثل أبي خلف الخياط وحمدون بن العسا[ل] (٢) فما أقل من يدخلها » . قال سليمان ابن سالم : « رأيت في المنام كأنى أتيت إلى أبي خلف الخياط ، فوجدته عند مسجده ، فإذا بهاتف يقول لى : « هذا أبو خلف الخياط ، من نقل عنه حديثاً واحداً دخل الجنة » . قال سليمان : « فأصبحت ، فغدوت على أبي خلف فجلست إليه فسمعته يقول : « من [كان] يعبد الله عز وجل بعبادة ثم تركها ملالة مقته الله تعالى » فكتبت ذلك . ثم سمعته يقول : « دخل معاذ بن جبل وهو يبكى ، فقيل له : « ما يبكيك ؟ » فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الرياء شرك » . وسمعته (٣) يقول : « سمعت الفضيل بن عياض يقول : اللهم لا تعذبنى بالنار بعد إذ أسكنت توحيدك [قلبى] ، إنك إن تعذبنى [بها] جمعت بينى وبين قوم عاديتهم فيك » .

وقال عون بن يوسف : « رأيت في منامى كأن قائلا يقول (ص ٩١) لى : « زر أبا خلف ، فإنه [ ] (٤) فأصبحت . فركبت دابة وزرته » (٥) .

---

(١) في « المعالم » (جـ ٢ ص ٧١) : مصروح .

(٢) ترد ترجمته بعد ذلك مباشرة وذكره أبو العرب (ص ٦٤) .

(٣) المتكلم هنا سليمان بن سالم ، وهو يقول أنه سمع أبا خلف الخياط .

(٤) بياض في الأصل .

(٥) هنا ينتهى الخبر في الأصل ، وظاهر أنه مبتور .

حدث أبو خلف الخيـاط عن بعض أهل العلم يرفعـه [ ] (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوماً لأصحابه : « أما تستحيون من الله ؟ » قالوا : « يا رسول الله ، ما منا إلا من يستحيي من الله » . قال : « فمن استحيي من الله عز وجل فليحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وليذكر الموت والبلى » .

وذكر عنه أنه كان يوماً جالساً حتى أتاه رجل فقال له : « يا أبا خلف ، غلام كان لي يعود علينا بشيء أبق فَقُطِعَ بنا فيه » . فسكت عنه أبو خلف ساعة ثم قال له : « اذهب نحو باب سلم فخذ غلامك » فمضى إلى « باب سلم » فمشى وهو يريد ناحية « باب أصرم » (٢) فوجد غلامه راقداً في خندق ، فأخذه ومضى .

قال سعيد بن الحداد : « كنت يوماً عند أبي خلف الخياط ، أنا وعبد الله النَّفوسي ، فقال عبد الله لأبي خلف « يا أبا خلف ، ما الذي تشير به علينا : نلزم بيوتنا أو نزور إخواننا ؟ » فقال أبو خلف : « وما على الإنسان من زيارة إخوانه ؟ » ، قال : ثم ارتاع بعقب كلامه . وأقبل عليه وهو يقول له : « أي شيء قلت لي ؟ ما الذي تشير به علينا ؟ لا والله ما ندرى ! » . [و] تكدر بعد بشر (٣) كان منه إلينا ، وأقبل يردد ذلك علينا ويقول : « لا والله ، عافاك الله ! ما أعرف غير أن ابن المبارك يقول :

وعبرة في سواد الليل جارية … على الخدود حراك وقد دمعوا »

واندفع في البكاء ورمى الابرة من يده ، ثم قال : « واحسرتى ، وامصيبتى في نفسي » ، ثم أنشد البيت ثانية ، وبكى وتمادى في بكائه . فكان ذلك جوابه » (٤) .

---

(١) بياض في الاصل .

(٢) انظـر « المغرب في ذكر بلاد إفريقيـة » للبكرى . (طبعـة دى سلان ») ص ٢٤ .

(٣) في الأصل : نكر بعد بسر .

(٤) ذكر الدباغ تاريخ وفاة أبي خلف الخياط وهو سنة ست وأربعين ومائتين . (جـ ٢ ص ٧١) .

١٣٩ – ومنهم أبو عبد الله حمدون بن عبد الله العسال .

كان من أهل الفضل والدين والاجتهاد فى العبادة . كان يصلى ثلث الليل وينام ثلثه ويبكى ثلثه ويدعو ثلثه (١) . وذكر ابن الحداد ، قال : « كنت أذهب إلى « باب سلم » أصلى قيام رمضان خلف حمدون ، فكان إذا مر بآية [ ] (٢) جال فى المحراب وتقدم وتأخر ، وإذا مر بآية خوف خشع واجتمع . ولقد قرأ ليلة فى سورة يوسف قوله تعالى (إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله) . فسقط على وجهه فى المحراب ، فأقام ساعة طويلة . ثم نهض قائماً ، رحمه الله تعالى » .

وعن عمران بن الخشاب ، قال : « خرجت مع حمدون بن العسال إلى « قصر الطوب » ، فلما كنا بالقرب من القصر إذا بجبلين : جبل منهما أشعث ليس فيه نبت ولا خضرة ، وآخر إلى جانبه حسن النبات والخضرة ، فقال لى : « يا عمار (٣) ، هذه أرض متقاربة إحداهما شعثة والأخرى خضراء » فقلت له : « العمل ! » فصاح : « العمل ، يا عمار ! العمل ! » . ولم يزل يكرر ذلك ويصيح ويبكى حتى دخل قصر الطوب » .

وقال ابن الحداد : « مات غلام لحمدون العسال ، وكان هو القائم به ، فجئنا لنعزيه . فنحن جلوس عنده حتى التفت إلينا فقال : « أشهدكم أن أهله وولده أحرار لوجه الله تعالى » فأحزننا ذلك ، فإنه لم يكن له شىء يقوى به على معيشته غيرهم . ثم قال لنا : « إن العدو (٤) عرض لى فقال : « مات من يقوم بك فما أنت صانع ؟ » فأردت أن أرغمه بعتقى لزوجته وأولاده » (٥) .

---

(١) كذا فى الاصل ، ويلاحظ أنها أربعة أثلاث !

(٢) لم يترك الناسخ هنا بياضا ، ولكن السياق يدل على أنه أسقط شيئا ، فتركت هذا البياض بين الحاصرتين .

(٣) كذا فى الاصل ، وهو يريد : عمران .

(٤) الغالب أنه يريد بالعدو هنا : الشيطان .

(٥) أى : لزوجتى وأولادى . وذكر الدباغ تاريخ وفاته ، سنة ٢٤٤ هـ . « المعالم » (جـ ٢ ص ٧٠) .

١٤٠ — ومنهم **أبو محمد الأنصاري الضرير**، رحمه الله تعالى.

كان، رحمه الله تعالى، رجلا صالحاً مستجاباً، وكان ضرير البدن والبصر وله فضائل مشهورة. فمن ذلك ماحدث به الثقة (١)، قال: «كنا ليلة النصف من شعبان عند أبي محمد الأنصاري فكان يباركنا بالدمنة (٢)، وكنا نجتمع عنده مع القراء للذكر مع وجوه الناس ليلة النصف من شعبان وليلة نصف رمضان، وكان أمراء بني الأغلب يأتون إلى «جامع القيروان» في تينك الليلتين ويكون فيهما من الصدقات أمر كثير، ثم يخرجون من المسجد الجامع إلى «الدمنة» ويزورون أبا محمد الأنصاري، يتبركون به وبدعائه. قال: فخرج زيادة الله بن [إبراهيم بن] الأغلب من الجامع مقبلا إليه حتى وقف على باب داره في حشمه وأهل بيته وخدمه، ثم قال لخلف الخادم ومسرور الخادم: «ادخلا جميعاً إلى هذا الرجل الصالح وأعلماه وقولا: «إمامك بالباب يريد

---

(١) روى «الدباغ» هذا الخبر عن المالكي. وقد قال هنا: حدث بعض الثقات .. — «المعالم» (جـ ٢ ص ٧٥).

(٢) «الدمنة»، ناحية من نواحي القيروان. ورواية «المعالم» تعطينا عنها بعض التفاصيل، قال «الدباغ» في سياق الكلام عن أبي محمد الأنصاري هذا: «وهو الذي ينسب اليه «مسجد السبت» بالدمنة». وعلق ابن ناجي على ذلك بقوله: «تبع في هذا التجيبي، وانما سمي مسجد السبت، لأنهم كانوا يقرأون فيه الرقائق يوم السبت من كل جمعة، ويحضره أولياء الله والصالحون والعلماء كأبي بكر بن اللباد، ويبقى أثر الوعظ فيهم الى السبت الآتي، وهذا المسجد هو خارج القيروان يعرف «بمسجد العربي»، وانما قيل فيه ذلك لان محمد العربي كان يقوم به وهو قريب العصر فسمي به» — «المعالم» (جـ ٢ ص ٧٣).

وفي اشارة أخرى يقول ابن ناجي في تعليقاته: «وكان أمراء بني الأغلب يأتون الى جامع القيروان في تينك الليلتين (ليلة نصف شعبان وليلة نصف رمضان) ويعطون فيهما الصدقات كثيرا، ثم يخرجون من المسجد الجامع الى المدينة ويزورون أبا محمد الأنصاري يتبركون به وبدعائه» مما يفهم منه ان «الدمنة» التي كانت فيها دار أبي محمد الأنصاري كانت في مدينة القيروان. ثم يقول بعد ذلك: «وقد قال التجيبي: يخرجون من الجامع الى دور العباد والعلماء والمحارس والدمنة بالصدقة يلبثون بالقيروان يفرقون الأموال للمساكين والمستورين» (جـ ٢ ص ٧٥).

وقد ذكر البكري في «المغرب» (طبعة دى سلان — ص ٤٥) واديا يسمى «وادي الدمنة».

الدخول إليك والسلام عليك » . فدخلا إليه وأعلماه بما أمرهما به زيادة الله . فقال لهما : « قولا له ينصرف عني إلى حال سبيله [1] ، فما له عندي حاجة ولا لي عنده حاجة » . فخرجا إلى زيادة الله فأعلماه بما رد عليهما به . فاغتاظ زيادة الله غيظاً عظيما وقال لهما : « ادخلا إليه وأخرجاه شاء أو أبى » . فدخلا إليه فأعلماه بما أمرهما . فحمله قوم من أصحابه من الصالحين حتى وقفوا به إليه فقال له زيادة الله : « ياهذا . أتيناك لتأمرنا بمعروف فنفعله ونسارع إليه وتنها [نا] عن منكر فننزجر عنه . فامتهنتني [2] وحجبتني وأنا إمامك ! » فانتهره أبو محمد الأنصاري وقال له : « جرأك عليَّ علماء [3] السوء الذين يغرونك ويزينون لك زخارف الدنيا وغرورها . ولو عملتَ بما علمتَ آتاك بما جهلت . اذهب عني لئلا [4] أشتكيك إلى الله عز وجل » فقال : « صدقت » [5] [وعرض عليه مالا جليلا لنفسه ولمن بالدمنة فلم يقبل منه] . ثم انصرف عنه [زيادة الله وهو يقول : [6] « والله لو كان هذا صديقاً ما زاد على هذا من قوله »] [7] .

---

(1) في الأصل : باله ، وقد قومتها على هذا النحو ليستقيم السياق

(2) في الأصل : فمهنتني .

(3) في الأصل : العلماء . والتصويب من « المعالم » ج ٢ ، ص ٧٤ .

(4) في الأصل : لا . والتصحيح من « المعالم » ج ٢ ، ص ٧٤ .

(5) أضاف الدباغ هنا : « ثم قال لهما : ارفقا بالشيخ » .

(6) عبارة الأصل هنا مبتورة ، فهو يقول بعد « صدقت » : « ثم انصرف عنه ولم يقبلها » دون أن يشير الى هذا الشيء الذي لم يقبله أبو محمد . ولهذا قومت العبارة على هذا النحو اعتمادا على نص « المعالم » (ج ٢ ص ٧٤) .

وقد ختم الدباغ كلامه عن أبي محمد الأنصاري باشارة عن تاريخ وفاته قال فيها : « قال : توفي سنة خمسين ومائتين ، وقيل : توفي قبل ذلك سنة ثلاثين ومائتين » — « المعالم » ج ٢ ، ص ٧٦ .

(7) خلط الناسخ في هذه الصفحة خلطا شديدا ، فقطع سيرة أبي محمد الانصاري وبدأ الكلام عن محمد المسوحي ، ثم عاد بعد أسطر فاستدرك خطأه فقال في سياق الكلام عن هذا الأخير وبدون أن يتنبه الى ذلك : « هامش على يسار الصفحة : ورأيت في نسخة زيادة ، وهو بعد قوله : فأرسل اليه بصلة فلم يقبلها » ثم مضى يتابع الكلام عن الانصاري ، فرأيت لهذا أن أصل الكلام المختص بهذا الأخير بعضه ببعض وأرجىء الفقرات الخاصة بالمسوحي حتى أفرغ من الانصاري .

وقال : لما انصرف منصور الطنبدى من القيروان إلى تَوْ[زَرْ] ، (١) وكانت عندى دنانير مصرورة ، وكان منصور قد أصلح سور القيروان وغلق أبوابها ، فخرجت فى آخر الليل ومعى الدنانير حتى أتيت إلى الكسر الذى عند الدمنة فتراميت منه فمضيت إلى دار [أبى محمد] (٢) الأنصارى فضربت الباب وأخبرت بنفسى ، ففتح لى فدخلت فوجدته جالساً فى مصلاه ، فقال لى : « ما جاء بك فى هذا الوقت ؟ » فقلت له : « إن هذا الرجل قد دخل فى هذه الليلة وهذه الدنانير ارفعها لى [عندك] لأنى أخاف من زيادة الله بن الأغلب أن ينهب هذه المدينة » ، فقال لى : « خذ دنانيرك معك » ، فقلت له : « أصلحك الله ، انى أخاف » ، فقال لى : « لا تخف فإنى رأيت الساعة وأنا بين النائم واليقظان رجلا راكباً على فرس أخضر وعليه ثياب خضر وبيده لواء أخضر وقد أخذ الدنا [نير] فقلت له : « من أنت يرحمك الله ؟ » فقال : « أنا جبريل » فقلت له : « صلى الله عليك يا جبريل » ، فقال لى : « يا أنصارى ، إن الله تعالى بعثنى لأهل هذه القرية — يعنى القيروان — [لأخلصها » ، فر] ددت (٣) دنانيرى معى ، وما را[عنى شىء] » (٣) .

١٤١— ومنهم **ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم المسوحى** ؛ رضى الله تعالى عنه .

قال أبو العرب : كان من المجتهدين فى العبادة ، وكان سحنون يعرف له فضله .

قال أبو داود العطار : « صحبت أبا عبد الله المسوحى إلى الرباط ، قال : فنزلنا منزلا لإخوان لى ، فأتونا بطعام (٤) فأكل وأكلت معه ، ثم قام فتقيأ الطعام وقال : « يا أبا داود ، أدخلت بطنى [طعاماً لا يحل] (٥) » ، فتدبرت قوله فإذا

(١) لم أجد هذه الفقرة فى نسخة « أبى العرب » المنشورة .

(٢) بياض فى الأصل .

(٣) بياض بالأصل أكملته بما يستقيم به المعنى .

(٤) فى الأصل : بعظام .

(٥) واضح أن الناسخ أسقط هنا فقرة ، فأضفت ما بين الحاصرتين ليستقيم السياق .

القوم غرمائي ولي عليهم دين، وهدية المديان [1] مكروهة عند مالك إلا أن تكون قد تقدمت بينه وبين المديان مهاداة من قبل ذلك ، وأنه لم يهد إليه لمكان دينه فلا بأس بذلك ».

سمع أبو الغصن [الغرابيلي يقول : « صحبت] المسوحي إلى الدور ، حتى [ ] [2] سوسة أقمنا أكثر من عشرين يوماً (ص ٩٢) فما علمت أنه أكل إلا أكلتين في دارين ؛ [الأولى :] سأله بعض أصحابه أن يفطر عندهم وأن [يضع] يده في طعامهم ، فأجابهم إلى ذلك . فلما تهيأ طعامهم تقدم وقال : بسم الله ، وأخذ لقمة فجعلها في فم أبي الغصن ، ثم رفع يده وأتى بزاده فإذا بدوخلة [3] فيها تمر وبطة فيها زيت ، فشقق منها تمرات وصب عليها زيتاً وألقى على ذلك شيئاً من دقيق الشعير ، فأكل منه وفرق على أصحابه ما بقي ؛ والثانية : جاز برجل من أهل المدينة يعرف طعامه فأكل عنده . وكان تحته فرس جواد [فلما أتيا « سوسة » تلقته امرأته « تقية » — وكانت من الصالحات — فحملته على السرج وقالت : « اللهم اجعله لوجهك خالصاً » وذهبت تبتقل له » — يريد : تجمع له بقل الفحص المباح يتغذى به . قال أبو الغصن : « وكان يمكث السبعة أيام والأقل والأكثر لا يأكل طعاماً » ، يريد أنه كان يتغذى في تلك الأيام بالبقول مع الزيت . وقال أبو الغصن : « سمعت امرأة المسوحي تقول : قال لي أبو عبد الله المسوحي يوماً : « قومي فاكنسي البيت ، فإن إخواني الساعة يأتون إليّ » . قالت : ففعلت وغلقت الباب ، فما [4] لبثت أن سمعته يتكلم مع أقوام ويقول : « لقد كنت مشتاقاً إليكم » ، فهممت أن أفتح الباب ، ثم جسرت ففتحته بعد سويعة ، فإذا به ميتاً مسجى ، رحمه الله تعالى ، ولم أدر من أين دخلوا ، لأن الأبواب مغلقة ، بابَ الدار وباب البيت » [5] .

---

(١) يريد : المدين . (٢) بياض بالأصل .

(٣) قال ابن السكيت : الدوخلة ، بالتشديد وتخفف ، سفيفة تنسج من خوص يوضع فيها التمر (تاج العروس — ج ٧ ، ص ٣٢١) .

(٤) في الاصل : فلا .

(٥) ذكر الدباغ تاريخ وفاته وهو سنة ست وثلاثمائة . « المعالم » ج٢ ص ٢٣٠ .

١٤٢ – ومنهم أبو زكريا [١] الهرقل .

أصله من الأندلس . وكان صاحباً لسحنون لا يكاد يفارقه جلوساً وحديثاً، فلما ولى القضاء ترك مجالسته وصد عنه . ذكر [٢] أن سعدون [الصواف] [٣] [كان يشارك] [٤] أبا زكريا فى الزرع ، فلما حصداه وصار فى الأندر [٥] أقبل سعدون فرأى حماره مقيداً على الأندر ورأى حمار أبى زكريا [مبعداً منه ، فعاتب أبا زكريا فى ذلك ، فقال له] [٦] : « إنى اختبرت أكل حمارى وحمارك فرأيت حمارى آكل من حمارك » . فقال له سعدون : « إذن يحلل بعضنا بعضاً [٧] » ، ثم قسما ما حصداه بينهما ، فأقبل سعدون بحصته إلى القيروان ، فلم يشعر حتى أبصر أبا زكريا ، فقال له : « ما الذى أقدمك يا أبا زكريا ؟ » فقال له : « بت بليلة طويلة عرض العدو [٨] لقلبى [٩] بأن سيجود [١٠] السعر وأصيب فيه، فأتيت لأبيعه وأخرج حاجاً، ولم يبق إلا رفقة تخرج بعد [١١] ثلاثة أيام »، فقال :

---

(١) فى « طبقات » أبى العرب : أبو زكرياء بالهمزة .

(٢) ذكر « أبو العرب » هذا الخبر بسنده وهو . « قال أبو بكر [بن اللباد] : حدثنى أبو عثمان [بن سعيد بن الحداد] ، قال : حدثت أن سعدون الصواف » .. الخ .

(٣) التكملة من « أبى العرب » : « الطبقات » ص ٧٣ .

(٤) فى « الطبقات » (ص ٧٣) : « وكان شريكا لأبى زكرياء ... » نعدلتها هذا التعديل الطفيف لتستقيم مع سياق الكلام فى « الرياض » .

(٥) الأندر : البيدر أو كدس القمح – « القاموس المحيط » م . ندر

(٦) أسقط الناسخ هذه العبارة ، وقد نقلتها عن « طبقات » أبى العرب ، ص ٧٣

(٧) فى « الطبقات » (ص ٧٣) : « أو ما حلل بعضنا بعضا ؟ » .

(٨) فى الأصل : « العدر » والتصحيح من « الطبقات » ص ٧٣ ، والمراد بالعدو هنا هو الشيطان .

(٩) فى الأصل : « بقلبى » والتصويب من الطبقات (ص ٧٣) .

(١٠) فى الطبقات (ص ٧٣) : سيحول .

(١١) فى الاصل : « الا ثلاثة أيام » ، والتصويب من « الطبقات » (ص ٧٣) وعبارته هنا أكمل وهى : « ولم يكن بقى ممن يخرج الى الحج الا رفقة تخرج بعد ثلاثة أيام » .

« يا سعدون ، بع طعامي بعرض (١) طعامك » [ففعل] (٢) وتوجه معه إلى السوق لشر[اء] دابة فلم يجدها ، وعاد في اليوم التالي فلم يجدها ، فلما كان في الثالث توجه معه والحاج يضرب لهم الطبل وهم خارجون، فجعل أبو زكريا كلما ضُرب الطبل يقول: « يا خفي اللطف! » ويردد ذلك. [قال سعدون:] (٣) « وإذا بجماعة من جماعة بني أبي حسان اليحصبي أتوا الموقف [فلت إليهم] (٤) فسألتهم « ما الذي أتى بكم ؟ » فقالوا : « مولانا (٥) تجهز يريد الحج فمات، فجئنا نبيع جهازه ودابته » ، فاشتريت منهم لأبي زكريا حماره (٦) وجميع جهازه حتى المخلاة والسوط ، فركب أبو زكريا دابته وانطلق مع الحاج » .

حدث أبو عباس، (٧) قال : كان أبو زكريا يمشي [مع] صاحب له على شاطىء البحر ، فقال له: « يا أبا زكريا، لقد اشتهيت تيناً أخضر » فقال له أبو زكريا : « تمشي إلى تلك الصخرة فانظر ما [عندها] » ، فمشى إليها (٨) فوجد تيناً أخضر ، فأتى به يحمله ، فأكل منه حتى شبع ، وأراد أن يحمل الباقي فقال له أبو زكريا : « أترى أمك وضعته لك ؟ ألقه ! » فألقاه .

استشهد أبو إبراهيم الخراساني المتعبد (٩) بروطة [ ] عن عداتها

---

(١) جاء في اللسان : « قال الجوهري : العرض المتاع ، وكل شيء فهو عرض سوى الدراهم والدنانير فانها عين . قال أبو عبيد : العروض الأمتعة التي لا يدخلها كيل ولا وزن ، ولا يكون عقارا ولا حيوانا ، تقول : اشتريت المتاع بعرض ، أي بمتاع مثله » .

(٢و٣و٤) التكملة من « الطبقات » (ص ٧٣) .

(٥) في « الطبقات » (ص ٧٣) : مولى لنا .

(٦) في الأصل : دابة حمارة ، فاستغنيت عن لفظ « دابة » لزيادته .

(٧) لعله يريد أبا العباس تميم بن أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم انظر : « المعالم » ج ٣ ص ١٢٠

(٨) أضفت هذه العبارة ليستقيم السياق .

(٩) في الاصل : برومة . ولم أجد مكانا في افريقية اسمه « رومة » ولكني وجدت في القطعة التي نشرها « أماري » في « المكتبة الصقلية » من « مروج الذهب » للمسعودي مكانا بقرب بلرم في صقلية يسمى « روطة » فهو يقول في الكلام على أبواب بلرم: « ثم باب يعرف بشنتفاث وهو باب قديم =

فجعل أبو زكريا هذا — وكان صاحبه — يقول : « يا رب ، خرجت أنا وصاحبي فى حاجة فقضيت حاجته وتركت حاجتى ؟ » ، فخرج عدد [1] من الروم فدفعوا دفعة واحدة فقتلوا أبا زكريا وانصرفوا . قال : « فنظرت إليه وإلى إبراهيم ووجه هذا إلى وجه هذا ، رضى الله تعالى عنهما » .

١٤٣ — ومنهم **أبو عمرو بشير بن عمروس** المتعبد بالمنستير [2] ، رضى الله تعالى عنه .

قال أبو بكر بن خلف التجيبي : كان بشير المنستيرى هذا من المتعبدين الزهاد المنقطعين إلى الله عز وجل ، وكان من رهبان الليل لا ينام منه إلا قليلا ، فإذا أصبح يقول : « أصبحت ونفسى وقلبى مصران على محبتك، مشتاقان إلى لقائك فعجل [يا] سيدى بذلك قبل أن يأتى الليل » . أقام على هذا ستين سنة .

قال حمدون العسال : خرج يوماً بشير إلى موضع دالينه [3] ، وجاء ابن حسام القارىء من سوسة فقلت له : « ادخل بنا إلى بشير » ، فدخلنا إليه وسلمنا عليه وجلسنا ، فأقبل ابن حسام يقول :

« قل لمن جاء يخطب حوراً لاعباً »

فأدخل بشير رأسه تحت ثوبه وأخذ فى البكاء ، فلما قال :

« أنت فى الخطبة عندى كاذباً »

شبك بشير يديه على رأسه وصاح وسقط إلى الأرض .

= وإليه باب يعرف « بباب روطة » . روطة نهر كبير يهبط من هذا الباب إليه وأصله تحت هذا الباب ، وفيه ماء صالح عليه أرحاء كثيرة متقاطرة

cf : Michele Amari, *Bibliotheca Arabo-Sicula*, (Lipsia, 1857) p. 8

ومن المعقول أن يكون أبو زكريا قد استشهد مع صاحبه هذا بصقلية . ولم يترك الناسخ بياضا بعد هذا اللفظ ، ولكن السياق يدل على أنه أسقط شيئا ، ولهذا تركت هذا البياض .

(١) فى الاصل : عتق .

(٢) فى الأصل : بالمستنير .

(٣) كذا فى الاصل ولم أستطع تحقيق هذا اللفظ .

وحدث بعض المشايخ ، قال : كنت عند بشير المنستيرى فأتى شاب من أهل القيروان فصلى بهم قيام رمضان ، فلما كانت ليلة الفطر تنهد الشاب ، فقال له بشير : « مالك ؟ » فقال : « فكرت فى والدى فى هذه الليلة » فقال له بشير : « يا عدو الله ، تركت أعمال البر (١) فى بيتك سراً ، وجئت تطلب البر علانية ؟ والله لو علمت ما صليت وراءك » .

وقال أبو بكر بن خلف التجيبى : كان بشير المنستيرى هذا من المتعبدين الزهاد المنقطعين إلى الله عز وجل .

قال ابن الحداد : وكانت له قريحة جيدة فى العلم ، وكان يحسنه ، إلا أن العبادة غلبت عليه . وكان ملوك إفريقية يأتونه إلى بيته بالمنستير فلا يخرج ، وكان قد حج ودخل الشام وطرسوس ولقى جماعة من الصالحين وانتفع بهم .

وقال ، رحمه الله تعالى : « كنت بطرسوس ، وكان بها رجل من أهل خراسان ، وكان من المبرزين فى الفضل ، [وكان] إنما يلبس جبة صوف مرقعة أكثرها كجلود [ ] (٢) (ص ٩٣) فأتاه كتاب قاضى خراسان بوفاة والده وأنه خلف نعمة كثيرة وأموالا ورقيقاً ، ويسأله فى كتابه أن يقدم فلم يفعل ، وجاءه كتاب ثان بمثل ذلك ، فلم يرد جواباً ، ثم جاءه كتاب ثالث [لـ]ـيخرج عليه فى المقام » ، قال : « فضى وتصدق بجميع ما ترك والده ورجع على حالته التى خرج بها » .

١٤٤ – ومنهم **مكرم المتعبد** بالمنستير ، رضى الله تعالى عنه .

كان فاضلا ورعاً ، وكان سكناه « بالقصر الكبير » وبه قبره على ساحل البحر ، وبجواره قبر فيزر (٣) المتعبد صاحبه . وبرجه معروف به إلى الآن « بالقصر الكبير » .

وقيل : كان تحت بيته بيت صغير يسكنه رجل فقير ، قال : فنزل مكرم ذات يوم إلى ذلك الرجل فسلم عليه وسأله عن حاله فقال له : « خَبَّرتنى رائحة قدرك البارحة » ،

---

(١) فى الاصل : « تركت أعمال البرمعك فى بيتك سرا .. » فأسقطت لفظ « معك » لعدم لزومه .

(٢) لم يترك الناسخ هنا بياضا ، ولكن السياق يدل على أنه أسقط شيئا فتركت هذا الفراغ ..

(٣) فى الاصل هكذا : فيزر .

فقال له مكرم : « وما كان فى قدرى ؟ إنما كان فيها بصل وزيت وكمون » قال : « آذيتنى بها على كل حال » فقال له : « فهلا جئتنى ؟ » قال : « كرهت أن أنغصك » قال : فقال مكرم : « وعشت أنا حتى طبخت قدراً فاحت رائحتها فشمها هذا وهذا ! والله الذى لا إله إلا هو لاطبخت قدراً حتى ألحق بالله عز وجل ! ». قال : فما طبخ قدراً ولا أكلها حتى مات، رحمه الله عز وجل .

قيل : وكان الشيوخ يذكرون عن مكرم أنه كان يجتمع مع الخضر عليه السلام ، ويروون أنهم كانوا يسمعون كلامه معه . وكان يخرج له رأسه من الطاق التى فى البرج والخضر خارج البرج ، يسمعون حديثه [معه] [1] . وكان هذا عنه مشهوراً .

وكان كثير الحرس . ولما جاء ابن الجعد إلى المنستير ، وأراد أن يبنى قصراً بجزيرة المنستير ، أتى إلى مكرم هذا [يستأذنه] [2] فى ذلك ، فقال له مكرم : « بينا أنا ذات ليلة أحرس إذ رأيت فارساً فى يده حربة ، فقلت له : « من أنت؟ وإلى أين تريد ؟ » فقال : « أريد جزيرة ابن [الجعد] » ، [2] فمضى وأنا أنظر إليه ، فإن كنت بانياً فابن هناك » قال : فبنى القصر فى ذلك المكان الذى ذكره مكرم فسمى « قصر ابن الجعد » .

وذكر شيوخ المنستير أن الروم أتوا مرة إلى المنستير وقد أصابهم عطش شديد ، فاستسقوا الماء فلم يسقوهم ومنعوهم أخذ الماء ، فاستسقى الروم ، وأسبلوا شعورهم ودعوا ، فأمطروا ، فنصبوا الأنطاع وتلقوا بها الماء فشربوا حتى رووا . قال مكرم لأصحابه : « هاهنا قوم جهال لاعلم لهم ، قد داخل قلوبهم من هذا شىء ، ويظنون أن هؤلاء الروم على حق » . قالوا : واجتمع شيوخ المنستير بجماعتهم إلى مكرم ، وصلوا ركعتين ، واجتهدوا فى الدعاء ، فأرسل الله سبحانه ريحاً من داخل البحر فكسرت مراكبهم [3] ورمتهم على شاطىء البحر . قال : فخرج إليهم المسلمون وغنموهم ، وجمعوا جميع ماحصل من ذلك وبنوا به « ربض [4] القصر الكبير » . وهذا يدل على أنه لم يكن بينهم وبين المسلمين عهد ولا هدنة ، فلذلك استحلوا سبيهم وأخذ أموالهم .

---

(١) بياض بالأصل أكملته بما يستقيم به السياق .

(٢) بياض فى الأصل ، وقد أكملت الاسم استنتاجا من السياق .

(٣) أى مراكب الروم . (٤) فى الأصل من غير نقط .

١٤٥ – ومنهم أبو محمد عبد الرحيم بن عبد ربه الربعي الزاهد ويعرف بعبد الرحيم المستجاب .

قال سحنون : « رأيت ابن القاسم وأشهب وابن وهب وابن أبي كريمة وعلى بن زياد والبهلول بن راشد وابن أشرس ، فما رأيت مثل عبد الرحيم ، وذلك أنى علمت باطنه وظاهره وهؤلاء إنما علمت ظاهرهم [فقط] . سمع من سحنون ومن أسد ، وطلب العلم وعنى به ، وحبس كتباً كثيرة بخطه وضبطه . [وكان ساكناً] (١) بقصر زياد [المرابط] (٢) .

وقال أبو العرب (٣) : وكان أول أمره أنه كان تاجراً فى « سوق البزازين » (٤) فى القيروان ، ثم ترك ذلك وسكن « قصر زياد » ، وهو الذى تولى بناءه . وذلك أن أسداً ، لما أراد الغزو إلى صقلية ، أراد [محمد بن عبد الرحيم] الخروج مع أسد فشاور فى ذلك سحنوناً فكسر عليه وقال له : « لا تفعل » . ثم قال له : « كنت ذكرت لى (٥) أنك تحب بنيان « قصر زياد » وأن عندك أخباراً توجب الخوف من البر (٦) والبحر . وبنيانك لهذا القصر ليكون حرساً للمسلمين وغوثاً لهم ، يلجأون إليه ويرابطون فيه ، أفضل من مسيرك إلى صقلية » . فمضى عبد الرحيم إلى أسد فأخبره بما قال سحنون ، فقال : « الذى أشار عليك به هو الصواب » . ثم دخل [أسد على] زيادة الله بن الأغلب الأمير ، فخرج [و] معه سجلان : سجل منهما بولايته على صقلية أميراً وقاضياً ، وسجل آخر لعبد الرحيم فى الإذن له فى بناء « قصر زياد » . فتولى عبد الرحيم بناءه وإصلاحه وأنفق فيه اثنى عشر ألف دينار وستة آلاف من عند إخوانه ، وكان ذلك سنة اثنتى عشرة ومائتين . ويذكرون عن ميسرة (٧) بن مسلم

(١و٢) التكملة من « طبقات » أبى العرب ، ص ١١٣

(٣) العبارة التالية ليست واردة فى نسخة « الطبقات » التى بين أيدينا مما يدل على أن هذه « الطبقات » المطبوعة انما هى ملخص من الكتاب الأصلى .

(٤) فى الأصل من غير نقط .   (٥) فى الأصل : لك .

(٦) فى الأصل : البرد ، وقد ضبطها « أمارى » أيضا : البر . انظر « المكتبة الصقلية » ص ١٨٦

(٧) فى الأصل : مسيرة ، ولم أجد شخصا بهذا الاسم فعدلته الى « ميسرة » .

انه قال لأصحابه يوماً وهم يسمعون عليه تحت صومعة « قصر زياد » : « أتدرون كم أعطى عبد الرحيم بن عبد ربه الزاهد لبناء هذه الصومعة لما فرغ من بنائها ؟ » ، قالوا : « لا علم لنا » ، قال : « وهب اثنى عشر جملا محملة بالأم[ـوال] (١) والهدايا » . وكان (٢) البَنّاء يعرف بعبد الله بن مالك من « قرية بنى عمروس » . وكان بقرية « البرج » التى « بقصر زياد » شيخ فقيه اسمه « مسعود » ، رأى فى المنام كأنه وزن مع عبد الله بن مالك البناء ، فرجح عليه عبد الله بن مالك ، فقال له مسعود : « بماذا رجحت علىّ وأنا أطلب العلم وسمعت وصحبت العلماء ؟ » فقال له عبد الله : « رجحت عليك ببنيان هذه الصومعة » ، وأشار إلى « صومعة قصر زياد » .

قال : وكانت عند عبد الرحيم ضيعة واسعة ، وكان عنده سبعة عشر ألف شجرة زيتون ، وكان مع هذا أزهد أهل زمانه . وكان كثير الصدقة والمعروف ، لم يكن للدنيا عنده قدر : لقد ذكر عن عيسى بن مسكين أنه قال : « كان لعبد الرحيم أخ يقال له « هاشم » من أهل الفضل والعبادة ، أتاه يوماً بسبعين ديناراً من ضيعته فأقامت عنده مدة يسيرة ، ثم أتاه أخوه فقال له عبد الرحيم : « جئتنا بشىء ؟ » فقال له : « أين السبعون (٣) ديناراً التى دفعت إليك ؟ » [ ] (٤) ومر بيده على الحصير فقال له عبد الرحيم : (ص ٩٤) : « قليلا ، قليلا ! (٥) لا تعقر يدك الحصير ! » . فعلم أنه تصدق بها ، فأخلف (٦) له غيرها .

وذكر عنه أنه ماتزوج قط ولا تسرى . وكانت عنده وصيفتان مولدتان لهما جمال تقومان به وتخدمانه ، فقيل له : « لم لا تتخذ إحداهما سرية لك ؟ فإنهما تصلحان لذلك » ، فحلف أنه لا يعرف صفة وجهيهما لشغله بعبادة ربه عز وجل .

قال أبوبكر عتيق بن خلف : « كان عبد الرحيم إذا جن الليل قام إلى محرابه ، فهو راكع وساجد إلى أن ينادى بالفجر . وكان السهر قد غيره حتى كأنه مبهوت

---

(١) بياض بالاصل . (٢) فى الاصل : فكان .

(٣) فى الاصل : التسعين ، وهو وهم من الناسخ .

(٤) بياض بالاصل .

(٥) كذا فى الاصل ، ولعله يريد بذلك : مهلا مهلا ، أو رويدا رويدا .

(٦) فى الاصل : ما حلف له غيرها ، فقومتها على هذا النحو .

من طول القيام وسرد الصيام . وكان ممن لا يتوسد (١) القرآن، فكان يهجع هجعة لطيفة ثم يثب كأنه قد ضل له شيء فهو يطلبه .

قال أبو الحسن بن الحلاف (٢) بخط[ـه] : « وحدثت عن عبد الرحيم أنه قال : « زيارة الإخوان نقص (٣) من العمل » . قال أبو بكر بن اللباد: « يريد عبد الرحيم بذلك أنك كنت تكون فى باب من الخير : من قراءة القرآن أو صلاة نافلة أو عمل من أعمال البر ، فتشغل به أو بالحديث معه عما أردته من عمل البر » . وحدث (٤) من يوثق به قال : دخلت أنا وصاحب لى على عبد الرحيم فقال له (٥) صاحبى : « يا أبا محمد ، أوصنا بكلمات ينفعنا الله تعالى بها ويؤجرك عليها » . فقال له: « يا بنى ، أوصيك أن تتقى الله وتجتنب محارم الله، وتؤدى فرائض الله عز وجل، وتحسن إلى عباد الله، وإن زدت زادك الله » .

وكان سحنون يجله ويعظمه ويزوره ويسأله الدعاء إذا أهمه أمر ، ويلجأ إليه عند المهمات . فلما ولى سحنون القضاء كتب إليه برسالة وهى :

« بسم الله الرحمن الرحيم ؛ من عبد الرحيم بن عبد ربه إلى سحنون بن سعيد .

أما بعد ؛ فقد عهدتك وأنت معتن بنفسك : تقرأ القرآن وتعلم الناس العلم وتفقههم فى الدين . وقد بلغنى أنك جعلت قاضياً استوى فيك الأسود والأبيض والضعيف والقوى، وصرت تنظر فى أمر دنياهم بعد أن كنت تنظر فى أمر أخراهم . فيا عجبا يا سحنون ! أى حالتيك كانت أحسن : الأولى أم هذه ؟ » .

[فكتب إليه سحنون] (٦) :

---

(١) كذا فى الاصل .

(٢) هكذا ضبطه « الدباغ » فى « المعالم » ج ٣ ص ٥٠ .

(٣) فى الاصل : بعض ، والتصويب من كتاب « المدارك » ج ١ ص ١٤٥ ب ، ونصه فى هذا الموضع كما يلى :

« وكان يقول : « زيارة الاخوان نقص من العمل » . قال بعضهم : يريد أنه يقطع عما يكون الانسان فيه من عمل » .

(٤) فى الاصل : وحديث . (٥) فى الاصل : لى .

(٦) أضفت هذه الالفاظ ليستقيم السياق .

« بسم الله الرحمن الرحيم .

من سحنون بن سعيد إلى أخيه عبد الرحيم بن عبد ربه .

أما [بعد]؛ (١) فقد أتانى كتابك تذكر فيه أنى جعلت قاضياً ، فاعلم يا أخى أنى لم أزل قاضياً منذ أربعين سنة ، وقد حدثنى ابن وهب حديثاً يرفعه : « إن المفتى قاض يجرى قوله فى أشعار الناس وأبشارهم » ، وأما قولك إنك عهدتنى أفقههم فى الدين وأنظر لهم فى أمر أخراهم ، وقد صرت أنظر فى أمر دنياهم ، فاعلم ، رحمك الله تعالى ، أنه لا تصلح لهم أخراهم حتى يصلح لهم أمر دنياهم : آخذ لضعيفهم من قويهم ومن ظالمهم لمظلومهم . وبعد هذا كله فقد ابتليت ، فعليك بالدعاء وألزمه لى نفسك والسلام عليك » .

ذكر إجابة دعوته وصنوف من كراماته : عن محمد بن [أخى] عبد الرحيم ابن علىّ بن عبد ربه ، (٢) قال : « كان عمى عبد الرحيم بن عبد ربه مقيما فى « قصر زياد » ، فرأى فى منامه كأن قائلا يقول له : « بقى عليك أن تسمع من سحنون كتب ابن وهب » فاستيقظ فقال : « اللهم كبرت سنى والحركة تشق علىّ ، فيسر لى ذلك » . فلم يكن إلا يسير حتى قدم سحنون بكتبه هارباً من أحمد بن الأغلب حين دعاه إلى القول بخلق القرآن ، فأقام عند عبد الرحيم شهرين ونصفاً مستخفياً ، فسمع عليه ما أراد من ذلك ، واستجاب الله عز وجل دعوته . فلما كان بعد ذلك ، وصل رسول أحمد بن الأغلب إلى قصر زياد فى طلب سحنون ورفعه إلى « رقادة » للمحنة فى القول بخلق القرآن ، فخرج عبد الرحيم مع سحنون يشيعه . فلما انتهى مع سحنون إلى آخر الحمى ، استقبل عبد الرحيم القبلة ووقف سحنون قبالته يوادعه ، فتعانقا وبكيا ودعا له عبد الرحيم بدعاء كثير وهو مستقبل القبلة ، ثم قال لرسول ابن الأغلب ، وهو ابن السلطان : « قل لأحمد : عارضتنى فى ضيقى ، فوالله لأعرضنك على رب العالمين » ، فاستجاب الله عز وجل دعاء عبد الرحيم وعافى الله عز وجل سحنوناً مما طلب به ، ولم يصل إليه أذى ، وأعزه الله تعالى وشرف قدره وأقام به السنة وأمات به البدعة . ولم يقم أحمد بن الأغلب بعد ذلك إلا أياماً حتى هلك .

---

(١) أضفت هذا اللفظ ليستقيم السياق .

(٢) اسم صاحب الترجمة هنا أوفى . وقد أضفت لفظ « أخى » لأن المعنى يقتضيه .

قال أبو إسحق السبأى[1] : « بلغنى عن سحنون أنه قال : « ذكر لى عن عبد الرحيم أنه أقام ستة أشهر لم يشرب ماء ، فأنكرت ذلك وهالنى ، فمضيت إلى « قصر زياد » فاجتمعت به وقلت له : « اتصل بنا عنك وانتشر أنك أقمت ستة أشهر لم تشرب ماء » ، فقال لى : « من أقل[2] الطعام لا يشرب » . قال : فلما أصبح الصبح سلمت عليه وانصرفت ، فلما نزلت على الدرج من « البرج » صيح بى ، فرجعت إليه فقال لى : « سألتنى عن شىء وكتمته عنك ، فلما انصرفت حاسبت نفسى لك ، وقلت : « لا أدعه ينصرف على [أمر] غير صحيح . فالذى قيل لك عنى هو صحيح : لى ستة أشهر لم أشرب ماء ، ذلك أنى كنت قائماً أصلى ، فأصابنى عطش شديد ، فلما سلمت من الصلاة مددت يدى لآخذ القسط ، فانقلب القسط وذهب كل ما فيه من الماء ، وكانت ليلة كثيرة الريح والبرد ، والماجل أسفل « القصر » . فكبر علىّ النزول فى طلب المـاء ، فقلت : « يا رب ، إن هذا المـاء شغلنى عن حزبى ، فاحمل عنى المؤونة » ، فأجابنى صوت من زاوية البيت — ولم أر أحداً — و[إذا] هو يقول : « أصلحك الله ، أنا من مؤمنى الجن ، [وكنت] أصلى بصلاتك مدة من الدهر ، فمر بنا فى هذه الليلة شيطان مارد من شياطين الجن — وهم أضر علينا مما هم عليكم ، نهرب بأدياننا منهم — فحسدك على ما أعطاك الله عز وجل من الطاعة ، فرمى لك شيئاً فى القسط ، ولو شربته لعرض لك فى جسمك شىء ليس لك به طاقة ، (ص ٩٥) فلما مددت يدك إلى القسط سبقتك إليه فهرقته » . قال عبد الرحيم : « فأخلصت [نفسى] لله عز وجل ، فسألته فحمل عنى مؤونة العطش ، وإن احتجنا بعد هذا إلى الماء شربنا » . قال : « فنزل سحنون متقلداً بسيفه ليركب دابته ، فنظر إليه الناس فقال لهم : « وما تستعظمون من هذا ؟ عبد سأل مولاه فى حاجة فقضاها له » .

حدث أحمد بن حبيب البلياني ، وكان رجلا صالحاً ، قال : [كان] بقرب قصر زياد رجل من بنى ماقد[3] وكان له ناحية من السلطان ، وكان له فرس

---

(١) اسمه الكامل كما أورده « الدباغ » (جـ ٣ ص ٧٧) : أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد السبائى .

(٢) فى الأصل : أكل ، فقومتها على هذا النحو ليستقيم السياق .

(٣) كذا فى الأصل . ويحتمل أن تكون صحته « بنى باقل » ، وقد تجاوز القاضى عياض فى « المدارك » عن هذا اللفظ (جـ ١ ص ١٤٥ — ١) .

وكان يطلقه فى زرع المرابطين ، فخوطب فى ذلك فلم يقبل ولا سأل عن كلام من خاطبه ، فأتى الناس إلى عبد الرحيم فذكروا ذلك له ، فرفع عينيه إلى السماء وقال: « اللهم اجعله آية للعالمين واكف المسلمين شره » ، فطارت عينا الفرس جميعاً، وبقى أعمى لايبصر شيئاً ، وكفى الله المسلمين شره .

وبإسناده قال: « بلغنا أن عبد الرحيم نزل به فقير من الفقراء، فلم يجد ما يقدمه إليه إلا قرصاً من الشعير استعد بها [1] لإفطاره ، فآثر بها الفقير على نفسه فأتى بالقرص وقدمه إليه وبقى هو بلا شىء ، فقيل له : « أصلحك الله ، وما يكون منك، وأنت لاتقبل لأحد [2] شيئاً، وإنما تأكل من حلالك الذى تعرفه ؟» قال: فقال لهم: « إن الله تعالى لا يتركنى بالجوع » . فلما كان بعد ذلك بساعة، مر رجل من سكان المنستير « ببرج عبد الرحيم » فسمع فيه كلاماً، فدخل على عبد الرحيم، فلم يجد عنده أحداً ، ووجد بين يديه قرصاً وتمراً، فقال له: « تقدم فكل » فقال له : « سألتك بالله ، أصلحك الله ، من أين أتاك هذا ؟ » فلما أقسم عليه قال: « أتانى به الخضر وقال لى : هذا التمر أتيتك به من أجدابية » ، ثم قال عبد الرحيم: « آثرنا بما عندنا هذا الرجل الفقير فعوضنا الله عز وجل ما هو أفضل منه » .

وقال أحمد بن أبى حبيب وغيره : « حدثنا الذين أدركناهم ، قالوا : « كان عبد الرحيم يأخذ الفتات فى يده ويبسطها ، فينزل الغراب على يده فيلتقط ما عليها من الفتات » ، وقالوا: « رأينا ذلك منه عياناً » . قالوا: « ومشهور عنه أنه كان يجتمع مع أبى العباس الخضر خلف « صومعة زياد » فى الناحية الشرقية منها » .

ويذكر عن عبد الرحيم أنه رأى ليلة من ليالى رمضان فى منامه قائلا يقول له : « كان من بات فى هذا القصر مغفوراً له إلا صاحب التليس » . وقد بات فى قصبة « القصر » تلك الليلة خلق كثير ، فلما صلى عبد الرحيم ال[صبح] خرج ، وكان من شأن [الناس] أن يودعوه وهو فى بيته . فنزل ذلك اليوم إلى سقيفة القصبة ، فودعه الناس وسألوه الدعاء ، فتقدم إليه صاحب التليس ليودعه، وقد خف الناس عنه ، فقال له سراً فيما بينه وبينه : « يا بنى ، رأى رجل فى المنام أن كل من بات فى هذه القصبة مغفور له إلا صاحب التليس ، وأخاف

---

(١) فى الأصل : استعدها . (٢) يريد : من أحد .

أن تكون أنت هو، فعرفني : ما الذى صنعت ؟ » فقال : « أنا عبد مملوك أبقت من سيدى » فقال [له] : « يا بنى ، ارجع إلى سيدك وتب إلى الله تعالى من ذنبك » وانصرف عنه ، فرجع العبد إلى سيده .

وذكر عن جماعة من الشيوخ [أنهم] قال[وا] : خرج عبد الرحيم سنة من السنين إلى المنستير فنزل فى « قصر الكبير » (١) ، فلما كان العشيّ سمع حس مهاريس، فقال : « ما هذا ؟ » فقيل له : « المرابطون يدقون التوابل لقدورهم » فاسترجع عند ذلك وقال : « ما هكذا أعرف حالة المنستير. قديماً عند سكانها كان شيء من دقيق الشعير فى القُلة (٢)، وشيء من الزيت، فإذا كان عند إفطارهم لتّوا ذلك الدقيق بشيء من الزيت فأكلوه . لله عليّ أنى لا أبيت (٣) فى شيء من المنستير» . فخرج منها ذلك الوقت ، فغابت له الشمس عند « قصر لمطة » ، ولم يعد إلى المنستير بعد ذلك . ولم يزل مقيما ملازماً « لقصر زياد » معتكفاً على صيام النهار وقيام الليل وتلاوة كتاب الله عز وجل حتى توفى . وكانت وفاته سنة سبع وأربعين ومائتين (٤)، ودفن على سيف البحر من ناحية شرقى القصر، رضى الله تعالى عنه . ومن بعض ماقيل فيه من المراثى : قال حاتم الحدانى (٥) المتعبد:

لهفى على عبد الرحيم وفضله ... حتى الممات بكل قلب يستعر
ماكان أتقاه وأحسن أمره ... فى الله يسعى قد تشمر واتّزر
أما النهار فصائم متهجد ... والليل يهتف بالقران إلى السحر
شرب الهدى فملا الرشاد فؤاده ... وحوى الصلاح فما على ذنب عثر

---

(١) كذا فى الأصل .

(٢) القلة : الجرة العظيمة ، وقيل الجرة عامة (اللسان ـ ج ١٤ ص ٨٣) .

(٣) فى الأصل : « لله على ان بت فى شيء من المنستير » ، والتصويت من « المدارك » ج ١ ص ١٤٥ ب .

(٤) جاء فى « المدارك » (ج ١ ص ١٤٥ ب) أن وفاته كانت سنة ست، أو سبع ، وأربعين ومائتين .

(٥) كذا فى الأصل من غير نقط . وقد جاء فى هامش الأصل ازاء هذا السطر كلمة « بعضها » ، مما يفهم منه أنه اكتفى ببعض أبيات القصيدة .

طلب الخلود ، فبـاع دنياه بما — يبقى فقد ربح السعيد وما خسر
ولى حميداً راضيـاً عن ربه — فلقـد عفا عنه لأطيب مختبر
قد كان فى قَصَص الغراب — عجائب ، للمسلمين جميعهم فيها عبر
بعث الغرابَ إليـه رب محمد — حتى ليُعْلِمه بصـالح ما ادخر
جعل الفتـات له براحة كفه — فدنا إليـه به فقرّ ولم يطر
فهوى الغراب لأخذه متبـادراً — من كفه لم يكتس ثوب الحذر
يا معشر العبـاد قوموا فانصروا — دين النبى ووقروه كما نصر
وصِلوا الرباط وجاهدوا فعسـاكم — أن تظفروا بالصـالحات كما ظفر (١)

١٤٦ — ومنهم **أبو السرى واصل بن عبد الله اللخمى** المتعبـد « بقصر حمة » . ويعرف الآن « بقصر الرباط » « بالمهدية » .

كان من أهل الزهد والعبادة والنسك والفضل والإجابة ، أصله من « حمة » وكان له بها حانوت يتجر به فيما يكال ويوزن من حنطة وقطنية (٢) وزيت ، ثم ترك ذلك ونبذ الدنيا وسكن « قصر الرباط » وتجرد لقيام الليل وصيام النهار . وداوم على ذلك حتى صار من الأولياء المعدودين ، ومن الأصفياء المقربين ، والنساك المتجردين (٣) .

---

(١) وردت فى « المدارك » (ج ١ ص ١٤٥ ب) أبيـات من مراثه أخرى قيلت فى عبد الرحيم ·

وقد أضاف القاضى عياض فى نهاية ترجمته لعبد الرحيم ما يلى :

« وكان قد استشار سحنونا فى الخروج الى « عنز » وصقلية وعليه نفقة واسعة : ذكر أنه كان له سبعة عشر ألف أصل من الزيتون ، وكان لسحنون اثنا عشر ألف أصل ، وكان عبد الرحيم قد استشار سحنونا فى بيع ضيعته والتصدق بها » ·

(٢) فى الأصل : قطينة . وصحتها : قِطنية ، وهى الحبوب التى تخرج من الأرض سوى الحنطة والشعير والزبيب والتمر · وقيل أيضا إنه اسم جامع للحبوب التى تطبخ · قال الأزهرى : هى مثل العدس والخُلّر ، وهو الماش ، والفول واللوبياء والحمص وما شاكلها مما يقتات به (اللسان — ج ١٧ ، ص ٢٢٤) ·

(٣) فى الأصل : المجودين ·

وطلب العلم على سحنون وعون بن يوسف ، ونال من العلم (ص ٩٦) ما يستعين به على عبادة ربه عز وجل . وسبب طلبه العلم أنه أتى إلى « جامع سوسة » يوم الجمعة ، فقام يصلى وسحنون قريب منه ، فأذن المؤذن وتمادى واصل فى الصلاة ليتم السورة التى كان فيها ، فلم يفرغ منها حتى بدأ الإمام فى الخطبة ، فنظر إليه سحنون كالمنكر عليه . فلما سلم الإمام سأل عنه فأخبر به فدعاه وقال له : « من أنت ؟ » فقال : « أنا واصل » فقال له : « أنت واصل الذى يقال [ ] ؟ [1] » فقال له : « أسأل الله بركة [2] ما يقال » فقال له : « رأيتك وأنت تصلى والإمام يخطب ، اطلب العلم ولا تسكن فى شىء من « القصور » حتى تطلبه » [3] . قال : فطلب العلم على سحنون ولزمه عشر سنين .

ويقال إن [سبب] طلبه للعلم أنه صلى إلى جانب سحنون « بحصن لمطة » . فسلم الإمام ، وأطال واصل الدعاء بعد سلام الإمام ، فقال له سحنون : « يا واصل ، اطلب العلم خير لك » فلزم طلب العلم من ذلك الوقت . وكان سحنون يجله ويعظمه . ولقد حدث أبو الحسن علىّ بن عبد الله القطان المعروف بابن الحلاف المتعبد أن واصلا قدم إلى القيروان ، فهجّر إلى الجامع يوم الجمعة ، فبينا هو فى الصلاة إذ عرض له شىء من الفهم فى القرآن ، فقال له سحنون : « وصلت والله يا واصل » .

---

(١) لم يترك الناسخ بياضا هنا، ولكن السياق يدل على أنه أسقط جملة فى معنى : عنه كذا وكذا ؟ .

(٢) فى الأصل : تركه ، والتصحيح من « المدارك » ج ١ ، ص ١٤٦ ــ ١.

(٣) ورد هذا الخبر فى « المدارك » مختلفا بعض الشىء ، وهذا نصه هناك: « . . فقال لى : رأيتك تصلى والامام يخطب . أطلبـ[ـت] شيئا من العلم؟» . قلت: «لا» ، قال : « اطلب العلم أو فلا تسكن فى شىء من هذه الحصون » ، فاختلفت الى عون بن يوسف سبع سنين » . قال المالكى : فتفقه به وحفظ من العلم ما قمع (فى الأصل : جمع) به الشيطان ، ثم تستر للعبادة وقيام الليل وصيام النهار حتى مات . وكان أبو عبد الله بن سحنون يعظمه . وكان واصل يسكن بقصر الطوب من سوسة . (المدارك ج ١ ، ص ١٤٦ ــ ١) .

ويلاحظ أن الرواية المنسوبة الى المالكى فى « المدارك » تختلف عن نص المالكى الذى بين أيدينا .

ذكر فضله وصنوف من كراماته : حدث الشيخ أبو الحسن عليّ بن محمد القابسي الفقيه، رضى الله تعالى عنه، قال : « ذكر أن واصلا ، رحمه الله تعالى ، كان قبل أن يتعبد يتجر بحانوت له « بحمة » بما يوزن ويكال ، فأتته امرأة فساومته فى شئ مما بين يديه ، فجرى بينهما منازعة فقالت له : « كفى بك ما أنت فيه بين مكيال وميزان » ، فقال لها : « صدقت يا أمة الله » . فألقى الله ، عز وجل ، فى قلبه فى الوقت ترك البيع والشراء ، وقام عن الدكان من فوره وترك جميع ما كان فيه ، ومضى كما هو إلى « قصرحمة » فأقام فيه أياماً ملازماً للقبلة لا يفتر من صلاة وصيام ليلا ونهاراً . فلما رآه أهل القصر على تلك الصورة ، تبينوا فيه الضعف من كثرة العمل وعدم الغذاء ، فكانوا يأتونه بعد المغرب بإفطاره ، بشىء من خبز الشعير وبقل البرية ، فغفلوا عنه ليلتين لم يأتوه بشىء لما طال ذلك عليهم . فلما كان فى الليلة الثالثة ، بعد صلاة العشاء الآخرة ، إذا بضارب يضرب باب القصر عليهم ، فأشرفوا من أعلى القصر وقالوا : « من أنت ؟ » فقال لهم : « أنا غلام فلان » — فسمى رجلا مذكوراً بالخير — « أرسلنى مولاى بطعام إلى الشيخ واصل ، وقال لى : إن أنت وصلت إليه فى هذه الليلة بهذا الطعام وأكل منه فأنت حر لوجه الله عز وجل » . ففتحوا باب الحصن فى ذلك الوقت ، خلاف عادتهم ، رغبة منهم فى عتق الغلام ، فإذا مع الغلام حمل بغل موقر عليه من أصناف الأطعمة والحلوى [شئ كثير] . فأتوا بذلك إلى واصل ، فمد يده إلى شئ منه فأكل ، وقال للمرابطين : « افترقوا (١) جميعه فيما بينكم » ولم يدخر منه شيئاً . فقال بعضهم [لبعض] : « أبيتم أن تطعموه خبز الشعير وبقل البرية ، وهو أطعمكم هذا الطعام الطيب الذى لا تعرفونه ولا تقدر على مثله » . فمن تلك الليلة عرف القوم فضل واصل وموضعه من العبادة .

ثم بانت بعد ذلك كراماته وإجابة دعوته . قال أبو الحسن بن الحلاف المتعبد — وكان يحب أخبار واصل ويثنى عليه — قال : « أخبرنى أبو ميسرة (٢) عن سعيد بن الحداد أن واصلا أقام أربعين سنة لم يدخر شيئاً من الدنيا ، وإنه ليقيم الأيام لا يطعم شيئاً ، فإذا جهد خرج إلى الحمى فيجمع شيئاً من بقول الأرض يقتات به ثم يعود إلى مصلاه » .

---

(١) كذا .

(٢) هو أبو ميسرة أحمد بن نزار المتوفى سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة . انظر عنه : « المعالم » جـ ٣ ص ٥٤

وحدث أبو محمد عبد الله بن يوسف الحسنى ، قال : « سمع رجل بخبر واصل — و[كان] الرجل من أهل المشرق — فأتى قاصداً ليراه ويزوره ويسأله سؤال امتحان ، فقال له : « قرصاك (١) من أين ؟ » ، قال : « من بين الكاف والنون » . قال : « فأخبرنى عنك : أنت مقيم بالمسجد وليس [لك] مأوى غيره ، فإذا طبخ المرابطون قديراتهم وصلوا المغرب ودخلوا بيوتهم ، وسمعت حساً على الداموس ، هل تتشوف نفسك إلى من يأتيك بشىء تأكله ؟ » ، فقال له واصل : « مالنا عند أحد شىء فننتظره يجيئنا به » ، فقال له : « أنت واصل حقاً » .

وعن ربيع بن سليمان القطان (٢) ، رحمه الله تعالى ، قال : « قال واصل اللخمى : مكثت إحدى عشرة سنة (٣) فما علمت [أن] الشيطان ظفر بى فيها ولا ساعة واحدة ، إلا فى ثلاث خطوات خطوتها فى طريق ثم عاد على العلم ببركته فرجعت وأخذت طريقة أخرى » ، فسئل عن بيان ذلك فقال : « نعم ، كنت مرة بالساحل ، فبينا أنا أمشى فى آخر النهار إذ عرضت لى طريقان : إحداهما تنتهى إلى قرية رجل صالح فقير ، والأخرى تنتهى إلى قرية رجل صالح غنى ، وهما جميعاً صديقان . فوقفت ساعة أتدبر لمن أقصد منهما ، فقالت لى نفسى : « إن قصدت هذا الفقير فعسى بك أنك (٤) لاتجد عنده ما يتعشى [به] عياله وأطفاله ، وإن كان عندهم ما يتعشون به فأنت تضيق عليهم فى عيشهم وتشق عليهم وإن لم يظهر لك ذلك ؛ وإن قصدت الغنى وجدت عنده خبزاً طيباً من القمح من (٥) حرثه فى أرضه التى ورثها من أبيه وجده ، وتجد عنده زيتاً طيباً وتيناً فاخراً من ميراثه أيضاً ، وعسى أن يذبح لك خروفاً من غنمه ، وهى ترعى أراضيه وزيتونه ، فتسره ولا تدخل عليه بمضرة وتجد بغيتك وتأكل شهوتك .

---

(١) كذا فى الأصل . وفى المدارك (ج ١ ص ١٤٦ — ١) : فرصتك .

(٢) أورد القاضى عياض هذا الخبر فى « المدارك » وأسنده إلى سعدون الخولانى خادم واصل مباشرة — (ج ١ ص ١٤٦ ب) .

(٣) أضاف القاضى عياض فى « المدارك » هنا : « .. إحدى عشرة سنة أتعرف فيها حالى عند الله كل ساعة فما علمت .. » — (ص ١٤٦ ب) .

(٤) كذا فى الأصل . (٥) فى الأصل : الى .

فخطوت فى الطريق ثلاث خطوات ، ثم استيقظت من نومة الجهل واهوى فقصدت الطريق إلى قرية الفقير ، فاجتمعت به ، فرحب بى وفرح ، وأنزلنى عنده . فلما حضر العشاء ضرب علينا إنسان الباب ، فخرج إليه صاحب الدار فدخل رجل (ص ٩٧) وعلى يده صحفة كبيرة فيها ثريد بخبز القمح وعليها لحم خروف سمين ، فقال لى : « كل ، أيدك الله » فأكلنا حتى شبعنا ، وحمل الفضلة إلى عياله . ثم ضُرب الباب مرة أخرى ، فأتى بطبق فى وسطه صحفة فيها زيت فاخر وحولها تين فاخر ، فقال لى : « كل ، يرحمك الله » ، فأكلت حتى بلغت أمنيتى من ذلك ، فقلت له : « من أين هذا ؟ فأنا أعرف أن هذا ليس من مقدرتك » فقال : « صـدقت ، ولكن أتانى من عند جارى » فقلت له : « صِح به » ، فأتانى به ، فقلت له : « من عندك هذا الطعام ؟ » قال : « نعم » ، فقلت له : « أكنت منا على وعد ؟ » فقال : « لا ، لكن كان عنـدنا خروف سمناه ، فلما كان فى هذا اليوم حلا بقلوبنا ذبحه ، فذبحناه وطبخناه وصنعنا [1] له الخبز ، وبردناه . فلما رأيت جارنا قد نزلت به ، قلت : « هذا الرجل صالح وليس يعرفه وليس يستضيف به إلا رجل صالح مثله ، ونعرف أن ليس عنده طاقة » ، فقلت للزوجة : « نحن نجد العوض عن هذا فى غير هذا الوقت ، فهل لك أن نطعم كل ما هيأناه من الطعام لجارنا هذا وضيفه ونسألهما فى دعوة [صالحة] فيحفظ الله علينا أولادنا ويبارك فيما أعطانا ؟ » فساعدتنى على ذلك ، فأخذت الصحفة [من] على المائدة وأتيت بها إليكم . ثم قالت له زوجته [2] : « لا بد من حلاوة تكون بعد الثريد » فأعطتنى هذا التين وهذا الزيت » . قال [3] : لما آثر واصـل ، رحمه الله تعالى ، الفقـير على الغنى أعطاه عز وجل جميع ما اشتهى أن يأكله عنـد الغنى من غير سـؤال ولا استشراف . وهذا كله من ميراث الصدق .

---

(١) فى الأصل : وصفيناه

(٢) يريد : ثم قالت لى زوجتى

(٣) جاء فى الأصل بعد لفظ « قال » حرف « ع » دون بيان . وربما أراد أن يقول : قال ربيع بن سليمان القطان راوى هذا الخبر .

حدث الشيخ القدوة الفقيه أبو الحسن عليّ بن محمد القابسي ، رحمه الله تعالى ، قال : ذكر [عن] محمد بن سحنون ، رضي الله تعالى عنه ، أنه كان يوماً جالساً في مسجده ضحى من النهار يلقي على أصحابه العلم وهو منشرح مقبل ، حتى وجم فأطرق ساكناً متفكراً ، ثم نهض للقيام وقال : « من حضرته [نية القيام] (١) لزيارة لواصل فليقم » ، ثم خرج من فوره وخرج معه أصحابه حتى وصل إلى « قصر الرباط » بحمة . فدخل إلى « القصر » في اليوم الثاني والمؤذن يؤذن الظهر ، فنزل عن دابته وتوضأ للصلاة هو وأصحابه وصلوا مع واصل الظهر ، فلما فرغ [واصل] من الصلاة والركوع تقدم إليه محمد بن سحنون فقال له : « نعم » فمد يده إليه وصافحه ، وأقبل عليه وقال له : « لقد سألتُ الله تعالى أول أمس ضحوة النهار أن يجمع بيني وبينك » . وسرّ به سروراً عظيماً ، ودعا له ولأصحابه وودعه ثم انصرف (٢) .

[حدث] سعدون الخولاني (٣) — وكان يخدم واصلا — قال : « كنت أخدمه إلى أن تزوجت ابنة عمي ، وأنا ابن ثمان عشرة سنة ، فقال لي يوماً : « ياسعدون ، اشتهيت زرازير بيضاء ، فإذا مضيت إلى قرية خولان فأتنا بها » . فمضيت بالغد [وبلغت قريتي وأهلي] فقلت لهم : « هل وقع عندكم زرازير ؟ » فقالوا : « والله ماوقع منها شيء حتى الساعة ، لا بيض ولا سود » ، فأخذت دجاجاً وفراريج فسلقتها وسويت بعضها (٤) ،

---

(١) في الأصل : من حضره الزيارة ، والتصحيح من « المعالم » ج ٢ ، ص ٨٧ .

(٢) أضاف صاحب « المعالم » الى هذه الحكاية ما يلي : « ... فلما فرغ من الصلاة والنافلة تقدم اليه محمد بن سحنون ، فقال له واصل : « يا هذا ، رأيتك مررت بيدك على لحيتك ، وهذا عمل لا يجوز » . فقال ابن سحنون : « وأنت يا شيخ ، أعد صلاتك ، فأنك أشغلت سرك بي . وسألت الله أن نأتيك ، ونراه قد فعل ، فهل من حاجة ؟ » فقال له : « أتكون ابن سحنون ؟ » قال : « نعم » ، فصافحه وسلم عليه .

وما ذكر من اعادة الصلاة انما هو على طريق الورع ، والله اعلم » . «المعالم» ج ٢ ص ٨٧ — ٨٨ .

ولم يفرد صاحب « المعالم » مادة لواصل ، ولكنه أورد هذا الخبر في ترجمة محمد بن سحنون .

(٣) في « المدارك » ج ١ ص ١٤٥ ب : سعد بن الخولاني .

(٤) في الأصل : فسلقتهم وسويت بعضهم .

وأخذت بيضاً وجبناً وتمراً وزيتوناً مملحاً وخبز قمح ، وملأت جراباً ، وجعلته بين يدى ، وركبت حتى وصلت به إلى واصل . فجعلت الجراب بين يديه ، فقال : « اللهم طول أعمارهم وتقبل أعمالهم وأصلح نسلهم ، وأمت سعدوناً على السنة والاعتصام بحبل الله تعالى » . فقلت له : « يا سيدى ، هذه الدعوة أحب إلىّ من الدنيا وما فيها . تقول لك العروس ابنة عمى : « والله ما وقع عندنا من الزرازير البيض شىء فى هذه السنة ، وهذه هديتى ، فأشتهى [أن] تقبلها » فقال : « قد قبلتها » . وفتح الجراب فأخرج منه منديلا فيـه اثنا عشر زرزوراً [(١)] ما رأيت مثل بياض شحومها وهى مسلوقة ، فعزل منهـا اثنين وأعطانى أنا اثنين وأعطى أبا الفرج الرجل الصالح اثنين ، وفرق باقيها على قوم صالحين ، ثم قال : « يا سعدون ، فرق هذا المزود الذى فيه الهدية على جيراننا واحبس بعضه ، فإنه ليس لنا منه إلا شبعة » . قال : « فبقيت متعجباً لأنى لا أعرف [أنه كان فيـه] [(٢)] زرازير بيضاء . فأدلجت فى السحر إلى ابنة عمى » قال : « فسألتها ، فقالت : « لا والله ما جعلت فيه إلا ما رأيت » . فرجعت إلى القصر ، ففطن لى واصل فقال : « يا سعدون ، إنمـا أريتك هذا لتعلم يا بنى أنه من أطاع الله تعالى نال الدنيا والآخرة » .

وذكر [(٣)] أنه زار سعدون الخولانى واصلا اللخمى ، فلما دخل القصر قام المرابطون فسلموا عليه وقالوا له : « نحب منك إذا سلمت على واصل تسأله أن يدعو لنا فى زوال البق عنا ، فقد حل علينا منه أمر عظيم » ، فاستأذن سعدون على واصل ، فأذن له ، فدخل إليه فوجده فى بيت مظلم جالساً على حصير قد اسود من طول ما ديس [(٤)] فسلم عليه وجلس ، فأصابه من البق ما أقلقه ، فقال له واصل : « ما قصتك ؟ » قال : « آذانى البق » ، وأخبره بما شكا أهل القصر من ذلك ، فدعا الله تبارك وتعالى فى إزالة ذلك عنهم ، ثم ودعه وانصرف . قال سعدون : « فلما صرت فى الباب سمعته يقول : « أعوذ بالله منك يا ملعون » ثلاث مرات ، ثم أطلت القيام فلم أسمع شيئاً ، فاستأذنت عليه ، فأذن فدخلت عليه وسألته ما السبب فيما سمعته منه ، فقال : « نعم ، لمـا خرجت تصور لى الشيطان

---

(١) فى الأصل : ثردة . (٢) فى الأصل : « فى » نحسب .

(٣) الراوى هنا أبو بكر الزويلى ، كما سيجىء .

(٤) فى الأصل : لسس .

فى صورة [ ] [1] أقبلت بين يدى وأدبرت ، فقلت : « أعوذ بالله منك يا ملعون » ، ثم تصور فى صورة حية قرناها فى السقف ورأسها فى الأرض فقلت : « أعوذ بالله منك يا ملعون » ، ثم تصور فى صورة أخرى — نسيها أبو بكر الزويلى راوى هذه القصة — فقلت : « أعوذ بالله منك يا ملعون » فذهب عنى ، وكفانى الله عز وجل شره » . قال : « فوادعته فانصرفت وأخبرت المرابطين بما كان منه من الدعاء . فلما كان بعد ذلك بمدة ، دخلت القصر لزيارة واصل ، فقام إلىّ المرابطون فقالوا لى : « جزاك الله عنا خيراً ، فقد انقطع عنا البق فما رأيناه من الوقت الذى (ص ٩٨) دعا فيه واصل » ؛ رحمه الله تعالى .

وذكر سعدون أيضاً ، قال : أردت الحج ، فمضيت إلى واصل اللخمى أودعه وأسأله الدعاء ، قال : فدخلت إليه فإذا عنده من البراغيث والبق أمر عظيم ، قال : فأقبلت أتحرك كلما أكلونى ، وواصل جالس لا يتحرك ، فلما رأى قلقى قال : « يا سعدون ، ما لك ؟ » فأخبرته بما أصابنى من ذلك ، فقال لى : « أتحسهم يا سعدون ؟ » فقلت له : « نعم » فقال : « يا سعدون ، عهدك فى أبى جاد ، [2] ما أتى بك ؟ » فقلت له : « إنى أردت التوجه إلى الحج ، فأتيت إليك لأودعك وتدعو لى » فقال لى : « وجمعت الدنانير يا سعدون ، ديناراً على دينار ، حتى لزمتك فريضة الحج ؟ لقد أكلت ، يا سعدون ، على هذا الحصير طعاماً لم تمسه الأيدى . وما أخبرتك بهذا إلا لتعمل ! » .

وذكر عن أبى محمد الحسنى أن واصلا خرج ليلة من المسجد ، فلما صارت إحدى رجليه خارج المسجد والأخرى داخله عرضت له فكرة ، فرفع رأسه إلى السماء وقال لنفسه : « أطاعته السموات والأرضون على عظمتهن ومن فيهن ، وعصيته أنت على صغرك وضعفك ! » ، قال ذلك يخاطب نفسه ، فبقى باهتاً حيناً طويلا حتى استغرق واسترخت يداه وسقط مغشياً عليه ، وصادف رأسه الحائط فجرحه ، فبادر سكان القصر فحملوه وغسلوا الدم عنه وربطوا رأسه وهو فى حاله ، رحمه الله تعالى .

---

(١) أسقط الناسخ بيان هذه الصورة ، فتركت هذا البياض .

(٢) فى الأصل : عادك فى أبى جاد ، ولم أستطع تحقيق هذا المكان . وربما كان المراد به بلدة « جادو » القريبة من « شروس » — انظر فهرس الادريسى ، طبعة دوزى .

ولما حكي أبو الحسن [1] عن واصل قوله لسعدون : « لقد أكلت طعاماً على هذا الحصير لم تمسه الأيدى . . . » قال له بعض من حضر : « لعله يريد الفواكه ، لأنها لم تعملها الأيدى » ، فقال له أبو الحسن : « ومن يقول هذا ، وإن هذه لم تعملها الأيدى ، والله تعالى [عز] وجل يقول : (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون) [2] إلى قوله تعالى : (وما عملته أيديهم) ؟ [2] أفما كانوا ممن يحلون هذا اللعب [3] ؟ » .

وقال سعيد بن الحداد : قال لى واصل يوماً : « يا سعيد ، من أحب أن يعرف لم يصدق فى عبادته ، وإنما كره المتقون أن يعرفوا خوفاً منهم أن يكرموا لعلمهم ، فرغبوا إلى الله تعالى أن يخفى ذكرهم فى الدنيا عن جميع خلقه . يا سعيد ، [4] من استأنس بالله لم يستوحش وإن كان فى رؤوس الجبال ، فما أوحش من يكن الله أنيسه » .

قال أبو بكر عتيق بن خلف : كان واصل كثيراً مايقول : « ثلاثة من [5] أعلام المحبة : حب الليل للتهجد والخلوة ، وكراهية الصبح لرؤية الناس والغفلة ، والمبادرة بالصالحات مخافة الفترة » . وكان يقول : « إن طريق الآخرة قد خلا لسالكيه ، فلا يسلكه إلا القليل ؛ وازدحم الناس على طريق الدنيا حتى تضاغطوا فيه واندفعوا ولم يسمح أحد لصاحبه . والناس فى طريق الدنيا ثلاثة أصناف : صنفان معتلنان ، وصنف مستتر . فالصنفان المعتلنان الملوك والتجار : طلبوا الدنيا غير مرائين ، استوت أسرارهم وعلانيتهم ؛ والصنف الثالث المسترون : أظهروا قصد الآخرة وضمائرهم مطوية على الدنيا ، ورأوا أن طلب الدنيا بالدين أعظم ربحاً فرغبوا [6] أن يجمعوا بين الحالتين أن يبقى لهم إجلال الديانة ، ويبلغوا إلى شهواتهم الباطنة . ولم يأخذ أحد من الدنيا منزلة إلا ترك مثلها من الآخرة . فلما قصدوا الدنيا من الجهتين سقطت عنهم الآخرة من الجهتين ، لأن طلب الدنيا بالدنيا مباح ، وطلب الدنيا بالدين محرم » .

---

(١) الغالب أن المراد هنا : أبو الحسن على بن الحلاف .
(٢) سورة يس ، الآيتان ٣٣ و ٣٥ .
(٣) فى الأصل : أفما كانوا ممن يحكوا هذا اللعب .
(٤) فى الأصل : سعدون ، وسياق الكلام يقتضى هذا التعديل .
(٥) كذا فى الأصل ، والأصوب : هنّ من .
(٦) فى الأصل : فرهبوا .

وكانت لواصل أخت ، فكان لاشتغاله بالعبادة والتبتل لا يتفرغ لزيارتها ، وكانت هي لا تقدر على الوصول إليه . فلما حضره الموت واشتد به الأمر وقرب منه ما بعد ، قال لبعض من بحضرته : « امضوا إلى أختي فأتوني بها » ، فمضوا إلى منزلها فأتوه بها . فلما وصلت أخبروه وقالوا : « أتدخل إليك ؟ » فقال : « لا سبيل إلى دخولها ، ولا أكون أول من أباح للنساء دخول الحصون . اجعلوها عند باب القصر تبكي وتنوح حتى أسمعها » . قال : فبكت وناحت حتى سمعها ، فبكى ثم قال : « قولوا لها : انصرفي ، فالموعد بيني وبينك الآخرة » ثم توفي ، رحمه الله تعالى . أخبر بهذه الحكاية أبو الحسن بن الخلاف ، فكان يقول : « عجباً ، كيف أمرها برفع الصوت بالنواح ؟ لعله إنما استخف ذلك وأباحه لأخته للحديث الذي جاء في « الموطأ » في دخول النبي صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن عتيك فوجده قد غلب عليه النسوة وبكين فجعل عمر يسكتهن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعهن ، فإذا وجب فلا تسكتن [1] باكية » . قالوا : « يا رسول الله ، ما الوجوب ؟ » ، قال : « إذا مات » ، فقد أباح لهم صلى الله عليه وسلم الصياح والبكاء عند احتضار المريض وقرب الموت منه » .

وكانت وفاة واصل ، رحمة الله عليه ، سنة اثنتين وخمسين ومائتين . قال أبو العرب : وقبره بين يدي حوانيت الحياطين الذين بقرب القصر ، جمع الله بيننا وبينه في جنته برحمته [2] .

---

(١) في الأصل : تبكى .

(٢) لم ترد هذه العبارة في نسخة « طبقات » أبي العرب المطبوعة ، والمعروف أن هذه الأخيرة انما هي موجز للكتاب الكبير .

— ٦ —

ذكر الطبقة الخامسة من علماء القيروان وعبادها
وما يتصل بها من بعض مدنها ومراسيها

وأبدأ من هذه الطبقة بذكر أصحاب سحنون ، رضى الله تعالى عنهم . فقد كان جمع الله ، عز وجل ، فيهم الفقه والدين والورع والتواضع والزهد . فمما ذكر عنهم أن شيبة [1] بن زنون تحدث فقال : « عرست فدعوت ليلة عرسى جماعة من أصحابنا منهم أحمد بن نمير ، فأتونى » ، قال : « وكان فيمن دعوت شيخ من أهل المشرق — كان قدم علينا — من أصحاب أحمد بن حنبل . وكان الناس يسمعون منه العلم ، وكان شيخاً مسمتاً نبيلا قلما رأينا مثله » . قال : « فكان أصحابنا فى أول الليل فى قراءة وتعبد وبكاء وخشوع ، ثم أخذوا بعد ذلك فى مسائل العلم والمناظرة فيها ، ثم ابتدروا بعد ذلك زوايا الدار يصلون أحزابهم » ، قال : « فنظر (ص ٩٩) الشيخ الذى من أصحاب ابن حنبل فقال : « مِن أصحاب مَن هؤلاء ؟ . ومن معلمهم العلم ؟ والله ما رأيت أحداً قط أنبل من هؤلاء : أخذوا فى أول الليل فى قراءة القرآن والبكاء والخشوع ، وبعد ذلك أخذوا يتناظرون فى العلم ، ثم بعد ذلك وثبوا إلى قيام الليل والتهجد بأحزابهم . والله ما رأينا مثل هؤلاء قط ، والله ولا يصيب هؤلاء رجلا إلا نبلوه وشرّفوه » ، فقيل له : « هؤلاء أصحاب سحنون » .

قال أبو العرب : حدثنى عبد الله بن محمد ، قال : كان الذين يحضرون مجلس سحنون من العباد أكثر ممن يحضره من طلبة العلم . كانوا يأتون إليه من أقطار الأرض .

---

(١) فى الأصل من غير نقط ، ولم أجد فيما بين يدى من المراجع ذكرا لهذا الراوية ، فضبطته على هذا النحو .

١٤٧ـ فمن ذلك ولده **أبو عبد الله محمد بن سحنون**، رضى الله تعالى عنهما .

قال أبو العرب : كان إماماً ثقة عالماً بالمذهب ، مذهب أهل المدينة ، عالماً بالآثار. لم يكن فى عصره أحد أجمع لفنون العلم منه، ألف فى جميع ذلك كتباً كثيرة تنتهى [إلى] نحو مائتى كتاب فى جميع العلوم وفى المغازى والتواريخ (١) .

وكان والده قد تفرس فيه الإمامة، وكان والده يقول : « ما أشبهه إلا بأشهب » .

وكان والده يقول لمعلمه : « لا تؤدبه إلا بالمدح ولطيف الكلام، ليس هو ممن يؤدب بالضرب [والتعنيف] (٢) فإنى أرجو أن يكون نسيج وحده وفريد أهل زمانه ، [واتركه على نحلتى] ، (٣) وأخاف أن يكون عمره قصيراً » (٤) .

وانتشرت إمامته فى حياة والده ، وأدرك من جميع العلوم ما لم يدركه غيره من أهل عصره . وكانت له حلقة غير حلقة أبيه (٥) .

ومولده سنة اثنتين ومائتين ، وتوفى سنة ست وخمسين ومائتين ، ودفن « بباب نافع » .

---

(١) علق ابن ناجى على هذه العبارة الأخيرة بقوله : « والمراد بالكتب كما تقول : كتاب الطهارة ، كتاب الصلاة ، كتاب الزكاة . وليس المراد أن الكتاب الواحد عبارة عن سفر ، والله أعلم » . « المعالم » جـ ٢ ص ٧٩

وقد ذكر القاضى عياض فى ترجمته الوافية لمحمد بن سحنون قائمة مؤلفاته . (« ترتيب المدارك » جـ ١ ، ص ١٤٧ ـ ١) .

(٢) التكملة من « المعالم » (جـ ٢ ص ٨٠) . وقد أورد هذا الخبر بنصه رواية عن ابن حارث .

(٣) التكملة من « المعالم » جـ ٢ ص ٨٠ . وقد أخطأ فى ايراد العبارة فقال : « فاتركه على لحنتى » .

(٤) قال ابن ناجى بعد ذلك فى تعليقاته على ما كتب الدباغ: « فكان كما قال سحنون » . « المعالم » جـ ٢ ص ٨٠

(٥) رواية ابن ناجى تخالف ذلك بعض الشىء ، فهو يقول : « وكان الناس يحلقون عليه بعد حلقة أبيه . وكان يؤلف فى حياة والده ، وكان يقول له : يا محمد ، احذر أهل العراق . فإن لهم ألسنة حدادا ، وإياك أن يغلط قلمك فتعتذر ، فلا يقبل عذرك » . (« المعالم » جـ ٢ ص ٨٠) . ونص القاضى عياض فى هذا الموضع أغنى وأكثر تفصيلا . (« المدارك » جـ ١ ، ص ١٤٧ ـ ١) ..

سمع من أبيه ، وعليه معتمده ، وسمع من موسى بن معاوية الصمادحى ، وعبد العزيز بن يحيى المدنى ، وعبد الله بن أبى حسان اليحصبى .. ورحل إلى المشرق سنة خمس وثلاثين ومائتين فلقى جماعة من العلماء منهم أبو المصعب الزهرى صاحب مالك ، ويعقوب بن حميد بن كاسب ، وسلمة بن شبيب[1] وغيرهم .

ولما عزم على الرحلة قال له والده : « إنك تقدم على بلدان » — سمّاها — « إلى أن تقدم إلى مكة ، فاجتهد جهدك . فإن وجدت عند أحد من أهل هذه البلدان مسألة خرجت من دماغ مالك بن أنس وليس عند شيخك » — يعنى نفسه — « أصلها ، فاعلم أن شيخك كان مفرطاً » . فلما وصل إلى مصر نزل على أبى رجاء بن أشهب ، سأله أبو رجاء فى ذلك ففعل . قال : فكان علماء مصر يأتونه ويسلمون عليه ، قال : فأتاه المزنى صاحب الشافعى فيمن أتاه ، وجلس معه كثيراً ليقل الناس ويخلو معه . فلما خرج قدمت إليه دابته ليركب ، فقيل له : « كيف رأيته ؟ » قال : « لم أر والله أعلم منه ولا أحد ذهناً » .

قال : وكتب كتابى الإمامة بمصر بماء الذهب وأهداهما إلى الخليفة ،[2] وما أُلف فى هذا الفن أحسن منهما .

وذكر أبو بكر بن اللباد أن محمد بن سحنون أتى بعد موت أبيه زائراً إلى عبد الرحيم بن عبد ربه المتعبد [بقصر زياد][3] الزاهد فسلم عليه ، فرد عليه السلام وتركه يجلس حيث انتهى به المجلس ، ولم يُقبل عليه حتى انصرف .

---

(١) هكذا أورد أبو العرب اسمه أيضا (ص ١٢٩) ، أما الدباغ فقد جعله شيبة بن شبيب النيسابورى . (« المعالم » جـ ٢ ص ٧٩) ، وأبو العرب والمالكى أصح .

(٢) كذا فى الأصل . وقد أورد الدباغ هذا الخبر على صورة أصح وهى : « قال عيسى بن مسكين : لما وصل « كتاب الإمامة » الذى ألفه محمد ابن سحنون الى بغداد كتب بماء الذهب وأهدى إلى الخليفة » ، ثم أضاف ابن ناجى فى تعليقاته على ذلك : « ونقله المالكى عنه — أى عن عيسى ابن مسكين — وجعل عوض بغداد مصر . ولا مانع أن يقول المقالتين ، فأخبر عيسى أولا عن وصوله لبغداد ، وثانيا عن وصوله لمصر » . (« المعالم » جـ ٢ ص ٨٢) .

(٣) التكملة من « المعالم » جـ ٢ ص ٨٢ .

فلما كانت الجمعة الآتية، انتهض ابن سحنون أصحابه فى زيارة عبد الرحيم، فقالوا: « رأيناه لم يُقبل عليك ولا رحب بك فى حين زيارتك له، فكيف تعود إليه بعد هذا ؟ » فقال: « ليس هذا بغيتى، هو رجل صالح ترجى بركته وبركة دعائه، وكان والدى، رحمه الله تعالى، يأتيه ويتبرك بدعائه ويلجأ إليه عند المهمات من الأمور».

قال: فتوجه محمد زائراً لعبد الرحيم، فلما رآه عبد الرحيم قام إليه قائماً ورحب به وأجلسه فى موضعه، ولم يزل مقبلا عليه حتى انصرف. قال: فرجع إلى عبد الرحيم بعض أصحاب [محمد] بن سحنون فقالوا له: « أصلحك الله، رأينا منك عجباً » فقال: « وما هو ؟ » فقالوا: « أتاك محمد بن سحنون تلك الجمعة فلم تقبل عليه، ثم أتاك اليوم فأقبلت عليه »، فقال عبد الرحيم: « والله ما أردت بذلك إلا الله عز وجل: رأيت اجتماع الناس حوله فخفت عليه الفتنة، فعملت ما عملت لصلاح حاله ولأجر به، فرأيت [فى منامى] (١) الليلة المقبلة قائلا يقول لى: « مالك لم تقبل على محمد بن سحنون وهو ممن يخشى الله عز وجل ؟ » ففعلت ما رأيتم ».

وذكر الشيخ أبو الحسن القابسى، رضى الله تعالى عنه، عن بعض شيوخه، قال: ذكر لى بعض سكان « المنستير » « بقصر ابن الجعد » أنه خرج من بيته إلى الميضأة التى فى أسفل القصبة، فسمع فى البيت الذى بقرب الميضأة (٢) قارئاً يقرأ فى سورة الأعراف: (وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين، فدلاهما بغرور) (٣). وهو يرددها ويبكى، فقضى حاجته ورجع إلى بيته والقارىء فى هذه الآية على حاله يرددها ويبكى. وكانت ليلة شاتية، فلما كان آخر الليل نزل يتوضأ لصلاة الصبح، فجاز بذلك البيت، فسمع الرجل يردد الآية لم يزل عنها، فوقف عند الباب ليسمع قراءته، فسمع حس وقوع الدموع على الحصير، ولم يزل كذلك حتى غشيه الفجر،

---

(١) التكملة من « المعالم » ج ٢ ص ٨٣ .

(٢) أورد ابن ناجى فى تعليقاته على « الدباغ » هذا الخبر فى صورة أكثر تفصيلا (ج ٢ ص ٨٣). وأورده كذلك، وبنص المالكى، القاضى عياض فى « المدارك » (ج ١، ص ١٤٧ ب). وقد ورد فى سياق نص المالكى بين لفظى « الميضأة » و « قارئا » ما يلى: « تفتح الى القبلة »، ولم يرد ذلك فى نص « المدارك ». وواضح أنها عبارة مقحمة على الأصل فاستغنيت عنها، والغالب أن الناسخ كتبها سهوا .

(٣) سورة الاعراف، الآيتان ٢١ ـ ٢٢ .

فخاف أن تفوته الصلاة ، فأسرع بالوضوء ، ووقف إزاء الباب ينتظر خروج ساكن ذلك البيت ، فخرج رجل قد ستر وجهه بردائه ، فطلع إلى مسجد القصبة فاستقصى عليه حتى عرفه، فإذا به محمد بن سحنون، رضى الله تعالى عنه .

وقال اللبيدى : سمعت من أثق به يقول : « خرج محمد بن سحنون من القيروان إلى « قصر الطوب » [1] للعبادة والحرس على المسلمين ، قال : فنزل [2] قطاع الروم بساحل ذلك البحر ، فضربوا على الساحلين وعلى تلك المنازل ، فتصايح الناس ولم يكن مع محمد بن سحنون إلا بغل ، فخاف إن بعث إلى سوسة فى طلب فرس أن ينال الروم من المسلمين بغيتهم ، فتقلد بسيف وأخذ رمحاً وورقة ، وركب ذلك البغل الذى كان معه ، واجتمع إليه الناس فى جماعة من المرابطين ومن يقرب من القصر من أهل البوادى ، وتمادى بمن معه إلى الروم فوجدهم قد أشرفوا على نهب الأموال وسبى الحريم ، فكبر عليهم هو ومن معه وقد ناشبوهم القتال ، فهزمهم الله على يديه ، وقتل منهم مقتلة عظيمة وأتبعهم بالهزيمة حتى أدخلهم البحر هاربين ، فحلف محمد بعد ذلك أنه لا يخرج إلى الحرس إلا بفرس » .

موعظة [3] : ورأيت له موعظة كتب بها محمد بن سحنون إلى بعض أمراء بنى الأغلب يقول فيها : « أما بعد ، فإنى أوصيك ونفسى بتقوى الله الذى بطاعته نيلت معالى الأمور وارتقى إلى شرفها . وأول ما آمرك به النظر لنفسك ومعادك الذى تصير إليه ، فلا دنيا لمن لا آخرة له ، وبحسن المنقلب يغبط المرء . فانظر لنفسك وخذ بعنانها واحبسها فى [4] كل أمر تنازعك إليه . فعن قليل تذهب الدنيا وتأتى الآخرة ، فلا ينفع نفساً إلا ما قدمت ولا يسوؤها إلا ما عملت . وقد كان يقال : إن خير الخلطاء وأنفع الأخلاء المرشدون فى المضلات ، المذكرون فى الغفلات . فأذكرك يوماً هو منك قريب ، تنزل فيه بساحتك ملائكة الرحمن ، وقد أسلمك الأهل والولدان ، تعطى حيث لا يقبل منك ، مسلوباً منك ما فى يديك ، مودعاً فى بطن الأرض . ثم بعد ذلك الطامة الكبرى :

---

(١) فى الاصل : قصر الطور . (٢) فى الأصل : فنزلت .

(٣) هذه الكلمة وردت مكتوبة فى هامش الأصل .

(٤) كذا فى الأصل ، والأصح هنا : عن .

يومٌ مجموعٌ له الناس وذلك يوم مشهود ، ثم ينشر لك كتاب فيه من عملك مثاقيل الذر والخردل ، فانظر كيف أنت عند ذلك . وقد قلدت أمراً عظيما ، لكل الخلق فيك نصيب ، قد اشترك فيك العدو والصديق ؛ فخلص نفسك من وثاقها بأن تملأ الأرض عدلا كما أمرك الله سبحانه . واعلم أن الذى ملكك أمر عدوك ، وأدال لك عليـه ، وأذله بين يديك ، هو الله ربك وربه ، وَإلٰهك وَإلٰهه ، ومالكك ومالكه ، يديل الأمور بينك وبينه فى الدنيا ، ثم يتولى الحكم بينك وبينه يوم القيامة ، فيأخذ منك له بمثاقيل الذر والخردل . فانظر ، رحمك الله وإيانا ، لنفسك نظر من يموت غداً ثم يحاسب بجميع ما قدم . ولا تُملِّك نَفْسَكَ عِنَانَهَا ، وتمهل فى أمرك ، وآثِر الله عز وجل عند غضبك ، واعمل فى ذلك وكل أمرك بمـا يرضى الله سبحانه ، فإنه يرضى عنك . وآثر رضى الله عز وجل على رضى عباده ، ولا ترض عباد الله بسخطه ، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً . وأنزل كتابى هذا منك بمنزلة من مرض أبوه (١) فهو يسقيه من الدواء ما يكره رجاء منفعته وهو به بار وعليه شفيق . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » .

وذكر عنه أنه كانت له تسعة أسرة لكل سرير سرية . وكانت له سرية يقال لها « أم مدام » (٢) . فكان عندها يوماً من بعض الأيام (٣) ، فقال لها : « ما عندك الليلة يا أم مدام ؟ » فقالت : « زوج فراخ » فقال : « اصنعيهما لنا الليلة » ، ففعلت ذلك وقد أخذ فيما هو فيـه من التأليف فى كتاب يرد فيه على بعض المخالفين ، فاشتغل فى ذلك إلى الليل ، فلما حضر الطعام استأذنته فقال لهـا : « أنا مشغول الساعة » . فلما طال ذلك عليها أقبلت تلقمه الطعام إلى أن أتى على الفرخين ، ثم تمـادى فيما هو فيه إلى [أن] أذن فى الجامع لصلاة الصبح ، فقال لها : « يا أم مدام ، شغلنا عنك الليلة ، قربى ما عندك من الطعام » ، فقالت : « قد والله يا سيدى أطعمته لك » فقال : « ما شعرت بذلك » لشغله وتعلق قلبه بما كان فيه من التأليف .

(١) كذا فى الأصل ، والأقرب الى المنطق هنا : ابنه .

(٢) هكذا أيضا فى « المعالم » ج ٢ ص ٨٢ .

(٣) كذا فى الاصل .

وقال أبو الحسن القابسي : سمعت عيسى بن مسكين يقول : بينا نحن مع سحنون إذ أقبل ولده محمد، فنظر إليه سحنون ثم نظر إلينا ثم قال : « ليس كل فراخ العش تطير » .

وحضر محمد بن سحنون يوماً عند عليّ بن حميد الوزير ، وكان عليّ يبغيه، وكان يجل محمداً ويعظمه ويكبره ، وكان في مجلسه جماعة ممن يحسنون المناظرة ، وأحضر معهم شيخاً قدم من المشرق يقال (١) له أبو سليمان النحوى (٢) صاحب الكسائي الصغير ، وكان يقول بخلق القرآن ويذهب إلى الاعتزال ، فقال عليّ ابن حميد الوزير لمحمد : « يا أبا عبد الله، إن هذا الشيخ وصل إلينا من المشرق، وقد تناظر معه هؤلاء فناظره أنت » ، فقال [محمد] : « تقول (٣) أيها الشيخ أو تسمع ؟ » فقال له الشيخ : « قل يا بنى » فقال محمد : « أرأيت كل مخلوق هل يذل (٤) لخالقه ؟ » فسكت الشيخ ولم يحر جواباً ، ومضى وقت طويل وانحصر ولم يأت بشيء ، فقال له محمد : « كم سنة أتت عليك أيها الشيخ ؟ »(٥) فقال له : « ثمانون سنة » فقال ابن سحنون للوزير ابن حميد : « قد اختلف أهل العلم في الصلاة على الميت بعد سنة من يوم موته — وفي نسخة: إذا دفن ولم يصلّ عليه — فقال بعضهم: « يصلى عليه »، وأجمعوا أنه إذا جاوز السنة لا يصلى عليه، وهذا الشيخ له ثمانون سنة ميت في عداد الموتى ، فقد سقطت الصلاة عليه بإجماع » ، ثم قام . فسر بذلك عليّ بن حميد وأهل المجلس . فسئل ابن سحنون أن يبين لهم معنى سؤاله هذا فقال : « إن قال إن كل مخلوق [يذل لخالقه]،(٦) فقد كفر ، لأنه جعل القرآن ذليلا ، لأنه يذهب إلى أنه مخلوق، [وقد] قال الله عز وجل : ﴿ [و] إنه لكتاب عزيز ،لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،

---

(١) في الأصل : فقال له .

(٢) اسمه في « المعالم » محمد فحسب . ج ٢ ص ٨٨

(٣) في الأصل : تقل .

(٤) في الأصل : يدك ، والتصحيح من « المعالم » ج ٢ ص ٨٨ ، ونص السؤال فيه : « كل مخلوق يذل لله عز وجل ؟ » .

(٥) وفي « المعالم » ج ٢ ص ٨٨ : « كم سنك يا شيخ ؟ » .

(٦) أسقط الناسخ هاتين الكلمتين فأضفتهما .

تنزيل من حكيم حميد)،[1] وإن قال إنه لايذل فقد رجع إلى مذهب أهل السنة لأنه لايذهب [في هذه الحالة] إلى أنه مخلوق الذى هو صفة من صفاته » .

وذكر أنه كان يصحب محمد بن سحنون ويطلب عليه الفقه وعلم الكلام والحلال فتى يعرف بأبى الفضل بن حميد ــ أخو عليّ بن حميد الوزير ــ ولم يكن فى علم الجدل بالماهر ، فخرج إلى الحج فمر بمصر ، فدخل حماماً بها فإذا عليه رجل يهودى ، فلما (ص ١٠١) خرج من الحمام أقبل[2] يناظر اليهودى على مذهبهم [فوجده قوياً] [3]، فرجع إلى القيروان بعدما حج وفى قلبه حسرة، إذ لم يكن عنده من المناظرة ما يدحض به حجة اليهودى . فلما رجع دخل على محمد بن سحنون فهابه أن يذكر الحكاية . فقضى الله تعالى أن خرج محمد بن سحنون على إثر ذلك إلى الحج [4] فصحبه ذلك الرجل إلى مصر ، فقال له : « امض بنا رحمك الله إلى الحمام » ، فأجابه ابن سحنون إلى ذلك ، فمضى به إلى الحمام الذى عليه ذلك اليهودى ، فلما خرج ابن سحنون سبقه ذلك الرجل بالخروج ، فأنشب المناظرة مع اليهودى ، فلما خرج ابن سحنون وجدهما يتناظران، وقد استعلى اليهودى على الرجل بكثرة الحجاج والمناظرة بالباطل لضعف الرجل وقلة معرفته بالمناظرة، فدخل معهما محمد فيما هما فيه، ورجعت المناظرة بين اليهودى ومحمد بن سحنون حتى حضرت صلاة الظهر ، فأقام محمد الصلاة وصلى ، وعاد إلى المناظرة حتى حضرت صلاة العصر فأقام محمد الصلاة وصلى العصر ، ثم عاد إلى المناظرة فلم يزل إلى صلاة المغرب وقد اجتمع الناس إليهما من كل موضع . وشاع ذلك بمصر وقال الناس بعضهم لبعض : امضوا نسمع المناظرة بين الفقيه المغربى وبين اليهودى . فلما كان عند صلاة المغرب انحصر اليهودى وانقطع عن الحجة وظهر عليه محمد بن سحنون بالدلائل الواضحة والحجة البالغة . فلما تبين اليهودى الحق بالبرهان وأراد الله عز وجل هدايته ، قال

---

(١) سورة فصلت : الآيتان ٤١ و ٤٢

(٢) فى الأصل : .. فأقبل فخرج من الحمام وأقبل ..

(٣) التكملة من « المعالم » ج ٢ ص ٨٠

(٤) جاء فى « المعالم » بعد هذه الجملة : « .. قال الرجل : أحج معه حتى أجمع بينهما فلما وصل معه لمصر قال له : حفظك الله ، إن أهل مصر إذا سمعوا بك يأتون إليك » ــ ج ٢ ص ٨١

عند ذلك : « أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله! » فأسلم وحسن إسلامه، فكبر الناس عند ذلك، وعلت أصواتهم بالتكبير وقالوا : « أسلم اليهودى على يدى الفقيه المغربى! » ؛ فقام محمد وهو يمسح العرق عن جبينه، ثم رد وجهه إلى صاحبه وقال : « لا (١) جزاك الله خيراً عنى » ولامه أشد اللوم، وقال له : « كاد أن تجرى على يديك فتنة عظيمة . كيف تأتى إلى رجل يهودى تناظره وأنت ضعيف المناظرة والجدال ؟ فإذا رأى (٢) من أراد الله عز وجل فتنته هذا الذى كان يهودياً قد غلبك واستظهر عليك بباطله أدخلت عليه الفتنة وداخله الشك فى دينه (٣) . فلا تكن لك عودة (٤) لمثل هذا وتب إلى الله عز وجل من ذلك . ولولا أنى خفت الفتنة على الناس أن يداخلهم شك فى دينهم ما ناظرته » . فرضى الله تعالى عنه .

وكان عنده من العفو والصفح عمن قصده [بأذى] (٥) أمر كبير، وسياسة حسنة، ومعرفة كيف يلقى الحوادث وكيف يصرف الأمور : حدث الشيخ أبو الحسن علىّ بن القابسى (٦) رحمه الله تعالى فقال : سمعت عيسى بن مسكين يقول : « كان العراقيون قد استعملوا رجلا (٧) يسب محمد بن سحنون، وكانوا يصلونه على ذلك . فكان ذلك الرجل إذا لقى محمداً مخلياً سبه علانية ، فإذا لقيه فى أصحابه سبه سراً

---

(١) كذا فى الأصل وفى « المدارك » أيضا ، ج ٢ ص ١٤٨ ب .

(٢) فى الأصل : رآنى .

(٣) نص القاضى عياض هنا أوضح ، فهو يقول ان محمد بن سحنون قال : « .. تناظر يهوديا وأنت ضعيف ، فان ظهر عليك اليهودى لضعفك افتتن من قدر الله فتنته ؟ »، أو كما قال ... « المدارك »، ج ٢ ص ١٤٨ ب.

(٤) فى الأصل : عادة .

(٥) أضفت هذه الكلمة ليتصل المعنى .

(٦) فى الأصل : أبو الحسين على بن الكابشى ، وهو تحريف ظاهر . وصحة الاسم كما أوردته فى المتن اعتمادا على نص « المعالم » (ج ٢ ص٨٣) والمراد هنا أبو الحسن علىّ بن محمد بن خلف المعافرى ، المعروف بابن القابسى الفقيه المحدث المعروف المتوفى فى ربيع الآخر سنة ٤٠٣ هـ .

(٧) يفهم من كلام القاضى عياض أن هذا الرجل كان « صاحب الصلاة بالقيروان المعروف بابن (ابى) الحواجب ، وكان من اعدائه» « المدارك »، ج ٢ ص ١٤٨ ا

فى أذنه ، وفى كل ذلك (١) لا يرد عليه محمد سباً ، صبراً منه على الأذى رجاءً لثواب الله عز وجل . فأتاه يوماً فوجده مع أصحابه ، فسبه فى أذنه فلما فرغ من سبه خاف [محمد] من أصحابه أن يبطشوا به ، فقال له : « نعم وكرامة ! إذا أنا تفرغت تعود إلىّ تقضى حاجتك إن شاء الله » وأوهم الحاضرين أنه إنما سأله فى حاجة . فبلغ ذلك العراقيين وقيل لهم : « أظننتم أن فلاناً يسب محمد بن سحنون ، وهو إنما حادثه فى أذنه وسأله حاجة ؟ » فاتفقوا على قطع صلته ، فضاع الرجل وضاع أهله وعياله ووصل إليهم الضرر ، فشكا ما نزل به إلى بعض الصالحين فقال : « إن فعلت ما آمرك به حسنت عاقبتك وعاقبة أهلك فى الدنيا والآخرة » قال : « وما هو ؟ » قال : « عليك بصاحبك الذى كنت تسبه فأطلعه على أمرك » ، فقبل نصيحته ومضى إلى [محمد بن] سحنون فوجده فى مجلسه والناس حوله ، فأصغى إليه بأذنه على العادة فقال له : « أصلحك الله ما جئت لهذا ، وإنما جئت تائباً منيباً مما كان منى إليك » ، فقال له : « اجلس » فجلس . فلما انقضى المجلس أخذ بيده ومضى إلى داره ودفع إليه صرة فيها عشرون ديناراً عيناً ، وقال له : « اتسع بهذه إلى حين (٢) يلطف الله عز وجل لنا » ، ثم كتب محمد بن سحنون ثلاثين كتاباً إلى ثلاثين رجلا مياسير من أصحابه بالساحل ، يسأل كل واحد منهم فى شراء جارية وتوجيهها (٣) إليه ، فوصل إليه ثلاثون جارية فى مدة يسيرة ، فأمر ببيع خمس منهن وكسا بثمنهن الخمس والعشرين الباقيات وحلاهن وأجلسهن صفاً واحداً ، ثم أحضر الرجل العراقى ، فلما دخل أقبل عليه وقال له : « ما أبطأ بك عنا ، أصلحك الله ؟ » فقال : « استحياءً منك لما سلف من قبح فعلى وسوء لفظى وعظيم إحسانك إلىّ » . ثم دفع إليه الجوارى ، فخرج من دار محمد بخمس وعشرين جارية . [وقد فعل محمد ذلك] (٤) امتثالا لقول الله عز وجل :

---

(١) جاء فى « المعالم » تفصيلا لذلك : « . . وكان [هذا الرجل] قبل ذلك يأتى اليه فيقول له : « أحب أن أكلمك » فيشتمه فى أذنه ، فيقول له محمد : « جزاك الله خيرا » ، ولا يعرف أحد ما يقول له الى ذلك اليوم .. » « المعالم » ج ٢ ص ٨٤ .

(٢) فى الأصل : إلى حيث . (٣) فى الأصل : ويوجهها .

(٤) اتصال السياق يقتضى اضافة هذه العبارة .

(ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولىّ حميم)[1] ، وقوله[2] عزوجل : (وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم[3]) . وله فى مثل ذلك مقامات عجيبة ، رحمه الله تعالى .

وكانت له سياسة حسنة ، ومعرفة كيف يلقى الحوادث وكيف يصرفها ،[4] ولقد حدث أبو ميسرة أحمد بن نزار الفقيه ، قال : خرج أمين لسليمان القاضى[5] ليرابط بالمنستير ، فصلى بهم إمامهم فسلم تسليمة ثم وثب فقام ، فقال الأمين : « ما له ؟ أملدوغ هو؟ » فقالوا : « ما به ما ذكرت ، وإنما هذا مذهبه » فأراد أن يجعل الإمام يسلم تسليمتين فلم يساعده على ذلك أهل المنستير وأغلظوا له فى ذلك ، اتباعاً منهم لمذهب مالك رضى الله تعالى عنه . فخرج من المنستير مغضباً فوصل القيروان فدخل على سليمان فأخبره بما جرى له مع أهل المنستير وما تكلموا به ، وأغرى بهم سليمان . فتغيظ سليمان وأرسل خلف جماعة منهم ، فلما وصلوا إلى القسطاط بعثوا رجلا منهم إلى محمد بن سحنون فأخبروه ، فقال ابن سحنون : « إنا لله وإنا إليه راجعون ! ينهرهم ويهينهم ولا يعرفون ما يقابلونه به » . فقال للرجل : « ارجع إليهم فقل لهم : إذا كان غداً فادخلوا من باب أبى الربيع وقت اجتماع الناس ، وليكن بين أيديكم رجل من أصحابكم وليقل : « يا معشر المسلمين ! الدعاء لأهل المنستير . فإن القاضى سليمان بن عمران بعث وراءهم ولا يدرون فيماذا أرسل وراءهم » . قال : ففعلوا ذلك ، فارتجت القيروان (ص١٠٢) وامتلأت الأزقة بالناس وامتلأت السقيفة على سليمان ، وامتلأ الدرب الذى كان يسكن فيه ، فقال : « ما بال الناس ؟ »

---

(١) الآية ٣٤ من سورة « فصلت » ، وقد وردت فى الأصل مختلطة بالآية ٩٦ من سورة « المؤمنون » هكذا : « ادفع بالتى هى أحسن السيئة ، فإذا الذى ... الخ » .

(٢) فى الأصل : ثم قال

(٣) الآية ٣٥ من سورة « فصلت » .

(٤) سبقت هذه العبارة فى الصفحة السابقة على صورة تختلف عن هذه اختلافا يسيرا .

(٥) المراد هنا سليمان بن عمران القاضى معاصر سحنون وابنه ، وقد توفى فى صفر سنة ٢٧٠ هـ . وسترد ترجمته .

فقال له « قليل » [١] : « إن أهل المنستير قد جاءوا، وإن أهل القيروان قد أتوا إليك لينظروا ما تعمل بهم » ، [٢] فخاف سليمان من ذلك خوفاً شديداً ، وقال لحاجبه : « قل لأهل المنستير ينصرفون إلى مواضعهم ، فما لنا عليهم سبيل » .

وذكر أن أحمد بن مسعود المعروف[...] بذلك [٣] أنه كان يختلف إلى محمد ابن سحنون ثم مال إلى ابن عبدوس ، فسأل ابن عبدوس يوماً فقال : « ما تقول فى الإيمان أصلحك الله، إنه مخلوق هو أم غير مخلوق ؟ » فقال له ابن عبدوس : « لا أدرى ، ولكن [سل] [٤] صاحب الكوة » — وهو يريد ابن سحنون؛ وكان ابن سحنون يجلس فى طاق فى مسجده . فأتى الرجل ابن سحنون فسأله، فقال له محمد بن سحنون : « فأين صاحبك ؟ » فقال : « قد سألته فلم يجبنى وأرسلنى إليك » ، فقال له محمد : « هذه مسألة تحتاج أن يُختَلف فيها سنة » . ثم قال له : « الإيمان بضع وسبعون درجة ، أدناها إماطة الأذى عن الطريق ، وأعلاها شهادة أن لا إله إلا الله . فالإقرار غير مخلوق ، وما سوى ذلك من الأعمال مخلوقة » . قال أحمد : فمضيت إلى العراق ، فاجتمعت مع داود فسألته عنها، فكان جوابه كجواب ابن سحنون ، رحمه الله تعالى .

وذكر عنه ، رحمه الله تعالى ، أن رجلا أتاه فقال : « آتى العمل من أعمال البر فى السر وأحب أن يظهر ذلك علىّ » فقال له محمد : « قل لنفسك : إنه إذا ظهر عليك نفعك عند الله تعالى . فإن قبلت نفسك ذلك فهو رياء ، وإن أبت نفسك ذلك فلا يضرك ما دعتك إليه » .

---

(١) الغالب أن هذا اسم حاجب سليمان كما يتبين من سياق الخبر كله .

(٢) فى الأصل : « .. وان أهل القيروان قد أتوا اليك لتنظر بهم ما تعمل بهم » فعدلتها على هذا النحو .

(٣) واضح من السياق أن الناسخ أسقط عبارة بين لفظى « المعروف » و « بذلك » . وقد جاء فى « طبقات » ابى العرب (ص ١٣٠) فى أخبار سحنون ما يلى : « قال لى ابو القاسم المعروف بالطرزى صاحب المظالم مرة بالقيروان : كنت عند ابن سحنون يوما حتى دخل عليه رجل كان يعرف بأحمد بن الصغير فقال له : .. » ويغلب ان المراد بذلك احمد بن مسعود هذا .

(٤) أضفت هذه الكلمة ليستقيم السياق .

قال عيسى بن مسكين : « جادت عندنا سنة من السنين البقلة الحرشاء وهى لسان الحَمَل [(١)] ، فحملت منه إلى محمد فى طرف ردائى ، ثم رميته على كتفى فدفعته إلى الخادم وأنا محتشم ، لأنه شيء لم أفعله قبل ذلك ، فلما رآه محمد خرج إلىّ فقال لى : « جئتنى بهذا ولم تصح لى من وراء الدرب ! » ، وفرح به وأوصانى أن أكثر له منه ، فكنت أحمل إليه منه ، وربما ملأت له خرجاً منه وأرسل به إليه على حمارى » . قيل لعيسى : « وكيف جسرت عليه به أول مرة ؟ » فقال : « لرزقه الذى كتب الله له فيه » .

ولما توفى قام الناس على قبره شهوراً عدة حزناً منهم عليه وأسفاً على فراقه بعد أن ضربت على قبره قباب [(٢)] ، ذكر ذلك محمد بن حارث الأندلسى [(٣)] .

---

(١) جاء فى القاموس : « الحرشاء نبت أو خردل البر » : وجاء فى لسان العرب : « وقيل الحرشاء من نبات السهل ، وهى تنبت فى الديار لازقة بالأرض ، وليست بشيء ، ولو لحس الانسان ورقة لزقت بلسانه وليس له صبور . وقيل : الحرشاء نبتة متسطحة لا افنان لها ، يلزم ورقها الأرض ولا يمتد حبالا غير أنه يرتفع له من وسطها قصبة طويلة فى راسها حبة » .

اما « لسان الحمل » فقد جاء عنه فى القاموس المحيط : « نبات اصله يمضغ لوجع السن وورقه قابض مجفف ، نافع ضماده للقروح الخبيثة ولداء الفيل والنار الفارسية والنملة والشرى وقطع سيلان الدم . الخ »

(٢) فى الأصل « قاره » والتصويب من « المعالم » ج ٢ ص ٨٩ ، وفى « المدارك » (ج ١ ص ١١٤٩) : « قبة . ونص « المعالم » هنا يقول : « قال ابو محمد بن زيد ، رضى الله عنه : لما مات محمد بن سحنون ، رحمة الله عليهما ، اقامت البيوع والأشربة والقباب مضروبة على قبره اربعة اشهر بالليل والنهار ، فما صرفهم عن ذلك الا هجم الشتاء » . ثم جاء فيه بعد ذلك : « .. لم تتفرق الناس عنه حتى خاف من ذلك ابن الأغلب ، فبعث الى ابن عم سحنون المعروف بابن أبى لبدة يفرق الناس » .

(٣) هو محمد بن الحارث بن أسد الخشنى صاحب كتابى « طبقات علماء إفريقية » و « تاريخ قضاة قرطبة » .

قال أبو الحسين الكانسي [١] : « بلغني أنه لما مات رثاه جماعة منهم أحمد بن أبي سليمان : [رثاه] بقصيدة ثلاثمائة بيت منها يقول [٢] :

ألا فابْكِ للإسلام إن كنت باكياً ... لحبل من الإسلام أصبح واهيا
تثلم حصن الدين وانهد ركنه ... عشية أمسى في المقابر ثاويا
إماماً حباه الله فضلا وحكمة ... وَفَقَّهَهُ في الدين كهلا وناشيا [٣]
وزوّده التقوى وبصّره الهدى ... فكان بلا شك إلى النور هاديا
ألا أيها الناعي الذي جلب الأسى ... وأورثنا الأحزان ، لا كنت ناعيا !
نعيت إمام العالمين محمداً ... وقلت : مضى من كان للدين راعيا
ومن كان مصباحاً دليلا على الهدى ... وللصالحين العالمين مواليا
ومن كان حبراً عالماً ذا فضيلة ... تقياً رضياً طاهر القلب زاكيا
وقلت : ابن سحنون مضى لسبيله ... وأبصرته ، حقاً كما قلت ، ماضيا
فغادر أهل القيروان بوحشة ... وكان لهم أنساً وخلا مواتيا
فجللهم شجواً ، وألبسهم [أسى] [٤] ... وأوقرهم هماً على الحزن راسيا

---

(١) هذه هي المرة الثانية التي يرد فيها اسم هذا الراوية ، وقد صوبته المرة الأولى الى « أبي الحسن القابسي » لأن المقارنة بنصيّ « المدارك » و « المعالم » دلت على ان هذا هو الأصح . ويغلب على الظن كذلك ان المراد هنا هو ابو الحسن القابسي ايضا ، ولكني آثرت ان اتركه على حاله هذه المرة ، فلعله اسم صحيح ، ولم اجد له اثرا على اي حال فيما بين يديّ من المراجع .

(٢) نص الأصل هنا مضطرب . فهو يقول : « بلغني أنه لما مات رثاه جماعة منهم ما رثاه أحمد بن أبي سليمان بقصيدة ثلثماية بيت .. » ، وقد صوبتها بالمقارنة مع نص « المعالم » (ج ٢ ص ٨٨) و « المدارك » (ج١ ص ١٤٩ب) . وقد ورد نص الأبيات التالية مضطربا في الأصل اضطرابا شديدا ، ومعظم الأبيات مكسور ، وقد قومت الشعر على قدر الامكان واعانني في ذلك الأستاذ الشيخ محمد علي النجار المدرس بكلية اللغة العربية ، فله أصدق الشكر . ولم يورد القاضي عياض والدباغ من هذه القصيدة إلا نحو عشرة أبيات .

(٣) في الأصل : ناسيا .

(٤) في الأصل : فجللتهم ، والبستهم .. فاصلحتهما ليستقيم السياق وأضفت الكلمة التي بين الحاصرتين ليستقيم الوزن .

ندبت ابن سحنون معلمى الذى ... تعرفت خيراً حين كان إماميا

قضى وانقضت عنى لذلك(١) راحتى ... وأفنى سرورى عندما صار فانيا

سأذكر لا أنفك ، ما دمت باقياً ... وإن مات ، أوصافاً له ومساعيا

قدارضى(٢) جميع الناس حين كان فيهم ... فعنه إله الخلق لا زال راضيا

فقد عاش خمساً بعد خمسين حجة ... يحامى عن الإسلام [إ]لا (٣) ثمانيا

وناظر أهل العلم أمرد ويافعاً ... ولما التحى ، بالعلم قام مناديا

ولما علاه الشيب أبصرت نوره ... لما كساه الله أزهر فاشيا (٤)

كذلك ذو النفس الكريمة إنما ... يعاطى [الفتى] الخطب الجليل تعاطيا (٥)

ومن قول سحنون ومن قول مالك ... وضعت دواويناً لنا هى ما هيا

وكان لك الله الذى حُطت دينه ... بجنته (٦) الفردوس عنا مجازيا

وحدث سحنون حديثاً سمعته ... ولم يك سمع (٧) غير سمعك واعيا

فكنتَ أميناً فى الذى قلتَ صادقاً ... ولستَ لما أحصاه قلبك ناسيا

أقول ، وقد أبصرته فوق نعشه : ... عليك سلام الله ألّا تلاقيا

أيا تارك الدنيا ، تركت لأهلها ... أسى باطناً وجداً عليك وباديا

---

(١) فى الأصل : لذاك .

(٢) فى الأصل « أرضا » . ونص الأصل :

« لقد أرضى الناس حين كان فيهم »

وهو مكسور فقومته

(٣) فى الأصل « لا » والتصويب من « المدارك » (ج ١ ص ١٤٩ ب) والمراد بالبيت أن محمد بن سحنون عاش سبعا وأربعين سنة .

وهذا يخالف ما ورد فى « المعالم » (ج ٢ ص ٨٨) من أن محمد بن سحنون عاش أربعا وخمسين سنة ، وتاريخ وفاته فى هذا المرجع الأخير سنة ٢٥٦ هـ ، وقد ذكر الدباغ تاريخ ميلاد محمد بن سحنون فى ترجمته لمحمد بن إبراهيم بن عبدوس وهو سنة ٢٠٢ هـ . اى انه عاش اربعا وخمسين سنة كما قال هنا . انظر « المعالم » ج ٢ ص ٩٤ .

(٤) فى الأصل : ناسيا .

(٥) أضفت هذا اللفظ الذى بين الحواصر ليستقيم الوزن .

(٦) فى الأصل : بجنة الفردوس . ولا يستقيم الوزن على هذا النحو .

(٧) فى الأصل : سمعا .

غدوت لمقبر (١) لدى « باب نافع » ... فسار إليه الخير أجمع غاديا
أزال سرور الناس سيرك (٢) عنهم ... وألقى عليهم فى الخميس الدواهيا
فأوحشتهم : (٣) من كان قربك ساكناً ... ومن كان فى الآفاق يسكن ناسيا
عممتهم بالوجد ، إذ بِنتَ ، مثلما ... عممتهم بالنفع إذ كنت باقيا
فمن جاء (٤) يبغى العلم كنت معلماً ... ومن جاء للمعروف كنت مواسيا
ومن جاء مظلوماً ذليلا لنصره ... تقول له : يا مرحباً بك جائيا
فأقسمتُ نذراً (٥) عامداً قول مالك : ... علىّ به حجاً إلى البيت ماشياً
ثلاثين عاماً إن حججت أحجها ... كذلك أو ألقى من الموت لاقيا
لقد حل من قلبى مصاب محمد ... بوجد نفى نومى وَغَيَّر حاليا
فلو أنه يُفـدَى من الموت والبلى ... لكنت له دون البرية فاديا
يقول بُنىّ ، حين أنكر حاليا ... وأبصر دمعى فوق خدى جاريا
وأبصرنى صبّاً أبيت مسهداً ... أراعى النجوم الطالعات تواليا
وأضحى شجىّ القلب دائم عبرةٍ ... كئيباً حزيناً خالياً من عزائيا : (٦)
أراك أبى — فى الليل — ساهرَ مقلة ... وتصبح مشغولا عن الطعم طاويا
أمالاً رُزيتَ ، أم أصابتك علة ... فأصبحتَ منها خافض الصوت عانيا ؟
فقلت له : مالى سليم ، وليس بى ... سقام فأبغى للسقام مداويا
ولكننى ، لما فقدت محمداً ، فقدت ... لما أرجوه فيك رجائيا
رأيتك مولوداً فوجهت رغبتى ... إلى الله واستصحبتُه لك [حا]ليا
بأن يدفع الأسواء عنك بعصبة ... ولا زلت فيها غير (٧) ذاك راجيا
وأبصرت أهل العلم عند محمد ... وعلمهم يرقى على العلم عاليا
وما منهم إلا مناظر صاحب ... وآخر لا ينفك للذكر تاليا
فأمّلتُ أن تأتى إلى المجلس الرضى ... ومنيت نفسى عند ذاك أمانيا
فحال قضاء الله دون مشيئتى ... فأبصرتنى من أجل ذاك (٨) لما بيا

---

(١) فى الأصل : لقبر .
(٢) فى الأصل : سترك .
(٣) فى الأصل : أوجسهم .
(٤) فى الأصل : ان جاء .
(٥) فى الأصل : نديرا .
(٦) فى الأصل : عرابيا .
(٧) فى الأصل : عدا .
(٨) فى الأصل : ذلك .

أكابد أحزاناً بقلب مـــوله عليـه [و]ما يزداد إلا تماديا
فيا عين جودى بالبكاء وأسعدى عليـه عيوناً لا تزال بواكيا
ويا قلب عش صباً كئيباً محزّناً (١) فإننى أدينك إذ وجدتك خاليـا
وحق لقلب يعرف الله لا يُرى على حاله خلواً من الشجو صاحيا
ويا قبر سحنون وقبر محمد أظلكما اللهُ الغمامَ الغـواديا
توافى شريف الحلم والعلم فيكما ووافا كما التفضيل (٢) لمـا توافيـا

وقيل إنه لمـــا اجتمعت المراثى أتوا بها « المهرى » (٣) ليعرضوها عليه فقام شاب من أهل الساحل فأنشأ يقول :

خل المدامع كى تجول مجالهـا قُطعتْ يمينُ العلم ثم شمالهـا

فقال له : حسبك يا هذا لا تزده ، فلو قلت ما عسى أن تقول ما قلت مثل هذا البيت .

١٤٨ — ومنهم **أبو عبـــد الله محمد بن ابراهيم بن عبـــدوس** ، رضى الله تعالى عنه .

قال أبو العرب : كان ثقة إماماً فى الفقه ذا ورع وتواضع ، [شد]يد الهيبة (٤) . وكان أشبه الناس بإخوان سحنون فى فقهه وهيئته (٥) وملبسه ومطعمه وكان حسن الكتاب ، حسن التقييد . ومولده مولد ابن سحنون . مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة .

قال أبو العرب : ولقد قلت لحبيب صاحب مظالم سحنون : « من كنت تسأل إذا نزلت بك المسائل ؟ » فقال : « كنت أسأل سحنون ، فإن لم أقدر على سؤاله سألت محمد بن عبدوس » . قال لقمان بن يوسف : وأقام محمد بن عبدوس سبع سنين

---

(١) فى الأصل : حزينا . (٢) فى الأصل : التفضيل .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) فى الأصل : « بد الهيه » ، وفى المدارك « بز الهيئة » وقد صوبتها على هذا النحو . وعبارة « المدارك » هنا أوفى ، ونصها : « قال محمد بن أحمد بن تميم : كان محمد بن عبدوس ثقة إماما فى الفقه صالحا زاهداً ظاهر الخشوع ذا ورع وتواضع بز الهيئة .. الخ » — ج ١ ص ١٥٠ — ١ .

(٥) فى الأصل : وهديه ، والتصويب من « المعالم » ج ٢ ص ٩٠

يدرس العلم ، لا يخرج من بيته إلا إلى صلاة الجمعة . ومن طريق ابن التَّبَّان — أبي محمد عبد الله بن إسحاق — أن ابن عبدوس أقام أربع عشرة سنة يصلى الصبح بوضوء العشاء الآخرة ، مشتغلا بدراسة العلم ؛ وأقام أربع عشرة سنة غيرها مشتغلا بقيام الليل والتهجد فيه وتلاوة [القرآن] (١) .

وكان ، رحمه الله ، على غاية من التواضع : يجلس محتبياً زائلا عن صدر مجلسه ، فالجاهل به لا يعرف أنه صاحب المجلس . وكان [يركب من غير سرج] (٢) حتى عوتب فى ذلك ، فاشترى سرجاً دنياً كالقتب ، فكان يركب بين السلال إذا ذهب إلى منزله .

قال محمد بن بسطام : كنت ليلة فى بيتى ، وكانت ليلة شتوية ، إذ ضُرب علىّ الباب ، فخرجت إليه فإذا [محمد بن عبدوس] (٣) وعليه جبة صوف وقلنسوة فرو ، فقلت : « أصلحك الله ، ما الذى أتى بك وأخرجك فى هذا الوقت ؟ » فقال : « يا محمد ، ما بتُّ هذه الليلة غماً منى بفقراء أمة محمد عليه [الصلاة و] السلام ، وهذه مائة دينار ذهباً » — وأخرج بها يده من طوقه — « غلة ضيعتى فى هذه السنة ، أحب أن تفرقها على الفقراء والمستورين ، ولا يذهب النهار غداً عنك وعندك منها شىء » (٤) . فأخذتها منه وانصرفت .

روى (٥) بخط ابن حكمون (٦) بيده ، وكان من أصحاب ابن عبدوس ، قال :

---

(١) نقل ابن ناجى هذين الخبرين عن المالكى وجعلهما فى تعليقاته على نص الدباغ ، وأضاف اليهما قوله : « وكلاهما خلاف قول الشيخ أبى بكر بن اللباد : أقام ثلاثين سنة يصلى الصبح بوضوء العتمة كما تقدم ، نصفها لدراسة العلم ونصفها للعبادة . ولم يحك عياض غيره» — «المعالم» ، ج٢ص٩٣ .

(٢) فراغ بالأصل ملأته بهذه العبارة ليستقيم السياق .

(٣) فى الأصل : « فإذا به وعليه جبة الخ .. » فرأيت أن أستبدل بذلك عبارة الدباغ الواردة بين الحاضرتين ، زيادة فى وضوح النص . انظر « المعالم » ج ٢ ص ٩٢ .

(٤) وفى «المعالم» (ج ٢ ص ٩٢) : «احذر أن تمسى الليلة وعندك منها شىء» .

(٥) فى الأصل : ورأى .

(٦) هو ابو محمد سعيد بن حكمون الفقيه ، من أصحاب ابن سحنون ، وقد توفى فى سنة ٢٠٧ هـ ، وسترد ترجمته . انظر عنه ايضا : « طبقات » ابى العرب ، ص ١٦٥ ؛ و « معالم الايمان » ج ٢ ص ٢٤٩ .

ذكر محمد بن عبدوس رجلا فى مجلسه ، فتكلم فيه بكلام سوء وأكثر من ذلك، فقال له إسحق أخوه : « يكفيك من القول فيه ما قلت » فقال له محمد : « والله ما يكفينى ، سمعت سحنون بن سعيد يقول : « إذا صح عندك فجور الرجل فلا تتورع أن تقول فيه حتى يحذره الناس » ، لا والله ما يكفينى » .

[(ذكر المالكى فى تاريخه أنه) لم يكن فى أصحاب سحنون أفقه من ابنه وابن عبدوس . وكان الناس بينهما طائفتين : المحمدية والعبدوسية ، كل طائفة تتعصب لصاحبها . ولما وقعت مسألة الاستثناء فى الإيمان ، حكى عن ابن عبدوس فيها شىء فشنع عليه. فكان أصحاب ابن سحنون يسمون العبدوسية بالشكوكية] (١) .

وذكر الشيخ أبو الحسن القابسى ، رحمه الله تعالى ، عن ابن عبدوس أنه أتاه رجل يوماً فى الوقت الذى اختلف فيه أصحاب سحنون فى مسألة الإيمان ، فضرب عليه باب داره ، فخرج إليه فقال له : « ما مذهبك فى الإيمان ؟ » (٢) فقال له : « أنا مؤمن » فقال له : « عند الله ؟ » (٣) فقال : « قد قلت لك إنى مؤمن ، فأما مؤمن عند الله فلا أقطع لنفسى بذلك ، لأنى لا أدرى بم يختم لى به » ، فبصق الرجل فى وجه محمد بن عبدوس ، فعمى الرجل من وقته وذهب بصره (٤) .

---

(١) « المدارك » جـ ١ ص ١٥٠ ب .

(٢) عبارة الدباغ فى « المعالم » (جـ ٢ ص ٩١) تلقى ضوءاً على سبب الاختلاف فى هذه المسالة التى اختلف حولها السحنونية (اتباع ابن سحنون) والعبدوسية (أتباع ابن عبدوس) اختلافا شديدا ، فهو يقول : أتى رجل يوما إلى ابن عبدوس فى الوقت الذى اختلف فيه اصحاب سحنون فى مسالة الايمان : هل يقول أنا مؤمن ان شاء الله أم لا . وكان ابن عبدوس يرى أن يترك الانسان الحكم على ايمانه لله ، فى حين ذهب اتباع ابن سحنون إلى أن المؤمن ينبغى أن يقطع بنفسه فى إيمان نفسه . وقد رمى ابن عبدوس بسبب موقفه هذا بانه يشك فى إيمان نفسه ، وسمى هو وأصحابه « بالشكوكية » .

(٣) فى الأصل : عبد الله .

(٤) يضيف ابو العرب (ص ١٣٣) الى اخبار ابن عبدوس قوله : « وكان إسحاق أخوه صاحب شارة ومركب وملبس : كان إسحاق إذا راح يوم الجمعة يروح راكبا ومحمد تحت ركابه راجلا . ويقال (إن) ابن عبدوس بعد حجه لم يسمع متكلما فى مسالة من مسائل الحج ، لئلا يفتح =

[والذى صح عن ابن عبـدوس أنه قال : « أدين بأنى مؤمن عند الله فى وقتى هذا ، ولا أدرى ما يختم لى به » . وقال أحمد بن أبى سليمان : « قلت له : الناس يتكلمون فيك ، وزعموا أنك تشك فى نفسك وتقول : لا أدرى ، وأرجو أن أكون مؤمناً إن شاء الله . فقال : والله ما قلت قط ، فلا جزى الله من حكى هذا عنى خيراً . ما شككت قط أنى مؤمن عند الله ، ولقد قرئت علينا رسالة محمد بن سحنون فما عدا الحق عنده منها حرفاً أكثر من أن قلت : لا تتكلموا فى هذا . فقلت له : إن ابن سحنون يقول : إن ذلك بدعة . فقال : والله إنى لأخاف أن يكون كفراً » . وحكى عنه حماس مثل هذا . قال الراودى : « إنه ذكر ذلك لإبراهيم بن عبد الله القلانسى فقال : لم يقل ابن عبدوس كذا ، إنمـا قال له : من لم يكن مؤمناً عند الله فهو عند الله كافر ، فظن ابن أبى سلمة أنه قال له : نحن مؤمنون عند الله ، وإنمـا عرّض له بقوله » .

وفاته : وتوفى ابن عبدوس سنة ستين ومائتين ، فيما قاله ابن حارث وغيره . وقال آخرون : سنة إحدى وستين . وصلي عليه أخوه .

مولده : سنة اثنتين ومائتين ، مع ابن سحنون فى سنة واحدة ، وقيل بعده بسنة — على الخلاف فى مولد ابن سحنون — والله أعلم] [1] .

= عليه فى الراى باب يظهـر له به نقص فى حجـه . وكانت سن محمد ابن عبدوس دون سن ابن سـنون بسنة واحدة ، وتوفى بعد ابن سحـنون بثلاثة اعوام . ويقول بعض الناس إنه كان مستجاب الدعوة ، وإنه دعا على أبى الغرانيق ، فعرفت فيه استجابة دعوته » .

وقد ذكر « الدباغ » فى « المعالم » تاريخى ميلاد ووفاة محمد بن عبدوس وهما ٢٠٢ و ٢٦٠ هـ . (جـ ٢ ص ٩٤) .

وقد ذكر القاضى عياض أن بعضهم يقول إن وفاته كانت سنة ٢٦١ هـ (المدارك جـ ١ ص ١٥١ — ١) .

ويذكر القاضى عياض فى هذا الموضع من « المدارك » أنه ينقل عن « المالكى » ، ولكن عبارته اكثر إسهاباً من عبارة النص الذى بين ايدينـا ، مما يدل على أن نسخة المالكى التى بين أيدينا سقطت منها فقرات . وقد اضفت الفقرات الناقصة فى مواضعها وجعلتها بين اقواس .

(١) « المدارك » جـ ١ ص ١٥١ — ١ .

١٤٩– ومنهم [أبو] عياش [أحمد بن] موسى بن مخلد الغافقى(١) .

قال أبو العرب : كان شيخاً ثبتاً صالحاً صحيح الكتب حسن التقييد . سمع من سحنون ومن غيره . وكان لا يكاد يُذكر أحد فى مجلسه بغيبة إلا نهى الذاكر عن ذلك . وكان فيما بلغنى ربما ركب ثوراً من « باب أبى الربيع » حتى ينتهى إلى منزله « بالروحاء » (٢) تواضعاً منه ، فإذا كلم فى ذلك قال : « حسبك من الدواب ما بلّغك المنهل » . وعرض عليه سحنون (٣) قضاء قصطيلية (٤) فامتنع من ذلك .

قال أبو القاسم تمام : لقد رأينا من أبى عياش من الإجابات والفراسات أمراً عظيما : كان ابنى أحمد صغيراً مريضاً ، فأتيته فقلت له : « إنى أريد أن أسافر ، فإن حدث بابنى الموت فصلِّ عليه وتولّه » . فقال لى أبو عياش : « اذهب إلى سفرك فما هو بميت من هذه العلة » . فأكدت عليه ، فأكده علىّ ، وأظنه حلف أنه لا يموت منها ، فكان كذلك » . حصل لأبى عياش قوله صلى الله عليه وسلم : « إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره » .

وكان ، رحمه الله تعالى ، يميل إلى الرقايق والمواعظ ويختم مجلسه بها إذا فرغ من المسائل والكلام عليها . وكان يقول فى بعض مواعظه : كان سليمان عليه السلام – على ما أعطاه الله تعالى من النبوة والملك – يلبس المسوح والخلق ويأكل (ص ١٠٤) الشعير والعلق (٥) ويقول : « مسكين بين ظهرانى مساكين » ،

---

(١) أكملت الاسم على هذا النحو من « معالم الايمان » جـ ٢ ص ١٧٤ وقد جاء فيه ذكر الاسم على هذا النحو : كذا ، وقال التجيبى : ابو عياش عيشون بن موسى .

(٢) كذا أيضا فى « المعالم » جـ ٢ ص ١٧٤ .

(٣) وفى « المعالم » (جـ ٢ ص ١٧٤) أن الذى عرض عليه ذلك ابن طالب .

(٤) وفى « المعالم » (جـ ٢ ص ١٧٤) : قضاء قسنطينة .

(٥) جاء فى اللسان : « العلق : ما تتبلغ به الماشية من الشجر » .

وسلك هذا المنهاج أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وأصحاب الصفة من المهاجرين والأنصار ، رضى الله تعالى عنهم .

وقال محمد بن يونس : قلت لأبى عياش بن موسى : « إنى صرت أتقدم الناس فى المسجد لأصلى بهم الفريضة وأنا كاره لذلك ، لأنى لست براض عن نفسى ، فما ترى فى ذلك ؟ » ، فقال لى : « تقدم [1] ، ويغفر الله لك » [2] .

١٥٠ — ومنهم **محمد بن مثيب** [3] .

من فقهاء العراقيين . وكان رجلا فاضلا وكان كريماً : أتاه ابن أبى الشوارب يستعينه فى دَينه فتحمل بجميعه . رضى الله تعالى عنه [4] .

---

(١) جاءت هذه العبارة فى « المعالم » (ج ٢ ص ١٧٤ — ١٧٥) بتفصيل أكثر ، وهذا نصها : « فقال لى : تقدم بهم ولا تعطل المساجد ، وإن لك فى ذلك أجرا ، ثم قال لى : ويحك ، لعله يصلى خلفك من يدعو لك فيجيرك الله بدعائه » .

(٢) الى هنا تنتهى أخبار أبى عياش ، ولكن الناسخ أضاف اليها خبرا من أخبار عبد الجبار بن خالد السرتى الذى سترد ترجمته فى الصفحة التالية ، وحاول أن يصل بين هذا الخبر وكلام أبى عياش لمحمد بن يونس ، فوقفت هنا بأخبار أبى عياش . وسياق الأصل هنا هكذا : « .. فقال لى : تقدم ويغفر الله لك . ثم قال لى : وقد بلغنى إنك بالغت فيما عملت من الأطعمة .. الخ » وهذه العبارة الأخيرة من كلام عبد الجبار بن خالد السرتى لابراهيم بن أحمد بن الأغلب مما سيجىء .

(٣) وقد ذكره محمد بن الحارث بن أسد الخشنى فيمن ذكر من العراقيين فى الجزء السادس من «طبقات علماء إفريقية» (ص ١٩٣) باسم أحمد بن مثيب وترجمته هنا أكثر تفصيلا منها هناك ، وهذا هو نصها : « ومن رجالهم أحمد بن مثيب . كان فيهم ظاهر الاسم معروفا . لا اعرف من امره خبرا سوى اسمه ، وقوله لابراهيم (بن احمد بن الأغلب) : « لو علمت من ابن عبدون ما يعلم منه اهل القيروان ، لكان عندك بالحال التى هو بها عندهم » . وسمعت من يحكى أنه كان من الكرماء الأجواد ، أتاه ابن أبى الشوارب يستغيثه فى دية ، فتحملها له بجميعها » .

(٤) نص هذا الخبر الأخير يختلف يسيرا عن نصه عند الخشنى . انظر الهامش السابق .

١٥١ – ومنهم **أبو حفص عبد الجبار بن خالد السرتي**، رضي الله تعالى عنه.

قال أبو العرب: كان صالحاً، متعبداً، طويل الصلاة، كثير الدعاء، مجتهداً. وكان من عقلاء شيوخ إفريقية. سمع من سحنون وعليه اعتماده (١).

وقد حدث أبو هاشم بن مسرور (٢)، قال: مضيت ليلة من ليالى رمضان إلى مسجد عبد الجبار لأصلى خلفه التراويح، فصليت معه صلاة العشاء الآخرة، فلما فرغ من الصلاة تنقل الناس ماشاء الله أن يتنقلوا. ثم قام المؤذن فقال: «الصلاة، رحمكم الله». فقام الناس ودخل عبد الجبار المحراب، فقرأ فى الترويحة (٣) الأولى «البقرة» و«آل عمران» و«النساء» و«والمائدة»، فلما قضاها انصرف أكثر الناس. ثم قام فى الترويحة الثانية فقرأ «الأنعام» و«الأعراف» و«الأنفال» و«براءة»، فلعهدى برءوس الناس أراها فى ضوء القناديل تتمايل يميناً وشمالا. ثم تمادى فى الصلاة، فكان يمر فى القراءة مر الجواد، فإذا اشتبه عليه الحرف أو تعايى [فيه] (٤) تركه وقرأ مايليه، فيقرأ العشرين آية والثلاثين آية والأقل والأكثر، ثم يتفكر فى ذلك الحرف فيرجع إليه فيقرأه مفرداً، ثم يعود إلى الموضع الذى كان [فيه] فيقرأ منه. قال: فما زال كذلك حتى تراجع الناس إلى المسجد من آخر الليل وعاد إلى القراءة (٥) بحسب ما كان فى أول الليل، حتى ختم عبد الجبار، وأتاه مؤذنه بقصعة فيها شىء يسير من ثريد، فتسحر [منه] (٦) ثم أذن المؤذن وطلع الفجر، فصلى بهم الصبح. قال عبد الله بن هاشم (٧):

---

(١) ذكر الدباغ اثنين آخرين من شيوخه، وهما أبو زكريا الحفرى وأبو يحيى حماد بن يحيى السجلماسى. «المعالم» جـ ٢ ص ١٢٣.

(٢) فى «المعالم» (جـ ٢ ص ١٢٤): هاشم بن مسرور.

(٣) فى الأصل: التراويح.

(٤) التكملة من «المعالم» جـ ٢ ص ١٢٤.

(٥) فى الأصل: العمارة.

(٦) التكملة من «المعالم» جـ ٢ ص ١٢٤.

(٧) هذا الاسم يختلف عن اسم صاحب هذه الرواية. وقد سبقت الاشارة الى ان ابا هاشم بن مسرور هذا ورد فى المعالم «هاشم بن مسرور»، فيحتمل أن يكون عبد الله هذا ابنا لصاحب الرواية، ويحتمل أن يكون ذلك الخلاف تحريفا من الناسخ. وقد ورد الخبر على هذه الصورة فى «المعالم» أيضا، (جـ ٢ ص ١٢٤ – ١٢٥).

فجاهدت نفسى على أن أقدر على ما قدر عليه عبد الجبار من مجاوزته الموضع الذى أشكل عليه ورجوعه إليه بعد ذلك ببرهة ، ثم رجوعه إلى الموضع الذى كان فيه ، فما قدرت على ذلك إلا بعد سنة . [حدث أبو هاشم المذكور] (١)، قال: [خرج عبد الجبار] (٢) من داره يوم الجمعة لصلاة الجمعة ، فإذا شاب جميل له هيئة حسنة ولباس جميل قد اتبع صبية يمشى خلفها ، فلما رآه عبد الجبار شق عليه ذلك ، فاتكأ برجله على رجله الأخرى فقطع شسع نعله ، ثم صاح (٣) : « يا شاب ، يا شاب ! » فالتفت الشاب إليه ، فمشى إليه عبد الجبار ، فوقف الشاب فقال له عبد الجبار : « قد كبرت سنى وضعف بصرى ، وقد انقطع شسع نعلى ، فأصلحه لى » فأصلحه له . ثم نظر عبد الجبار إلى الصبية وقد أمسكت فى مشيتها ، فأخذ النعل من الشاب وأدخله فى رجله ، وتمادى الشاب فى أثر الصبية واتكأ عبد الجبار على نعله ثانية فقطعه ، ثم صاح : « يا شاب ، يا شاب ! » وكانت لعبد الجبار هيبة (٤) عظيمة ، فعاد إليه الشاب فقال له : « أصلح النعل يا مبارك ، ما أصلحته إصلاحاً جيداً ، أظنك أصلحته وأنت مستعجل » فأخذه الشاب وأصلحه ، فعطف عليه عبد الجبار وقال : « يا شاب ، أنا قطعت النعل فى المرة [الأولى و] (٥) الثانية ، وإنما فعلت ذلك إشفاقاً عليك ورحمة لك ، وخفت والله يا بنىّ على هذا الشاب الصبيح من لفح النار » ، وبكى عبد الجبار وبكى الشاب ، ثم قال له : « جزاك الله خيراً ، فوالله لا عدت إلى ما كان منى أبداً » ، ثم صحب عبد الجبار إلى الجامع وتاب وحسنت توبته وإنابته ، وكان من فضلاء أهل وقته ، ونفعه الله عز وجل بنية عبد الجبار وبتلطفه وترفقه .

---

(١) التكملة من « المعالم » (جـ ٢ ص ١٢٥) ويذكر الدباغ أنه ينقل هنا عن المالكى . وقد رسم أبا هاشم هاشما فحسب ، ولما كانت نسخة الرياض التى بين يدينا قد رسمته « أبا هاشم » فى المرة الأولى ، فقد رأيت أن أصوب الاسم على هذه الصورة هنا .

(٢) فى الأصل : « فخرج » فحسب ، والتصويب من « المعالم » (جـ ٢ ص ١٢٥) .

(٣) فى الأصل : فصاح ، والتصويب من « المعالم » (جـ ٢ ص ١٢٥) .

(٤) فى « المعالم » (جـ ٢ ص ١٢٥) : هيئة .

(٥) التكملة من « المعالم » جـ ٢ ص ١٢٥ .

حدث الشيخ أبو الحسن القابسى ، رحمه الله تعالى ، قال : راح عبد الجبار بن خالد إلى صلاة الجمعة [فى يوم مطر و] (١) طين على بغل راوية ، لم يجد ما يركب عليه غير ذلك ، فلما فرغ من صلاة الجمعة لم يجد دابة يرجع عليها إلى داره ، وكانت داره بعيداً من الجامع ، فأتاه رجل من جند ابن الأغلب بفرس مسرج فسأله فى ركوبه فركب ، فلما استوى على الفرس نظر إليه أصحابه فقال لهم : « ما لكم تنظرون إلىّ ؟ [لا] ورع انتقص [ولا] علم [امتهن] ! » ؛ وقد فعله ، رضى الله تعالى عنه ، لوجه الضرورة لمنعة من المشى ، [ثم تصدق بعد ذلك بشىء من المال] ، فأخذ فى ذلك بالعلم . ولا يحمل عليه إلا أنه تصدق بقدر انتفاعه بركوب الفرس (٢) .

وذكر أن أولاد إبراهيم بن أحمد الأمير طهرهم (٣) ، فمضى أهل العلم من شيوخ القيروان لتهنئته ، وكان فيمن مضى إليه عبد الجبار بن خالد ، فلما أتى إلى الأمير أكبره وعظمه وسر برؤيته ، وأخرج إليه أولاده فدعا لهم وبارك عليهم ، ثم قال : « أيها الأمير ، هل علمت مقدار هذه النعمة التى أنعم الله تعالى عليك بها ؟ فإنه أعطاك مثل هؤلاء البنين ، وعلمتهم (٤) كتاب الله عز وجل ، وأحييت فيهم (٥) سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغنى

---

(١) أضفت هذه العبارة حتى يتصل الكلام .

(٢) ورد هذا الخبر فى الأصل مضطربا جدا ، ومن الواضح أن الناسخ أسقط منه فقرات . ولم أستطع سد النقص من المراجع التى بين أيدينا ، لأن المالكى انفرد بايراد هذا الخبر . وقد رأيت أن أضيف الى الأصل بعض عبارات تجعل قراءته مفهومة على قدر الامكان . والظاهر أن الناس لم يجدوا على عبد الجبار بن خالد السرتى حرجا فى ركوب فرس من افراس جند الأمير لانه فعله مضطرا ، ولكنهم لم يفهموا السبب فى تصدقه بهذا المال ، واستنتج بعضهم من ذلك أن عبد الجبار ، رغم تحليله لركوب الفرس بالاضطرار ، كان يجد فى نفسه منه شيئا ، ولهذا تصدق بالمال . وهذا هو التفسير المقبول لقول المالكى : « ولا يحمل عليه إلا أنه تصدق بقدر انتفاعه بالفرس » .

(٣) فى « المعالم » (جـ ٢ ص ١٢٦) : ختنهم .

(٤) فى « المعالم » من غير واو .

(٥) فى « المعالم » (جـ ٢ ص ١٢٦) : بهم .

[أنك بالغت][1] فيما عملت من الطعام ودعوت إلى ذلك الأغنياء » فقال له : « أجل، لموضع المسرة بذلك » فقال له عبد الجبار : « فلو استكملت هذه المسرة بأن تذكر الفقراء فيها ! » فقال له (ص ١٠٥) : « صدقت وبررت » ، ثم دعا بكيس فيه خمسمائة دينار ودفعه لعبد الجبار وسأله أن يفرقه على الفقراء والمساكين ، فأجابه عبد الجبار إلى ذلك ، فسر الأمير بذلك وخرج معه إلى باب القصر وقال : « [احملوا][2] الشيخ على دابة » وقال : « والله لا برحت حتى تركب ! » فركب عبد الجبار والأمير قائم . فلما ركب واستوى على دابته وأصلح الغلمان ثيابه وانصرف ، التفت الأمير إلى كاتبه رجاء بن محمد وقال له : « يا رجاء، أرأيت ؟ ما أعقله ، وما أظرفه ! أتعرف في رعيتي مثله ؟ إنه قضى ذمامنا وتعافى من طعامنا وأخرج مالنا فيما يرضينا » . فتصدق عبد الجبار بجميع الدنانير على الفقراء والمساكين ولم يبق منها شيئاً . رضي الله تعالى عنه [3] .

---

(١) التكملة من « المعالم » (جـ ٢ ص ١٢٦) وهذه هي العبارة التي اخطأ الناسخ فأضافها الى اخبار ابي عياش ، انظر قبله ص ٣٦٥ هامش ٢ .

(٢) التكملة من « المعالم » جـ ٢ ص ١٢٦ .

(٣) هنا قطع الناسخ اخبار عبد الجبار السرتي وانتقل الى اخبار احمد بن معتب بن ابي الأزهر الذي يليه ، وبعد أن مضى فيها شيئا استدرك خطأه وترك احمد بن معتب وعاد الى السرتي بقوله : « ومن مناقب عبد الجبار المذكور قبل هذا » ، فضممت أخبار السرتي بعضها الى بعض على هذا النحو الوارد في المتن مستعينا بالمصادر الأخرى . وقد ذكر الخشني في ترجمته لعبد الجبار السرتي اخبار اخرى ذات اهمية (طبقات علماء افريقية جـ ٤ ص ١٤٥) ، وكذلك الدباغ في « المعالم » وابن ناجي في تعليقاته عليها (المعالم جـ ٢ ص ١٢٣ ـ ١٢٨) . وقد ذكر الدباغ أن عبد الجبار بن خالد السرتي توفي سنة ٢٨١ وهو ابن سبع وثمانين سنة ، ودفن بباب سلم وصلى عليه حمديس القطان . وعلق على ذلك ابن ناجي بقوله : « قلت : في كلامه بتر وقصور ، لقول التجيبي وغيره : توفي يوم الأربعاء لأول يوم من رجب ، وقيل : يوم الاربعاء لتسع عشرة [ليلة] بقين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة . وبحمديس وعبد الجبار يضرب المثل في الفضل والدين بافريقية ، الا ان عبد الجبار انبه من حمديس » .

١٥٢ — ومنهم أحمد بن معتب بن أبى الأزهر بن عبد الوارث ابن حسن الأزدى (١) .

كان نبيلا معدوداً من أصحاب سحنون . وكانت له رحلة إلى المشرق وسمع سماعات كثيرة . وكان — على ما ذكر [أبو بكر] بن اللباد الفقيه — [قد مات] (٢) من خوفه [من] الله عز وجل : وذلك أنه حضر مجلس الذكر « بمحلة الرضى » وكان له بكاء ونوح ، وكان القراء إذا علموا أنه جاء تحركوا له وأقروا واعترفوا له بالحزن . فلما كان يوم السبت [دخل المسجد و] (٣) حضر [الصلاة مع] جماعة من القراء [فسمع قارئاً يقرأ : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) ، فخر أحمد صعقاً ، فاحتمل إلى داره ، فمات قبل وصوله إلى الدار ،

---

(١) ذكر الدباغ فى « المعالم » (ج ٢ ص ١١٨) أن كنيته أبو جعفر .

وقد ذكر محمد بن الحارث بن أسد الخشنى أباه معتب بن أبى الأزهر واختصه بمادة هذا نصها : ومعتب بن ابى الأزهر كان صاحبا لسحنون ومعدودا فى رجاله . ذكر لى حسن بن احمد بن معتب بن أبى الأزهر عن ابيه عن جده معتب ، قال : قال لى سحنون يوما : « انى احب ان اسر اليك سرا ، فإياك ان تفشيه ! » قال : فقلت له : « يا ابا سعيد ، او منزلتى عندك منزلة من يخاف منه ؟ فلا تفش الىّ سرك » ، قال : فقال لى : « ليس الأمر كما تظن ، ولكن لكل انسان صديقا يكون موضع ثقته وراحته ، ولذلك الصديق صديق ، ومن مثل هذا تخرج الأسرار » — (طبقات علماء إفريقية ، ص ١٣٨) . وانما اوردت هذا الخبر هنا ، لان المالكى سيضعه بين اخبار احمد بن معتب كما سيجىء .

(٢) أضفت هاتين الكلمتين ليستقيم سياق الخبر .

(٣) السياق هنا مضطرب اضطرابا شديدا ، فقد أسقط الناسخ منه عبارات أكملتها بما بين الحواصر اعتمادا على نص الدباغ فى « المعالم » (ج ٢ ص ١١٩) . ثم بتر الناسخ الخبر دفعة واحدة ، فاخذت البقية بنصها من الدباغ ابتداء من : « فسمع قارئا يقرأ . . » ورواية الدباغ تبدا هكذا : « ثم دخل احمد مسجد السبت بالدمنة ، فسمع قارئا يقرا . . . الخ » . وعلق ابن ناجى فى نفس الموضع من « المعالم » على ذلك بقوله : « ثم دخل مسجد السبت ، يعنى فى ذلك اليوم كما صرح ابن اللباد ، وقيل سمع القارىء يقرا : (الهاكم التكاثر) ، الآية . . . الخ » .

فخرجوا به والصياح خلف نعشه: «هذا قتيل القرآن، هذا شهيدالقرآن!»]. وذكر غير ابن اللباد أنه مر في ذلك اليوم قبل دخوله المسجد بموضع فسمع قائلا يقول:

العفو أولى بمن كانت له القدرة لا سيما عن مقر ليس ينتظر
أقر بالذنب إجلالا لسـيده فقـام بين يديه وهو يعتـذر

فبكى وخشع ودعا للقائل وللذين حضروا، فانتفعوا بدعائه. ثم تمادى أحمد ابن معتب [1] فدخل المسجد فسمع بعض القوالين يقول:

دع الدنيا لمن جهل الصوابا فقد خسر المحب لها وخابا
وما الدنيا، وإن راقتك، إلا كبلقعـة رأيت بها يبـابا

قال ابن اللباد: إلى أن [2] انتهى منها إلى قوله:

يظل نهـاره يبكى بشـجو ويطوى الليل بالأحزان دابا

قال: ثم قرأ القارئ آيات من القرآن، فخر [أحمد] صعقاً، فاحتمل إلى داره فلم يزل منازعاً إلى مغيب الشمس، فتوفى بعد عشاء الآخرة، رحمه الله تعالى. قيل: فلما انصرفوا به من مجلس الذكر مروا به على الصديني العراقى فقال: «هذا الرياء!» فلما مات قال الصديني [3]: «هذا والله الإخلاص فى الصدق!» فكان يصاح خلف نعشه: «هذا شهيد القرآن».

---

(١) فى الأصل: مغيث.

(٢) فى الأصل: : فلما انتهى، ولكنه لم يتم الكلام. ونص «المعالم» هنا اصح، وهو يروى عن ابى بكر بن اللباد ايضا، فاستبدلت من نصه هاتين الكلمتين بلفظ «فلما» ليستقيم السياق.

(٣) ورد هذا الاسم فى الاصل هكذا: «الصدسى» من غير نقط، وورد فى المعالم «الصديني العراقى» (ج ٢ ص ١٢٠) — والغالب ان المراد هنا محمد ابن أسود الصدني الذى ذكره الخشنى فيمن ذكر من العراقيين (انظر: طبقات علماء افريقية ص ٢٣٨) وقال عنه انه ولى القضاء لأبى العباس بن الأغلب، فلما قتل ابو العباس وولى زيادة الله ابنه عزله عن القضاء وولى حماس بن مروان، من العراقيين ايضا. وهذا المشهد يدلنا على تأصل الخصومة بين المدنيين (المالكية) والعراقيين (الحنفية) فى افريقية فى ذلك الحين.

وقد تركت رسم الاسم كما أورده المالكى، واكتفيت بإضافة النقط.

ويروى أن سحنون قال له يوماً : « إنى أحب أن أسر إليك سراً ، فإياك أن تفشيه » قال : فقلت له : « يا أبا سعيد ، أومنزلتى عندك منزلة من تخاف منه ؟ فلا تفش لى سرك ! » فقال لى : « ليس الأمر كما تظن ، ولكن لكل إنسان صديقاً يكون موضع ثقته وراحته ، ولذلك الصديق [صديق ، و] من مثل هذا تخرج الأسرار » [1].

ومن مناقب عبـــد الجبار : قال أحمد بن [معتب] [2] : ما رأيت أورع من عبد الجبار ، كان سحنون إذا اجتمع إليه الناس للسماع منه يقول : « انظروا هل عبد الجبار حضر » . فإن جاء قرأ لهم وإلا أخر ذلك حتى يأتى ، فإذا جاء أمر القارئ فيقرأ . وقال أبو العرب : وبلغنى أنه قيل لعبد الجبار : « أكان سحنون لا يسمع الناس حتى تحضر أنت ؟ » فقال : « لا أدرى ، غير أنى كنت إذا حضرت أمر القارئ أن يقرأ فقرأ للناس » .

وكان ممن ينطق بالحكمة : فمن ذلك ماذكره أبو الفضل بن الصايغ عنه أنه كان يقول : « من كان همه فى الله قل فى الدنيا والآخرة همه » . وكان يقول : « ما أبعدنا منه على قربه إذا لم يردنا ، ومتى أرادنا وجدنا وإن لم نرده ، ومتى ما أردناه [3] لم نجده إلا أن يريدنا » . وكان يقول : « من أقعده العلم عن الجهل قام به العلم [4] عند [5] الله » . وكان يقول : « ما أكثر السلامة عند من حُـصن عند العثرات [6] بالندامة » . وقال : « ما أكثر الآفات عند من جهل حكم السلامات » وكان يقول : « إن سرور

---

(١) هذا هو الخبر الذى رواه الخشنى وجعله ضمن أخبار معتب والد احمد هذا . انظر قبله : ص ٣٧٠ هامش ١ . وقد ذكر ابن الدباغ أن أحمد ابن معتب توفى سنة ٢٧٧ ، وعلق ابن ناجى على ذلك بقوله : « قلت : مثله ذكر التجيبى ، وقال الطبرى : توفى سنة ست وســـبعين ومائتين . ولما ذكر العوانى [ذلك] قال : وقول الدباغ « كانت وفاته سنة سبع وسبعين » على ظاهره فهو وهم منه ، وان اراد بتخطئته انما هو قوله سبع ، وانما هو توفى سنة ست وسبعين كما قال الطبرى ، فهو لم يختص بذلك اذ سبق فى ذلك التجيبى اذ هو مختصره ، ويزيد بعض زيادات عليه وربما ينقص » ــ « المعالم » ج ٢ ص ١٢٣ .

(٢) انظر «المعالم» ج٢ص١٢٣ .

(٣) فى الأصل : أرادنا .

(٤) كرر الناسخ هنا عبارة « قام به العلم » مرتين .

(٥) فى الأصل : عن .

(٦) فى الأصل من غير نقط .

العبد بنعم الله تعالى يشغله عن الله عزوجل، وإن كان السرور بنعم الله من فضل الله تبارك وتعالى » . وكان يقول : « الفرار من الأخيار والأشرار يزيد فى القلوب من العلم بالله أنواراً » . وقال : « من اشتغل بالأشغال المضرة بالعقول عن الإقبال [على الله ساء المآل] ، فما أخوفني ألا نؤمل [الخير] إلا ايقال من سوء حال إلى أحسن حال » . وقال : « ما أكثر فى الدنيا الغنائم ، و[ما] أكثر من هو عنها غافل نائم » . وقال : « من أصبح وأمسى وهمه بغير الله مجتمع ، لم يبال الله عزوجل فى أى واد من أودية الدنيا وقع » . وقال : « لو أهمك شأنك لكل لسانك وتهيجت أحزانك . وقالوا : لولا الفضول لصفت العقول ، ولكان المجهول عندها معقولا . ولكن بكثرة الفضول تكدرت العقول ، وكان المعقول عندها مجهولا . ومن كان بالليل وبالنهار هائماً متى ينال الغنائم ؟ » . وقال : « من سكت سلم ، ومن تكلم بذكر الله غنم ، ومن خاض أثم » . وقال : « من نم (١) لسانه كثر فى الدنيا وفى الآخرة أمانه » . وكان يقول : « من وبخك فقد نفعك ، ومن نفعك فقد فَهَّمك » . وقال : « كل كلمة لم يتقدمها نظر فالكلام فيها خطر ، وإن كانت من أسباب الظفر »

وقيل إنه ، رضى الله تعالى عنه ، ختم فى مسجده ثلاثين ألف ختمة ، (٢) وُجد ذلك مكتوباً فى قبلة مسجده .

١٥٣ — ومنهم أبو جعفر (٣) أحمد بن وازن الصواف .

كان يسمى جوهرة أصحاب سحنون ، وسمع منه (٤) . وكان إذا قام بين يدى الله ، عز وجل ، لم يتعلق قلبه بشىء سوى ما هو فيه . ووجد بخط الفقيه

---

(١) فى الأصل : ذم ، والتصويب من « المعالم » جـ ٢ ص ١٢٧ .

(٢) جاء فى « المعالم » (جـ ٢ ص ١٢٥) : « قال — اى الدباغ — : وختم فى مسجده نيفا واربعة آلاف ختمة . قلت — اى ابن ناجى — : وفى كلامه بتر لزيادة التجيبى « فى الفريضة » ، ولذا قال غيرهما : ختم فى مسجده ثلاثين الف ختمة ، وكان يختم فيه كل ليلة ختمة » .

(٣) جعل الدباغ كنيته ابا حفص ، وجعل اسم ابيه وزان الصواف « المعالم » ، جـ ٢ ص ١٣١ .

(٤) اضاف الدباغ فى « المعالم » (جـ ٢ ص ١٣١) انه سمع كذلك من مروان بن ابى شحمة . وذكر ابن ناجى فى نفس الموضع من المعالم انه سمع من غيرهما كذلك .

أبي محمد بن أبي زيد ، رحمه الله تعالى ، قال : حدثني تميم بن حيران (١) قال : «كان لأحمد الصواف صاحب سحنون ولد له شبيبة (٢) ، وكان يخالط أصحاباً له على سماع اللهو والغناء . وكان إذا اجتمع عنده أصحابه تقول له والدته : « يا بني ، لا تتحركوا حتى يأخذ (ص ١٠٦) والدك في الصلاة » ، فإذا أخذ في الصلاة أخذوا في عزفهم ولهوهم ، فلا يشعر بهم ولا يسمع شيئاً مما يجرى لهم . فكانت والدته إذا أحست أنه ينصرف من الصلاة ، ضربت الحائط عليهم ليسكتوا (٣) .

١٥٤ – ومنهم **أبو عبد الله أحمد بن يزيد القرشي ويعرف بالمعلم** ، رضي الله تعالى عنه .

قال أبو العرب : كان ثقة فاضلا ورعاً فقيهاً نزهاً عالماً بحديثه، وكان يعرف بروايته [عن موسى بن معاوية] الصمادحي ، سمع منه ومن سحنون . وكان من أول عمره يعلم القرآن . ذكر أن محمد بن سحنون وأحمد بن لبدة ورجالا من المدنيين تذاكروا أحمد بن يزيد وصيامه وقيامه فقال لهم محمد : « دعونا من ابن يزيد لاتقرنوه بغيره ، فإن أحمد جمل (٤) الليل » ، فيقال إنه ختم القرآن على قدميه ستة آلاف ختمة ، وختمه في غير الصلاة أمثال ذلك .

---

(١) كذا في الأصل ، ولعلها خيران ، ولم اجد لهذا الاسم ذكرا في غير هذا الموضع ، وليس مذكورا في اشياخ ابى محمد بن زيد .

(٢) كذا في « المعالم » أيضا (ج ٢ ص ١٣١) والمراد هنا أن ولده كان شابا .

(٣) جاء في « المعالم » (ج ٢ ص ١٣١) بعد [ذلك الخبر] : « قال اى الدباغ – : وكان جلوسه وصلاته بمسجد بلج . [قلت :] – اى ابن ناجي – واصحابنا يقولون « بلجا » بإسكان اللام ، وهو المسجد المعروف عندنا بمسجد الدباغ . قال : توفي هو وسهل المتقدم ذكره في يوم واحد . قلت : زاد التجيبي « احدهما عند الظهر والآخر عند العصر » . قال : وصلى عليه جبلة بن حمود ، ودفن بباب سلم ، رحمه الله تعالى ونفع به » . وقد توفي أبو يزيد سهل بن عبد الله بن سهل القيرواني المذكور في ذي القعدة سنة ٢٨٢ هـ .

(٤) في الأصل : حمل الليل .

وحدث هاشم بن مسرور، قال: دخلت وأنا صغير على احمد بن يزيد – وكنت كثير التردد إليه – فرأيت فى جدار بيته القبلى حزازاً (١) – وهى الخطوط – فقلت له: « أصلحك الله، ما هذه الخطوط التى فى الحائط؟ » فقال: « وما سؤالك يا هاشم عن هذا؟ » فقلت له: « أصلحك الله، إن سألنى عنها أحد فقال لى: ماهذه الخطوط التى فى حائط معلمك؟ ماالذى أقول له؟ » فقال لى: « ولهذا تسأل؟ » فقلت: « نعم » فقال: « هذه تسعة عشر ألف ختمة ختمتها لله عزوجل على قدمىَّ. وإنما أخبرتك بهذا لتعمل ». قال: ثم عمر حتى كان لا يقوى على القيام، فكان يصلى جالساً (٢).

١٥٥ – ومنهم أبو العباس عبد الله بن أحمد بن طالب (٣).

[كنيته أبو العباس، واسمه عبد الله بن طالب بن سفيان بن سالم بن عقال ابن صبابة الحتوى من بنى عم بنى الأغلب أمراء القيروان، ويقال: طالب بن سعيد ابن سفيان. وقد غلط بعضهم فيه بسبب (٤) كنيته فظن أن اسمه أحمد، فسماه به.

تفقه بسحنون وكان من كبار أصحابه، ولقى من المصريين محمد بن عبد الحكم ويونس بن عبد الأعلى. وحج فانصرف. وولى الصلاة ثم قضاء القيروان مرتين: إحداهما سنة سبع وخمسين ومائتين ثم عزل سنة تسع وخمسين، والثانية سنة سبع وستين وعزل سنة خمس وسبعين. سمع منه أبو العرب وابن اللباد. وكان جميل الصورة باهى الخلق فاخر اللباس أخوص العينين.

---

(١) فى الأصل: حوارا.

(٢) جاء فى « المعالم » (ج ٢ ص ١٣٣): توفى فى جمادى الآخرة سنة ٢٨٤ هـ. وقد زاد على التسعين، ودفن « بباب سلم » على قارعة الطريق خلف المصلى، وصلى عليه حديس القطان، رحمة الله تعالى عليه.
وقد اختصه أبو العرب فى طبقاته بمادة قصيرة لا تضيف الى معلوماتنا عنه شيئا جديدا. (ص ١٧٢).

(٣) أضاف الدباغ الى اسمه: التميمى. وقد وردت ترجمته فى نسخة « الرياض » التى بين يدينا ناقصة نقصا ظاهرا. ولا شك فى ان الناسخ بتر منها اجزاء، ولهذا رايت ان اتدارك هذا النقص. فأخذت من ترجمة ابن طالب التى أوردها القاضى عياض فى المـــدارك (ج ١ ص ١٦٣ ب وما بعدها) مارأيت أنه يكمل المادة هنا وأثبته فيما يلى محصوراً بين قوسين.

(٤) فى الأصل: فنسبه.

ذكر علمه والثناء عليه: قال محمد بن حارث فى «تاريخ الأفارقة» وغيره من كتبه: كا[ن] ابن طالب لقناً فطيناً جيد النظر يتكلم فى الفقه فيحسن، حريصاً على المناظرة، يجمع فى مجلسه المختلفين فى الفقه ويغرى بينهم ليظهر الفائدة ويبين لهم (١) عند لبسه ويسامرهم، فإذا تكلم أحيا وأبان حتى يود السامع ألا يسكت. إلا أنه كان إذا أخذ القلم لم يبلغ حيث يبلغ لسانه. قال غيره: لم يكن شىء أحب لابن طالب من المذاكرة فى العلم. قال ابن اللباد: ما رأيت بعينى أفقه من ابن طالب [١٦٤ – ا] إلا يحيى بن عمر. قال أبو العرب: وكان عدلا فى قضائه حازماً فى جميع أمره، فقيهاً ثقة عالماً بما اختلف فيه وفى الذب عن مذهب مالك، ورعاً فى حكمه قليل الهيبة فى الحق للسلطان، وما سمعت العلم أطيب ولا أحلى منه من ابن طالب. وما أخذت عليه خطأ إلا مسألة اختلف فيها ابن القاسم وأشهب فأتى بقولها ولكن قلب [قول] كل واحد إلى الآخر. وكان كثير الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، رقيق القلب.

ولابن طالب من التآليف «كتاب الرد على من خالف مالك»، وثلاثة أجزاء فى «أماليه».

وكان ابتداء طلبه – فيما ذكر ابن اللباد عنه – قال: «كنت يتيما لا أب لى، وكنت آتى [مجلس سحنون] مع معلمى الخميس والجمعة، وأنا إذ ذاك صغير ذو حمية. فقرئ عليه يوماً فى الموطأ اسم عمر بن حسين فى «كتاب الزكاة»، فقال سحنون: هذا كان يشاوَر فى القضاء أيام مالك. ثم قرأ القارئ، فبعد قليل قال: «كيف سميت لكم الرجل الذى كان [يشاور] فى القضاء أيام مالك؟ فقد أنسيت اسمه». فسكت الناس، فقلت له أنا حين توقفوا (٢): «هو عمر بن حسين، أصلحك الله»، فقال: «بارك الله عليك، أحسنت يا غلام، من هذا الغلام؟»، فعرِّف بى، قال: «أحب أن أرى عليك زى العلم، ما ينبغى أن يُمنع هذا العلم من أحد». فما أتيت الموعد الآخر إلا وقد حلق رأسى وكسيت ثياب العلماء، فلم أزل أتردد إلى سحنون وهو يقربنى حتى نفعنى الله به».

---

(١) فى الأصل: وبينهم.   (٢) فى الأصل: توقع.

ذكر ولايته القضاء وشيء من سيرته : ولى ابن طالب القضاء بالقيروان مرتين : لما عزل سليمان [بن عمران] أول مرة وَلى هو، ولاه إبراهيم بن الأغلب وعظم قدره وجعل إليه النظر فى تركة جدته. فطلب ابن طالب سليمان فاستخفى منه. فلما رأى إبراهيم ميل الناس إلى ابن طالب، لعدله وسماحته وعقله وعلمه واستبشارهم بأيامه لرخص السعر وارتفاع الربا [على] أيامه ، غار إبراهيم به وخشيه على ملكه — لكونه ابن عمه — فرأى إماتة اسمه وعزله ورد سليمان بن عمران . فلما شاخ سليمان عزله وولى هو مكانه ثانية . قال ابن حارث: وكان إبراهيم بن الأغلب أكره الناس فى ابن طالب . وكان قد أساء إليه أيام قضائه الأول وإمارة أخى إبراهيم المعروف بأبى الغرانيق، فلما ولى إبراهيم هم به، وكان « الحضرمى » و« بلاغ » — موليا إبراهيم — خاصين به ولهما بابن طالب عناية، فكانا يكفانه عنه . فلما شاخ سليمان بن عمران واضطر إبراهيم إلى قاض غيره ، جمع وجوه القيروان وشاورهم فيمن يوليه، فطرحوا الاختيار إليه . وغلبت الشهوة فى محمد بن عبدون ، وأمر له بمركب سنى ، فأمر بأن يخرج ابن عبدون عليه . إلى أن دخل أحمد بن أبى سليمان فسأله الأمير فقال : « [أرى] أن تولى العدل الرضا المستحق للقضا »، فقال: « من هو؟ »، قال : « ابن طالب»، فاستوى جالساً — وقد كان ابن غافق أشار بمثله قبله — وقال : « ما أرى لها إلا ابن طالب » ، فقال له ابن أبى سليمان: « إن الصلاة عمود الدين، فلما استحق عند الأمير أن يقوم عليها ، كان بما هو أقل منها أولى » فقال إبراهيم: « بُرد الفرس! » . وأذن لابن أبى سليمان فى الانصراف ، ووجه فى ابن طالب فولاه القضاء .

وقال لى ابن طالب: كنت نائماً قائلة حتى انتبهت من نومى فأنكرتُ ذلك وعلمت أن الأمر حدث، فقيل لى: « رسول الحاجب بالباب » فخرجت إليه فى ثوب البيت فقال لى الحاجب : « الأمير يدعوك الساعة »، فقلت: « أدخل وآخذ ثيابى على نفسى »، فقال: «لا»، فساءنى [ذلك] ودعوت بثيابى فلبستها . وسرت حتى وصلت إلى إبراهيم بن أحمد الأمير فوجدته وبين يديه السيف مسلولا ، فسلمت فرد عليَّ فسكن روعى لرده . ثم قال : « احتجت فى يومى إلى ابن طالب ! (١) ما أوصل من أمرك شيئاً . وقد عزمت على توليتك القضاء » فأبيت، فمد يده إلى السيف وقال:

---

(١) فى الأصل : طاهر ، وهو سهو من الناسخ .

« إن شئت القضاء وإن شئت هذا » فقلت : « تأذن لى فى صلاة ركعتين أدعو وأستخير ؟ » قال : « افعل » فصليتهما وأشهدت فى الدعاء والخيرة، فلما سلمت قال لى : « ماالذى ظهر لك ؟ » قلت : «أبقى الله الأمير ، إن ولانى على مالاينفذ عليه القضاء لبست بولاية » فقال : « على مفرق رأسى » فقلت له : « أبقى الله الأمير ، تقدمت أيمان فتأذن لى فى الانصراف حتى أنظر فيها ثم أعود الساعة ؟ » قال : « افعل » . وكان ابن طالب قد حلف بجميع الأيمان قبل هذا ألا يلى القضاء أبداً ، فخرج ابن طالب فخلع زوجته وباع عبيده وتصدق بأمواله وأخرجها من ملكه ، ثم رجع فقبل وكتب له عهده وأمر له بكسوة وصلة وحملين . قال ابن طالب : « وكنت لما دخلت إليه فى المرتين ما رفع لى أحد رأساً ، فلما وليت وخرجت وجدت أهل الأرض وقوفاً ينتظروننى على الباب . فعلمت هوى الناس للدنيا » .

قال ابن حارث : وكان ابن طالب — إذا وقف للحكم بين الخصمين — كتب المطلوب القصة التى شهد عليه بها ثم قال له : « اذهب وطف بها على كل من علم وجئنى بالأجوبة فيها ». قال ابن أبى خالد : « كان ابن طالب عدلا فى قضائه ، ورعاً فى أحكامه ، كثير المشاورة لأهل العلم من أهل مذهبه وغيرهم » . وذكر أبو عمرو الدانى فى كتابه أن ابن طالب ، أيام قضائه ، أمر ابن برغوث المغربى بجامع القيروان ألا يقرئ الناس إلا بحرف نافع . وقال صاحب « الكتاب المعرب عن أخبار المغرب » أن فى أيام ابن طالب قتل إبراهيم الفزازى ، وكان إبراهيم شاعراً متفنناً فى كثير من العلوم مع استهزاء وطيش ، وكان يحضر مجلس ابن طالب لمناظرة الفقه ، فقيل إنه (١) كان يزرى به ويتضاحك بأمره ، ونمت عنه أمور منكرة ، فانتهى ذلك إلى ابن طالب ، فطلبه ابن طالب وحبسه وشهد عليه كثير من مائتين بالاستهزاء بالله وبكتاب الله وأنبيائه وبنبينا صلى الله عليه وسلم ، قيل منهم ثلاثون عدلا . فجلس له ابن طالب وأحضر له العلماء : يحيى بن عمر وغيره، وأمر بقتله، فطعن بسكين فى حنجرته وصلب منكساً . ثم أنزل بعد ذلك وأحرق بالنار . فحكى بعضهم أنه لما رفعت خشبته وزالت عنها الأيدى استدارت وتحولت عن القبلة ، فكانت آية للجميع وكبر الناس ، وجاء كلب فولغ فى دمه ، فقال يحيى بن عمر :

---

(١) فى الأصل : له .

« صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، وأسند حديثاً عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لايلغ الكلب فى دم المسلم » . قال بعضهم : سمعت ابن طالب عند محنته وسجنه يقول وهو مسجون فى سجوده ومناجاته : « اللهم إنك تعلم أنى ماحكمت بجور ولا آثرت عليك أحداً من خلقك فى حكم من أحكامى ولاخفت فيك لومة لائم »] (١) .

[وكانت] له أوصاف جليلة : ذكر ابن أبى عقبة ، قال : خرج ابن طالب إلى القصر (٢) فلقى غلاماً راعياً ، فسقط السوط من يد [ابن] طالب فجرى الغلام فناوله إياه ، فقال له : « من مولاك ؟ » فأخبره ، فلما وصل قال : « إيتونى بفلان » ، فجاءه ، فقال له : « أحب أن تبيعنى غلامك فلاناً » فقال له : « أصلحك الله ، مانستغنى عنه » فقال له : « لابد من ذلك » فقال له : « هولك بلا ثمن » فقال له : « لا ، إنما تأخذ ثمنه وثمن الغنم التى معه » ، فأجابه إلى ذلك . فدفع إليه ثمن العبد وثمن الغنم ، ثم بعث وراءه (٣) فقال له : « اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى ، والغنم لك » .

وذكر عنه أنه كان كريم الطبع كثير السماحة : قيل إن ابن الحسينى (٤) زوّج ابنته فشكا إلى ابن طالب [أنه زوج ابنته وقد تعذر عليه] (٥) جهازها ، وكانت له (٦) ابنة

---

(١) الى هنا ينتهى هذا الجزء من ترجمة ابن طالب الذى اغفله الناسخ تماما . ويلى ذلك فى « المدارك » فصل بعنوان : ذكر جوده وكرم اخلاقه . وهو مجموع من الحكايات التى اورد المالكى معظمها ، فتركته على حاله كما ورد فى الأصل .

(٢) يريد « القصر القديم » . وقد حكى « الدباغ » هذه الحكاية بتفصيل أوسع وخلاف يسير عما ورد فى رواية المالكى رواية عن أبى العرب تميم عن ابن عياش ، قال هذا الأخير : « إنه ركب مع ابن طالب من « القصر القديم » يريد العتابية ، وكان ابن طالب على حمار مصرى ... الخ » . « المعالم » ج ٢ ص ١٠٩ .

(٣) أى وراء العبد .

(٤) وفى المعالم (ج ٢ ص ١٠٩) : الشريف بن الحسين .

(٥) سياق الأصل هنا مضطرب وفيه نقص ، فهو يقول : « ... فشكا الى ابن طالب [ ] وهو يريد جهازها ، وكانت له ابنة » .. الخ فاكملت النص وصوبته من « المعالم » ج ٢ ص ١٠٩ .

(٦) يريد : لابن طالب .

تخرج إليه من عيد إلى عيد، فقال لأمها: «إنى أحب أن تريني ابنتى وتلبسيها ثيابها وحليها، ولا تدعى منها شيئاً» ففعلت الأم ذلك، فلما رآها رحب بها وقال لها ولأمها: «إن ابن الحسينى زوج ابنته وشكا إلىّ تعذر الأشياء عليه، وأنا أحب أن تنزعى هذا الحلي وتخلعى هذه الثياب وتأتى بها إلىّ لندفعها لابن الحسينى وأنا أعوض لكما أكثر مما أخذ» فدفعت إليه الحلي والحلل، فأعطاه جميع ذلك.

وذكر عنه أنه كان يمشى ذات يوم فإذا بجمال عليها حمولة قمح، فقال له رجل من أصحابه كان يسايره: «أصلحك الله، إن الذى تنزل هذه على بابه فى أمن من هذه المجاعة» (1) ثم فارقه الرجل، فسار ابن طالب (2) إلى داره، فنزلت [تلك] الحمولة على باب داره، أتاه بها وكيله (3). فقال لهم ابن طالب: «اذهبوا بهذه الأحمال كلها كما هى إلى دار فلان» — يعنى الرجل الذى كان يسايره — وقال لهم: «قولوا [له]: قد أمنت مما كنت تحذر».

وقال ابن أبى عقبة: «وكان رجل كفيف فقير يمشى مع زوجته فى «السوق الكبير» بالقيروان، فإذا بصقلبى (4) قد أتى إلى بعض الطباخين فقال له الصقلبى: «يقول لك مولاى [القاضى]: تأخذ لنا خروفاً من حاله و[صفته كذا وكذا] (5) وتعمله فى التنور، وتأخذ له من الخبز والزيتون وبقل المائدة ما يصلح، ويكون ذلك مهيأ حتى إذا رجعت (6) مع مولاى القاضى من صلاة الجمعة أتيت إليك فأخذته». وانصرف (7)

---

(1) يفهم من هذا أن القيروان كانت تقاسى فى ذلك الحين مجاعة.

(2) فى الأصل: ابن ابى طالب، فصوبته لأن المتفق عليه ان اسمه عبد الله بن أحمد بن طالب. وقد أخطأ ناسخ «الرياض» فأورده على هذا النحو بضع مرات بعد ذلك.

(3) اضاف الدباغ هنا: «من احد منازله» — «المعالم» ج ٢ ص ١٠٩.

(4) وفى «المعالم» ج ٢ ص ١١٤: صقلى.

(5) فى الأصل: «وقصته» فحسب، وذلك سهو من الناسخ، فصوبته اعتمادا على نص «المعالم» ج ٢ ص ١١٤.

(6) فى الأصل: حتى «أرجع مع مولاى» وقد صوبته على هذا النحو ليستقيم السياق.

(7) فى الأصل: وانصرفت.

الغلام والكفيف وزوجته يسمعان ما قال . فقالت له زوجته : « والله ما اشتهيت إلا أن آكل من هذا الشواء » ، وكانت حاملا . فقال لها : « أنت طالق إن تغديت إلا منه » فلما سمعت ذلك منه قالت : « لا تمش معي ولا تصحبني ، لأنك حلفت بالطلاق » . قال : فلما رجع القاضي سبقاه إلى الدار وجلسا حتى أتى القاضي فدخل ، وكان في سقيفة داره بيت يجلس فيه للنظر بين الناس ويتغدى فيه إذا حضر غداؤه . قال : فلما جلس القاضي وجلس معه إخوانه قال الكفيف لزوجته : «[إذا رأيت] [1] هذا الخروف قد جاء على رأس الغلام فتسمعي [2] لوقوع الماء في الطست » فقالت [3] له : « ما الذي يوصلك إليه ؟ » فقال [3] لها : « اسكتي عني » ، فلما سمعت وقوع الماء في الطست أخبرته فقال الكفيف : « ياقاضي ، قال الله تبارك وتعالى : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) ، وقال تبارك وتعالى : (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً ، إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً ، فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة [4] وسروراً) » قال : فصاح القاضي للصقلبي وقال له : « صح بالغلام واجعل على رأسه هذا الخوان كما هو بما فيه وامض معه حتى توصله إلى دار هذا المتكلم ، وفرّغه ورد الخوان » ، ففعل الغلام ذلك .

وكان إبراهيم بن أحمد الأمير قد فوض [إليه أمر] [5] النظر في الولاة والجباة والحدود والقصاص والعزل والولاية ، [وأمره] [5] بقطع المنكر والملاهي من القيروان . فجعل [6] على أكتاف اليهود والنصارى رقاعاً بيضاء ، في كل رقعة [منها] « قرد » و« خنزير » ، و[جعل] على أبواب دورهم ألواحاً مسمرة في الأبواب مصور فيها قردة . وضيق على أهل القيروان في ملاهيهم وملاعبهم .

---

(١) أضفت هاتين الكلمتين ليستقيم الكلام .

(٢) في الأصل : ولكن تسمعي ، وقد صوبته . وأسلوب هذا الخبر ركيك جدا ، فادخلت عليه هذه التصويبات حتى يستقيم .

(٣) في الأصل : وهي تقول ، في كلا الموضعين .

(٤) في الأصل : نظرة . سورة « الانسان » ، الآيات من ٩ ـ ١١ .

(٥) اضفت هذه الكلمات ليستقيم المعنى .

(٦) في الأصل : « وجعل » ، والغالب ان الناسخ اسقط قبل ذلك شيئا فعدلت العبارة هذا التعديل اليسير ليرتبط الكلام .

وكان إذا أشكل (ص ١٠٧) عليه أمر وقف عن تنفيذه ، و كان] يقول : « لئن يسألني الله عز وجل : لم وقفت؟ أيسر عليّ من أن يسألني : لم جسرت؟ » . وكان يقول فى آخر مجلسه الذى يقضى فيه بين الناس : « اللهم ما كان فى هذا المجلس من زيغ أو زلل أو إقبال على خصم دون الآخر أو استيفاء حجة خصم [دون] صاحبه ، فأسألك أن تغفره لى ، وأن تراجع بى الحق » . ثم يكتب على أحكامه : « حكمت لك بقول ابن القاسم » ، « حكمت لك بقول أشهب » ، أو « بتقييد (١) رجال أشهب » ، ثم يقول له : « فى البلد فقهاء وعلماء ، اذهب إليهم ، فما أنكروه عليك فارجع إلىّ » .

وفى حكاية أخرى ، أنه كان إذا فرغ وقام من مجلس حكمه وقف وحول وجهه إلى القبلة ، ثم بسط كفيه وسالت الدموع على خديه ولحيته ويقول : « اللهم إن كانت زلة أو هفوة ، أو [كنت قد] أصغيت بأذنى إلى خصم دون خصم ، فأسألك أن تغفر لى ولا تؤاخذنى ولا تنتقم منى ، إنك على كل شىء قدير » . ثم يصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم ينصرف . هكذا كان عمله فى كل مجلس يجلس فيه للقضاء .

وقال إبراهيم بن الكوفى : دخلت مع الأمير إلى جنان (٢) فيه تمر قد طاب ، فأخذ بعض التمر فناولنيه ، فقبلته ثم أكلت ولم أقل له شيئاً . فقال لى : « دخلت هذه الجنان مع ابن طالب فى مثل هذا الحين ، فناولته من بعض تمره ، فقال لى : « أيها الأمير ، يجب لله عليك شكرانٌ : أن بلغك إلى [أن] غرسته ، ثم أكلت ثمرته » فقلت له : « وما هذا الشكر ؟ » قال : « أن تصلى ركعتين » قال : « فأمرت بحصيرين ، فبسطت لى واحدة وله أخرى ، فصلينا ركعتين ، ثم قال لى : « وبقى [أمر] آخر » (٣) فقلت : « وما هو ؟ » قال : « تبعث بصدقة إلى أهل « الدمنة » فإنهم أهل زمانة وضعف » ، قال : « ففعلت » ، قال :

---

(١) فى الاصل : تنفيذ رجال اشهب .

(٢) فى الأصل : مع الأسير الى جان . والمراد هنا الأمير ابراهيم بن احمد بن الاغلب كما يتبين من بقية الخبر .

(٣) فى الأصل : « وبقى أخرى » ، فقومته على هذا النحو .

« وبقى [أمر آخر] » قلت : « وما هو ؟ » قال : « تعزل من عمالك من كان جائراً وتجعل [مكانه] من يعدل فى الرعية » قال : « فأمرت بذلك » . قال الأمير إبراهيم : « فدخلت مع غيره ، فلما ناولته من ثمره قال : « الأمير يحب قاضيه والرعية تمتهنه » [١] فجعلنى ضربت وقتلت ، فكم بين الرجلين ! » .

وله فصل من رسـالة كتب بها إلى محمد بن حمود قاضى طرابلس :

« ... فلا تبق غاية من الخير إلى بلغتها واتقيت الله فيما استُرعيت [عليه] بحسن الكفاية والاجتهاد . وما بلغنى [عنك] إلا الجميل ، فقد ، بيتك وعلمتك وعرفتك العلم ، فلولم تحفظ إلا إياى [٢] فكيف وقد عرفتَ ماعند الله عز وجل لمن سأل عنه ؟ ألا تراه، عز وجهه الكريم ، يقول لنبيه داود عليه السلام : (يا داود إنا جعلنا [ك خليفة فى] [٣] الأرض فاحكم بين النـاس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سـبيل الله . إن الذين يضلون عن سـبيل الله لهم عذاب شديد بمـا نسوا يوم الحساب) ؟ [٤] وأكثر ذكرَ الموت وشدةَ هوله ، وظلمةَ القبر ووحشته ، وتضرع إلى الله تعالى فى خلواتك . [ولا] تُنسك الجماعة حَظَّكَ من القرآن وتدبره والوقوف عند عجائبه . وبالله توفيقك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » [٥]

---

(١) يستقيم الكلام هنا اذا اضفنا عبارة فى معنى : « وجعـل يوغر صدرى على خصومه من الناس » .

(٢) لم يترك الناسخ هنا بياضا ، ولكن سياق الكلام يدل على أنه أسقط جواب الشرط .

(٣) بياض بالأصل .

(٤) سورة « ص » ، الآية ٢٦ .

(٥) الى هنا تقف ترجمة ابن طالب فى نسخة المالكى التى بين أيدينا . وظاهر ان الترجمة مبتورة هنا ايضا فليس فيها ذكر لمحنة ابن طالب ووفاته . وقد غلب على ظنى أن الناسخ اغفل هنا جزءا كبيرا ، فرايت ان استكمل الترجمة من مدارك القاضى عياض فاضفت الجزء الثانى المحصور بين الحواصر (المدارك جـ ١ ص ١٦٦ ب ـ ١٦٧ ب) .

هـذا ويذهب الدباغ الى أن أبا العباس بن طالب التميمى قد توفى سنة ٢٤٤ ، وفى ١٠ ذى الحجة من تلك السنة على قول التجيبى . وكانت سنه عند وفاته احدى وتسعين سنة . انظر « المعالم » جـ ٢ ص ١٠٤ .

ولابد من مراجعة ما ورد عن ابن طالب فى « المعالم » وطبقات أبى العرب (ص ١٣٦ ـ ١٣٧) لتكتمل صورة هذه الشخصية الكبيرة .

[ص ١٦٦ ب] **محنتـــه ووفاته** : كان، رحمه الله، قد امتحن عند العزلة الأولى فى ولاية سليمان بن عمران ؛ وكانت محنته الثانيـة الكبرى فى ولايتـه الثانية بعد موت سليمان [بن عمران] فى ولاية ابن عبـدون . وكان السبب فى ذلك أنه نظر ما شرعه إبراهيم بن الأغلب من الفسوق والجور والاستطالة على المسلمين وإباحة السودان على نســاء أهل « إبيانة » حين امتنعوا من بيعها منـــه ، وقد أتت امرأة بفرعة (١) ابنتها فى ثوب فألقتـــه بين يديه ، فتوجع وقال : « ما أدرى هذا يؤمن بالله أو هذا فعل الدهرية ومن لا يؤمن بالله واليوم الآخر! » فبلغت الكلمة إبراهيم ، فحقدها عليه ثم عزله وحبسه وولى عدوه ابن عبدون — وكان عراقياً متعصباً على المدنيين — وأمره بإحضار العلماء وإخراج ابن طالب إليهم — وفيهم من كان بينه وبين ابن طالب منافسة — ليشهدوا عليه . وجلس لذلك فى المقصورة وجلس ابن الأغلب بقربهم ليسمع كلامهم ، وأمر القاضى بتتبع أفعاله ومناظرته ليفضحه على رءوس [النـــاس] . فكان من جملة ما سألوا ابن طالب عنه أن قالوا : « دفعت من وصية فلان إلى فلان العباسى مائة دينار ، ولغيره الدينار وأقل ، وهو عندك ممن لا تحل له الصدقة لأنه من بنى هاشم » فقصر فى الأجوبة ورد إلى السجن . فيحكى أن الشرط دفعوه فكان يقول : « يا فتيان ، اذكروا النار » . وقال إبراهيم لابن عبدون : « أحضره يوماً آخر وأحضر جماعة الفقهاء حتى يتبين خطؤه فأنكل به » . (٢) وكان ابن الأغلب قد أحضر سعيد بن الحداد قبل ليكون منه فى ابن طالب ما كان من غيره ، فأعان ابن الحداد ابن طالب ووفى له . ودعا ابن الحداد ابنه وقال : « تذهب إلى ابن طالب، فقد علمت كيف كان بره بنا ، وقد صار إلى ما صار إليه وذهب عقله وفهمه لعظيم محنته ، وإنمـا يعد الإخوان لمثل هذا » ، فكتب جميع أجوبة المسائل التى سألوه عنها وأمره أن يحتج بها إذا سألوه، وقال له فى مسألة العباسى : « إنمـا حُرمت الصدقات عليهم إذ كانوا يأخذون سهم ذى القربى ، وأما الآن فالصدقة عليهم حلال لحاجتهم » . وقال لابنه : « احذر أن يشعر بك أحد ، وقل له يقرأها فى خلوته ، وجئنى بها حتى يطمئن قلبى » . فحملها إليه ، وجعل

---

(١) فى الأصل : ببرعة ، والتصويب من « المعالم » ج ٢ ص ١١٥ .

(٢) فى الأصل : فيه .

ابن طالب يختلف إلى المستراح حتى وقف عليها وحفظ معانيها وتذكر ما أغفل لعظيم محنته ، وردها . فلما كان اليوم الموعود وأحضر وسئل . أجاب عن كل ما عجز عنه فى الجمعة الأولى . فاغتم لذلك إبراهيم ورده إلى السجن ، وعول على قتله . فيقال إنه دبر إليه من سقاه سماً ، وقيل : أحال عليه السودان فركضوا بطنه حتى مات ، وقيل إنهم لما ركضوا فى بطنه ألقى دماً عظيما من أسفله ، ثم أخرجه من السجن ووجه إليه فرساً ودواءً فأفاق فى داره ودموعه تسيل ونفسه تتصاعد حتى مات ، رحمه الله .

حكى ابن اللباد أنه كان يقول فى قضائه : « اللهم لا تمتنى وأنا قاض » ، فمات بعد عزله بنحو شهر . قال ابن حارث : « أمر (١) الأغلب قاضيه ابن عبدون بإحضار ابن طالب وأن يتتبع أفعاله ويناظره حتى يفضحه بحضرة الناس ، ففعل وجلس لذلك فى المقصورة وجلس ابن الأغلب بمكان يسمع منه ، وأمر بإحضار ابن طالب فأحضر ، وأشار إليه ابن عبدون : « وقّـر القضاء » ، فقال ابن طالب : « أنا أعرف بحقه منك ، فكيف لا أوقره ؟ » فقال له : « فمن توقيره أن تجلس بين يدىّ متكئاً ؟ » فقال : « نعم أنا اضطربت (٢) لعلة » ، واعتذر بدماميل به . ودارت بينهما أشياء ، فكان من قول ابن عبدون : « أخبرنى عن قولك فى الأثلاث ، من أجاز لك أن تفعل فيها ما فعلت ؟ » فقال له ابن طالب : « وما الأثلاث ؟ » فخجل ، فقال له ابن طالب : « لعلك تريد الوصايا ؟ » ، قال : « نعم » ، قال : « فإنها لا تسمى أثلاثاً ، لأن الرجل يوصى بالثلث والربع والتسمية ، ولا يذكر جزء [دون تسمية] (٣) . فما أنكرت فعلى فيها ؟ » قال : « تعطى منها عطاءً كثيراً للواحد فتغنيه » ، فقال له ابن طالب : « قد فعله النبى صلى الله عليه وسلم » . قال ابن عبدون : « ذلك خاص بالنبى صلى الله عليه وسلم » ؛ قال له : « وفعله عمر » فقال له ابن عبدون : « وإنما تشبه أفعالك بفعل عمر ؟ » فقال له ابن طالب : « فإذا بالنبى لا يُهتدى وبعمر لا يقتدى وبالأمير لا يؤتمر ، فبمن إذاً يا هذا ؟ » فقال إبراهيم : « رجونا ابن عبدون أن يفضح ابن طالب ففضحه ابن طالب ! » .

قال حمديس القطان : « كان الأمير إبراهيم بن الأغلب قد بعث إلىّ وإلى سهل

---

(١) فى الأصل : كان لما أمر . ويبدو أن الناسخ أسقط شيئا ، فرأيت أن أحذف « كان لما » ليتسق الكلام .

(٢) كذا فى الأصل ، ولعل صحتها : اضطررت .

(٣) وردت هذه العبارة مبتورة فى الأصل ، فأكملتها بما يستقيم به المعنى .

ابن عبد الله القبرياني وعبد الجبار بن خالد وجماعة من أصحابنا وجماعة من أهل العراق لهذا المجلس، فدخلنا المسجد فكنت قاعداً إلى حائط المقصورة، فخرج إلينا رسوله يقول: « ما تقولون في ابن طالب؟ » فتكلم فيه قوم بينه وبينهم شيء وأوقعوا فيه شهادات منكرة، فسمعت الأمير من خلف الحائط ينكر عليهم قولهم ويقول: «ولا هذا كله، ولا هذا كله». وتحرى قوم الكلام، مثل حمديس ويحيى بن عمر، وأثنى عليه آخرون، مثل سعيد بن الحداد وقاسم بن [أبي] المنهال»[1]. قال حمديس: « ولقد أحضرني إبراهيم عند عزل ابن طالب من قضائه الأول وأحضر إسحق بن إبراهيم ابن عبدوس وأحمد بن [أبي] المنهال[2] وأحضر ابن طالب والقاضي سليمان بن عمران. وقد [أحضر] سليمان قوماً للشهادة على ابن طالب، فمنهم ابن عبدون وغيره. فجعل إبراهيم يسأل ابن طالب فيحتج ابن طالب فيرد الأمير حجته، ويتكلم سليمان بن عمران بما لا تقوم به حجة على ابن طالب فيجعلها الأمير له حجة. فلما رأى ذلك ابن طالب سكت». قال حمديس: « فرأيت أن السكوت لا يسعني وقلت [في نفسي]: إنما أحضرنا للكلام، فقلت: « يأذن الأمير؟ » [فلم يجبني، فقلت: « يأذن الأمير؟ »] مرة أخرى، فلم يجبني. ثم قلت: أقول الثالثة فإن لم يجب فهي حجة لي، فحول إلىّ وجهه وقال: «هات كلامك»، وكان الأمير يطلبه بأمر التركة[3] التي تولاها ابن طالب وفرق ثلثها بتفويض الأمير فقال: « لا [بد من] جميع التركة» فقلت للأمير: « خذ ما تحب» فقال لي: « وما تحب؟ »، قلت: « قال الله تعالى (مما قلّ منه أو كثر نصيباً مفروضاً) فلو أوصى الميت ألا يدفع ما أوجب إليه مورثه لم يكن له ذلك في سنة المسلمين» فقال إبراهيم: « أمرته ألا يدفع إلى الورثة شيئاً » فقلت: « أمر الله فوق أمر الأمير» فقام إلىّ « بلاغ» الخادم مغضباً ليهم بي، فكلمه

---

(١) صوبت الاسم من الجزء السادس من « الطبقات » لمحمد بن الحارث ابن أسد الخشني، ص ١٩٠. وكان أبو المنهال وبنوه الأربعة من العراقيين (الحنفية).

(٢) لم يرد لأحمد بن أبي المنهال هذا ذكر. ولكن الخشني، عند كلامه عن قاسم بن أبي المنهال قال: « وقاسم بن أبي المنهال كان متحركا في العراقيين، وكان له اخوان لا احفظ اسميهما، وكان أصغر الأربعة اسحق بن ابي المنهال الذي استقضاه عبيد الله (الشيعي). فلعل احمد هذا احد الاثنين الباقيين، وقد كان الاخوة الأربعة عراقيين ».

(٣) في الأصل: التزكية.

الأمير بالصقلية فانكف . وقلت : « وليس لك عليه سبيل إلا في الثلث الذي فوضت إليه ، فإن كان أنفق في وجوهه فلا سبيل لك عليه » . وطال المجلس وأخذ الأمير ضامناً على ابن طالب ويخلى (١) . فخرج ابن عمران القاضي إلى الوزراء فشكا وقال : «هذا نقض أحكامي » فرد الأمير [حكمه] فيه [ودعاه] إليه فرده إلى السجن ، ثم عفا عنه ، وكان في سجنه . و[لما] سجنه في القصة الأخرى ، بلغه أن إبراهيم هم فيه بأمر ، فحكى أنه فزع إلى الدعاء فكان من دعائه ومناجاته : « اللهم إن كنت علمت مني — إذا جلس الخصمان بين يديّ فكان في أحدهما رضاك وفي الآخر رضا إبراهيم — أني أوثر رضاك فاعصمني منه ، وإن علمت أني أوثر رضاه على رضاك فسلطه عليه »(٢) فكفاه الله ما هم به إبراهيم من تلك القصة . وقيل إن إبراهيم تبرأ في تلك المطالبة [ورماه] بأمر فأوجع قلبه فقال : « اللهم إنه رماني بذنب لم أرتكبه . اللهم فلا تمته حتى تشهر به » . فأجيبت دعوته وانكشف إبراهيم »] (٣) .

قال أحمد بن محمد البصري (٤) : رأيت ابن أبي طالب في النوم فسألته [عما فعل الله به] ، فقال : « وحّد الله ، لقد دخلت الجنة » ، قلت : « كيف كانت منيتك ؟ » قال : « سقاني في شربة ، سقاه الله من صديد أهل النار » .

---

(١) كذا في الاصل ، وهو يريد أن يقول : وأخلى سبيله .

(٢) المراد : عليّ .

(٣) وقد علق القاضي عياض على ذلك بقوله : « قال المؤلف رحمه الله : وقد وقفت في كتاب « تاريخ افريقية » على نسخة السجل الذي عزله به ، واثبت فيه مثالبه ومذاهبه التي اخذها عليه وفيه رمى بهذه الكبيرة المذكورة التي انصفه الله منها . وكانت وفاة ابن طالب بنحو من سنة خمس وسبعين ومائتين وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، مولده سنة سبع عشرة ومائتين . ورثاه احمد بن أبي سليمان بقصيدة طويلة أولها :

تهودت الدنيا لموت ابن طالب ... وأظلمت الآفاق من كل جانب
امام هدى خملت لنا فيه نكبة ... من الدهر ، علما أصبحت بالعجائب
أقاضي القضاة المرتضى في أموره ... غدا اليوم أهل الدين أهل المصائب
فمَن بعده يرعى لنا الحق رعيه ... ويظهره اظهاره بالمغارب ؟
لقد كان سيفَ المالكين ومن به ... يُصال به ضرباً على كل جانب
وقد ذهب المأمول للدين والتقى ... ومن كان يُرجى للندى والمذاهب»

وإلى هنا ينتهي الجزء الذي نقلته من «المدارك» استكمالا لسيرة ابن طالب .

(٤) في الأصل : القصري ، وفي « المعالم (جـ ٢ ص ١٥٨) : البصري . والغالب أنه ابن أبي العباس محمد بن طيب البصري . (انظر « المعالم » ، جـ ٢ ص ٢٣٤) .

١٥٦ – ومنهم **أبو الفضل أحمد بن علي** ، [رضي] الله تعالى عنه .

سمع من سحنون ، وكان واسع الرواية . وذكر أحمد بن سليمان أن كتبه بيعت بعد وفاته بألف دينار ومائتي دينار . وكانت له دنيا عريضة لكنه كان زاهداً فيها مؤثراً بها تاركاً للشهوات . لقد حدثت عن سعيد [١] صاحب سحنون أنه قال : « ترك أبو الفضل هذا من ميراث أبيه أكثر من ألف دينار لم يرثها ، فقيل له في ذلك : « ما منعك منها ؟ » قال : « كان ذلك من تجارة العاج ، فكرهت أن أتلبس بشيء جاء فيه عن أهل العلم كراهية » فترك ذلك تورعاً وزهداً [٢] » .

١٥٧ – ومنهم **أبو الحسن بن دارس المتعبد** .

كان رجلا فاضلا مجتهداً ورعاً متقللا من الدنيا .

حدث عبد الله بن نصر ، قال : دخلت أنا وأبو الحسين بن غسان إلى أبي الحسن ابن دارس ، وكان في دار فيها بيت مهدوم ليس فيه غير ثلاث حوائط [٣] وهو تحتها ساكن ، فقلنا له : « شيخنا وسيدنا ، جئناك في حاجة تقضيها لنا » فقال : « حوائجكم مقضية ، فما حاجتكم ؟ » فقلنا [٤] : « هذا البيت نبنيه ونعمل له أبواباً ونصلحه ونشتري لك سريراً وفراشاً وملحفة ومشملة وخادماً يخدمك . وقد علمتَ أن أموالنا حلال » فقال : « ما منكم أحد إلا وأعرفه قد حج ، أكنتم إذا حججتم ومضيتم إلى بيت الله ، عز وجل ، وقبر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، هل تبنون في كل مرحلة بيتاً وتجعلون فيه ستراً وفراشاً وكانوناً بالفحم ؟ » فقلنا له : « لا » فقال لنا : « فهكذا الدنيا ، إنما تقطع مراحل ، وقد دنا نزولنا في المرحلة . وإنما يبتني الإنسان لآخرته . أيبني الإنسان ما لا يسكنه ؟ لا ضيع الله أجركم . أعطوها لضعيف يحتاج إليها » فخرجنا من عنده . وإذا بعجوز

---

(١) لم يحدد المؤلف المراد بسعيد هذا ؛ والغالب أن المراد به سعيد ابن اسحق من رجال سحنون ، فقد كان كثير الرواية والجمع للحديث ، هذا وبين أصحاب سحنون كثيرون اسمهم سعيد .

(٢) لم يورد الدباغ في « المعالم » شيئا عن أبي الفضل هذا ، وذكر ابو العرب في « طبقاته » في سياق كلامه عن ابي خارجة عنبسة بن خارجة الغافقي (ص ٧٢) شخصيا اسمه ابو الفضل بن علي ابن حميد . ولم أجد سنة وفاة احمد بن علي ، ولكنه كان معاصرا لسحنون بن سعيد على اي حال .

(٣) في الأصل : حوائر .

(٤) ازاء هذا الكلام في هامش الأصل عبارة : موعظة حسنة .

فى الدار تخدمه، فقلنا : «هذه مثاقيل، خذيها» فقالت : «وأيش أعمل بها؟ إنما أخدمه لله تعالى : أبيع له هذه المراوح التى يعملها من الخوص ، يأخذ منها قوته ويتصدق بالباقى». قال : فأقمنا سُـنَـيَّـاتٍ يسيرة، فاعتل وجئنا إليه، فأصبنا عنده يحيى بن عمر وحمديس القطان وجبلة [بن حمود] وأكابر أصحاب سحنون هؤلاء قعوداً عند رأسه وهو مسجى إلى القبلة ودموعه تنصبّ. فقال له يحيى بن عمر : « أصلحك الله، ما الذى أبكاك ؟ » فقال : « والله ما بكيت خوفاً من الموت، لأنه كأس لا بد منه، ولا بد من قدومى على الله عز وجل، لأنى أقدم على كريم رحيم، ولا بكيت إلا على تمتعكم بعدى بتلاوة القرآن وقيام الليل وصيام النهار والتهجد والتبتل، وانقطاع عملى» ثم قال لهم : «إن لى إليكم حاجة : هذه الجبة الصوف والكساء ختمت فيهما القرآن ثمانية آلاف ختمة ليلا ونهارا ، كفنونى فيهما؛ وهذه الحصير كنت أسجد عليها فى سواد الليل ، اجعلوها معى فى لحدى؛ وقليل من الشعير تصدقوا به؛ وهذه السطيحة حبسوها . والله ماخلفت شيئاً يسألنى الله عز وجل (ص ١٠٨) عنه غير هذا . ثم [أسأل الله] الاجتماع معكم على الحوض مع النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه . وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله » . ثم قضى، رحمة الله تعالى عليه .

دعاء عظيم الأجر : وكان كثيراً ما يدعو بهذا الدعاء : « اللهم بك أصبحنا، وعليك توكلنا، وإليك أنبنا . اللهم أصبحنا وأصبح الأمر [و] الليل والنهار وما سكن فيهما لله وحده ، لا شريك له . اللهم اجعل أول هذا اليوم صلاحاً، وأوسطه فلاحاً وآخره نجاحاً . بسم الله على نفسى ودينى وأهلى وولدى ومالى . الله ، الله ، الله، ربى لا أشرك به شيئاً . اللهم لا تؤدبنا بعقوبتك ، ولا تمكر بنا فى حكمك، ولا تؤاخذنا فى تقصيرنا عن رضاك لعظيم خطايانا . فاغفر لنا، ويسر أعمالنا، وتقبل منا . وكيف النجاة يا إلٰهى ولا توجد إلا من قبلك ؟ اللهم إننا نستودعك أنفسنا ولحومنا ودماءنا وأدياننا وأهلنا وأولادنا وجميع ما أنعمت به علينا فى الدنيا والآخرة . اللهم اكنفنا بكنفك الذى لا يرام، واحرسنا بعينك التى لا تنام ، وأعزنا بسلطانك الذى لا يضام، وارحمنا بقدرتك علينا يا ذا الجلال والإكرام، فإنك خير حافظاً وأنت أرحم الراحمين، واجعلنا فى عبادك [الذين تحميهم] من السلطان الجائر، ومن الشيطان الرجيم وأشياعه وأتباعه وخيله ورجله وأعوانه وإخوانه وجلاوزته (١) ورسله وقهارمته وخدمه . عليك توكلنا وإليك أنبنا . ماشاء الله لا قوة إلا بالله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم».

---

(١) جاء فى اللسان : « الجلاوزة : الشرطة » .

١٥٨ – ومنهم **أبو الأحوص أحمد بن عبد الله** ، المتعبد بسوسة (١) .

توفي يوم الجمعة ، قبل الضحى ، (٢) وصلى عليه الناس يوم السبت قبل الضحى . قال أبو العرب : كان أصله من المغرب ، سكن سوسة وأوطنها ، وكان ثقة متعبداً كثير العمل . كان يصلي من الضحى إلى العصر ، ثم يجلس فيسمع [مع] الناس من سحنون وغيره . وكان قد كف بصره .

وكانت بداية أبي الأحوص ولزو[مه] مدينة « سوسة » أنه أتى إليها مرابطاً ، فأقام بها مدة حتى نفدت نفقته ، وأراد الرجوع إلى بلده بالمغرب ، فأتى إلى جامعها ليركع فيه وينصرف ، فبينما هو راكع إذ رأى عصفوراً دخل الجامع وفي فمه شيء يطعمه فراخه ، فسقط من فم العصفور ما كان فيه ، فخرج من خلف الحصير فأر فأكل ما سقط من فم العصفور ، فخاطب نفسه بأن قال لها : « [إن كان] (٣) فأر خلف الحصير قيض الله تعالى له من رزقه كما قد رأيتِ ولم يضيعه ، فكيف أضيع أنا ؟ لله عليّ أن لا أدع مدينة الرباط إلى غيرها أبداً » . فأقام بمدينة « سوسة » واشتهر بها حتى مات ، رحمه الله تعالى .

وكان إبراهيم [بن أحمد] الأمير يزوره ، فإن وجده يطحن قوته بيده جلس على التراب ، وإن وجده فارغاً جلس على جلد المطحنة ، لأنه لم يكن في بيته حصير ولا غيرها ، وكان إذا عرضت للمسلمين حاجة ، لله فيها رضى ، كتب إليه فيها بالفحمة في شقفة .

قال عبد الوهاب الزاهد (٤) : قمت إلى برج (٥) وهو على شاطىء البحر ، فإذا أبو الأحوص بين شرافتين (٦) في سواد الليل ودوي البحر وهو يقول :

---

(١) في الأصل : أبو الأحوص المتعبد بسوسة أحمد بن عبد الله .

(٢) كذا في الأصل . وجاء في « المدارك » (ج ٢ ص ١١ ب) أن أبا الأحوص توفي بسوسة يوم الأحد سنة أربع وثمانين ومائتين .

(٣) في الأصل : مان .

(٤) هو أبو القاسم عبد الوهاب بن عبد الله المتعبد المتوفى في المحرم سنة ٣٣٠ هـ . وستأتي ترجمته . انظر عنه أيضاً : « المعالم » ج ٣ ص ١٣ — ١٩ .

(٥) في الأصل : برح ، من غير نقط .

(٦) في الأصل : «على سرافس» . والتصويب من «المدارك» — ج ٢ ص ١١ ب .

أبوا أن يرقدوا اللـ ـل فهم لله قوام
أبوا أن يخدموا الدنـ ـيا فهم لله خدام

ثم يقول : « لا إلـه إلا الله ، والله أكبر ولله الحمد » ثم اندفع فى النياحة ، ثم سمع حسى فقال لى : « من أنت ؟ » فقلت : « أنا عبد الوهاب » فقال : « يابنى يا أبا القاسم ، إنما تمطع الدنيا بالهموم والأحزان والعلل والأمراض والأنكاد ، وإنما تفرح غداً بالنظر إلى وجه الله عز وجل إذا صرت إلى دار السلام » .

وقال بعض المتعبدين : كنت بمدينة « سوسة » مرابطاً ، فبلغنى أن سعيد الضرير (١) قدم ، فتوجهت إليه مع أبى الأحوص لنسلم عايه ، فأصبنا عنده ناساً من الأضراء ، وذلك بعد صلاة العصر ، فدعوا وختم سعيد الصبيرى الضرير (٢) المجلس بالدعاء ، ثم افترقنا عند جواز المغرب إلى الجامع — وكان قحطاً وصيفاً (٣) وحاجة بالناس (٤) إلى الماء وقد فرغت مواجلهم — (٥) فوقف أبو الأحوص فى الطريق ، فوقف الناس لوقوفه ، فقال : « اللهم إن كنت استجبت لنا فى مجلسنا فعرفنا بركة ذلك بأن تسقط الغيث » ، فما دخلنا المسجد إلا ونحن نخوض الماء من المطر الذى أصابنا .

وقال رجل صالح : رأيت فى منامى كأنى واقف على باب الجنة ، وأبو الأحوص يريد أن يدخل الجنة ورجل (٦) أعرفه من أهل «سوسة» يمنعه الدخول ويقول له : «لا أدعك تدخل حتى تدفع لى حقى » ، فقال : « هذا قصر أعطيك فى الجنة » ، فقال له : «لا» قال : «فأعطيك قصرين» ، قال : فقلت له : « ياهذا ، يعطيك قصرين فى الجنة فتأبى ،

---

(١) هو سعيد البكاء الضرير المتعبد المتوفى سنة ٢٤٩ هـ . وستأتى ترجمته ، وانظر عنه « المعالم » ج ٢ ص ٧٣ وفهرس « طبقات أبى العرب » .

(٢) فى الأصل : سعيد الصبرى الضرير . وقد صوبت الاسم على رسمه فى الجزء الثانى من الرياض ، ويظن حسنى عبد الوهاب باشا أن صحته : سعيد العنبرى .

(٣) فى الأصل : وكانت قحط وصيف . وقد اكتفيت بهذا التقويم اليسير محافظة على سياق الأصل .

(٤) يريد : وكانت بالناس حاجة الى الماء .

(٥) فى الأصل : مراجلهم .

(٦) ذكر القاضى عياض فى « المدارك » (جـ ٢ ص ١١ — ١) أن هذا الرجل كان زياتا .

وإنما لك عليه درهمان ؟ » فنفضني نفضة وقال : [1] « إن الله عز وجل لا يكذب ولا يكذب ، لا بد من القصاص يوم القيامة » فانتبهت [لنفضته] [2] وأنا أعرف الرجل بوجهه. فغدوت إلى الجامع فجلست بين الأبواب لصلاة الصبح ، حتى دخل الرجل فأشرت إليه أن يأتيني فأتاني وقعد إلى جانبي ، وأقيمت الصلاة فصلينا ، فلما انقضت الصلاة قلت له : « يا أبا فلان ، إن الأحوص أوصاني أن أدفع إليك شيئاً ، وقد أنسيته ، فما لك عليه ؟ » فقال : « درهمان » فدفعت إليه الدرهمين وأعلمته بالرؤيا .

وذكر بعض الشيوخ أن إبراهيم بن أحمد جار على الناس وتعسفهم . فكتب إليه رقعة أغلظ له فيها ، وقيل إنه كتب إليه رقعة فيها : (إذا السماء انفطرت) فلما وصلت إلى إبراهيم بلغت منه مبلغاً عظيما . فأتاه في الليل فاستأذن عليه ، فلم يسمع من حس المطحنة ، لأن زوجته كانت تطحن ، فلما سمعوا (ص١٠٩) فتحوا له الباب ، فدخل إليه فقال ، بعد السلام والسؤال عن الحال : « أتتني رقعة ذكر أنها من عندك » فقال : « أنا مكفوف البصر كما ترى . ولكن تقرأ الرقعة علىّ ، فإن كنت أمليتها أخبرتك » فقرئت ، فقال : « نعم ؛ أنا أمليتها » ، فوعظه فاتعظ . ثم قال له : « أحب أن ترفع إلىّ كلما نبت عندك من مثل هذا فأغيره » .

وسأله إبراهيم الأمير أيضاً في بعض زوراته له أن يكلفه حاجة يقضيها له . فقال له : « هذا البلد قد عمر ، وهو ثغر ، وأهل إفريقية [يهددهم العدو] [3] فإليه مقصدهم وهو مرابطهم ، والقرويون في ليلة كل جمعة يترابطون إليه والجامع يضيق بهم . وأحب أن تزيدهم فيه . وهذه الدواميس والدواليب [4] التي وسط المدينة تجرى إليها ساقية من برا المدينة ، وتوصل إليها ماء السماء فينتفع بذلك الناس والأرامل والأيتام ، ويجد فيه راحتهم أهل الموسم من الغرباء والمرابطين والمنقطعين إلى رب العالمين لحله وقدم أجله . وتخرج الذين حبستهم في الدواميس من أهل تونس » فأجابه إلى جميع ذلك ، وأخرج المحبوسين ،

---

(١) وردت هذه العبارة في الأصل هكذا : « فمضى بفصه يوم القيامة ثم قال » . وقد صوبتها بالمقارنة بنص « المدارك » جـ ٢ ، ص ١١ — ١ .

(٢) التكملة من « المدارك » — جـ ٢ ، ص ١١ — ١ .

(٣) أضفت هذه العبارة ليتسق السياق .

(٤) في الأصل : الأولية . وقد صوبتها برأى حسن حسنى عبد الوهاب باشا ؛ وهو يرى أن الدواليب هي الأجباب والمواجل لخزن الماء .

وكان دينه عنده عظيما . وز في الجامع الثلاثة السقوف العالية التي تلي القبلة . ويقال إنه سأله أيضاً أن يبني للمسلمين مصلى يصلون فيه يوم العيد ففعل ذلك .

وذكر عن بعض أمراء بني الأغلب أنه أتى إلى سوسة ، فتأخر عنه بعض من يخدمه ، فقيل له بعد ذلك : « لم تأخرت ؟ » قال : « كان معي شيء من المسكر ، فتأخرت فأهرقته ، لأني ما جسرت [على أن] أدخل هذه المدينة به » . وقال عمرون (١) : « وسوسة طرسوس [المغرب] » (٢) .

وذكر أيضاً أن إبراهيم بن أحمد أظهر يوماً في قصره [عزفاً] (٣) ولهواً، فدخل رجل من المتعبدين إلى المسجد الجامع من بابه الغربي فقال لأصحابه : « قوموا بنا إلى هذا الرجل، فقد أحدث علينا أموراً لا نعرفها، ولا نصبر له عليها، فإما أن يزيل عنا هذا الأمر وإلا فنحن نخرج وأرض الله واسعة . ونحن إنما سكناها لله الواحد القهار » (٤) . فخرج من باب الجامع الشرقي فصحبه نحو سبعين رجلا من المتعبدين، فتوجهوا إلى قصر إبراهيم، فملأوا الفضاء الذي بين يدي القصر مع من تبعهم، فوجدوا الأمر الذي يكرهونه قائماً من اللهو والعزف ، فقيل لهم : « ما تريدون ؟ » قالوا : « نريد الأمير لنجتمع به » فقيل لهم : « الأمير في شغل، لن تصلوا إليه في يومكم » فقالوا له : « عرفوه أنا لا نبرح من هنا حتى نجتمع به » فدخل الحاجب إلى الأمير فقال : « شيوخ سوسة كلهم بالباب، وأرادوا الاجتماع بك » فقال له : « أويمكنني الاجتماع بهم وأنا على هذه [الحال] ؟ ألا اعتذرت لهم عني ؟ » فقال : « اعتذرت فلم يقبلوا عذري وقالوا: لا نبرح حتى نرى الأمير » فقال له : « اخرج إليهم فانظر ماذا طلبوه نفذه لهم » فخرج الحاجب إليهم فقال : « إن الأمير أمر بتنفيذ ما تحبون،

---

(١) هو عمرون بن مسرور العسال المتعبد الزاهد ، أخو أبي عبد الله وهاشم الزاهدين . ولم يعين الدباغ سنة وفاته ، ولكننا نستطيع القول انه توفي بعد سنة ٣٤٦ التي توفي فيها أخوه أبو عبد الله ، ولم يذكر الدباغ في ترجمة أخيه هذا أنه مات في حياته . انظر « المعالم » ج ٣ ص ٧٣—٧٥ .

(٢) أكملت هذه العبارة على هذا النحو ، وواضح أن عمرون لم يرد أن يقول الا شيئا في هذا المعنى .

(٣) فراغ بالأصل ملأته بهذه الكلمة استنتاجاً مما يلي من سياق الكلام .

(٤) يفهم من هذه الحكاية أنه كان لأمراء بني الأغلب قصر في سوسة يقضون فيه بعض الوقت .

لأنه على حال لا يمكن الاجتماع بكم [معها] » فقالوا : « نحن إنما جئنا إلى هذه المدينة وسكناها لله الواحد القهار ، وقد أحدثت علينا هذه الأمور من اللهو والعزف ، فإما أن يقطع عنا هذا الأمر وإلا فنحن نخرج عنه وأرض الله واسعة » . فعاد الحاجب إلى الأمير فأخبره ، فقال للحاجب : « ارجع إليهم فقل لهم : لن تروا ما أنكرتموه بعد هذا » . فانصرفوا . وخرج هو إلى « قبة الرمل » فكان يخلو فيها بما يحب ، فإذا قضى وطره رجع ليلا إلى قصره . وكانت مدينة « سوسة » فى ذلك الوقت ليس بها شىء من المنكر : لا خمر ولا لهو ولا عزف ، وإنما كان أهلها مشتغلين بالحرب والحرز على المسلمين والمسلمات وقيام الليل وصيام النهار (١) .

١٥٩ـــ ومنهم أبو جعفر حديس [القطان] واسمه احمد بن محمد الأشعرى (٢).

كان من أصحاب سحنون مشهوراً بالفضل ، وفضله أكبر من أن يحمله هذا الكتاب .

[روى عنه أنه] (٣) قال : « لا تسلموا على أهل الأهواء » . وقال ابن حكمون (٤) : مشيت مع حديس يوماً فسقط إلى الأرض ، فرفعته ، فقلت له : « لو أخذتَ على القنطرة التى عند المسجد التى « بالسوارى » عند الفحامين ؟ » فسكت عنى ، ثم قال : « تلك بناها داود بن حمزة من خدم السلطان » . وذكر حديس هذا أن سحنون ترك شهوده الجمعة وراء معد بن عقال إذ كان يصلى بمسجد القيروان ، قال حديس : « وكان (٥) يقول بخلق القرآن » .

---

(١) لم اجد تاريخ وفاة ابى الأحوص عند الدباغ ، رغم حرصه على ذكر التواريخ . وانما ذكره أبو العرب فى « طبقاته » واختصه بمادة طيبة (ص ١٤٦ ـ ١٤٧) تضيف الى ما يذكره المالكى هنا شيئا كثيرا ذا قيمة . وحيث ان الرجل كان معاصرا لسحنون وأبى القاسم عبد الوهاب ابن عبد الله المتوفى سنة ٢٣٠ ، فيمكننا القول انه توفى فى اواخر النصف الأول من القرن الرابع الهجرى ، ويلاحظ كذلك أنه كان معاصرا لابراهيم بن أحمد بن الأغلب المتوفى سنة ٢٨٩ هـ ٩٠٢ م .

(٢) ذكر الدباغ أنه من ولد أبى موسى الأشعرى ـ (المعالم : جـ ٢ ص ١٣٣) .

(٣) أضفت هذه العبارة ليتصل سياق الكلام .

(٤) هو أبو محمد سعيد بن حكمون الفقيه المتوفى سنة ٣٠٧ ، من تلاميذ سحنون . انظر عنه « المعالم » جـ ٢ ص ٢٤٩ .

(٥) اى معد بن عقال .

وقال حمديس : « كان أبو بكر الصديق ، رضى الله تعالى عنه ، يقول : أطيعونى ما أطعت الله تعالى فيكم ، فإذا عصيت فلا تطيعونى ، ولا طاعة لى عليكم فيما أمرتكم به من المعصية » . قيل لحمديس : « فلو أن إماماً عمل بالمعصية أكنت تأمره أو تنهاه ؟ » فقال : « لا » ، واحتج بالحديث : « ينبغى للمؤمن ألا يذل نفسه » قالوا : « وكيف يذل نفسه ؟ » قال : « يعرضها من البلاء إلى ما [لا] (٢) طاقة لها به » . وذكر حديث مالك الذى قال [فيه] : « أدركت سبعة عشر تابعياً ، فما سمعت أنهم قاموا إلى إمام جائر (٣) فوعظوه » (٤) . قيل لحمديس : « فلو أن إماماً دعا إلى البدعة وأمر بها وبات بالدار ؟ » قال : « نجاهده » .

وقال حمديس : « اجتمعنا عند إبراهيم بن أحمد [بن الأغلب] أنا ويحيى ابن عمر وجماعة ، فطال بنا المجلس والمذاكرة ، ثم عطف علىّ إبراهيم فقال [لى] : « من أين عيشك ؟ وفى كم أنت من العيال ؟ » فقلت له : « نحن من الله عز وجل فى ستر جميل » . فسكت عنى ، فقلت له : « لى إلى الأمير حاجة » . فنشط إليها وقال : « اذكر حاجتك » فقلت له : « تعافينى من المجىء إليك بعد هذا المجلس ، فإنك لست تجد عندى ما تريده » فسكت ساعة ثم قال : « قد فعلت » . فعطف عليه يحيى بن عمر وقال : « وأنا أيها الأمير » فقال : « لست أفعل » ، ثم انصرفنا » .

وقال أبو سعيد محمد بن سحنون : « لما اعتل حمديس أحضرنا له طبيباً ، فتبسم وقال : « ما أقبح المخالفة بعد الموافقة ! من أراد الله عز وجل به حالا (ص ١١٠) وأراد هو غيره ، أليس قد خالف ؟ » ثم قال :

بيـــد الله دوائى والله يعلم دائى

---

(١) التكملة من « المعالم » ، جـ ٢ ص ١٣٥ .

(٢) فى « المعالم » (جـ ٢ ص ١٣٥) : جبار .

(٣) علق ابن ناجى على هذه الفقرة بقوله : « وقبله المالكى ، وهو واضح اذا كان يخاف على نفسه مما ذكره . واما اذا كان آمنا من ذلك فليامره برفق ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « من كان آمرا بمعروف فليكن امره ذلك بمعروف » . وقد دخل مالك ، رحمه الله تعالى ، على هارون الرشيد ، فوجد الشطرنج يلعب به بين يديه ، فوقف وقال : « يا امير المؤمنين ، احق هذا ؟ » قال : « لا » ، قال : « قال الله عز وجل (فماذا بعد الحق الا الضلال) » . فازالها هارون ، وامر الا تنشر بين يديه » ـ (المعالم ، جـ ٢ ص ١٣٥) .

إنمـا أظلم نفسي   باتبـاعي لهواني
كلما داويت دائي   غلب الداء دوائي

وكتب إلى حمديس رجل من أهل المشرق، من أهل الورع، كتاباً يقول فيه: «خبرني إن كان الخبز عندكم من حلال حتى أقدم عليكم». قال حمديس: «فأنا منذ سنة ما وجدت له جواباً»[(1)].

١٦٠ – ومنهم **يحيى [بن عمر]**[(2)] **بن يوسف الأندلسي** [المتعبد][(3)] بسوسة.

توفي، رحمه الله تعالى، في شهر [ذي] القعدة [سنة تسع وثمانين ومائتين][(4)].

قال أبو بكر اللباد: «كان يحيى بن عمر من أهل الصيام والقيام، وكان مجاب الدعوة، وكانت له براهين [وكان مقدماً في الحفظ]»[(5)]. قال أبو العباس الأبياني[(6)]: «ما رأيت مثل يحيى بن عمر في علمه وورعه وزهده وكثرة دعائه

---

(١) جاء في «المعالم» جـ ٢ ص ١٣٦: «قال [الدباغ]: وتوفي حمديس في رجب سنة تسع وثمانين ومائتين. قلت [ابن ناجي]: زاد التجيبي: لليلتين خلتا من رجب، ودفن يوم السبت، وصلى عليه أبو سعيد محمد بن محمد بن سحنون، وسنه سبع وثمانون سنة، ودفن «بباب سلم»، قلت: وقبره مزار، رحمه الله تعالى عليه ونفعنا به».

(٢) أكملت الاسم على هذا النحو من «المعالم» جـ ٢ ص ١٥٦.

(٣) أضفت هذه الكلمة ليتصل الكلام.

(٤) التكملة من «المعالم» جـ ٢ ص ١٦٤، وجاء فيه أيضا أن بعضهم يقول انه توفي في ذي الحجة من تلك السنة.

(٥) التكملة من «المعالم جـ ٢ ص ١٥٨.

(٦) في الأصل «الأباني» من غير نقط، والتصويب من «المعـالم» جـ ٢ ص ١٥٨، وقد ذكره محمد بن الحارث بن أسد الخشني في «طبقات علماء افريقية» (ص ١٧٤): أبو العباس بن البياني.

والأبياني نسبة الى «أبيّانة»، قرية صغيرة كانت بفحص «مرناق» حذو مدينة تونس في الجنوب منها، على مسافة عشرة كيلو مترات تقريبا. والأبياني هذا من مشاهير علماء المالكية، ومن اكبر تلاميـذ يحيى بن عمر الكناني وله مؤلفات فقهية منها «رسائل السماسرة». وقد توفي سنة ٣٢٩ أو نحوها فيما اظن (حسن حسني عبد الوهاب).

وبكائه، [وكان حريصاً على أهل العلم ، يحرض طالبه ويشرفه]. (١) والوصفُ، والله، يقصر عن ذكر يحيي بن عمر وفضله، ولا يجهل أمره إلا جاهل».

وقال محمد بن حارث: «كان يحيي بن عمر متقدماً في الحفظ، لقي [من] المصريين يحيي بن بكير ومحمد بن رمح وابن كاسب (٢). وسمع بإفريقية من سحنون ويحيي بن زكريا الحفرى. قال [يحيي بن عمر: «لم أسمع من سحنون بالقيروان، وإنما سمعت منه بالبادية، وذلك أني] (٣) لما قدمت [القيروان] إلى سحنون سألت عنه، فقيل لى: «خرج إلى البادية». فمضيت إلى البادية، فاجتمعت به فرأيت رجلا أشقر عليه جبة صوف ومنديل، وهو يتولى حرث ضيعته وأسباب مؤنته، فاستقللته فقلت: «إنا لله وإنا إليه راجعون. جئت من المشرق وخلفت به العلماء، وجئت إلى هذا الرجل وما أراه يحفظ من العلم شيئاً ولا معه شيء!». فأنزلني ورحب بي. فلما كلمته وسألته في العلم رأيت بحراً لا تكدره الدلاء (٤). والله العظيم ما رأيت مثله قط، كأن العلم، والله، جمع بين عينيه وفي صدره. [واجتمعت بأربعين عالماً، فما رأيت أهيب لله عز وجل من يحيي بن عمر]» (٥).

وقال يحيي الكانشي (٦): «إن يحيي بن عمر أنفق في طلب العلم ستة آلاف دينار».

وقال أبو العباس الأبياني: «سمعت يحيي بن عمر يقول: أدخلت ابناً لى على يمن (٧) بن رزق فقلت له: «أصلحك الله، ادع الله تعالى له» فقال: «جعله [الله]

---

(١) نقل ابن ناجى هذه العبارة عن أبى بكر المالكى وجعلها فى تعليقاته على نص الدباغ، ولكنه اضاف بعد لفظ «بكائه» العبارة التى اوردتها بين الحاصرتين. وقد أسقط الناسخ من هنا عبارات كثيرة، كما يتضح مما يلى من النص.

(٢) أضاف الدباغ فى «المعالم» (ج ٢ ص ١٥٨) الى شيوخ يحيى ابن عمر من المشارقة: أبا مصعب أحمد بن أبى بكر الزهرى، وحرملة بن يحيى التجيبى، والحارث بن مسكين، وأصبغ بن الفرج.

(٣) التكملة من «المعالم» ج ٢ ص ١٥٧.

(٤) كذا فى الأصل، وفى «المعالم» أيضا، ج ٢ ص ١٥٧.

(٥) نقل ابن ناجى هذه العبارة كلها عن المالكى، فأكملتها منه. (ج ٢ ص ١٥٨).

(٦) فى الأصل من غير نقط هكذا الكاسى، وفى «المعالم» (ج ٢ ص ١٥٨) الكانش. والكانشى نسبة الى «كانش»، قرية احسبها كانت فى الساحل التونسى. (ح. ح. عبد الوهاب).

(٧) فى الأصل من غير نقط، هكذا: يمن.

فى ميزانك (١) » قال : فقلت له : « أصلحك الله ، إنما أردت أن تدعو له » فقال : « جعله [الله] فى ميزانك » فقلت له : « أصلحك الله ، إنما أردت أن تدعو له بالنماء » فقال : « جعله الله فى ميزانك » فقلت له : « أصلحك الله تعالى ، [ادع] له بالنماء ، والزيادة » فقال : « أردتَ شيئاً وأردنا شيئاً ، بارك الله فيه » . قال أبو القاسم : فذكرت هذه الحكاية لأبى محمد محرز بن خلف ، رحمه الله تعالى ، فتعجب منها ثم قال محرز : « كان يحضر (٢) إلىَّ رجل ، وكان له ولدان ، فقال لى : « ادع الله تعالى أن يعلمهما القرآن » فأقام مدة ثم أتانى فقال : « إنهما قد قرآ القرآن ، ولكن ادع الله تعالى أن يتقبلهما منى » فأقام مدة ثم أتانى فقال : « قد قبل منى أحدهما » ثم أقام مدة وأتانى وقال : « قبل الله عز وجل الآخر » . قال أبو محمد محرز : « فأخبرنى من كان فى جنازتهما ، قال : « دخلت إلى داره فكأن ليس بها جنازة ، فلما أخذنا فى غسله بكت امرأته ، فعطف عليها فقال لها : « هكذا كان بينى وبينك ؟ » فسكتت كأنها لم تبك » .

وكان ليحيى بن عمر كرسى فى الجامع للسماع فيجلس عليه ويسمع عليه الناس [لكثرتهم] (٣) . قال أبو بكر الزويلى : « وما علمت أنه عمل ذلك لغيره » (٤) .

وكان يسمع بجامع القيروان ، (٥) فبينا هو يوماً يُسمع الناس وحوله خلق كثير يسمعون عليه ، إذ أتاه كتاب من عند أبى زكريا يحيى بن زكريا بن عبد الواحد الأموى الساكن « بقصر زياد » . قال : فدفعه إليه الرسول ، فلما فكه أسكت القارئ وقال لجماعة الناس : « صاحب هذا الكتاب منَّ جده على جدى بالعتق ، فأنا من مواليه » ، فعجب الناس من ذلك ، وعلموا أنه إنما ذكر ذلك تواضعاً لله عز وجل .

---

(١) فى الأصل من غير نقط ، هكذا : مىرانك .

(٢) فى الأصل : نحرر .

(٣) التكملة من « المعالم » ج ٢ ص ١٥٧ .

(٤) فى الأصل : بغيره . وقد علق ابن ناجى على ذلك بقوله :
والراوية هنا هو ابو بكر احمد بن ابى بكر الزويلى الفقيه العالم الزاهد المتوفى فى جمادى الأولى سنة ٤٩٥ . (انظر : « المعالم » ج ٢ ص ١٦٢) .

(٥) نص الأصل : « كان يسمع بجامع القيروان لكثرتهم » فاستغنيت عن اللفظ الأخير ، لأنه تكرار من الناسخ . وقد علق ابن ناجى على اسماع يحيى بن عمر للناس وهو جالس على كرسى بقوله : « وهذا الذى ذكره قاله ابو بكر الزويلى ، وهو خلاف قول غيره : كان يجلس فى جامع القيروان ، يجلس القارئ على كرسى ليسمع من بعد عنه من الناس » . (« المعالم » ج ٢ ص ١٥٧) .

قال أبو بكر الزويلي ، قال : « ألف يحيى بن عمر كتاباً فى النهى عن حضور « مسجد السبت » ،[1] فدسوا عليه رجلا أندلسياً كان حسن الصوت بالقراءة ، فأتى إلى « مسجد يحيى بن عمر » — وهو المسجد الذى بحذاء « حمام النعمان » — فلما فرغ يحيى بن عمر من صلاة الظهر وسلم ، استفتح الأندلسى بصوت حسن وقرأ (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها) ، وتمادى فى القراءة إلى آخر الآيتين ، فبكى يحيى بن عمر حتى [سالت دموعه على لحيته][2] ثم قال : « اللهم إن هذا القارئ ما أراد بقراءته رضاك ولا ما عندك ، وإنما أراد بذلك نقصى وعيبى ؛ اللهم فلا تمهله بعد ثلاث » ، قال : فيقال إنه ما بلغ ثلاثة أيام حتى مات فيها ، استجاب الله تعالى فيه دعوته »[3] .

---

(١) سبقت الاشارة الى « مسجد السبت » هذا ، ويعطينا المالكى فى الفقرات التالية معلومات طيبة عنه . وقد علق ابن ناجى على نص الدباغ بتفاصيل اخرى عن هـذا المسجد تزيدنا به علما ، قال : « وكان مسجد السبت يحضره الزهاد والعبـاد ، يقرا فيـه القارىء آية من كتاب الله عز وجل وبعض حكايات الصالحين ، وتنشد فيه الأشعار ، وهو الذى يسمى عندنا اليوم بالرقائق . فكان يحيى بن عمر راى ان هـذا بدعة لم تكن فى الزمن الأول ، فألف تاليفا فى وجوب عدم حضوره ، فكان لا يحضره ، وينهى عن حضوره . وكانت المشيخة فى زمانه على خلافه ، وتابعه على قوله الشيخ أبو الحسن بن القابسى ، رحمه الله تعالى ، وكان يقول : « يا قوم ، هذا القرآن يتلى والأحاديث النبوية ولا متعظ ، ويسمع الانسان بيتا من الشعر فيبكى ، هذا عجب ! » . وتبعه تلميذه ابو عمران الفاسى ، رحمه الله تعالى ، على ذلك . هكذا سمعته من شيخنا ابى الفضل ابى القاسم بن احمد البرزلى ، حفظه الله تعالى » . ثم قال بعد قليل : « فما سمى بمسجد السبت الا لعمل الرقائق فيه كل سبت خاصة ، وهو الذى يسمى عندنا بمسجد العربى ، سمى به لأنه كان يقوم به ، واسمه محمد ، وهو خارج القيروان بقرب تربة الشيخ أبى زمعة [البلوى] صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم » . (« المعالم » ، جـ ٢ ص ١٥٩ — ١٦٠) .

(٢) التكملة من « المعالم » جـ ٢ ص ١٥٩ .

(٣) ذكر الدباغ ان الرجـل عمى ، وقد علق على ذلك الخبر ابن ناجى بقوله : « وقال غـيره — اى غير المالكى — : كان ذلك باثر صـلاة المغرب . وليس فى كلامه ما يدل على انه عمى فورا ، فيحتمـل انه عمى بالقرب . وقال غيره : فوالله ما حمل الرجل من مكانه الا ميتـا ، ويقال انه مات من ليلته » . « المعالم » جـ ٢ ص ١٥٩ .

وذكر بعض الشيوخ أن يحيى بن عمر مضى إلى قرطبة من القيروان على دانق حتى رده على أهله . [فكلم فى ذلك فقال : « رد دانق على أهله][1] أفضل من عبادة سبعين سنة » . قال : « فمضينا إلى قرطبة ورجعنا فى سنة ، وبقيت معنا تسع وستون سنة ربحاً » .

ولما أمر السلطان بإنشاء المراكب للخروج فيها إلى صقلية هدم [2] الذين ينشئونها مقابر المسلمين ورفدوا [3] بها المراكب إلا قبر يحيى بن عمر ، ما جسر أحد على هدمه ، فكلم فى ذلك بعض السودان فقالوا : « إنا لنرى عليه نوراً عظيما ، فهو الذى منعنا من هدمه » . وكان ، رحمه الله تعالى ، لا يكاد يخرج عن مذهب مالك وأصحابه ، كثير النهى عن كل محدثة وبدعة .

وكان يشتد عليه أمر « مسجد السبت » ويود لو أنه هدم حتى لا يجتمع فيه أحد . وقد تكلم فيه بكلام شديد كثير . وخالف يحيى بن عمر من أصحاب سحنون جماعة [4] فى جميع ما ذكره ، فكانوا يحضرونه ويجتمعون فيه ، منهم أحمد بن معتب وغيره ، وفيه كانت وفاته . وحضره — (ص ١١١) ممن هو دون أحمد بن معتب فى الطبقة — أبو بكر بن اللباد وأبو بكر بن سعدون وربيع القطان . لكنه كان فى ذلك الزمان على خلاف ما هو عليه اليوم ، وذلك أنهم كانوا يحضرونه بالوقار والسكينة والخشوع وغزارة الدمعة وكثرة الصدقة والمعروف ، وكانوا يقولون فيه أشعار أبى معدان

---

(١) أسقط الناسخ هذه العبارة كلها ، وقد أخذتها من « المعالم » (ج٢ ص ١٦١) . اذ أن ابن ناجى أوردها فى تعليقاته على نص الدباغ ، وعبارته فى هذا الموضوع أوفى ، وهى : « وذكر انه رجع من القيروان الى قرطبة بسبب دانق كان عليه لبقال ، فكلم فى ذلك فقال . . . »

(٢) فى الأصل : فهدم .

(٣) رفدوا المراكب بمعنى ان اعوان السلطان ثقلوها برخام القبور ، حتى لا تلعب بها امواج البحر . على انى اعتقد انهم اخذوا رخامات المقابر لجعلها كورا لتقذف بها المنجنيقات ، وهذا لا يمنع من ارفاد المراكب بها . (ح . ح . عبد الوهاب) .

(٤) فى الأصل : جماعة وغيرهم ، فاستغنيت عن اللفظ الأخير لزيادته . وقد ذكر المالكى أسماء بعض هذه الجماعة بعد قليل . أما الدباغ فى «المعالم» (ج ٢ ص ١٦٠) فقد قال : « وكانت المشيخة فى زمانه على خلافه ، وتابعه على قوله الشيخ أبو الحسن القابسى ... »

فى الزهد والمواعظ واهوال يوم القيامة وصفات أولياء الله تعالى . ويركّبون عليها أعمالها (١) على طريق الحزن والخوف . وكان المتعبدون والصالحون إذا سمعوها استراحوا إليها بقلوبهم وانشرحت نفوسهم وانصرفوا منه وهم محزونون نادمون . ولقد ذُكر عن محمد بن فطيس المتعبد أنه قال : « كان الذين يحضرون « مسجد السبت » إذا خرجوا منه يُرى عليهم أثره إلى السبت الآخر » . حدّث أبو الحسن علىّ بن محمد الأنصارى عن أبيه قال : « حضرت مسجد السبت القديم وكان مبنياً بالطوب ، فقال القوالون أشعاراً فى الزهد ، فبكى الناس بكاءً عظيما حتى امتلأ المسجد بالبكاء وارتفعت أصواتهم ، فقال رجل جالس بجوارى : « لقد طاب المسجد اليوم » فقال له رجل كبير السن شيخ : « يا هذا ، [تغير] حال المسجد عما كنا عهدناه قبل هذا الوقت . أعرف أنى حضرته يوماً فقام ابن السامة (٢) فقرأ (أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمناً يوم القيامة ، اعملوا ماشئتم إنه بما تعملون بصير) فقام شاب من الركن يبكى ويصيح : « الأمان بالله ! » ؛ فرجع القارىء فى الآية من أولها ، فقال الشاب : « الأمان بالله ! » فرجع القارىء مرة ثالثة فصاح الشاب : « الأمان بالله ! » وخر ميتاً . رحمة الله تعالى عليه . فهكذا كانت صفة المسجد فى الزمان الذى كان يحضر فيه هؤلاء الأفاضل وأما فى هذا الوقت فهو على خلاف ذلك ، فلا ينبغى حضوره ولا السعى إليه ، ولا يحتج فى حضوره بمن حضره ممن قدمنا ذكره لأنهم لو أدركوا هذا الزمان لتركوا حضوره » .

ومن فضائل يحيى بن عمر : وأما استجابة دعوته وكثرة ذكره وحكمته وصنوف من كراماته فقد حدث أبو بكر الزويلى ، قال : ألف يحيى بن عمر كتاباً « فى النهى عن حضور مسجد السبت » وقال : كان قوم من الحريريين « بزقاق الروم » يكبرون فى « أيام العشر » ويرفعون أصواتهم بالتكبير ، وكان يحيى بن عمر يجوز عليهم إذا مضى إلى الجامع ويسمع تكبيرهم ، فنهاهم عن ذلك وقال لهم : « هذه بدعة » ، فلم ينتهوا . فيقال إنه دعا عليهم فصار ذلك المكان خراباً ، وأقام كذلك مدة ثم عمر بعد ذلك . وحدّث الحسن بن نصر قال (٣) : « قال لى يحيى بن عمر : « اكتب عندك : لا ترغب فى

---

(١) أى : يركّبون عليها أعمال الألحان ، وهذا اصطلاح معروف عندنا فى إفريقية والمغرب فى فن الأغانى الموسيقية والشعرية . (ح . ح . عبد الوهاب) .

(٢) كذا فى الأصل .

(٣) هو الحسن بن نصر الزعفرانى المتوفى سنة ٣٦٢ هـ . انظر عنه « المعالم » ج ٣ ص ٩٩ .

مصاحبة الإخوان ، فكفى بك من ابتليت بمعرفته أن تحترس منه . انفردوا بأهل العلم ، انفردوا » . وعن الحسن [بن نصر] عن يحيى بن عمر ، قال : « ليس شئ أضر على ابن آدم من النظر فى النجوم : يخرجه نظره فى النجوم إلى الدهرية » . حدث خلفون التونسى المتعبد بالمنستير ، قال : « كان يحيى بن عمر يأتى إلينا ، إلى المنستير ، يصوم رمضان ، وكان يحدثنا . فقلت له : « فهل حفظت شيئاً من حديثه تحدثنا به ؟ » فقال : « نعم ، مما حفظت عنه أنه قال – يرفع الحديث – أن الله تبارك وتعالى يقول : « يا عبدى ، تعمل عمل الفجار وتطلب منازل الأبرار ؟ إنك لا تحصد من الشوك الرطب ، كذلك لا تنال الفجار منازل الأبرار » . قال بعض المؤرخين : كان يحيى بن عمر كثيراً ما ينشد :

همت ولم أفعل ، ولو كنت صادقاً عزمت ولكن الفطام (١) شديد
ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة إليك انقطاعى ؟ إننى لسعيد (٢)

وقال يحيى بن عمر : قال بعض الحكماء : « التفاتة خير من دمعة (٣) » .
وأنشد يحيى بن عمر :

اخفض الصوت إن نطقت بليل والتفت بالنهار قبل الكلام (٤)

وكتب يحيى بن عمر رسالة إلى حمديس القطان وهى : « أرضاك الله بقضائه ، وأسعدك بقدره ، وأطال عمرك فى طاعته ، وأوزعك الشكر على نعمه ، حتى تكون الآجلة خيراً لك من العاجلة . ولولا ما انتهى إليك من ضعفى عن الخطو (٥) إليك لأكثرت من عيادتك ، ولكنت بذلك مسروراً مع جزيل الذى كنت آمله من ربى سبحانه على ذلك ، غير أنه قد أنهى إلىّ صاحبنا ، [أنك على] ما كنت عهدتك عليه ، ثم رأيتك فى آخر مرة وقد تماثلت عن حالتك الأولى فسرنى ذلك ، لما رجوت لك من تمحيص ذنوبك . وهذا أفضل ما يناله المؤمن فى الدنيا ويرغب إلى ربه فيه . وكذلك قال نبينا

---

(١) فى « المعالم » ج ٢ ص ١٦١ : الفراق .

(٢) فى الأصل : « اننى اذاً لسعيد » ، وقد قومتها من « المعالم » (ج ٢ ص ١٦١) .

(٣) فى الأصل : دمه . وقد قومتها على هذا النحو مستعينا بما يفهم من بيت الشعر الذى يلى ذلك فى النص . واظن ان المراد بهذا القول : التفاتة (بالنهار) خير من دمعة (بالليل) .

(٤) فى « المعالم » (ج ٢ ص ١٦٣) : قبل المقال .

(٥) فى الأصل : الخطا .

محمد، صلى الله عليه وسلم، سيد العالمين وإمام المتقين: «خير الناس من طال عمره وحسن عمله»، وأنا أسأل الله عز وجل أن يجعلنا وإياك منهم. وقد علمت حال أهل بلدك؛ فأنا أحب منك، كلأك الله، إظهار الصبر على ما تجد من العلة. وقد أعجبنى زَبْرك[1] بعض من عادك ممن لم تحب عيادته، ورجوت أن تكون قد وفقت فى ذلك لتشريد[2] غيره، لأنى أتخوف أن يكون بعضهم إنما يأتى إذا بلغه [أن] عندك شدة، فينهى مايرى للشامتين، فقد كان من بغيهم وإفكهم فى علتك التى قبل هذه أن أذاعوا موتك وملأوا به الأسواق والمساجد، حتى انتهى ذلك إلىَّ فى منزلى، فأحزننى وغمنى. ولم يزل الصالحون من سلف هذه الأمة يُبتلون بهم وينالهم منهم مثل الذى نالك، (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً)، الآية. وقال تبارك وتعالى: (يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير). وقد صح الحديث عن حذيفة، رضى الله تعالى عنه، أن المنافقين اليوم هم أشر من المنافقين الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم. قيل: «وكيف ذلك يا أبا عبد الله؟» قال: «لأن أولئك [كانوا] (ص ١١٢) إذ ذاك يكتمونه وهؤلاء اليوم يجهرون به». فهذا قول حذيفة، رضى الله عنه، فى زمنه؛ وفضل زمنه وأهله على زمننا وأهله [بيّن]، فالله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله. أعاننا الله وإياك على ماخلقنا له من طاعة، وأمدنا بالمعونة منه والتوفيق لكل مايحببنا له ويقربنا منه، إنه قريب مجيب. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

قال ابن حارث: قال لى محمد بن الليث: قال [لى محمد بن عمر][3] أخو يحيى ابن عمر: «كنت جالساً بتونس، إذ كان أخى متوارياً عن ابن عبدون، وكان القاضى بتونس عبد الله بن هارون الكوفى. قال: فما شعرت [إلا] أن أتانى رسوله فساء ظنى وجبنت نفسى»، قال: «فأتيته [فدخلت عليه][4] فتبين الذعرَ فىَّ، فقرَّبنى وَسكَّننى فسكنت، ثم ناولنى كتاب ابن عبدون فإذا فيه: «قد صح عندى أن يحيى بن عمر متوار بتونس فاطلبه، فإذا ظفرت به فأوثقه وابعث به إلىَّ مع من تثق به»، قال محمد:

---

(١) جاء فى القاموس المحيط: «الزَّبْر: الانتهار والمنع والنهى».

(٢) فى الأصل: لسر بده عره

(٣) التكملة من الجزء الرابع من «طبقات علماء إفريقية» للخشنى؛ ص ١٣٥.

(٤) أخذ المالكي هذا الخبر بنصه من ابن الحارث الخشنى، كما هو ظاهر، فراجعته على اصله (انظر «طبقات علماء افريقية» للخشنى، ص ١٣٧) وقومت نص المالكى واكملته.

« فاربدّ وجهي لذلك، فقال لي: «لا يسؤ[بي] ظنك، فلم أبعث إليك لمكروه، ولكني أعجّبك من ابن[1] عبدون: يريد مني أن آتي إلى إمام من أئمة المسلمين فأرسل به إليه ليمتهنه!» ثم قال لي: «إن كان أخوك بهذا البلد فهو آمن مني». قال محمد بن الليث: «فكانت هذه المكرمة مشكورة لعبد الله بن هارون الكوفي في أمر يحيي بن عمر».

وبعد استخفائه وطلب العراقيين له، انتقل إلى سوسة فمات بها، رحمه الله تعالى.[2] وقال أخوه عنه: كان أخي يحب سوسة ويحض على سكناها ويقول: «اللهم لا تكسبني ذنباً أستحق له الخروج من سوسة»، وكان يقول: «إنما هي عندي مثل الإسكندرية وعسقلان وهذه المواضع التي ذكر فضلها في الكتب». ولما توفي رثاه جماعة، ورثاه سعدون الورجيني[3] بمرثية وهي:

عين ألم بها وجد فلم تنم ... تبكي بدمع كقطر الدر منسجم
مدامع الصب أقلام تخط بها ... أيدي الصبابة ما بالقلب من سدم
لفظ الضمير لسان الدمع ترجمة ... حتى بدا كلُّ سر فيه منكتم
لولا المدامع لم يعلم بلوعته ... من يُخفِ تبريح[4] وجد غير منصرم
وهل يُلذ طعمُ النوم مقلةَ مَن ... كسته كف الرزايا حلة السقم
وكل جارحة من جسمه قدحت ... فيها يد البث نيراناً من الألم

---

(١) في الأصل: لابن عبدون.

(٢) توفي يحيى بن عمر – بحسب رواية الدباغ – سنة ٢٨٩. وقد علق على ذلك ابن ناجي بقوله: «قلت: في كلامه بتر من وجهين، أحدهما أن كلامه لا يدل على انه دفن بسوسة، لاحتمال أن يموت بها ويرفع ليدفن ببلده القيروان. وقد قال التجيبي وغيره: دفن بسوسة. والثاني، قال المالكي: وتوفي في ذي القعدة. وقال غيره: ويقال توفي في ذي الحجة. ولما وليت قضاء سوسة سالت عدولها عن قبره فقالوا انه غير ظاهر، وقال لي منهم سحنون الدكالي: «هو في هذه الناحية»، مشيراً لمكان بين الفصيل والسور، وليس له قبر ظاهر. وماذكره ضعيف، لأن ما تقدم من كلام بعض السودان يختص ان قبره في الجبان لا في الفصيل». («المعالم» جـ ٢ ص ١٦٤).

(٣) في الأصل: المرجسي، والتصويب من «المعالم» جـ ٢ ص ١٦٤. وكان الورجيني من الشعراء في عهد الأغالبة وله ذكر في «المدارك»، وكان نسبته الى بعض افخاذ القبائل البربرية. (ح. ح. عبد الوهاب).

(٤) في الأصل: يخفي تباريح.

لم يعـــدم الحزن إلا أن مهجتـــه   قد أُبدلت (١) من سرور العيش بالعـدم
تأبى الليـالى علينـــا أن تدوم على   جمع من الشمل أو سَدٍّ من الثُلَمِ
لا لوم إن كنت بعـد الثكل لم أنم   لو ذاق من لامنى ما ذقت لم ينم (٢)
أنى يجيب إلى داعى الكرى رجل (٣)   قد أفردته المنـــايا من ذوى الرحم
عجبت أن لم أمت حزناً وقد دفنت   كفـــاى فى الترب أتقى العُرب والعجم
يا موت أثكلتنـــا يحيى وكان فتى   [فى] بلده الغرب مثـل البـدر فى الظلم
ينجاب عنـــا به غيم الخنـــا ومتى   نقس به النـــاس فضلا كان كالعلم
ما كان إلّا سراجاً يستضـــاء به   فى العلم يسمع منــه العلم فى الحُلُم
وكان يحيى – إذا خفنـــا – لنـــا حرماً   نلجا إليـــه ، فقـــد صرنا بلا حرم
وكان يحيى لنـــا سيفاً يعز به الـ   ـدين الحنيف ويُحمى كل مهتضم
وكان يحيى لنـــا فى كل حادثة   فى الدين كالليث يحمى ساحة الأجم
وكان يحيى لنـــا فى الزائغـين إذا   ضلوا (٤) لسـاناً يبين الحق عن أمم
وكان يحيى لنـــا حرزاً ، وكان لنـــا   كنزاً ، وكان [لنـا] (٥) كالغيث فى الأزم
لتبك يحيى عيـــون بالدموع فإن   غاضت مدامعهــا فلتبكه بدم
أبكى مَن العلم والتقوى به اجتمعـا   ومن مضى وهو أوفى النـاس بالذمم
أبكى مَن الحلم ثوبٌ كان يلبســه   أبكى علـى طاهر الأخـلاق والشيم
أبكى فتى الدهـر ، أبكى شـيخ كـ   ـل حجى ، أبكى أخا الفضل ، أبكى معدن الكرم
من كان [من] بعـد سحنون لنـا خلفـاً   من كان فى الحق مثـل الصارم الخذم
من كان يقفـو من الأخيـار أثرهم   من لم يكن فى الدين يروى [قول] متهم
من كان ذا ورع ، من كان ذا أدب   من كان ذا فطن ، من كان ذا فهم
بل ما ابتغى العـلم إلا من معـادنه   يلقى الثقـات وينـأى عن ذوى التهم
كم من فتـــاة رآها فى حداثتـــه   لم يلتفت نحوهـا خوفـاً من النقم
فغض طرفاً عفيفـاً عنـد رؤيتهـا   مخافــةً من عتـاب الله والنقم

---

(١) فى الأصل : أبقيت .   (٢) فى الأصل : اثم .
(٣) فى الأصل : انى يجبب الى حب الكرى رجل .
(٤) فى « المعالم » جـ ٢ ص ١٦٤ : صالوا .
(٥) التكملة من « المعالم » جـ ٢ ص ١٦٤ .

صحيـــــة ركبت فيـــــه ومعرفـــة بالله لا كامــــرىء فى الغىّ مقتـــحم
ما كان أشجعـــــه ، ما كان أورعـــه ما كان أفصـــحه فى محفـــل الكلم
ما كان أرغبــــه فى ســـنة درست يشـــيدها ببنــــاء الحاذق الفهم
ما كان أفهمـــه ، ما كان أعلمـــه ما كان أحمـــاه عنـــد الخوف للحرم[1]
ما كان أطهر تلك النفس مـــن ريب ما كان أكتب تلك الكف بالقـــلم
ســـقاك يا قـــبر يحيى عارض لجب ســـح الرذاذ كريم الوبـــل والديم
مبـــارك الظل يكســـو الأرض أردية كالوشى يلقى عـــلى القيعـــان والأكم
يا رب ! صـــاحب هذا القـــبر خادمـ ـاك المعروف بالنصح والإحسان فى الخدم
أتاك ضـــيفاً فلا تجعل قراه ســـو ى الرضـــوان ، إنك ذو فضـــل وذو كرم
وارحمـــه يا رب ، وسّع ضـــيق حفرته فإنـــه طالمـــا ناجـــاك فى الظـــلم[2]
[و]لا تؤانســـه فى اســـتيحاشه بســـوى حور القصـــور بدار الخلد فى الخيم[3]
واعصـــمه من فتنـــة فى القـــبر يعلمهـــا يا رب ، إنك ملجـــأ كل معتصم
قرّبه من عرشك العـــالى لمذهبـــه يا رب ، إنك فـــوق العـــرش من قـــدم
وأحظـــه ينظـــر إلى ما كان يوقنـــه من نـــور وجهك يا ذا العـــز والعظم
احفظـــه ، أكرمـــه . ألحقـــه بهمتـــه اقرر له عينـــه ، أغدقـــه بالنعم
كم داوم الصمت أحيـــاناً وحسن تقى فإن تـــكلم أبـــدى لفظ محتشم
ما داوم الصـــمت إلا خوف مقتك يا جبـــار ، ما ذاك من عىّ ولا بـــكم
واحفظـــه للعـــلم وانفعنى بـــه وإذا جزت الصـــراط فثبت فوقـــه قـــدمى
أعظم بيحيى له أجـــرى وصن بـــدنى من حر نار تعيـــد النـــاس كالحمم
(ص١١٣) [يارب] هبنى له ، يامنتهى أملى أجر الشهيد ، وأسفكْ فى رضـــاك دمى
أحببتـــه فيـــك للزلفى لديك بـــه ما بيننـــا رب من قـــربى ولا رحم

---

(١) فى « المعالم » جـ ٢ ص ١٦٥ ، وفى الأصل :
ما كان أعلمـــه ما كان أحيـــاه ما كان أصدقه فى الخوف للحرم

(٢) فى « المعالم » جـ ٢ ص ١٦٥ ، وفى الأصل :
واحمه يا رب وسع ضيق حفرته فانه طـــال ما جال فى الظلم

(٣) فى « المعالم » جـ ٢ ص ١٦٥ ، وفى الأصل :
ولا تونسه فىاستيحاشه بسوى حور قصر بدار الخلد فى الخيم

١٦١ – ومنهم أبو جعفر احمد بن أبى سليمان داود الصواف(١) الفقيه، رحمة الله تعالى عليه.

وكان حكيما ينطق بالحكمة (٢). وذكر عنه أنه كان قوم أندلسيون يسمعون على أحمد (٣)، وكانوا يؤملون الحج، فحضرهم وقت الحج وبقيت عليهم كتبه، فسألوه أن يصبر عليهم ويجلس لهم حتى يتموا ما بقى عليهم فى هذه الأيام اليسيرة، فقعد لهم يوماً فضاق، وقعد لهم يوماً ثانياً فضاق، فقال فى اليوم الثالث:

سألبس للصبر ثوباً جميلا وأفتل للضجر حبلا طويلا
وأصبر بالرغم لا بالرضا أخلص نفسى قليلا قليلا

وهما من قول أبى جعفر أحمد (٤).

قال أبو جعفر أحمد بن أبى سليمان، فيما أوصى به لطالب العلم: يا طالب العلم، إذا طلبت العلم فاتخذ له قبل طلبه أدباً تستعين به على طلبه، واتخذ له بعد طلبه أدباً تستعين به على حمله. ومن أدب العلم الحلم. والحلم كظم الغيظ. وأن يغلب علمك

---

(١) أضاف الدباغ الى اسمه: الربعى. «المعالم» جـ ٢ ص ١٣٧.

(٢) روى الدباغ هذه العبارة فى «المعالم» (جـ ٢ ص ١٣٨) واسندها الى عيسى بن مسكين، ونصها عنده: «وقال عيسى بن مسكين: احمد بن ابى سليمان حكيم، لأن أكثر كلامه حكمة، وكان قد نقش خاتمه: احمد، تفكر تعتبر».

والترجمة فى النص مبتورة، فليس فيها ذكر لدراسته او لشيوخه وتلاميذه، وقد ذكر «الدباغ» ذلك، وعبارته هى:

«سمع من سحنون عشرين سنة حتى مات، فكان يقول: اتى بى ابى الى سحنون سنة سبع عشرة ومائتين لأسمع منه. فاستصغرنى سحنون، فأجاز لى جميع كتبه. ثم جئت بعد ذلك فلزمته كما تقدم. وسمع منه جماعة منهم ابو محمد عبد الله بن مشرور التجيبى، وابو الحسن على بن محمد بن مسرور الدباغ، وأبو ميسرة أحمد بن نزار، وابو بكر محمد بن محمد بن اللباد، وأبو العرب محمد بن أحمد بن تميم، وحبيب بن الربيع مولى أحمد، ومحمد بن زرقون، ومحمد بن عمران الطرزى، وحسين بن احمد بن معتب، ومحمد بن احمد بن نادر، وعالم كثير». ثم ذكر بعد ذلك انه كان فى اول امره يطلب الشعر ثم تحول عنه الى الفقه فى خبر لطيف. «المعالم» جـ ٢ ص ١٣٧ – ١٣٨.

(٣) الأصح هنا ان يقال: «عليه».

(٤) اى من شعر صاحب الترجمة نفسه.

وحلمك هواك إذا دعاك إلى ما يشينك . وعليك بالوقار والتعفف والرزانة والصيانة والصمت والسمت الحسن ، والتودد إلى النـاس ومجانبة من لاخير فيـه ، والجلوس مع الفقهاء ومحبة الأخيـار ، ومنابذة الأشرار والقول الحسن فى إخوانك والكف عمن ظلمك . ولاتهمز أحداً بقول ولاتلمزه ولاتقل فيه ولوكان عدوك . فإن فعلت ذاك شرفت عند العقلاء ، وعرفت حقك الجلسـاء ، ولحقت بالعلماء ، وهابك السفهاء ، وحللت محل الأبرار ، وبرئت من الأشرار . فافهم وتفهم واستعن بالله يعنك [الله] (١) » . قال أبو الحسن علىّ بن محمد (٢) : وجدت رقعـة فى مسجد أحمد بن أبى سليمان مكتوب فيها :

يا لذة قصرت وطال بلاؤها	عند التذكر فى الزمان الأول
لـما تذكرها وقال ندامة	من بعدها : يا ليتنى لم أفعل!

قال : فقلت لأحمد : « أهذه من قولك » ؟ قال : « نعم » .

قال أحمد [بن أبى سليمان] : رأيت فى منامى كأن صحن مسجدى امتلأ زبلا ، ورجلان فى ناحية منه يتحدثان باليهودية (٣) ، فلما أصبحت جاء رجل فأخذ مفتاح المسجد فأذن ، فقمت فخرجت إلى المسجد فإذا صحنه ملىء بناس متبيضين ، فلما صلوا أتوا إلىَّ فقالوا لى : نحن الصيارفة (٤) أمرنا عبد الله بن أحمد بن طالب أن لا نصرف من أحد حتى تنظر فى « كتاب الصرف » (٥) ، [فقرأته لهم قراءة تبيين لـما دل عليه من المعانى ، (٦) ولوكانوا يفهمون لأنفسهم لطلبوا الكتاب خاصة] .

---

(١) التكملة من « المعالم » جـ ٢ ص ١٣٩ .

(٢) هو ابو الحسن على بن محمد بن مسرور العبدى الدباغ ، من كبار تلاميذ أحمد بن أبى سليمان صاحب الترجمة ، كان من كبار أهل العلم والورع والعبادة فى زمانه ، وقد توفى سنة ٣٥٩ . (أنظر « المعالم » جـ ٣ ص ٩٣ ـ ٩٧) . وهو غير الدباغ مؤلف « المعالم » (أبو زيد عبد الرحمن ابن محمد بن علىّ الانصارى الأسيدى المتوفى سنة ٦٩٦ هـ) .

(٣) فى الأصل : باليهودة .

(٤) فى الأصل : نحن الصارفه . والتصويب من « المعالم » جـ ٢ ص ١٣٨ .

(٥) فى « المعالم » (جـ ٢ ص ١٣٨) : حتى نسمع منك كتاب الصرف .

(٦) التكملة من « المعالم » (جـ ٢ ص ١٣٨) ، وقد علق ابن ناجى على ذلك بقـوله : « وفى كلام الشيخ بتر ، لانهم قالوا : « أمرنا ابن طـالب الا نصرف من احـد حتى نسمع كتاب الصرف » ، وليس فى كلام الشيخ ما يدل على هذا . ولما كان « الصرف » من أضيق الأبواب وذنبه أحق من غيره ، فعل بهم هذا دون غيرهم من سائرالباعة » . (« المعالم » جـ٢ ص١٣٨ـ١٣٩) .

قال أحمد : فأتى إليّ رجلان منهم فسألانى عن مسألة فقلت لهما : « لا تحل ، فإنه رباً » فقالالى : « فإن ابن الأشج[1] قال لنا : أديروا بينكم ماشئتم [من] بيع حرام ، ثم تعالوا إليّ أجعله لكم حلالا » فقلت لهما : « لا حول ولا قوة إلا بالله ؛ حرام ، حرام ! قوماً عنى » . وكان ابن الأشج هذا عراقياً . وكان إذا أراد أن يجوّز الربا بين [اثنين] من الناس يقول لأحدهما : خذ هرًّا فاجعل فى عنقه خمسين ديناراً . وبعه بمائة إلى أجل ، فإذا [أخذ] الهرّ المشترى له وأقام عنده أياماً فامض إليه وقل له : « عسى ذلك الهر ترده إلينا ، فإن الفيران قد أكلونا » ، فيرده إليه ؛ فكان هذا فعله مع الناس .

وقال أحمد : دخل عليّ بكر بن حماد فتحدث عندى ساعة ، فقلت له : « أيش قلت ؟ » فقال : « قلت هذه الأبيات :

نهــار مشرق وظلام ليــل ... ألحّا بالبيــاض وبالســواد
هما هدما دعائم عمر نوح ... ولقمان وشــداد وعاد
فيــا بكر بن حماد تعجب ... لقوم ســافروا من غير زاد[2]
تبيت على فراشك مطمئنــاً ... كأنك قد أمنت من المعــاد
فيا سبحان من أرسى الرواسى ... وأوتدها على السبع الشــداد

قال أحمد بن أبى سليمان : فلما انتهى إلى هذا البيت قلت له : « أمسك ، رفعت الجبــال فوق السموات وأنزلت السموات تحت الجبال ! » فقــال لى : « وكيف ذلك ؟ » فقلت له : « اقرأ سورة عم يتســاءلون » . فقرأها حتى انتهى إلى قوله تعالى (وبنينــا فوقكم ســبعاً شداداً) فقا[ل لى] : « والله لقد أنشدته بالعراق ومصر وتاهرت والقيروان ، فما فهمه أحد ، وقد كسرته أنت فأصلحه » ، فقلت له : « أفلا قلت : فأوتدها مع[3] السبع الشدا[د] ؟ » ، قال : فقال لى : « قد أصلحت ما أفسدت » . وله أشعار كثيرة . وقال أحمد :

---

(١) أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن الأشج الفقيه ، وكان حنفى المذهب ، توفى سنة ٢٨٦ . انظر « المعالم » جـ ٢ ص ١٥٦ وفهرس طبقات أبى العرب .

(٢) فى الأصل :

فيــابكر بن حماد ألا تعجب ... لقوم ســافروا بغير زاد

(٣) فى الأصل : « على » دون تغيير للنص الأول للبيت ، وقد استبدلت « على » بمع لكى يتفق المعنى الجديد مع التصويب الذى اراده بكر بن حماد .

ولما محا [1] عمرى ثمانين حجة وأيقنت أنى قد قربت من المدى
تركت تكاليف الحياة لأهلها وجانبتها طوعاً مجانبتى الردى
رأيت حليم القوم فيهم مقدماً ومن نال علماً وجاهاً وسؤددا
أرانى بحمد الله فى المال زاهداً وفى شرف الدنيا وفى العز أزهدا
تخليت عن [2] دنياى إلا ثلاثة دفاتر من علم وبيتاً ومسجدا
غَنيت بها عن كل شىء حويته وكنت بها أغنى وأقنى وأسعدا
وقد ذم قوم ما فعلت جهالةً فعُدوا مع الجهال فى الجهل أبعدا [3]
ولو فهموا رأيى وأمرى لأبصروا وقالوا: [رأى] [4] رأياً سديداً مسددا
ألم تر أن الدهر أوقر أهله هموماً وأن العيش صار منكدا
فما حل يوم فيه إلا بفجعة وأنت لأخرى فيه منتظر غدا
وما فرحة إلا ستبقى ترحة وما صاحب إلا سيصبح مفردا
وكم قد رأينا من عزيز مشرف يبيت مقراً بالضلالة [5] مجهدا
فجته [6] المنايا وهو فى حين غفلة فأضحى ذليلا فى التراب موسدا [7]

وقال أيضاً فيما حدثناه غير واحد من أصحابنا ، رضى الله عنهم أجمعين :

ولما محا عمرى ثمانين حجة هجرت تكاليف الحياة لما [8] فجا
ولاقيت أترابى: فأحدب [9] ماشياً وآخر مكفوفاً ، وآخر أعرجا
تمنيت طول عمرى حيًّا مؤدباً [10] وأسلك فى التعليم للعلم منهجا

---

(١) فى الأصل : فجا .
(٢) فى الأصل : من .
(٣) فى الأصل : أحمدا .
(٤) أضفت هذه الكلمة ليستقيم الوزن.
(٥) فى الأصل : « يبيت مقرا فى الصاب مجهدا » وقد قومته على هذا النحو ليستقيم الوزن .
(٦) اي : فجاءته او ففجاته .
(٧) اخطا الناسخ فى نسخ بعض كلمات فى الأبيات الآتية واسقط بعضا آخر ، فانكسر الوزن واختل السياق فى غير موضع . وقد صوبت الخطأ واكملت النقص بما يستقيم به الوزن والسياق .
(٨) فى الأصل : كما .
(٩) فى الأصل : كاحدب .
(١٠) هذا المصراع مكسور هكذا ، وربما استطعنا تقويمه هكذا : « تمنيت ان اقضى حياتى مؤدبا » .

وخالط عينيّ العشا بعد حدة ... وصار لساني إن تكلم لجلجا
وفي أذني وقر، وظهري (١) به حنا ... وما أبتغي مما أنا فيه مخرجا
رأيت الذي قد كنت [فيه] لدى الصبي ... من الشيب [عند] الشيخ أشنا وأسمجا(٢)
(ص١١٤) وأصلح أزماني [أوان] زماني ... لزمت العصا من بعد مشي تبرجا
وأصبحت مما كنت أبغي (٣) من الغنى ... إلى الزهد في الدنيا الدنية أحوجا
وَحَبَّسْتُ نفسي بين بيتي ومسجدي ... وقد صرت مثل النسر، أهوى التعرجا
كأني بهم قد أعلنوا بعدي البكا ... إذا أنا صرت في المدارج مدرجا(٤)
وفي حين يقبضني (٥) وفي قول بعضهم ... لبعض: توفي الشيخ وانقطع الرجا
فيا خير مرغوب إليه لراغب ... ويا خير من يلجا (٦) إليه من لجا
كما لم تضعني، رب، منذ خلقتني ... قني في معادي حر نار تأججا

وله من قصيدة طويلة يقول فيها:

تفهم ما حييت — هديت — قيلي ... تنال بفهمه خيراً كثيرا
سمعتك تذكر الشعر[اء] طراً ... وتنشد قولهم (٧) جمًّا غفيرا
وليس (٨) مؤلف قولا حكيما ... كآخر قائلا إفكاً وزورا
يزخرف (٩) قوله لينال دنيا ... إذا ما نالها نال الغرورا
فلا تشغل (١٠) بقول غير قيلي ... فما في النفع كان له نظيرا
ودع عنك المذاهب وَاتَّبِعني ... متابعة (١١) تجد خيراً كثيرا
فقيه الناس سحنون تجدني ... بأكثر (١٢) علمه نفعاً خبيرا

---

(١) في الأصل: وقرا وطوى.
(٢) في الأصل: الشيب والشيخ.
(٣) في الأصل: ابتغى.
(٤) في الأصل:
كأني بهم وقد أعلنوا البكا ... اذا انصرفت في المدارج مدرجا
(٥) في الأصل: يعصمني.
(٦) في الأصل: يلجى.
(٧) في الأصل: فوه لهم.
(٨) في الأصل: وانس.
(٩) في الأصل: ترحف.
(١٠) في الأصل: تشتغل.
(١١) في الأصل: ... وابتغي * متابعتي ...
(١٢) في الأصل: .. سحنون تجدني * لأكثر ...

وفى فقه الفقيه أبى سعيد وجدت الحق متضحاً نضيرا (١)
وفى تعليمه علماً عليا وفى تأديبه ستر[اً] ستيرا
لزمت فناه [من] عشرين عاماً أغاديه وأغشاه هجيرا
وكنت مؤدباً نفسى لنفسى على نفسى أجنبها النكيرا (٢)
فنلت من العلوم لطول عمرى وإمضائى وتجربتى الدهورا
وحزت من السلامة ما كفانى ووقانى وبلغنى السرورا
ولم ألبس لذل الفقر ثوباً ولم أك فى الغنى بطراً فخورا
ولم أجزع وللأيام صرف يعود عسيرها سهلا يسيرا
ولم أفرح لأن لها انقلاباً يعيد (٣) يسيرها صعباً عسيرا
وإنى ، إن توالى الفجع ، جلد [على أحداثها أغضى] (٤) صبورا
ولا أبدو لنائبة خضوعاً ولا متضعضعاً جزعاً ضجورا (٥)
وإن أودعت سراً كنت حرزاً ولم أخبر بذاك أخاً وزيرا
إذا كان الفتى عنى غنياً فلست إليه محتاجاً فقيرا
أواصله ، إذا يبغى وصالى (٦) وأمنحه – إذا قطع – الدبورا
وليس من الجميل يُرى كبير يتابع مدبراً حدثاً صغيرا
أرى الدنيا تغيرها الليالى وأياماً مؤلفة شهورا
أرى يوماً يجيء بكل خير ويوماً بالحوادث مستطيرا
كذا أحوال دهرك : حال أمن (٧) وحال تجزع البطل الجسورا

---

(١) فى الأصل : * حديث بالحق منصحا تعبيرا ·

(٢) فى الأصل : النكيرا ·

(٣) فى الأصل : ··· انقلاب * يعود ·

(٤) فى الأصل :
وانى وان توالى فجعها لجلدا [ ] صبورا

(٥) فى الأصل :
ولا أنا وان نابت نايبة خضوعا ولا متضعفا جزعا صجورا

(٦) فى الأصل :
أواصله اذا ابتغى وصلى ومالى

(٧) فى الأصل : أمر ·

وكم ملك عظيم ذى(١) اختبـال   أعـد خزائنـاً وبنى قصـورا
وكان مـداه ذا خطر عظيم   فصـار مؤجلا أجلا قصيرا
ومن ذاك التملك والتعالى(٢)   وسكنى قصره ، سكن الحفيرا
وأضجع فى التراب بلا مهاد   بضيق اللحد منجدلا عفـيرا
وكم من طالب للمال [يسعى]   ويركب فى مطالبـه البحورا
فصار يود لو أن كان أضحى   على تفريق ما يحوى(٣) قديرا
وعاد يود أن لو كان أمسى   وليس بمـالك(٤) منه نقيرا
وقد حبس اللسـان فلا كلام   وقد سمع الصياح المستطيرا
فإما مؤمناً(٥) يرجو خلاصاً   وإما كافراً يصلى سـعيرا
فويل للشقى إذا تـردى   وصار إلى التى ساءت مصيرا
إلى نار تلظيها شـديد   وتزفـر فى تغيظها زفـيرا
وطوبى للسعيد إذا حباه   إلـه العرش فى الفردوس حورا
وطاب له جنان الخلد حالا   كما حلى مع الذهب الحريرا(٦)
وصـار شرابه من سلسبيل   وأنهـار مفجرة خمـورا
أرانى قد كبرت ور[ق] عظمى   وصرت مخامراً(٧) ضراً ضريرا
كأنى بالبـكاء علىّ فاش   وقـد حملوا بجثتى السريـرا
إلى دار البلى حملا سريعاً   وينصرفون عن قبرى نفـورا
وخلونى بأعمالى ، فـروحى   على الحالات تنتظر النشورا
أجرنى من عذابك واعف عنى   وكن لى منك يا أملى مجيرا
فإنى قد كبرت ورق عظمى   لجأت إلى فنائك مستجيرا
وإنى لم أزل أرجوك(٨) عفـواً   لأنك لم تزل رباً غفـورا

---

(١) فى الأصل : ذو .
(٢) فى الأصل : التعاطى .
(٣) فى الأصل : حوى .
(٤) فى الأصل : يملك .
(٥) فى الأصل : مؤمن .
(٦) فى الأصل :
وطاب له فى جنان الخلد حالا   لما أحل له مع الذهب الحريرا
(٧) فى الأصل : مجامز .
(٨) فى الأصل : أرجوا منك .

١٦٢ - و[منهم] (١) **أبو عبد الله محمد بن زرزر** (٢) الفقيه .

كان عالماً بمذاهب أهل الكوفة وبجميع الأقاويل (٣) . وله مناقب جليلة ، ومن ذلك : ذكر أنه حضر جنازة وحضرها « أبو المنهال » (٤) ــ وكان عظيم الجاه رفيع القدر ــ فسأله ابن زرزر عن مسألة فأخطأ ، ثم ثانية فأخطأ ، فقام ابن زرزر قائماً على قدميه ثم كبر وصلى عليه كما يصلى على الميت ، وقال له : « أنت أولى أن يصلى عليك من هذا الذى حضرنا جنازته » .

وفعل مثل ذلك بسليمان بن عمران القاضي . وذلك أن ابن زرزر كان يستخف

---

(١) فى الأصل ، فى موضع « ومنهم » هذه ، عبارة : « وفيها توفى » ، والاشارة الى سنة ٢٩١ هـ . التى توفى فيها ابن زرزر . أى أن المؤلف انتقل هنا فجاة من تقسيم الرجال الذين يترجم لهم الى « طبقات » يذكر فى كل طبقة منها رجالها ، الى طريقة الوفيات مرتبة على السنين ، فيذكر كل سنة وأعلام من توفوا فيها . وهذه هى الطريقة التى جرى عليها أبو بكر ابن محمد المالكى فى كتابة الجزء الثانى من الرياض .

ولا يعلل ذلك الا بأن أبا عبد الله المالكى ــ الأب ــ وقف بالكتاب عند ترجمة أحمد بن أبى سليمان ، فقام ابنه أبو بكر باتمام الجزء الأول متبعا نظام الوفيات ، ومضى على ذلك النظام فى تاليف الجزء الثانى كله . (انظر مقدمة الكتاب) . ولهذا رأيت أن أستبدل « وفيها توفى » بعبارة « ومنهم » حتى يجرى نظام هذا الجزء على وتيرة واحدة .

(٢) جعل محمد بن الحارث بن أسد الخشنى اسمه أبا العباس بن زرزر . (انظر « طبقات علماء افريقية » جـ ٦ ص ١٩٠) .

وقد ذكره الدباغ فى « المعالم » (جـ ٢ ص ١٦٦) باسم « أبو عبد الله محمد » ، كما فعل المالكى ، وعلق على ذلك بقوله : « كذا قال شيخنا ، وذلك (فى الأصل : وكذلك) يوهم أن زرزر اسم ، وليس كذلك ، وانما هو لقب واسم ابيه عبد الرحمن بن سلم بن اراب بن سهيل الفارسى . قال المالكى : « ان سهيلا صحب أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، رضى الله عنه » .

(٣) أورد الدباغ فى « المعالم » (جـ ٢ ص ١٦٦) هذه العبارة بنصها ، ثم قال بعد ذلك : « حتى يقال انه شرب دواء للحفظ ، فعرض له وسواس فى بعض الأوقات » . والغالب أن هذه العبارة للمالكى نفسه ، وكانت فى الأصل فأغفلها الناسخ .

(٤) كان من شيوخ العراقيين . (انظر ما يقوله عنه محمد بن الحارث الخشنى فى كلامه من العراقيين فى الملحق الخاص بهم فى آخر هذا الكتاب) .

بسليمان لقصر فهمه فى العلم . فلما تغير عقل ابن زرزر وجد سليمان سبيلا فحجر عليه ، ثم بعث إليه يوماً يخير [ه] (١) فى تزويج امرأة أو شراء جارية وفى غير ذلك من شراء وبيع وغيره . فقال ابن زرزر للرسول : « يكون نجوانى له مشافهة » ، فأتاه فقال له : « أقول لك : إن كنت حربتنى (٢) وأنا عندك سفيه غير رشيد فقد أخطأت إذ خيرتنى ، وإن كنت عندك رشيداً غير سفيه فقد أخطأت فى حجرك علىّ » ، ثم كبر عليه أربع تكبيرات كما يكبر على الميت وانصرف . فأطرق سليمان ولم يتكلم .

وكان ابن زرزر حافظاً للغريب بصيراً بالعربية [راوية للأشعار يحسن الصنعة لها جيد القول فيها] (٣) . وشعره كثير جداً ، وأكثره فى توحيد الله عز وجل والرد على الزنادقة والملحدين (ص ١١٥) والكذابين ، فمن قوله :

تهتك الستر عن ذى الغىّ (٤) والفند — وحصحص الحق بعد البغى (٥) واللدد
وأيقن المشرك الداعى له ولداً — بأنه (٦) الله لم يولد ولم يلد
لا موت يدركه ، لا شىء يشبهه — يُبلى الأباد (٧) ولا يَبلى على الأبد
ويح ابن آدم من عاص يخالفه (٨) — ومن مصر على الآثام معتقد (٩)
وفى الخلود نعيم غير منصرم — باق بقدرته ، (١٠) باق بلا (١١) أمد

---

(١) اى : يستشيره .

(٢) الحَرَب : ان يسلب الرجل ماله . (اللسان ، جـ ١ ص ٢٩٤) .

(٣) التكملة من « المعالم » جـ ٢ ص ١٦٧ .

(٤) فى الأصل : البغى .

(٥) فى « المعالم » (جـ ٢ ص ١٦٧) : أهل البغى .

(٦) فى الأصل : انه .

(٧) يريد : الآباد ، جمع أبد . وقد جعلها صاحب « المعالم » (جـ ٢ ص ١٦٧) :
تبلى الأبوة لا يبلى على الأبد .

(٨) فى « المعالم » (جـ ٢ ص ١٦٧) : لخالقه .

(٩) فى هامش الاصل هذه العبارة : لو قال معتمد .

(١٠) فى الأصل : بقدرة .

(١١) الأصل : غير ذى امد . والتصويب من « المعالم » (جـ ٢ ص ١٦٧) .

قال أبو العباس محمد بن الوليد : « تسمعت إلى ابن زرزر يوماً وهو يقرأ حتى انتهى إلى قوله عز وجل (دعواهم فيها سبحانك اللهم) ، فقال : دعواهم كلامهم الذى يقولون ويولعون به ، وهجير الرجل الكلمة التى يولع بها ويرددها . وكان هجير عمر بن عبد العزيز :

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه   فلما علاه، قال للباطل : ابعدِ

ثم ذكر هجير الفقراء ، قال : وكان هجير أبي حنيفة :

كفى حزناً ألا حياة هنية   ولا عمل يرضى به الله صالح[1]

١٦٣ — و[منهم][2] **ابو هارون الأندلسى** المتعبد بالمدينة الشريفة حرسها الله تعالى . ودفن حذاء مسجد « فاطمة » . رضى الله تعالى عنها . فى « البقيع » جوار الحسن بن على ، رضى الله تعالى عنهما .

كان صالحاً فاضلا مجتهداً فى الدعاء والعبادة . تخلى عن الدنيا وباين أهلها واشتغل بعبادة ربه عز وجل ، والانقطاع إليه والاستئناس به والاستيحاش من خلقه . مفتقراً إليه متوكلا عليه . وذكر عنه أنه ما اغتسل من جنابة قط : كان حصوراً لا يأتى النساء .

وذكر عنه أنه قيل له فى علته التى مات فيها : « لو تعالجت ! » فرفع رأسه إلى السماء وقال : « إلهى وسيدى ، قد أعطيتك من نفسى عهداً أنى لا أخالفك أبدا » ، ثم حول وجهه إلى الحائط وقال : « آه ، واشوقاه إلى حبيب إذا غضب عفا

---

(١) توفى ابو عبد الله بن زرزر ، على قول الدباغ فى « المعالم » (ج ٢ ص ١٦٨) ، سنة ٢٩١ هـ . وترجمته هنا ناقصة . والمادة عنه أوفى فى « المعالم » (ج ٢ ص ١٦٦ — ١٦٨) و « الطبقات » (ج ٦ ، ص ١٩٠) للخشنى ، ومعظمها يدور حول قوة حفظه ومسالة الدواء الذى قيل انه كان يتعاطاه للحفظ . وقد علق على ذلك الدباغ بقوله : « اراد بالدواء : البلاذر . وذكر انه قيل له ذلك ، فأخرج كتابا فى كمه ، فاذا فيه : قرأته خمسمائة مرة ، فقال : هذا هو البلاذر » . (« المعالم » ج ٢ ص ١٦٦) .

(٢) هنا أيضا كان فى موضع « ومنهم » عبارة : « وفيها توفى » من غير تعيين لتلك السنة .

وإذا رضي شفى » . [قال أبو عقال] (١) : « فلما احتضر وضع رأسه فى حجرى ودموعه تنحدر وشفتاه تتحركان . فنظر إلىّ وأنا أبكى فقال لى : « يا أبا عقال ، لم تمر أعمال القوم باطلا . برك كل واحد على ما عمل » ، ثم فاضت نفسه » .

وكان يسأل الله عز وجل أن يجعل قبره بالبقيع . قال عمران بن حفصون : كنت فى حلقة حماس بن مروان (٢) القاضى حتى دخل عليه رجل عليه مرقعة صوف ، فقام إليه وأجلسه موضعه وحول وجهه إليه ، ثم جلس معه ساعة وخرج ، فقام حماس معه فقال له : « يا سيدى لا تفعل » فقال : « هذا فرض علىّ » . فقال له الطلبة وابنه (٣) سالم : « يا سيدنا ، من أين هذا الرجل ؟ » فقال لهم : «هذا أبو هارون الأندلسى ،

---

(١) أضفت اسم راوى هذا الخبر ليستقيم الكلام ، وقد أخذته من السياق . وهو ابو عقال بن علون صاحب أبى هارون الاندلسى وملازمه فى العبادة بالحجاز ، وقد توفى سنة ٢٩١ هـ . (انظر ترجمته رقم ١٦٤) .

ولم يذكر الدباغ أبا هارون الأندلسى ، ولكن ابن ناجى ذكره فى تعليقاته على نص الدباغ ، قال : « قلت : واما ابو هارون الأندلسى فظاهر كلام الشيخ انه لم يسكن القيروان ، ولو سكنها لعرف بها (فى الأصل : به) لانجرار ذكره ، وانما كان يأتيها زائرا . ومن لم ينتصب لتخصيص القرويين كالمالكى والتجيبى عرّفا به ، قالا : ذكر عنه انه ما اغتسل من جنابة قط ، وانه كان حصورا ، ولما حضرته الوفاة وضع راسه فى حجر أبى عقال وفاضت نفسه. ودفن قدام مسجد فاطمة بنت النبى،صلى الله عليه وسلم تسليما ، فى البقيع جوار الحسين بن على ، ودفن فى السنة المذكورة أعلاه **فى نقل المالكى** وقال التجيبى : مات فيها أو فى السنة التى قبلها » . (« المعالم » ج ٢ ص ١٥٤ ـ ١٥٥) .

ويرى من العبارة الأخيرة بوضوح أن كتاب المالكى كان يضم تواريخ الوفيات ، وقد حذف معظمها فى النسخة التى بين أيدينا . ولهذا حرصت على أن أضيف هذه التواريخ فى التعليقات .

(٢) هو القاضى أبو القاسم حماس بن مروان بن سماك الهمدانى المتوفى سنة ٢٠٢ أو ٢٠٣ أو ٢٠٤ . انظر « المعالم » (ج ٢ ص ٢٢٦) .

(٣) فى الأصل : وابنا . وقد اختص الخشنى سالم بن حماس بن مروان هذا واخاه حمودا بمادتين صغيرتين قال فيهما : « عني بالمسائل وسمع من ابيه ، وكان يكتب له اذا كان قاضيا مع احمد بن نصر وهو مغمور مخمول بما يدور عليه من مغارم السلطان فى وظائف البادية . واخوه حمود بن حماس شانه التمسك والتقشف ، لم يعن بعلم ولا فقه فيما علمت » . (« الطبقات » ـ ج ٥ ، ١٧٨) .

وهو مجاب الدعوة، وهو من الأبدال ترجى بركة دعائه . يابنى الحقه وخذ بحظك منه » .
فلحقه سالم فدفع إليه خمسة دنانير ودراعة وجبة صوف ومنديلا وسراويل، ثم أعلم أباه بذلك، فلما كان من الغد دخل إليه فقال له: « يا سيدى، رأيته كما كان أول مرة فى مرقعته الصوف وفى العباءة التى كان فيها» ، فقال له حماس: « يا بنى، ذاك من الأبدال يتأسى «بأهل الصُّفة» ، لا يبيت معه بيضاً ولا حمراً ولا [يتلبس] بشيء من الدنيا إلا مايسد جوعة أو يستر عورة، نفعك الله يابنى بذلك، فلقد نفعنى الله بصالح دعائه » .

قال أبو عقال بن علون: « رأيت أبا هارون [الأندلسى] راقداً طول الليل وأنا أصلى الليل كله، فوسوس لى فى قلبى فقلت: « أنا أصلى الليل كله وهذا رجل راقد ! من أين هو أفضل منى ؟ » ، ثم غفت(١) عينى فرقدت، فإذا أنا برجل مبيض واقف على رأسى فقال: « اقرأ يا ابن علون: فقلت: « وما أقرأ ؟ » فقال: « اقرأ (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات . سواء محياهم ومماتهم ، ساء مايحكمون) ، (٢) فانتبهت . ثم قام أبو هارون فقلت: «سيدى أباهارون، أتعلقت من الدنيا بذنب أو معصية ؟ » فقال : « والله يا أبا عقال ما حلت ثوبى على معصية قط، ولا أكلت مال يتيم، ولا شهدت بغير الحق . فأسأل الله يا أبا عقال أن يعفو عنا وعنك ، وأن يدخلنا الجنة برحمته » ، فأخبرته بالرؤيا فبكى وقال لى : «يا ابن علون، كل [ذنب هين](٣) فى رحمة الله عز وجل، وهذه من أكبر النعم قبلى» .

حدث أبو بكر أحمد بن محمد بن أبى(٤) يحيى المتعبد القرشى الصقلى، قال: « سمعت أبا الحسن علىّ بن محمد (٥) الفقيه بحضرة جماعة من أصحابنا، وقد ذكر

---

(١) فى الأصل : مرت بى . (٢) سورة الجاثية ، الآية ٢١

(٣) اتصال الكلام يستلزم مثل هذه العبارة .

(٤) فى الأصل : محمد بن ابن يحيى .

(٥) هناك كثيرون من صلحاء افريقية يحملون اسم أبى الحسن على بن محمد (راجع فهرس « المعالم » و « الطبقات ») . والغالب أن المراد هنا لا يخرج عن أحد ثلاثة منهم ، وهم : ابو الحسن على بن محمد القابسى المتوفى سنة ٤٠٣ (« المعالم » ج ٣ ص ١٧٨) وأبو الحسن على بن محمد بن الجدود الفقيه القاضى المتوفى سنة ٤٣٧ (« المعالم » ج ٣ ص ٢١٣) وابو الحسن على بن محمد بن زرقون ، الذى ذكره الخشنى ووصفه بانه « انيس المجلس كثير الحكايات ، وهو فى ذلك نظير لعبد الله بن سعيد بن الحداد » ، ولم يذكر سنة وفاته . (انظر « طبقات علماء افريقية » ، ص ١٥٥) .

أخبار الصالحين وفراساتهم، فقال: « حكى المغربي حيان (١) المتعبد بالمستير حكاية، وهو في جماعة من بلدان شتى، قال: حدثني أبو بكر [بن] (٢) سعدون، رحمة الله عليه — وكان من أهل الزهد والعبادة والرواية — قال: حججت وأدركت بمكة أبا هارون الأندلسي وأبا عقال بن علون، رحمهما الله تعالى، وكنت أجلس إلى حلقتهما. فلما قضينا الحج جلست إليهما على سبيل العادة، وقد أخذ الناس في أهبة الرحيل، فقال لي أبو هارون الأندلسي: « يا أبا بكر، أنت مقيم أو راجع إلى المغرب؟ » فقلت له: « بل مقيم » فقال لي: « ألك بالمغرب أحد؟ » فقلت له: « بلى، لي والدة » فقال لي: « وكيف ينبغي لك أن تتخلف عنها، ولعلها متشوقة إليك؟ » قال، فقلت له: « لي عذر يوجب إقامتي » فقال: « وما هو؟ » فقلت: « قلة النفقة ». قال: فمد أبو هارون يده إلى خرقة مصرورة فدفعها إليّ وقال لي: « أنفق منها حتى تصل إن شاء الله تعالى »، قال: فنهضت وخرجت مع الناس راجعاً إلى المغرب، فما كنت أصل إلى مرحلة فأحتاج فيها إلى شيء إلا وجدته في تلك الصرة، حتى وصلت إلى المغرب ». قال الشيخ أبو الحسن: وكان في آخر مجلس المغربي شيخان من أهل القيروان، فكأنهما أنكرا (ص ١١٦) على الشيخ حكايته، فارتفعت الأصوات بالتكبير عليهما، فسمع الشيخ جلبة الناس، فرد وجهه إليهم فقال: « ما لكم قد أكثرتم الكلام؟ » فقال الناس: « أصلحك الله، إن هذين الشيخين قد أنكرا حكايتك هذه التي حكيت »، فتغير وجه الشيخ واحمر وقال: « الله يعلم أني ما قلت إلا ما أخبرني به أبو بكر [بن سعدون] وما كذبت عليه، ولكن ما أرى هذين الشيخين يموتان على الإسلام ». قال أبو الحسن: فوصل الشيخان إلى القيروان فتشرق (٣) أحدهما

---

(١) ورد هذا الاسم من غير نقط بالأصل، وقد بحثت عنه فيما بين يدي من المراجع فلم أجده، فضبطته على هذا النحو.

(٢) رسمه المالكي بعد ذلك: « أبو بكر بن سعدون » أكثر من مرة، فقومت هذه. وكذلك رسمه الدباغ في « المعالم »، ج ٢ ص ١٥٤.

(٣) تشرق — في اصطلاح اهل المغرب —: اعتنق آراء الشيعة العبيديين عند قيام أمرهم في المغرب. وقد أفرد محمد بن الحارث بن أسد الخشني باباً في « طبقات علماء افريقية » لمن مالوا الى آراء الشيعة من علماء افريقية جعل عنوانه: « باب ذكر من شرق ممن كان ينسب الى علم من اهل القيروان » (ص ٢٢٣ — ٢٢٤) وباباً آخر لرجال العراقيين، أي الحنفيين (ص ٢٢٤ — ٢٢٦) وردت فيهما عبارات كثيرة تدل على المعنى المراد بالتشريق، فهو =

وتمعزل (١) الآخر. وكان يحضره (٢) الشيخ أبو عليّ بن خلدون (٣) ، فقال للشيخ

= يقول فى ترجمة احمد بن محمد بن شهرين انه : « تشرق ، الا انه فى قضائه ببرقة يحكم باجازة الطلاق ثلاثا ويجيزه على من طلق به . وليس هو مذهب الشيعة » . ويقول فى ترجمة أبى محمد بن شهرام من أهل سوسة انه : « تشرق فى أول دخول القوم وتولى كتابة محمد بن عمر المروذى » . ويقول فى ترجمة زرارة بن احمد انه : « تشرق وولاه عبيد الله قضاء مدينته التى سماها المهدية ، وهو فى مذهب الشيعة من الغالين » .

ويقول فى ترجمة قاسم بن خلاد الواسطى : « دعوه الى التشريق ووعدوه بقضاء باجة ، فلما شرق قيل له : قد استغنينا عن قاض لباجة » . وغير ذلك كثير مما لايدع مجالا للشك فى معنى هذا اللفظ .

وقد ذكر دوزى هذا المعنى الخاص لفعل « شرق » ومشتقاته فى مفردات « البيان المغرب » (*Glossaire du Bayân*, p.25) التى الحقها بالجزء الثانى من طبعته للبيان المغرب لابن عذارى (ليدن سنة ١٨٤٩) ذكر فيه بعض المواضع التى ورد فيها هذا اللفظ ومشتقاته من الجزء الأول من البيان ومعانيها وهى :

تشريق = مبادىء الشيعة البيان ج ١ ص ١٨٩ ، ١٩٠ .
المشارقة = الشيعة البيان ج ١ ص ١٧٨ ـ ١٨٦ ـ ١٩٣
تشرق = اعتنق مذاهب الشيعة البيان ج ١ ص ١٧٥ ـ ١٩٥

وقد علل دوزى هذه التسمية بقوله : « ان أهل افريقية أطلقوا على عقائد الشيعة اسم العقائد الشرقية ، لأن الذين دعوا اليها كانوا رجالا أتوا من المشرق » . وعاد دوزى فأكد ذلك فى ملحق القواميس (Dozy : *Supplement aux dictionnaires arabes*, II. p.751) هذه المعانى كلها ، ثم ذكر عبارة لابن الأثير يقول فيها : « وكانت الشيعة تسمى بالمغرب « المشارقة » نسبة الى أبى عبد الله الشيعى ، وكان من المشرق » . (الكامل فى التاريخ (طبعة نورنبرج) ج ٩ ص ٢٠٩) ، وذكر كذلك عبارة أخرى من نفس المرجع (ج ٢ ص ٢٠٨) تقول : « المشارقة هم الشيعة » . وعند ما نقل النويرى هذه العبارة عن ابن الأثير جعلها : « المشارقة هم الرافضة » . (نسخة المكتبة الأهلية بباريس ، ص ٣٦ ب) .

(١) المراد بالتمعزل هنا : اعتناق مذهب المعتزلة . وكان أهل افريقية ينظرون الى المعتزلى نظرتهم الى الكافر .

(٢) أى يحضر مجلسه .

(٣) هو أبو على حسن بن خلدون البلوى الذى قتله رجال المعز بن باديس سنة ٤٠٧ ، لأنه كان قد تزعم الثورة العامة على الشيعة فى القيروان فى المحرم من تلك السنة . انظر « المعالم » ج ٣ ص ١٩٢ ـ ١٩٣

أبي الحسن : « من الشيخان ؟ » فقال : « فلان وفلان » قال : فعرفهم الشيخ ابن خلدون وجماعة ممن حضر من أهل العلم .

قال أبو عقــال بن علون : قال أبو هارون الأندلسي : « يا أبا عقال ، نصحبك (١) صحبة موسى عليه السلام للخضر : لا تسألني عن شيء ولا أسألك عن شيء » ، فعملت — أنا وهو — في الأجاري (٢) ، فاشترينا رأساً وخبزاً ، فلما أن وضعناه بين أيدينا لنفطر عليه وقف به سائل ، فدفعه إليه وبقينا بلا شيء . ثم عملنا اليوم الثــاني ففعل كما فعل في اليوم الأول ، ثم فعل في اليوم الثــالث كذلك ، وبقينا بلا شيء . فلما أن صلينا بالمسجد الحرام المغرب وخرجنا إلى بيت نسكنه قلت له : « يا أبا هارون ، أصابني الجوع » فتبسم وقال : « يا أبا عقال ، الذي أجاعك أليس يعلم أنك جائع ؟ تشكو من يرحمك لمن لا يرحمك ؟ إنما تنال الآخرة بالصبر ، ليس تخسر معه شيئاً . إنه لا يضيع أجر المحسنين » . قال : فلم يُتم الكلام حتى ضُرب الباب ، فقال لي : « قم اخرج فخذ هذا الذي جاءك » ، فقمت فإذا بمــائدة مغطاة على رأس خادم عليها أطعمة من الحلوى والأشوية ، فقال الغلام : « سـيدي يقرأ عليكما السلام ويقول لكما : اقبلا هذا الطعام » ، فدخل بالمــائدة فوضعها . قال أبو هارون : « يا ابن علون ، مثل هذا الكريم يعاملِ ويتاجر [معه] . أيهما (٣) أكثر : أهذا أم الذي أعطيت ؟ والذي يعطيك غداً أكثر من هذا . اخرج إلى محمد ابن أحمد السُّدري وإلى محمد بن الكاتب (٤) وإلى إخواننا كلهم فادعهم يأكلوا معنا . ليس لنا منه إلا شبعة ، وشبعة نشبعها غداً في دار الخلود إن شاء الله تعالى » ، فأقبلوا (٥) فأكلوا منه ولم يُبق منه شيئاً .

---

(١) في الأصل من غير نقط .

(٢) جاء في ملحق القواميس لدوزي أن الأجاري هم الخدم .

(٣) في الأصل : أيهم .

(٤) سبق التعريف بمحمد بن احمد السدري ، أما محمد بن الكاتب فلم اجد له ذكرا في « الطبقات » أو « المعالم » ، وانما وجدت باباً عن حفيده أبي القاسم عبد الرحمن بن علي بن محمد الكناني المعــروف بابن الكاتب المتوفى في صفر سنة ٤٠٨ . « المعالم » ج ٣ ص ١٩٤ — ١٩٥

(٥) في الأصل : فاباالوا .

قال أبو بكر بن سعدون : كنا [1] فى المسجد الحرام جلوساً مع أبى هارون وأبى عقال ومحمد بن أحمد السدرى وقوم صالحين ، حتى قدم رجل خراسانى فسأل عن أبى هارون فقيل له : « ها هو ذا » فدفع إليه خريطة فيها دراهم فقبضها منه وفرغها فى ركونه ، وأقبل يعطى كل من مر به ، ثم أعطى منها قبضة دراهم لمحمد بن أحمد السدرى ثم قال له : « إيتنا بأطيب طعام فى السوق » فجاء بشواء وحلوى ورقاق وخبز حُوارى وفاكهة ثم وضعها بين أيديهم [2] ، والخراسانى جالس ينظر ، فقال أبو هارون : « كلوا هذه فهى من الله أتتنا ، يجازى الله صاحبها بالجنة لأنه قارَضَه » . ونظرت إلى أبى عقال وبيده عنقود عنب وهو يقول : (لهم فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين) . جعلنا الله يا أبا هارون نجتمع فى هذه الدار كما جمعنا حول هذا البيت العتيق » . ثم قال الخراسانى إنه لم يبق فى الركوة [3] من الدراهم شيئاً ، « إنما أعطيتها لك » [4] ، فقال له أبو هارون : « أعطيتها لمن يجازيك عليها ويكافئك بها ولا يضيع أجرك » ففرح الخراسانى بهذا الكلام .

حدث أبو بكر المؤدب الصقلى [5] ، قال : كان أبو هارون قد سكن مدة « قصر لمطة » ، وكان أبى يصحبه وكنت أنا مع أبى سكاناً [6] فى « قصر لمطة » . قال : فقال لى [أبو هارون] مراراً كثيرة : « يا أبا بكر ، اشتهيت « حوت قلفط » [7] [الذى] يعمل فى المنستير ، فاشتره واعمله لى » ، فكنت

---

(١) فى الأصل : فكنا . (٢) فى الأصل : أيديهما .

(٣) فى الأصل : الركاه ، وربما أراد الركاء ، جمع الركوة .

(٤) السياق هنا يدل على أن الناسخ أغفل شيئا من هذا الخبر .

(٥) المراد هنا أبو بكر محمد بن الفتح المؤدب المعروف بابن الصواف ، من صلحاء القيروان ومجودى القرآن فيها ، وقد توفى فى ذى الحجة سنة ٣٤٤ . (« المعالم » ج ٣ ص ٦٧) . ولم أعرف لماذا لقبه المالكى هنا بالصقلى .

(٦) فى الأصل : سكان ، والأصح هنا ساكنين ، أو : من سكان .

(٧) هكذا رسمها دوزى ، وقد استشهد بهذه الفقرة بالذات من الرياض ولم يضف اى تفصيل من عنده .

ألود وأعتذر بصعوبة المشي عليّ . إلى أن دعاني يوماً ودفع إليّ قطاعاً (١) _ أراه قال نحو قيراطين _ وقال لي : « قم الساعة إلى المنستير اشتر الحوت الذي قلت لك عنه » ، فلم يمكني مخالفته . فمضيت إلى المنستير ، فلما مشيت نصف الطريق أو أكثر إذا برجل على كتفه مشنة (٢) فيها حوتان من قلفط ، فقلت في نفسي : « لعلي أشتريهما ويقرب عنائي » . فلما التقينا سلمت عليه وقلت له : « تبيع مني هذين الحوتين ؟ » فقال : « لا » ، قلت : « أنا أعطيك فيهما ثمناً كبيراً » فقال : « لو أعطيتني فيهما ديناراً ما بعتهما منك ، لأنهما معي رسالة » ، فقلت له : « إلى من ؟ » قال : « إلى أبي هارون الأندلسي في قصر لمطة » فقلت : « فأنا والله أرسلني أبو هارون إلى المنستير أشتري له حوت قلفط اشتهاه » . قال : فقال لي : « إذا كان هكذا فوصلهما (٣) أنت إليه وأرجع أنا من ها هنا » . قال : « فدفع إليّ المشنة ورجع الرجل إلى المنستير ، ورجعت أنا إلى أبي هارون . فلما وصلت إليه سمع الشيخ أبو هارون كلامي فقال : « ما أعادك ؟ أما مضيت ؟ » فقلت : « بلى ، أصلحك الله ، قرب الله عنائي : كان من الأمر كذا وكذا ، وذكرت له القصة ؛ فعجب رحمه الله تعالى وقال لي : « اعملهما » ، فتشمرت وغسلتهما وجعلتهما في طاجن وأدخلتهما الفرن

---

(١) المراد بالقطاع هنا : قطعة من النقود . وقد ذكر بطرس القلاعي في قاموسه أن القطاع أي قطعة من النقود . وقد كتبها « قطوعة ، «Catuâa» ، وقال دوزي انه يظن أن حرف الـ u زائد وأن الصحيح قطاعة فقط . وذكر كذلك أن جمعها قطائع . وفي موضع آخر من ملحق القواميس ذكر دوزي أن لفظ قطعة ، وجمعه قطع ، كان يستخدم في المغرب للدلالة على نقود كانت مستعملة قبل زمن ابراهيم بن احمد بن الأغلب ، وكان وزنها يقل عن الوزن المحدد للعملة الرسمية ، فلما جاء ابراهيم بن احمد ضرب «الدراهم الصحاح» لتحل محل القطع ، فاضطرب الناس لذلك .

انظر . Pedro de Alcalà : *Vocabulista en aravigo,* مادة Catuâa

ودوزي (ملحق القواميس ، مواد ، قطعة وقطاعة وقطاع) .

وابن عذارى (البيان المغرب ٧ جـ ١ ص ١١٤) .

(٢) ضبطها دوزي : مِشَنّة ومَشَنّة . (ملحق القواميس ، مادة : شن جـ ١ ص ٧٨٩) .

(٣) في الأصل : فوصلهم .

واشتغلت فى عملهما إلى نصف النهار . وكانت أيام صيف . وكان الفرن خارج « القصر » فلما أخرجوا الخبز أخرجته (١) فرأيته جاء غاية من الغايات . فأخذته على يدى ودخلت به القصر ، فإذا فى السقيفة جماعة رجال ونساء من المسافرين دخلوا يقيلون من شدة الحر ، فلما دخلت فاحت إليهم رائحته ، فصاح بى رجل منهم ، فرجعت إليه فقال لى : « يا أخى ، هذه المرأة حامل — وأشار بيده إلى امرأة منهم — وقد شمت رائحة هذا الطاجن الذى معك ، ويخشى أن تطرح . إن رأيت أن تتفضل وتعطيها منـــه شيئاً ؟ » قال : فأنزلته عن يدى ، وقطعت منه قطعة وغطيته ، ومضيت به إلى الشيخ ، فلما كشفته بين يديه أعجبه وسر به ثم قال لى : « أرى أثر شيء نزع منه » فأخبرته خبر الحامل (ص ١١٧) ، فقال لى : « أعطيتها منـــه ؟ » فقلت له : « نعم » فقال : « الحمد لله ، سررتنى والله » ، ثم قال : « يا أخى ، اقض حاجتى وأدخل على قلبى مسرة ، واحمله إلى جماعتهم يأكلوه » فقلت له : « لا تفعل ، أصلحك [الله] . أنا مبعوث فيه من غدوة إلى الساعة ، ولك مدة تشتهيه ، والحامل قد أكلت شهوتها » . فقال لى : « لعلهم كلهم قد اشتهوه كما اشتهت الحامل . لا والله ما يطيب لى أكله ، هم أولى به ومعهم النساء والأطفال . احمله إليهم » قال : فحملتـــه والله على كره منى ، وأتيتهم به وقلت لهم : « قال لكم الشيخ : اجتمعوا وكلوا هذا » ففرحوا به فرحاً شديداً ، واجتمعوا كلهم وأكلوه ، وحملت الطاجن فارغاً ، فأخبرته بفرحهم وأكلهم إياه بجماعتهم ، فسر بذلك سروراً عظيماً . ثم قال لى : « أبوك رأيته اليوم ؟ » فقلت له : « لا والله ، أنا من غدوة مشغول معك ، ما رأيت أبى ولا غيره » ، قال : « وكذلك أنا ما رأيتـــه من غدوة » . قال : فمضيت إلى أبى فوجدته قد تشمر وهو يعمل كنافة عجينة (٢) . فأخبرته بمـــا جرى لى مع الشيخ فى الطاجن ، فقال : « نعم ما عمل الشيخ » قال : « وأنا قد عملت له هذه الكنـــافة » قال : فأخذ فى عملها وأفرغ عليها الزبد والعسل الكثير فى مثرد كبير وغطاها وقال لى : « خذها على يدك » ، وأغلق بيته وجئنا إلى الشيخ أبى هارون ، فقال : « ما هذا ؟ » فقال له أبى : « كان عندى — أصلحك الله — شيء من سميد وعسل وزبد ، فقالت لى نفسى : « اعمل

---

(١) أى أخرجت الطاجن .

(٢) فى الأصل من غير نقط .

كنافة للشيخ أبي هارون تأكلوها معــه » ، قال : فكشفها فأعجبت الشيخ ، وقال : « يا أبا بكر ، آثرنا بالطاجن أولئك المســاكين والنساء والأطفال ، فعوضنا الله عز وجل ما هو خير منه » .

وقال أبو عقــال : خرجت أنا وأبو هارون يوماً ومعنا عشرة مثاقيل نفقة كنا استعددناها [١] للسفر ، وكانت مصرورة معي ، إلى أن عرض لنا سائل [وقال لنــا] : « واسونا مما رزقكم الله ، يرحمكم الله ويعظم أجوركم ! » فقال لي : « يا ابن علون ، اعطه تلك العشرة [مثاقيل] التي معك » ، قال : فوقفت عن إعطائهــا وشححت بها ، وخفت أن التجئ إليها . ثم قال لي : « يا ابن علون ، اعطه تلك العشرة التي معك [وتوكل] على الله تبارك وتعالى » فأعطيته إياها . ومشينا قليلا فإذا بفارس خاني مبيض [يجري] بأشد ما يكون من الجري ، فأعطاني صرة وقال : « خذ ، يا [أبا] عقال » ، ثم مضى الفارس حتى غاب في الطريق . ثم مشيت حتى لحقت أبا هارون ، وهو يومئذ على المقدمة ، فعطف عليّ قبل أن أكلمه وقال لي : « يا ابن علون ، أعطيت عشرة فأخذت مائة ، مثل هذا العزيز الكريم يتاجر معه ، أما سمعته يقول : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) ؟ يا بخيل، خذ رأس مالك وتصدق بالباقي فإن مثل هذا الكريم يتاجر [معه] » [٢] .

قال أبو بكر الصقلي، وكان من رجال يحيي بن عمر : « كنت أخدم أبا هارون الأندلسي ، وكان أبي كثير الصحبــة له . قال : فجئت معه إلى حانوت حجام عند « المسجد الجامع بسوسة » ليأخذ له من شعره ، فوجدنا الحجام يحلق رأس رجل ، فسلمنا وجلسنا ننتظر فراغه حتى أتى رجل من أهل الدنيا ، فسلم وجلس ، فرد عليه الحجام ، وقال له : « ارتفع يا سيدي » ، وأعظمه . قال : فلما قام الرجل الذي بين يديه قال للرجل الدنيــاني [٣] : « اعزم يا سيدي » وصب على رأسه ، ولم يلتفت إلى أبي هارون » . قال أبو بكر :

---

(١) يريد : استعددنا بها .

(٢) أضفت هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٣) أي رجل الدنيا أو الدنيوي ، والتعبير في ذاته طريف .

«فغضبت من فعل الحجام، إذ لم يعط الشيخ حقه ولا سيما أنه سبق. فقلت للشيخ بيني وبينه: « قم بنا إلى غيره »، فقال لي: « لا » فقلت له: « ألا تراه قدم عليك رجلا من أهل الدنيا ، وأنت سبقت ، ولم يعرف قدرك؟ » فأشار إلى أن أسكت فسكت ولم أقدر أخالفه . فلما فرغ من الرجل بل الشيخ رأسه وجلس بين يديه، وحلق رأسه . قال : وحلقت رأسي بعده ، فلما فرغنا أخرج الشيخ [أبو] هارون من جيبه خرقة حلها وأخرج منها دينارين ودفعهما إلى الحجام وخرج ، فبقي الحجام باهتاً ينظر إليه . فلما خرجنا قلت للشيخ : « لم فعلت هذا ، أصلحك الله ؟ هذا رجل لم يعرف قدرك ، وقدم عليك من سبقته أنت دوننا لكل من له دنيا [1] ، وحقرك ، فأعطيته دينارين ليس معك غيرهما » فقال لي : « إنما أردت أن أقيم جاه الفقر والفقراء عنده حتى لا يعود أبداً يقدم دنيانياً على فقير ولا يرى فقيراً إلا نظر إليه بعين الجلالة » . قال أبو بكر : « فمشينا قليلا ، فلما جاوزنا الجامع لقينا قوماً عليهم أثر السفر ، فسلموا على الشيخ أبي هارون وقبلوا رأسه ويجلوه ، ودفعوا له صرة وقالوا له : « فلان يقرأ عليك السلام ويوجه إليك بهذه الصرة » فأخذها منهم ، فمشينا قليلا ففتحها فعد فيها عشرة دنانير فقال لي : « يا أبا بكر ، أقمنا جاه الفقراء بدينارين فعوضنا الله عز وجل عشرة » .

وحدث أبو ميسرة أحمد بن نزار الفقيه ، قال : « كنت بجامع سوسة وأبو هارون الأندلسي جالس ، فأتاه رجل ضعيف العقل من فقراء أهل سوسة فقال له : « أطعمني الخبز والعسل » فقال : « نعم ، إذا كان العصر تأتيني » وكان ذلك غدوة . قال أبو ميسرة : « فكنت عنده وقت العصر جالساً حتى أتاه قوم من أهل القيروان ، فدفعوا له صرة وقالوا : « يا أبا هارون ، هذا سهمك من أزوادنا » فأخذها منهم ، فبعد أن انصرفوا أتاه الضعيف للوعد ، فحل الصرة وقال لرجل كان جالساً : « خذ هذا القيراط اشتر له به خبزاً وعسلا » . قال أبو ميسرة : « فقلت له : بيّن لي قولك للرجل : « تأتيني العصر » وأنت ليس معك شيء من الدنيا » فقال : « يا أبا ميسرة [تحسبني] وكأني أظن بالله عز وجل أن يتركني يوماً كاملا بلا رزق ؟ لا والله ما نظن هذا بالله عز وجل » .

(١) كذا في الاصل والعبارة هنا ركيكة ، ويحتمل أن يكون الناسخ قد أسقط شيئا .

١٦٤ – ومنهم (١) **أبو عقال بن علون** (٢) .

توفي وهو ساجد خلف المقام [ودفن بمكة] (٣) . خرج من القيروان فأوطن الحرم وسكنه حتى مات به ، ورفض الدنيا وتركها ، وازم السهر وسرد الصيام ، وباين أبناء جنسه ، وتشرد عن الوطن وفارق السكن [وقال فى الزهد فأحسن] . (٤) (ص ١١٨) وكان قد جرر أذياله فى الصبا ، وأطال من عنانه فى الهوى ، منهمكاً فى البطالة ، صاحب لهو وصبوة مع مروءة وفتوة . إلى أن تناهت حدود القضاء فشمر وارعوى ، وآثر ما يبقى على ما يفنى ، فبكى وناح على ما سلف من أيامه ، وقارف من آثامه ، صائماً نهاره ، قائماً ليله ، حتى كان يضرب به المثل فى عبادته .

وأما سبب توبته ورجوعه إلى عبادة ربه ، وما جرى له فى ذلك من الأخبار والمجالس ، فذكر سليمان بن محمد ، قال : « أخبرنى محمد بن الكاتب ، قال : كنا نشرب عند أبى عقال بن علون فى داره ، فلما كان بعد العصر خرج عنا من المجلس ، وقد طبنا ، فقال لغلامه : « امض فاشتر لى جبة من صوف وعباءة وكساءً ومئزراً من صوف » ، فحسب [الغلام] أنه إنما يريد أن يكسوها لأحد . فأتى بها إليه فنزع ثيابه تلك الناعمة النظاف ودخل إلى والدته فقالت له : « ما هذا يا أبا عقال ؟ أخولطت فى عقلك يا بنى ؟ » فقال لها : « يا أماه ، والله لا عصيته بعد هذا اليوم أبدا ، إلا أن يقدر على » ، وانصرف كل واحد منا . فهكذا كانت توبته ،

---

(١) فى الأصل : « وفيها توفى » ، من غير تعيين للسنة . وقد استبدلتها بلفظ « ومنهم » حتى يستقيم سياق هذا الجزء . والاشارة فى الأصل الى سنة ٢٩١ هـ التى توفى فيها أبو عقال .

(٢) ورد الاسم على هذه الصورة هنا وفى معظم مواضع الجزء الثانى من الرياض ، وذكر فى بعض المواضع الأخرى « علوان » . أما الدباغ فيسميه أبا عقال غلبون بن الحسن بن غلبون . (المعالم جـ ٢ ص ١٤٢ وما يليها) .

(٣) وردت هذه الترجمة بنفس النص مرتين فى الرياض : مرة فى نهاية الجزء الأول – وهى هذه – ومرة فى أول الجزء الثانى ، مما يدل على أن الحدود بين الجزئين لم تكن واضحة . وقد راجعت هذه المادة هنا بنصها فى الجزء الثانى وأكملت نصها من هناك . راجع الجزء الثانى من الرياض (ص ١ – ١) .

(٤) التكملة من الجزء الثانى (ص ١ – ١) .

رحمه الله تعالى (١) . فباع ما كان له من دور وعقار وتصدق به وخرج إلى مكة، حرسها الله تعالى ، فى خيشتين ، [قال أبو عقال] : « ائتزرت بإحداهما وارتديت الأخرى وفى يدى ركوة، حتى أتيت إلى بعض محارس سفاقس، فرأيت أبا هارون الأندلسى هناك، فقال لى بعد ثلاث : « ما لك يا بنى تكثر الانتحاب والبكاء فى ليلك ونهارك، بخلاف الشباب والفتيان حتى كأنك قريب عهد بمعصية ؟ » قال : فقلت له : « ذنوبى عظمت وجلت » . فقال لى : « فإنها صغيرة حقيرة فى جنب عفو الله وكرمه وصفحه، فما أمرك يا بنى [وما اسمك] ؟ » فقلت له : « اسمى أدب، وكنيتى أبو عقال » فقال لى : « أبشر (٢) بكل ما يسرك إن شاء الله تعالى، فقد أتانى آت [من الله] (٣)

---

(١) ذكر الدباغ قصة توبة ابن علون على صورة أخرى أكثر تفصيلا وهى : وكان سبب توبته أنه كان مفتونا بالنساء ، فكان يحضر الأعراس والمآتم بزى النساء . فحضر يوما عرسا لبعض ملوك الأغالبة مع جملة من جواريه على شكل النساء ، فلما جلس بينهن ضاعت درة نفيسة فى دار العرس ، فغلقوا الأبواب ووقع التفتيش فى النساء واحدة بعد واحدة ، حتى لم يبق فى الدار الا هو وامراة . فلما خشى الفضيحة قال : « الهى ، لئن سترتنى هذه المرة ولم تفضحنى لأتوبن ثم لا اعود » ، وكان قد تاب قبلها نحو السبعين مرة ثم نكث . فلما علم الله منه الصدق ، نادى مناد من الدار : « خلوا عن الحرة فانا قد وجدنا الدرة » ، فخرج من الموضع الى داره وقد حصل فى نفسه ما حصل من التوبة النصوح ، فرفض المال والأهل والولد والوطن ، وخرج فارا بنفسه فلحق ببعض حصون افريقية ، فصحب بها ابا هارون الأندلسى .
وكان ابو هارون الأندلسى زاهدا متبتلا ، فانتفع بصحبته ولازمه حتى مات .
قلت (اى ابن ناجى) : المراد بالدرة الياقوتة ، وقيل الذى ضاع انما هو حلى لبعض اهل تلك الدار ، وانهم امروا بالباب ان يغلق عليهم وفتشوا النساء فكل امراة لم يجدوا عندها شيئا اخرجوها . قال ابو عقال : « وتبت الى الله عز وجل . وتمادوا حتى لم يبق الا انا وامراة واحدة ، وهى ترادفنى وتريد ان تكون ورائى وانا ادفعها اليهم ، الى ان اخذوها فوجدوا الحلي معها فقالوا لى : « انصرفى يا هذه المراة » ، فازلت الخف والمعجر والرداء التى كانت علىّ من زى النساء وتماديت على التوبة » . وما ذكر من انه « تاب نحو السبعين مرة » خلاف قول غيره : « تاب قبلها سبع عشرة مرة » . واراد ببعض حصون افريقية : بعض محارس مدينة صفاقس ، كما صرح به غيره .

(٢) ازاء هذا السطر فى هامش الأصل : بشارة حسنة .

(٣) التكملة من نسخة (ق) ص ١٢ .

فى منامى فقال لى : « يصحبك شاب إلى مكة اسمه « أدب » وكنيته « أبو عقال » ، وقد تاب الله تعالى عليه فى أم الكتاب ، فأرفق به فى صحبته معك » .

قال أبو عقال : « فكنت معه حتى أتانا الخبر بأن رفقة الحاج خرجت من القيروان فوافيناها بقابس ، فلما كان فى الساعة التى نزلنا بها فى طرف مناخ الحاج – والرفقة قد هلكت جوعاً – قال[1] : « يا بنى ، خذ هذه الستة دراهم فاشتر بها ما نأكل[2] فوالله ما أملك غيرها » . قال أبو عقال : فلما أخذتها واستقرت فى يدى إذا بسائل قد وقف فقال[3] : « عسى يحضرك شيء لله عز وجل » ، فقال لى : « ادفع إليه تلك الستة دراهم » . قال : فأمسكت يدى وقلت فى نفسى : « نحن البارحة لم نطعم ، وأنا لا أرى أين أضع قدمى من الجوع » ، فأمسكت يدى عن الستة دراهم ، فانتهرنى وقال : « ادفعها [إليه] كما أمرتك » قال : فدفعت إليه خمسة دراهم وأمسكت درهماً دون علمه . قال : « فوالله ما مشى السائل قليلا ولا توارى حتى سمعنا صائحاً يصيح باسم أبى هارون واسمى فقلت له : « ألا تسمع هذا الذى يصوت بنا ؟ » فقال لى : « الساعة ينتهى إليك » ، والرجل يكثر الصياح باسمينا ويسأل أهل الرفقة فى المناخ عنا ، فقلت له : « أقول لبيك وأجيبه ؟ » فقال لى : « لا تكن عجولا » ، حتى وقف الصائح بنا وسلم علينا وقال : « هذه خمسون ديناراً مثاقيل بعث بها إليكما فلان وفتح بها عليكما » ، فنظر إلى أبو هارون نظرة منكرة وقال : « يا ورنيد[4] لمَ لم تدفع إلى السائل الستة دراهم كاملة ؟ أما إنك لو دفعتها إليه كاملة لجاءتك ستون ديناراً موفرة » . قال : ففرقناها على من كان فى الرفقة من الضعفاء والمساكين ولم نخرج[5] من قابس ومعنا منها إلا التافه اليسير . فكنت معه تحت رفق الله عز وجل وتحت ستره حتى وصلنا مكة » .

---

(١) فى الأصل : فقال ، والتصويب من نسخة (ق) ، ص ٢ – ١ .

(٢) فى الأصل : ما ناكلو ، وهى صيغة لا تخفى اهميتها اذ تدلنا على لهجة اهل افريقية فى الكلام فى ذلك الحين . وفى نسخة (ق) : « ما ناكلون » (ص ٢ – ١) .

(٣) كذا فى نسختى (ب) ، (ق) . ويفهم من ذلك ان السائل وقف بأبى هاون الأندلسى لا بأبى عقال ، وربما كانت صحة العبارة : « .. اذا بسائل قد وقف الىَّ فقال لى : عسى يحضرك شيء لله عز وجل » .

(٤) فى نسخة ق (ص ٢ – ١) : ورنيده .

(٥) فى نسخة ق : تخرجوا .

قال أبو بكر بن سعدون : رأيت أبا عقال على جبل (١) الرحمة يوم عرفة ، جاثياً بين يدي الله عز وجل على ركبتيه ، باسطاً ذراعيه ، شاخصاً ببصره ودموعه [تنسكب] سكباً . فقلت له : « يا أبا عقال ، إنه يوم عظيم ، ألا تدعو؟ » فقال لى : « يا ابن سعدون ، هو يعرف حاجتى وفى أى شيء جئت » .

وقال أبو ميسرة [أحمد بن نزار] : سمعت أبا عقال [يقول] : « لو سبقنى أحد لجلست مع المبتلين (٢) الذين قد أيس (٣) لهم من البرء ، وأمسكت فى يدى جرساً كما يفعل المجذومون (٤) الذين قد ذهبت أعينهم وأيديهم وأرجلهم ، فإن قال لى قائل : « وأنت أين بلاؤك ؟ » قلت له : « أنا بلائى لا يرجى له برء أبداً » (٥) .

قال أبو ميسرة أحمد بن نزار الفقيه : « وافيت أبا عقال بمكة ، فسلمت عليه وقلت له : « يا أبا عقال ، أخبرنى فإنى نعتد بك ونثق بقولك . بلغنى أنه يأتيك طعام لم تمسه الأيدى » ، فضرب بيده على رمته وقال : « أنا أبو عقال الشاطر الداعر ، سل عنى الشطار والطنابريين (٦) والعوادين ! لمثلى أنا يقال هذا لسوء حالى ! بلى ، إنى إذا اشتهينا (٧) شهوة أتت (٨) إلينا من حيث لا نعلم : رأيت أنا وأبو هارون شواءً وحلوى وجردقاً حُوارياً فاشتهيناه جميعاً ، فقلت له :

---

(١) فى الأصل : جبال .

(٢) فى الأصل : المبتلايين ، والتصويب من نسخة ق .

(٣) فى الأصل : اوبس . وأيس لغة فى يئس (اللسان جـ ٧ ص ٣١٦) .

(٤) فى الأصل : المجذومين . وفى نسخة ق : « وامسكت فى يدى جرسا كما جعل المجذومون المجذمون » .

(٥) فى نسخة ق : « قلت أنا بلايَ فى قلبى لسن يرجوا له بروا ابدا » وتصويبها : « قلت : انا بلائى فى قلبى لست نرجو له برءاً ابدا » .
وذلك مثال من التحريف الشديد الذى يملأ صفحات نسخة ق هذه .

(٦) كذا ايضا فى ق . والمراد : الطنبوريين .

(٧) تركت هذه الصيغة على حالها ، لانها تدل على أن المتكلم المفرد كان يتكلم بصيغة الجمع فى بعض الاحيان فى المغرب ، كما كان الحال عامة فى الاندلس .

(٨) فى ق : تأتى .

« يا أبا هارون ، إنه لطعام طيب » ثم خرجت إلى « ذى طوى » فإذا بنسوة . [و] صاحت بى (١) خادم صفراء ، وتباعد النسوة ، فقالت لى : « ارفع لنا هذا السطل من البئر يا أبا عقال » فنزلت [فر]فعت السطل ، فقالت لى : « خذ [ذ]لك الطعام الذى فى هذا المنديل » فإذا بشواء وحلوى وخبز حوارى ، ثم مضيت إلى أبى هارون فقال لى : « يا أبا عقال ، يشهيك ويدلك (٢) إنك اشتهيت شهوة أتتك . يا أبا عقال ، لاتكن آمالك كلها إلا فى الله عز وجل فإنه يتم لك كل شىء » . هذا يا أبا جعفر (٣) الذى هو [ ] . (٤)

قال أبو القاسم الجوهرى : حدثنا أبو على الواسطى ، قال : لقيت إسحاق المقرئ بطرسوس ، قال : « لقيت أبا عقال بمسجد الخيف من « منى » وعليه خيشتان ، مؤتزراً (ص ١١٩) بواحدة [و]مرتد[يا] بالأخرى ، فقلت له : « حدثنى بأشد شىء مر عليك فى الحجاز » ، وحوله جماعة يكتبون كلامه ، فقال [لى] : « كان معى سبعون صاحب ركوة ، فوقع القحط فماتوا وبقى ستة أثر الضر فيهم . وبقينا ليالىَ لم نطعم ، فوقع فى سرى أن آتى الركن فألتزمه فلعلى أن أموت على ذلك . فعانقته حبواً من الجوع . فطرأت على قلبى أبيات فرجعت إلىّ نفسى ، وهى :

عقدت عليك مكمنات خواطرى	عقد الرجاء فألزمتك (٥) حقوقا
إن الزمان عدا علىّ فزادنى	علماً بأنك سيدى تحقيقا
ما نالنى ضر بوجه مساءة	إلا وجدتُ به إليك طريقا
حسبى بأنك عالم بمصالحى	إذ كنت مأموناً علىّ شفيقا
فامض القضاء على الرضى منى به	إنى رأيتك فى البلاء رفيقا

---

(١) فى الأصلين : لى .

(٢) فى الأصل يدللك ، والتصويب من ق ، ص ٣ ب .

(٣) هو أبو ميسرة أحمد بن نزار الفقيه المخاطب فى هذا الخبر .

(٤) بياض بقدر كلمة . وليس فى نسخة ق بياض بهذا الموضع .

(٥) فى الأصل : فالزمتنى ، وفى نسخة ق فالزمتن . والصيغة التى اثبتها هنا وردت فى هامش نسخة ب هكذا : نسخة فالزمتك حقوقا . وقد وردت الأبيات فى الأصلين دون همزات .

قال : فرجعت إليّ نفسي واستندت إلى « زمزم » ، فما استويت جالساً حتى أتى إليّ أسود على رأسه مكتل فيه خبز ولحم مشوي وصرة دراهم فقال لى: « أنت ابن علون ؟ » فقلت : « نعم » فوضعه بين يدى ومضى ، فأومأت[1] إلى أصحابي فكنت فيه كأحدهم » .

ومثل ذلك [ما] ذكر[ه] أبو سعيد الفقيه ابن أخى هشام[2] ، قال : « دخلت جامع مصر فقلت : « اللهم أرنى ولياً من أوليائك » . فإذا برجل يركع عند المقصورة عليه عباءة » . [قال][3] : « فجلست بجواره فسمعته يقول وهو ساجد : « اللهم إنى جائع فأطعمنى » ، ثم تمادى على الركوع . فإذا برجل قد أقبل ، فنظر يميناً وشمالا ، ثم قصد نحوه فجعل بجواره جَردقاً[4] وخبيصاً ، فلحقته وسألته عن سبب ما أتى به فقال : « ذهبت زوجتى إلى الحمام ، فاشتهت عليّ أن أعمل لها لحماً مشوياً فى تنور ، فجاز بى رجل من أصدقائى فاشتغلت معه حتى فات الوقت ، وعمل جارى خبيصاً فأخذت منه ، وأخذت معى[5] جردقاً ، وأتيت به إليها ، فتغيرت على وقالت : « أنت اشتغلت عنى ولم تلق إلى بالا » ، فحلفت أنها لا تأكله ، وحلفت أنا أنى لا آكله ، فقالت : « امض به إلى الجامع فأطعمه للفقراء » . فدخلت الجامع ، فنظرت يميناً وشمالا على أن يقع بصرى على فقير ، فما وقع بصرى إلا على هذا الذى يركع عند المقصورة ، فلما وضعته بجواره وانصرفت ، رأيت الجامع مملوءاً بالفقراء » . قال : « فرجعت

---

(١) فى الاصلين : فأوميت .

(٢) هو أبو سعيد بن أخى هشام الربعى الحناط . وعلق ابن ناجى على اسمه بقوله : « كذا قال ابن الرقيق ، وقال ابو بكر عثمان بن عمر : وقال أبو عبد الله الخراط عثمان بن خلف المعروف بابن هشام الربعى الحناط المتوفى سنة ٣٧٣ هـ » . انظر : « المعالم » ، ج ٣ ص ١٢٢ – ١٢٩

(٣) التكملة من نسخة ق ، ص ٣ ب .

(٤) الجردق ، وجمعه جرادق ، هو الفطير فى تونس . جاء فى تعليقات أبى يحيى بن جماعة الفقيه التونسى على كتاب « مسائل فى البيوع » (مخطوطة ليدن) : « والفطائر رغائف رقاق تطبخ فى التنور ، وتسمى عندنا الجرادق » . رواه دوزى فى ملحق القواميس ، ج ١ ص ١٨٥

(٥) فى نسخة ق : معه .

أنظر إلى الرجل فإذا هو أبو عقال بن علون ». (١) قال أبو ميسرة [أحمد بن نزار الفقيه]: وسمعت أبا عقال يقول — وقد سألته : « ما أشد ما جرى عليك بمكة ؟ » فقال —: « أشد ما مر عليّ أنا جعنا يوماً ثم يوماً ثم يوماً ، فمضينا إلى قوم فواجرونا (٢) فى عمل الطين ، ونحن ثلاثة : أنا وأبو [هارون] (٣) ورجل آخر » . قال : « فعملت أنا معهم فى الطين إلى الضحى ، فضعفت عن العمل ولم أقدر على شىء ، وخفت إن أكلت معهم وحات (٤) فى العمل . فخرجت من مكة هارباً نحو الصحراء ، وليس — والله الذى لا إله إلا هو — فى قلبى ذكر جنة ولا نار ولا حساب ولا عقاب . ولقد كنت أتمنى لو أصبت قشرة خبز (٥) على مزبلة ، حتى جئت إلى بئر إلى جنبه خشبة (٦) فنمت عليها وأنا مهموم لما بى من الجوع . فأنا (٧) كذلك حتى أقبل نسوة فقلن : « تنح لنا عن البئر فإنا طلبنا أن نتفرج عنده » ، قال : « فتنحيت عنهن ، وجعلت بينى وبينهن شرفاً . فأنا كذلك [مهموم] (٨) لما بى ، إذ أقبلت واحدة منهن فقالت : « قد وقع لنا الإناء الذى نستقى به فى البئر فلعلك [تجىء] (٩) تخرجه لنا » فجئت مبادراً حتى أخرجته لها ، ثم جئت إلى موضعى وأنا مغموم لما فى قلبى من الجوع . حتى أقبلت واحدة منهن بطبق فيه خبيص وفالوذج وشواء وجرادق ، وقالت : « كل ، فهذه بنت فلان التاجر تنزهت اليوم إلى هذا الموضع ، وهذا هدية لك من عندها » ، فأكلت طعاماً لو عملت شهراً جديداً بمكة وأجرت [على] عملى ما قام لى بذلك الطبق .

---

(١) جاء فى نسخة ق بعد ذلك : رضى الله عنه وأرضاه .

(٢) كذا فى نسخة ق ايضا (ص٥–١) ويريد: فآجرونا ، اى استأجرونا .

(٣) التكملة من نسخة ق (ص ٥ – ١) .

(٤) وفى نسخة ق : وجلت ، والأصح بالحاء . وجاء فى « لسان العرب » (مادة وحل ، جـ ١٤ ص ٢٤٩) : أوحل فلانا شرا ، أثقله به . فالمراد هنا أنه خاف أن يثقل عن العمل اذا أكل .

(٥) فى الأصل قشرة خبيز ، والتصويب من نسخة ق (ص ٥ – ١) وقد ورد فيها : قسر خبز . والمراد كسرة خبز .

(٦) ورد لفظ خشبة فى الأصل : خشبت .

(٧) فى الأصل : فاذا كذلك . والتصويب من نسخة ق (ص ٥ – ١)

(٨) أضفت هذه الكلمة ليستقيم السياق ، وقد أخذتها من كلامه .

(٩) التكملة من نسخة ق .

فأكلت وشبعت ، ثم حضرتني (١) دمعة الشكر فبكيت ، ثم قلت لنفسى : « يا ابن علون ، لا تذكر فى هذا اليوم جنة ولا ناراً ولا ذنباً من ذنوبك ؟ إنما كان همك كسرة خبز يابسة تأكلها ، فقد أكلت شيئاً لم يخطر ببالك » . ونمت ، فبينا أنا نائم إذ وقف بى ثلاثة نفر ، واحد منهم متقدم واثنان فى طلبه ، فقلت لواحد منهم : « من هذا ؟ » فقال : « هذا إبراهيم الخليل » ، فعطف علىَّ (٢) بوجهه وقال : « يا ابن علون ، تظن أنك تقصد الله تعالى وبضيعك ، أو تقصد الله ويخذلك ؟ » ، ثم انتبهت . فهذا أشد ما مر بى بمكة » .

وقال أبو بكر بن سعدون : « قال لى أبو عقال : « يا أبا بكر ، زال من قلبى حب الدنيا إلا حب النساء » قال : « فكنت أطوف مغطى العينين خوفاً من الفتنة فإذا بامرأة خراسانية تطوف ، [فنظرت إلىَّ] (٣) وأنا أطوف فقالوا لها : « هذا رجل من ملوك المغرب ، طلق الدنيا وبقى فى قلبه حب النساء » ، فقالت : « أنا أتزوجه » . فأرسلت إليه ، فقال لها : « لا أتزوجك حتى تتركى الدنيا ولا يبقى معك شىء منها مثلى » فأخبروها ، فتصدقت بما [معها] (٣) وتزوجت أبا عقال ، فأقام معها حتى توفى فدفنا جميعاً بمكة ، أبو عقال وزوجته الخراسانية » .

قال أبو بكر بن سعدون : حججت سنة تسعين ومائتين ، فسمعت أبا عقال يذكر الرؤوس ، فقلت له : « إذا كان بالغداة إن شاء الله تعالى ، وصليتَ الصبح فاصعد إلى [جبل] أبى قبيس وأنا آتيك بها إن شاء الله عز وجل » . قال : « فغدوت إلى رَوَّاس فأخذت منه ثلاثة رؤوس ، وأخذت رقاقاً وخبزاً وصعدت إلى أبى قبيس فأصبته جالساً ناحية ، فوضعت المثرد بين يديه ، ثم أخذت [رأساً] فشققته ، فوجدته دوداً يغلى ، فوضعته وأخذت الثانى ، فوجدته كذلك . فلما رأى ذلك أبو عقال قام وتركنى ، فمضيت إلى الرواس فقلت له : « يا هذا ، أبعت منى بائتاً مدوداً ؟ » (٤) فقال لى : « ما عندى بائت ولا مدود » فقلت له : « هاك ! » فنظر فإذا ليس فيه دودة واحدة ، فأقبلت أتعجب وذكرت له القصة ، فقال : « نعم ،

---

(١) فى نسخة ق (ص ٥ ب) : وحصرتنى .

(٢) جاء هنا فى نسخة ق (ص ٥ ب) : صلى الله عليه وسلم .

(٣) التكملة من نسخة (ص ٦ ــ ١) .

(٤) يريد : بعتنى رؤوسا بائتة مدودة . وفى نسخة ق : يا هذا بعت منى بايت مدود .

[هكذا] [1] تكون هذه الروس من عند العامل (ص ١٢٠) أو من عند صاحب الشرطة » ، أو كما قال أبو بكر [2] .

وذكر الشيخ أبو الحسن القابسي ، رحمه الله تعالى ، أبا عقال ، فحكى كيف كان سبب توبته ، ثم أنشد له شعراً يصف فيه أحواله [و] كيف كان يفعل قبل توبته [3] ، فقيل للشيخ [أبي الحسن القابسي] : هل يجوز مثل هذا : أن يذكر الإنسان أفعاله القبيحة ؟ أما يدخل هذا فى حديث ابن عمر الذى قال فيه [4] : « من المجانة أن يعمل الإنسان عملا بالليل فيصبح يخبر به » ؟ [5] فقال الشيخ أبو الحسن : « إن أفعاله كانت ظاهرة غير مستترة عليه [6] » فقيل له : « وقد أخبر هو بها فى شعره لمن لم يكن يعلمها » ، فقال : « إنه لو لم يخبر بها هو من لم [7] يعلمها لبلغته من غيره » .

---

(١) التكملة من نسخة ق (ص ٦ ب) .

(٢) روى الدباغ هذه الحكاية وأسندها الى « رجل حائك » لا الى أبي بكر بن سعدون . وقد وردت هناك على صورة أوفى ، اذ أن الدباغ يقول ، بعد أن يذكر كيف وجد أبو عقال دودا فى الرأسين : « فقال الحائك للرواس : أما استحييت تعطينى مالا فائدة فيه ؟ » وذكر له ما قال أبو عقال . فحلف الرواس ما يترك عنده مثلهما ، (فى الأصل : ما ترك . والمراد أن الرجل لا يدع فى دكانه شيئا مدودا) ثم أطرق متعجبا . فقال (اى الحائك) : « ما الخبر ؟ » ، قال : « هما والله من غنم كان انتهبها بعض العمال » ، ثم أخرج رأسين دونهما فقال : « خذ هذين بدون الثمن ، لكنهما من غير تلك الغنم » فأخذتهما . ثم قال لى الرواس : « والله ما ظننت احدا فى زماننا يحمى عن الحرام هذه الحماية » . قال : « فانطلقت مسرعا الى ابن عقال ، فأخرجت الرأسين فأكلهما واستطابهما ، فضحك الحائك وتبسم ، فقال له ابو عقال : « ما شأنك ؟ » فاخبره الخبر ، فاستعبر أبو عقال ورفع طرفه الى السماء وقال : « الهى ، بلغ عندك عبدك أبو عقال الى منزلة تحميه طعاما حراما ؟ لك علىّ عهد الا آكل طعاماً بشهوة حتى ألقاك » ـ « المعالم » جـ ٢ ص ١٤٨ .

(٣) وفى نسخة ق : ثم انشد له شعراً يصف فيه أحواله التى كان يفعل قبل قصته .

(٤) وردت هذه الفقرة الأخيرة مضطربة اضطرابا شديدا فى الأصل ، وقد اصلحتها واكملتها من نسخة ق ، ص ٦ ب .

(٥) فى الأصل : يحبو . والتصويب من نسخة ق .

(٦) كذا فى الأصلين .

(٧) فى النسختين : لمن

وقيل إنه كتبت إلى أبى عقال أخته (١) من القيروان إلى مكة كتباً كثيرة، بعد توبته وإنابته، تسأله وترغب إليه فى الرجوع إلى المغرب لتجتمع به وتسر برؤيته قبل أن يفرق الموت بينهما، فكل كتاب وصل إليه منها ألقاه من يديه ولم يقرأه. فلما طال ذلك عليها أوصت إليه بغير كتاب وقالت: «بحق الثدي الذى رضعته معك إلا أريتنى وجهك قبل الموت وفراق الدنيا! ما لك؟ فى حين صباك وجناياتك وكثرة ما [كان] يطرأ علينا بسببك(٢) كنت عندنا، وحين صرنا نفتخر بك ونتبرك برؤيتك فارقتنا؟» فقال لرسولها: «قل لها ما كنت لأدع بلداً عرفت الله عز وجل فيه وأمضى إلى بلد عصيت الله تعالى فيه. أخشى أن تقتضينى(٣) العوائد». ثم قدمت عليه أخته بعد ذلك من المغرب وأقامت بمكة حتى ماتت. وقيل إنها لما قدمت [عليه] قال لها (٤): «يا أخت، إن هذا بلد شديد العيش وليس تمكنك الأشياء به كما كانت تمكنك بإفريقية، وأنت قد تعلمت بإفريقية العيش الرغد والطعام الطيب». فقالت له: «إذا لم أجد شيئاً أخذت القربة وحملت [على] ظهرى الماء وسقيت مع السقايات» ثم إنها أقامت معه ما شاء الله تعالى بمكة تتعبد معه، وكانت مجتهدة. ثم توفيت بمكة، عليها [رحمة الله]. قال أبو بكر بن سعدون: رأيت على قبر أبى عقال أبياتاً رثته بها أخته، وهى:

ليت شعرى ما الذى عاينته … بعد دوم الصوم مع (٥) نفى الوسن
مع نزوح النفس عن أوطانها … من نعيم وحميم وسكن
يا وحيداً لى (٦) من وجدى به … لوعة، تمنعنى من أن أجن
فكما تبلى وجوه فى الثرى … فكذا (٧) يبلى عليهن (٨) الحزن

---

(١) فى الأصل: «كتب الى أبى عقال أخيه»، ولكن بقية الخبر تدل على أن الذى كتب اليه أخته كما فى نسخة ق (ص ٧ – ١) . ولهذا قومت الخبر كله على هذا النحو .

(٢) وردت هذه الفقرة فى نسختى ب، ق مضطربة اضطرابا شديدا ومن غير نقط فى الأصلين .

(٣) فى نسخة ق: تقبضنى .

(٤) التكملة من نسخة ق (ص ٧ – ١) .

(٥) فى الأصل: و . والتصويب من نسخة ق (ص ٧ – ١) .

(٦) فى الأصل: (يا واحدا ليس)، وفى نسخة ق: (يا وحيدا ليس) .

(٧) فى الأصل: كذلك، والتصويب من نسخة ق (ص ٧ – ١) .

(٨) كذا فى الأصلين .

وكان سبب موته أنه صلى العشاء الآخرة فى شهر رمضان[1] ثم قمنا لصلاة التراويح، فصلينا ترويحة، أو اثنتين، فسجد الناس وسجد أبو عقال، ثم قام الناس و[بقى][2] أبو عقال [ساجداً][2] بحاله، فظن من وراءه أنه نائم فى سجوده، فلما انقضت الترويحة التى كانوا فيها ذهبوا يحركونه فإذا هو قد مات. فصعد رجل على «الحجر» فقال: «أيها الناس، إن الله تبارك وتعالى أراد ألا ينشر لأبى عقال فى أرضه اليوم علماً»[3].

وكان، رحمه الله تعالى، هوى الشعر فى أيام حداثته، فلما صار إلى ما صار إليه كان يقوله فى معنى الزهد ورفض الدنيا، ويندب نفسه فيه ويصف أحواله التى تقدمت [له][4] فى حداثته، فمن ذلك قوله:

أيا من يرى الرشد فى غيه	ويخبط فى الداجيات القيادا
تجاف[5] بنفسك عن حتفها	وخذ لأمانك منك القيادا
أجب داعى الله لا تعصه	فقد جاد بالنصح جهراً ونادى
ولا تله بالموبقات التى	أبادت بوائقها من تمادى
وأقفرت الربع من أهله	وأبقت حلوف الندامى فرادى
وشتتت[6] الشمل بعد ائتلاف	فلم تبق للرائدين ارتيادا
بلوت الزمان، ودست البلاد	ونافست فى كل شيء[7] عنادا
شربت المدام، وسست القيان	ورضت الجياد، ورعت الشدادا
أصيد الغزال وأم الرئال[8]	بطرف أراه يجيد الطرادا
وصعلكت[9] فى البر والبحر دهراً	أخلف أهلى علىّ حدادا

---

(١) كذا فى الأصلين، مما يدل على ان الخبر من أوله يحكيه شخص بعينه، لعله ابو هارون الاندلسى. وقد آثرت ان اترك الأصل على حاله، والاكتفاء بهذه الاشارة.

(٢) التكملة من نسخة ق، ص ٨ – ١.

(٣) فى الأصل: عملا، وفى هامشه مقابل هذا السطر: «أظنه علما لئلا يشهر». وفى نسخة ق: «ان الله تبارك وتعالى أراد أن ينشر لأبى عقال فى أرضه اليوم عملا»، (ص ٨ – ١).

(٤) التكملة من نسخة ق، ص – ١. (٥) فى الأصل: تجافا.

(٦) فى الأصل: وشتت، والتصويب من نسخة ق (ص ٨ – ١).

(٧) فى نسخة ق: فن.

(٨) جاء فى اللسان (ج ١٣ ص٢٧٨): الرأل ولد النعام، وجمعه رئال.

(٩) كذا فى الأصل.

أسوم العباد (١) وأهوى اللداد وأظهر فى الأرض منى الفسادا
أروح على ذا وهذا وذاك أديم السهاد وأجفو المهادا
إلى أن تناهت حدود القضاء وأنفذ سلطانه ما أرادا
فجلّى (٢) من القلب إظلامه ونوّر (٣) ما كان منى سوادا
فألزمت نفسى مدى صبرها وخالفتها فى هواها عنادا
وباينت ما كنت ألهو به فأمسى وأصبح عندى سهادا
رضيت بدون الكفاية قوتاً وبالله عن كل خلق عمادا (٤)
فأضحى الملوك وأهل النعيم أقلَّ البرية عندى عدادا
وأسقطت لومى عن العالمين فمن شاء ودَّ ومن شاء عادى (٥)
فمن دام دمت له فى الوفاء وزايدته أبداً ما استزادا (٦)
ومن تاه تهت بمن لا يذل به من أعز ولا من أسادا (٧)
فلم أر عيشاً كعيش القنوع ولم أر مثل القنوع مرادا (٨)

قال أبو الربيع سليمان بن محمد : أخبرنى محمد بن الكاتب الرجل الصالح، قال : دخلت المسجد الحرام فإذا أنا بابن علون فى « الحطيم » قاعداً، فسلم علىّ وعانقنى ثم قال لى : « يا ابن الكاتب :

أما والأكف المهديات سلامها إلى مدنف لم يستطع أن يسلما (٩)
وتلك الخدود البيض والأعين التى قضَين لدمعى أن يفيض ويسجما »

---

(١) فى الأصل : البعاد ، وفى نسخة ق : البلاد .
(٢) فى الأصلين : محلى . وبهامش نسخة ب : ويروى من الدين ظلامه .
(٣) فى الأصلين : انور . (٤) فى الأصل: وبالله ما كل حلق عمادا.
(٥) فى الأصل : عادا وفى نسخة ق : عاد .
(٦) فى الأصل من غير نقط . وقد ورد هذا البيت فى نسخة ق مضطرباً جداً .
(٧) فى الأصل : استزادا ، والتصويب من نسخة ق (ص ٨ ب) .
(٨) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا :
فلم ار عيشا مثل عيش القنوع ولم ارى مثل القنوع لى مرادا
فقومت بعضه من نص نسخة ق (ص ٨ ب) وقومت البعض الآخر بما تقتضيه استقامة السياق والوزن .
(٩) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا :
أما والاكف مهديات سلامها الى مدنب لم يستطع أن يسلما
وقد قومته من نص نسخة ق (ص ٨ ب) .

ثم قال لى : « يا ابن الكاتب ، استمع قولى فى تكفيرة » ، ثم قال :

« لاح المشيب بلمتى فنعانى ... ونفى الصبا عنى وزم عنانى
ونأت خطوب الحادثات بأسرتى ... فبقيت منفرداً من الأقران
فلئن مضى صدر الزمان بصفوه ... فلأخدمن لسيدى المنان
(ص ١٢١) ولأقطعن علائقى من غيره ... حتى أحل بساحة الميدان
ولأنفين مطاعمى وملابسى ... ولأمنعن من الكلام لسانى
ولأهجرن أحبتى ومعارفى ... ولأقطعن عصابة المجان
ولأبكين على الصبا ولما مضى ... من غرتى فى سالف الأزمان
فلعل من شمل العباد بفضله ... يحيى[1] الفؤاد بكثرة الأشجان
يا من إليه حسن ظنى قادنى ... أنت المؤمل عند كل أوان
فامنن على بما أؤمل منك يا ... معطى [الجميل] ومسدي الإحسان[2]

وقال أيضاً :

لئن عزف[3] الإخوان عنى تزاهة ... وخلفنى عنهم نصيبى من الفقر
لقد سرنى أنى خلى من الذى ... أضاعوه من حق ولو كنت فى الأسر
ولو كنت فى الدنيا على مثل حالهم ... أبحتهمو[4] رحلى وعدت إلى طمرى
فما لى إلى خلق سوى الله حاجة ... ولكنه شيء تجاذبه فكرى
أتيه على الدنيا إذا ما تعذرت[5] ... وأوثر بالموجود[6] منها على الضر
سأرعى لهم ما هان منى عليهمو ... وأحمل نفسى فى الجفاء[7] على الصبر
عليهم سلام الله منى رسالة ... مقسمة بين التواصل والهجر
فما ألفة الألاف إلا تشاغل ... عن الجد والتشمير فى النهى والأمر

---

(١) فى الأصل : يحنى ، والتصويب من نسخة ق (ص ٩ ـ ١) .

(٢) ورد هذا الشطر فى الأصل هكذا : « معطى وبا موى الاحسان » وقد قومته من نسخة ق (ص ٩ ـ ١) .

(٣) فى نسخة ق (ص٩ـ١) : عرف .   (٤) فى الأصلين : ابحهم .

(٥) فى الأصل من غير نقط ، وفى نسخة ق (ص ٩ ب) : تغدرت .

(٦) فى الاصل من غير نقط ، والتصويب من نسخة ق .

(٧) فى الاصل : الحبا ، وفى نسخة ق (ص ٩ ب) : الحفاء .

رضيت بوصل الله عن[1] كل قاطع   حبال الإخا[2] فيما ينوب من الدهر
وأيقنت أن المنع من فيض جوده   وفضلا لأهل القرب باح به شكرى
فقمت على صول الزمان مفكراً   بأربعة أُثْبِتُ[3] فيها على الصبر
فقل لحصون الغرب طراً ومن [بها][4] أبحتكمو حظى من البر والبحر
يقارعنى من شاء منكم بعيشه   معيشة أهل الفقر[5] طاهرة الستر
بلا عوض منها إلى النفس راجع   علىَّ بجاه فى الأنام ولا قدر

وقال أيضاً :

نناي وتشويقى بنفسى أذلها   وَأُعْمِلها فيما عليها بما لها[6]
نميل إلى حظ من القوت دارس   بحظ من الدار التى لا انقضا لها[7]
كأنى للدنيا رهين بخدعة   تخالفنى [يوماً][8] ويبقى وبالها
وناشئة[9] الليل البهيم يقومها   رجال أضاعت فرشها وحجالها
سوامر[10] أسدال الظلام ضوامر   بنيل[11] من الإقتار منها منالها
ولاذت بمولاها بصائر[12] فكرها   فأنعشها روح الحياة وعالها

---

(١) فى الاصل : من ، والتصويب من نسخة ق .

(٢) فى نسخة ق (ص ٩ ب) : الرجا .   (٣) فى الاصل من غير نقط .

(٤) التكملة من نسخة ق (ص ١٠ ـ ١) .

(٥) انفردت نسخة ب بهذا البيت ، وقد وردت بها الشطرة الثانية هكذا :   معسه الاىعاب طاهرة الستر
فقومتها على هذا النحو ليستقيم الوزن والمعنى .

(٦) فى الاصل هكذا :
مناى ونسوىعى ىنفسى أدلها   وأعملها فيما عليها تنالها

(٧) فى الأصل : لا انفصالها . والتصويب من نسخة ق (ص ١٠ ـ ١) .

(٨) التكملة من نسخة ق (ص ١٠ ـ ١) .

(٩) جاء فى القاموس المحيط فى معانى لفظ « ناشئة » : كل ساعة قامها قائم بالليل ، أو القومة بعد النومة .

(١٠) فى الأصل : شوامر . والتوصيب من نسخة ق (ص ١٠ ـ ١) .

(١١) فى الاصلين من غير نقط .

(١٢) فى الأصلين : بصامر ، ويمكن قراءتها كذلك : بصائب فكرها .

فلمـا رأى من آثرته (١) بحبهـا — دوام الأسى منهـا عليهـا رثى لهـا
فَعَفّى مراقيهـا وأوطى سهولهـا — وحطت عليـه بالوجود رحالهـا
نعم ذوى الألبـاب برهان صدقهم — ولى حـالة لم ينعم الله بالهـا
كأنى ونفسى بين حرب وهدنة — إذا ساعدتنى فى السهاد بدا لهـا
إذا ذادها للورد حادى وعيـدها — أشـار إليهـا ضـده فأزالهـا
تخـالفنى فى كل أمـر أريـده (٢) — وتقطع منى باليمـين شمالهـا
فمن لى بنفس لا تـزال غـوية — تساعد شيطاناً يريد ضلالها (٣)
فلو كان لى التخيير فى بدء خلقتى (٤) — تعوذت من نفسى فلم أر حالها
وكنت كمن لم يبـدع الله خلقـه — فلا علـة آسى عليهـا ولا لهـا
ولو كنت فى الدارين حراً مدللا (٥) — لنغص ذكر الموت عندى دلالها
فلا كانت الدنيـا ولا كنت قبلهـا — فمـا لى وما للعيش فيهـا وما لهـا

وقال أبو عقال يذكر أوصاف أبي هارون الأندلسى واجتهاده فى الطاعة ودوامه عليها :

قـرين (٦) الحزن ذوهم يجول — أخـو سهـر إذا نـام الغفـول
دؤوم الـكد أواه إذا مـا — تذكر ما توعـده (٧) الجليـل
عزوف النفس عن شهوات دار — تميـل لهـا القلوب وما (٨) تميـل
قرير العـين بالإخـوان صب — غزير الدمع بسـام وصـول
سخى الكف ليس بمـا لديـه — من الدنيـا ، وإن جلت ، بخيـل
رحيب الكف ليس لـه ادخـار — ولا أهـلا ولا ولـداً يعـول

---

(١) فى الأصل : « فلما رآ من آثربه بحبها » .

(٢) فى الاصل : تخالفنى فى كل أمر حق أريده .

(٣) فى الاصل : ظلالها .

(٤) فى الأصل : « فلو كان الى التخير فى بدى خلقتى » ، وفى نسخة ق : فلو كان لى تخير فى بدو خلقتى .

(٥) فى نسخة ق (س١٠-١) : مذللا . (٦) فى نسخة ق (س١١-١) : قرير .

(٧) فى الاصل : تواعده .

(٨) فى الأصل : فيما ، والتصويب من نسخة ق .

فعــول ما يقــول وكل أمــر يــدل عليــه فهــو له فعــول (١)
ذكي النفس ذو عقـــل ولب صـدوق اللفظ يفهم ما يقــول (٢)

وقال أيضاً ، وهو زيادة من نسخة :

دعاه من الأوطان شـــوق مبرح فجاد عليــه دمعــه وهو قاطر (٣)
عليــه لكتمان المودة شـــاهد من الوجد يبــدى ما تجن الضماير (٤)
عزوف عن الآمال بــين ضلوعه وبين الحشـــا من لوعة الحب باتر
ألا فعــلى الدنيــا عفــاء يشوبه طلاقى لها ما ســاعدتنى البصـاير
إذا أقبلت يومــاً عــلىّ بودهــا فــإنى بمــا تولى من الــبر كافر
لعمــرك ما الدنيــا بشيء أريده ســوى أنهــا نزل وأنى مســافر (٥)

---

(١) فى نسخة ق (١١ ـ ١) : حمول ٠

(٢) الى هنــا تنتهى ترجمة ابى عقال فى نسخة ق ، وتبدا بعد ذلك مباشرة ترجمة أبى عبد الله محمد بن أبى حميد ، وهى أول ترجمة فى الجزء الثانى من « الرياض » بحسب نسخة القاهرة ٠ وكانت احدى النسخ التى نقل عنها ناسخ نسخة باريس تنتهى هنا ايضا ، كما نفهم بوضوح من الشطر الثانى لذلك النص ، وقد أكد الناسخ ذلك بقوله فى الهــامش : « ومن نسخة زيادة » ٠

(٣) فى الأصل : قاطر ٠

(٤) فى الأصل : من الوجد ىىد عما تحن الضماير ٠

(٥) ورد هذان البيتان فى الاصل مضطربين جدا هكذا :

فان الاعا اذا ماشا أصلح حالها أقبلت يوما عــلى بودها فانى
لعمرك ما فى الدنيــا شيا أريده سوى أنها نز فانى مســافر

وورد فى الهامش مقابل البيت الأول : « لما بولى من البر كافر » ثم كلمة « كذا » ٠ وقد أعدت تركيب البيتين على الصورة الواردة هنا مستعينا بعبارة الهامش ، واستغنيت عن عبارة « فان الاعا اذا ماشا اصلح حالها » لأن الغالب أنها الشطر الأول من بيت لم يرد شطره الثانى ٠

والى هنا ينتهى الجزء الأول من « رياض النفوس » بحسب نســخة باريس ٠ أما الجزء الأول من نسخة القاهرة فلابد أنه كان ينتهى بترجمة أبى هارون الاندلسى ، لأن الجزء الثانى يبدأ بترجمة أبن علون ٠ وقد تابعت نسخة القاهرة فجعلت هذه الترجمة الاخيرة هنا ٠ وسيكون أول الجزء الثانى ، ان شاء الله ، ترجمة أبى عبد الله محمد بن أبى حميد السوسى المتوفى سنة ٢٩٣ هـ ٠

ذيول الجزء الأول

---

(١) فوات الجزء الأول من الرياض .

(٢) ثبت بالمالكيين .

(٣) أعلام الحنفية بإفريقية إلى سنة ٣٠٠هـ .

— ١ —

فوات الجزء الأول من رياض النفوس

بينت فى المقدمة ان نسخة الرياض الوحيدة التى اعتمدت عليها فى هذا العمل ينقصها الكثير مما كان فى الأصل الذى املاه ابو عبد الله المالكى فى مجالسه واتمه ابنه عبد الملك من بعده . واشرت كذلك إلى ان تراجم الكثيرين من كبار المالكيين الافارقة ساقطة من هذه النسخة تماما ، وظهر من الفقرات التى اقتبسها مؤرخون آخرون من نسخ كاملة من « الرياض » ان الاصل كان يضم الكثير من هذه التراجم الناقصة ؛ ولهذا رايت ان احصيها واجمعها من الكتب المختلفة التى تناولت الكلام عن علماء إفريقية وفقائها وزهادها حتى سنة ٤٩٥ هـ ، وهى سنة وفاة عبد الملك المالكى مكمل « الرياض » ، وساوردها بإذن الله فى نهاية الجزء الثانى . واكتفى هنا بالإشارة إلى الشخصيات التى توفيت قبل سنة ٣٠٠ هـ ، وهى السنة التى تنتهى عندها تراجم الجزء الاول ، وهى مرتبة ترتيبا أبجدياً ، وقد بيّنت مع كل اسم المراجع التى يجد القارىء فيها معلومات عنه ، واثبت سنة الوفاة امام من وجدت سنة وفاته منهم :

ابراهيم بن عتاب الخولانى (١) .

الطبقات ، ص ١٥١ .

المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٢ ــ ١ .

ابراهيم بن النعمان القرشى العنبرى .

المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٤ ــ ب .

احمد بن حماد المعلم .

الطبقات ، ص ٧٨ و ٩٢ .

المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٥ ــ ١ .

احمد بن عل بن حميد التميمى .

المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٤ ــ ١ .

---

(١) فى المدارك : ابن غياث ، والتصويب من « الطبقات » .

احمد بن لبدة ، ابو جعفر . توفى سنة ٢٦١ هـ .

المدارك جـ ١ ، ص ١٥٠ ـ ا .

الديباج المذهب ، ص ٣١

المعالم ، جـ ٢ ، ص ٩٤ ـ ٩٥

احمد بن محمد المعروف **بابن علامة التميمى .**

المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٥ ـ ا .

احمد بن ملول (التنوخى) ، ابو بكر (ويسمى أيضا **احمد بن احمد بن يلول**[١])

المدارك جـ ٢ ، ص ١٥ ـ ا .

احمد بن يزيد القرشى (المعلم) ، ابو عبد الله . توفى سنة ٢٨٤ هـ .

الطبقات ، ص ١٧٣

المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٤ ـ ا .

المعالم ، جـ ٢ ، ص ١٣٣

اسحاق بن ابراهيم القيسى ، ابو يعقوب .

المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٥ ـ ب .

اسحاق بن ابراهيم بن عبدوس ، ابو ابراهيم . توفى سنة ٢٦٦ هـ .

الطبقات ، ص ١٣٣ .

المدارك ، جـ ١ ، ص ١٥١ ـ ا .

المعالم ، جـ ٢ ص ٩٩

ثابت بن سليمان .

المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٠ ـ ا .

حبيب بن نصر بن سهل التميمى . توفى سنة ٢٨٧ هـ .

الطبقات ، ص ١٤١

المدارك ، جـ ٢ ، ص ٨ ـ ا .

الديباج ، ص ١٠٦

المعالم ، جـ ٢ ، ص ١٣٢

حمديس بن ابراهيم بن صخر (٢) **اللخمى .**

المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٠ ـ ا .

الديباج ، ص ١٠٨

---

(١) فى الأصل : بلول .

(٢) فى « الديباج المذهب » : حمديس بن ابراهيم بن أبى محرز اللخمى .

خالد بن سعيد . توفى سنة ٢٩٧ هـ .
المدارك ، جـ ٢ ، ص ٧ ــ ١ .

ابو داوود العطار ، احمد بن موسى . توفى سنة ٢٤٤ هـ .
الطبقات ، ص ١٥١
المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٢ ــ ١ .
المعالم ، جـ ٢ ، ص ١٠٤

دحيون بن راشد . [سمع من أسد] .
الطبقات ، ص ١١٤ .
المدارك ، جـ ١ ، ص ١٢٩ ــ ب .

رخيص بن محيص الصوفى .
المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٥ ــ ١ .

زيد بن اسماعيل بن زيدان الواسطى .
المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٤ ــ ب .

سعيد بن اسحاق الكلبى ، ابو عثمان . توفى سنة ٢٩٥ هـ .
الطبقات ، ص ١٥٢ وصفحات اخرى .
المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٤ ــ ب .
المعالم ، جـ ٢ ، ص ١٧٢

سعيد بن عباد ، ابو عثمان . توفى سنة ٢٥١ هـ .
الطبقات ، ص ١٥٤
المدارك ، جـ ١ ، ص ١٥١ ــ ١ .
المعالم ، جـ ٢ ، ص ٧٦ ــ ٧٨

سهل بن عبد الله بن سهل القبريانى (١). توفى سنة ٢٨٢ هـ .
الطبقات ، ص ١٣٤
المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٣ ــ ١ .
المعالم ، جـ ٢ ، ص ١٣٠

---

(١) فى المعالم : القيروانى .

شجرة بن عيسى المعافرى ، ابو سمرة . توفى سنة ٢٦٢ هـ .

الطبقات ، ص ٢٤٨ و ٢٥١ .
المدارك ، جـ ١ ، ص ١٢٩ ــ ب .
الديباج ، ص ١٢٧

شيبة بن زنون .

المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٥ ــ ١ .

عبد الرحمن محمد بن عمران الملقب **بالورنة** (١) .

الطبقات ، ص ١٤١
المدارك ، جـ ٢ ، ص ٤ ــ ب .

عبد الرحيم بن اشرس ، ابو مسعود . [من طبقة على بن زياد] .

الطبقات ، ص ٢٥٣
المدارك ، جـ ١ ، ص ٦٧ ــ ١ .
الديباج ، ص ١٥٢

عبد الله بن ابى زكريا يحيى بن سليمان الحفرى .

المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٥ ــ ١ .

عبد الله بن سهل القبريانى ، ابو محمد . توفى فى شعبان ٢٤٩ هـ .

الطبقات ، ص ١٣٤
المدارك ، جـ ١ ، ص ١٤٤ ــ ب .
المعالم ، جـ ٢ ، ص ٧٢

عبد الله بن الطبنة ، ابو احمد الأزدى .

المدارك ، جـ ١ ، ص ١٥١ ــ ب .

عبد الله بن ابى عطاء ، واسمه **عبد الغافر .**

المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٥ ــ ١ .

عبد الله بن غافق التونسى ، ابو عبد الرحمن .

المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٢ ــ ١ .

---

(١) فى المدارك : عبد الرحمن بن محمد بن عفران الملقب بالورقة ، وقد صوبت الاسم على ما جاء فى طبقات ابى العرب .

عبد الله بن محمد بن عباد بن كثير الطبني التميمي .
المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٣ ــ ١ .

على بن مسلم البكرى ، من بكر بن وائل.
المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٤ ــ ١ .

عمر بن شجرة بن عيسى .
المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٣ ــ ب .

عمر بن يوسف بن عمر بن عيسى .
المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٠ ــ ١ .

عيسى بن مسكين ، ابو موسى .
الطبقات ، ص ١٤٢ ــ ١٤٣ .
المدارك ، جـ ٢ ، ص ١ ــ ١ .
الديباج ، ص ١٧٩ .

فرات بن محمد بن فرات العبدى ، ابو سهل .
الطبقات ، ص ١٤١ و ٢٢٨ .
المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٤ ــ ب .
المعالم ، جـ ٢ ، ص ١٦٨ .

محمد بن بشار الزولى .
المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٢ ــ ١ .

محمد بن أبى حميد السوسى . توفى سنة ٢٩٣ هـ .
المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٥ ــ ب .
المعالم ١ جـ ٢ ، ص ١٦٩ .

محمد بن رزين . توفى سنة ٢٥٥ هـ .
الطبقات ، ص ١١٩ .
المدارك ، جـ ١ ، ص ١٤٤ ــ ب .

محمد بن رشيد ، ابو زكريا . توفى سنة ٢٢١ ــ ٢٢٢ هـ .
الطبقات ، ص ١١٠ .
المدارك ، جـ ١ ، ص ١٢٨ ــ ١ .
الديباج ، ص ٣١ .
المعالم ، جـ ٢ ، ص ٣٢ .

محمد بن زرقون بن أبى مريم المعروف **بالطيارة** (١) ، **أبو عبد الله** .
وفى سنة ٢١٨ هـ .

الطبقات ، ص ١٥٥ .
المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٣ ـ ١ .
المعالم ، جـ ٢ ، ص ١٢٢ ـ ١٢٣ .

محمد بن سوال بن عاصم الطائى ، أبو عبد الله .

المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٤ ـ ب .

محمد بن شبيب ، أبو يوسف . توفى سنة ٢٦٠ هـ .

المدارك ، جـ ١ ، ص ١٤٤ ـ ب .
الديباج ، ص ٢٣٤ .

محمد بن شقر ، أبو عبد الله .

المدارك ، جـ ٢ ، ص ٧ ـ ١ .

محمد بن عامر القيسى ، أبو عبد الله .

المدارك ، جـ ١ ، ص ١٥١ .

محمد بن قاسم وابنه القاسم عبيد الله ، يعرف **بابن الزواوى** (٢) .

الطبقات ، ص ١٥٤ .
المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٥ ـ ١ .

محمد بن قمود القابسى ، أبو عبد الله .

المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٣ ـ ب .

محمد بن المبارك الزيات .

المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٥ ـ ب .

محمد بن محمد بن حمزة ، أبو المعمور .

المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٥ ـ ١ .

---

(١) فى الأصل : محمد بن ورقون ... ابن الطيارة .

(٢) غير واضح من الذى كان يلقب بابن الزواوى : محمد بن قاسم أو ابنه . وقد وجدت فى « الطبقات » مادة قصيرة عن الزواوى نفسه ، أما ابنه فلم أجده .

محمــد بن نصر بن حضرم ، أبو الحسن ؛ (ويسمى أيضاً **احمــد بن نصر**) المتوفى سنة ٣٠٧ هـ

الطبقات ، ص ١٩٨ .

المدارك ، جـ ١ ، ص ١٥١ – ب .

المعالم ، جـ ٢ ، ص ٢٤٢ .

معتب بن أبى الأزهر .

الطبقات ، ص ١٣٨ .

المدارك ، جـ ١ ، ص ١٥١ – ب .

يحيى بن خالد السهمى ، أبو خالد .

الطبقات ، ص ١٢٠ .

المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٣ – ب .

يحيى بن عوف بن يوسف الخزاعى ، أبو زكريا . توفى سنة ٢٩١هـ .

الطبقات ، ص ١٠٤ و ١٠٥ .

المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٣ .

المعالم ، جـ ٢ ، ص ١٦٥ .

يزيد بن خالد .

المدارك ، جـ ٢ ، ص ١٥ – ب .

— ٢ —

ثبت بأعلام المالكين

اذا استثنينا بضع تراجم قليلة ، وجدنا ان اعلام « الرياض » كلهم من المالكيين . ولما كانت* التراجم تحوى اشارات كثيرة الى علماء المالكية فى الشرق والغرب ، فقد رايت ان أنشىء ثبتا وافيا بالمالكيين جميعا ، حتى يسهل التعرف على الأعلام المشار اليهم فى السياق .

وقد وجدت أن القاضى أبا الفضل عياض بن موسى اليحصبى قد اورد فى الجزء الأول من « ترتيب المدارك » ثبتا وافيا بالمالكية ، فرتبت اعلام هذا الثبت على حروف المعجم واحتفظت بتقسيمها الى طبقات كما أوردها عياض . ورتبت اعلام كل طبقة على حدة ، وراجعت هذه الأعلام على ما ورد منها فى المصادر ، وخاصة « الديباج المذهب » لابن فرحون ، مستعينا بالفهرس الأبجدى الذى وضعه الأستاذ مصطفى السقا وتفضل — مشكورا اخلص الشكر — باعارتى اياه . وفيما يلى ثبت « المدارك » ؛ وقد اشرت الى تصويبات الأسماء من المراجع الأخرى كلما اقتضى ذلك .

ويلاحظ عند استخدام هذا الثبت :

(ا) ان اعلام كل طبقة من المالكيين مرتبون ابجديا على حدة ، فاذا لم تعلم طبقة العَلَم المراد فليُبحث عنه فى كل طبقة .

(ب) يُستبعد عند البحث « ابن » و « ابو » واداة التعريف « ال » . فابن عبدون يبحث عنه فى عبدون ، وابو طالب فى طالب ، والعوانى فى عوانى .

[ص ٥١ — ب] (١) **باب مشاهير الرواة عن مالك**

من شيوخه وأقرانه ، ممن مات قبله بمدة أو تقاربت ميتاتهم (٢) [معه]

قال القاضى [عياض بن موسى اليحصبى] ، رضى الله تعالى عنه : كنا

---

(١) هذه الأرقام تشير الى صفحات مخطوط « المدارك » الموجود بدار الكتب المصرية .

(٢) فى الأصل : موتاهما .

قديماً جمعنا الرواة عن مالك على حروف المعجم — على ما أشرنا إليه أول الكتاب — فاجتمع لنا منه نيف على الألف اسم وثلاثمائة اسم ، وذكرنا فى كتابنا هـذا منهم فى الطبقات الثلاث الفقهاء منهم ، إذ هو الغرض الذى بنينا عليه الكتاب. وأردنا أن نذكر فى هذا الباب نبذة من مشاهير من روى عن مالك : من شيوخه وأقرانه وكبراء الآخذين عنه ومشاهيرهم من سائر الناس ، ليتبين عظيم منزلته فى وقته واقتداء الجماهير به ومعرفتهم حقـه ، مقتصرين على الأسماء والوفاة لمتقدمهم دون الخبر والقصة ، وعند تمام هذا الباب نرجع إلى غرضنا فى تطبيق(١) أصحابه الفقهاء وذكر أخبارهم على ما شرطناه أول الكتاب .

باب من روى عن مالك

من شيوخه وأقرانه الذين تعلم منهم وروى عنهم

فمن التابعين :

أيوب بن أبى تميمة السختيانى : توفى سنة إحدى وثلاثين ومائة . قبل مالك بتسع وأربعين سنة .

ربيعة بن أبى عبد الرحمن : توفى سنة ست وثلاثين — وقيل سنة ست وأربعين — [ومائة] . روى عنه « حديث المتعة » وغير ذلك .

زيد بن أسلم (٢) .

محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى : روى عنه حديث الفريعة بنت سنان فى الطلاق . ومات سنة أربع وعشرين ومائة . قبل مالك بخمس وخمسين سنة .

موسى بن عقبة : وتوفى سنة إحدى وأربعين . روى عنه حديث النهى عن بيع التمر قبل بدو صلاحه .

هشام بن عروة : وتوفى سنة ست وأربعين (٣) [ومائة] .

---

(١) اى ترتيبهم طبقات . وفى الأصل : تطبق .

(٢) فى الأصل : وذكر غيره فيهم زيد بن اسلم وسؤاله اياه .

(٣) فى الأصل : وذكر ابو محمد الحسن بن اسماعيل الضراب وغيره ، ان ممن روى عن مالك من شيوخه من التابعين ، هشام بن عروة ... الخ .

يتيم عروة ، أبو الأسود : ومات قريباً من وفاة الزهرى .

يحيى بن سعيد الأنصارى : روى عنه كثيراً من حديث ابن شهاب . توفى سنة ثلاث وأربعين — وقيل سنة أربع وأربعين [ومائة] — ، قبل مالك بست وثلاثين سنة .

يزيد بن عبد الله بن قسيط الليثى .

ومن غير التابعين من شيوخ مالك ، الذين روى عنهم وغيره ورووا عنه الحديث :

أبو النصر ، مولى عمر بن عبيد الله بن أسامة بن الهادى : توفى قبله بأربعين سنة . روى عنه : « لا يحلب أحدكم ماشية أخيه إلا بإذنه » .

زياد بن سعد .

زيد بن أنيسة الجزيرى [1] : توفى قبله بخمس وخمسين سنة — سنة موت ابن شهاب — لكنه توفى شاباً ابن ست وثلاثين سنة ، قاله كله البخارى . روى عنه مالك فى الموطأ ، وروى هو عن مالك حديث : « رحم الله من كانت لأخيه عنده مظلمة . . . » .

سـالم بن مية .

عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب : روى حديث المتعة وغيره .

عمرو بن الحارث المصرى : توفى قبله بثلاثين سنة .

محمد بن عجلان .

نافع القارىء ابن أبى نعيم : توفى قبله بعشر سنين . قرأ عليه مالك القرآن .

طبقـة أخرى **من الأكابر من طبقة متاخرى شيوخه من تابعى التابعين** ، ومن مات قبله بزمن ، ممن لم يرو عنـه مالك وروى هو عن مالك ، وفيهم من عاصره وتوفى قبله بزمن :

سليمان بن مهران الأعمش : توفى قبله بإحدى وثلاثين سنة .

عبد الملك بن جريج : توفى قبله بثلاثين سنة .

محمد بن إسحاق : صاحب « المغازى » ، توفى قبله بنحو ثلاثين سنة . ذكر أبو محمد الضراب أنه روى عنه . وفيه نظر .

---

(١) ورد فى الأصل فوق هذا الاسم لفظ « كذا » .

محمد بن إسحاق المدنى : رجل آخر ، روى عن مالك بغير شك.

محمد بن عبد الرحمن بن أبى ذيب القرشى : توفى قبله بعشرين سنة .

طبقة أخرى من **الرواة عنه ، من اقرانه من الرواة والمشاهير الذين تقاربت ميتاتهم معه** ومن ساواه فى السماع معه من أشياخه كثير منهم ، ومنهم من مات قبله بسنين كثيرة .

إبراهيم بن طهمان ، يروى : إبراهيم [1] بن محمد.

إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى ، مدنى .

إبراهيم بن محمد الشافعى ، مكى .

أبو إسحاق الفزارى : توفى بعده بثمان سنين .

أبو حنيفة ، كوفى : توفى قبله بثلاثين سنة .

أبو ضمرة : توفى بعده بعشرين سنة .

أبو عمر الأوزاعى : توفى قبله بثلاث وعشرين سنة.

أبو يوسف القاضى ، صاحب مالك : توفى بعده بثلاث سنين .

أسامة بن زيد الليثى .

أسد بن عياض ، مدنى .

إسماعيل بن إبراهيم بن علية ، بصرى : توفى بعده بثلاث عشرة سنة .

إسماعيل بن أبى جعفر بن أبى كثير القاضى ، مدنى .

أنس بن زياد اللؤلؤى ، كوفى

جرير بن عبد الحميد الضبى القاضى .

جعفر بن عون المخزومى ، كوفى .

جويرة بن أسماء ، بصرى : مات بعده بثلاث عشر سنة .

حفص بن عمر بن ميسرة الصنعانى.

حفص بن ميسرة الصنعانى ، شامى : توفى بعد مالك بسنتين.

حماد بن أبى حنيفة .

حماد بن زيد ، بصرى : توفى معه فى عام واحد .

حميد بن عبد الرحمن الرواسى ، كوفى : توفى بعده بعشر سنين .

---

(1) ورد فى الأصل ، فوق كلمة ابراهيم الثانية ، لفظ « كذا » .

روح بن القاسم البصرى .
سفيان بن سعيد الثورى ، كوفى : توفى قبله بنحو عشرين سنة .
سفيان بن عيينة ، مكى : توفى بعده بإحدى عشرة سنة .
شريك بن عبد الله القاضى : توفى قبله بسنتين .
شعبة بن الحجاج : توفى قبله بعشرين سنة .
الضحاك بن عثمان بن الضحاك الأصغر : وكان من كبراء أصحابه ، وتوفى بعد مالك بسنة .
الضحاك بن عثمان بن عبد الله الحزامى الأكبر (١) [جد الضحاك بن عثمان ابن الضحاك الأصغر] .
عباد بن عباد المهلبى : توفى بعده بسنة .
عبد الحميد بن سليمان [أخو فليح بن سليمان] .
عبد الرحمن بن أبى الزناد .
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : توفى بعده بثلاث سنين .
عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون : توفى قبله بنحو عشرين سنة .
عبد الله بن إدريس الأودى .
عبد الله بن جعفر المدنى ، والد على : توفى قبل مالك بسنة .
عبد الله بن عون بن أطباق ، أبو عون ، بصرى : توفى قبله بنحو ثلاثين سنة .
عبد الله بن لهيعة المصرى : وتوفى قبله بنحو الخمس سنين .
عثمان بن الضحاك بن عثمان بن عبد الله الحزامى .
العضاب بن خالد المخزومى .
فليح بن سليمان ، مدنى : توفى قبله باثنى عشر عاماً .
القاسم بن سرور الأبلى .
الليث بن سعد ، مصرى : توفى قبله بأربع سنين .
محمد بن أبى إسماعيل بن أبى فديك .
محمد بن أبى جعفر بن أبى كثير .

---

(١) فى الأصل : . . . الأكبر ، وابنه عثمان ، وابن ابنه الضحاك بن عثمان ابن الضحاك – وهو الأصغر – وكان من كبراء أصحابه . وتوفى هذا الأصغر بعد مالك بسنة .

محمد بن أبي سبرة : توفي قبله بسبع سنين .

محمد بن الحسن التلي[1].

محمد بن عمران القاضي .

مسلم بن خالد الزنجي : توفي سنة وفاته .

معاوية بن صالح الحمصي ، قاضي الأندلس : توفي قبله بنحو عشر سنين .

معمر بن راشد : توفي قبله بست وعشرين سنة .

المغيرة بن عبد الرحمن الخزامي : توفي سنة وفاته .

موسى بن أعين الجزري : توفي قبله بسنتين .

نافع بن يزيد ، مصري .

ورقة بن عمر .

وكيع بن الجراح : توفي بعده بمدة .

وهيب بن خالد البصري : توفي قبله بخمس عشرة سنة .

يونس بن يزيد الأيلي : مات قبله بعشرين سنة .

| |[2] بن مسلمة ، بصري .

طبقة أخرى بعد هؤلاء ، **ممن روى عنه العلم من مشاهير الأئمة وتفقه عنده وجالسه من جلة العلماء دون هؤلاء** ومنهم من شاركه في شيوخه ، ومنهم من ظهر في حياته وأفتى في زمانه .

فمن أهل المدينة :

زكريا بن منظور .

سليمان بن تلال : توفي قبله بأربع سنين .

عبد العزيز بن أبي حازم : توفي بعده بست سنين .

عبد العزيز بن الدراوردي : توفي بعده بست سنين .

محمد بن مسلمة المخزومي .

---

(١) في الأصل : التل ، وورد فوقها لفظ « كذا » . وقد راجعت هذه النسبة في « أنساب السمعاني » فوجدت أن صحتها « التلي » ، نسبة الى « تلعفر » ـ « كتاب الأنساب » لأبي سعيد السمعاني المروزي ، طبعة مارجوليوث ، ليدن ١٩١٢ ص ١٠٨ .

(٢) بياض بالأصل .

محمدبن مطرف أبو غسان.
المغيرة بن عبد الرحمن المخزومى : توفى بعده بسبع سنين .
يحيى بن عبد الملك المريرى .
ومن أهل العراق والمشرق :
لحسن بن زياد اللؤلؤى ، صاحب مالك .
حفص بن غياث .
عبد الرحمن بن مهدى : وتأخرت وفاته بعده .
عبد الله بن المبارك : توفى بعده بسنتين .
محمد بن الحسن ، صاحب أبى حنيفة : وتوفى بعده بثمان سنين.
يحيى بن سعيد القطان : وتأخرت وفاته بعده .
ومن أهل الحجاز واليمن :
أبو قرة موسى بن طارق .
ومن أهل مصر :
زيد بن شعيب : توفى [بسبع سنين] (١).
سعيد بن عبد الله : توفى قبله بست سنين.
طليب بن كامل الإسكندرانى ، واسمه عبد الله .
عبد الرحيم بن خالد : توفى قبله بثمانى عشرة سنة.
عثمان بن الحكم : توفى قبله بخمس وأربعين سنة .
ومن أهل القيروان :
أبو مسعود بن أشرس
البهلول بن راشد : توفى بعده بأربع سنين .
عبد الله بن أبى حسان اليحصبى ، مدنى .
عبد الله بن غانم القاضى : توفى بعده بسنتين ، على ماذكره الشيرازى ، والصحيح أن وفاته بعده بعشر سنين.
عبد الله بن فروة : توفى قبله بأربع سنين.
على بن زياد : توفى بعده بأربع سنين .

---

(١) لم يترك الناسخ بياضا فى هذا الموضع ، وفاته ان يحدد ان كان قد مات قبل مالك او بعده ، فتركت هذا البياض .

محمد بن عبد الله ، أبو محرز ، القاضى .

ومن أهل الأندلس :

حفص بن عبد السلام السرقسطى

زياد بن عبد الرحمن بن محمد .

سعيد بن أبى هند : توفى قبله بنحو ثلاثين سنة .

سعيد بن عبدوس .

محمد بن يحيى السبائى .

ومن أهل الشام :

الوليد بن مسلم : توفى قبله بأربع سنين .

ومن بعد هؤلاء من المشاهير طبقة أخرى . **ممن حمل عنه الفقه والحديث ، ويندرج بعدهم من صغرت اسنانهم عنه** وجئنا بهم على حروف المعجم تقريباً وترتيباً ، والله سبحانه المستعان :

— ا —

أبان بن عثمان

أحمد بن أبى بكر الزهرى أبو مصعب ، مدنى .

أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقى ، مكى .

أحمد بن محمد بن مالك ، حفيده .

أحمد بن منصور .

أحمد بن نصر بن مالك الخزاعى .

— ب —

أبو بكر بن شعيب المدنى .

أبو بكر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب .

— ح —

أبو حنظلة الإدريسى

— خ —

خارجة بن مصعب بن الحجاج ، سرخسى .

خالد بن حميد أبو حميد المدنى .

خالد بن خراش ، بصرى .

خالد بن سـالم .
خالد بن سليمان أبو معاذ البلخى .
خالد بن عبد الرحمن أبو الهيثم ، خراسانى .
خالد بن عبد الرحمن المخزومى .
خالد العبدى ، بصرى .
خالد بن عثمان العثمانى .
خالد بن مخلد القطوانى ، كوفى .
خالد بن نجيح .
خالد بن نزار ، يروى رسالته إلى محمد بن مطرف .
خالد بن يزيد الأرقط ، بصرى .
خالد بن يزيد العمرى ، مدنى.
خالد بن يزيد الفارسى اللؤلؤى ، قروى .
خداس بن الدحداح .
خصيب بن ناصح ، مصرى .
خلاد بن يزيد المكى .
خلف بن أيوب ، بلخى .
خلف بن جرير بن فضالة ، قيروانى .
خلف بن حجاج الأزرق ، كوفى.
خلف بن موسى ، بلخى .
خلف بن هشام البزار المغربى ، بغدادى .
خلفة بن خليفة أبو أحمد الأشجعى ، بصرى .
خليل بن كمرين ، كوفى .

— د —

داود بن إبراهيم القزوينى .
داود بن الجراح ، عسقلانى .
داود بن جعفر بن أبى الصغير ، أندلسى .

داود بن سعيد بن أبي زنبر ، مدنى .
داود بن سليمان بن فلح ، مدنى .
داود بن عبد الجبار .
داود بن عبد الله بن أبي الكرام الجفرى ، مدنى .
داود بن عثمان التيمى ، أندلسى .
داود بن منصور ، قاضى المصيصة .
داود بن مهران الدباغ .
دعبل الخزاعى الشاعر .

— ذ —

ذويب بن عمامة السهمى ، مدنى .
ذوالنون بن إبراهيم الإخميمى ، مصرى .

— ر —

الربيع بن الربيع بن الركين بن الربيع بن علية الفزارى ، كوفى .
ربيعة بن عبد الله بن يعقوب .
روح بن عباد ، بصرى .
روح بن القاسم ، بصرى .
رياح بن ثابت ، قروى .
رياح بن زيد ، يمانى .

— ز —

الزبير بن بكار الزبيرى .
الزبير بن حبيب بن ثابت الزبيرى .
زكرياء بن دريد بن الأشعث .
زكرياء بن نافع .
زكرياء بن يحيى بن الحكم ، قروى .
زكرياء بن يحيى النسوى .
زمعة بن أبي عبد الله بن ربيعة .

زبر بن أبي الأزهر .
زهرة بن سعيد .
زهير بن عباد الدواسى .
زهير بن محمد ، مكى .
زواوة بن عبد الله ، إفريقى .
زياد بن حبيب بن ربان .
زياد بن سعد .
زياد بن عبد الله ، طليطلى .
زياد بن الهيثم .
زياد بن يونس ، مصرى .
زيد بن أبي الزرقاء ، موصلى .
زيد بن بشير ، مصرى نزل إفريقية .
زيد بن الحباب العكلى ، كوفى .
زيد بن الحسن ، مصرى .
زيد بن داود ، مدنى .
زيد بن عون .
زيد بن يحيى بن عبيد ، دمشقى .

— س —

سالم القداح ، مصرى .
سجل ، خادم مالك .
سريج بن النعمان .
سريج بن يونس ، بغدادى .
أبو سعيد ، مولى بنى هاشم .
سعيد بن الجهم ، مصرى .
سعيد بن الحكم بن أبي مريم .
سعيد بن أبي داود بن أبي زنبر ، مدنى .
سعيد بن أبي هلال .

سعيد بن سالم العطار ، مكى .
سعيد بن سالم القداح .
سعيد بن الصباح ، نيسابورى .
سعيد بن عبد الجبار أبو غنام ، حمصى .
سعيد بن عبد الجبار الكرابيسى ، بصرى .
سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، بصرى .
سعيد بن عبد الحميد بن جعفر أبو معاذ ، مدنى .
سعيد بن عبد الرحمن بن جعفر ، بصرى .
سعيد بن عبد الرحمن الجمحى القاضى .
سعيد بن عبد الرحمن المساحقى ، مدنى .
سعيد بن عثمان ، مصرى .
سعيد بن عفير ، مصرى.
سعيد بن عمر الزبيرى.
سعيد بن عمرو الزبيرى ، مدنى .
سعيد بن عون ، بصرى .
سعيد بن عيسى .
سعيد بن محمد – ويقال : ابن موسى – الأزدى .
سعيد بن مسكين بن أبى الزرد .
سعيد بن معز ، مدنى .
سعيد بن المغيرة الصياد ، مصيصى .
سعيد بن منصور ، بلخى .
سعيد بن منصور ،مكى.
سعيد بن موسى ، شـــامى .
سعيد بن ميسرة أبو هبيرة ، كوفى .
سعيد بن هاشم .
ســـلام بن واقد .
ســـلامة بن زياد بن يونس ، مصرى .
سلم بن المغيرة الأزدى أبو خميصة .

سلم بن قتيبة السقيرى ، بصرى .
سلمان بن عبد الله بن كعب .
أبو سلمة الخزاعى .
سلمة بن العبار ، دمشق .
سليمان بن برد ، مصرى .
أبو سليمان البلخى ، كاتب ابن الرماح .
سليمان بن جعفر ، مصرى .
سليمان بن حيان أبو خالد الأحمر ، كوفى .
سليمان بن داود الزهرانى .
سليمان بن داود أبو داود ، الطيالسى .
سليمان بن داود العسقانى .
سليمان بن عيسى الجردى .
سليمان بن قزيع ، مصرى .
سليمان بن محبوب العبادانى .
سليمان بن يزيد بن المثنى ، مدنى .
أبو السمح — ويقال : أبو السمحاء — والد فتيان ، مصرى .
سنان بن عبد الله .
أبو سهل ، ابن أخى عتبة بن محمد اليمامى .
سهل بن حماد أبو عقاب الدلال ، بصرى .
سهل بن زياد البـــاهلى .
سهل أبو عمرو .
سهل بن مزاحم المروزى .
سهيل — ويقال : سهل — بن قدامة الحاطبى.
أبو سوار — ويقال : ابن سوار — الجونى .
سوار بن عمار ، رملى .
سويد بن سعيد الحدقانى ، كوفى .
سويد بن عبد العزيز الدمشقى .
سويد بن عبد الله .

سويد بن محمد ، قروى .

— ش —

شبابة بن شبابة بن سوار ، مدائنى .
شبطون بن عبد الله ، أندلسى .
شجرة بن عبد الله بن عيسى ، قروى .
شعيب بن إسحاق ، دمشقى .
شعيب بن حرب أبو صالح ، بغدادى .
شعيب بن الليث بن سعد ، مصرى .
شعيب بن يحيى ، إسكندرانى .

— ص —

صالح بن بيان السيرافى القاضى .
صالح بن عبد الله القيروانى .
صالح بن محمد الخوارزمى .
صباح بن عبد الله أبو بشر ، بصرى .
صباح بن محارب ، داوى .
صخر بن محمد الحاجبى .
صدقة بن عبد الله السمين ، دمشقى .
صقلاب بن زياد ، قيروانى .
الصلت بن محمد بن أبى همام الحاركى ، بصرى .

— ض —

الضحاك بن عثمان ، مدنى .
الضحاك بن مخلد أبو عاصم النبيل ، بصرى .
ضمام بن إسماعيل ، مصرى .
ضمرة بن ربيعة ، رملى .

— ط —

أبو طالب بن عثمان المعافرى ، قروى . وهو — والله أعلم — أبو طالب الابزارى (١).

---

(١) اضاف الأصل هنا : وسنذكره والخلاف فيه .

طاهر بن عمرو ، نصيبي .
طاهر بن مدرار الطنافسي ، كوفي .
طفيل بن عبد الله ، أنصـــاري .
أبو طلحة القـــاضي ، مدني .
طلحة بن يحيي بن النعمان الزرقي ، مدني .
طلق بن غنام ، كوفي .

— ع —

عاصم بن أبي بكر الزهري أبو ضمرة ، مدني .
عاصم بن أبي جعفر ، أندلسي .
عاصم بن أبي عامر الخزاز ، مصري .
عاصم بن عبد العزيز الأشجعي .
عاصم بن علي بن عاصم ، الواسطي .
عاصم بن مهجع بن الربيع البصري .
عامر بن صالح بن عبد الله الزبيري ، مدني .
عامر بن عبد الله الغافقي .
عامر بن يســـار .
عباد بن صهيب أبو بكر الكلبي .
عباد بن عباد بن المهلب أبو معاوية ، مصري .
عباد بن كثير .
عباس بن أبي سلمة ، مدني .
عباس بن الوليد الفارسي ، تونسي .
عباس بن الوليد القرشي ، مصري .
عباس بن ناصح الجزيري ، أندلسي .
عبد الأحد بن أبي زرار الغساني .
عبد الأعلى بن حماد الريسي ، بصري .
عبد الأعلى بن مسهد ، دمشق .
عبد الجليل بن سعيد المساحق .

عبد الحكم بن أعين ، مصرى .
عبد الحكم بن ميسر المروزى .
عبد الحميد بن أبى أويس أبو بكر ، مدنى .
عبد الحميد بن سليمان الخزاعى – أخو فليح بن سليمان – مدنى .
عبد الحميد بن صالح البرجمى ، كوفى .
عبد الحميد بن عبد الرحمن بن فروة .
عبد الحميد بن يحيى .
عبد الحميد بن يحيى ، مدنى .
عبد الرحمن بن إبراهيم الرايسى .
عبد الرحمن بن أبى جعفر الدمياطى .
عبد الرحمن بن الجهم ، قيروانى .
عبد الرحمن بن دبيس الملاى ، كوفى .
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، مدنى .
عبد الرحمن بن عبد الله بن التيم اليشكرى ، قاض نيسابورى .
عبد الرحمن بن عبد الله أبو سعيد الهاشمى ، مكى .
عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر العمرى .
عبد الرحمن بن عبد الله العمرى ، نيسابورى .
عبد الرحمن بن عبيد الله الأشبونى ، أندلسى .
عبد الرحمن بن عمر الحرانى .
عبد الرحمن بن غزوان قراد .
عبد الرحمن بن القاسم ، مصرى .
عبد الرحمن بن المبارك العيشى .
عبد الرحمن بن محمد المحارى .
عبد الرحمن بن محمد المحمدى ، مدنى .
عبد الرحمن بن مسلم بن واقـــد .
عبد الرحمن بن المغيرة الحزامى ، أبو نوح .
عبد الرحمن بن مقاتل أبو سهل ، خال القعنبى
عبد الرحمن بن موسى الهوارى ، أندلسى .

عبد الرحمن بن هند ، أندلسى .
عبد الرحمن بن يحيي بن رسيان ، بغدادى .
عبد الرحمن بن يونس الجعفرى ، كوفى .
عبد الرحيم بن أشرس ، قروى .
عبد الرحيم بن موسى العتاد .
عبد الرحيم بن واقد الواقدى ، بغدادى .
عبد الرزاق بن همام ، صنعانى .
عبد السلام بن عمر ، مصرى .
عبد السلام بن سلمة بن يرداد ، مدنى .
عبد السلام بن صالح أبو الصلت الهروى .
عبد العزيز بن أبى رجاء .
عبد العزيز بن أبى رزمة ، مروزى .
عبد العزيز بن أبى رواد ، خراسانى .
عبد العزيز بن الحصين بن الترجمان ، خراسانى .
عبد العزيز بن عبد الله الأنسى .
عبد العزيز بن عبد الله العامرى ، بغدادى .
عبد العزيز بن عبد الملك الأوسى .
عبد العزيز بن عمران الزهرى .
عبد العزيز بن يحيي ، مدنى .
عبد العزيز بن يحيي الهاشمى ، مولاهم .
عبد العظيم بن حبيب بن رغبان (1) أبو بكر الحمصى .
عبد العظيم بن عبد الله الثقفى .
عبد الغفار بن داود بن مهران ، حرانى .
عبد القدوس بن الحجاج أبو المغيرة ، حمصى .
عبد الكبير بن عبد المجيد بن أبى رواد ، مكى .

---

(1) ويجوز انه : رغفان .

عبد الكريم بن روح بن عنبسة .
عبد الله بن إبراهيم البياضى .
عبد الله بن إبراهيم الغفارى ، مدنى .
عبد الله بن أبى حسان ، قيروانى .
عبد الله بن أبى غسان ، قروى .
عبد الله بن إدريس الجعفرى .
عبد الله بن أمية النخاس .
عبد الله بن الجراح القوهستانى (1).
عبد الله بن الحارث المخزومى ، مكى .
عبد الله بن حكيم أبو بكر الداهرى .
عبد الله بن خازن الرملى .
عبد الله بن داود التمار ، واسطى .
عبد الله بن داود الخزيمى ، بصرى .
عبد الله بن داود الطيالسى .
عبد الله بن الربيع .
عبد الله بن رجاء المكى ، بصرى .
عبد الله بن سعيد بن عبد الملك بن مروان ، مدنى .
عبد الله بن سفيان الغدانى ، بصرى .
عبد الله بن السمح ، مصرى .
عبد الله بن سلمة القعنبى ، بصرى .
عبد الله بن سوار العنبرى القاضى ، بصرى .
عبد الله بن صالح ، كاتب الليث .
عبد الله بن عباد القلزومى .

(1) فى الأصل : القومستانى ، والتصويب من « أنساب » السمعانى ، ص ٤٦٥ ب .

عبد الله بن عباد أبو عباد البصرى ، ابن أخت حماد بن سلمة .
عبد الله بن عبد الجليل ، مؤدب مالك .
عبد الله بن عبد الحكم ، مصرى .
عبد الله بن عبد الحميد الحنفى ، بصرى .
عبد الله بن عبد الملك .
عبد الله بن عبد الوهاب الجحفى .
عبد الله بن عثمان بن أبى واد ، بصرى .
عبد الله بن عثمان بن إسحاق بن سعد بن أبى وقاص .
عبد الله بن عثمان أبو طالب الابزارى .
عبد الله بن عثمان المعافرى ، قروى .
عبد الله بن العلاء بن زيد ، دمشق .
عبد الله بن عمر الفهرى .
عبد الله بن عمر بن القاسم العمرى .
عبد الله بن عمرو بن أمية المغربى .
عبد الله بن عنبسة العثمانى .
عبد الله بن عون الخراز ، بغدادى .
عبد الله بن عيسى بن عطاء بن سيار ، مدنى .
عبد الله بن مالك ، أبو نبيل .
عبد الله بن مالك الخزاعى .
عبد الله بن مسلم .
عبد الله بن مسلم بن رشيد الهاشمى ، مولاهم .
عبد الله بن محمد بن أبى الوزير ، طائفى .
عبد الله بن محمد بن أبى فروة .
عبد الله بن محمد البيطارى ، مصرى .
عبد الله بن محمد بن حميد بن الأسود ، ابن أخت ابن مهدى .
عبد الله بن محمد الخولانى ، برقى .
عبد الله بن محمد بن زمعة العدانى ، مصيصى — مولاهم .

عبد الله بن محمد بن عمارة القداح .
عبد الله بن محمد النفيلى ، حرانى .
عبد الله بن مصعب بن ثابت الزبيرى .
عبد الله بن مطيع ، بغدادى .
عبد الله بن معاذ ، صنعانى .
عبد الله بن مهران ، كوفى.
عبد الله بن الميمون الرمام ، بلخى.
عبد الله بن نافع الزبيرى ، مدنى .
عبد الله بن نافع الصايغ ، مدنى.
عبد الله بن النضر بن أنس بن مالك ، بصرى .
عبد الله بن نمير الهمدانى ، كوفى .
عبد الله بن واقـــد الحرانى .
عبد الله بن الوليد العدنى .
عبد الله بن وهب ، بصرى .
عبد الله – ويقال : عبد الرحمن – بن يحيى بن سعيد العذرى ، مدنى.
عبد الله بن يزيد القعير ، مكى .
عبد الله بن يوسف التليسى .
عبد المتعال بن صالح
عبد الملك بن أبى كريمة ، قاضى القيروان .
عبد الملك بن بديل القرقسانى .
عبد الملك بن الحكم الرملى .
عبد الملك بن زياد النصيبى
عبد الملك بن عامـــر .
عبد الملك بن عبد العزيز النسائى .
عبد الملك بن قريب الإصمعى .
عبد الملك بن المـــاجشون .

عبد الملك بن مسلمة القرشى ، مصرى .

عبد الملك بن مسلمة القعنبي ، بصرى — أخو عبد الله .

عبد الملك بن مهران الرفاعى .

عبد الملك بن يزيد الحرزى .

عبد المنعم بن بشر أبو الخير ، مدنى .

عبد الوهاب بن عطارد الخفاف الفجلى ، بصرى .

عبد الوهاب بن موسى الزهرى .

عبد الوهاب بن نافع ، مدنى .

عبيد الله بن أبى قرة ، بغدادى .

عبيد الله بن عبد الرحمن اليمامى .

عبيد بن عبيدالله ، مروزى .

عبيد بن هشام الحلبى القلانسى أبو نعيم .

عبيد الله بن حيان ، دمشق .

عبيد الله بن عبد الحميد — ويقال : عبد الله أبو على الحنفى بصرى .

عبيد الله بن عمرو الأموى .

عبيد الله بن محمد بن عائشة التيمى .

عبيدة بن عثمان ، دمشق .

عتبة بن حماد أبو جليد الحكمى القارئ .

عتبة بن عبد الحميد ، مروزى .

عتبة بن محمد ، مروزى .

عتبة بن محمود المروزى .

عتيق بن يعقوب بن صُديق الزبيرى .

عثمان بن سعيد بن كثير الحمصى .

عثمان بن صالح بن صفوان ، مصرى .

عثمان بن عبد الرحمن الطرايفى ، حرانى .

عثمان بن عبد الله القـرشى .

عثمان بن عبد الله بن محمد الأموى .

عثمان بن عبد الله النصيبي .
عثمان بن عثمان خالد العثماني .
عثمان بن عمر بن فارس ، بصري .
عثمان بن عمرو بن سلاح الحراني .
عـــدىّ بن الفضل أبو حاتم البصري .
عطاف بن خالد المخزومي .
عفان [بن] ســيّار الجرجاني .
عفيف بن سالم ، موصلي .
عقبة بن حسان العجري (كذا) .
عقبة بن خالد السكوني ، كوفي .
عقبة بن علقمة المعافري ، مروي .
العلاء بن عبد الجبار ، مكي
العلاء بن كثير ، مصري .
أبو علي ، صاحب محمد بن الحسن .
علي بن أبي بكر الاسفاطي ، رازي .
علي بن أبي علي اللهبي .
علي بن أبي الوزيــــــر .
علي بن ثابت الجـــزري .
علي بن الجارود النيسابوري .
علي بن الجعد الجوهري ، بغدادي .
علي بن الحسن بن أبان الرازي كراع .
علي بن الحسن السامي ، صعيدي .
علي بن الحكم المروزي .
علي بن الربيع بن الركين الفزاري ، كوفي .
علي بن زادويه .
علي بن زياد الفقيه التونسي .
علي بن زياد المحتسب الإسكندراني .

علی بن سالم الجهمی .

علی بن سعید الترمذی .

علی بن سعید المؤذن

علی بن عبدالحمید المعنی (1) ، کوفی .

علی بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علی بن أبی طالب .

علی بن عیسی الغســـانی.

علی بن قتیبة الرافعی .

علی بن محمدأبو الحسن المدائنی الاخباری .

علی بن محمد بن الحسن العلوی بن یوسف البصری .

علی بن مطر الرهاوی .

علی بن معبد بن شداد العبدی ، مصری .

علی بن مقـــدم ، بصری.

علی بن هارون الزینبی .

علی بن هشام بن البرید ، کوفی .

علی بن یونس البلخی .

علی بن یونس ، قروی .

عمارة بن زیـــــد .

عمامة بن عمر السهمی .

عمر بن إبراهیم بن مالك الكردی ، كوفی .

عمر بن أبی سلمة ، تنیسی .

عمر بن أیوب البرقی .

عمر بن أیوب المـــدنی .

عمر بن أیوب المعافری ، مروی .

عمر بن حفص الأبلی .

---

(1) فی الأصل : المعی . والتصویب من «انساب» السمعانی ص ٥٣٧ ـ ١.

عمر بن حكام ، بصرى .

عمر بن خالد ، مصرى .

عمر بن راشد — ويقال : عمرو — رملى .

عمر بن زياد الباهلى ، بصرى .

عمر بن زياد الثوبانى .

عمر بن سعد أبو داود الجعدى ، كوفى .

عمر بن سعيد أبو داود ، كوفى .

عمر بن سميك — ويقال : سمك — قروى .

عمر السهمى .

عمر بن عثمان الزهرى ، مدنى.

عمر بن عصام ، مدنى .

عمر بن عمران المدنى .

عمر بن محمد العثمانى .

عمر بن محمد العنقرى ، كوفى

عمر بن محمد بن يحيى بن عمر بن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، حجازى .

عمر بن مرزق ، بصرى .

عمر بن نعيم بن ميسرة الرازى .

عمر بن هارون البلخى .

عمر بن الهيثم الغطيفى ، بصرى .

عمر بن يزيد ، مصرى .

عمر بن يزيد بن جرجيس الفارسى ، مصرى .

عمران بن أبان الواسطى .

عمرو بن عامر القعدى .

عمرو بن مروان الأيلى .

عمير بن عمار الهمدانى ، كوفى .

عنبسة بن داود ، قروى .

عون بن عمارة ، مصرى .

عيسى بن أبى فاطمة الرازى .
عيسى بن خالد ، دمشق .
عيسى بن خالد الهمامى .
عيسى بن زيد بن على الحسنى .
عيسى بن شجرة التونسى .
عيسى بن عمر الجعفرى .
عيسى بن مسلم الصفار .
عيسى بن ميمون المكى .
عيسى بن موسى بن حميد ، مدنى .
عيسى بن موسى عنجار .
عيسى بن مينا قالون (كذا) ، مدنى .
عيسى بن يونس الرملى .
عيسى بن يونس بن أبى إسحاق السبيعى .

— غ —

الغـــازى بن قيس ، أندلسى .
غسان بن مالك .
غياث بن إبراهيم .
غياث بن المسيب .

— ف —

فتيان بن أبى السمح ، مصرى .
فرات بن زهير بن أبى عيسى الجزرى .
فرج بن منصور أبو مسلم .
فضل بن إسحاق .
الفضل بن العباس .
الفضل بن منصور .
الفضل بن يحيى بن المروح ، أنبارى .

الفضيل بن ذكين أبو نعيم ، كوفى .
فضيل بن صالح المعافرى
فضيل بن عياض ، مكى.
فضيل بن غانم القاضى ، بغدادى .
فطر بن حماد بن واقد الصفار ، بصرى .
فطر بن محمد الكوارى .
فهر بن حيان الأغطف ، بصرى .
فياض بن محمد الرقى .

— ق —

قاسم بن الحكم بن أوس ، مدنى .
القاسم بن سليمان الطائى .
القاسم بن عبيد الله العمرى .
قاسم بن معز بن عبد الرحمن المسعودى ، كوفى .
القاسم بن نافع ، مدنى .
قاسم بن يزيد الجرمى .
قتيبة بن سعيد ، خراسانى .
قدامة بن شهاب .
قدامة بن محمد بن خيثم .
قرعوس بن العباس ، أندلسى .
قطن بن صالح ، دمشقى
قيس بن الربيع ، كوفى .
قيس بن سعيد ، خراسانى .

— ك —

كامل بن طلحة الحجدوى ، بصرى .
كثير بن الوليد .
كثير بن هشام .

— ل —

ليث بن بكر الذهلي .

ليث بن خالد الخراساني .

ليث بن عاصم النسائي القياني أبو زرارة .

— م —

الماضي بن محمد بن مسعود ، بصري .

مالك بن إبراهيم النخعي .

مالك بن إسماعيل أبو غسان ، كوفي .

مالك بن حويص الهروي .

مالك بن سليمان الهروي .

مالك بن عثمان المعافري أبو طالب ، قروي .

مالك بن هارون الأسواني

مبارك بن مجاهد أبو الأزهر الرازي .

مبشر بن إسماعيل الجاني (١) .

مجاعة بن الزبير .

محرز المدني .

محمد بن أبي بلال .

أبو محمد الحكمي ، مدني .

محمد بن أبي فديك .

محمد بن أبي المطيع ، بصري .

محمد بن أبي مقاتل .

محمد بن أبي نوح قراد ، بغدادي .

محمد بن أبي الوزير ، بصري .

---

(١) وقد تكون : الجلبي ، ولم اجد اى النسبتين فى « انساب » السمعاني. واقرب الانساب المعروفة لهذا الرسم هو « الجِلقي » نسبة الى « جِلق » — « الانساب » ص ١٣٢ ب .

محمد بن أحمد بن حماد زغبة ، بصرى .

محمد بن إدريس الشافعى.

محمد بن أسامة ، مدنى.

محمد بن إسحاق اللؤلؤى .

محمد بن أسماء بن عبيد ، أخو جويرة .

محمد بن إسماعيل حمصى ، مدنى .

محمد بن بشر التنيسى .

محمد بن بشير القاضى ، أندلسى .

محمد بن بكر البلوى .

محمد بن بكير بن واصل الحضرمى ، بغدادى.

محمد بن جعفر الجعفرى ، مدنى.

محمد بن جعفر بن صبيح ، مصرى .

محمد بن جعفر غنوى ، بصرى .

محمد بن جعفر المدائنى .

محمد بن جعفر الوركانى .

محمد بن حاتم بن صبيح ، خراسانى .

محمد بن حبيب لوير ، شامى.

محمد بن الحجاج المخزومى.

محمد بن الحجاج المصفر ، بغدادى .

محمد بن حرب الأبرش .

محمد بن حرب بن سليمان المكى.

محمد بن حرب بن قطن بن قبيصة الهمامى ، بصرى .

محمد بن الحسن بن اتيش ، صنعانى .

محمد بن الحسن بن خالد الترمذى .

محمد بن حكم اللخمى ، إفريق .

محمد بن حيان أبو الأحوص البغوى .

محمد بن خالد الجندى .

محمد بن خالد بن حرملة البصرى.

محمد بن خالد بن عثمة ، بصرى .

محمد بن خالد العمرى ، مدنى .

محمد بن خراش أبو خراش ، بغدادى .

محمد بن الخطيب ، أنطاكى .

محمد بن خلف البلخى .

محمد بن ربيعة الحضرمى ، إطرابلسى .

محمد بن رمح ، مصرى .

محمد بن زكريا عبد الله بن يحيى المعافرى ، إسكندرانى .

محمد بن زنبور بن أبى الأزهر المكى .

محمد بن زيد أبو زيد الأنصارى ، مدنى .

محمد بن سعيد السبائى ، أندلسى .

محمد بن سلمة الحرانى .

محمد بن سلمة العدوى .

محمد بن سلمة المزنى .

محمد بن سليمان ، ابن أخى داود الحرانى .

محمد بن سليمان بن يونس .

محمد بن سكين بن الرحال .

محمد بن شجاع بن نبهان الخراسانى .

محمد بن صالح بن فيروز ، مروزى .

محمد بن صدقة ، فدكى .

محمد بن الضحاك بن عثمان بن الضحاك الحرامى (١) ، مدنى .

محمد بن عبد الأعلى أبو الخطاب ، إفريقى .

محمد بن عبد الرحمن الرداد بن رداد ، مدنى .

---

(١) ورد فى الأصل بعد هذا الاسم ما يلى : « وهؤلاء الأربعة فى نسب كلهم ، ورووا عن مالك وصحبوه » . والثلاثة الآخرون الذين ذكروا قبل ابن الضحاك هذا هم : محمد بن ادريس الشافعى ، ومحمد بن مليح ومحمد بن صدقة .

محمد بن عبد الرحمن بن شروش ، صنعانى .

محمد بن عبد الرحمن الصنعانى .

محمد بن عبد الله بن حكيم ، برقى .

محمد بن عبد الله بن رسيان .

محمد بن عبد الله الرقاشى ، مصرى .

محمد بن عبد الله الزبيرى ، كوفى .

محمد بن عبد الله بن سنان الحارثى .

محمد بن عبد الله القادمى .

محمد بن عبد الله بن القاسم العمرى .

محمد بن عبد الله بن قيس الكنانى ، برقى .

محمد بن عبد الله بن المثنى الأنصارى القاضى ، بصرى .

محمد بن عتاب أبو الوليد السرخسى .

محمد بن عثمان بن خالد العثمانى .

محمد بن عثمان بن ربيعة الدانى .

محمد بن عطاء الله المطاطى ، أندلسى .

محمد بن عليم .

محمد بن عمر الواقدى ، بغدادى .

محمد بن عمران بن أبى ليلى ، كوفى .

محمد بن عمران بن أبى ليلى عثمان ، مصرى .

محمد بن عمر البلقاوى ، دمياطى .

محمد بن عمر بن الوليد .

محمد بن عمرو العنزى .

محمد بن عون ، بصرى .

محمد بن عيسى الرعينى ، برقى .

محمد بن عيسى الطباع .

محمد بن عيسى بن القاسم بن سميع .

محمد بن الفضل ، مكى .

محمد بن قعنب ، مدنى .

محمد بن كثير بن أبى عطاء الصنعانى .

محمد بن مالك ، ابنه .

محمد بن المبارك الصورى.

محمد بن محمد .

محمد بن محمد القدسى .

محمد بن مخلد أبو مسلم الرعينى ، شامى .

محمد بن مخلد الحضرمى .

محمد بن مروان السدى ، كوفى .

محمد بن مزاحم المروزى.

محمد بن مسلم المدنى .

محمد بن مصعب القرقسانى .

محمد بن معاوية الإطرابلسى .

محمد بن معاوية النيسابورى .

محمد بن المغيرة المخزومى .

محمد بن مليح ، مدنى .

محمد بن موسى الأنصارى أبو غزية .

محمد بن النعمان بن شبيل ، بصرى.

محمد بن يحيى الإسكندرانى .

محمد بن يحيى الأسلمى ، بصرى.

محمد بن يحيى بن عبد الحميد أبو غسان ، مدنى .

محمد بن يزيد الأنصارى .

محمد بن يسوقا [1] ، قروى .

---

(١) فى الأصل : يسوقا،وفى نسخة اخرى « سيوقا » ؛ وقد صوبت الاسم على ما ورد فى طبقات ابى العرب ، ص ٧٤ .

محمود بن ميمون . كوفى .

مخلد بن أبان البناء .

مخلد بن يزيد الحرانى .

مرحوم بن العزاز العطار ، مصرى .

مرداس بن محمد أبو بلال الأشعرى .

مروان بن محمد السنجارى .

مروان بن محمد الطاطرى .

مسعدة بن اليسع . كوفى .

مسكين بن بكير . حرانى .

مسلم – ويقال : سلم – بن ميمون الخواص ، شامى .

مسلمة بن سليمان . أندلسى .

مسلمة بن على بن الحسن . شامى .

مسيب بن شريك .

مصعب بن إبراهيم القرشى .

مصعب بن عبد الله الزبيرى .

مصعب بن عثمان الزبيرى .

مطر بن الأقرع . قروى .

مطرف بن عبد الله .

أبو المطرف بن أبى الوزير ، أبو يحيى ، بصرى .

معاذ القرشى . بصرى .

المعافى[1] بن عمران الظهرى . موصلى .

معاوية بن حفص السبعى . حمصى .

معاوية بن المفضل . قيروانى .

معاوية بن هشام . أنصارى كوفى .

معز بن عيسى .

---

(١) فى الأصل « معاف » ، والتصويب من « الأنساب للسمعانى » وقد رسمه « المعافا بن عمران الظَّهرى الموصلى » – ص ٣٧٧ .

معلى المفضل البصرى .
معلى بن منصور الرازى .
معمر بن خالد السروجى .
معمر بن سليمان ، بصرى .
مغيث بن بديل ، سرخسى .
المغيرة بن الحسن ، خال سعيد بن جعفر .
المغيرة بن الحسن الهاشمى ، مدنى .
المغيرة بن سقلاب الحرانى .
مفضل بن صدقة .
مفضل بن فضالة ، مصرى .
مقاتل بن إبراهيم ، بلخى .
مكى بن إبراهيم الرحمى ، بلخى .
منبه بن عثمان ، دمشقى .
منجاب بن الحارث ، بصرى .
مندل بن على الغمرى .
المنذر بن على الحزامى ، مدنى .
منصور بن أبى مزاحم ، بغدادى .
منصور بن إسماعيل التلى ، حرانى .
منصور بن سلمة أبو سلمة الخزاعى ، بصرى .
منصور بن يعقوب بن أبى نويرة ، كوفى .
منيع بن ماجد أبو مطرف ، صنعانى .
مهدى بن إبراهيم ، شامى .
مهران بن أبى عمران الرازى .
مهند بن هلال .
أبو موسى القاضى . أراه هارون الزهرى ، ولكنه كنيته ذلك المعروفة ، والله أعلم .
موسى بن ابراهيم العثمانى .

موسى بن إبراهيم المروزى .
موسى بن أبى بكر البكرى .
موسى بن أعين الجزرى .
موسى بن تميم ، مصرى .
موسى بن جعفر الجعفرى .
موسى بن داود الضبي ، القاضى بطرسوس .
موسى بن سلمة ، مصرى .
موسى بن عبد الله بن أبى علقمة القروى .
موسى بن محمد الأنصارى ، كوفى .
موسى بن محمد بن عطاء البلقاوى ، ويعرف بابن أبى طاهر المقدسى .

— ن —

أبو نصر التمار ، كوفى .
نصر بن باب ، خراسانى .
النضر بن شبل ، مكى .
النضر بن شميل ، مروزى .
النضر بن طاهر ، بصرى .
النعمان بن شبل ، بصرى .
النعمان بن عبد السلام الإصبهانى .
نوح بن أبى مريم أبو عصمة ، بلخى .
نوح بن مريم .
نوح بن يزيد المؤدب ، بغدادى .

— هـ —

هارون بن صالح الطائى .
هارون بن عبد الله الزهرى القاضى ، بغدادى .
هارون بن معروة ، بغدادى .
هارون بن الهيام .

هاشم بن القاسم أبو النضر ، بغدادى .
هاشم بن محمد الربعى .
هانى بن المتوكل ، إسكندرانى .
هشام بن إسحاق بن عمرو أبو ربيعة ، مصرى .
هشام بن بهرام المدائنى .
هشام بن عبد الملك أبو الوليد الطيالسى ، بصرى .
هشام بن عبد الله الرازى .
هشام بن عمار السلمى ، دمشق .
هشام بن يوسف القاضى الصنعانى .
همام بن مسلم .
هياج بن بسطام ، هروى .
هيثم بن بشر ، بغدادى .
الهيثم بن جميل ، أنطاكى .
الهيثم بن حبيب بن غزوان أبو سالم ، خراسانى .
الهيثم بن خارجة ، خراسانى .
الهيثم بن خالد الخشاب ، كوفى .
الهيثم بن عبد الله القرشى الفقيه .
أبو الهيثم العبدى .
الهيثم بن عدى الطائى ، بغدادى .
الهيثم بن يمان أبو بشر الرازى .

— و —

وبرة بن داود ، أندلسى .
ورقة بن عمرو السكونى ، مدائنى .
الوليد بن سلمة الطغرانى .
الوليد بن كثير ، رازى .
وهب بن عطية ، بصرى .
وهب بن المبارك أبو اليسر .
وهب بن وهب أبو البخترى القاضى .

يحيى ، كاتب مالك .
يحيى بن إبراهيم بن داود بن أبى قتيلة ، مدنى .
يحيى بن أبى بكر الكرمانى .
يحيى بن أبى زائدة ، كوفى .
يحيى بن أبى عمران ، مدنى .
يحيى بن أيوب المصرى .
يحيى بن بكير ، مصرى .
يحيى بن ترعة القرشى ، مدنى .
يحيى بن ثابت الجندى .
يحيى بن حسان الحرانى ، ويعرف بالتنيسى .
يحيى بن حمزة الدمشقى .
يحيى بن راشد .
يحيى بن زياد بن ضماد المرادى ، إسكندرانى .
يحيى بن سابق ، مدنى .
يحيى بن سالم البصرى ، سكن إفريقية .
يحيى بن سعيد بن أبان ، آمدى .
يحيى بن سليمان الطائفى .
يحيى بن السكن .
يحيى بن صالح الوحاظى ، شامى .
يحيى بن الضريس ، رازى .
يحيى بن عباد أبو عباد .
يحيى بن عباد الزبيرى ، مدنى .
يحيى بن عبد الحميد الحمامى ، كوفى .
يحيى بن عبد الصمد بن معقل بن وهب بن منبه الصنعانى ، شامى .
يحيى بن عبد الله بن سالم العمرى ، مدنى .
يحيى بن عبد الله بن الضحاك البابلى .

يحيى بن عبد الله بن غيلان الجوهرى ، بغدادى .
يحيى بن عبيد الشامى ، أبو زيد .
يحيى بن العريان ، هروى .
يحيى بن عقبسة البغدادى .
يحيى بن كثير العنبرى .
يحيى بن مالك ، ابنه .
يحيى بن المبارك الصنعانى .
يحيى بن المتوكل الباهلى .
يحيى بن محمد بن أبى قتيلة ، مدنى .
يحيى بن محمد الجارى ، حجازى .
يحيى بن محمد الفهرى .
يحيى بن مسلمة بن قعنب .
يحيى بن مضر ، أندلسى .
يحيى بن نصر بن حاجب القرشى .
يحيى بن يحيى التميمى ، نيسابورى .
يحيى بن يحيى الليثى ، أندلسى .
يحيى بن يزيد المستملى .
يزيد بن ابراهيم التسترى ، بصرى .
يزيد بن أبى حكيم العــــدى .
يزيد بن عبد الأعلى بن سويد الحبشانى .
يزيد بن محمد الجهمى ، إفريقى .
يزيد بن مغلس الباهلى .
يزيد بن هارون — أخو خال الأصبحى ، ويقال : الصباحى .
يزيد بن هارون الواسطى .
يزيد بن وهب أبو موهب ، شامى .
يعقوب بن إبراهيم الحضرمى .
يعقوب بن إبراهيم بن مطرف .
يعقوب بن إسحاق بن أبى عباد القارمى .
يعقوب بن كاسب ، مدنى .

يعقوب بن الوليد المدنى .
يعيش بن هشام القرقسانى ، شامى .
يوسف بن شعيب اللاذقى .
يوسف بن عدى ، كوفى .
يوسف بن عمرو بن يزيد بن حرخسروا (كذا) ، مصرى .
يوسف بن الفرق .
يوسف بن يونس بن يعقوب الأفطر ، شامى .
يونس بن تميم ، مصرى .
يونس بن عبد الله الليثى العمرى ، بصرى .
يونس بن عبد الله بن سالم الخياط (١) .
يونس بن محمد ، بغـــدادى .
يونس بن هارون ، شامى .
يونس بن يحيى بن نباتة ، مدنى .

قال الإمام الحافظ ، رضى الله عنه : من ذكرنا فى هذه الحروف — مع التراجم التى قبلها ، ومن أسماء الرواة عن مالك للفقـــه والأثر من الأكابر والمشايخ قبله ، وبعده ، ومشـــاهير الرواة — ينيف على ألف اسم . وتركنا كثيراً ممن [لم] يشتهر بذلك ، أومن جُهل ولم يعرف من هو ، أولم يُـذكر عنه رواية إلا حكاية حالة أو وصف قصة ، أو ذكر فى رواية ولم تصح روايته عنه عند أهل المعرفة بالأثر . ولخصنا ذلك من كتابنا الآخر الجامع لجمهرة رواته الذين قدمنا ذكرهم . واقتصرنا فيه على ذكر مجرد أسمائهم والتعريف بهم ، دون التعرض لمـــا رووه عنه ولا شىء من أخبـــارهم . إذ أخبار الفقهاء منهم تأتى مستوعبة مبسوطة بعـــد هذا الجزء إن شاء الله تعالى . وغيرهم ليس من غرضنا فى هذا التأليف . فلم نشتغل به فنخرج عن أسلوبه ، ونخالف مقتضى [تأليفـــه] وتبويبه ، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل (٢) .

(١) ورد بعد ذلك الاسم فى الاصل ما يلى : عصيه مالك ، وفوق كلمة « عصيه » لفظ « كذا » .
(٢) جاء فى ختام هذه العبارة فى الأصل : « تم الجزء الثانى من المدارك والحمد لله على ذلك » ، مما يدل على ان ذلك الفهرس كان فى نهـــاية الجزء الثانى من الأصل الذى نقلت عنه النسخة التى بين أيدينا .

أعلام الحنفية بإفريقية إلى سنة ٣٠٠ ﻫ

ضرب المالكى صفحا عن معظم علماء الحنفية الذين ظهروا بافريقية الى سنة تاليفه الكتاب ، واشار الى البقية اشارات موجزة ، فرايت أن اورد تراجمهم — على صورة اوفى — من « طبقات علماء افريقية » لأبى العرب تميم والحارث بن اسد الخشنى .

وقد أوردت هذه التراجم بنصها كما وردت فى طبعة « الطبقات » التى قام عليها المرحوم الاستاذ محمد بن شنب (راجع مقدمة الرياض) ، وصوبت أسماء الناس على ما اقتضت الضرورة ، وأشرت الى ذلك فى الحواشى . وهذه الفقرات التى اوردها ماخوذة من الجزء الخامس من « طبقات علماء افريقية » تاليف محمد بن الحارث بن اسد الخشنى ، لأحمد بن محمد الطلمنكى ، ابتداء من صفحة ١٨٠ الى صفحة ١٨٣ (من طبعة ابن شنب) ومن ص١٨٦ الى ص١٩٧ من الجزء السادس من نفس الكتاب ، ونفس الطبعة .

وقد ترجم الدباغ وابن ناجى لبعض هذه الشخصيات فى « المعالم » ، واشرت الى ذلك فى مواضعه .

(١) باب ذكر الرجال العراقيين *

(سليمان بن عمران الملقب خروفة)

قال محمد : كان سليمان بن عمران الملقب « خروفة » [عراقياً] ، وإنما لقب « خروفة » لأنه كان لايُلاقى أسد بن الفرات فى موضع إلا ويُلقى سليمان ماشياً وراءه (fo72 a) فشُبِّه اتباعه له باتباع الخروف لأمه ؛ فشبه بذلك .

تولى الكتابة لسحنون إذ ولى القضاء ، ثم أخرجه قاضياً إلى مدينة « باجة »

قال محمد : قال أبو بكر بن محمد بن اللباد : قال لى أحمد بن أبى سليمان : لم يول سحنون سليمانَ بن عمران قضاء باجة حتى امتحنه فى مذهبه فأظهر له سليمان أن مذهبه مذهب المدنيين وأنه تارك لمذهب العراقيين . وأقام سليمان حيناً

* اوردت النص كما هو فى « الطبقات » وصوبته عند الضرورة واثبت كذلك تعليقات محمد بن شنب بالفرنسية كما اوردها فى نشره . واضفت تعليقات يسيرة لمجرد الايضاح . وقد ميزتها عن تعليقات ابن شنب بحرف (م) .

من الدهر قاضياً بباجة ما يقضى بقضية حتى يشاور سحنوناً . وبيان ذلك فى كتاب محمد بن سحنون فى « أدب القاضى » .

قال أبو بكر [بن اللباد] : قال لى أحمد [بن أبى سليمان] وأخبرنى رجل من أهل الثقة عندى أنه خاصم إلى سليمان بن عمران بباجة – وهو حاضر – فى ثور ، فشهد عليه شاهد فاستحلفه مع شاهده وقضى له بالثور . قال محمد (١) [بن حارث بن أسد الخشنى] : ثم مات سحنون فولى ابن الأغلب سليمان بن عمران (٢) قضاء القيروان ، وكان على مذاهب السنة . وكان له يوم فى الجمعة أو يومان يقرأ عليه فيه العلم : تفسير القرآن وغيره . وكان مستيقظاً فى أموره ، وكانت له فراسة ، وكانت له فى الأحكام إدارة .

أخبرنى بعض الشيوخ عن سليمان أنه قال : « ينبغى للحكم إذا شهد عنده الشاهد الغريب – الذى لايجد أحداً يعرفه بعدالة ولا جرحة – أن يتعرف حاله بجال جلاسه ومن يسكن إليه من طبقات الناس . فإنه لا يألف الشكل إلا شكله » .

وأخبرنى بعض الشيوخ قال : تخاصم رجلان إلى سليمان ، فأقام المدعى على خصمه شهداء أربعة فشهدوا عند سليمان فقبلهم ، ثم أعذر إلى المطلوب . فلما نظر المطلوب إلى أنه أزف الحكم ولم يبق إلا التنفيذ ، وعلم أنه برىء فى الباطن مما شهدوا عليه [به] فى الظاهر . قصد القاضى سليمان بعد صلاة المغرب فاستأذن عليه ، فلم يأذن له . ثم ألح فى الاستئذان وقال : « إن لم يأذن لى بت على باب داره حتى أكون أول من لقيه صباحاً » . فأذن له سليمان . فدخل عليه فقال له : « عزم القاضى على أن يسجل علىّ ، وبقى فى قلبى شىء أخبره به وأقوله له » فقال له : « قل » فأخرج الرجل مصحفاً من كمه فحلف له به ثم أتبع ذلك بيمين الطلاق والعتاق والمشى والصدقة أنه برىء من ذلك المطلب ، وأن الشهود الذين شهدوا عليه قصدوا بشهادتهم الزور صراحاً . ثم خرج عنه .

---

1 Renvoi marginal

2 Ms. فولاه قضاء القيروان avec un o gratté, et c' est peut-être Talamanki qui a ajouté سليمان بن عمران au dessus de قضاء القيروان

ووقع بقلب سليمان أنه صادق . فلما جلس سليمان من الغد فى مجلس القضاء فى الجامع أتاه الطالب يستنجزه التنفيذ ، [fo 72 B] قال له : « اذهب آتنى بالشهداء الذين شهدوا لك عندى فى أصل الحق حتى يحضروا تنفيذ الحكم لك » فذهب الرجل فأتى بهم ، (١) فلما نظر القاضى إليهم أعرض عنهم وتشاغل بغيرهم طويلا ، ثم قال لغلامه : « يا بشر ، اذهب إلى صاحب سوق فى سوق الجمال وقل (كذا) كى يبعث (٢) إلىّ بأربعة جمال حتى أطوف عليها رجالا شهدوا عندى بالزور» . ثم اشتغل . فلم يشك الشهود الأربعة أنهم أصحاب المحنة ، فتسللوا من مجلسه . ثم تقدم الطالب فقال له(٣) : «نفذ لى الحكم» فقال : « بحضرة شهودك» ، قال : « قد أحضرتهم » ، قال : « قربهم » فقال : « ها هنا كانوا ، أذهب فيهم » . فلما سار إليهم امتنعوا عليه من المسير إلى القاضى ، فبقى الطالب متردّد بين توقف القاضى عن الحكم إلا أن يحضر الشهود ، وبين امتناع الشهود من الحضور حتى مل الطالب وترك طلبه . وهذا وإن لم يكن وجه القضاء على مر (٤) الحق فهو من باب اللطف والسياسة .

وكان من شيمه أنه يجلس قبل خروجه إلى الناس فى مكان يسمع منه كلامهم وما يجرى من القول بينهم ، فهو يوماً جالس حتى سمع جلبة وضوضاء فأصاخ إليها ليتعرف ما هى ، فإذا برجل قد أتى متشبثاً برجل وهو يقول لجماعة الناس : « أتيت ببغلى إلى هذا الرجل وسألته أن يبيعه لى . فباعه بستة عشر مثقالا ، فلما انتقدها أتانى بها وقال : « إن البغل لم يكن يساوى إلا عشرة مثاقيل ، فأعطنى مثقالا فى جعلى » ، قال : « فأبيت عليه أن أعطيه مثقالا ، فضم يده بالمال وقال : « ما لكَ عندى مال ولا بعت لك (٥) دابة ! » فتعلقت به وجأت إلى القاضى » ، فلم يشك سليمان أن الأمر على ما قال . فخرج من ساعته فكان صاحب الدابة أول داخل

---

(١) فى الأصل : فأتاهم (م) .

(٢) لعل صوابه : « وقل له كى يبعث .. » بمعنى : أن يبعث (م) .

(٣) فى الاصل : لى (م) .

(٤) لعل صحتها : على [ظا] هر الحق (م) .

(٥) فى الأصل : له (م) .

عليه ، فقص عليه قصته ، فخاف سليمان إن سأل المدعى عليه أن ينكر ، فتجب على المدعى البينــة ، وليس يشهد الناس العدول فى مثل هذا الأمر ، فترك سؤال المدعى عليه وعطف بالصولة والتوبيخ على المدعى وقال : « يأتى أحدكم إلى الرجل الحر فيستخدمه فيما لعله أن يذهب فيه دينه وأمانته [fo 73 A] من فرط الاجتهاد ثم لا يعطيه فى مثل ذلك إلا ربع دينار؟ اذهب فقــد حكمت عليك بجعل مثقال ! » . ثم قال لصاحبه : « ابرىء إليه بما له » فمد يده إلى كمه وحل الصرة وأخرج المال وبرىء به إليــه ، فقال له سليمان : « هذا ماله ؟ » قال : « نعم » قال : « اشهدوا فإنى قد فسخت حكمى على الطالب بجعل مثقال وحكمت عليه بأجر المثل » .

وكان كثير النادر ، كثير التحكك بالناس فى التعريض بعيوبهم وألقابهم . دخل عليه رجل يلقب « بالفقوسة » فقال له سليمان : « كنت أعرف لكم مقثأة فما صنع الله بها ؟ » فقال له الرجل : « كانت حسنة ، لولا خروفة دخلتها فأفسدتها ! » .

ودخل عليه رجل من خاصته فقال له : « لقد أندرفيك اليوم علىّ ابن حميد بنادر » فقال : « ما هو؟ » قال : « أمر طباخه فأتاه فى سفرته بصورة رأسك بقلنسوتك وجميع هيئتك . فجعل يأكله هووأصحابه » . فأرسل سليمان إلى علىّ ابن حميد : « الناس ينتقلون من حال إلى أشرف منها وأنت ترتكس : كنت عند الناس طباخاً فرضيت أن تصبح رواساً » . وذلك أنه بإحكام دار علىّ بن حميد للطبخ يضرب المثل بالقيروان .

انتهى الجزء بحمد الله وعونه

يتلوه (١) [الجزء السادس من طبقات علماء إفريقية وأوله :] وأبو العباس ابن عبدون القاضى كان حافظاً لمذهب أبى حنيفة (٢) .

---

(١) اضفت هذه العبارة ليتصل السياق (م) .

(٢) نهاية ص ١٩٣ من الاصل (م) .

[fo 74 A] الجزء السادس من كتاب

طبقـــات علماء إفريقيـــة *

تأليف

محمد بن الحارث بن أسد الخشنى

لأحمد بن محمد الطلمنكى

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

[أبو العباس بن عبدون القاضى]

وأبو العباس بن عبدون القاضى كان حافظاً لمذهب أبى حنيفة ، وكان موثقاً كاتباً للشروط والوثائق . ولاه إبراهيم بن أحمد القضاء ثم عزله . سمعت طبقة المدنيين ينسبون إليه الغفلة وقلة الحصافة ، وأهل العراق يصفونه بضد ذلك ؛ وبه يثنون وبمكانه يفخرون . وكان فى قضائه قد استطال على طبقة المدنيين وامتهنهم وضرب جماعة منهم : ضرب أحمد بن معتب [بن أبى الأزهر] وإبراهيم المعروف بالدمنى وابن عبدون العطار وابن المدائنى وأبا القاسم مولى مهرية ، وطلب يحيى بن عمر حتى توارى منه .

وكان إبراهيم بن أحمد يقول بعد عزله له : « لو ساعدته لجعلت له مقبرة على حدة » . وكان إبراهيم بن أحمد بابن عبدون — قبل أن يوليه القضاء وبعد أن ولاه — شديد الإعجاب به . قال يوماً من الأيام : « حسدنى أهل القيروان فى ابن عبدون » ، فقال له ابن منيب (1) : « لو علمت منه ما يعلم أهل القيروان منه كان عندك بالحالة التى هو بها عندهم » .

---

* يستمر محمد بن الحارث فى الترجمة للحنفيين فى هذا الجزء من ص ١٨٥ الى ص ١٩٧ ، حيث يبدأ فى الترجمة لأهل المناظرة والجدل من علماء القيروان . وقد اوردت هنا المواد الخاصة بثلاثة منهم ووقفت عند سعيد بن الحداد لانه أول الجزء الثانى من الرياض .

(1) Ms. sic et fo 77 A : مثيب .

وكان ابن عبدون قد امتحن برجل من خدمة إبراهيم ، ممن كان يخدمه بين يديه داخلا وخارجاً ، يعرف بابن أبي رزين الرائض . كان إذا نظر إلى ابن عبدون قد أقبل للدخول على الأمير [فإن] كان الأمير | fo 75 A | نشيطاً مستبشراً قال ابن أبي رزين لابن عبدون : « إياك أن تسأله حاجة . فإنه مغموم القلب وإن رأيته متجملا لك » ، وإن كان مكروباً قال له : « سل كل حاجة لك فإنه منشرح النفس منبسط » .

وقال له يوماً من الأيام : « ينبغي لك أن تتأدب [مع] الأمير وأهل بيته » فقال له : « فبماذا ؟ » فقال : « أن تدخل عليه فى الصيف وفى اليوم الحار بمحشية لئلا يظهر صدرك وما شحم من جسدك . وينبغي لك أن تترك على جبهتك طرة من شعرك فيبدو منها بعضها تحت العمامة أو القلنسوة ، وينبغي لك إذا تحدثت أن تجعل يدك على فيك . فإن هذه الأخلاق مما يستحبها الملوك » فقبل منه فيما حكى لى ، وفعل جميع ما أمره به . فلما دخل على إبراهيم بتلك الحالة ونظر إلى الطرة رفع عينيه إلى ابن أبي رزين كالقائل له : ما هذا ؟ فأشار إليه ابن أبي رزين بيده ورفعها إلى فمه مغلقة . أى : هو زامر .

وحكى لى أحمد بن موسى التمار عنه خبراً عجيباً فيه حكم وعبرة ومثال للمحتذى ومنبهة للمتحفظ . قال : كانت بالقيروان طبقة تسمى « الركنية » كانوا لا شغل لهم ، فكان جلوسهم ومجتمعهم فى ركن الجامع فلزمهم هذا الاسم . وكان الناس يدارونهم ويتقون ألسنتهم . وكان فيهم رجل منهم يعرف بأبي القاسم المساجدى . وكان خاصاً بأبي العباس بن عبدون(١) . وكان مقلا فكان ابن عبدون يرفق به (٢) ويصله ويجرى عليه ويحسن إليه . فحسده سائر أصحابه من الركنية . واجتمع منهم أربعة فى الإدارة عليه [fo 75 B] لينقطع ما بينه وبين ابن عبدون قطيعة لا يكون بعدها وصل أبدا . فجلس إليه وحادثه ثم أكثر (٣) من ذكر الصحبة والصداقة وقلة الوفاء ، ثم قال له : « ما الذى حدث بينك وبين المساجدى ؟ » فقال له ابن عبدون : « ما أعلم أنه كان حدث فيما بينى وبينه ، فما الخبر ؟ » فجعل يحيد له عن أن يخبره بشيء . ثم خرج عنه ؛ فلما كان بعد ذلك بيوم أتى الثانى فجلس إلى ابن عبدون

---

(١) عبدوس . Ms.

(٢) فى الأصل : يرفقه (م) . (٣) فى الأصل : أخطر (م) .

وأدار الحديث حتى خرج إلى ذكر المساجدى فقال له: « قد كان المساجدى لك صديقاً وكنت إليه محسناً ، ثم كان من أمركما ما كان » فتحرك ابن عبدون وجعل يستقصيه عن حقيقة هذا الخبر ، وذكر أنه لاعلم عنده من ذلك بشىء ، فانزوى عنه وانقبض وحلف له ألا يخبره إجلالا له وإعظاماً ؛ فلما كان اليوم الثالث أتاه الثالث منهم والرابع ، فجلسا وتحدثا ثم قال له أحدهما : « ما ينبغى لأحد أن يثق بأحد . قد كان المساجدى لك وكنت له على أفضل حال ، ثم قد خرج فيك إلى ما خرج » فقال له ابن عبدون : « قد تكرر علىّ هذا الخبر من غير إنسان وعلى غير ما لسان ، وما أحد يخبرنى بالحقيقة فى ذلك ، فأخبرنى بذلك فقد ضجرت من اكتتام الحقيقة عنى فى ذلك » . فقال الرجل : « والله لا أفعل ولا أستهين بك هذه الاستهانة » ، فاستجاب الرابع فقال : « لأنك والله لا تحبه ولا تنصحه . إن كنت أنت لا تخبره فأنا أخبره » ، قال له ابن عبدون : « هات » فقال : « يقول إنك خنثى وإن لك فرعة كفرعة النساء » فتلون وجه ابن عبدون وجعل يحلف ما له فرعة . ثم بلغ الخبر إلى المساجدى [fo 76 A] فأتى متنصلا ، فوجد فى قلب ابن عبدون من التصديق بما قيل له عنه مالايعمل فيه الاعتذار ولا يمحوه التنصل . فأبعده وأقصاه عن نفسه . ولعمرى إن هذه الإدارة للطيفة من الفكر وعجيبة من الحيل . ولو قرع بمثلها أدهى الناس ما خلص منها . نستعيذ بالله من حيل الماكرين ومن إفك الكاذبين .

[ابو العباس بن زرزر] (١)

وأبو العباس بن زرزر كان حافظاً بمذهب أبى حنيفة . وهو مذكور فيهم ومعروف عندهم . أخبرنى بعض إخوانى ، قال : أخبرنى أبو جعفر بن شهرين الذى هو اليوم قاضى برقة ، قال : قلت لأبى العباس بن زرزر : « أخبرنى بدواء الحفظ » ، قال : فقال لى : « أوما تعرفه ؟ » ، قال : قلت : « ما أعرفه » ، قال : « الدرس بالليل والمناظرة بالنهار » .

وكان ابن زرزر معرباً فصيحاً ، أخبرنى أحمد بن نصر ، قال : سمعته يوماً وقد ذكر أن أهل كل صنعة أعلم بصنعتهم من غيرهم فقال : إن مالكاً وأبا حنيفة لو سئلا أن يحوكا ثوباً أو يخيطاه ما عرفاه .

---

(١) ذكره الدباغ فى المعالم باسم « أبو عبد الله محمد بن زرزر » (م) .

وحكى لى عنه حاك ، قال : سمعتــه يقول : خطرت بأعرابى وهو على بئر وهو يقول :

من يُهِن المــال ولا يُرَبِّـه   يهن على الناس هوان كلبه (رجز)

قال : فقلت له : أخطأت :

من يَصُن المــال ولا يعش بــه   يصر لشـانيه جميع كسبه (رجز)

[هشام بن العراقى]

وهشام بن العراقى كان رأيه رأى الكوفيين ، وكان يتكلم فى مسائلهم . وبلغنى أنه كان [fo 76 B] ممن يحضره ابن طالب مجلسه للمناظرة ، وبلغنى أنه قال له سعيد بن الحداد يوماً [أن] يترك الذى [هو عليـه ، وقال له :] « [لا] يجعل لكم مسألة إلا ولكم نقيضها من قولكم » (1) .

[أبو المنهال]

وأبو المنهال كان من شيوخ العراقيين ومن مقدميهم ، كان علمه علماً مقارباً ، ولم يكن يحسن عن مذهبه الذب ولا كان يقوم دونه بالمناظرة .

حكى لى عن سعيد بن الحداد أنه قال : قلت له يوماً : « يا أبا المنهال ، ما تقول فى كبش بال فى بئر ؟ » قال : « ينجس المــاء » ، قال : قلت : « فلو بال فى ثوب ؟ » ، فقــال : « لا ينجس » ، قال : قلت له : « ما الفرق بينهما ؟ لو أن معترضاً اعترضك فحكم بالطهور فيما حكمت فيه بالنجاسة ، وحكم بالنجاسة فيما حكمت [فيه] (2) بالطهور ، ما كان الفرق بينك وبينه ؟ » قال : فقال لى : « يا أبا عثمان ، العلم له (3) سواء فى وقتى » ، قال سعيد : فسكتُّ عند هذا الجواب البديع .

---

(1) فى الأصل المنشـور : « ... يترك الذى أتى أن يجعل ... » وقد عدلتها على هذا النحو ليستقيم المعنى .

(2) Addition marginale.

(3) كذا في الأصل ، والأصوب : به .

[قاسم بن ابى المنهال]

وقاسم بن أبى المنهال كان متحركاً فى العراقيين . وكان له إخوان لا أحفظ أسماءهم . وكان أصغر الأربعة إسحاق بن أبى المنهال الذى استقضاه عبيد الله [الشيعى] .

[ابن عمير]

ومن رجالهم رجل يعرف بابن عمير [غير] معروف الاسم . لم أقف من علمه على وصف أذكره به . غير أنه كان ملياً بخيلا . فقال له ابن أخيه يوماً : « يا عم ، إنك من الأملياء الكبار . وأنت لا تنتفع بمالك . فما فضلك على الفقير ؟ » ، فقال له : « إذا خاف الفقير أمنت أنا » .

[أبو عقال بن الرعناء]

ومن رجالهم رجل يعرف بأبى عقال بن الرعناء [fo 77 A] كان متحركاً فيهم بالفهم والمناظرة . كان يقول فى إبراهيم بن أحمد : « من صحب إبراهيم فأفعاله فى ثلث ماله » (1) فأدركه فى هذا القول المثل السائر : « البلاء موكل بالقول » : حفر له إبراهيم بن أحمد حفيراً ثم أدخله فيه ، وجعل البائلين جميعاً يدخلون إليه مستأمنين يحدثون عليه حتى غمرته أوساخهم فمات .

[هيثم]

ومن رجالهم « هيثم » . رجل من العرب من قيس . ولى قضاء تونس . قال لى بعض التونسيين : حضرته يوماً وهو يملى وثيقة فأحسن فيها ثم قال : « إنما الوثائق غرض . فمن كانت فيه مسكة رشقها » (2) .

وكان لهيثم ابن فقيه اسمه محمد مات فى وباء سنة سبع وثلاثمائة .

[أبو عقال بن جرجر]

وأبو عقال بن جرجر كان من رجال العراقيين ، وكان كاتباً لابن عبدون إذ كان قاضياً .

---

(1) كذا فى الأصل المنشور .

(2) كذا فى الأصل ، وربما كان الصواب « وثقها » .

[عبد الله بن هارون الكوفى السودانى]

وعبد الله بن هارون الكوفى السودانى كان مذهبه جميلا . وكان على سنة [أبي حنيفة] . كتب لسليمان بن عمران إذ كان قاضياً . ثم استقضاه ابن طالب على مدينة تونس ، ووَلّىَ ابن عبدون فأثبته عليها ، ثم عُزل ابن عبدون فوَلّى إبراهيمُ بن أحمد عبدَ الله بن هارون قضاء القيروان . ثم كبر الرجل فعزله إبراهيم ووَلّى عيسى بنَ مسكين.

[أحمد بن مثيب]

ومن رجالهم أحمد بن مثيب . كان فيهم ظاهر الاسم . لا أعرف من أمره خبراً سوى اسمه [fo 77 B] وقوله لإبراهيم : « لو علمت من ابن عبدون ما يعلم منه أهل القيروان لكان عندك بالحال التى هو بها عندهم » .

وسمعت من يحكى أنه كان من الكرام الأجواد . أتاه ابن أبى الشوارب يستغيثه فى دية فتحملها له بجميعها .

[معمر]

ومن رجالهم معمر . قد ذكره أبو العرب فى كتابه وأثنى عليه . وذكرت أنا فى ذلك الموضع ما أعرف فى هذا الاسم . وذكرت أنى لا أدرى إن كان اسماً واحداً اختلفت فيه الأخبار(؟) (١) أوهما رجلان (٢) .

---

(١) علامة الاستفهام هذه واردة فى الأصل . وربما يكون الناشر قد أثبتها لانه قال : « اختلف فيه الأخبار » ، وقد أصلحتها الى « اختلفت » فاستقام السياق .

(٢) يشير محمد بن الحارث بن أسد هنا الى ما ذكره أبو العرب من « ترجمة » معمر بن منصور ـ وكان فقيها كوفيا ممن سمع من أسد ابن الفرات ، وكان من اصحاب سحنون ، وكان حنفى المذهب ـ فى الجزء الثالث من الطبقات (ص ١١٢ ، ١١٣) . وهو يذكر هنا انه لا يعرف ان كان معمر الذى يتكلم عنه هنا هو معمر بن منصور . واليك المادة التى اوردها أبو العرب عن هذا الأخير :

« ومعمر بن منصور كان مسنا له سماع كثير من ابن فروخ ومن أسد ، يذهب الى راى الكوفيين . وكان أصح أصحاب أسد سماعا من أسد . وكان=

[عبد الله بن محمد بن الاشج]

وعبد الله بن محمد بن الأشج كان مذهبه مذهب الكوفيين ، ورحل وكان من أهل الجدل والكلام على مذهبه .

= سحنون يوجه اليه بالعشرة دنانير [1] ونحوها صلة . وهو قريب من اسد في المولد . قال : وقد كان محمد بن سحنون كتب الى محمد بن الأغلب برسالة استشهد فيها بمعمر وذكر انه كان على سنة ، و[2]ان منصور والد معمر صقليا مولى لبعض الأندلسيين من اشبيلية .

قال محمد بن الحارث : « سمعت ذكر معمر سماعا مستفيضا ، ولكن على ضد هذه الصفة التي ذكر ابو العرب في كتابه . فلست ادرى ان كان الذى سمعت ذكره هو ابن منصور هذا أو غيره . سمعت بعض الفقهاء - يحكى عن عبد الله بن أحمد بن طالب - قال : اتاني معمر فشكا الى أن زوجته نفست ، وليس معه ما يقيم لها ما يصلحها ، فأعطيته أربعين مثقالا لنفسه وعشرة مثاقيل أرسلت بها معه الى النفساء [3] خاصة » .

قال ابن طالب : « فلقد بلغني بعد هذا أن يوم عزلي عن القضاء كان في داره شبيه بالعرس فرحا » . ثم قال ابن طالب : « ومعذور غير ملوم ، وكيف لا يكون هذا ونحن نلعنهم على المنابر ؟ » .

قال ابن حارث [fo 42 B] : « سألت ولد دحمان بن معاق ان يبيح لى تصفح كتب ابيه ففعل ، فرايت فيها : قال دحمان : سمعت حمديس القطان يقول : سمعت ابن الزغواني يسال معمرا فقال له : تقول بامامة علي ؟ قال : نعم . قال حمديس : يريد تقديمه على ابى بكر وعمر . قال : قلت : تقول بالارجاء ؟ قال : نعم » .

وفي كتابه ايضا من ذكر معمر : « قال الواسطي : كنت عند معمر فاتاه ابن الورداحي فقال : يا أبا سليمان ، يمضغك الناس في الجنازة . فقال : في ماذا ؟ فقال : لذكرك لعمرو ومعاوية . فقال : ينكر هذا على وقد كان على بن أبي طالب يلعنهما ؟ نعم عليهما | لعنة الله | . قال : ثم صرح ولم يستتر في ذلك . ثم قال : لقد بلغني ان معاوية يملأ ربع جهنم . قال : قلت له : من قولك انه ليس أحد من الموحدين يدخل النار ، فكيف صار معاوية مع الصحبة يملأ ربع جهنم ؟ فقال لى : اسكت » .

قال ابن حارث : « طلبه [4] بالحجة واقامها عليه من نفس مذهبه في قرب مأخذ وسهولة لفظ ، فلم يلجأ الا الى الشتم والنقص . لعنة الله عليه وعلى شيعته ومتبعيه » .

---

(1) Ms. دينر

(2) Ms. انقل ؟

(3) Ms. النساء

(4) Ms. طلته = ظاته ؟

[احمد بن وهب]

ومن رجالهم أحمد بن وهب . ولاه إبراهيم [بن أحمد] قضاء اطرابلس فى حين قضاء ابن عبدون على القيروان . وكان فيما أرى قليل العلم ، وذلك أنه كتب إلى إبراهيم بن أحمد : « حفظك الله »، فلم يرفع الظاء . فقال إبراهيم : « خفضنى خفضه الله » ، ثم عزله .

وقيل لى : إنه كان يكنى « بأبى الزير »، والزير بالقيروان هو الذى يسمى بالأندلس الخابية ، والخابية بالقيروان لها صنعة أخرى لم أرها بالأندلس . وكنى هذا الرجل بأبى الزير فيما قيل لى لأنه عمل نبيذاً فى زير وأراد أن يذوقه ولم يجد آنية يدخلها فى [fo 78 A] الزير فأدخل رأسه فى الزير ، ثم لم يستطع أن يخرجه حتى كسر الزير ؛ فلقب بأبى الزير .

وابنه جعفر شرّق ، وولاه إسحاق بن أبى المنهال مظالم القيروان ، إذ أخرج ابن بحر قاضياً إلى اطرابلس .

[محمد بن اسود المعروف بالصدنى]

ومن رجالهم محمد بن أسود المعروف بالصدنى . ولاه إبراهيم بن أحمد القضاء عند خروجه إلى صقلية ، وكان يقول بخلق القرآن ، وكان صلباً صارماً . قيل لى إنه أتاه قوم فقالوا : « إن فلاناً » — وسموا رجلا خسيساً — « يسهل بشتم من يقول بخلق القرآن » ، فقال : « إن تعرضته أثبتّ اسمه وجعلت له فى الناس قدراً ، ولكن دعوه على ما هو عليه » ؛ فلم يعرض له .

[ابن الكبر]

ومن رجالهم رجل يعرف « بابن الكبر » كان من كبارهم معروفاً فيهم ومشهوراً منهم ، وكان يُقرأ عليه المغازى وغيرها من أمهات [كتب] العراقيين .

[ابو عمرو ميمون المعروف بابن المعلوف]

ومن رجالهم أبو عمرو ميمون المعروف بابن المعلوف . ولى مظالم [1] القيروان فى أيام بنى الأغلب ، وأدركته مقعداً شيخاً كبيراً . وكان له دين ومكان ، على سنه .

---

(١) فى الأصل : ولم (م) .

عهدی به سنة ثلاث وثلاثمائة وأنا أقرأ عليه موطأ مالك . فقرأت عليه فيه كلاماً لعمر بن الخطاب فجعل يبكي [fo 78 B] خشية وتواضعاً . فإني لفي ذلك المجلس بين يديه حتى دخل عليه داخل فقال له : « فُتحت صقلية » فجعل يتأسف . وتوفي سنة أربع وثلثمائة .

وابنه أبو يحيى ، كان حافظاً نبيلا ظاهراً في مذهب العراقيين . وكان يلزم « سوق الصوافين » ، حج سنة عشر ومات في حجه .

[ابو حبيب المعروف بابن حبيب السدرى]

وأبو حبيب المعروف بابن حبيب السدرى كان شيخاً نظيفاً متديناً كثير الكتب . كانت له صلاة يخرج فيها عن صلاة الجماعة لإفراط تطويله في الركوع والسجود .

دخلت عليه يوماً فدارت بيني وبينه مناظرة ، فرأيت رجلا مقتصراً على ما وجد لاحتجابه خاصة في كتبهم ، لا مادة عنده ولا قريحة له . وكان يقول بخلق القرآن وربما انتحل الوقف على القولين جميعاً .

[ابو على بن ابن ابى المنهال]

أبو علي بن ابن أبي المنهال ابن أخي القاضي إسحاق ، كان سنه قريباً من سن إسحاق ، كان عنده علم بمذهبه وحركة فيه ويناظر مناظرة لا بأس بها .

[ابن جيمال]

وابن جيمال كان مذهبه مذهب الكوفيين . ولاه زيادة الله بن عبد الله قضاء القيروان بعناية ابن الصائغ ، وكان قليل العلم كثير الغفلة ، ثم عزله وولى ابن الخشاب .

وسمعت من يحكي أنه تخاصم إليه رجلان ، فثبت الحق على المطلوب منهما . فأعذر إليه فقال له : « إن كانت [fo 79 A] عندك منفعة وإلا حكمت عليك » فقال له : « إن شئت فاحكم وإن شئت فلا تحكم ، من عند ابن عبدون أتيتُ وقد عرفتَ ما قال لي » فيسكت ويخاف أن [يكون] (1) — في الحكم عليه —

---

(1) العبارة غامضة ، وقد اضفت هذا اللفظ ليتضح المعنى بعض الشيء (م) .

على خطأ . فكان كلما قال له : « يُحكم عليك » أعاد عليه هذا اللفظ ، فوقفه عن نفسه بهذا الإيهام ، ولم تكن معه نهضة فى فهم .

ذُكر [1] أنه تقدم مع خصم له إلى إسحاق بن أبي المنهال فقال له : « احكم بيني وبين خصمى بالحق ولا تحابنى ولا تحابه » فقال له إسحاق : « وإذا كنت أنت قاضياً ، كنت تحابى مع الخصوم ؟ » .

[ابن القطونة]

وكان لهم رجل يعرف بابن القطونة وَلى مظالم القيروان فى أيام بنى الأغلب . لا أعرف من صفته أكثر من اشتهار اسمه .

[أبو العباس بن القيار]

ومن رجالهم رجل يعرف بأبى العباس بن القيار . كان قِبَله علم وجدل ، وكان يصحب أبا العباس عبد الله بن إبراهيم بن أحمد .

[محمد بن احمد الفارسى المعروف بابن السفيفى]

ومحمد بن أحمد الفارسى المعروف بابن السفيفى كان صاحب وثائق وكان كاتباً لإسحاق بن أبى المنهال فى ولايته الأولى على القضاء . وكان خفيف العلم لا بأس به . ناظرته يوماً فى شىء من الفقه فما وجدت فيه نهضة محمودة .

[يحيى بن محمد بن قادم]

ويحيى بن محمد بن قادم كان فى نصاب علم ولم يكن عنده فقه . أدركته شيخاً زمناً تقرأ عليه المغازى فى مسجده المعروف « بمسجد ابن قادم » ، وكان لى جاراً ملاصقاً .

---

(1) أثبت الناشر لفظ « ذُكر » على صيغة المجهول ، وواضح أن السياق لا يستقيم كذلك . وسبب ذلك اللبس هو ان فاعل الجملة سقط عند النسخ ، ولهذا فالأفضل أن يكون النص هكذا : « ذَكر [...] أنه تقدم مع خصم .. » مع الاشارة الى أن البياض ترك لاسم من دخل على ابن جيمال .

باب تسمية من انتحل النظر وتحلى بالجدل من أهل السنة وغيرهم من طبقة العلماء بالقيروان (١)

[fo 79 B] [محمد بن نصر بن حضرم]

قال محمد : كان محمد بن نصر بن حضرم ذا جدال وحجة ، ويقال إنه كان معلم محمد بن سحنون فى النظر . لما مات بصقلية قال محمد بن سحنون : « رحم الله أبا الحسن ، لقد كان معلمنا » ؛ قيل له : « فلم لم تقل هذا فى حياته ؟ » ، قال : « فنظلمه حياً وميتاً ؟ » .

[محمد بن سحنون]

ومحمد بن سحنون كانت له أوضاع فى المناظرة فى فقه الفقهاء وفى كلام المتكلمين . قال له سليمان الفراء ، المعروف بابن أبي عصفور : « يا أبا عبد الله ، الله سمى نفسه ؟ » — أراد بذلك أن يقول له : نعم ، فيثبت عليه الإقرار بحدوث الأسماء والصفات — فقال له ابن سحنون : « الله سمى نفسه لنا — ولم يزل — وله الأسماء الحسنى » .

[ابو العباس عبد الله بن احمد بن طالب]

وأبو العباس عبد الله بن أحمد بن طالب ، كان له نظر ومناظرة وله كتب يرد فيها على الشافعي لا بأس بها . وكان يجمع بين أهل المناظرة فى مجلسه ، وربما أباتهم عند نفسه (٢) .

---

(١) الاعلام الآتية اسماؤهم ليسوا من الحنفيين ، وانما أثبتهم هنا كما أوردهم محمد بن الحارث فى « الطبقات » فى ذيل باب العراقيين .

(٢) الى هنا ينتهى الجزء الذى اقتبسته من « الطبقات » (ص ١٩٨) ويلى ذلك ترجمة سعيد بن محمد الحداد ، وساجعلها فى ذيول الجزء الثانى من الرياض لانها اول مادة فيه .

استدراكات

تفضل أستاذنا حسن حسني عبد الوهاب باشا بمراجعة تجارب الطبع واستدرك على قراءتنا للنص ما يلي :

ص	س	
٥	١٠	: عبد الله بن الأراشي يمكن قراءتها الأراسي بالسين أيضاً .
٥	٢	: (هامش) الورغمي هو الصحيح لا الورغي .
١٣	٣	: فـي فيها (ما تاتى ؟) . اقرأ : ما تأتى .
١٦	٩	: إلاّ بَريدين. اقرأ : الأبْرَدين .
١٨	٦	: جبل القرن : يعرف الآن باسم جبل باطن القرن أو باختصار جبل الباطن .
٢٨	٤	: (هامش) Mamma وردت أيضاً Memsa
٣٠	٥	: (هامش) الكف صحتها الكاف .
٣١	٥	: (هامش) سطفورة : الرواية المشهورة أن سطفورة كورة بها ثلاث مدن هي : ابنلونة وزرعة وبنزرت ولا يصح أن يكون منها باجة أو بالأحرى باغاية لبعدها عنها . وهذا تصحيح لنص ابن حوقل .
٣٣	١	: مكناسة : مسكيانة أصوب . وهي بلد صغير وواد يعرف بوادي مسكيانة في جنوب عمالة قسنطينة بالجزائر .
٣٥	٧	: قلعة بشر . صحتها قلعة بُسْر تصويباً لنص «المعالم» .
٣٧	٦	: طنبده . اقرأ : طنبذة (راجع معجم البلدان لياقوت) .
٣٧	٢	: (هامش) كانت تونس تعرف بتونس أيضاً في العهد الروماني .
٩٣	١	: فاسترده واعته ، اقرأ : واعتقه .
١٠٣	٤	: أبو محمد بن عمران التجيبي اسمه الكامل : أبو محمد خالد بن عمران .
١٠٩	٣	: بيت أم عياض . اقرأ : بئر أم عياض وكانت بئراً في القيروان .

ص	س	
١٢٢	١١	: يحيى بن السلام ، يرى سعادته تقويمه : يحيى بن سلام كما ورد فى جميع المخطوطات القديمة . وقد رأيت أن أبقى رسم الاسم على الصورة التى أوردها المـالكى فى كتابه ، لأن الاسم مختلف على صورته بين المؤرخين ، ومن حق المالكى أن نبقى رسمه له على ما هو عليه .
١٢٣	٩	: محمد بن كدنه ، اقرأ : محمد بن كدية .
١٧٩	١٥	: محمد بن رشد ، اقرأ : ابن رشيد
١٨٣	١٦	: حصن بفه ، الصواب حصن يُنْقَه فى جنوب مدينة صفاقس ، بينها وبين مدينة المحرس . ولم يزل يعرف بهذا الاسم إلى الآن . وينقه مدينة قديمة من العصر الرومانى وتسمى Yunga وقبر أبى خارجة معروف بها وعليه قبة جميلة حذو حصن ينقه البيزنطى .
٢٣١	٥	: بَجَرْدَة صوابه بَجْرَدة وهو Bagrada عند اللاطينيين القدماء .
٢٤١	١	: فضل بن أبى القنبر ، أظنها ابن أبى العنبر وكان من قواد بنى الأغلب .
٢٤٩	٢	: (هامش) علق عليه سعادته بقوله : « لا يفهم ما تذهبون إليه فى هذه العبارة ، بل إنى أعتقد أن القرية المشار إليها هنا هى من قرى إفريقية ، فيكون اسمها مثلا : « مزاتة الشرق » لأنه يوجد مزاتة فى الغرب . والشرق هنا يشير إلى إفريقية بالنسبة إلى المغرب ، وليس المراد به هنا « المشرق » بدليل أن تلميذه الإفريقى عيسى بن مسكين يقول إنه يعرف البيت الذى ولد فيه . أما ولادة سحنون بإفريقية إما فى مدينة القيروان أو فى إحدى قراها الغربية فأمر لاشك فيه ، إذ أن المنتقل إلى إفريقية منهم هو جده ، والمظنون أنه جاء مع جيش محمد بن الأشعث الخزاعى »
٢٦٠	٤	: التالمة ، علق عليها بقوله : « والذى أعرفه هو التالقة وهو نبت معروف بإفريقية والمغرب » .
٢٨٤	١٥	: محمد بن المضار ، اقرأ : محمد بن المضا .

تصويبات

ص	س	خطأ	صواب
٣٣	١٤	عبد الله بن مروان	عبد الملك بن مروان
٧٤	١٨	ائتمروا	مُرُوا
٧٥	٣	عبد الله...	وعبد الله
	١٥	سعيد	تميم
٧٦	١٢	ذراعه	درعه
	٢٤	العرب	أبو العرب
٨٣	١	واعته	وأعتقه
	٦	موكبه	مركبه
٨٩	٢	جالساً	جالس
٩٦	١٨	ابن الناجي	ابن ناجي
١٣٣	١١	الأحدائى	الأجدابى
١٣٥	١٥	أبو ذرجونه	أبو زرجونه
١٤٤	٩	يمتثل	يتمثل
	١٢	بلمحن	بلحن
	٢١	إن أخرجتها معى إلى القيروان تزوجتها	إن تزوجتها أخرجتها معى إلى القيروان
١٤٦	١٤	ناقله ... الرقعة	ناقه ... الرَّقّه
١٤٩	٤	لتجبي	لنجبي
١٥٦	١٨	حسن	مسند
١٧٧	١٧	ولم يَرُدَّ على شيئاً	ولم يرد [محمد بن الحسن] على شيئاً
١٧٩	١٢	مصر	إفريقية

ص	س	خطـأ	صـواب
١٨٢	٨	ابن جبلة	أن جبلة
	٢٠	سلمان	سليمان
٢٠٥	١٤	يشتاقون	يستوفون
٢٢٦	٨	نَحَلَ	نَحَلَ
٢٣٧	٩	تستحى	تستح
٢٩٠	٤	أضف لفظ « لمـَّا » إلى أول السطر الثانى من البيت	
٣٠٠	٢١	وقال سحنون: « يزعم .. »	وقال: « سحنون يزعم .. »
٣١٠	٧	ابن شيلون	ابن شبلون
٣٢١	٢٠	ميتاً	ميت
٣٤٨	٩	وورقه	ودرقة
٣٥٢	١٢	أبو الحسن القابسى	أبو الحسين على بن الكانشى
٣٥٧	١	أبو الحسين الكانسى	أبو الحسين الكانشى
٣٦٣	٨	الراودى	الراوى
٣٧٨	٤	بولاية	الولاية
٤٤٥	٥، ١٠	عبد الملك	أبو بكر

فهـــرس

صفحة

تقديم الكتاب لسعادة حسن حسنى عبد الوهاب باشا ... ... ١ م

المقـــدمة ... ... ٤ م

ثبت بولاة إفريقية وأمرائها من الفتح العربى إلى انتقال العبيديين إلى مصر ٦٩م

مصادر استخدمت فى تقويم النص وكتابة المقدمة ٧٣م

كتاب رياض النفوس :

فاتحة المؤلف ١

ذكر فضل إفريقية ٣

ذكر فضل القيروان ٦

بناء المسجد ٧

سبب غزو إفريقية واختطاط مدينة القيروان ٨

ولاية معاوية بن حديج مصر وإفريقية ١٧

ولاية مسلمة بن مخلد مصر والقيروان ١٩

ولاية عقبة بن نافع الفهرى ٢٠

ولاية أبى المهاجر دينار ٢١

ولاية عقبة الثانية ٢٢

حملته الكبرى ٢٣

ولاية زهير بن قيس البلوى ٢٨

ولاية حسان بن النعمان الغسانى ٣١

أبواب التراجم :

١ ـ ذكر من دخل افريقية من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم

١ ـ عبد الله بن عباس ٤١

٢ ـ عبد الله بن عمر ٤١

صفحة

٣ — عبد الله بن الزبير ٤٢

٤ — عبد الله بن عمرو بن العاص ٤٣

٥ — عبد الله بن سعد بن أبي سرح ٤٤

٦ — عبد الله بن أنيس الجهني القضاعي ٤٥

٧ — أبو عبد الرحمن المسور بن مخرمة ٤٥

٨ — عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ٤٦

٩ — أبو ذر الغفاري ، جندب بن جنادة ٤٧

١٠ — أبو سعيد المقداد بن عمر البرهاني ٤٨

١١ — حمزة بن عمرو الأسلمي ٤٩

١٢ — أبو عبد الرحمن بلال بن الحارث المزني ٤٩

١٣ — المطلب بن السائب بن أبي وداعة السهمي ٥٠

١٤ — ربيعة بن عباد الديلي ٥١

١٥ — أبو محمد فضالة بن عبيد الله الأنصاري ٥٢

١٦ — رويفع بن ثابت الأنصاري ٥٣

١٧ — جرهد بن خويلد بن بجرة السلمي ٥٤

١٨ — أبو زمعة البلوي ٥٤

١٩ — أبو عبد الرحمن بسر بن أبي ارطاة ٥٥

٢٠ — المسيب بن حزن المخزومي ٥٦

٢١ — زياد بن الحارث الصدائي ٥٦

٢٢ — أبو ايمن سفيان بن وهب الخولاني ٥٨

٢٣ — جبلة بن عمرو الساعدي ٥٩

٢٤ — أبو نعيم معاوية بن حديج ٥٩

٢٥ — أبو شداد زهير بن قيس البلوي ٦٠

٢٦ — أبيض بن حمال السبائي الموازني ٦١

٢٧ — قيس بن يسار بن مسلم الكناني ٦١

٢٨ — أبو يقظان ٦٢

٢٩ — عقبة بن نافع بن عبد القيس ٦٢

صفحة

٢ ـ ذكر من دخل افريقية واوطانها من التابعين ، وهم الطبقة الأولى من علماء مدينة القيروان

أولاً : التابعون العشرة الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز

٣٠ ـ أبو عبد الرحمن الحبلى ٦٤
٣١ ـ أبو مسعود سعد بن سعود التجيبي ٦٦
٣٢ ـ إسماعيل بن عبيد الأنصاري ٦٩
٣٣ ـ أبو الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوخي ٧٢
٣٤ ـ موهب بن حي المعافري ٧٣
٣٥ ـ حبان بن أبي جبلة القرشي ٧٣
٣٦ ـ أبو ثمامة بكر بن سوادة الجذامي ٧٤
٣٧ ـ أبو سعيد جعثل بن هاعان ٧٥
٣٨ ـ إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر ٧٥
٣٩ ـ طلق بن جابان ٧٦

ثانياً : ومن هذه الطبقة ممن هم سوى العشرة المتقدم ذكرهم

٤٠ ـ على بن رباح بن نصير اللخمى ٧٧
٤١ ـ حنش بن عبد الله الصنعاني ٧٨
٤٢ ـ أبو عطيف الهذلي ٧٩
٤٣ ـ أبو سعيد المقبرى ٨٠
٤٤ ـ مغيرة بن أبي بردة الكناني ٨٠
٤٥ ـ عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة ٨١
٤٦ ـ عمارة بن غراب الغفارى التجيبي ٨٢
٤٧ ـ زياد بن أنعم السفياني ٨٣
٤٨ ـ عبد الرحمن بن أشيفع بن وعلة الشيباني ٨٣
٤٩ ـ أبو الأشعث ربيعة بن يزيد ٨٤
٥٠ ـ عياض بن عقبة بن نافع ٨٤

صفحة

٥١ ـ أبو منصور مولى سعد بن أبي وقاص ٨٥
٥٢ ـ أبو عثمان مسلم بن بشار الأنصارى ٨٦
٥٣ ـ أبو عمران موسى بن الأشعث البلوى ٨٦
٥٤ ـ ميسرة الزرودى ٨٧
٥٥ ـ عمرو بن راشد بن مسلم الكنانى ٨٧
٥٦ ـ أبو معمر عباد بن عبد الصمد ٨٧

ثالثاً : ذكر من دخل إفريقية والقيروان من هذه الطبقة ورجع إلى بلده أو غيرها

٥٧ ـ عاصم بن عمر بن الخطاب ٨٩
٥٨ ـ أبو عقيل زهرة بن معبد التيمى المدنى ٩٠
٥٩ ـ أبو قبيل المعافرى ٩١
٦٠ ـ أبو عبد الله عكرمة مولى عبد الله بن عباس ٩٢
٦١ ـ سليمان بن عوسجة اللخمى ٩٣
٦٢ ـ أبو سعيد يحيى بن سعيد بن قيس الأنصارى ٩٣
٦٣ ـ أبو أيوب سليمان بن يسار ٩٤
٦٤ ـ رافع بن عقيب الكلاعى ٩٤
٦٥ ـ أبو ليلى دجين بن عامر الحجرى ٩٥
٦٦ ـ أبو عبيدة مرة بن عقبة بن نافع الفهرى ٩٥

٣ ـ ذكر الطبقة الثانية من فقهاء مدينة القيروان وما يليها من البلدان ومحدثيهم وعبادهم ونساكهم

٦٧ ـ أبو خالد عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافرى ٩٦
٦٨ ـ أبو محمد خالد بن عمران التجيبى ١٠٣
٦٩ ـ عبد الله بن عبد الحكم البلوى ١٠٦
٧٠ ـ أبو محمد عبد العزيز بن مجير بن ريسان الرعينى ١٠٦
٧١ ـ أبو كريب جميل بن كريب المعافرى ١٠٧

صفحة

٧٢ – يزيد بن الطفيل ١١٠

٧٣ – عمر بن يزيد بن مسروق اليحصبي الزاهد ١١١

٧٤ – عبيد الله بن زحر الكنانى ١١٢

٧٥ – أبو عمران موسى بن على بن رباح اللخمى... ... ... ١١٢

٧٦ – أبو سليمان خلاد بن سليمان الحضرمى ١١٣

٧٧ – أبو محمد عبد الله بن فروخ الفارسى ١١٣

٧٨ – سعيد بن لبيد المعافرى ١٢٢

٧٩ – أبو زكريا يحيى بن السلام ١٢٢

ذكر من كان فى هذه الطبقة من أهل القيروان من أهل العبادة والنسك

٨٠ – أبو عبد الله محمد بن مسروق ١٢٦

٨١ – أبو عيسى مروان بن عبد الرحمن اليحصبي ١٢٧

٨٢ – أبو عبد الله محمد بن أحمد السوسى ١٢٨

٨٣ – أبو حفص عمر بن عبد الله الفتال ١٢٩

٨٤ – أبو سليمان ربيع بن عبد الله الناسك ١٣٠

٨٥ – مسافر بن سنان الواعظ ١٣١

٤ – ذكر الطبقة الثالثة من فقهاء مدينة القيروان وما يليها من البلدان ومحدثيهم

٨٦ – البهلول بن راشد الحجرى الرعينى ١٣٣

٨٧ – أبو عبد الرحمن عبد الله عمر بن غانم ١٤٣

٨٨ – صقلاب بن زياد الهمذانى ١٥٥

٨٩ – أبو عون معاوية بن الفضل الصمادحى ١٥٦

٩٠ – أبو عثمان حاتم بن عثمان المعافرى ١٥٧

٩١ – أبو الحسن على بن زياد العبسى التونسى ١٥٨

٩٢ – أبو زكريا بن الحكم اللخمى... ... ... ١٦١

٩٣ – يزيد بن محمد الجمحى ١٦٢

صفحة

٩٤ ــ عبد الله بن أبى غسان ١٦٢

٩٥ ــ يحي بن زكريا بن محمد بن الحكم التجيبى ١٦٣

٩٦ ــ أبو خارجة عنبسة بن خارجة الغافقى ١٦٣

٩٧ ــ عمر بن الحكم اللخمى ١٦٨

٩٨ ــ أبو القاسم الزواوى ١٦٨

٩٩ ــ أبو الوليد عباس بن الوليد الفارسى ١٦٨

١٠٠ ــ أبو الخطاب محمد بن عبد الأعلى الكندى ١٧٠

١٠١ ــ أبو مسعود العباس بن أشرس الأنصارى... ... ... ١٧٠

١٠٢ ــ عمر بن سمك بن حميد ١٧١

١٠٣ ــ أبو طالب عبد الله بن عثمان الأبزارى المعافرى ١٧٢

١٠٤ ــ أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان ١٧٢

١٠٥ ــ أبو محرز محمد بن عبد الله بن قيس الكنانى ١٨٩

١٠٦ ــ أبو عمرو البهلول بن عمر بن صالح التجيبى ١٩٦

١٠٧ ــ أبو عبد الله زرارة بن عبد الله ١٩٧

١٠٨ ــ أبو الحجاج رباح بن ثابت الأزدى ١٩٨

١٠٩ ــ أبو محمد عبد الله بن أبى حسان اليحصبى ١٩٩

١١٠ ــ أبو محمد عبد الله محمد بن معاوية الحضرمى ٢٠٤

١١١ ــ الحارث بن أسد القفصى ٢٠٥

١١٢ ــ عبد المؤمن بن المستنير الجزرى ٢٠٥

١١٣ ــ على بن يونس بن عياض الليثى ٢٠٦

ذكر من كان فى هذه الطبقة من العلماء والمحدثين ممن لم يلق مالكاً ولا روى عنه

١١٤ ــ أبو عبد الله يحي مقسم بن عبيد الأزدى ٢٠٧

١١٥ ــ حفص بن عمارة ٢٠٨

١١٦ ــ أبو عبد الله محمد بن على الرعينى ٢٠٨

١١٧ ــ أبو شيخ المفسر ٢٠٩

صفحة

ذكر من كان فى هذه الطبقة من المتعبدين والزاهدين

١١٨ – أبو يزيد رباح بن يزيد اللخمى ٢١٠
١١٩ – أبو على شقران بن على الفرضى ٢٢٢
١٢٠ – أبو سليمان الحبال ٢٣٠
١٢١ – أبو يزيد عبد الملك بن كريمة الأنصارى ٢٣٠
١٢٢ – أبو خالد عبد الخالق المتعبد (القتات) ٢٣٢
١٢٣ – حفص بن عمر الجزرى... ... ... ٢٣٨
١٢٤ – أبو عثمان الجزرى ٢٣٨
١٢٥ – إسماعيل بن رباح الجزرى ٢٣٩

: – ذكر الطبقة الرابعة من فقهاء مدينة القيروان وعبادها وما يليها من بلدان أفريقية وغيرها ومحدثيهم

١٢٦ – أبو سعيد سحنون بن سعيد ٢٤٩
١٢٧ – أبو جعفر موسى بن معاوية الصمادحى ٢٩٠
١٢٨ – أبو محمد عون بن يوسف الخزاعى... ... ... ٢٩٧
١٢٩ – أبو سنان زيد بن سنان الأسدى... ... ... ٣٠٠
١٣٠ – أبو البشر زيد بن بشر الأزدى ٣٠١
١٣١ – أبو الوليد مروان بن أبى شحمة المسيلى ٣٠٣
١٣٢ – أبو عبد الله محمد بن عياض المعلم ٣٠٤
١٣٣ – أبو جعفر عبد الله بن محمد بن على الدغشى ٣٠٥
١٣٤ – عباس بن عبد الله الضرير ٣٠٥
١٣٥ – أحمد بن أبى محرز القاضى ٣٠٥
١٣٦ – أبو عبد الملك الملشونى وابنه إسحاق ٣١٠
١٣٧ – أبو الوليد عبد الملك بن قطن اللغوى ٣١١

ذكر من كان فى هذه الطبقة من المتعبدين

١٣٨ – أبو خلف الخياط (مطروح بن قيس) ٣١٥
١٣٩ – أبو عبد الله حمدون بن عبد الله العسال ٣١٧

صفحة
١٤٠ ـ أبو محمد الأنصارى الضرير ٣١٨
١٤١ ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المسوحى ٣٢٠
١٤٢ ـ أبو زكريا الهرقلى ٣٢٢
١٤٣ ـ أبو عمر بشير بن عمروس ٣٢٤
١٤٤ ـ مكرم المتعبد بالمنستير ٣٢٥
١٤٥ ـ أبو محمد عبد الرحيم بن [عبد] ربه الربعى ٣٢٧
١٤٦ ـ أبو السرى واصل بن عبد الله اللخمى ٣٣٤

٦ ـ ذكر الطبقة الخامسة من علماء القيروان وعبادها وما يتصل بها من مدنها ومراسيها

١٤٧ ـ أبو عبد الله محمد بن سحنون ٣٤٥
١٤٨ ـ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبدوس ٣٦٠
١٤٩ ـ أبو عياش أحمد بن موسى بن مخلد الغافقى ٣٦٤
١٥٠ ـ محمد بن منيب ٣٦٥
١٥١ ـ أبو حفص عبد الجبار بن خالد السرتى ٣٦٦
١٥٢ ـ أحمد بن معتب بن أبى الأزهر بن عبد الوارث ٣٧٠
١٥٣ ـ أبو جعفر أحمد بن وازن الصواف ٣٧٣
١٥٤ ـ أبو عبد الله أحمد بن يزيد القرشى ٣٧٤
١٥٥ ـ أبو العباس عبد الله بن أحمد بن طالب ٣٧٥
١٥٦ ـ أبو الفضل أحمد بن على ٣٨٨
١٥٧ ـ أبو الحسن بن دارس المتعبد ٣٨٨
١٥٨ ـ أبو الأحوص أحمد بن عبد الله ٣٩٠
١٥٩ ـ أبو جعفر حمديس القطان ٣٩٤
١٦٠ ـ يحيى بن عمر بن يوسف الأندلسى ٣٩٦
١٦١ ـ أبو جعفر أحمد بن أبى سليمان داود الصواف ٤٠٧
١٦٢ ـ أبو عبد الله محمد بن زرزر... ... ... ٤١٤
١٦٣ ـ أبو هارون الأندلسى ٤١٦
١٦٤ ـ أبو عقال بن علون ٤٢٧

ذيول الجزء الأول

صفحة

١ ـ فوات الجزء الأول من رياض النفوس ٤٤٥

٢ ـ ثبت بأعلام المالكيين ٤٥٢

٣ ـ أعلام الحنفية بإفريقية إلى سنة ٣٠٠ هجرية ٤٩٠

ا ـ باب ذكر الرجال العراقيين ٤٩٠

سليمان بن عمران الملقب خروفة ٤٩٠

أبو العباس بن عبدون القاضى ٤٩٤

أبو العباس بن زرزر ٤٩٦

هشام بن العراقى ٤٩٧

أبو المنهال ٤٩٧

قاسم بن أبى المنهال ٤٩٨

ابن عمير ٤٩٨

أبو عقال بن الرعناء ٤٩٨

هيثم ٤٩٨

أبو عقال بن جرجر ٤٩٨

عبد الله بن هارون الكوفى السودانى ٤٩٩

أحمد بن مثيب ٤٩٩

معمر ٤٩٩

عبد الله بن محمد بن الأشج ٥٠٠

أحمد بن وهب ٥٠١

محمد بن أسود (الصدفى) ٥٠١

ابن الكبر ٥٠١

أبو عمرو ميمون (بن المعلوف) ٥٠١

أبو حبيب المعروف بابن حبيب السدرى ٥٠٢

صفحة
أبو علي بن أبي المنهال ٥٠٢
ابن جيمال ٥٠٢
ابن القطونة ٥٠٣
أبو العباس بن القيار ٥٠٣
محمد بن أحمد الفارسي (بن السفيني) ٥٠٣
يحيى بن محمد بن قادم ٥٠٣
ب ـ باب تسمية من انتحل النظر وتحلى بالجدل من أهل السنة وغيرهم من طبقة علماء القيروان .
أحمد بن نصر بن حضرم ٥٠٤
محمد بن سحنون ٥٠٤
أبو العباس عبد الله بن أحمد بن طالب ٥٠٤
استدراكات ٥٠٥
تصويبات ٥٠٧
فهرس ٥٠٩

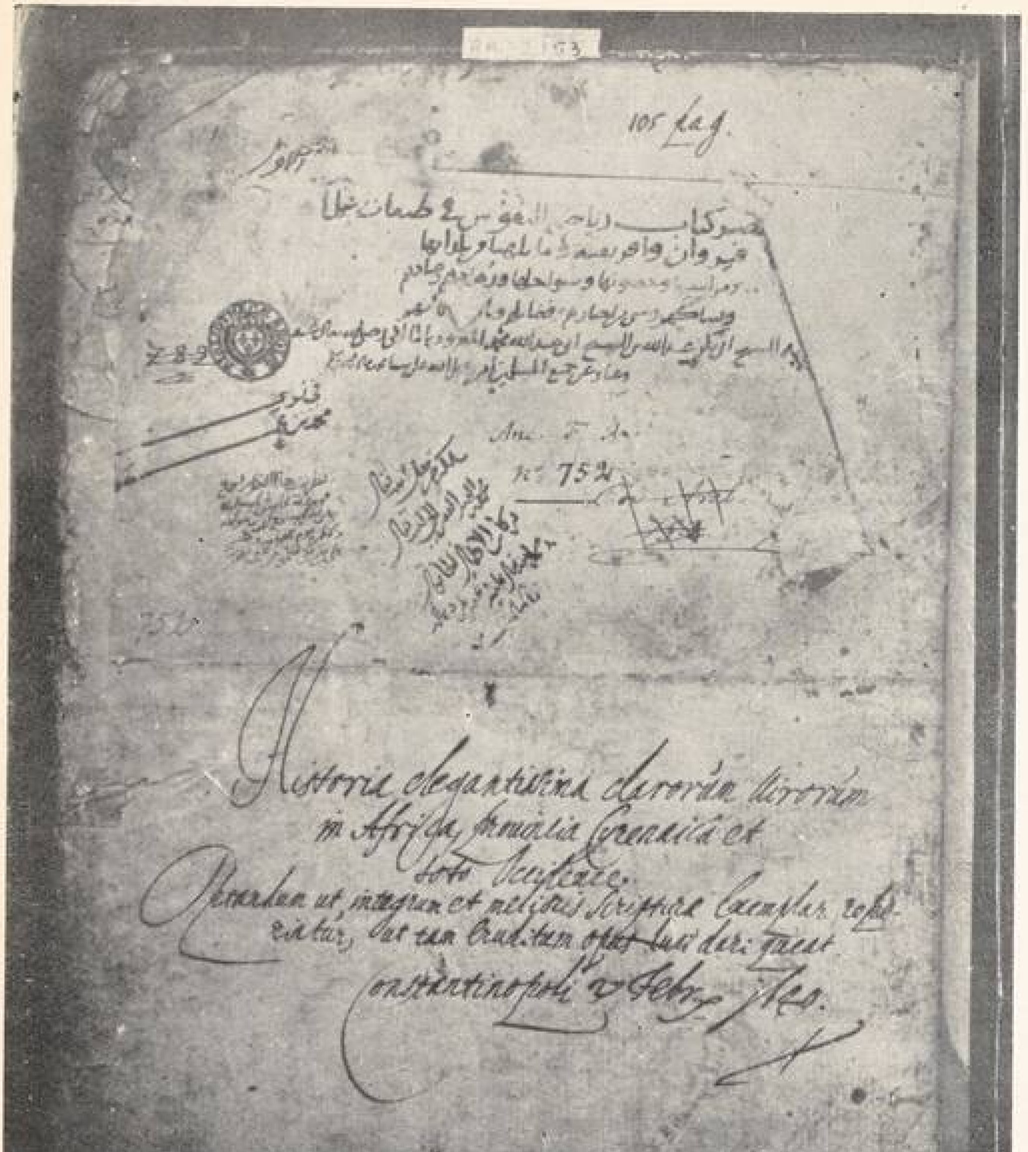

صفحة العنوان لمخطوط باريس من « رياض النفوس » (راجع ص ٥٩ من المقدمة)

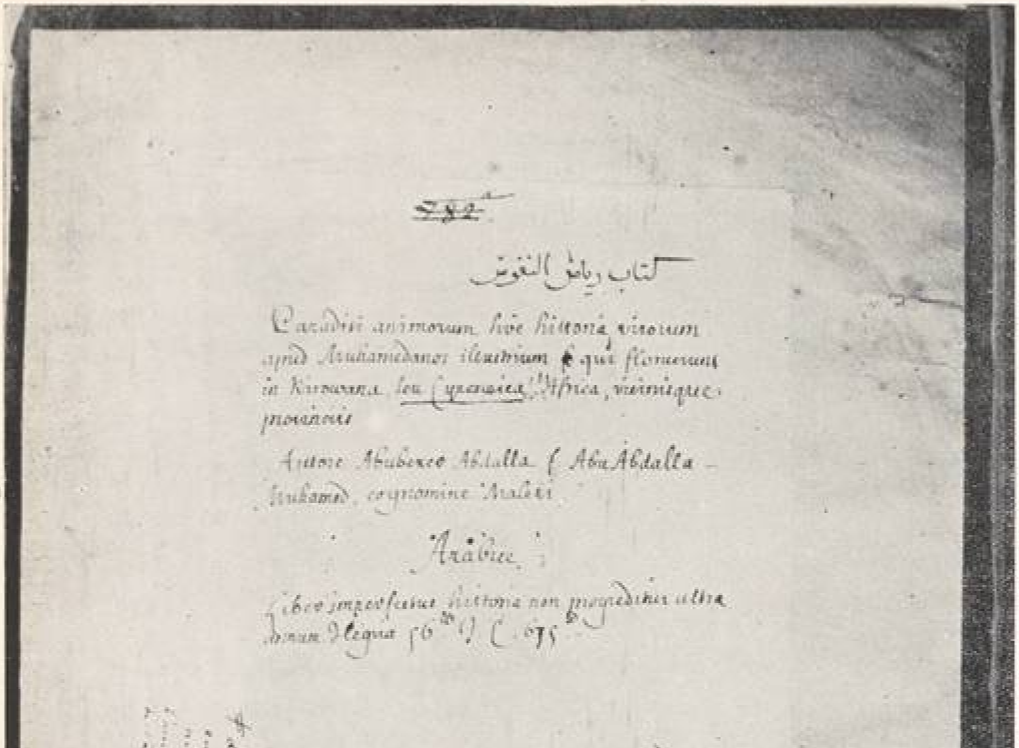
كتاب رياض النفوس

Paradisi animorum sive historia virorum apud Muhamedanos illustrium qui floruerunt in Kiruuana seu Cyrenaica Africa, vicinisque provinciis

Auctore Abubekro Abdalla f. Abu Abdalla Muhamed, cognomine Malki

Arabice

Liber imperfectus historia non progreditur ultra annum Hegirae 56 J. C. 675

AR. 2153

الصفحة الثانية من « رياض النفوس » مخطوط باريس (راجع ص ٦١ من المقدمة)

نموذج من خط ابي بكر المالكي (راجع ص ٥٤ من المقدمة)

فاتحة كتاب الرياض فى الصفحة الثالثة من المخطوط

(انظر ص ١ و ٣ هامش ٣ من المتن)

نموذج من صفحات مخطوطة « الرياض » نسخة باريس ، صفحة ٥ من النسخة المصورة
و ٣ وجه من الأصل المخطوط

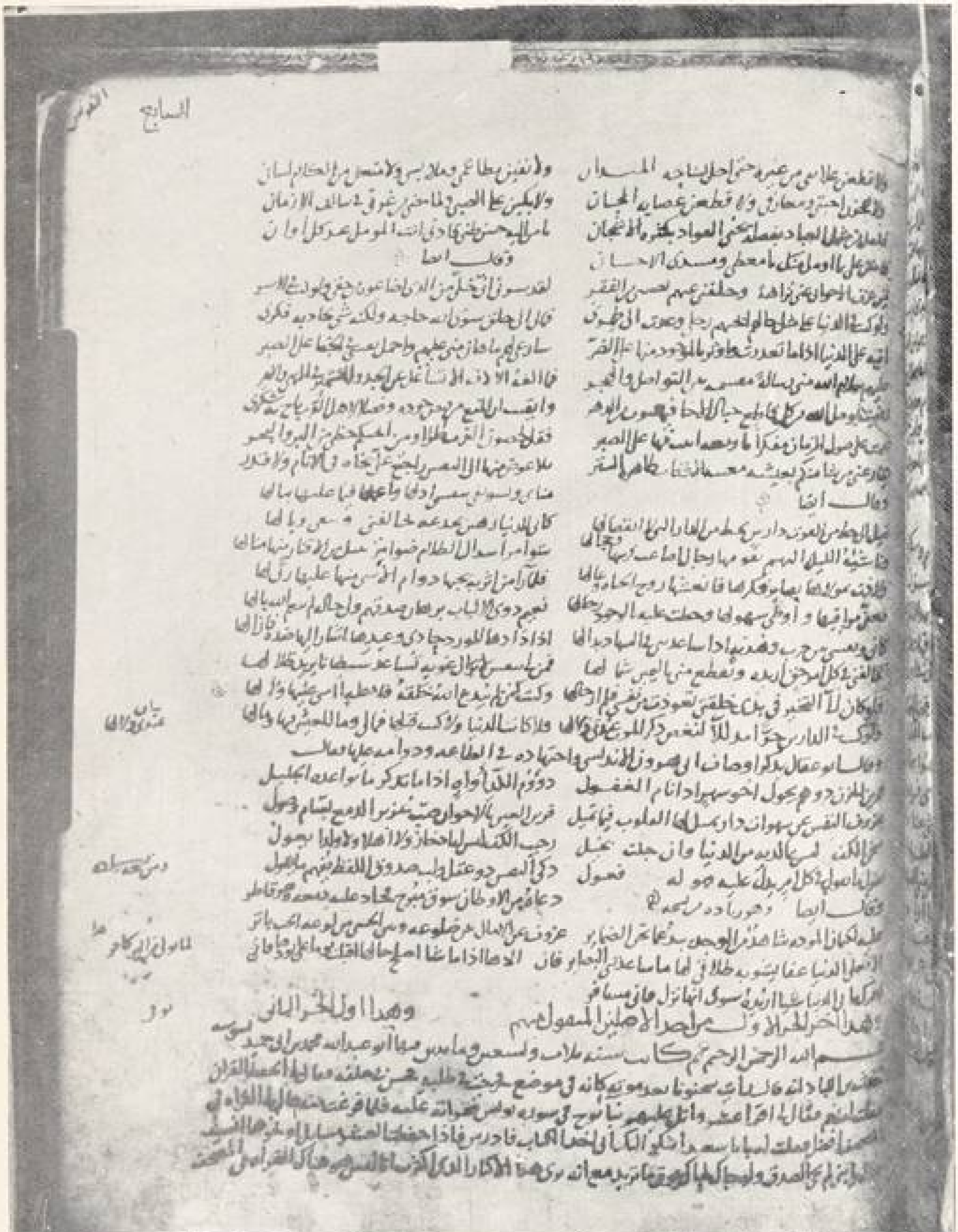

نهاية الجزء الأول وبدء الجزء الثاني من « الرياض » مخطوط باريس
(راجع ص ٥٦ من المقدمة)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

الصفحة الأولى من « مدارك » القاضي عياض ، مخطوط دار الكتب الملكية بالقاهرة
(راجع ص ٦٦ من المقدمة)

ABŪ BAKR AL-MĀLIKĪ

KITĀB

RIĀD AL-NUFŪS

RÉPERTOIRE BIOGRAPHIQUE
DES SAVANTS DE KAIROUAN ET DE L'IFRIKIA
DE LA CONQUÊTE ARABE À L'AN 356 DE L'HÉGIRE
(966 DE J.C.)

EDITION CRITIQUE

par

HUSSAIN MONÉS

Professeur adjoint à la Faculté des Lettres
de l'Université Fouad 1er d'Egypte

VOLUME I

EDITEUR
Librairie La Renaissance d'Egypte, Editeurs
9, rue Adly Pacha, Le Caire.

IMPRIMERIE MISR S.A.E. — LE CAIRE

Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University